

الكامل في التاريخ

تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٣٠هـ)

حققه واعتنى به
الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الامة
في اتحاد المؤرخين العرب

الجزء الثاني

تاريخ الهجرة النبوية وعصر الخلفاء الراشدين
(من سنة ١ - الى سنة ٤٠هـ)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

ISBN: 978-9953-27-014-2

الناشر

دار الكتاب العربي

DAR AL KITAB AL ARABI

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس،
الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769
بيروت 1107 2200 لبنان

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,
8th, floor, P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

هاتف Tel (+961 1) 800811 - 862905 - 861178
فاكس Fax (+961 1) 805478

بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb
academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com
www.academiainternational.com




الكامل
في التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١
ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه، ﷺ، بأصحابه الجُمعة في اليوم الذي نزل فيه من قُباء، في بني سالم، في بطن وادٍ لهم، وهي أوّل جمعة جمّعها رسول الله، ﷺ، في الإسلام وحطبهم، وهي أوّل خطبة[1].

وكان رجل من قُباء يريد المدينة، فركب ناقته وأرخى زمامها، فكان لا يمرّ بدار من دور الأنصار إلاّ قالوا[2]: هلمّ يا رسول الله إلى العدد والعُدّة والمَنَعة. فيقول: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، وهو يومئذ مِرْبَد[3] لغلامين يتيمَين في حجْر مُعاذ بن عفراء، وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو من بني النجّار، فلمّا بركت لم ينزل عنها، ثمّ وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله، ﷺ، واضع لها زمامها لا يثنيها به، فالتفتت خلفها، ثمّ رجعت إلى مبركها أوّل مرّة، فبركت فيه ووضعت جِرانها، فنزل عنها رسول الله، ﷺ، واحتمل أبو أيّوب الأنصاري رحله، وسأل رسولُ الله، ﷺ، عن المِربد فقال مُعاذ بن عفراء: هو ليتيمَين لي وسأرضيهما من ثمنه، فأمر به رسول الله، ﷺ، أي يُبنى مسجداً، وأقام عند أبي أيّوب حتى بُني مسجده ومساكنه[4].

وقيل: إنّ موضع المسجد كان لبني النجّار فيه نخل وحَرْث وقبور المشركين، فقال رسول الله، ﷺ: ثامنوني به. فقالوا: لا يُبْغَى به إلاّ ما عند الله. فأمر به فبُني مسجده، وكان قبله يصلّي حيث أدركته الصلاة، وبناه هو والمهاجرون والأنصار، وهو الصحيح[5].

وفيها بُني مسجد قُباء.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٩٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «قال».

(٣) في النسختين: (ب) و (ت): «ملك».

(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٣٦، ١٣٧، أنساب الأشراف ١/٢٦٦، تاريخ الطبري ٢/٣٩٦، البدء والتاريخ ٤/١٧٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٤١.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٣٩٧.

وفيها أيضاً توفّي كُلْثُوم بن الهِدْم[1].

وتوفي بعده أسعد بن زُرارة[2]، وكان نقيب بني النجّار، فاجتمع بنو النجّار وطلبوا من رسول الله، ﷺ، أن يقيم لهم نقيباً، فقال لهم: أنتم إخواني وأنا نقيبكم، فكان فضيلة لهم[3].

وفيها مات أبو أُحَيْحَة بالطائف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السَّهْمي بمكّة مشركين[4].

وفيها بنى النبيّ، ﷺ، بعائشة بعد مقدمه المدينة[5] بثمانية أشهر، وقيل بسبعة أشهر في ذي القعدة، وقيل في شوّال، وكان تزوّجها بمكّة قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين[6]، وقيل ابنة سبع سنين[7].

وفيها هاجرتْ سَوْدةُ بنتُ زَمَعَة زوج رسول الله، ﷺ، وبناته ما عدا زينب، وهاجر أيضاً عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبد الله، وطلحة بن عُبيد الله[8].

وفيها زيد في صلاة الحَضَر[9] ركعتان[10]، بعد مَقْدَمه المدينة بشهر.

وفيها وُلد عبد الله بن الزُّبَير، وقيل في السنة الثانية في شوّال، وكان أوّل مولود للمهاجرين بالمدينة[11].

وكان النعمان بن بشير أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة[12]. وقيل: إنّ المختار بن أبي عُبيد، وزياد ابن أبيه وُلدا فيها[13].

---

(١) المعارف ١٥٢، الطبري ٢/٣٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٤١.

(٢) تاريخ خليفة ٥٦، الطبري ٢/٣٩٧.

(٣) الطبري ٢/٣٩٨.

(٤) الطبري ٢/٣٩٨.

(٥) العبارة في إحدى النسخ «بعد العقد عليها».

(٦) السير والمغازي ٢٥٥.

(٧) الطبري ٢/٤٠٠.

(٨) الطبري ٣٩٨.

(٩) في طبعة صادر ٢/١١٠ «العصر» وهو وهم، والتصويب من الطبري، حيث يقول: «وكانت صلاة الحَضَر والسفر ركعتين».

(١٠) في الطبعة الأوربية «ركعتين».

(١١) الطبري ٢/٤٠٠.

(١٢) الطبري ٢/٤٠١.

(١٣) تاريخ الطبري ٢/٤٠٢.

وفيهـا على رأس سبعة أشهـر عقد رسـول الله، ﷺ، لعمّه حمـزة لـواءً أبيض، في ثلاثين رجلاً من المهـاجرين، ليعـرضوا عِيـر قريش، فلقي أبـا جهل في ثـلاثمائـة رجل، فحجـز بينهم مَجْديّ بن عمـرو الجُهَنيّ، وكان يحمـل اللواء أبـو مَـرْثـد، وهـو أوّل لـواء عقده[1].

وفيها أيضاً عقد لواءً لعُبيدة بن الحارث بن المطّلب، وكان أبيض يحمله مِسْطَح بن أُثـاثة، فـالتقى هو والمشـركون، فكـان بينهم الرمي دون المسـايفة، وكـان سعـد بن أبي وقّـاص أوّل من رمى بسهم في سبيـل الله، وكـان المِقـداد بن عمـرو وعُتبـة بن غَـزْوان مسلمين وهما بمكّة، فخرجا مع المشركين يتوصّلان بذلك، فلمّا لقيهم المسلمون انحازا إليهم. وقال بعضهم: كان لواء أبي عبيدة أوّل لواء عقده، وإنّما اشتبه ذلك لقرب بعضهـا ببعض، وكان على المُشركين أبو سُفْيان بن حرب، وقيل مِكْرَز بن حفص ابن الأخْيَف[2]، وقيل عِكرمة بن أبي جهل.

(والأخْيَف بالخاء المعجمة والياء المثنّاة من تحتها).

وفيهـا عقد لـواءً لسعد بن أبي وقّـاص، وسيّـره إلى الأبْـواء[3]، وكـان يحمـل اللواء المقداد بن الأسود، وكان مسيره في ذي القعدة وجميع مَنْ معه من المهاجـرين، فلم يلقَ حرباً[4].

جعـل الواقـدي[5] هذه السـرايا جميعهـا في السنة الأولى من الهجـرة. وجعلها ابن إسحاق[6] في السنة الثانية، فقال: على رأس اثني عشر شهراً من مقدم رسـول الله، ﷺ، المدينة خـرج غازيـاً، واستخلـف على المدينـة سعد بن عُبـادة، فبلغ وَدّان[7] يريـد قريشـاً وبني ضَمْرة من كِنانـة، وهي غزاة الأبـواء، بينهما ستّـة أميال، فـوادعتْه فيهـا بنو ضمـرة، ورئيسهم مَخْشيّ بن عمرو، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيـداً[8]. وذكر ابن إسحـاق بعد

---

(١) الطبري ٢/٤٠٢، المغازي لعروة ١/٩.

(٢) حتى هنا في تاريخ الطبري ٢/٤٠٢، والباقي في الطبقات لابن سعد ٢/٧، وأنظر المغازي للواقدي ١/٩.

(٣) في الأصل «الحراز». والأبـواء: جبل شـامخ هـو لخُزاعـة وضمْرة، بـه قبر آمنـة بنت وهب أم الرسـول ﷺ. (معجم البلدان ١/٧٩).

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٠٣.

(٥) في المغازي ١/٢.

(٦) في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٨.

(٧) وَدّان: بالفتح. موضع بين مكة والمدينة، وهي قريـة جامعـة من نواحي الفُـرْع، قريبـة من الجحفة. (معجم البلدان ٥/٣٦٥).

(٨) الطبقات ٢/٨ و ٩.

هذه الغزوة غزوة عُبَيْدة بن الحارث[1]، ثمّ غزوة حمزة بن عبد المطّلب[2].

وفيها كان غزاة بُواط، خرج رسول الله، ﷺ، في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر، يعني سنة اثنتين، يريد قريشاً حتى بلغ بُواط من ناحية رَضْوى، وكان في عِير قريش أُميّة بن خَلَف الجُمَحيّ، في مائة رجل، ومعهم ألفان وخمسمائة بعير، فرجع ولم يلقَ كيداً، وكان يحمل لواء رسول الله، ﷺ، سعد بن أبي وقّاص، واستخلف على المدينة سعد بن مُعاذ[3].

(بَواط: بفتح الباء[4] الموحّدة وبالطاء المهملة).

وفيها غزا رسول الله، ﷺ، غزوة العُشَيرة من يَنْبع في جمادى الأولى، يريد قريشاً حين ساروا إلى الشام، فلمّا وصل العُشيرة وادع بني مُدْلج وحلفاءهم من ضَمْرة، ورجع ولم يلق كيداً، واستخلف على المدينة أبا سَلمة بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة، وفي هذه الغزوة كنّى النبيّ، ﷺ، عليّاً أبا تراب في قول بعضهم[5].

وفيها أغار كُرْز بن جابر الفِهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله، ﷺ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفْوان من ناحية بدر، وفاته كُرْز، وكان لواؤه مع عليّ، واستخلف على المدينة زيد[6] بن حارثة[7].

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، سعد بن أبي وقّاص في سرّية، ثمانية رهط، فرجع

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٨، ٩، المغازي للواقدي ١/٢، الطبري ٢/٤٠٥، وفي سيرة ابن هشام ٢/٢٤٠ أنه ﷺ استعمل على المدينة: «السائب بن عثمان بن مظعون». وانظر أنساب الأشراف ١/٢٨٧، والمغازي ١/١٢ وتاريخ خليفة ٥٧، والبدء والتاريخ ٤/١٨٢، وتاريخ الإسلام ٤٧، والبداية والنهاية ٣/٢٤٦، وعيون الأثر ١/٢٢٦، والمحبّر ١١٠، وعيون التواريخ ١/١٠٦، والروض الأنف ٣/٢٧، وسيرة ابن كثير ٢/٣٦١.

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان ١/٥٠٣: «بواط: بالضمّ... ورواه الأصيلي والعُذْري والمستملي من شيوخ المغاربة بَوَاط، بفتح أوله، والأول أشهر. وقالوا: هو جبل من جبال جُهَينة بناحية رضوى».

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٠، المغازي للواقدي ١/٢ و١٢ تاريخ الطبري ٢/٤٠٦، الطبقات الكبرى ٢/٩، ١٠، أنساب الأشراف ١/٢٨٧، تاريخ خليفة ٥٧، البدء والتاريخ ٤/١٨٢، البداية والنهاية ٣/٢٤٦، سيرة ابن كثير ٢/٣٦١، تاريخ الإسلام ٤٧، عيون التواريخ ١/١٠٧، عيون الأثر ١/٢٢٦.

(٦) في الطبعة الأوربية «يزيد». وهو تحريف.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٣، الطبقات الكبرى ٢/٩، تاريخ الطبري ٢/٤٠٧.

ولم يلقَ كيداً[1]

وفيها جاء أبو قيس بن الأسْلت إلى رسول الله، ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فقال: ما أحسن ما تدعو إليه! سأنظر في أمري ثمّ أعود. فلقيه عبد الله بن أُبَيّ المنافق فقال: كرهت قتال[2] الخزرج. فقال أبو قيس: لا أُسلم إلى سنة، فمات في ذي القعدة[3].

---

(1) المغازي للواقدي ١/٢، الطبقات الكبرى ٢/٧ سيرة ابن هشام ٢/٢٤٢.
(2) في الأصل «قتلك».
(3) تاريخ الطبري ٢/٤٠٦.

٢
ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة

في هـذه السنة غـزا رسول الله، ﷺ، في قـول بعض أهل السِّيَـر، غـزوة الأبـواء، ويقـال[1] وَدّان، وبينهما ستّـة أميال، واستخلف رسـول الله، ﷺ، على المدينـة سعـد بن عُبادة، وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبدُ المطّلب، وقد تقدّم ذكرها[2].

ذكر سريّة عبد الله بن جَحْش

أمر رسول الله أبا عُبيدة بن الجرّاح أن يتجهّز للغزو، فتجهّز، فلمّا أراد المسير بكى صبابة إلى رسول الله، ﷺ، فبعث مكانـه عبدَ الله بن جحش في جمـادى الآخرة[3]، معـه ثمانية رهْط من المهاجرين، وقيل اثنا عشر رجلاً، وكتب لـه كتابـاً، وأمره أن لا ينـظر فيه حتى يسير يومَين، ثمّ ينظر فيه، فيمضي لِما أمره به، ولا يُكْره أحـداً من أصحابـه، ففعل ذلك، ثمّ قرأ الكتـابَ وفيه يـأمره بنـزول نَخلة بين مكّة والـطائف، فيرصـد قريشـاً ويعلم أخبارهم، فأعلم أصحابه، فساروا معه.

وأضلّ سعد بن أبي وقّاص، وعُتْبة بن غزوان بعيراً لهما يتعقبانه، فتخلّفا في طلبه، ومضى عبـد الله ونزل بنخلة، فمـرّت عِيـر لقـريش تحمـل زبيبـاً وغيـره، فيهـا عمـرو بن الحضرميّ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخـوه نوفـل، والحَكَم بن كَيْسان، فـأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن، وقد حلق رأسه. فلمّا رأوه قالوا: عُمّارٌ لا بـأس عليكم [منهم]، وذلـك آخر يـوم من رجب، فـرمى واقـد بن عبـد الله التيميّ عمـرَو بن الحضـرميّ بسهم فقتله، واستأسر عثمان، والحَكَم، وهرب نَوفل، وغَنِم المسلمون ما معهم، فقال عبد الله

---

(١) في الطبعة الأوربية «وقال».

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٠٧ وانظر تاريخ خليفة ٥٦، وأنساب الأشراف ١/٢٨٧، الطبقات الكبـرى ٢/٨، سيرة ابن هشام ٢/٢٣٣، المغازي للواقدي ١/٢ و ١١، ١٢، البدء والتـاريخ ٤/١٨٢، الـروض الأنف ٣/٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥، عيون الأثر ١/٢٢٤، عيون التواريخ ١/١٠٧، تاريخ الخميس ١/٤٠٢.

(٣) في النسخة (ي): «رجب».

ابن جَحْش: إنّ لرسول الله، ﷺ، خُمْس ما غنمتم، وذلك قبل أن يُفْرَض الخمس، وكانت أوّل غنيمة غنمها المسلمون، وأوّل خُمس في الإسلام(١).

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسرى إلى المدينة. فلمّا قدِموا قال لهم رسول الله، ﷺ: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، فوقّف العِيرَ والأسيرين، فسُقِط في أيديهم، وعنّفهم المسلمون، وقالت قريش: قد استحلّ محمّد وأصحابه الشهر الحرام. وقالت اليهود تفاأل(٢) بذلك على رسول الله، ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله. واقد (ابن عبد الله: «عمرو» عمرت الحرب، و«الحَضْرميّ» حضرت الحرب، و«واقد»](٣) وقدت الحرب(٤). فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾(٥) الآية. فلمّا نزل القرآن وفرَّج الله عن المسلمين قبض رسول الله، ﷺ، العيرَ، وكانت أوّل غنيمة أصابوها، وفدى رسول الله، ﷺ، الأسيرَين. فأمّا الحَكَم فأقام مع رسول الله، ﷺ، حتى قُتل يوم بئر مَعُونة(٦).

وقيل: كان قَتْلُهم عمرو بن الحضرميّ وأخْذ العير آخر يوم من جُمادى، وأوّل ليلة من رجب(٧).

وفيها صُرفت القِبلة من الشام إلى الكعبة، وكان أوّل ما فُرضت القبلة إلى بيت المقدس والنبيّ، ﷺ، بمكّة، وكان يحبّ استقبال الكعبة، وكان يصلّي بمكّة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس. فلمّا هاجر إلى المدينة لم يُمْكنه ذلك، وكان يؤثر أن يُصرف إلى الكعبة، فأمره الله أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان، على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة(٨).

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٦، تاريخ الطبري ٢/٤١٠ ـ ٤١٢، الطبقات الكبرى ٢/١١، المغازي للواقدي ١/٢ و١٣، المحبّر ١١٦، البدء والتاريخ ٤/١٨٢، سيرة ابن كثير ٢/٣٦٦ ـ ٣٧٢، البداية والنهاية ٣/٢٤٨ ـ ٢٥٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، عيون الأثر ١/٢٢٧ ـ ٢٣٠، عيون التواريخ ١/١٠٨ ـ ١١١، تاريخ الخميس ١/٤٠٢.

(٢) في تاريخ الطبري «تفاءل»، وفي التفسير «تتفاءل».

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري.

(٤) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «واقد بن عمرو بن الحارث ووقدت الحرب».

(٥) سورة البقرة ـ الآية ٢١٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٦، تاريخ الطبري ٢/٤١٢، ٤١٣، التفسير ٤/٣٠٥، ٣٠٦، المغازي للواقدي ١/١٥.

(٧) الطبري ٢/٤١٤.

(٨) الطبري ٢/٤١٥، ٤١٦، سيرة ابن هشام ٣/٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٤٢.

وقيل: على رأس ستّة عشر شهراً في صلاة الظهر[1].

وفيها أيضاً في شعبان فُرض صوم شهر رمضان، وكان لما قدِم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء، فصامه وأمر بصيامه، فلمّا فُرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينْههم[2].

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين[3].

وفيها خرج رسول الله، ﷺ، إلى المصلّى، فصلّى بهم صلاة العيد، وكان ذلك أوّل خرْجة خرجها، وحُملت بين يديه العَنَزة[4]، وكانت للزُّبَير وهبها له النجاشيّ، وهي[5] اليوم للمؤذّنين في المدينة[6].

ذكر غزوة بدر الكبرى[7]

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في السابع عشر[8].

وقيل التاسع عشر، وكانت يوم الجمعة[9].

وكان سببها قتل عمرو بن الحضرميّ، وإقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون، وقيل: قريباً من سبعين رجلاً من قريش، منهم: مَخْرمة بن نَوْفل الزُّهْريّ، وعمرو بن العاص، فلمّا سمع بهم رسول الله، ﷺ، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا

---

(١) الطبري ٢/٤١٧، تاريخ خليفة ٦٤.
(٢) الطبري ٢/٤١٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٤٢.
(٣) الطبري ٢/٤١٨.
(٤) العَنَزة: عصا في رأسها سنان مثل سنان الرمح.
(٥) في الطبعة الأوربية «وهو».
(٦) الطبري ٢/٤١٨.
(٧) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٩، المغازي للواقدي ١/١٩، السير والمغازي ٣٠٥، الطبقات الكبرى ٢/١١، تاريخ خليفة ٥٧، أنساب الأشراف ١/٢٨٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٤٥، المغازي لعروة ١٣١، الدرر لابن عبد البر ١١٠، عيون الأثر ١/٢٤١، جوامع السيرة لابن حزم ١٠٧ تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٥٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٣٩٢، المعارف ١٥٢، عيون التواريخ ١/١١١، البدء والتاريخ ٤/١٨٥، تاريخ الخميس ١/٤١٥، سيرة ابن كثير ٢/٣٨٠، البداية والنهاية ٣/٢٥٦، تاريخ الطبري ٢/٤١٨، الأغاني ٤/١٧٠ وما بعدها، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٦، ٢٥٧، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٨، ١٢٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٠، صحيح البخاري في المغازي ٥/٣ - ٢٢، المغازي للزهري ٦٢ - ٦٦.
(٨) الطبري ٢/٤١٩.
(٩) الطبري ٢/٤١٨.

إليها لعلّ الله أن ينفّلكموها. فانتدب النـاس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم، وذلـك لأنّهم لن يظنّوا أنّ رسول الله، ﷺ، يلقى حرباً.

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبيّ، ﷺ، يريده، فحذر واستأجر ضَمْضَم بن عمـرو الغفاريّ، فبعثه إلى مكّة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر، فخرج ضَمضم إلى مكّة[1].

وكانت عاتكة بنت عبد المطّلب قد رأت، قبل قدوم ضمضم مكّـة ثلاث ليـالٍ رؤيا أفزعتها، فقصّتها على أخيها[2] العبّاس، واستكتمته خبرها، قال: رأيت راكباً على بعيـر له [حتى] وقف[3] بـالأبطح، ثمّ صـرخ بأعلى صـوته: أن انفـروا يا آل غُـدَر لمَصارعكم في ثلاث! قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثمّ دخل المسجد، فمثل بعيره على الكعبة، ثمّ صرخ مثلها، ثمّ مثل بعيره على رأسِ أبي قُبَيْس فصرخ مثلها، ثمّ أخذ صخرة عـظيمة وأرسلها، فلمّا كانت بأسفل الوادي ارفضّت، فما بقي بيت من مكّة إلّا دخله فلقة منها[4].

فخرج العبّاس فلقي الوليدَ بن عُتْبة[5] بن ربيعة، وكان صديقه، فذكرها له واستكتمه ذلك، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة[5]، ففشـا الخبر، فلقي أبـو جهل العبّـاسَ فقال لـه: يا أبـا الفضل أقبل إلينا. قال: فلمّا فرغتُ من طـوافي أقبلتُ إليه، فقـال لي: متى حدَّثَتْ فيكم هذه النبيّة؟ وذكـر رؤيا عـاتكة، ثمّ قـال: ما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّـأ نساؤكم! فستربّص بكم هذه الثلاث، فإنْ يكن حقّـاً، وإلّا كتبنا عليكم أنّكم أكـذب أهل بيتٍ في العرب.

قال العبّاس: فما كان منّي إليه إلّا أنّي جحدتُ ذلـك وأنكرتُـهُ، فلمّا أمسيتُ أتـاني نساء بني عبد المطّلب وقلنَ لي: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقـع في رجالكم، وقـد تناول نساءكم، ولم تُنكر عليه ذلك! قال قلت: والله كـان ذلك، ولأتعـرّضنّ له، فـإنْ عاد كفيتكمـوه[6]. قال: فغـدوتُ اليوم الثـالث من رؤيا عـاتكة، وأنـا مغضب أحبّ أن أدركه، فرأيتُهُ في المسجد، فمشيتُ نحوه أتعرّضِ له ليعود فأُوقع به، فخرج نحو المسجد يشتدّ، قال قلتُ: ما باله قاتله الله! أكلّ هذا فرقاً من أن أشاتمه! وإذا هو قد سمع مـا لم أسمع، صوت ضَمْضم بن عمرو وهو يصرخ ببـطن الوادي، واقفاً على بعيره قـد جدّعـه، وحوّل

---

(١) الطبري ٢/٤٢١، ٤٢٢، الأغاني ٤/١٧١.

(٢) في الطبعة الأوربية «أخيه».

(٣) في الطبعة الأوربية «وقفا».

(٤) حديث عاتكة في المغازي لعروة ١٣٣، ١٣٤، ومجمع الزوائد ٦/٧٠، ٧١ نقلاً عن الطبراني.

(٥) في الطبعة الأوربية «عقبة»، وهو تحريف.

(٦) في سيرة ابن هشام «لأكفيكنه»، وفي تاريخ الطبري «لأكفينكموه».

رحله، وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض له محمّد وأصحابه، لا أدري إنْ تدركوها، الغوثَ الغوثَ! فشغلني عنه وشغله عنّي.

قال: فتجهّز الناس سراعاً، ولم يتخلّف من أشرافهم أحدٌ إلاّ أبا لَهَب، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المُغيرة، وعزم أميّة بن خلَف الجُمَحيّ على القعود، فإنّه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً، فأتاه عُقْبَة بن أبي مُعَيْط بمجمرة فيها نار، وما يتبخّر به وقال: يا أبا عليّ استجمر، فإنّما أنت من النساء. فقال: قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به! وتجهّز وخرج معهم. وعزم عُتبة بن ربيعة أيضاً على القعود، فقال له أخوه شَيْبَة: إنْ فارقنا قومنا كان ذلك سُبَّة[1] علينا، فامضِ مع قومك، فمشى معهم.

فلمّا أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن الحارث، فخافوا أن يؤتوا من خلفهم، فجاءهم[2] إبليس في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجيّ، وكان من أشراف كِنانة، وقال: أنا جار لكم، فاخرجوا سراعاً[3].

وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل، وكان خيلهم مائة فرس، فنجا[4] منها سبعون فرساً، وغنِم المسلمون ثلاثين فرساً، وكان من المشركين سبعمائة بعير.

وكان مسير رسول الله، ﷺ، لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان، في ثلاثمائة عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر، وقيل بضعة عشر رجلاً. وقيل ثمانية عشر، وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل ثلاثة وثمانون والباقون من الأنصار.

فقيل: جميع من ضرب له رسول الله، ﷺ، بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس أحد وسبعون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً، ولم يكن فيهم غير فارسَين، أحدهما المِقداد بن عمرو الكِنْديّ، ولا خلاف فيه، والثاني قيل كان الزّبير ابن العوّام، وقيل كان مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، وقيل المِقداد وحده، وكانت الإبل سبعين بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبيّ، ﷺ، وعليّ وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عَوْف بعير، وعلى

(١) في الطبعة الأوربية «سيّئة».
(٢) في النسخة (ب): «فتبدا لهم».
(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٢٥٠ ـ ٢٥٥، وتاريخ الطبري ٢/٤٢١ ـ ٤٣١، والأغاني ٤/١٧١ ـ ١٧٥.
(٤) في الطبعة الأوربية «فنجوا».

مثل هذا[1]. وكان فرس المِقداد اسمه سَبْحَة[2]، وفرس الزّبير اسمه السَّيْل، وكان لواؤه مع مُصْعب بن عُمَير بن عبد الدار، ورايته[3] مع عليّ بن أبي طالب، وعلى الساقة قيس بن أبي صَعْصَعة الأنصاريّ[4].

فلمّا كان قريباً من الصفراء بعث بَسْبَس بن عمرو، وعديّ بن أبي الزَّغْباء الجُهَنيّين، يتجسّسان الأخبار عن أبي سفيان، ثمّ ارتحل رسول الله، ﷺ، وترك[5] الصفراء يساراً، وعاد إليه بَسْبس بن عمرو يُخْبره أنّ العير قد قاربت بدراً، ولم يكن عند رسول الله، ﷺ، والمسلمين علم بمسير قريش لمنع[6] غِيرهم، وكان قد بعث عليّاً والزّبير وسعداً[7] يلتمسون له الخبر ببدر، فأصابوا راوية لقريش، فيهم أسلم غلام بني الجحجاح[8]، وأبو يسار غلام بني العاص. فأتوا بهما النبيّ، ﷺ، وهو قائم يصلّي، فسألوهما، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، وضربوهما ليُخْبروهما عن أبي سفيان. فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وفرغ رسول الله، ﷺ، من الصلاة وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، إنّهما لقريش، أخبراني أين قريش»؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوى. فقال رسول الله، ﷺ: «كم القوم»؟ قالا: كثير. قال: «كم عدّتهم»؟ قالا: لا ندري. قال: «كم ينحرون»؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال: «القوم بين تسعمائة إلى الألف»[9].

ثمّ قال لهما: فمَنْ فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عُتْبة، وشَيْبة ابنا ربيعة، والوليد،

---

(١) السيرة ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «سنجة»، والتصويب من: عقد الأجياد في الصافنات الجياد، للأمير محمد بن عبد القادر الجزائري - ص ٣٣٦ طبعة المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م.، وفضل الخيل، للحافظ الدمياطي، نشرة محمد راغب الطباخ - ص ١١٨ - طبعة حلب ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م، ورشحات المداد في ما يتعلّق بالصافنات الجياد، للبخشي - ص ١٢٠ - طبع مع فضل الخيل، والحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. لمحمد بن كامل التاجي الصاحبي (ق ٧ هـ.) بتحقيق عبد الله الجبوري - ص ٩٥ طبعة النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١ هـ./١٩٨١م.

(٣) في طبعة صادر ٢/١١٩ «رأيته» بإثبات الهمزة، وهو وهم.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٦، الأغاني ٤/١٧٦.

(٥) في إحدى النسخ «ونزل».

(٦) في النسخة (ب): «يمنع».

(٧) في إحدى النسخ «أسعد».

(٨) في الطبعة الأوربية «الحجاج» وهو وهم.

(٩) ابن سعد ٢/١٥، المغازي ١٣٧، ١٣٨.

وأبـو البَختريّ بن هشـام، وحَكيم بن حـزام، والحـارث بن عـامـر، وطُعَيمـة بن عـديّ، والنَّضـر بن الحارث، وزَمْعَـة بن الأسود، وأبـو جهل، وأُميّـة بن خَلَف، ونُبيه، ومُنبّـه ابنا الحجّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وَدّ.

فـأقبل رسـول الله، ﷺ، على أصحابـه وقـال: «هـذه مكّـة قـد ألقت إليكم أفـلاذ كَبِدها»[1]. ثمّ استشـار أصحابـه، فقال أبـو بكر فـأحسن، ثمّ قال عمـر فـأحسن، ثمّ قـام المِقْداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لِما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقـول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾[2]؛ ولكن اذهبْ أنت وربّـك فقاتـلا، إنّا معكمـا مقاتلون، فَـوَالذي بعثـك بالحقّ لـو سِـرْتَ بنـا إلى بِـرْك الغِماد[3]، يعني مدينة الحبشة، لَجَالَدْنا معك من دونه حتى تبلغه[4].

فـدعا لهم بخيـر، ثمّ قال رسـول الله، ﷺ: أشيروا عليّ أيّهـا النّاس؛ وإنّمـا يريـد الأنصار، لأنّهم كانوا عدد الناس، وخاف أن لا تكون الأنصار تـرى عليها نُصـرته إلاّ مِمّن دَهِمَه بالمدينة، وليس عليهم أن يسير بهم. فقال له سعد بن مُعاذ: لكأنّك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجلْ. قال: قد آمنّا بك وصدّقناك، وأعطيناك عهودنا، فامض يا رسول الله لما أُمِرت، فَوَالذي بعثك بالحقّ إن استعرضتَ بنـا هذا البحـر فخُضتَه لنخـوضنّه معـك، وما نكره أن تكون تلقى العدوّ بنا غـداً، إنّا لَصُبُرٌ عند الحـرب، صُدُقٌ عنـد اللقاء، لعـلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله!.

فسار رسول الله، ﷺ، فقال: «أبشروا فـإنّ الله قد وعـدني إحدى الـطائفتَين، والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم». ثمّ انحطّ على بدر فنزل قريباً منها[5].

وكان أبو سفيان قد ساحَلَ[6]، وترك بدراً يسـاراً، ثمّ أسرع فنجـا، فلمّا رأى أنّـه قد أحرز عِيره أرسل إلى قريش، وهم بالجُحفة: إنّ الله قد نجّى عيركم وأمـوالكم فارجعـوا. فقـال أبو جهـل بن هشام: والله لا نـرجع حتى نَـرِدَ بدراً، وكـان بدر مـوسمـاً من مـواسم العرب، تجتمع لهم بها سوق كلّ عام، فنقيم بها ثلاثـاً، فننحر الجُـزُر، ونُطْعم الـطعام،

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٠، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٢٤.

(٣) في النسخة (ب): «تل العماد».

(٤) الأغـاني ٤/ ١٧٧، سيرة ابن هشـام ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨، تـاريخ الـطبري ٢/ ٤٣٤، وانـظر أنسـاب الأشـراف ١/ ٢٩٣ رقم ٦٥٩، المغازي لعروة ١٣٥، ١٣٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٨، الأغاني ٤/ ١٧٨، تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٥، المغازي لعروة ١٣٦.

(٦) أي سار بمحاذاة الساحل.

ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً. فقال الأخنس بن شَريق الثقفيّ، وكان حليفاً لبني زُهْرة وهم بالجُحفة: يا بني زُهرة قد نجّى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا. فرجعوا، فلم يشهدها زُهْريّ ولا عدويّ، وشهِدَها سائر بطون قريش[1].

ولما كانت قريش بالجُحفة رأى جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرمة بن المطّلب بن عبد مَناف رؤيا فقال: إنّي رأيتُ فيما يرى النائم رجلاً أقبل على فرس، ومعه بعير له فقال: قُتل عُتْبة، وشَيْبة، وأبو جهل، وغيرهم ممَّنْ قُتل يومئذ، ورأيته ضرب لبّةَ بعيره، ثمّ أرسله في العسكر، فما بقي خباء إلاّ أصابه من دمه. فقال أبو جهل: وهذا أيضاً نبيّ من بني المطّلب، سيعلم غداً من المقتول. وكان بين طالب بن أبي طالب، وهو في القوم، وبين بعض قريش محاورةٌ، فقالوا: والله قد عرفنا أنّ هواكم مع محمّد. فرجع طالب إلى مكّة فيمَن رجع، وقيل: إنّما كان خرج كرهاً، فلم يوجد في الأسرى، ولا في القتلى، ولا فيمَن رجع إلى مكّة، وهو الذي يقول:

يا ربِّ[2] إمّا يَغْزُوَنَّ طالِبْ ... في مِقْنَبٍ[3] من هذه المَقانِبْ[4]
فَلْيكنِ المسلوبَ غيرَ السّالِبْ ... وَلْيكنِ المَغلوبَ غيرَ الغَالِبْ[5]

ومضتْ قريش حتى نزلتْ بالعُدْوة القُصوى من الوادي، وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْساً[6]، فأصاب رسولَ الله، ﷺ، وأصحابه منه ما لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منه ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه. فخرج رسول الله، ﷺ، يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدر نزله، فقال الحُباب بن المُنْذر بن الجَموح: يا رسول الله! أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه أو نتأخّره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس لك بمنزل، انهضْ[7] بالناس حتى نأتي أدنَى ماء سواه من القوم، فننزله، ثمّ نعوّر[8] ما وراءه من القُلُب، ثمّ نبني عليه حوضاً، ونملأه ماء، فنشرب ماء، ولا يشربون،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٦١، الأغاني ٤/١٨٢، تاريخ الطبري ٢/٤٣٧، ٤٣٨، ابن سعد ٢/١٣، ١٤.
(٢) في سيرة ابن هشام ٢/٢٦٢ «لا هم» بدل «يا رب».
(٣) المِقنب: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هي دون المائة.
(٤) في السيرة: في عصبة محالف محارب.
(٥) في الأصل «المطلوب غير الطالب». وانظر الاختلاف في سيرة ابن هشام. وهو يقول: قوله فليكن المسلوب، وقوله: ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر. (ج٢/٢٦٢).
(٦) الدهْس: كلّ مكان ليّن لم يبلغ أن يكون رملاً.
(٧) في الطبعة الأوربية «انحض».
(٨) نعوّر: ندفن.

ثمّ نقاتلهم. ففعل رسول الله، ﷺ، ذلك[1].

فلمّا نزل جاءه سعد بن مُعاذ فقال: يا رسول الله نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه، ونترك عندك ركائبك، ثمّ نَلْقَى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا الله عليهم، كان ذلك ممّا أحببناه، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك، فلحقتَ بما وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حبّاً لك منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك. فأثنى عليه خيراً[2].

ثمّ بُني لرسول الله، ﷺ، عريشٌ، وأقبلت قريش بخُيَلائها وفخرها، فلمّا رآها قال: «اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك[3] وتكذّب رسولك! اللهمّ فنصْرَكَ الذي وعدتني! اللهمّ أحِنْهم[4] الغداةَ». ورأى عُتْبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال: «إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يُطيعوه يرشدوا»[5].

وكان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفاريّ أو أبوه إيماء بعث إلى قريش حين مرّوا به ابناً له بجزائر، أهداها لهم، وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح، فقالت قريش: إن كنّا إنّما نقاتل الناس فما بنا من ضعف، وإن كنّا نقاتل الله كما زعم محمّد، فما لأحد بالله طاقة. فلمّا نزلت قريش أقبل جماعةٌ، منهم حَكيمُ بن حِزام، حتى وردوا حوضَ النبيّ، ﷺ، فقال رسول الله، ﷺ: اتركوهم، فما شرب منه رجل إلاّ قُتل يومئذٍ، إلاّ حكيم، نجا على فرس له يقال له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه، وكان يقول إذا اجتهد في يمينه: لا والذي نجّاني يوم بدر[6].

ولما اطمأنّت قريش بعثوا عمرو[7] بن وهْب الجُمحيّ ليحزر المسلمين، فجال بفرسه حولهم، ثمّ عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولقد رأيت الولايا[8] تحمل المنايا، نواضح[9] يثرب تحمل الموتَ الناقع، ليس لهم مَنَعَة إلاّ سيوفهم، والله لا

---

(١) السيرة ٢/٢٦٣، الأغاني ٤/١٨٤، الطبري ٢/٤٤٠.

(٢) السيرة ٢/٢٦٣، الطبري ٤٤٠، الأغاني ٤/١٨٤.

(٣) في النسخة (ب): تحاربك. وتحادّك: تعاديك.

(٤) في النسخة (ب): «أجبنهم».

(٥) السيرة ٢/٢٦٤، الأغاني ٤/١٨٤، ١٨٥، الطبري ٢/٤٤١، المغازي ١٤٠.

(٦) السيرة ٢/٢٦٥، الطبري ٢/٤٤١، الأغاني ٤/١٨٥.

(٧) في السيرة، والأغاني، وتاريخ الطبري وابن سعد ٢/١٦ «عمير».

(٨) في السيرة ٢/٢٦٥ «البلايا»، والمثبت يتفق مع الطبري والأغاني. والولايا: جمع وليّة، وهي البرذعة أو ما تحتها.

(٩) النواضح: الإبل التي يُسْتَقى عليها الماء.

يُقبل رجل منهم إلّا يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك، فرَوْا رأيكم.

فلمّا سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في القوم، فأتى عُتبةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنّك كبير قريش وسيّدها، هل لك أن لا تزال تُذْكَر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرميّ. قال: قد فعلتُ، عليّ دمه وما أُصيب من ماله، فأتِ ابن الحنظليّة، يعني أبا جهل، فلا أخشى أن يُفْسد أمرَ الناس غيرُه. فقام عُتبة في الناس فقال: إنّكم ما تصنعون بأن تَلقوا محمّداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموهم، لا يزال رجل ينظر في وجه رجل، يكره النظر إليه، قتل ابن عمّه، أو[1] ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته. قال حكيم بن حِزام: فانطلقتُ إلى أبي جهل، فوجدتُه قد نثَل درعاً وهو يُهيّئُها، فأعلمتُهُ ما قال عُتْبة، فقال: انتفخ والله سَحْره[2] حين رأى محمّداً وأصحابه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعُتْبة ما قال، ولكن رأى ابنه أبا حُذيفة فيهم، وقد خافكم عليه.

ثمّ بعث إلى عامر [بن] الحضرميّ فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكّة بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فانشدْ خُفْرتك ومقتل أخيك. فقام عامر وصرخ: واعمراه واعمراه! فحميت الحرب واستوسق[3] الناس على الشرّ.

فلمّا بلغ عُتْبةَ قولُ أبي جهل: انتفخ سَحْره[4]، قال: سيعلم المصفِّرُ استَه من انتفخ سَحْرُهُ، أنا أم هو! ثمّ التمس بيضة يُدْخلها رأسه، فما وجد من عِظَم هامته، فاعتجر ببُرْد له[5].

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان سيّء الخُلُق، فقال: أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، ولأهدمنّه، أو لأموتنّ دونه. فخرج إليه حمزة فضربه، فأطنّ قدمه بنصف ساقه، فوقع على الأرض، ثمّ حبا إلى الحوض، فاقتحم فيه ليبُرّ يمينه، وتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض[6].

ثمّ خرج عُتْبة، وشَيْبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتْبة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج

---

(١) في إحدى النسخ «قتل».

(٢) في النسخة (ب): «منخرة».

(٣) في الطبعة الأوربية «استوثق». واستوسق الناس: اجتمع: أمرهم.

(٤) أنظر الملحوظة قبل السابقة.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦، ٢٦٧ الأغاني ٤/١٨٧، ١٨٨، تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، ٤٤٤.

(٦) المصادر نفسها.

إليهم عَوْف، ومُعَوِّذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رَوَاحة، كلّهم من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. فقالوا: أكفاء كِرام، وما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا[1]. فقال النبيّ، ﷺ: قمْ يا حمزة، قمْ يا عبيدة بن الحارث، قمْ يا عليّ، فقاموا، ودنا بعضهم من بعض، فبارز عبيدةُ بن الحارث بن المطّلب، وكان أمير القوم عُتبةَ، وبارز حمزةُ شيبةَ، وبارز عليّ الوليدَ، فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبةَ أن قتله، وأمّا عليّ فلم يُمهل الوليدَ أن قتله، واختلف عبيدة وعُتبة بينهما ضربتَين، كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ على عُتْبة، فقتلاه، واحتملا عُبيدة إلى أصحابه، وقد قُطعت رجله، فلمّا أتوا به النبيّ، ﷺ، قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ [قال: «بلى»]. قال: لو رآني أبو طالب لعلم [أنّنا] أحقّ منه بقوله:

وَنُسْلِمه حتى نُصَرَّعَ حولَهُ ... وَنَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ[2]

ثمّ مات، وتزاحف القومُ ودنا بعضهم من بعض[3]، وأبو جهل يقول: اللهمّ أقطعُنا للرحِم، وآتانا بما لم نعرف فأحِنْه الغداةَ، فكان هو المستفتح على نفسه.

وكان رسول الله، ﷺ، قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القومِ فانضحوهم عنكم بالنَّبل. ونزل في العريش ومعه أبو بكر، وهو يدعو ويقول: «اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَد في الأرض، اللهمّ أنجزْ لي ما وعدتني». ولم يزل حتى سقط رداؤه، فوضعه عليه أبو بكر، ثمّ قال له: كفاك مناشدتك ربّك، فإنّه سينجز لك ما وعدك. وأغفى رسول الله، ﷺ، في العريش إغفاءة، وانتبه ثمّ قال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبرائيل آخِذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه النقعُ، وأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[4] الآية[5].

وخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[6] وحرض المسلمين وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال: عمير بن الحمام الأنصاري وبيده تمرات يأكلهن بخ

---

(١) السيرة ٢/٢٦٧.

(٢) البيت من قصيدة أبي طالب ومطلعها:

خليليّ ما أذني لأوّل عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٥، ٤٤٦، الأغاني ٤/١٨٩، ١٩٠، ابن سعد ٢/١٧.

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٦٩، الأغاني ٤/١٩١، ١٩٢، تاريخ الطبري ٢/٤٤٧.

(٦) سورة القمر ـ الآية ٤٥.

بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل، ورمى مهجع[1] مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل؛ ثم رمي حارثة بن سراقة الأنصاري فقتل، وقاتل عوف بن عفراء حتي قتل، واقتتل الناس قتالاً شديداً، فأخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه وقال لأصحابه: شدوا عليهم فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم.

ولما كان رسول الله، ﷺ، في العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، متوشّحاً بالسيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله، ﷺ، يخافون عليه كرّة العدوّ، فرأى رسول الله، ﷺ، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لِما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله، ﷺ: لكأنّك تكره ذلك يا سعد؟ قال: أجلْ يا رسول الله، أوّل وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الإثخان أحبّ إليّ من استبقاء الرجال[2].

وكان أوّل من لقي أبا جَهْل مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، وقريش محيطة به يقولون: لا يُخْلَص إلى أبي الحكم، قال مُعاذ: فجعلتُهُ من شأني، فلمّا أمكنني حملتُ عليه، فضربتُهُ ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنُهُ عكرمةُ، فطرح يدي من عاتقي، فتعلّقت بجلدةِ من جنّتي، فقاتلتُ عامّة يومي، وإنّي لأسحبُها خلفي، فلمّا آذتني جعلت عليها رِجلي، ثمّ تمطّيت حتى طرحتها.

وعاش مُعاذ إلى زمان عثمان، رضي الله عنه[3].

ثمّ مرّ بأبي جهل مُعَوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم مرّ به ابن مسعود، وقد أمر رسول الله، ﷺ، أن يُلْتَمس في القتلى، فوجده بآخر رمق، قال: فوضعتُ رِجلي على عنقه، ثمّ قلتُ: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أعْمَدُ من رجل قتلتموه، أخبرني لمَن الدائرة؟ قلتُ: لله ولرسوله. قال له أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مرتقىً صعباً! قال: فقلتُ: إنّي قاتلك. قال: ما أنت بأوّل عبد قتل سيّده، أمَا إنّ أشدّ شيء لقيتُهُ[4] اليوم قتلك إيّاي، وألّا قتلني رجل من المطيّبين

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٠، الأغاني ٤/١٩٢، ١٩٣، تاريخ الطبري ٢/٤٤٨.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧١، الأغاني ٤/١٩٣، ١٩٤، الطبري ٢/٤٤٩، ابن سعد ٢/١٥.
(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٢٧٦، ٢٧٧ تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، ٤٥٥، الأغاني ٤/١٩٩، ٢٠٠.
(٤) في النسختين (ب) و(ت): «لقيناه».

الأحلاف. فضربه عبد الله، فوقع رأسه بين رجليْه[1]، فحمله إلى رسول الله، ﷺ، فسجد شكراً لله[2].

وكان عبد الرحمن بن عَوْف قد غنِم أدراعاً، فمرّ بأُميّة بن خلف وابنه عليّ، فقالا له: نحن خير لك من هذه الأدراع. فطرح الأدراع وأخذ بيده وبيد ابنه، ومشى بهما، فقال له أميّة: مَنِ الرجل المُعْلَم بريشة نعامة في صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطّلب. قال أميّة: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.

ورأى بلال أميّة، وكان يعذّبه بمكّة، فيخرج به إلى رمضاء مكّة، فيُضْجعه على ظهره، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمّد، فيقول بلال: أحد أحد، فلمّا رآه بلال قال: أُميّة! رأس الكُفْر! لا نجوتُ إن نجا! ثمّ صرخ: يا أنصار الله رأس الكفر أميّة بن خلَف، لا نجوتُ إن نجا! فأحاط بهم المسلمون، وقُتل أميّة وابنُهُ عليّ، وكان عبد الرحمن يقول: رحِم الله بِلالاً، ذهبتْ أدراعي وفجعني بأسيريّ[3].

وقُتل حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله عليّ بن أبي طالب[4].

ولما انهزم المشركون أمر النبيّ، ﷺ، أن لا يُقْتَل أبو البَخْتريّ بن هشام لأنّه كان أكفّ القوم عن[5] رسول الله، ﷺ، وهو بمكّة، وكان ممّن اهتمّ في نقض الصحيفة، فلقيه المُجَذّر بن ذِياد البلويّ حليف الأنصار، ومعه زميل له، فقال له: إنّ رسول الله قد نَهَى عن قتلك. فقال: وزميلي؟ فقال المجذّر: لا والله. قال: إذاً والله لأموتنّ أنا وهو، ولا تتحدّث نساء قريش أنّي تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقتله، ثمّ أخبر رسول الله، ﷺ، بخبره[6].

وجيء بالعبّاس، أسره أبو اليَسَر، وكان مجموعاً، وكان العبّاس جسيماً، فقيل لأبي اليَسَر: كيف أسرتَهُ؟ قال: أعانني عليه رجلٌ ما رأيتُهُ قبل ذلك، بهيئة كذا وكذا، فقال رسول الله، ﷺ: لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم. ولما أمسى العبّاس مأسوراً بات رسول الله، ﷺ، ساهراً أوّل ليله، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟ فقال: سمعتُ

(١) في النسخة (ب): «يديه».
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٧، ٢٧٨ تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، ٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٤.
(٤) أنساب الأشراف ١/٢٩٦، ٢٩٧.
(٥) في الطبعة الأوربية «كان أخفّ القوم على».
(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٢، تاريخ الطبري ٢/٤٥٠، الأغاني ٤/١٩٤، ١٩٥.

تضوّر العبّاس في وثاقه، فمنع منّي النوم. فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله، ﷺ[1].

وقد كان رسول الله، ﷺ، قال لأصحابه يومئذ: قد عرفتُ رجالاً من بني هاشم وغيرهم أُخْرجوا كرهاً، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومَنْ لقي العبّاس ابن عبد المطّلب، فلا يقتله، فإنّه أُخرِج كرهاً. فقال أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة: أنقتل أبناءنا وآباءنا وإخواننا ونترك العبّاس؟ والله لئن لقيتُهُ لأُلحِمَنّه بالسّيف. فبلغ النبيّ، ﷺ، فقال لعمر: يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حُذَيفة؟ أيُضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف؟ فقال أبو حُذَيفة: لا أزال خائفاً من تلك الكلمة، ولا يكفّرها عنّي إلاّ الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيداً[2]. وقد كان رسول الله، ﷺ، قال لأصحابه: قد رأيت جبرائيل وعلى ثناياه النقع.

فقال رجل من بني غِفار: أقبلتُ أنا وابن عمّ لي، فصعِدنا جبلاً يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب، فدنت منّا سحابةٌ، فسمعتُ فيها حمحمة الخيل، وسمعتُ قائلاً يقول: أقدمْ حَيزوم، قال: فأمّا ابن عمّي فمات مكانه، وأمّا أنا فكدتُ أهلك، فتماسكتُ[3].

وقال أبو داود المازنيّ: إنّي لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفي إليه، فعرفتُ أنّه قتله غيري[4].

وقال سهل بن حُنَيف: كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده، قبل أن يصل إليه السيف[5].

فلمّا هزم الله المشركين، وقُتل منهم من قُتل، وأُسِر من أُسر، أمر رسول الله، ﷺ، أن تُطْرح القتلى في القَلِيب، فطُرحوا فيه إلاّ أميّة بن خَلَف، فإنّه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا به ليُخرجوه فتقطّع، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، ولما أُلقوا في القليب وقف عليهم رسول الله، ﷺ، وقال: «يا أهل القليب، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم! كذّبتموني وصدّقني الناس»! ثمّ قال: «يا عُتْبة، يا شَيْبة، يا أميّة بن خلف، يا أبا جهل بن هشام»، وعدّد من كان في القليب، «هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟ فإنّي وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً». فقال له أصحابه: «أتكلّم قوماً موتى»؟ فقال: «ما أنتم بأسمع

---

(١) الأغاني ٤/٢٠٦ و ٢٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٠.

(٣) السيرة ٢/٢٧٥، الطبري ٢/٤٥٣، الأغاني ٤/١٩٨.

(٤) السيرة، الطبري، الأغاني.

(٥) الطبري ٢/٤٥٤، الأغاني ٤/١٩٩.

لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[1].

ولما قال، ﷺ، لأهل القَلِيب ما قال رأى في وجه أبي حُذَيفة بن عُتْبة الكراهية وقد تغيّر، فقال: لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما شككتُ في أبي وفي مصرعه، ولكنّه كان لـه عقل وحلم وفضـل، فكنتُ أرجو لـه الإسلام، فلمّا رأيتُ ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله، ﷺ، بخير[2].

ثمّ إنّ رسول الله، ﷺ، أمر فجُمع ما في العسكر، فاختلف المسلمون، فقال مَنْ جمعه: هو لنا. وقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ: [والله] لولا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم [حتّى أصبتم ما أصبتم]. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله، ﷺ، وهو في العريش: والله ما أنتم بأحقّ به منّا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له مَنْ يمنعه، ولكنْ خفنا كرّة العدوّ على رسول الله، ﷺ، فقمنا دونه. فنزع الله الأنفال من أيديهم، وجعلها إلى رسول الله، ﷺ، فقسمها بين المسلمين على سواء[3].

وبعث رسول الله، ﷺ، عبدَ الله بن رَواحة بشيراً إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة، فوصل زيد وقد سوّوا التراب على رُقيّة بنت رسول الله، ﷺ، وكانت زوجة عثمان بن عفّان، خلّفه رسول الله، ﷺ، عليها وقسم له[4].

فلمّا عاد رسول الله، ﷺ، لقيه الناس يهنّئونه بما فتح الله عليه، فقال سَلَمة بن سلامة بن وقش الأنصاريّ: إن لقينا إلّا عجائز صُلْعاً كالبُدْن المعقّلة فنحرناها. فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: يابنَ أخي أولئك الملأ من قريش[5].

وكان في الأسرى النَّضْر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط، فأمر عليَّ بن أبي طالب بقتل النضر، فقتله بالصَّفْراء، وأمر عاصمَ بن ثابت بقتل عُقبة بن أبي معيط، فلمّا أرادوا قتْله جزع من القتل وقال: ما لي أسوة بهؤلاء؟ يعني الأسرى، ثمّ قال: يا محمّد مَن للصِّبْية؟ قال: النار، فقتله بعِرْق الظُّبْية[6] صبراً[7].

وكان في الأسرى سُهَيْل بن عمرو أسره مالك بن الدُّخْشُم الأنصاريّ، فلمّا أُتي به

(1) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٠، ٢٨١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، ٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢.
(2) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٠، ٢٨١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢..
(3) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، الأغاني ٤/٢٠٣.
(4) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨.
(5) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٩.
(6) في الأصل «الظهيرة». وعِرق الظُّبْية: بين مكة والمدينة.
(7) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، الأغاني ٤/٢٠٣.

النبيّ، ﷺ، قال عمر بن الخطّاب: [دعني] أنزع ثنيّتيه يا رسول الله، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، وكان سهيل أعلم الشفة السفلى[1]، فقال رسول الله، ﷺ: دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه، فكان مقامه ذلك عند موت النبيّ، ﷺ، وسنذكره عند خبر الرِّدّة إن شاء الله.

ولما قدِم به المدينة قالت له سَوْدة بنت زَمْعة، زوج النبيّ، ﷺ: اعطيتمْ[2] بأيديكم كما تفعل النساء، ألاّ متّم كراماً! فسمع رسول الله، ﷺ، قولها فقال لها: يا سَوْدَة أعلَى الله وعلى رسوله [تحرّضين]! فقالت: يا رسول الله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُهُ أن قلتُ ما قلتُ[3].

وقال رسول الله، ﷺ: «استوصوا بالأسرى خيراً»[4]. وكان أحدهم يؤثر أسيرَه بطعامه[5].

فكان أوّل مَن قدِم مكّة بمصاب قريش: الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعيّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة، وشيبة، وأبو الحكَم، ونُبَيه، ومنبّه ابنا الحجّاج، وعدّد أشراف قريش. فقال صَفْوان بن أميّة: والله إنْ يعقل فاسألوه عنّي. فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هو ذاك جالس في الحِجر، وقد رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا[6].

ومات أبو لهب، بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة[7] أيّام، وناحت قريش على قتلاهم، ثمّ قالوا: لا تفعلوا فيشمت محمّد وأصحابه، ولا تبعثوا في فداء أسراكم لا يشتطّ عليكم محمّد. وكان الأسود بن عبد يغوث قد أُصيب له ثلاثة من ولده: زَمَعة، وعَقيل، والحارث، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه. فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه، وقد ذهب بصره: انظرْ هل أُحلّ البكاء لعلّي أبكي على زَمَعة، فإنّ جوفي قد احترق. فرجع إليه وقال له: إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته، فقال:

أتبكي أن يَضِلّ[8] لها بَعِيرٌ ويمنعها منَ النّوم السُّهودُ[9]

---

(١) الأعلم: المشقوق الشفة العليا.

(٢) في إحدى النسخ «لاعبتم».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، الأغاني ٤/٢٠٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري ٢/٤٦٠.

(٥) السيرة ٢/٢٨٧، الطبري ٢/٤٦١.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٨، الطبري ٢/٤٦١.

(٧) في النسخة (ب): «بسبعة».

(٨) في الأغاني ٤/٢٠٩ «أضلّ».

(٩) هذا البيت والذي بعده، والبيت الأخير في حماسة أبي تمّام بشرح التبريزي ٢/٣٤٠، ٣٤١.

ولا تَبكي على بَكْرٍ[1] ولكن ... على بدرٍ تقاصرتِ الجدودُ[2]
على بَدرٍ سراةِ بني هُصَيص[3] ... ومخزومٍ ورَهْطِ أبي الوَليد[4]
وبكّي[5] إن بَكَيْتِ على عَقيلٍ ... وبكّي حارثاً أَسَدَ الأسُودِ
وبكّيهم[6] ولا تَسَمي[7] جَميعاً ... فما لأبي حَكيمةَ مِن نَديدِ
ألا قد سادَ بعدَهُمُ أناسٌ[8] ... ولولا يومُ بَدرٍ لم يَسُودُوا[9]

يعني أبا سفيان.

ثمّ إنّ قريشاً أرسلت في فداء الأسارى، فأوّل مَن فُدي أبو وَداعة السّهْميّ، فداه ابنُهُ المطّلب، وفدى العبّاسُ نفسه، وعَقيلَ بن أبي طالب، وَنَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وحليفه عُتبة بن عمرو بن جَحْدَم، أمره رسول الله، ﷺ، بذلك فقال: لا مال لِي. فقال له رسول الله، ﷺ: «أين المال الذي وضعتَه عند أم الفضل، وقلتَ لها إنْ أصبتُ فللفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولُعَبيد الله كذا»؟ قال: والذي بعثك بالحقّ ما علم به أحد غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله! وفدى نفسه وابني أخَوَيْه وحليفه، وكان قد أخذ[10] مع العبّاس عشرون أوقية من ذهب، فقال: احسبها[11] في فدائي. فقال النبيّ، ﷺ: «لا، ذاك شيء أعطاناه الله، عزَّ وجلّ».

وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان، أسره عليّ، فقيل لأبيه: أفْدِ عَمراً. فقال: لا أجمع عليَّ دمي ومالي، يُقتل ابني حنظلة وأفدي عَمراً! فتركه ولم يفكّه. ثمّ إنّ سعد ابن النعمان الأنصاري خرج إلى مكّة معتمراً، فأخذه أبو سفيان، وكانت قريش لا تعرض لحاجّ ولا معتمر. فحبسه أبو سفيان ليفدي به عَمراً ابنه، وقال:

= وفي الأغاني ٤/٢٠٩:

ويمنعها البكاء من الهجود

(١) البكر: الفتى من الإبل.
(٢) تقاصرت الجدود: أي تواضعت الحظوظ.
(٣) في الطبعة الأوربية «هضيض».
(٤) في الأصل «عظامهم همود».
(٥) في الطبعة الأوربية «وأبكي».
(٦) في الطبعة الأوربية «وتبكيهم».
(٧) تَسَمي: بالتخفيف، «تسأمي».
(٨) في السيرة والطبري والأغاني «رجال».
(٩) قال ابن هشام: هذا إقواء. (٢/٢٩٠، الطبري ٢/٤٦٤، الأغاني ٤/٣٠٩).
(١٠) في النسخة (ب): «وجد».
(١١) في الطبعة الأوربية «أحبسها».

أَرَهْطَ ابن أكّـالٍ أجيبـوا دُعـاءهُ تَعاقَدتمُ[1] لا تُسلِمُـوا السيّدَ الكَهـلا
فـإنَّ بَـنـي عَـمـرٍو لِئَـامٌ أذِلّـةٌ لئن لم يفُكّوا عن أسيرِهِمُ الكَبْـلا[2]

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبيّ، ﷺ، فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان، ففادوا به سعداً[3].

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله، ﷺ، وكان من أكثر رجال مكّة مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمّة هالة بنت خُوَيْلد أخت خديجة زوجة رسول الله، ﷺ، فسألته أن يزوّجه زينب، ففعل قبل أن يوحى إليه، فلمّا أوحي إليه آمنت به زينب، وكان رسول الله، ﷺ، مغلوباً بمكّة لم يقدر أن يفرّق بينهما، فلمّا خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأُسر، فلمّا بعثت قريش في فداء الأسارى، بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها، كانت خديجة أدخلتها معها، فلمّا رآها رسول الله، ﷺ، رقّ لها رقّة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا. فأطلقوا لها أسيرها وردّوا القلادة[4].

وأخذ رسول الله، ﷺ، عليه أن يُرسل زينب إليه بالمدينة، وسار إلى مكّة، وأرسل رسول الله، ﷺ، زيد بن حارثة مولاه، ورجلاً من الأنصار ليصحبا زينب من مكّة، فلمّا قدِم أبو العاص أمرها باللحاق بالنبيّ، ﷺ، فتجهّزت سرّاً، وأركبها كنانة بن الربيع، أخو أبي العاص، بعيراً وأخذ قوسه وخرج بها نهاراً. فسمعت بها قريش فخرجوا في طلبها، فلحقوها بذي طَوىً، وكانت حاملاً فطرحت حمْلها لما رجِّعت لخوفها، ونثر كنانةَ أسهمه، ثمّ قال: والله لا يدنو منّي أحد إلّا وضعتُ فيه سهماً! فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجتَ بها علانيةً فيظنّ الناس أنّ ذلك عن ذلّ وضعف منّا، ولَعَمْري ما لنا في حبْسها حاجة، فارجعْ بالمرأة ليتحدّث الناس أنّا رددناها. ثمّ أخرجها ليلاً وسلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدِما بها على رسول الله، ﷺ، فأقامت عنده[5].

فلمّا كان قُبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بأمواله وأموال رجال من قريش، فلمّا عاد لقيته سريّة لرسول الله، ﷺ، فأخذوا ما معه وهرب منهم، فلمّا كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب، فلمّا كان الصبح خرج رسول الله، ﷺ، إلى الصلاة

---

(١) في الطبعة الأوروبية «تفاقدتم».
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٣، تاريخ الطبري ٢/٤٦٧، أنساب الأشراف ١/٣٠١، عيون الأثر ١/٢٦٨.
(٣) المصادر السابقة.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ الطبري ٢/٤٦٨.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٦، تاريخ الطبري ٢/٤٧٠.

فكبّر وكبّر الناس، فنادت زينب من صُفَّة[1] النساء: أيّها الناس إنّي قد أجرت أبا العاص. فقال النبيّ، ﷺ: والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء من ذلك، وإنّه ليُجير على المسلمين أدناهم. وقال لزينب: لا يَخْلُصْ إليك فلا يحلّ لك. وقال للسرية الذين أصابوه: إن رأيتم أن تردّوا عليه الذي له فإنّا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو فَيْءُ الله الذي أفاءه عليكم، وأنتم أحقّ به. قالوا: يا رسول الله بل نردّه عليه. فردّوا عليه ماله كلّه حتى الشِّظاظ[2]، ثمّ عاد إلى مكّة فردّ على الناس مالهم وقال لهم: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده، إلّا تخوّف أن تظنّوا [أنّي] إنّما أردتُ أكل أموالكم. ثمّ خرج فقدِم على النبيّ، ﷺ، فردّ عليه أهله بالنكاح الأوّل، وقيل بنكاح جديد[3].

وجلس عُمَير بن وهب الجُمَحيّ مع صَفْوان بن أميّة بعد بدر، وكان شيطاناً ممّن كان يؤذي النبيّ وأصحابه، وكان ابن وهْب في الأسارى، فقال صفوان: لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر. فقال عُمَير: صدقتَ ولولا دَيْن عليّ وعيال أخشى ضيعتهم لركبتُ إلى محمّد حتى أقتله. فقال صفوان: دَيْنك عليّ وعيالك مع عيالي أسوتُهم. فسار إلى المدينة فقدِمَها، فأمر النبيُّ، ﷺ، عمرَ بن الخطّاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه، وقال لرجال معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله، ﷺ، واحذروا هذا الخبيث. فلمّا رآه رسول الله، ﷺ، قال لعمر: اتركه، ثمّ قال: ادنُ يا عُمير، ما جاء بك؟ قال: جئتُ لهذا الأسير. قال: اصدُقْني. قال: ما جئت إلّا لذلك. قال: بل قعدتَ أنتَ وصفوان، وجرى بينكما كذا وكذا. فقال عُمَير: أشهد أنّك رسول الله، هذا الأمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال رسول الله، ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلّموه القرآن، وأطلِقوا له أسيره»؛ ففعلوا. فقال: يا رسول الله كنتُ شديد الأذى للمسلمين، فأحبّ أن تأذن لي فأقدم مكّة فأدعو إلى الله، وأوذي الكفّار في دينهم، كما كنتُ أوذي أصحابك. فأذِن له، فكان صفوان يقول: أبشِروا الآن بوقعة تأتيكم تُنسيكم وقعة بدر.

فلمّا قدِم عُمير أقام بها يدعو إلى الله، فأسلم معه ناس كثير، وكان يؤذي من خالفه[4].

---

(١) الصُفَّة: السقيفة.

(٢) في الطبعة الأوربية «الشطاط»، والشِظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروة الجوالق، والجمع أشظة.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٩، ٣٠٠ تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، ٤٧٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٤، تاريخ الطبري ٢/٤٧٣، ٤٧٤، أنساب الأشراف ١/٣٠٤، ٣٠٥، البدء والتاريخ ٤/١٩٣، ١٩٤، أسد الغابة ٤/١٤٨ ـ ١٥٠.

وقدم مِكْرَز بن حفص بن الأخْيَف في فداء سُهَيل بن عمرو، وكان رسول الله، ﷺ، يشاور أبا بكر، وعمر، وعليّاً، في الأسارى، فأشار أبو بكر بالفِداء، وأشار عمر بالقتل، فمال رسول الله، ﷺ، إلى القتل[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]؛ وكان الأسرى سبعين، فقُتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أُحد سبعون، وكُسرت رباعية رسول الله، وهُشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وانهزم أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[3].

وكان جميع مَنْ قُتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً، ستةٌ من المهاجرين، وثمانية من الأنصار[4].

وردّ رسول الله، ﷺ، جماعةً استصغرهم، منهم: عبد الله بن عمر، ورافع بن خَدِيج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأُسَيْد بن حُضَير[5].

وضرب رسول الله، ﷺ، لثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يحضروا الوقعة، منهم: عثمان بن عفّان، كان رسول الله، ﷺ، خلّفه على زوجته رُقيّة بنت رسول الله، ﷺ، لمرضها، وطلحة بن عُبيد الله، وسَعيد بن زيد، كان أرسلهما يتجسّسان خبر العِير، وأبو لُبابة، خلّفه على المدينة، وعاصم بن عديّ، خلّفه على العالية، والحارث بن حاطب، ردّه إلى بني عمرو بن عَوف، لشيءٍ بلغه عنهم، والحارث بن الصِّمّة، كُسِر بالرَّوْحاء، وخَوّات بن جُبَير، كُسر في بدر أسفلِ سيفه ذي الفقار، وكان لمُنبّه بن الحجّاج، وقيل كان للعاص بن منبّه، قتله عليّ صبراً، وأخذ سيفه ذا الفقار، فكان للنبيّ، ﷺ، فوهبه لعليّ[6].

(رَحْضة: بفتح الراء المهملة، والحاء المهملة، والضاد المعجمة. والحُبار: بضمّ الحاء المهملة، والباء الموحدة. وأُسَيْد بن حُضَير: بضمّ الهمزة، والضاد المعجمة. وخَديج: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدال المهملة).

---

(١) في النسخة (ب): «الفداء».
(٢) سورة الأنفال ـ الآيتان ٦٧، ٦٨.
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٥. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٤٧٥.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٧٧.
(٥) في تاريخ الطبري ٢/٤٧٧ «ظُهَيْر».
(٦) تاريخ الطبري، ٢/٤٧٨.

ذكر غزوة بني القَيْنُقَاع[1]

لما عاد رسول الله، ﷺ، من بدر أظهرت يهود لـه الحسد بمـا فتح الله عليـه وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدِم المدينـة مهاجـراً. فلمّا بلغـه حسَدُهُم جمعهم بسوق بني قَيْنُقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقـريش وأسلِموا، فـإنّكم قد عـرفتم أنّي نبيّ مرسَل. فقالوا: يـا محمّد لا يغـرنّك أنّـك لقيتَ قومـاً لا علم لهم بالحـرب فأصبتَ منهم فرصة[2].

فكانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم وكُفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سـوق بني قَيْنُقاع، فجلست عنـد صائـغ لأجل حُلىً لهـا[3]، فجاء رجـل منهم فخلّ[4] درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلمّا قامت بَدَت عورتُها، فضحكوا منها، فقـام إليه رجـل من المسلمين فقتله، ونبـذوا العهـد إلى رسـول الله، ﷺ، وتحصّـنـوا في حصونهم، فغزاهم رسول الله، ﷺ، وحاصـرهم خمس عشرة ليلة، فنـزلوا على حكمـه، فكُتِّفـوا، وهو يـريد قتلهم، وكـانوا حلفـاء الخزرج، فقـام إليه عبـد الله بن أُبَيّ بن سَلول فكلّمه فيهم، فلم يُجبْه، فأدخل يده في جيب رسول الله، ﷺ، فغضب رسـول الله وقال: «ويْحك أرسِلْني». فقال: لا أرسلك حتى تُحْسن إلى مواليّ، أربعمائة حاسر، وثمانمـائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، [تحصـدهم في غداة واحـدة]، وإنّي والله لأخشى الدوائر. فقال النبيّ، ﷺ: «هم لك، خلّوهم، لعنهم الله، ولعنه معهم»[5].

وغنم رسـولُ الله، ﷺ، والمسلمون مـا كان لهم من مـال، ولم يكن لهم أرَضون، إنّما كانوا صاغةً، وكان الذي أخرجهم عُبـادة بن الصّامت الأنصـاري، فبلغ بهم ذِبابَ[6]، ثمّ ساروا إلى أذْرِعات[7] من أرض الشام، فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى هلكو[8].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٩، تـاريخ الـطبري ٢/٤٧٩، المغـازي للواقدي ١/١٧٦، الـطبقات الكبـرى لابن سعد ٢/٢٨، أنسـاب الأشراف ١/٣٠٨، تـاريخ خليفـة ٦٦، عيون الأثـر ١/٢٩٤، عيـون التـواريـخ ١/١٤٠، البداية والنهاية ٤/٣، سيرة ابن كثير ٣/٥، تاريخ الخميس ١/٤٥٩، البدء والتاريخ ٤/١٩٥، نهايـة الأرب ١٧/٦٧ ـ ٧٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، المحبرّ ١١٢، تاريخ خليفة ٦٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٩، تاريخ الطبري ٢/٤٧٩.

(٣) في سيرة ابن هشام «ان امرأة من العرب قدِمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع».

(٤) في إحدى النسخ «فحل»، وكذا في أنساب الأشراف ١/٣٠٩.

(٥) سيـرة ابن هشام ٣/١٠، أنسـاب الأشراف ١/٣٠٩ المغـازي للواقدي ١/١٧٧، ١٧٨، الـطبقـات الكبـرى ٢/٢٩.

(٦) ذِباب ذكره الحازمي بكسر أوله، وقال: جبل بالمدينة له ذِكر في المغازي والأخبار. (معجم البلدان ٣/٣).

(٧) أَذْرِعات: بالفتح، ثم السكون، وكسر الراء، بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقـاء وعمّان. (معجم البلدان ١/١٣٠).

(٨) الخبر في أنساب الأشراف ١/٣٠٩، وتاريخ الطبري ٢/٤٨١.

وكان قد استخلف على المدينة أبا لُبابة[1]، وكان لواء رسول الله، ﷺ، مع حمزة، وقسّم الغنيمة بين أصحابه وخمّسَها، وكان أوّل خُمْس أخذه رسول الله، ﷺ، وحضر الأضحى، وخرج إلى المصلّى، فصلّى بالمسلمين، وهي أوّل صلاة عيد صلاّها، وضحّى فيه رسول الله، ﷺ، بشاتَين، وقيل بشاة، وكان أوّل أضحى رآه المسلمون، وضحّى معه ذوو اليسار[2].

وكانت الغزاة في شوّال بعد بدر، وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث، وجعلها بعضهم[3] بعد غزوة الكُدْر[4].

(ذِباب: بكسر الذال المعجمة، وبائين موحّدتين).

ذكر غزوة الكُدْر[5]

قال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة اثنتين[6].

وقال الواقديّ: كانت في المحرّم سنة ثلاث[7].

وكان قد بلغ النبيّ، ﷺ، اجتماعُ بني سُلَيم على ماء لهم يقال له الكُدْر، فسار رسول الله، ﷺ، إلى الكُدْر فلم يلقَ كيداً، وكان لواؤه مع عليّ بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، وعاد ومعه النَّعَم والرِّعاء، وكان قدومه، في قولٍ، لعشر ليالٍ مضين من شوّال. وبعد قدومه أرسل غالبَ بن عبد الله الليثيّ في سرية إلى بني سُلَيْم وغطفان، فقتلوا فيهم وغنموا النَّعم، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر وعادوا منتصف شوّال[8].

(الكُدْر: بضمّ الكاف، وسكون الدال المهملة).

---

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر. (أنساب الأشراف ١/٣٠٩) و(تاريخ الطبري).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٨١.

(٣) في النسخة (ب): «ابن إسحاق».

(٤) الطبري ٢/٤٨٢، ٤٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/٥، الطبقات الكبرى ٢/٣١، المغازي للواقدي ١/١٨٢، أنساب الأشراف ١/٣١٠ رقم ٦٧٩، عيون الأثر ١/٢٩٧، تاريخ الطبري ٢/٤٨٢، تاريخ الخميس ١/٤٥٩، عيون التواريخ ١/١٤٢، تاريخ خليفة ٥٨، البدء والتاريخ ٤/١٩٦، المحبّر ١١١، نهاية الأرب ١٧/٧١، ٧٢.

(٦) المغازي للواقدي ١/١٨٢.

(٧) تاريخ الطبري ٢/٤٨٢، ٤٨٣.

(٨) تاريخ الطبري ٢/٤٨٢.

ذكر غزوة السّويق[1]

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر، أنْ لا يمسّ رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يغزو محمّداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه، حتّى جاء المدينة ليلاً، واجتمع بسلّام بن مِشْكَم سيّد النَّضير، فعلم منه خبر الناس، ثمّ خرج في ليلته، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا العُرَيْض[2]، فحرَّقوا في نخلها، وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له، واسم الأنصاري مَعْبَد بن عمرو، وعادوا ورأى أن قد برّ في يمينه، وجاء الصريخ، فركب رسول الله، ﷺ، وأصحابه فأعجزهم.

وكان أبو سفيان وأصحابه يُلْقون جُرُب السَّوِيق[3] يتخفّفون منها [للنّجاة]، وكان ذلك عامّة زادهم، فلذلك سُمّيت غزوة السَّويق[4].

ولما رجع رسول الله، ﷺ، والمسلمون قالوا: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم. وقال أبو سفيان بمكّة، وهو يتجهّز:

كُرّوا على يَثْرِبٍ وجَمْعِهِمُ ... فإنّ ما جَمَّعوا لكُمْ[5] نَفَلُ
إن يكُ يومُ القَليبِ كانَ لهمْ ... فإنّ ما بَعْدَه لكم دُوَلُ
آلَيتُ لا أَقْرَبُ النّساءَ ولا ... يَمَسُّ رأسي وجِلْدِيَ الغُسُلُ
حتّى تُبيرُوا قَبائلَ الأوسِ والـ ... ـخزرَجِ، إنّ الفُؤادَ يَشْتَعِلُ[6]

فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يا لَهْفَ[7] أمّ المُسَبِّحينَ على ... جَيشِ ابن حرْبٍ بالحرّة الفَشِلِ
إذ يَطْرَحونَ الرِّجالَ مَنْ سَئِمَ الطَّيْـ ... ـرَ تَرَقَّى[8] لِقُنَّةِ[9] الجَبَلِ[10]

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٨١، سيرة ابن هشام ٣/٦، تاريخ الطبري ٢/٤٨٣، الطبقات الكبرى ٢/٣٠، عيون الأثر ١/٢٩٦، أنساب الأشراف ١/٣١٠ رقم ٦٧٨، المغازي لعروة ١٦١، الدرر لابن عبد البر ١٤٧، عيون التواريخ ١/١٤٢، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٤٣٣، البدء والتاريخ ٤/١٩٦، تاريخ الخميس ١/٤٦١، تاريخ خليفة ٥٩، نهاية الأرب ١٧/٧٠، ٧١، المحبّر ١١١.

(٢) تصغير عرْض أو عُرْض. وهو وادي المدينة. (معجم البلدان ٤/١١٤).

(٣) في تاريخ الطبري «الدقيق».

(٤) الطبري ٢/٤٨٥ وأنظر المغازي لعروة ١٦١، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٤٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «لكل».

(٦) في تاريخ الطبري «مشتعل».

(٧) في تاريخ الطبري «تَلْهَفُ».

(٨) في النسخة (ت): «ورمى».

(٩) في الأصل «لقتة».

(١٠) في النسخة (ب): «الحمل». وفي الطبعة الأوربية:

جاؤوا بجَمْعٍ لوْ قِيسَ مِبرَكُهُ[1] ما كانَ إلاّ كَمَفْحصِ الدُّئِلِ[2]
عارٍ منَ النّصرِ والثّراءِ[3] ومن أبطالِ أهلِ البطحاء والأسَلِ

وفي ذي الحجّة منها مات عثمان بن مَظْعون، فدُفن بالبقيع، وجعل رسول الله، ﷺ، على رأس القبر حجراً علامةً لقبره[4].

وقيل: إنّ الحسن بن عليّ وُلد فيها[5].

وقيل: إنّ عليّ بنِ أبي طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهراً، فإن كان هذا صحيحاً فالأوّل باطلٌ[6].

وفي هذه السنة كتب المعاقلة وقربه[7] بسيفه[8].

(سلاّم: بتشديد اللام. ومِشْكَم: بكسر الميم، وسكون الشين المعجَمة، وفتح الكاف. والعُرَيْض: بضمّ العين المهملة، وفتح الراء، وآخره ضاد معجَمة: وادٍ بالمدينة).

= إذ يطرحون الرجالُ من شِيَم الطير ويرقى لقيه الجبل

(١) في الطبعة الأوربية «مبركة».

(٢) في الطبعة الأوربية «الدِّوَل». والبيت في لسان العرب، مادة (دأل):
جاءوا بجيشٍ لو قيس مُعْرَسُه ما كان إلاّ كَمُعْرَس الدُّئِل

(٣) في الأصل «الثرى».

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٨٥، تاريخ خليفة ٦٥.

(٥) الطبري ٢/٤٨٥، وفي تاريخ خليفة ٦٦ وُلد في سنة ثلاث.

(٦) الطبري ٢/٤٨٥، ٤٨٦، وانظر البدء والتاريخ ٤/١٩٦ وتاريخ خليفة ٦٥.

(٧) في الأصل «وفرته»، وفي نسخة «فرّيه».

(٨) هذه العبارة محرّفة، وقد جاءت في تاريخ الطبري: «في هذه السنة كتب رسول الله، ﷺ، المَعاقِلَ، فكان معلّقاً بسيفه».
والمعاقل، جمع مَعْقُلة: الديّة. ولعلّه أراد أن كتاب الديات كان معلّقاً بسيفه.

٣
ودخلت السنة الثالثة من الهجرة

في المحرّم سنة ثلاث سمع رسولُ الله، ﷺ، أنّ جمعاً من بني ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبيان، وبني مُحارب بن حفص، تجمّعوا ليصيبوا من المسلمين، فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلًا، فلمّا صار بذي القَصّة[1] لقي رجلاً من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وأخبره أنّ المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال، فعاد ولم يلق كَيداً، وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة[2].

وفيها، في جمادى الأولى، غزا بني سُلَيْم ببَحْران، وسبب هذه الغزوة أنّ جمعاً من بني سُلَيْم تجمّعوا ببحران من ناحية الفُرُع، فبلغ ذلك النبيَّ، ﷺ، فسار إليهم في ثلاثمائة، فلمّا بلغ بَحْران وجدهم قد تفرّقوا، فانصرف ولم يلقَ كيداً، وكانت غيبته عشر ليالٍ، واستخلف على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم[3].

(القَصّة: بفتح القاف، والصاد المهملة. وبَحْران: بالباء الموحدة، والحاء المهملة الساكنة).

ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ[4]

وفي هذه السنة قُتل كعب بن الأشرف، وهو أحد بني نَبْهان من طيء، وكانت أمّه

---

(١) في الأصل «طوى». وذو القصّة: بفتح القاف وتشديد الصاد. موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً. وهو طريق الرَّبَذَة. قال نصر: وإلى هذا الموضع بعث رسول الله ﷺ محمد بن مَسْلَمة إلى بني ثعلبة بن سعد. (معجم البلدان ٤/٣٦٦).

(٢) أنظر المغازي للواقدي ١/١٩٤، عيون التواريخ ١/١٤٧، ١٤٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٨، تاريخ الطبري ٢/٤٨٧، المغازي للواقدي ١/١٩٦، تاريخ خليفة ٦٥، ٦٦، الطبقات الكبرى ٢/٣٥د ٣٦، عيون التواريخ ١/١٤٨، أنساب الأشراف ١/٣١١ رقم ٦٨١، نهاية الأرب ١٧/٧٩، المحبّر ١١٢، سيرة ابن كثير ٣/٤، ٥، عيون الأثر ١/٣٠٤، عيون التواريخ ١/١٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٨٧، البدء والتاريخ ٤/١٩٧، المغازي لعروة ١٦٢، سيرة ابن هشام ٣/١٢ ـ ١٩، =

من بني النَّضير، وكان قد كبُر عليه قتْل مَنْ قُتـل ببدر من قـريش، فسار إلى مكّـة وحرّض على رسـول الله، ﷺ، وبكى أصحابَ بـدر، وكان يشبّب بنسـاء المسلمين حتى آذاهم، فلمّا عاد إلى المـدينة قـال رسولُ الله، ﷺ: «مَنْ لي من ابن الأشـرف»؟ فقال محمّـد بن مَسْلمة الأنصاريّ: أنا لك بـه، أنا أقتله. قـال: «فافعـلْ إن قدرتَ على ذلـك». قال: يـا رسول الله لا بدّ لنا ما نقول. قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حِلّ من ذلك».

فاجتمع محمّد بن مَسْلمة، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش، وهو أبـو نائلة، والحـارث ابن أوس بن مُعاذ، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعَبّاد بن بِشْر، وأبو عَبْس بن جَبْر[1]، ثمّ قدّموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة. فتحدّث معه ثمّ قال لـه: يا ابن الأشـرف إنّي قد جئتُـك لحاجة فاكتمها عليّ. قال: أفعل. قال: كان قدوم هذا الـرجل شؤماً على العرب، قـطع عنّا السُّبُل حتى ضاعت العيال، وجهدت البهائم. فقـال كعب: قد كنتُ أخبـرتك بهـذا. قال أبو نـائلة: وأريد أن تبيعنـا طعامـاً، ونرهنـك، ونوثّق لـك، وتُحْسن في ذلك. قـال: تـرهنونني أبنـاءكم؟ قال: أردتَ أن تفضحنـا، إنّ معي أصحابي على مثـل رأيي، تبيعهم وتُحْسن، ونجعل عندك رهناً من الحلقة[2] ما فيه وفاء، وأراد أبو نائلة بذِكـر الحلقة، وهي السلاح، أن لا يُنْكر السلاح إذا جاء مع أصحابه. فقال: إنّ في الحلقة لوفاء.

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم، فأخذوا السلاح وساروا إليه، وشيّعهم النبيّ، ﷺ، إلى بَقيع الغرْقَد، ودعا لهم. فلمّا انتهوا إلى حصن كعب، هتف به أبو نـائلة، وكان كعب قريبَ عهدٍ بعُرْس، فوثب إليه، وتحدّثوا ساعـةً، وسار معهم إلى شِعب العجـوز[3]. ثمّ إنّ أبا نائلة أخذ برأس كعب، وشمّ بيده وقال: مـا رأيتُ كالليلة طيبـاً أعرف[4] قطّ. ثمّ مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأنّ كعب، ثمّ مشى ساعـة، وأخذ بفَـوْد رأسه، ثمّ قـال: اضربوا عدوّ الله! فاختلف عليه أسيافهم، فلم تُغْنِ شيئاً. قال محمّد بن مَسْلمة: فـذكرتُ مِغْولاً في سيفي فأخذتُه، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حـولنا حصن إلاّ أُوقـدت عليه نار، قال: فوضعتُهُ في ثُنْدؤته، ثمّ تحاملتُ عليه حتّى بلغتْ عانته، ووقع عدوّ الله.

= المغازي للواقدي ١/١٨٤ وما بعدها، طبقات ابن سعد ٢/٢١ ـ ٢٣، عيون الأثر ١/٢٩٨، عيون التـواريخ ١/١٤٨، سيرة ابن كثير ٣/٩ ـ ١٧، تاريخ الخميس ١/٤٦٤، أنسـاب الأشراف ١/٣٨٤، المحبّـر ١١٧، ٢٨٢، ٣٩٠، الأغـاني (طبعـة بـولاق) ١٩/١٠٦، شرح السيـر الكبيـر ١/٢٧٠ ـ ٢٧٧، تـاريـخ الإسـلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٤٥ ـ ١٤٧، شرح المواهب ٢/١٥، فتح الباري ٧/٣٣٧ ـ ٣٤٠.

(١) في الأصل «جزا»، وفي النسخة (ب): «جبير».

(٢) الحلقة: السلاح.

(٣) شِعب العجوز: بظاهر المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٤٧).

(٤) في النسخة (ب): «عطر».

وقد أُصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ، أصابه بعض أسيافنا، قال: فخرجنا على بُعاث، وقد أبطأ علينا صاحبنا، فوقفنا له ساعة، وقد نزفه الدم، ثمّ أتانا، فاحتملناه وجئنا به النبيّ، ﷺ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، وتفَل على جُرح صاحبنا، وعُدْنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود، ليس بها يهوديّ إلّا وهو يخاف على نفسه.

قال: وقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه». فوثب مُحَيِّصة ابن مسعود على ابن سُنَيْنة اليهوديّ، وهو من تجّار يهود، فقتله، وكان يبايعهم، فقال له أخوه حُوَيِّصة، وهو مشرك: يا عدوّ الله قتلتَه! أمَا والله لربّ شحمٍ في بطنك من ماله! وضربه، فقال مُحَيِّصة: لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لقتلتُكَ. قال: فَوَالله إنْ كان لأوّل إسلام حوّيصة. فقال: إنّ دِيناً بلغ بك ما أرى لَعَجَب. ثمّ أسلم[1].

(عَبْس بن جَبْر: بفتح العين المهملة، وسكون الباء الموحّدة. وجبر: بالجيم، والباء الموحّدة. وسُنينة: تصغير سنّ).

وفي ربيع الأوّل منها تزوّج عثمان بن عفّان أمّ كلثوم بنتَ النبيّ، ﷺ. وبنى بها في جُمادى الآخرة[2].

وفيها وُلد السائب بن يزيد[3] ابن أخت نُمير[4].

وقال الواقديّ: وفيها غزا رسول الله، ﷺ، غزوة أنمار يقال لها ذو أمْر[5]، وقد ذكرنا قول ابن إسحاق قبل ذلك[6].

وفيها كان غزوة الفَرْدة[7]، وكان أميرها زيد بن حارثة، وهي أوّل سرية خرج فيها زيد أميراً.

وكان من حديثها أنّ قريشاً خافت من طريقها التي كانت تسلك إلى الشام بعد بدر،

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٥ - ١٧، تاريخ الطبري ٢/٤٨٧ - ٤٩١، عيون التواريخ ١/١٤٠ - ١٥٠، عيون الأثر ١/٢٩٨ - ٣٠١.

(٢) تاريخ خليفة ٦٦، تاريخ الطبري ٢/٤٩١، ٤٩٢، عيون التواريخ ١/١٥٠.

(٣) في طبعة صادر ٢/١٤٥ «زيد» وهو تحريف، والتصويب من تاريخ خليفة ٢٨٠، وتاريخ الطبري.

(٤) في إحدى النسخ «نمر». والخبر في تاريخ الطبري ٢/٤٩٢.

(٥) في طبعة صادر ٢/١٤٥ «دوام» وهو تحريف واضح.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٩٢، عيون التواريخ ١/١.

(٧) قيل: فَرْدة، بالفتح ثم السكون، وقيل: قَرْدة، بالقاف. وقيل: القَرِدَة، بفتح القاف وكسر الراء، وقيل: القِرْدَة بكسر القاف وسُكون الراء. (انظر معجم البلدان ٤/٢٤٨ و ٢٤٩ وأنظر قول المؤلّف في آخر الخبر أعلاه).

فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم جماعةٌ، فيهم صفوان بن أميّة، وأبو سفيان. وكان عظيم تجارتهم الفضّة، وكان دليلهم فُرات بن حيّان، من بكر بن وائل، فبعث رسول الله، ﷺ، زيداً، فلقيهم على ماء يقال له القَرْدة، فأصاب العِيرَ وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدِم بها على رسول الله، ﷺ، وكان الخُمس عشرين ألفاً، وقسَّم الأربعة الأخماس على السويّة، وأُتي بفُرات بن حيّان أسيراً فأسلم، فأطلقه رسول الله، ﷺ[1].

(القَرْدة: ماء بنجد، وقد اختلف العلماء في ضبطه، فقيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة، وبه مات زيد الخيل، ويرد ذكره، وضبطه ابنُ الفرات في غير موضع قردة بالقاف، وقال ابن إسحاق: وسيّر زيد بن حارثة إلى الفردة، ماء من مياه نجد، ضبطه ابن الفرات أيضاً بفتح الفاء والراء، فإن كانا مكانَين وإلاّ فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ).

ذكر قتل أبي رافع[2]

في هذه السنة في جمادى الآخرة، قُتل أبو رافع سلاّم بن أبي الحُقَيْق اليهوديُّ، وكان يظاهر كعبَ بنَ الأشرف على رسول الله، ﷺ، فلمّا قتل كعب بن الأشرف، وكان قَتَلته من الأوس، قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله، ﷺ، وكانا يتصاولان[3] تصاول الفَحْلين، فتذاكر الخزرج مَنْ يعادي رسولَ الله، ﷺ، كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحُقَيْق، وهو بخَيْبر، فاستأذنوا رسول الله، ﷺ، في قتله، فأذِن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عَتيك، ومسعود بن سِنان، وعبد الله بن أُنَيْس، وأبو قَتادة، وخُزاعيّ بن الأسود حليف لهم، وأمّر عليهم عبد الله بن عَتيك، فخرجوا حتى قدِموا خَيبر، فأتوا دارَ أبي رافع ليلاً، فلم يدَعوا باباً في الدار إلاّ أغلقوه على أهله، وكان في عُلِّية، فاستأذنوا عليه، فخرجت امرأته فقالت: مَنْ أنتم؟ قالوا: نفر من العرب يلتمسون الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فدخلوا. فلمّا دخلوا أغلقوا باب العليّة ووجدوه على فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها،

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٩٧، ١٩٨، سيرة ابن هشام ٣/١١، تاريخ الطبري ٢/٤٩٢، ٤٩٣، الطبقات الكبرى ٢/٣٦، البدء والتاريخ ٤/١٩٨، عيون الأثر ١/٣٠٤ و٣٠٥، عيون التواريخ ١/١٥١، نهاية الأرب ١٧/٨٠، سيرة ابن كثير ٣/٨، ٩، تاريخ الإسلام ١٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٩١، سيرة ابن هشام ٣/٢١٨/٢٢٠، تاريخ الطبري ٢/٤٩٣ ـ ٤٩٩، عيون التواريخ ١/١٥١ ـ ١٥٣، أنساب الأشراف ١/٣٧٦ رقم ٧٧٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٤١.

(٣) يتصاولان: يتفاخران.

فيذكر[1] نَهْيَ النبيِّ، ﷺ، إيّاهم عن قتل النساء والصبيان، فيمسك[2] عنها، وضربوه بأسيافهم، وتحامل عليه عبد الله بن أُنَيْس بسيفه في بطنه حتّى أنفذه، ثمّ خرجوا من عنده.

وكان عبد الله بن عَتيك سيّء البصر، فوقع من الدَّرَجَة فوُثِئَتْ رِجله وثأً شديداً، فاحتملوه واختفوا، وطلبتهم يهود في كلّ وجه، فلم يروهم، فرجعوا إلى صاحبهم، فقال المسلمون: كيف نعلم أنّ عدوّ الله قد مات؟ فعاد بعضهم ودخل في الناس، فرأى الناس حوله وهو يقول: لقد عرفت صوت ابن عَتيك، ثمّ قلت: أين ابن عتيك؟ ثمّ صاحت امرأته وقالت: مات والله. قال: فما سمعتُ كلمة ألذّ إلى نفسي منها. ثمّ عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبرَ، وسمع صوتَ النّاعي يقول: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. وساروا حتى قدِموا على النبيّ، ﷺ، واختلفوا في قتله. فقال رسول الله، ﷺ: هاتوا أسيافكم، فجاؤوا بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أُنَيْس: هذا قتله، أرى فيه أثر العظام[3].

وقيل في قتله: إنّ رسول الله، ﷺ، بعث إلى أبي رافع اليهوديّ، وكان بأرض الحجاز، رجالاً من الأنصار، وأمّر عليهم عبد الله بن عَتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسولَ الله، ﷺ، فلمّا دَنوا منه غربت الشمس، وراح الناس بسُرُجهم، فقال عبد الله بن عتيك لأصحابه: أقيم مكانكم، فإني انطلق وأتلطّف للبواب، لعليّ أدخل. فانطلق فأقبل حتّى دنا من الباب، فتقنّع بثوبه كأنّه يقضي حاجَتَه، فهتف به البوّاب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخل وأغلق الباب، وعلق المفاتيح على وتد، قال: فقمت فأخذتها ففتحت بها الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده في علاليّ له. فلما أراد النوم ذهب عنه السمّار فصعدت إليه، فجعلت كلّما فتحت باباً أغلقته عليّ من داخل، وقلت: إن علموا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله. قال: فانتهيتُ إليه، فإذا هو في بيت مظلم، وسط عياله، لا أدري أي هو. فقلت: أبا رافع! قال: مَنْ هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فضربته ضربة بالسيف وأنا دَهِشٌ، فما أغني عني شيئاً وصاح فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلتُ عليه فقلت: ما هذا الصوت؟ قال: لأمّك الويل! إنّ رجلاً في البيت ضربني بالسيف. قال: فضربته فأثخنته، فلم أقتله، ثمّ وضعت حدّ السيف في بطنه حتّى أخرجته من ظهره، فعرفتُ أنّي قتلته، فجعلتُ أفتح الأبواب وأخرج، حتّى

---

(1) في الطبعة الأوربية «فذكر».
(2) في الطبعة الأوربية «فمسكوا».
(3) في الطبعة الأوربية «الطعام» وكذلك في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٠، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/ ٤٩٧.

انتهيتُ إلى درجة، فوضعتُ رِجلي وأنا أظنّ أنّي انتهيتُ إلى الأرض، فوقعتُ في ليلة مقمرة، وانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، وجلستُ عند الباب فقلتُ: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلتُهُ أم لا. فلمّا صاح الدِّيك قام النّاعي فقال: أنعى أبا رافعٍ تاجرَ أهل الحجاز، فانطلقتُ إلى أصحابي فقلتُ: النجاء! قد قتل الله أبا رافعٍ، فانتهيتُ إلى النبيّ، ﷺ، فحدّثته. فقال: ابسطْ رِجلَك. فبسطتُها، فمسحها، فكأنّي لم أشتكها قطّ[1].

قيل: كان قتْل أبي رافع في ذي الحجّة سنة أربع من الهجرة، والله أعلم.

(سلاّم: بتشديد اللام. وحُقَيْق: بضمّ الحاء المهملة، وفتح القاف الأولى، تصغير حُقّ).

وفيها تزوّج رسول الله، ﷺ، حَفْصة بنت عمر بن الخطّاب في شعبان[2]، وكانت قبله تحت خُنَيْس (بضمّ الخاء المعجمة، وبالنون المفتوحة، وبالياء المعجمة باثنتين من تحت، وبالسين المهملة) وهو ابن حُذافة السّهميّ، فتوفّي فيها.

ذكر غزوة أُحُد[3]

وفيها في شوّال لسبع ليالٍ خلون منه كانت وقعة أُحُد، وقيل للنصف منه، وكان الذي هاجها وقعة بدر، فإنّه لما أُصيب من المشركين مَنْ أُصيب ببدر، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعِكْرمة بن أبي جهل، وصَفْوان بن أميّة، وغيرهم ممّنْ أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة، وسألوهم أن يُعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله، ﷺ، ليدركوا ثأرهم منهم، ففعلوا.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٤٩٣ ـ ٤٩٥.

(٢) تاريخ خليفة ٦٦، تاريخ الطبري ٢/٤٩٩، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ١/٣٣٨، عيون التواريخ ١/١٥٣.

(٣) تاريخ خليفة ٦٧ ـ ٧٣، المغازي لعروة ١٦٨، سيرة ابن هشام ٣/٢٣ ـ ٦٤، المغازي للواقدي ١/١٩٩ ـ ٣٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٥٣ وما بعدها، تاريخ الطبري ٢/٤٩٩ ـ ٥٣٣، عيون الأثر ٢/٢، جوامع السيرة لابن حزم ١٥٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٧/٤٠ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٢/٣٦ ـ ٤٨، أنساب الأشراف ١/٣١١ ـ ٣٣٥، عيون التواريخ ١/١٥٣ ـ ١٦٧، البدء والتاريخ ٤/١٩٨، نهاية الأرب ١٧/٨١ ـ ١٢٦، سيرة ابن كثير ٣/١٨ ـ ١١٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٧، ٢٥٨، السير والمغازي ٣٢٢ ـ ٣٣٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٤٧، ٤٨، البداية والنهاية ٤/٩ ـ ٦١، المعارف ١٥٨ ـ ١٦١، تاريخ الخميس ١/٤٧١ ـ ٥٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٦٥ ـ ١٩٩، المغازي للزهري ٧٦ ـ ٧٨.

وتجهّز الناس، وأرسلوا أربعة نفر، وهم: عمرو بن العاص، وهُبَيرة بن أبي وهب، وابن الزِّبَعْرَى، وأبو عزّة الجُمَحيّ، فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعاً من ثقيف وكِنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحابيشها، ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وتِهامة، ودعا جُبَير بن مُطْعم غلامه وَحْشِيّ بن حرب، وكان حبشياً يقذف بالحَرْبة قلّ ما يُخْطىء، فقال له: اخرجْ مع الناس، فإنْ قتلتَ عمّ محمّد بعمّي طُعَيْمة بن عديّ فأنت عتيق.

وخرجوا معهم بالظُّعُن لئلّا يفرّوا، وكان أبو سفيان قائد الناس، فخرج بزوجته هند بنت عُتْبة، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم. خرج عِكرمة بن أبي جهل بزوجته أمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن المُغيرة بفاطمة بن الوليد بن المُغيرة أخت خالد.

وخرج صفوان بن أميّة ببريرة[1]، وقيل بَرْزة بنت مسعود الثقفيّة أخت عُرْوة بن مسعود، وهي أمّ ابنه عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بريْطة بنت منبّه بن الحجّاج، وهي أمّ ولده عُبَيد[2] الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسُلافة بنت سعد، وهي أمّ بنيه مُسافع، والجُلاس، وكِلاب، وغيرهم[3].

وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرّضن[4] بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري، وكان خرج إلى مكّة مباعداً لرسول الله، ﷺ، ومعه خمسون غلاماً من الأوْس، وقيل كانوا خمسة عشر، وكان يَعِد قريشاً أنّه لو لقي محمّداً لم يتخلّف عنه من الأوس رجلان. فلمّا التقى الناس بأُحُد كان أبو عامر أوّل من لقي في الأحابيش وعبدان أهل مكّة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثمّ قاتلهم قتالاً شديداً حتّى راضخهم بالحجارة. وكانت هند كلّما مرّت بوحشيّ أو مرّ بها قالت له[5]: يا أبا دُسْمة اشفِ واستَشْفِ[6]، وكان يكنّى أبا دُسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين بجبل ببطن السَّبْخة، من قناة على شفير الوادي، ممّا يلي المدينة.

فلمّا سمع بهم رسول الله، ﷺ، والمسلمون قال: إنّي رأيتُ بقراً فأوّلتُها خيراً،

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٥٠١ «بيْرَزَة» قال أبو جعفر: وقيل بيَرَّة.

(٢) في تاريخ الطبري «عبد».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٠٠، ٥٠١، والأغاني ١٥/١٨١.

(٤) في النسخة (ب): «وينحن عليهم فعرض».

(٥) لعل كلمة «له» محرّفة عن «إيه» في تاريخ الطبري، و«ويها» في سيرة ابن هشام.

(٦) في تاريخ الطبري ٢/٥٠٢، الأغاني ١٥/١٨٢.

ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْماً، ورأيتُ أنّي أدخلتُ يدي في درع حصينة، فأوّلتُها المدينة، فإنْ رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدَعوهم، فإن أقاموا أقاموا بشرّ [مُقام]، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

وكان رأيُ عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول مع رأي رسول الله، ﷺ، يكره الخروج، وأشار بالخروج، وأشار بالخروج جماعةٌ ممّن استشهد يومئذٍ(١).

وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجُمْعة، وخرج رسول الله، ﷺ، حين صلّى الجُمْعة، فالتقوا يوم السبت نصف شوّال. فلمّا لبس رسول الله، ﷺ، سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا: استكرهْنا رسولَ الله، ﷺ، ونشير عليه، فالوحي يأتيه فيه، فاعتذروا إليه وقالوا: اصنعْ ما شئتَ. فقال: «لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمَتَه فيضعها حتى يقاتل»(٢).

فخرج في ألف رجل، واستخلف على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فلمّا كان بين المدينة وأُحُد، عاد عبدُ الله بن أُبَيّ بثُلْث الناس، فقال: أطاعهم وعصاني، وكان من تبعه أهلُ النّفاق والرِّيب، واتبعهم عبدُ الله بن حرام أخو بني سَلِمة، يذكّرهم الله أن لا يخذلوا نبيّهم، فقالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم، وانصرفوا. فقال: أبعدكم الله أعداء الله! فسيغني الله عنكم(٣).

وبقي رسول الله، ﷺ، في سبعمائة، فسار في حرّة بني حارثة وبين أموالهم، فمرّ بمال رجل من المنافقين، يقال له مِرْبع بن قَيْظيّ(٤)، وكان ضرير البصر، فلمّا سمع حسّ رسول الله، ﷺ، ومَنْ معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إن كنتَ رسول الله، فإنّي لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنةً من تراب في يده وقال: لو أعلم أنّي لا أصيب غيرك لضربتُ به وجهك. فابتدروه ليقتلوه، فقال النبيّ، ﷺ: لا تفعلوا، فهذا الأعمى أعمى البصر والقلب. فضربه سعد بن زيد بقوس فشجّه(٥).

وذبّ فرس بذنبه فأصاب كُلّاب سيف صاحبه، فاستلّه، فقال له رسول الله، ﷺ:

---

(١) السيرة ٣/٢٦، ٢٧، الطبري ٢/٥٠٢، الأغاني ١٥/١٨٢.
(٢) السير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٤، سيرة ابن هشام ٣/٢٧، تاريخ الطبري ٢/٥٠٣، الطبقات الكبرى ٢/٣٨، المغازي لعروة ١٦٨، ١٦٩.
(٣) الطبري ٢/٥٠٤، سيرة ابن هشام ٣/٢٧، الأغاني ١٥/١٨٣.
(٤) في الأصل «قبطي» وفي النسخة (ب): «قنطي».
(٥) سيرة ابن هشام ٣/٢٨، الأغاني ١٥/١٨٥.

«سيوفكم[1]، فإنّي أرى السيوف ستُسَلّ[2] اليوم».

وسار رسول الله، ﷺ، حتى نزل بعدوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد[3].

وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع، والخيل مائَتَيْ فرس، والظُّعُن خمس عشرة امرأة، وكان المسلمون مائة دارع، ولم يكن من الخيل غير فرسَين، فرس لرسول الله، ﷺ، وفرس لأبي بُرْدة بن نِيار. وعرض رسول الله، ﷺ، المقاتلة، فردّ زيدَ ابن ثابت، وابن عمر، وأُسَيْد بن حُضير، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس، وأبا سعيد الخُدْريّ، وغيرهم، وأجاز جابرَ بن سَمُرَة، ورافع بن خَديج[4].

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول: خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا، فننصرف عنكم، فلا حاجة بنا إلى قتالكم. فردّوا عليه بما يكره.

وتعبّأ المشركون، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عِكْرِمة بن أبي جهل، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان: إنّما يؤتَى الناس من قِبَل راياتهم، فإمّا أن تكفونا، وإمّا أن تخلّوا بيننا وبين اللواء، يحرّضهم بذلك. فقالوا: ستعلم إذا التقينا كيف نصنع، وذلك أراد.

واستقبل رسول الله، ﷺ، المدينة وترك أُحُداً خلف ظهره، وجعل وراءه الرّماةَ، وهم خمسون رجلاً، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبَير، أخا خَوّات بن جُبَير، وقال له: انضَحْ عنّا الخيل بالنَّبل لا يأتونا من خلفنا، واثبتْ مكانك إن كانت لنا أو علينا. وظاهَرَ رسول الله، ﷺ، بين درعَين[5]، وأعطى اللواء مُصْعب بن عُمَير، وأمّر الزّبير على الخيل ومعه المِقْداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه.

وأقبل خالد وعِكْرِمة، فلقِيهما الزّبير والمقداد فهزما المشركين، وحمل النبيّ، ﷺ، وأصحابه فهزموا أبا سفيان، وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمّد إنّكم تزعمون أنّ الله يُعْجلنا بسيوفكم إلى النار، ويُعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحد منكم يُعْجله سيفي إلى الجنّة، أو يُعجلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط وانكشفت عورته، فناشده الله [والرَّحِمَ] فتركه، فكبّر رسول الله، ﷺ، وقال لعليّ: ما منعك أن تُجهِز عليه؟ قال: إنّه

---

(١) في السيرة ٣/٢٨ «شِم سيفك»، وكذلك في تاريخ الطبري ٢/٥٠٦.

(٢) في النسختين (ب) و (ت): «فاسبله».

(٣) السيرة ٣/٢٨، تاريخ الطبري ٢/٥٠٧، السير والمغازي ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٠٥.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٠٧، الأغاني ١٥/١٨٦.

ناشدني الله والرَّحِمَ، فاستحييتُ منه[1].

وكان بيد رسول الله، ﷺ، سيف، فقال: من يأخذه بحقّه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتّى قام أبو دُجانة فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: تضرب به العدوّ حتى تُثخن. قال: أنا آخذه. فأعطاه إيّاه. وكان شجاعاً، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء علم الناس أنّه يقاتل، فعصّب رأسه بها وأخذ السيف، وجعل يتبختر بين الصفّين. فقال رسول الله، ﷺ: «إنّها مِشْية يُبْغضها الله إلاّ في هذا الموطن»[2]، فجعل لا يرتفع له شيء إلاّ حطّمه حتى انتهى إلى نِسوةٍ[3] في سفح الجبل [معهنّ دفوفٌ لهنّ][4] فيهنّ امرأة تقول:

نَحْنُ بناتُ طارِقْ　　نَمشي على النّمارِقْ[5]
إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ　　ونفرُشُ النّمارِقْ
أوْ تُدبِروا نُفارِقْ　　فِراقَ غَيرِ وامِقْ[6]

وتقول أيضاً:

إيها[7] نبي عبد الدّارْ　　إيها[7] حُماةَ الدّيارْ
ضرباً بكلّ بتّارْ

فرفع السيف ليضربها، ثمّ أكرم سيف رسول الله، ﷺ، أن يضرب به امرأة. وكانت المرأة هِنْد، والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرِّضن.

واقتتل الناس قتالاً شديداً، وأمعن في الناس حمزةُ وعليّ، وأبو دُجانة في رجالٍ من المسلمين، وأنزل الله نصره على المسلمين، وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النساء مصعِّدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون. فلمّا نظر بعضُ الرماة

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٠٩، ٥١٠، الأغاني ١٥/١٨٨.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٣٠، الأغاني ١٥/١٨٩، المغازي للواقدي ١/٢٥٩.
(٣) في النسخة (ب): «ستورة».
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري.
(٥) في النسخة (ب): «الفارق».
(٦) أنظر تاريخ الطبري ٢/٥١٠ باختلاف. والطبقات الكبرى ٢/٤٠، وأنساب الأشراف ١/٣١٧، والسير والمغازي ٣٢٧، والمغازي للواقدي ١/٢٢٥، والأغاني ١٥/١٩١، وسيرة ابن هشام ٣/٣١، وثمار القلوب للثعالبي ٩٧، والاستيعاب ٤/٤٢٥، والبدء والتاريخ ٤/٢٠١، ونهاية الأرب ١٧/٩٠، تاريخ الإسلام ١٧٢، البداية والنهاية ٤/١٦، سيرة ابن كثير ٣/٣١، أسد الغابة ٥/٥٦٢، عيون الأثر ٢/٢٥، عيون التواريخ ١/١٥٨، الروض الأنف ٣/١٦١.
(٧) في سيرة ابن هشام ٣/٣١ «ويها»، وفي المغازي للواقدي ١/٢٢٧ «ضرْباً».

إلى العسكر حين انكشف الكفّار عنه أقبلوا يريدون النّهب، وثبتت طائفة وقالوا[1]: نطيع رسول الله ونثبت مكاننا، فأنزل الله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[2]؛ يعني اتّباع أمر رسول الله، ﷺ.

قال ابن مسعود: وما علمتُ أن أحداً من أصحاب رسول الله، ﷺ، يريد الدنيا حتى نزلت الآية[3].

فلمّا فارق بعض الرماة مكانهم، رأى خالد بن الوليد قِلّة مَنْ بقي من الرُّماة، فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على أصحاب النبيّ، ﷺ، من خلفهم. فلمّا رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا، فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقي مطروحاً لا يدنو منه أحدٌ، فأخذته عَمْرة بنت علقمة الحارثيّة فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، وأخذه صُؤاب فقُتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء عليّ، قاله أبو رافع، قال: فلمّا قتلهم أبصر النبيُّ، ﷺ، جماعة من المشركين، فقال لعليّ: «احملْ عليهم»، ففرّقهم وقتل فيهم، ثمّ أبصر جماعةً أخرى فقال له: « [احملْ عليهم]»، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المؤاساة! فقال رسول الله، ﷺ: «إنّه مني وأنا منه». فقال جبرائيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتىً إلاّ عليّ[4].

وكُسرت رباعيَة رسول الله، ﷺ، السفلى، وشُقّت شفته، وكُلِم في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قَمِئَة بالسيف، وكان هو الذي أصابه، وقيل: أصابه عُتْبة بن أبي وقّاص[5].

وقيل: عبد الله بن شِهاب الزُّهْريّ جدّ محمّد بن مسلم.

وقيل: إنّ عتبة بن أبي وقّاص، وابن قَمئة الليثيّ الأدرميّ، من بني تيم[6] بن غالب، وكان أدرَم ناقص الذقن، وأُبَيّ بن خَلَف الجمحيّ، وعبد الله بن حُمَيد[7] الأسديّ، أسد قريش، تعاقدوا على قتل رسول الله[8]، ﷺ؛ فأمّا ابن شِهاب فأصاب

---

(١) في الطبعة الأوربية «وثبت طائفة وقال».

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥١٤، الأغاني ١٥/١٩٢.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥١٤، ٥١٥، الأغاني ١٥/٩٢.

(٦) في الطبعة الأوربية «تميم».

(٧) في الأصل «جميل».

(٨) المغازي للواقدي ١/٢٤٣، ٢٤٤.

جبهته، وأمّا عُتْبة فرماه بأربعة أحجار، فكسر رَباعيَّته اليمنى، وشقّ شفته، وأمّا ابن قَمئة[1] فكلم وجنته، ودخل من حِلَق المغفر فيها، وعلاه بالسيف، فلم يطقْ أن يقطعه فسقط رسول الله، ﷺ، فجُحشت ركبته، وأمّا أُبَيّ بن خلف فشدّ عليه بحربة، فأخذها رسول الله، ﷺ، منه وقتله بها، وقيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل: أخذها من الحارث بن الصِّمّة، وأمّا عبد الله بن حميد، فقتله أبو دُجانة الأنصاريّ.

ولما جُرح رسول الله، ﷺ، جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يُفْلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله»![2] وقاتل دونه نفرٌ خمسة من الأنصار فقُتلوا، وترّس أبو دُجانة رسولَ الله، ﷺ، بنفسه، فكان يقع النبل في ظهره وهو مُنحنٍ[3] عليه، ورمى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله، ﷺ، فكان رسول الله، ﷺ، يناولُه السهم ويقول: «ارمِ فداك أبي وأمّي»[4].

وأُصيب يومئذ عين قَتادة بن النعمان، فردّها رسول الله، ﷺ، بيده، فكانت أحسن عينَيْه[5].

وقاتل مُصْعب بن عمير، ومعه لواء المسلمين فقُتل، قتله ابن قمئة الليثيّ، وهو يظنّ أنّه النبيّ، فرجع إلى قريش وقال: قتلتُ محمّداً. فجعل الناس يقولون: قُتل محمّد، قُتل محمّد[6].

ولما قُتل مُصْعَب أعطى رسول الله، ﷺ، اللواءَ عليَّ بن أبي طالب. وقاتل حمزة حتّى مرّ به سِباع بن عبد العُزّى الغُبْشانيّ، فقال له حمزة: هَلُمَّ إليّ يا ابن مقطِّعة البظور! وكانت أمّه أمّ أنمار ختّانة بمكّة، فلمّا التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشيّ: إنّي والله لأنظر إلى حمزة وهو يهذُّ[7] الناسَ بسيفه [هذّاً]، ما يلقى شيئاً يمرّ به إلّا قتله، وقتل سِباعَ بن عبد العُزّى. قال: فهززت حربتي، ودفعتُها عليه، فوقعت في ثُنّته حتّى خرجت من بين رِجليه، وأقبل نحوي فغُلب فوقع، فأمهلتُه حتى مات

---

(١) في مغازي الواقدي «قميئة»؛ وكذلك في السير والمغازي.

(٢) المغازي للواقدي ١/٢٤٥، تاريخ الطبري ٢/٥١٥.

(٣) في النسخة (ب): «مدجن».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٤ باب إذ همّت طائفتان منكم. والطبري في تاريخه ٢/٥١٥، ٥١٦، وابن إسحاق في السير والمغازي ٣٢٨، والأصفهاني في الأغاني ١٥/١٩٣، وابن هشام ٣/٤٥ والمقدسي في البدء والتاريخ ٤/٢٠٢، ٢٠٣.

(٥) السير والمغازي ٣٢٨، تاريخ الطبري ٢/٥١٦، الأغاني ١٥/١٩٣، ١٩٤.

(٦) السير والمغازي ٣٢٩، تاريخ الطبري ٢/٥١٦، الأغاني ١٥/١٩٤.

(٧) يهذّ: يقطع.

فأخذتُ حربتي، ثمّ تنحّيتُ إلى العسكر[1]، فرضي الله عن حمزة وأرضاه.

وقتل عاصمُ بن ثابت مُسافعَ بن طلحة، وأخاه كِلاب بن طلحة بسهمَين، فحُملا إلى أمّهما سُلافة[2]، وأخبراها أنّ عاصماً قتلهما، فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر[3].

وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان مع المشركين، وطلب المبارزة، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه، فقال رسول الله، ﷺ: «شِمْ سيفك وأمتعنا بك»[4].

وانتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر وطلحة، في رجال من المهاجرين قد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يحبسكم؟ قالوا: قد قُتل النبيّ، ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده! موتوا على ما مات عليه. ثمّ استقبل القومَ فقاتل حتى قُتل، فوُجد به سبعون ضربة وطعنة، وما عرفه إلّا أخته، عرفته بحسن بنانه[5].

وقيل: إنّ أنس بن النَّضْر سمع نفراً من المسلمين يقولون، لما سمعوا أنّ النبيّ، ﷺ، قُتل: ليت لنا مَن يأتي عبدَ الله بن أُبَيّ بن سَلول، ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إنْ كان محمّد قد قُتل، فإنّ ربّ محمّد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد. اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتى قُتل[6].

وكان أوّل مَنْ عرف رسولَ الله، ﷺ، كعب بن مالك، قال: فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشِروا! هذا رسول الله حيّ لم يُقْتَلْ، فأشار إليه: أنصِتْ. فلمّا عرفه المسلمون نهضوا نحو الشِّعب، ومعه عليٌّ، وأبو بكر، وعمر، وطلحة، والزُّبَير، والحارث ابن الصِّمة، وغيرهم. فلمّا أسند إلى الشِّعْب أدركه أُبَيّ بن خَلَف، وهو يقول: يا محمّد لا نجوتُ إن نجوتَ! فعطف عليه رسول الله، ﷺ، فطعنه بالحربة في عُنقه، وكان أُبَيّ يقول بمكّة لرسول الله، ﷺ: إنّ عندي العَود أعلفه كلّ يوم فَرْقاً[7] من ذُرَة أقتلك عليه. فيقول له النبيّ، ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى». فلمّا رجع إلى قريش وقد خدشه

---

(١) السير والمغازي ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٤، تاريخ الطبري ٢/٥١٦، ٥١٧، سيرة ابن هشام ٣/٣٣.
(٢) في الطبعة الأوربية «سلامة».
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥١٧، السير والمغازي ٣٢٩، سيرة ابن هشام ٣/٣٧ وفيها «الجُلاس» بدل «كِلاب».
(٤) المغازي للواقدي ١/١٥٧.
(٥) سيرة ابن هشام ٣/٤٦، السير والمغازي ٣٣٠، الأغاني ١٥/١٩٥.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٥١٧، الأغاني ١٥/١٩٥، السير والمغازي ٣٣٠، سيرة ابن هشام ٣/٤٦.
(٧) الفَرْق: مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع. وفي النسخة (ب): «مدا».

رسول الله، ﷺ، خدْشاً غير كبير قال: قتلني محمّد. قالوا: والله ما بك بأسٌ. قال: إنّه قد كان قال لي أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني! فمات عدوّ الله بسَرِف[1].

وقاتل رسول الله، ﷺ، يوم أُحُد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرت سِيَة قوسه، وانقطع وتره. ولما جُرح رسول الله، ﷺ، جعل عليّ ينقل له الماء في دَرَقته من المِهْراس[2] ويغسله، فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً، وجعلت على الجرح من رماده، فانقطع الدم.

ورمى مالك بن زهير الحَشْميّ النبيَّ، ﷺ، فاتّقاه طلحةُ بيده، فأصاب السهم خنصره، وقيل: رماه حِبّان بن العَرِقَة، فقال: حس[3]، فقال رسول الله، ﷺ: لو قال: «باسم الله، لدخل الجنّة»، والناس ينظرون إليه؛ وقيل: إنّ يده شُلّت إلّا السبّابة والوسطى؛ والأوّل أثبت.

وصعِد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله، ﷺ: ليس لهم أن يعلونا، فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين، حتّى أهبطوهم، ونهض رسول الله، ﷺ، إلى الصخرة ليعلوها، وكان عليه درعان، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة حتى صعِد، فقال رسول الله، ﷺ: «أوْجَبَ طلحة»[4].

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عفّان وغيره، إلى الأعْوَص، فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ أتوا النبيَّ، ﷺ، فقال لهم حين رآهم: «لقد ذهبتم فيها عريضة».

والتقى حنظلة بن أبي عامر، غسيلُ الملائكة، وأبو سفيان بن حرب، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود وهو ابن شَعُوب، فدعاه أبو سفيان، فأتاه، فضرب حنظلةَ فقتله، فقال رسول الله، ﷺ: إنّه لتغسله الملائكة. فَسَلوا أهله فسُئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جُنُب، سمع الهائعة، فقال رسول الله، ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة»[5].

وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شَعُوب إيّاه على قتل حنظلة:

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٤٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤ (طبعة الهند)، المغازي لعروة ١٧١، الطبقات الكبرى ٢/٤٦، أنساب الأشراف ١/٣١٩، السير والمغازي ٣٣١، الأغاني ١٥/١٩٦، تاريخ الطبري ٢/٥١٨، ٥١٩.

(٢) المِهْراس: ماء بجبل أُحُد.

(٣) في الطبعة الأوربية حسن. (وحس: كلمة كانوا يقولونها عند مسّ الألم).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٢ باب غزوة أحد، ومسلم في كتاب الإمارة ٦/٤٥ باب ثبوت الجنة للشهيد، وابن هشام في السيرة ٣/٤٩، والطبري ٢/٥٢٢.

(٥) السير والمغازي ٣٣٢، ٣٣٣، الطبري ٢/٥٢٢، سيرة ابن هشام ٣٨.

ولـوْ شِئتُ نجّتْني كُميتٌ طِمِـرَّةٌ[1] | وَلَم أحمـلِ النُّعْمـاء لابنِ شَعُـوبِ
فمـا زال مُهري مَـزْجَرَ الكلبِ منهُمُ | لَـدُنْ[2] غُـدوَةٍ حتى دنتْ لغـروبِ
أُقـاتِـلُهُـمْ وأدّعـي يـالَ غـالـبٍ | وأدفعُهـم عنّـي بـركـن صَليبِ
فبَكي ولا تَـرْعَيْ مقـالَـةَ عـاذِلٍ | ولا تَـسـأمي مِنْ عَبْـرةٍ ونَحيبِ
أبـاكِ وإخوانـاً لَنـا[3] قـد تَتـابَعُـوا[4] | وحُـقّ لهـمْ مِـن عَبْـرةٍ بـنَصيـبِ
وسَلّى الذي قد كان في النفس أنّني | قـتلتُ مِـنَ النّجّـارِ كـلَّ نَجيـبِ
ومن هـاشِمٍ قِرْمـاً[5] نجيباً ومُصْعَبـاً | وكـانَ لـدى الهَيجـاء غيـرَ هَيُـوبِ
ولـوْ أنّني لَم أشفِ منهم قَـرونتي[6] | لكانتْ شجاً في القلبِ ذات نُدوبِ[7]

فأجابه حسّان بقوله:

ذكرْتَ القُرُوم الصِّيدَ من آل هاشِمِ | ولَـسـتَ لـزُورٍ قُـلْتَـهُ بـمُـصِـيـبِ
أتَعجبُ أن أقصَـدتَ حمـزَةَ منهُمُ | عِـشـاء[8] وقَـدْ سَمّـيتَـهُ بـنَجيبِ
ألـم يَقتلوا عَـمـراً وعُتبَـةَ وابنَـهُ | وشَيْبَـةَ والـحجّـاجَ وابـنَ حَبيبِ
غـداةَ دعـا العـاص عليّـاً فـراعَـه | بضَـرْبَـةِ عَضْبٍ بلّهُ بـخَضِيبِ[9]

ووقعت هنـد وصواحبـاتها على القتلى يُمثّلْن بهم، واتّخـذت هند من آذان الـرجال وآنافهم خَدَماً[10] وقلائـد، وأعطت خدمها[11] وقـلائدهـا وَحْشيّاً، وبقـرت عن كبِدِ حمزة، فلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها فلفَظَتْها[12].

ثمّ أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أفِي القوم محمّد؟ [ثلاثاً]، فقـال رسول

---

(١) الطِمِرَّة: الفَرَس السريعة الوثب.
(٢) في تاريخ الطبري «لدى».
(٣) عند الطبري «له» وكذا في السيرة.
(٤) في الطبعة الأوربية «تبايعوا»، والمثبت يتفق مع ابن هشام، والطبري.
(٥) في الأصول، وطبعة صادر ٢/١٥٩ «قِرناً» وما أثبتناه عن النسخة (ب)، وابن هشام، والطبري.
(٦) قَرونتي: نفسي. وفي الطبعة الأوربية «قرونه». وفي سيرة ابن هشام:
ولـو أنّني لـم أشفِ نـفـسي منـهـم
(٧) أنظر بقية الأبيات في سيرة ابن هشام ٣/٣٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٢٣.
(٨) في السيرة، وتاريخ الطبري، وديوان حسّان: «نجيباً».
(٩) ديوان حسّان ٦٤ ـ ٦٦، السيرة ٣/٣٩، ٤٠، الطبري ٢/٥٢٣، ٥٢٤.
(١٠) الخدم، جمع خَدَمة: الخلخال. وفي النسخة (ب): «خزما».
(١١) في النسخة (ب) «خزمها».
(١٢) سيرة ابن هشام ٣/٥٣، ٥٤، السير والمغازي ٣٣٣، تاريخ الطبري ٢/٥٢٤، ٥٢٥، الأغاني ١٥/١٩٧، ١٩٨.

الله، ﷺ: «لا تجيبوه». [ثم قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاثاً]. ثمّ قال: أفِي القوم ابن الخطّاب؟ ثلاثاً. ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا. فقال عمر: كذبتَ أي عدوّ الله، قد أبقى الله لك ما يُخزيك. فقال: اعْلُ هُبَلْ، اعْلُ هُبَل. فقال رسول الله، ﷺ: «قولوا الله أعلى وأجلّ». فقال أبو سفيان: إنّا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم. فقال رسول الله، ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[1]. فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّداً؟ قال عمر: اللهمّ، وإنّه ليسمع كلامك. فقال: أنت أصدق من ابن قمِئَة! ثمّ قال: هذا بيوم بدر، والحرب سِجال، أمَا إنّكم ستجدون في قتلاكم مُثَلاً، والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ولا نهيتُ ولا أمرتُ[2].

واجتاز به الحُلَيْس بن زَبّان سيّد الأحابيش، وهو يضرب في شِدْق حمزة بزُجّ الرمح ويقول: ذُقْ عُقَقُ[3]! فقال الحُلَيْس: يا بني كِنانة هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون. فقال أبو سفيان: اكتمها[4] [عنّي] فإنّها زَلّة[5].

وكانت أمّ أيمن حاضنة رسول الله، ﷺ، ونساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها حِبّان بن العَرِقَة[6] بسهم فأصاب ذيلها، فضحك، فدفع النبيّ، ﷺ، إلى سعد بن أبي وقّاص سهماً وقال: «ارمِهِ». فرماه فأصابه، فضحك النبيّ، ﷺ، وقال: «استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدّد رميتك».

ثمّ انصرف أبو سفيان ومَن معه وقال: إنّ موعدكم العام المقبل. ثم بعث رسول الله، ﷺ، عليّاً في أثرهم وقال: «انظر فإنْ جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنّهم يريدون مكّة، وإنْ ركبوا الخيل فإنّهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنّهم». قال عليّ: فخرجتُ في أثرهم، فامتطوا الإبل وجنّبوا الخيل يريدون مكّة[7]، فأقبلتُ أصيح[8] ما أستطيع أن أكتم، وكان رسول الله، ﷺ، أمره بالكتمان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٠ باب غزوة أحد، وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٥٦، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧، التفسير ٧/٣٠٩، ٣١٠، الأغاني ١٥/١٩٩، ٢٠٠.
(٣) ذُقْ عُقَق: أي ذُقْ جزاء فعلك يا عاق، وعقق: معدول عن عاق للمبالغة، كغُدَرٍ من غادر. (الطبري ٢/٥٢٧ حاشية ٤).
(٤) في الطبعة الأوربية «اكتمه».
(٥) الطبري ٢/٥٢٧، الأغاني ١٥/٢٠٠، سيرة ابن هشام ٣/٥٥، نهاية الأرب ١٧/١٠٢.
(٦) في الطبعة الأوربية «حفانة بن العرفة».
(٧) سيرة ابن هشام ٣/٥٦، ٥٧، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، الأغاني ١٥/٢٠١، نهاية الأرب ١٧/ ٩٩، ١٠٠.
(٨) في الطبعة الأوربية «أصفح».

وأمر رسول الله، ﷺ، رجلاً أن ينظر في القتلى، فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رمق، فقال للذي رآه: أبلغْ رسول الله، ﷺ، عنّي السلام، وقلْ له جزاك الله خير ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلغْ قومي السلام، وقلْ لهم: لا عذر لكم عند الله إنْ خلص إلى رسول الله، ﷺ، أذىً وفيكم عين تطرف. ثمّ مات[1].

وَوُجد حمزة ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومُثّل به، فحين رآه رسول الله، ﷺ، قال: «لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سُنّة بعدي لتركتُهُ حتّى يكون في أجواف السّباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم».

وقال المسلمون: لنمثلنّ بهم مُثلةً لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ الآية[2]، فعفا رسول الله، ﷺ، وصبر ونَهى عن المُثْلة[3].

وأقبلت صفيّة بنت عبد المطّلب، فقال رسول الله، ﷺ، لابنها الزبير ليردّها لئلّا ترى ما بأخيها حمزة، فلقيها الزبير، فأعلمها بأمر النبيّ، ﷺ، فقالت: إنّه بلغني أنّه مُثّل بأخي وذلك في الله قليل! فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ. فأعلم الزبيرُ النبيَّ، ﷺ، بذلك، فقال: «خلّ سبيلها»، فأتته وصلّت عليه واسترجعت، وأمر رسول الله، ﷺ، به فدُفن[4].

وكان في المسلمين رجلٌ اسمه قُزْمان، وكان رسول الله، ﷺ، يقول إنّه من أهل النار، فقاتل يوم أُحُد قتالاً شديداً، فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثمّ جُرح فحُمل إلى داره، وقال له المسلمون: أبْشرْ قُزْمان! قال: بمَ أبْشر، وأنا ما قاتلتُ إلّا عن أحساب قومي؟ ثمّ اشتدّ عليه جرحُهُ فأخذ سهماً، فقطع رواهشه فنزف الدم، فمات، فأخبر رسول الله، ﷺ، فقال: «أشهد أنّي رسول الله»[5].

وكان ممّنْ قُتل يوم أُحُد مُخَيريق اليهوديّ، قال ذلك اليوم ليهود: يا معشر يهود،

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٧/٣، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، تاريخ الطبري ٥٢٨/٢، الاستيعاب ١٤٥/٤، الأغاني ٢٠٠/١٥، ٢٠١، أسد الغابة ٣٤٨/٢، نهاية الأرب ١٧/ ١٠٦، ١٠٧، الإصابة ١٤٤/٤، سير أعلام النبلاء ٣١٨/١، ٣١٩.

(٢) سورة النحل ـ الآية ١٢٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٨/٣، تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، ٥٣٠، السير والمغازي ٣٣٥، الأغاني ٢٠١/١٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٠/٣، تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، الأغاني ٢٠٢/١٥، نهاية الأرب ١٠٣/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٠٨.

(٥) الطبري ٥٣١/٢، الأغاني ٢٠٤/١٥ وفيهما زيادة «حقّاً» في آخره، المغازي للواقدي ٣/١.

لقد علمتم أنّ نصر محمّد عليكم حقّ. فقالوا: إنّ اليوم السبت. فقال: لا سبتَ، وأخذ سيفه وعُدّته وقال: إن قُتلتُ فما لي لمحمّد يصنع به ما يشاء، ثمّ غدا فقاتل حتى قُتل، فقال رسول الله، ﷺ: «مُخَيريق خير يهود»[١].

وقُتل اليمان أبو حُذَيفة، قتله المسلمون، وكان رسول الله، ﷺ، رفعه وثابت بن قيس بن وَقَش مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان: ما ننتظر؟ أفلا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله، ﷺ؟ لعلّ الله أن يرزقنا الشهادة. ففعلا ودخلا في الناس ولا يُعلم بهما، فأمّا ثابت فقتله المشركون، وأمّا اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حُذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله، ﷺ، أن يَدِيَهُ، فتصدّق حذيفةُ بدِيته على المسلمين[٢].

واحتمل بعضُ الناس قتلاهم إلى المدينة، فأمر رسول الله، ﷺ، بدفنهم حيث صُرعوا، وأمر أن يُدْفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد، وأن يُقدَّم[٣] إلى القبلة أكثرهم قرآناً، وصلّى عليه، فكان كلّما أتي بشهيد جعل حمزة معه وصلّى عليهما، وقيل: كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلّي عليهم، ونزل في قبره عليّ، وأبو بكر، وعمر، والزبير، وجلس رسول الله، ﷺ، على حفرته، وأمر أن يُدْفن عمر بن الجَمُوح، وعبد الله بن حَرام في قبر واحد، وقال: «كانا متصافيَين في الدنيا»[٤].

فلمّا دُفن الشهداء انصرف رسول الله، ﷺ، فلقيته حَمْنَة بنت جَحْش، فنعى لها أخاها عبد الله، فاسترجعت له، ثمّ نعى لها خالَها[٥] حمزة، فاستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مُصْعب بن عُمَير، فولولت وصاحت، فقال: «إنّ زوج المرأة منها لَبِمَكان»[٦].

ومرّ رسول الله، ﷺ، بدارٍ من دُور الأنصار، فسمع البكاء والنوائح، فذرفت عيناه فبكى[٧] وقال: «لكنّ حمزة لا بواكي له»! فرجع سعد بن مُعاذ إلى دار بني عبد الأَشْهَل، فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة[٨].

ومرّ رسول الله، ﷺ، بامرأة من الأنصار قد أُصيب أبوها وزوجها، فلمّا نُعيا لها

(١) المغازي للواقدي ١/٢٦٢، ٢٦٣، طبقات ابن سعد ١/١٨٢، الطبري ٢/٥٣١.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٥٠، الطبري ٢/٥٣٠، الأغاني ١٥/٢٠٣، ٢٠٤.
(٣) في النسخة (ب): «يدفنهم».
(٤) الطبري ٢/٥٣٢، سيرة ابن هشام ٣/٦٢، المغازي للواقدي ١/٢٦٦، ٢٦٧.
(٥) في الطبعة الأوربية «أخاها»، والمثبت عن ابن هشام.
(٦) سيرة ابن هشام ٣/٦٢، الطبري ٢/٥٣٢، المغازي للواقدي ١/٢٩١.
(٧) في الطبعة الأوربية «فذرفت عيناه بالبكاء».
(٨) سيرة ابن هشام ٣/٦٢، الطبري ٢/٥٣٢، المغازي لعروة ١٧١.

قالت: ما فعل رسول الله، ﷺ؟ قال: هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه، فلمّا نظرت إليه قالت: كلّ مصيبة بعدك جَلَلٌ[1].

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة[2].

(نِياز: بالنون المكسورة، والياء تحتها نقطتان، وآخره راء. وجُبير: بضمّ الجيم، تصغير جبر. وخَوّات: بالخاء المعجمة، والواو المشدّدة، وبعد الألف تاء فوقها نقطتان. وحِبّان: بكسر الحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، وآخره نون. والحُلَيْس: بضمّ الحاء المهملة، تصغير حلس. وزَبّان: بالزاي، والباء الموحّدة، وآخره نون).

ذكر غزوة حَمراء الأسد[3]

لما كان الغد من يوم الأحد أذّن مؤذّن رسول الله، ﷺ، بالغزو وقال: لا يخرج معنا إلّا مَنْ حضر بالأمس، فخرج ليظنّ الكُفّار به قوّة، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم، وساروا حتى بلغوا حَمْراء الأسد، وهي من المدينة على سبعة أميال، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ومرّ به مَعْبد الخُزاعيّ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبة نُصْح لرسول الله، ﷺ، بتِهامة، وكان مَعْبد مشركاً، فقال: [يا محمّد] لقد عزّ علينا ما أصابك. ثمّ خرج من عند النبيّ، ﷺ، فلقي أبا سفيان ومَنْ معه بالرَّوْحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله، ﷺ، ليستأصلوا المسلمين بزعمهم، فلمّا رأى أبو سفيان مَعْبَداً قال: ما وراءك؟ قال: محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله، قد جمع معه مَنْ تخلّف عنه وندموا على ما صنعوا، وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيّتهم. قال: إنّي أنهاك عن هذا، فثنى [ذلك] أبا سفيان ومَنْ معه[4].

ومرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم: بلّغوا عني محمّداً رسالة وأحمِل

---

(1) سيرة ابن هشام ٣/٦٢، الطبري ٢/٥٣٣.
(2) سيرة ابن هشام ٣/٦٣، الطبري ٢/٥٣٤.
(3) سيرة ابن هشام ٣/٦٥، المغازي للواقدي ١/٣٣٤، تاريخ الطبري ٢/٥٣٤، أنساب الأشراف ١/٣٣٨ رقم ٧٢٤، الطبقات الكبرى ٢/٤٨، المغازي لعروة ١٧٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧، جوامع السيرة ١٧٥، عيون الأثر ٢/٣٧، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، عيون التواريخ ١/١٦٧، تاريخ خليفة ٧٣، سيرة ابن كثير ٣/٩٧، البداية والنهاية ٤/٤٩، تاريخ الخميس ١/٥٠٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٢٣، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢٠٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، تاريخ خليفة ٧٣، الروض الأنف ٣/١٨٠ شرح المواهب ٢/٧٠ وما بعدها.
(4) سيرة ابن هشام ٣/٦٥، ٦٦ الطبري ٢/٥٣٥، المغازي للواقدي ١/٣٣٨، تاريخ خليفة ٧٤.

لكم إبِلكم هذه زبيباً بعُكاظ. قالوا: نعم. قال: أخبروه أنّا قد أجمعنا السّيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم. فمرّوا بالنبيّ، ﷺ، وهو بحمراء الأسد فأخبروه، فقال، ﷺ: «حسبُنا الله ونِعمَ الوكيل»[1].

ثمّ عاد إلى المدينة، وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وبأبي عَزّة عمرو بن عُبيد الله الجُمَحيّ[2]، وكان قد تخلّف عن المشركين بحمراء الأسد، ساروا وتركوه نائماً، وكان أبو عَزّة قد أسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله، ﷺ، بغير فداء لأنّه شكا إليه فقراً وكثرة عيال، فأخذ رسول الله، ﷺ، عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله، فخرج معهم يوم أُحُد وحرّض على المسلمين، فلمّا أتي به رسول الله، ﷺ، قال له: يا محمّد امننْ عليّ. قال: «المؤمن لا يُلدغ من جُحْر مرّتين»[3]. وأمر به فقُتل[4].

وأمّا معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة، وهو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به مع مَنْ مثّل به، وكان قد أخطأ الطريق، فلمّا أصبح أتَى دار عثمان بن عفّان، فلمّا رآه قال له عثمان: أهلكتني وأهلكت نفسك. فقال: أنت أقربهم منّي رحِماً وقد جئتك لتجيرني. وأدخله عثمان داره، وقصد رسولَ الله، ﷺ، ليشفع فيه، فسمع رسولَ الله، ﷺ، يقول: «إنّ معاوية بالمدينة فاطلبوه»؛ فأخرجوه من منزل عثمان، وانطلقوا به إلى النبيّ، ﷺ، فقال عثمان: والذي بعثك بالحقّ ما جئتُ إلّا لأطلب له أماناً فهَبْه لي، فوهبه له، وأجّله ثلاثة أيّام، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنّه، فجهّزه عثمان وقال له: ارتحلْ[5].

وسار رسول الله، ﷺ، إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية ليعرف أخبار النبيّ، ﷺ، فلمّا كان اليوم الرابع قال النبيّ، ﷺ: إنّ معاوية يصبح قريباً ولم يبعد، فاطلبوه، فطلبه زيد بن حارثة وعَمّار فأدركاه بالحماة فقتلاه[6].

وهذا معاوية جدّ عبد الملك بن مروان بن الحكم لأمّه.

وفيها، قيل: وُلد الحسن بن عليّ في النصف من شهر رمضان[7].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٦٧، ٦٨، الطبري ٢/٥٣٦، المغازي للواقدي ١/٣٤٠، الأغاني ١٥/٢٠٧.

(٢) الطبري ٢/٥٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٣، ومسلم في الزهد ٦٣، وأبو داود في الأدب ٢٩، وابن ماجه في الفتن ١٣، والدارمي في الرقاق ٦٥، وأحمد في المسند ٢/١١٥ و ٣٧٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/٦٨.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/٦٨.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الطبري ٢/٥٣٧، عيون التواريخ ١/١٦٩.

وفيها عَلِقَت فاطمة بالحسين، وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً[1].

وفيها حملت جميلةُ بنت عبد الله بن أُبيّ [بعبد الله بن حنظلة بن أبي][2] عامر غسيل الملائكة في شوّال[3].

(١) الطبري ٢/٥٣٧، عيون التواريخ ١/١٦٩.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن الطبري.
(٣) الطبري ٢/٥٣٧.

٤
ودخلت السنة الرابعة من الهجرة

ذكر غزوة الرَّجِيع[1]

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع.

وكان سببها أنّ رهطاً من عَضَل والقارة قَدِموا على النبيّ، ﷺ، فقالوا: إنّ فينا إسلاماً، فابعثْ لنا نفراً يفقّهوننا في الدين ويُقرئوننا القرآن. فبعث معهم ستّة نفر، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وقيل: مَرْثد بن أبي مَرْثَد، فلمّا كانوا بالهَدْأة غدروا واستصرخوا عليهم حيّاً من هُذيل يقال لهم بنو لِحْيان[2]، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل، فاستنزلوهم وأعطوهم العهد[3]، فقال عاصم: والله لا أنزل [على] عهد كافر، اللهمّ خبّر نبيّك عنّا! وقاتلهم هو ومَرْثد، وخالد بن البُكَير، ونزل إليهم ابن الدَّثِنة[4]، وخُبَيب ابن عديّ، ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أتبعكم! فقتلوه وانطلقوا بخبيب، وابن الدَّثِنّة فباعوهما بمكّة، فأخذ خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خُبَيب هو الذي قتل الحارث بأُحُد، فأخذوه ليقتلوه بالحارث، فبينما خُبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهنّ موسى يَستحدّ[5] بها للقتل، فدبّ صبيّ لها فجلس

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٢٣، المغازي للواقدي ٣٥٤، المغازي لعروة ١٧٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٩، جوامع السيرة ١٧٦، الدرر لابن عبد البر ١٦٨، عيون الأثر ٢/٤٠، تاريخ الطبري ٢/٥٣٨، تاريخ خليفة ٧٤، عيون التواريخ ١/١٧٩، نهاية الأرب ١٧/١٣٣، البدء والتاريخ ٤/٢٠٩، عيون الأثر ٢/٤٠، سيرة ابن كثير ٣/١٢٣، البداية والنهاية ٤/٦٢، تاريخ الخميس ١/٥١٠، الأغاني ٤/٢٢٥، المحبّر ١١٧، ١١٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٢٩، الروض الأنف ٣/٢٣٣، المغازي للزهري ٦٧ - ٧٠.

(٢) في إحدى النسخ «الحبان».

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١٢٤، ابن سعد ٢/٥٥.

(٤) الدَّثِنة: بفتح الدال المهملة، وكسر الثاء المثلّثة والنون المفتوحة المشدّدة ثم تاء تأنيث. قال ابن دريد في «الاشتقاق ٢٧٢) من قولهم: دثِن الطائر إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (وانظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة ٢/٨٠ طبعة بولاق).

(٥) يستحدّ: أي يحلق عانته.

على فخِذ خُبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ إنّ الغدر ليس من شأننا، فكانت المرأة تقول: ما رأيتُ أسيراً خيراً من خُبيب، لقد رأيتُه وما بمكّة ثَمرة، وإنّ في يده لَقِطْفاً من عنب يأكله، ما كان إلّا رزقاً رزقه الله خُبيباً[1].

فلمّا خرجوا من الحرم بخُبيب ليقتلوه قال: ردّوني أُصَلِّ ركعَتَين، فتركوه، فصلّاهما، فجرتْ سُنّة لمن قُتل صبراً، ثمّ قال خُبيب: لولا أن تقولوا جزِع لزِدتُ، وقال أبياتاً، منها:

ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسلماً ... على أيِّ شيء[2] كان في الله مصرَعي
وذلك في ذات الإلهِ وإنْ يَشأ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ[3]

اللهمّ أحصِهم[4] عدداً، واقتلهم بَدَداً[5]! ثمّ صلبوه[6].

وأمّا عاصم بن ثابت فإنّهم أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد، وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم، لأنّه قتل ابنَيْها بأُحُد، فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دَعوه حتى يُمسي فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً ولا يمسّه مشرك، فمنعه الله في مماته كما مُنع في حياته[7].

وأمّا ابن الدَّثِنّة فإنّ صفوان بن أميّة بعث به مع غلامه نِسطاس إلى التّنعيم، ليقتله بابنَيْه، فقال نسطاس: أنشدك الله أتحبّ أنّ محمّداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنّك في أهلك؟ قال: ما أحبّ أنّ محمّداً الآن مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالسٌ في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمّد محمّداً. ثمّ قتله نِسطاس[8].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٤٠، الأغاني ٤/٢٢٨، المغازي للواقدي ١/٣٥٧.
(٢) وفي رواية «شق»، وفي أخرى «جنب».
(٣) البيتان من جملة أبيات في سيرة ابن هشام ٣/١٣٠ وقال: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له»، وانظر: تاريخ الطبري ٢/٥٤١، والمغازي لعروة ١٧٧، وعيون الأثر ٢/٤١، ونهاية الأرب ١٧/١٣٦، ١٣٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٢٣١، والأغاني ٤/٢٢٩، وعيون التواريخ ١/١٨١، والبداية والنهاية ٤/٦٣.
(٤) أحصِهم: أي أهلكهم بحيث لا تُبقي من عددهم أحداً.
(٥) بَدَداً: يُروى بكسر الباء، جمع بدة، وهي الحصّة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسّمة لكل واحد حصّته ونصيبه. ويُروى بفتح الباء، من التبديد، أي متفرّقين في القتل، واحداً بعد واحد. (النهاية في غريب الحديث ١/٦٥)، وفي تاريخ الطبري: وخذهم بَدَدا. وكذلك في الأغاني ٤/٢٢٩.
(٦) الأغاني ٤/٢٢٩، الطبري ٢/٥٤١، سيرة ابن هشام ٣/١٢٨، المغازي للواقدي ١/٣٥٩.
(٧) الطبري ٢/٥٤٠، الأغاني ٤/٢٢٤، وأخرج البخاري حديثه في كتاب المغازي ٥/٤٠، ٤١ باب غزوة الرجيع. وانظر المغازي للواقدي ١/٣٥٦.
(٨) تاريخ الطبري ٢/٥٤٢، الأغاني ٤/٢٣٠، المغازي للواقدي ١/٣٦١، ٣٦٢، المغازي لعروة ١٧٧.

(خُبَيْب: بضمّ الخاء المعجمة، وفتح الباء الموحّدة، بعدها ياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحّدة أيضاً. والبُكَير: بضمّ الباء الموحّدة، تصغير بكر).

ذكر إرسال عمرو بن أُمَيّة لقتل أبي سفيان

ولما قُتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله، ﷺ، عمرو بن أميّة الضَّمْري إلى مكّة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتلِ أبي سفيان بن حرب. قال عمرو: فخرجتُ أنا ومعي بعير لي وبرجْلِ صاحبي علّةٌ، فكنتُ أحمله على بعيري، حتى جئنا بطن يأجَج، فعقلْنا بعيرنا في الشعب، وقلتُ لصاحبي: انطلقْ بنا إلى أبي سفيان لنقتله، فإن خشيتَ شيئاً فالحقْ بالبعير فاركبه والحقْ برسول الله، ﷺ، وأخبِره الخبر وخلّ عني. وأوغل بالبلد يحثّ السياق[1].

فدخلنا مكّة ومعي خنجر [قد أعددتُه]، إنْ عاقني إنسان ضربته به، فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلّي ركعتين؟ فقلت: إنّ أهل مكّة يجلسون بأفنيتهم، وأنا أعرف بها. فلم نزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلّينا، ثمّ خرجنا، فمررنا بمجلس لهم، فعرفني بعضهم، فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أميّة! فثار أهل مكّة إلينا وقالوا: ما جاء إلّا لشرّ، وكان فاتكاً متشيطناً[2] في الجاهليّة، فقلت لصاحبي: النجاء! هذا الذي كنت أحذر، أمّا أبو سفيان فليس إليه سبيل، فانجُ بنفسك.

فخرجنا[3] [نشتدُّ] حتى صعِدنا الجبل، فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا، ننتظر أن يسكن الطلب. قال: فَوَالله إنّي لَفِيه، إذ أقبل عثمان بن مالك التيميّ [يتخيّل] بفرسٍ له، فقام على باب الغار، فخرجتُ إليه فضربته بالخنجر، فصاح صيحةً أسمعَ أهلَ مكّة، فأقبلوا إليه ورجعتُ إلى مكاني، فوجدوه وبه رمق، فقالوا: مَنْ ضربك؛ قال: عمرو بن أميّة، ثمّ مات ولم يقدر يُخْبرهم بمكاني، وشغلهم قتْلُ صاحبهم عن طلبي، فاحتملوه.

ومكثنا في الغار يومَين حتّى سكن [عنّا] الطلب، ثمّ خرجنا إلى التّنْعيم، فإذا بخشبة خُبَيْب وحوله حرس، فصعدتُ خشبته واحتملته على ظهري، فما مشيت به إلّا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته، فاشتدّوا في أثري، فأخذت الطريق، فأعيوا ورجعوا، وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبيّ، ﷺ، فأخبره. وأمّا خُبَيْب فلم يُرَ بعد ذلك وكأنّ الأرض ابتلعته.

---

(١) وفي نسخة «فإني عالم بالبلد».
(٢) في النسخة (ب): «مبسطاً».
(٣) في النسخة (ب): «فعدنا».

قال: وسرتُ حتى دخلتُ غاراً بضَجَنان، ومعي قوسي وأسهمي، فبينا أنا فيه إذ دخل عليَّ رجل من بني الدُّئل، أعور، طويل، يسوق غَنَماً فقال: مَنِ الرجل؟ قلتُ: من بني الدّئل، فاضطّجع معي، ورفع عقيرته يتغنّى ويقول:

ولستُ بمُسلمٍ ما دُمْتُ حيّاً ... ولستُ أَدينُ دينَ المُسلمينَا

ثمّ نام فقتلته ثمّ سرتُ، فإذا رجلان بَعَثَهما قريش يتجسّسان أمر، رسول الله، ﷺ، فرميتُ أحدهما بسهم فقتلته، واستأسرت الآخر، فقدِمتُ على النبي، ﷺ، وأخبرته الخبر، فضحك ودعا لي بخير[1].

وفي هذه السنة تزوّج رسول الله، ﷺ، زينب بنت خُزَيْمة أمّ المساكين من بني هلال في شهر رمضان، وكانت قبله عند الطُّفَيْل بن الحارث فطلّقها[2].

ووليَ المشركون الحجّ في هذه السنة[3].

ذكر بئر مَعُونة[4]

في هذه السنة في صفر قُتل جمع من المسلمين ببئر مَعونة[5].

وكان سبب ذلك أنّ أبا براء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة، سيّد بني عامر بن صعصعة، قدِم المدينة وأهدى للنبيّ، ﷺ، هديّة فلم يقبلها وقال: يا أبا براء لا أقبل هديّة مشرك، ثمّ عرض عليه الإسلام فلم يبعد عنه ولم يُسْلم، وقال: إنّ أمرك هذا حَسَنٌ، فلو بعثتَ رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله، ﷺ: «أخشى عليهم أهلَ نجد». فقال أبو براء: أنا لهم جارٌ.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٤٢ ـ ٥٤٥.

(٢) الطبري ٢/٥٤٥، عيون التواريخ ١/١٨٢ ـ ١٨٤، وفي تاريخ خليفة ٦٦ ذكر الخبر في حوادث سنة ٣ هـ.

(٣) الطبري ٢/٥٤٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٣٧، المغازي للواقدي ١/٣٤٦، تاريخ خليفة ٧٦، الطبقات الكبرى ٢/٥١، المغازي لعروة ١٧٨، تاريخ الطبري ٢/٥٤٥، عيون التواريخ ١/١٨٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٨، عيون الأثر ٢/٤٤، الدرر لابن عبد البر ١٧٠، جوامع السيرة ١٧٨، نهاية الأرب ١٧/١٣٠، البدء والتاريخ ٤/٢١١، تاريخ الخميس ١/٥٠٧، سير ابن كثير ٣/١٣٩، البداية والنهاية ٤/٧١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٣٥، الروض الأنف ٣/٢٣٨.

(٥) بئر مَعُونة: قيل هي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيم، وقيل بين جبال يقال لها أبلى في طريق المصعِد من المدينة إلى مكة، وقيل ماء لبني عامر بن صعصعة، وقيل في أرض بني سُلَيم وأرض بني كِلاب. وعندها كانت قصّة الرجيع. (معجم البلدان ١/٣٠٢).

فبعث رسول الله، ﷺ، سبعين رجلاً، فيهم: المُنْذر بن عمرو الأنصاريّ المُعْنِق[1] ليمُوتَ، والحارث بن الصِّمّة، وحَرَام بن مِلْحان، وعامر بن فُهَيرة، وغيرهم. وقيل: كانوا أربعين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، بين أرض بني عامر وحَرّة بني سُلَيْم، فلمّا نزلوها بعثوا حَرام بن مِلحان بكتاب النبيّ، ﷺ، إلى عامر بن الطّفَيل، فلمّا أتاه لم ينظر إلى الكتاب، وعدا على حَرام فقتله، فلمّا طعنه قال: الله أكبر فُزْتُ وربِّ الكعبة! واستصرخ بني عامر، فلم يجيبوه وقالوا: لَنْ نُخفر أبا براء، فقد أجارهم، فاستصرخ بني سُلَيْم: عُصَيّة ورِعْلاً وذَكْوان، فأجابوه وخرجوا حتّى أحاطوا بالمسلمين، فقاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد الأنصاريّ، فإنّهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قُتل يوم الخندق[2].

وكان في سرح القوم عمرو بن أميّة ورجل من الأنصار، فرأيا الطير تحوِّم على العسكر فقالا: إنّ لها لشأناً، فأقبلا ينظران، فإذا القوم صَرْعى، وإذا الخيل واقفة، فقال عمرو: نلحق برسول الله، ﷺ، فنُخبره الخبر. فقال الأنصاريّ: لا أرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو، ثمّ قاتل القومَ حتى قُتل، فأخذوا عمرو بن أميّة أسيراً. فلمّا علم عامر أنّه من سعد[3] أطلقه[4]، وخرج عمرو حتّى إذا كان بالقَرْقَرة[5] لقي رجلين من بني عامر، فنزلا معه ومعهما عقْد من رسول الله، ﷺ، ولم يعلم به عمرو فقتلهما، ثمّ أخبر النبيّ، ﷺ، الخبر، فقال له: لقد قتلتَ قتيلَين لأدينّهما[6]. ثمّ قال رسول الله، ﷺ: «هذا عمل أبي براء»، فشقّ عليه ذلك[7].

وكان فيمَنْ قُتل عامر بن فُهَيرة، فكان عامر بن الطُّفَيل يقول: مَنِ الرجل منهم لما قُتل رُفع بين السماء والأرض؟ قالوا: هو عامر بن فُهيرة. وقال حسّان بن ثابت يحرّض بني أبي براء على عامر بن الطُّفَيل:

بني أُمِّ البَنينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ ... وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراء ... ليُخفِرَه وما خطأٌ كعَمْدِ

---

(١) ويقال: أعنق. وسُمّي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/١٣٨، الطبري ٢/٥٤٦، ٥٤٧.
(٣) في النسخة (ب): «معدّ».
(٤) المغازي لعروة ١٧٩، ١٨٠.
(٥) القَرْقَرَة: هي قرقرة الكُدْر، أو قرارة الكُدْر.
(٦) في النسخة (ب): «رجلين لا تعلم ذنبهما».
(٧) سيرة ابن هشام ٣/١٣٩، الطبري ٢/٥٤٧.

في أبيات له[1]. فقال كعب بن مالك:

لقد طارتْ شَعاعاً كلَّ وجهٍ   خُفارَةُ ما أجارَ أبو بَراء

في أبيات أخرى[2].

فلمّا بلغ ربيعةَ بن أبي براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه، فخرّ عن فرسه، فقال: إن متُّ فدمي لعمّي. وأنزل الله، عزَّ وجلَّ، في أهل بئر معونة قرآناً: بلّغوا قومَنا عنّا أنّا قد لقينا ربّنا فرضي عنّا ورضينا عنه، ثمّ نُسخت[3].

(مَعُونة: بفتح الميم، وضمّ العين المهملة، وبعد الواو نون. وحَرَام: بالحاء المهملة، والراء. ومِلحان: بكسر الميم، وبالحاء المهملة).

ذكر إجلاء بني النَّضِير[4]

وكان سبب ذلك أنّ عامر بن الطّفيل أرسل إلى النبيّ، ﷺ، يطلب دية العامريّين اللذين قتلهما عمرو بن أُميّة، وقد ذكرنا ذلك.

فخرج النبيّ، ﷺ، إلى بني النَّضير يستعينهم فيها، ومعه جماعة من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعليّ، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببتَ، ثمّ خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله، وهو جالسٌ إلى جنْب جدار، فقالوا: مَنْ يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويُريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جِحاش، فنهاهم عن ذلك سلّام بن مِشْكم وقال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، وصعِد عمرو بن جِحاش، فأتَى الخبر من السماء إلى رسول الله، ﷺ، بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: «لا تبرحوا حتى آتيكم».

وخرج راجعاً إلى المدينة، فلمّا أبطأ قام أصحابه في طلبه، فأخبرهم الخبر، وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم، فتحصّنوا منه في الحصون، فقطع النخل وأحرق، وأرسل

---

(١) أنظر ديوان حسّان بن ثابت - ص ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات، وبعض الألفاظ، وسيرة ابن هشام ٣/١٤٠، ١٤١، والطبري ٢/٥٤٨، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤١.

(٢) الطبري ٢/٥٤٨، ٥٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٥٣، الطبري ٢/٥٥٠، تفسيره ٧/٣٩٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٥٠، الطبقات الكبرى ٢/٥٧، سيرة ابن هشام ٣/١٤٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩، المغازي للواقدي ١/٣٦٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٩، سيرة ابن كثير ٣/١٤٥، البداية والنهاية ٤/٧٤، عيون التواريخ ١/١٨٧، تاريخ الخميس ١/٥١٧، نهاية الأرب ١٧/١٣٧، البدء والتاريخ ٤/٢١٢، عيون الأثر ٢/٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٣ المحبّر ١١٣، مرآة الجنان ١/٩، مجمع الزوائد ٦/١٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥٠ - ٢٥٣، المغازي للزهري ٧١.

إليهم عبد الله بن أُبَيّ وجماعة معه، أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنّا لن نُسْلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم.

وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا النبيّ، ﷺ، أن يُجْليهم ويكفّ عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت الإبل من الأموال إلاّ السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، فكان ممّنْ سار إلى خيبر كِنانة بن الربيع، وحُيَيّ بن أخطب، وكان فيهم يومئذ أمّ عمرو صاحبة عُرْوة بن الورْد التي ابتاعوا منه، وكانت غفاريّة.

فكانت [أموال] النضير لرسول الله، ﷺ، وحده يضعها حيث شاء، فقسّمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلاّ أنّ سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة ذكرا فقراً فأعطاهما. ولم يُسْلم من بني النضير إلاّ يامين بن عُمَير بن كعب، وهو ابن عمّ عمرو بن جِحاش، وأبو سعيد بن وهْب، وأحرزا أموالهما[1].

واستخلف[2] على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، وكانت رايته مع عليّ بن أبي طالب.

(سلّام: بتشديد (اللام). ومِشْكم بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة، والكاف).

غزوة ذات الرِّقاع[3]

أقام رسول الله، ﷺ، بالمدينة بعد بني النّضير شهرَي ربيع، ثمّ غزا نجداً يريد بني مُحارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً، وهي غزوة الرِّقاع، سُمّيت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به، فيه سواد وبياض وحُمْرة، فاستخلف على المدينة عثمانَ بنَ عفّان، فلقي المشركين ولم يكن قتال، وخاف الناس بعضهم بعضاً، فنزلت صلاة الخوف، وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مُستقصًى في كتب الفقه.

وجاء رجل من مُحارب إلى النبيّ، ﷺ، فطلب منه أن ينظر إلى سيفه، فأعطاه السيف، فلمّا أخذه وهزّه قال: يا محمّد أما تخافني؟ قال: لا. قال: أما تخافني وفي

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٤٤، ١٤٥، تاريخ الطبري ٢/٥٥٢ ـ ٥٥٥.

(٢) أي الرسول ﷺ حين خرج لحرب بني النضير.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١٥٥، تاريخ الطبري ٢/٥٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٦١، أنساب الأشراف ١/٣٤٠، المغازي للواقدي ١/٣٩٥، نهاية الأرب ١٧/١٥٨، البدء والتاريخ ٤/٢١٣، تاريخ الخميس ١/٥٢١، عيون التواريخ ١/١٨٩، البداية والنهاية ٤/٨٣. سيرة ابن كثير ٣/١٦٠، عيون الأثر ٢/٥٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٦، المحبّر ١١٣، مرآة الجنان ١/٩.

يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، فردّ السيف إليه[1].

وأصاب المسلمون امرأة منهم، وكان زوجها غائباً، فلمّا أتى أهلَه أُخبر الخبر، فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبيّ، ﷺ، دماً، وخرج يتبع أثرَ رسول الله، ﷺ، فنزل رسول الله، ﷺ، فقال: «مَنْ يحرسنا الليلة»؟ فانتُدِب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فأقاما بفم شِعبٍ نزله رسول الله، ﷺ، واضطّجع المهاجريّ وحرس الأنصاريُّ أوّل الليل وقام يصلّي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنّه ربيئة القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه فانتزعه، وثبت قائماً يصلّي، ثمّ رماه بسهمٍ آخر فأصابه، فنزعه وثبت يصلّي، ثمّ رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه، ثمّ ركع وسجد، ثمّ أيقظ صاحبه وأعلمه، فوثب، فلمّا رآهما الرجل علم أنّهما علِما به، فلمّا رأى المهاجريُّ ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أوّل ما رماك؟ قال: كنتُ في سورة أقرأها، فلم أحبّ أن أقطعها، فلمّا تابع عليّ الرميَ أعلمتك، وايمُ الله لولا خوفي أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله، ﷺ، بحفظه لَقَطَعَ نفسي قبل أن أقطعها[2].

وقيل: إنّ هذه الغزوة كانت في المحرّم سنة خمس من الهجرة.

ذكر غزوة بدر الثانية[3]

وسُمّيت أيضاً غزوة السَّويق.

وفي شعبان منها خرج رسول الله، ﷺ، إلى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب، حتّى نزل بدراً، فأقام عليها ثماني ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكّة إلى مرّ الظَّهْران، وقيل: إلى عُسْفان، ثمّ رجع ورجعت قريش معه، فسمّاهم أهلُ مكّة جيش السَّويق، يقولون: إنّما خرجتم تشربون السّويق[4].

واستخلف رسولُ الله، ﷺ، على المدينة عبدَ الله بن رَواحة[5].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٥٦، ١٥٧، الطبقات الكبرى ٢/٦١، ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥٥٧، ٥٥٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/١٥٩، ١٦٠، الطبري ٢/٥٥٨، ٥٥٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١٦٠، تاريخ الطبري ٢/٥٦٠، المغازي للواقدي ١/٣٨٤، الطبقات الكبرى ٢/٥٩، البدء والتاريخ ٤/٢١٣، نهاية الأرب ١٧/١٥٤، أنساب الأشراف ١/٣٣٩ رقم ٧٢٦، المغازي لعروة ١٨٣، الدرر لابن عبد البر ١٧٧، جوامع السيرة ١٨٤، عيون الأثر ٢/٥٣، تاريخ الخميس ١/٥٢٣، عيون التواريخ ١/١٩٠، سيرة ابن كثير ٣/١٦٩، البداية والنهاية ٤/٨٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٤٩، المحبّر ١١٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٦١.

(٥) الطبري ٢/٥٦١، عيون التواريخ ١/١٩١.

وفيها تزوَّج رسولُ الله، ﷺ، أمّ سَلَمة[1].

وفيها أمر رسول الله، ﷺ، زيدَ بنَ ثابت أن يتعلّم كتاب يهود[2].

وفيها، في جُمادى الأولى، مات عبد الله بن عثمان بن عفّان، وأمّه رُقيّة بنت رسول الله، ﷺ، وصلّى عليه رسول الله، ﷺ، وكان عمره ستّ سنين[3].

وفيها وُلد الحسين بن عليّ بن أبي طالب، في قولٍ[4].

وولي الحجَّ فيها المشركون[5].

---

(١) الطبري، عيون التواريخ، البدء والتاريخ ٢١٤/٤، تسمية أزواج النبيّ ٥٦، الطبقات الكبرى ٨٦/٨.

(٢) الطبري، عيون التواريخ.

(٣) أنظر أنساب الأشراف ٤٠١/١ رقم ٨٦٣، البدء والتاريخ ٢١٤/٤.

(٤) الطبري ٥٥٥/٢، عيون التواريخ ١٩١/١.

(٥) الطبري ٥٦١/٢، عيون التواريخ ١٩١/١.

٥

الأحداث في السنة الخامسة من الهجرة

فيها تزوّج رسول الله، ﷺ، زينبَ بنتَ جَحْش[١]، وهي ابنة عمّته، كان زوَّجها مولاه زيدَ بن حارثة، وكان يقال له زيد بن محمّد. فخرج رسول الله، ﷺ، يريده وعلى الباب سترٌ من شَعَر، فرفعته الريح، فرآها وهي حاسرة، فأعجبته وكُرّهت إلى زيد، فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبيّ، ﷺ، فأخبره، فقال: أرابَك فيها شيء؟ قال: لا والله. فقال له رسول الله، ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾[٢]. ففارقها زيد وحلّت، وأُنزل الوحي على النبيّ، ﷺ، فقال: «مَنْ يبشّر زينب أنّ الله قد زوّجنيها»؟ وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾[٢] الآية؛ فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول: زوّجكنّ أهلوكنّ وزوّجني الله من السماء[٣].

وفيها كانت غزوة دُومة الجندل في ربيع الأوّل، وسببها أنّه بلغ النبيّ، ﷺ، أنّ بها جمعاً من المشركين، فغزاهم، فلم يلقَ كيداً، وخلّف على المدينة سِباعَ بن عُرْفطة الغِفاريّ، وغنم المسلمون إبلاً وغنماً وُجدت لهم[٤].

وماتت أمّ سعد بن عُبادة وسعد مع النبيّ، ﷺ، في هذه الغزاة.

وفيها وادَعَ رسول الله، ﷺ، عُيَيْنَة بن حِصن الفزاريّ [أن يرعى بتَغْلَمَيْن[٥] وما والاها].

---

(١) في زواج النبيّ ﷺ منها أنظر: الطبقات الكبرى ٨/٧١، والاستيعاب ٤ رقم ١٨٤٩، وأسد الغابة ٥/٤٦٣، وتسمية أزواج النبيّ ﷺ وأولاده لأبي عبيدة ٦١، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢/٣٤٥، والسمط الثمين في مناقب أمّهات المؤمنين للمحبّ الطبري ١٠٥ طبعة حلب ١٣٤٦ هـ.، والبداية والنهاية ٤/١٤٥، والإصابة ٤/٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٣) الطبري ٢/٥٦٢، ٥٦٣، وانظر التفسير ٢٢/١٠، ١١.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٦٥، الطبري ٢/٥٦٤.

(٥) تَغْلَمَان: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، بلفظ التثنية، موضع في شعر كثيّر. ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/٣٥.

(عُيَيْنَة: بضمّ العين، تصغيرِ عين).

ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب[1]

وكانت في شوّال، وكان سببها أنّ نفراً من يهودٍ من بني النَّضِير، منهم: عبد الله بن سَلّام بن أبي الحُقَيْق، وحُيَيّ بن أخْطَب، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وغيرهم، حزّبوا الأحزاب على رسول الله، ﷺ، فقدِموا على قريش بمكّة فدعوهم إلى حرب رسول الله، ﷺ، وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله، فأجابوهم إلى ذلك، ثمّ أتوا على غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله، ﷺ، وأخبروهم أنّ قريشاً معهم على ذلك، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَة بن حِصن في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّيّ في مُرّة، ومِسْعَر بن رُخَيْلة الأشْجعيّ في الأشجع.

فلمّا سمع بهم رسول الله، ﷺ، أمر بحفر الخندق، وأشار به سلمان الفارسيّ، وكان أوّل مشهد شهده مع رسول الله، ﷺ، وهو يومئذ حُرّ، فعمل فيه رسول الله، ﷺ، رغبة في الأجر وحثّاً للمسلمين، وتسلّل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله، ﷺ، فأنزل الله في ذلك: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً﴾[2] الآية.

وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة لا بدّ منها يستأذن رسول الله، ﷺ، فيقضي حاجته ثمّ يعود، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[3] الآية.

وقسّم الخندق بين المسلمين، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان، كلّ يدّعيه أنّه منهم، فقال رسول الله، ﷺ: «سلمان منّا، سلمان من أهل البيت»[4]. وجعل لكلّ عشرة أربعين ذراعاً، فكان سلمان، وحُذَيفة، والنعمان بن مُقَرّن، وعمرو بن عَوْف، وستّة

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٦٥، تاريخ الطبري ٢/٥٦٤، الطبقات الكبرى ٢/٦٥، المغازي للواقدي ٢/٤٤٠، أنساب الأشراف ١/٣٤٣. نهاية الأرب ١٧/١٦٦، المغازي لعروة ١٨٤، عيون التواريخ ١/١٩٤، البدء والتاريخ ٤/٢١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠، سيرة ابن كثير ٣/١٧٨، البداية والنهاية ٤/٩٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٨٣، تاريخ الخميس ٥٣٩، عيون الأثر ٢/٥٥، المعارف ١٦١، الدرر لابن عبد البر ١٧٩، جوامع السيرة ١٨٥، المحبّر ١١٣، صحيح البخاري ٥/٤٤ ـ ٤٩، مرآة الجنان ١/٩، المواهب اللدنية ٢/١٢٥، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ ـ ١٤٢، المغازي للزهري ٧٩ ـ ٨٣.

(٢) سورة النور ـ الآية ٦٣.

(٣) سورة النور ـ الآية ٦٢.

(٤) ابن سعد ٤/٥٩، المستدرك على الصحيحين ٣/٥٩٨.

من الأنصار يعملون، فخرجت عليهم صخرة كسرت المِعْوَل، فأعلموا النبيّ، ﷺ، فهبط إليها ومعه سلمان، فأخذ المِعْوَل وضرب الصخرة ضربةً صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتَي المدينة، فكبّر رسول الله، ﷺ، والمسلمون، ثمّ الثانية كذلك، ثمّ الثالثة كذلك، ثمّ خرج وقد صدعها، فسأله سلمان عمّا رأى من البرق، فقال رسول الله، ﷺ: «أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبرائيل أنّ أمّتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم، وأخبرني أنّ أمّتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء، وأخبرني أنّ أمّتي ظاهرة عليها، فأبشِروا»، فاستبشر المسلمون[1].

وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يعِدكم الباطلَ، ويخبركم أنّه ينظر من يثرب الحيرةَ ومدائنَ كسرى، وأنّها تُفتَح لكم، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا، فأنزل الله: **﴿وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُوراً﴾**[2].

فأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع[3] الأسيال من رومة[4] بين الجُرْف[5] وزَغابة[6]، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَنْ تابعهم من كِنانة وتهامة، وأقبلت غطفان ومَنْ تابعهم حتى نزلوا إلى جنب أُحُد، وخرج رسول الله، ﷺ، والمسلمون، فجعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف، فنزل هناك ورفع الذراريَّ والنساء في الآطام.

وخرج حُيَيّ بن أخْطَب حتى أتَى كعب بن أسد سيّد قُرَيْظة، وكان قد وادع رسول الله، ﷺ، على قومه، فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال: إنّك امرؤ مشؤوم، وقد عاهدتُ محمّداً ولم أرَ منه إلاّ الوفاء. قال حُيَيّ: يا كعب قد جئتُك بعزّ الدّهر وببحر طامٍ، جئتُك بقريش وقادتها وسادتها، وغطفان بقادتها، وقد عاهدوني أنّهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمّداً وأصحابه. قال كعب: جئتَني بذلّ الدهر، وبجَهام قد هراق ماءه يرعِد ويُبرق، وليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ! دَعْني [ومحمّداً]. ولم يزل معه يَفْتِله في الذّرْوة والغارب، حتّى حمله على الغدر بالنبيّ، ﷺ، ففعل ونكث العهد، وعاهده حُيَيّ إن عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمّداً، أن أدْخُلَ معك في حصنك، حتّى يصيبني

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٧١، الطبري ٢/٥٦٩.

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ١٢، والخبر في تفسير الطبري ٢١/٨٥، ٨٦.

(٣) في الطبعة الأوربية «بمجمع».

(٤) في الطبعة الأوربية «روبة».

(٥) الجُرْف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. (معجم البلدان ٢/١٢٨).

(٦) زَغابَة: بالفتح في الأول. قال ياقوت: رواه أبو عبيد البكري الأندلسي زُعابة بضم الزاي وعين مهملة. (معجم البلدان ٣/١٤١).

ما أصابك. فعظُم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ونَجَمَ النّفاق من بعض المنافقين. وأقام رسول الله، ﷺ، والمشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلّا الرمي [بالنّبل][1].

فلمّا اشتدّ البلاء بعث رسول الله، ﷺ، إلى عُيَيْنة بن حِصْن، والحارث بن عَوْف المُرّيّ، قائدَيْ غطفان، فأعطاهما ثُلْث ثمار المدينة على أن يرجعا[2] بمَنْ معهما عن رسول الله، ﷺ، فأجابا إلى ذلك، فاستشار رسول الله، ﷺ، سعد بن مُعاذ، وسعد بن عُبادة، فقالا: يا رسول الله شيء تحبّ أن تصنعه، أم شيء أمرك الله به، أو شيء تصنعه لنا؟ قال: بل [لكم]، رأيتُ العرب قد رمتْكم عن قوسٍ واحدة، فأردتُ أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن مُعاذ: قد كنّا نحن وهم على الشّرك، ولا يطمعون أن يأكلوا منّا تمرة إلّا قِرىً أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام نُعطيهم أموالنا! ما نُعْطيهم إلّا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فترك ذلك رسول الله ﷺ[3].

ثمّ إنّ فوارس من قريش، منهم: عمرو بن عبد وَدّ أحد بني عامر بن لُؤيّ، وعِكْرِمة ابن أبي جهل، وهُبَيرة بن أبي وهب، ونَوْفل بن عبد الله، وضِرار بن الخطّاب الفِهريّ، خرجوا على خيولهم، واجتازوا ببني كِنانة وقالوا: تجهّزوا للحرب وستعلمون مَنِ الفرسان. وكان عمرو بن عبد وَدّ قد شهد بدراً كافراً، وقاتل حتى كثُرت الجراح فيه، فلم يشهد أُحُداً، وشهد الخندق مُعْلِماً حتى يُعْرف مكانه، وأقبل هو وأصحابه حتّى وقفوا على الخندق، ثمّ تيمّموا مكاناً ضيّقاً فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم في السَّبْخة، بين الخندق وسَلْع.

وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين، فأخذوا عليهم الثغرة، وكان عمرو قد خرج مُعْلِماً، فقال له عليّ: يا عمرو إنّك عاهدتَ أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتَين، إلّا أخذتَ إحداهما؟ قال: أجلْ. قال له عليّ: فإنّي أدعوك إلى الله والإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنّي أدعوك إلى النّزال. قال: والله ما أحبّ أن أقتلك. قال عليّ: ولكنّي أحبّ أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك، فنزل عن فرسه وعقره، ثمّ أقبل على عليّ، فتجاولا، وقتله عليّ، وخرجت خيلهم منهزمة، وقُتل مع عمرو رجلان، قتل عليّ أحدهما، وأصاب آخر سهم، فمات منه بمكّة[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٧٢، ١٧٣ وفيه «الرميا»، الطبري ٢/٥٧٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «يرجعوا».

(٣) السيرة ٣/١٧٣، الطبري ٢/٥٧٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٧٦، الطبري ٢/٥٧٣، ٥٧٤.

ورُمِي سعد بن مُعاذ بسهم قطع أكْحَلَهُ، رماه حِبّان بن قيس بن العَرِقة بن عبد مَناف، من بني مَعيص من عامر بن لُؤيّ، والعَرِقة أُمُّه[1]، وإنّما قيل لها العَرِقة لِطيب ريح عَرَقها، وهي قِلابة بنت سعد بن سَهْم، وهي أمّ عبد مَناف بن الحارث. فلمّا رمى سعداً قال: خذْها وأنا ابن العَرِقة. فقال النبيّ، ﷺ: عرّق الله وجهك في النار، ولم يُقطع [الأكحل] من أحَد إلّا مات. فقال سعد: اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقِنِي لها، فإنّه لا قومَ أحبّ إليّ أن أقاتلهم من قوم آذوا نبيّك وكذّبوه، اللهمّ وإن كنت وضعتَ الحرب بيننا، فاجعلْه لي شهاد، ولا تُمِتْني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة[2]. وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهليّة.

وقيل إنّ الذي رمى سعداً هو أبو أُسامة الجُشَميّ حليف بني مخزوم[3]. فلمّا قال سعد ما قال انقطع الدم.

وكانت صَفيّة عمّة النبيّ، ﷺ، في فارع، حصن حسّان بن ثابت، وكان حسّان فيه مع النساء لأنّه كان جباناً، قالت: فأتانا آتٍ من اليهود فقلتُ لحسّان: هذا اليهوديّ يطوف بنا، ولا نأمنه أن يدلّ على عوراتنا، فانزلْ إليه فاقتلْه. فقال: والله ما أنا بصاحب هذا. قالت: فأخذتُ عموداً ونزلتُ إليه فقتلته، ثمّ رجعتُ فقلتُ لحسّان: انزلْ إليه فخذْ سلبه، فإنّني يمنعني منه أنّه رجل. فقال: والله ما لي بسلبه من حاجة[4].

ثمّ إنّ نُعَيم بن مسعود الأشْجعيّ أتى النبيّ، ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّي قد أسلمتُ، ولم يعلم قومي، فمرْني بما شئت. فقال له رسول الله، ﷺ: «إنّما أنت رجل واحد، فخذّلْ عنّا ما استطعتَ، فإنّ الحرب خُدْعة». فخرج حتى أتى بني قُرَيْظة، وكان نديماً لهم في الجاهليّة، فقال لهم: قد عرفتم وديّ إيّاكم. فقالوا: لستَ عندنا بمُتّهَم. قال: قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمّد، وليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحوّلوا منه، وإنّ قريشاً وغطفان إن رأوا

---

(١) في الطبعة الأوربية «جدّة».

(٢) السيرة ١٧٧/٣، الطبري ٥٧٥/٢ و ٥٧٦.

(٣) السيرة ١٧٨/٣، الطبري ٥٧٧/٢.

(٤) السيرة ١٧٩/٣، الطبري ٥٧٧/٢.

وقال السُّهَيلي في الروض الأنف ٢٨١/٣ «ومحمل هذا الحديث عند الناس على أنّ حسّاناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد. وقال: لو صحّ هذا لهُجي به حسّان، فإنّه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى، وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردّون عليه، فما عيّره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدلّ هذا على حديث ابن إسحاق، وإنْ صحّ فلعلّ حسّان أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلّةٍ منعته من شهود القتال».

نُهزة[1] وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمّد، ولا طاقة لكم به [إن خلا بكم]، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم ثقةً لكم، حتى تناجزوا محمّداً. قالوا: أشرت بالنصح.

ثمّ خرج حتى أَتَى قريشاً فقال لأبي سفيان ومَن معه: قد عرفتم وديّ إيّاكم وفراقي محمّداً، وقد بلغني أنّ قُريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمّد: هل يُرْضيك عنّا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم[2] فتضرب أعناقهم، ثمّ نكون معك على مَنْ بقي منهم؟ فأجابهم: أن نعم، فإنْ طلبت قُريظة منكم رُهُناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً. ثمّ خرج حتى أتى غطفانَ فقال: أنتم أهلي وعشيرتي. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم.

فلمّا كان ليلة السبت من شوّال [سنة خمسٍ] كان ممّا صنع الله لرسوله، [أن] أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى قُريظة عِكرمةَ بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم: إنّا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدُوا[3] للقتال [حتّى نناجز محمّداً]. فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم السبت لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم حتّى تعطونا رُهُناً ثقةً لنا، فإنّا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم، وتتركونا والرجلِ ونحن ببلاده. فلمّا أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان: والله لقد صدق نُعَيْم بن مسعود، فأرسلوا إلى قريظة: [إنّا] والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً. فقالت قُريظة عند ذلك: إنّ الذي ذكر نُعَيْم بن مسعود لحقّ. وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم.

فلمّا انتهى إلى النبيّ، ﷺ، اختلافُ أمرهم دعا حُذَيْفَةَ بن اليَمان ليلاً فقال: انطلقْ إليهم وانظر حالهم، ولا تُحدثنّ شيئاً حتى تأتينا. قال حُذَيفة: فذهبتُ فدخلتُ فيهم، والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل، لا يقرّ لهم قِدْر ولا بناء ولا نار. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر الرجل أمر جليسه[4]، قال: فأخذتُ بيد الرجل الذي بجانبي فقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا فلان.

ثمّ قال أبو سفيان: والله لقد هلك الخفّ والحافر، وأخلفَتْنا قريظة، ولقينا من هذه

(١) في الطبعة الأوربية «نزهة».
(٢) في الطبعة الأوربية «فنعطيهم».
(٣) في الطبعة الأوربية «فأعدّوا».
(٤) في سيرة ابن هشام: لينظر امرءٌ مَنْ جليسه.

الريح ما ترون، فارتحلوا فإنّي مرتحل. ثمّ قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثمّ ضربه فوثب على ثلاث قوائم، ولولا عهد رسول الله، ﷺ، [إليّ أن] لا أحدث شيئاً لقتلته.

قال حُذيفة: فرجعتُ إلى النبيّ، ﷺ، وهو قائم يصلّي في مِرْط لبعض نسائه، فأدخلني بين رجْليه، وطرح عليّ طرف المِرْط، فلمّا سلّم خبّرتُهُ الخبر.

وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم[1]، فلمّا عادوا قال رسول الله، ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا». فكان كذلك حتى فتح الله مكّة.

ذكر غزوة بني قُرَيْظة[2]

لما أصبح رسول الله، ﷺ، عاد إلى المدينة، ووضع المسلمون السلاح، وضرب على سعد بن مُعاذ قبّة في المسجد ليعوده من قريب، فلمّا كان الظهر أتى جبرائيل النبيَّ، ﷺ، فقال: أقد وضعت السلاحَ؟ قال: نعم. قال جبرائيل: ما وضعتِ الملائكة السلاح، إنّ الله يأمرك بالمسير إلى بني قُريظة، وأنا عامد إليهم. فأمر رسول الله، ﷺ، منادياً فنادى: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلّين العصر إلّا في بني قُريظة. وقدّم عليّاً إليهم برايته، وتلاحق الناس، ونزل رسول الله، ﷺ، وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلّوا العصر بها، وما عابهم رسول الله، ﷺ[3].

وحاصر بني قُريظة شهراً، أو خمساً وعشرين ليلة، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله، ﷺ، أن تبعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المُنْذر، وهو أنصاريّ من الأوس، نستشيره، فأرسله، فلمّا رأوه قام إليه الرجال، وبكى النساء والصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقة أنّه الذّبح. قال أبو لُبابة: فما زالت قدماي حتى عرفتُ أنّي خُنتُ الله ورسوله، وقلتُ: والله لا أقمتُ بمكان عصيتُ الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ.

---

(١) إلى هنا في سيرة ابن هشام ٣/١٨٣، الطبري ٢/٥٧٩ ـ ٥٨١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧٤، المغازي للواقدي ٢/٤٩٦، سيرة ابن هشام ٣/١٨٣، تاريخ الطبري ٢/٥٨١، المغازي لعروة ١٨٦، الدرر لابن عبد البرّ ١٨٩، جوامع السيرة ١٩١، عيون الأثر ٢/٦٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٢، البدء والتاريخ ٤/٢٢٠، أنساب الأشراف ١/٣٤٧ رقم ٧٣٣، نهاية الأرب ١٧/١٨٦، عيون التواريخ ١/٢٠٦، تاريخ الخميس ١/٥٥٤، سيرة ابن كثير ٣/٢٢٣، البداية والنهاية ٤/١١٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٠٧، المسند للإمام أحمد ٦/١٤١، المحبّر ١١٣، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ ـ ١٤٢، مرآة الجنان ١/٩، ١٠، صحيح البخاري ٥/٤٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١٨٥، الطبري ٢/٥٨١.

فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله، ﷺ[1].

ثمّ نزلوا على حكم رسول الله، ﷺ، فقال الأوس: يا رسول الله افعلْ في موالينا مثل ما فعلتَ في موالي الخزرج، يعني بني قَيْنُقاع، وقد تقدّم ذكرهم. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن مُعاذ؟ قالوا: بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار، ثمّ أقبلوا معه إلى رسول الله، ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسنْ إلى مواليك. فلمّا كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنّه يقتلهم، فلمّا انتهى سعد إلى رسول الله، ﷺ، قال: قوموا إلى سيّدكم، أو قال: خيركم، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسِنْ إلى مواليك فقد ردّ رسول الله، ﷺ، الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه، إنّ الحكم فيهم إليّ؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبيّ، ﷺ، وغضّ بصره عن رسول الله إجلالاً وقال: وعلى من ههنا العهد أيضاً؟ فقالوا: نعم. وقال رسول الله، ﷺ: نعم. قال: فإنّي أحكم أن تُقتلِ المقاتلة، وتُسبى الذريّة والنساء، وتُقسم الأموال، فقال له رسول الله، ﷺ: «لقد حكمتَ [فيهم] بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة»[2].

ثمّ استُنزلوا فحُبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجّار. ثمّ خرج رسولُ الله، ﷺ، إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثمّ بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها، وفيهم حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد سيّدهم وكانوا[3] ستّمائة أو سبعمائة، وقيل: ما بين سبعمائة وثمانمائة، وأُتي بحُيَيّ بن أخطب وهو مكتوف، فلمّا رأى النبيّ، ﷺ، قال: والله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك، ولكنّ مَنْ يخذِل الله يُخْذَلْ. ثمّ قال للناس: إنّه لا بأس بأمر الله، كتابٌ وقَدَر وملحمة كُتبتْ على بني إسرائيل. فأُجْلِس وضُربت عنقه. ولم تُقْتَل منهم إلّا امرأة واحدة، قُتلتْ بحَدَث أحدثته، وقُتِلت أرفة بنت عارضة منهم[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٨٧، الطبري ٢/٥٨٥، المغازي لعروة ١٨٧.

(٢) الأرقعة: جمع رقيع: السموات. والخبر في السيرة ٣/١٨٩، ١٩٠، والطبري ٢/٥٨٧، ٥٨٨.

(٣) في الطبعة الأوربية «وكان».

(٤) سيرة ابن هشام ٣/١٩١، الطبري ٢/٥٨٨، ولم يذكرا اسم القتيلة، بل قال ابن هشام: «وهي التي طرحت الرحا على خلّاد بن سويد، فقتلته».

قال ابن إسحاق: «وقد حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنّها قالت: لم يُقتل من نسائهم إلّا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك، ما لك؟ قالت: أقتل، قلت: ولِم؟ قالت: لحَدَث أحدثته. فانطلق بها، فضُربت عنقها، فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها، طِيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفتْ أنها تُقتل». (السيرة ٣/١٩١، ١٩٢).

وأسلم منهم ثعلبة بن سَعْية[1]، وأُسيد بن سعية[1]، وأسد بن عُبيد.

ثمّ قسم رسول الله، ﷺ، أموالهم، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفَرَس سهمان، ولفارسه سهم، وللراجل ممّن ليس له فَرَسٍ سهم، وكانت الخيل ستّة وثلاثين فرساً، وأخرج منها الخُمْس، وكان أوّل فَيْء وقع فيه السُّهمان والخمس[2].

واصطفى رسول الله، ﷺ، لنفسه رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة[3] من بني قُريظة، فأراد أن يتزوّجها فقالت: اتركني في مِلْكك فهو أخفّ عليّ وعليك[4].

فلمّا انقضى أمر قُريظة انفجر جرح سعد بن مُعاذ واستجاب الله دعاءه، وكان في خيمته التي في المسجد، فحضره رسول الله، ﷺ، وأبو بكر وعمر. وقالت عائشة: سمعتُ بكاء أبي بكر وعمر عليه وأنا في حجرتي، وأمّا النبيّ، ﷺ، فكان لا يبكي على أحد، كان إذا اشتدّ وجْده أخذ بلحيته[5].

وكان فتح قُريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجّة، وقُتل من المسلمين في الخندق ستّة نفر، وفي قُريظة ثلاثة نفر[6].

---

(١) في النسخة (ب): شعبة، وفي أخرى «سعيد».
(٢) سيرة ابن هشام ٣/١٩٤، تاريخ الطبري ٢/٥٩١.
(٣) في الطبعة الأربية «جُنافة».
(٤) السيرة ٣/١٩٤، الطبري ٢/٥٩٢.
(٥) السيرة ٣/١٩٩، الطبري ٢/٥٩٢، ٥٩٣.
(٦) أنظر أسماءهم في السيرة ٣/٢٠٣.

٦

ودخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بني لِحْيان[١]

في جُمادى الأولى منها خرج رسول الله، ﷺ، إلى بني لِحْيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبَيْب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّةً، وأغذّ السير حتى نزل على غَرَان منازل بني لِحْيان، وهي بين أَمَج وعُسْفان، فوجدهم قد حذِروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعُسْفان، تخويفاً لأهل مكّة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم، ثمّ عاد قافلاً[٢].

(غَرَان[٣]: بفتح الغين المعجمة، وفتح الراء، وبعد الألف نون. وأَمَج: بفتح الهمزة، والميم، وآخره جيم).

ذكر غزاة ذي قَرَد[٤]

ثمّ قدِم رسول الله، ﷺ، المدينة فلم يُقم إلاّ أيّاماً قلائل، حتّى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاريّ في خيل غطفان على لِقاح النبيّ، وأوّل من نَذِر بهم سَلَمَةُ بن الأكوع

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٥، المغازي للواقدي ٢/٥٣٥، تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، الطبقات الكبرى ٢/٧٨، أنساب الأشراف ١/٣٤٨ رقم ٧٣٤، البدء والتاريخ ٤/٢٢٢، نهاية الأرب ١٧/٢٠٠، عيون التواريخ ١/٢٢٣، عيون الأثر ٢/٨٣، سيرة ابن كثير ٣/٢٨٥، البداية والنهاية ٤/١٤٩، تاريخ الإسلام ٣٣٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٦، تاريخ الطبري ٢/٥٩٥.

(٣) في معجم البلدان لياقوت: غُران: بضمّ أوله وتخفيف ثانيه.

(٤) وتعرف بغزوة الغابة. أنظر عنها في: سيرة ابن هشام ٣/٢٢٧، الطبقات الكبرى ٢/٨٠، تاريخ الطبري ٢/٥٩٦، عيون الأثر ٢/٨٤، المغازي للواقدي ٢/٥٣٧، البدء والتاريخ ٤/٢٢٣، أنساب الأشراف ١/٣٤٨، عيون التواريخ ١/٢٢٤، نهاية الأرب ١٧/٢٠١، سيرة ابن كثير ٣/٢٨٦، البداية والنهاية ٤/١٥٠، تاريخ الإسلام ٣٠٣.

الأسلميّ. هكـذا ذكرهـا أبو جعفـر[1] بعد غـزوة بني لِحْيـان عن ابن إسحـاق، والـروايـة الصحيحة عن سلمة: أنّها كانت بعد مَقْدَمه المدينة مُنصرِفـاً من الحُدَيبِيَـة، وبين الوقعَتَين تفاوت.

قـال سلمة بن الأكـوع: أقبلنا مـع النبيّ، ﷺ، إلى المدينـة بعد صلح الحُـديبيـة، فبعث رسـولُ الله، ﷺ، بـظَهـره[2] مـع رَبَـاح غـلامـه، وخـرجتُ معـه بفَرَس طلحـة بن عُبيد الله، فلمّا أصبحنـا إذا عبد الـرحمن بن عُيَيْنَة بن حِصْن الفـزاريّ قد أغـار على ظهر رسول الله، ﷺ، فاستـاقه أجمـع وقتل راعيـه، قلتُ: يا ربـاح [خذ] هـذا الفرس فـأبلغْه طلحـةَ وأخبِـر النبيَّ، ﷺ، أنّ المشـركين قـد أغـاروا على سرْحـه؛ ثمّ استقبلتُ الأكمـة فناديتُ ثلاثة أصوات: يا صباحاه! ثمّ خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول:

[خُـذهـا] وأنـا ابنُ الأكْـوَعْ والـيـوْمُ يـوْمُ الـرُّضَّـعْ

قال: فَوَالله ما زلتُ أرميهم وأعقر بهم، فإذا خرج إليّ فارس قعدتُ في أصل شجرة فرميته فعقـرت به، وإذا دخلوا في مضـايق الجبل رميتهم بـالحجارة من فـوقهم، فما زلتُ كذلك حتّى ما تركتُ من ظهر رسول الله، ﷺ، بعيراً إلاّ جعلته وراء ظهـري، وخلّوا بيني وبينه، وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بُـردة يستخفّون بهـا، لا يُلقُون شيئـاً إلاّ جعلت عليـه أمارة، أي عـلامة، حتى يعـرفـه أصحـاب رسـول الله، ﷺ، حتى [إذا] انتهـوا إلى متضايق من ثنيّة أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر مُمِدّاً، فقعدوا يَتضحّون[3]، فلمّـا رآني قال: ما هذا؟ قالوا: لقينا منه البَرْح وقد استنقذ كلّ ما بأيدينـا[4]، فما بـرحتُ مكاني حتّى أبصـرتُ فوارس رسـول الله، ﷺ، يتخلّلون الشجر، أوّلهم الأخْـرم الأسدي واسمـه مُحْرز بن نَضْلة من أسد بن خُزَيْمة، وعلى أثره أبو قَتادة، وعلى أثرهما المِقْداد بن عمـرو الكِنديّ، فأخذت بعنان الأخـرم وقلتُ: احذرِ القـوم لا يقتطعـوك حتى تلحق رسول الله، ﷺ، وأصحـابه، فقـال: يا سلمـة إن كنت تؤمن بالله واليـوم الآخـر فـلا تَحُـلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيتُـهُ، فالتقى هـو وعبد الـرحمن بن عُيَيْنَة، فعقـر الأخرم بعبـد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الـرحمن فقتله، وتحوّل عبـد الرحمن على فـرس الأخرم، [ولحِق أبـو قتادة فارسُ رسول الله، ﷺ، بعبد الرحمن فطعنه]، فانطلقوا هاربين. قال سلمة: فوالذي

---

(١) أي الطبري ٢/٥٩٦.

(٢) الظّهر: الإبل تُعَدّ للرّكوب أو حمل الثّقل.

(٣) في الأوربية: يصحون. (ويتضحّون: أي يأكلون وقت الضُّحى).

(٤) في الطبعة الأوربية «يلينا».

كرّمٍ وجه محمّد لأتبعنّهم أعدو على رجلَيّ، حتّى ما أرى من أصحاب محمّد ولا غبارهم شيئاً[1].

وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء، يقال له ذو قَرَد، يشربون منه وهم عِطَاش، فنظروا إليّ أعدو في آثارهم، فحلّيتهم[2] فما ذاقوا منه قطرة، قال: واشتدّوا في ثنيَّة[3] ذي أبهر[4] فأرشق بعضهم بسهم فيقع في نُغض[5] كتفه، فقلتُ:

خُذْها وأنا ابنُ الأكوعْ والـيـوم [يومُ] الرُّضَّعْ

وإذا فَرَسان على الثنيّة، فجئتُ بهما أقودهما إلى النبيّ، ﷺ.

ولحقني عمي عامر بسطيحة، فيها مَذْقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضّأت وصلّيتُ وشربتُ، ثمّ جئتُ إلى النبيّ، ﷺ، وهو على الماء الذي حلّيتهم[6] عنه بذي قَرَد، وإذا رسول الله، ﷺ، قد أخذ تلك الإبل التي استنقذتُ من العدوّ، وكلّ رمح، وكلّ بُردة، وإذا بلال قد نحر له ناقة من الإبل وهو يشوي منها، فقلتُ: يا رسول الله خلّني أنتخب مائة رجل، فلا يبقى منهم عين تطرف. فضحك وقال: إنّهم ليُقرونَ[7] بأرض غطفان[8]. فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جَزُوراً، فلمّا كشطوا[9] عنها جلدها رأوا غباراً، فقالوا: أُتيتم[10]، فخرجوا هاربين.

فلمّا أصبحنا قال رسول الله، ﷺ: خير فرساننا أبو قَتادة، وخير رجالنا[11] سَلَمَة بن الأكوع، ثمّ أعطاني رسول الله، ﷺ، سهم الفارس وسهم الراجل، ثمّ أردفني وراءه على العَضْباء. فبينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يُسبَقُ شَدّاً[12]، فقال: ألا من مُسابق؟ مراراً، فقلتُ: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، إيذن لي فلأسابق الرجل. قال: إنْ

---

(١) الطبري ٢/٥٩٧، ٥٩٨.
(٢) في الطبعة الأوربية «فخلّيتهم». وحلّيتهم: أي طردتهم وأجليتهم.
(٣) في إحدى النسخ «ندبه»، وفي الطبعة الأوربية «بيت».
(٤) في إحدى النسخ «أبتر».
(٥) في الطبعة الأوربية «بعض».
(٦) في الطبعة الأوربية «جلاهم».
(٧) في الطبعة الأوربية «ليغزوّن»، وفي سيرة ابن هشام ٣/٢٣١ «ليغبقون».
(٨) سيرة ابن هشام ٣/٢٣١، تاريخ الطبري ٢/٦٠٣.
(٩) في صحيح مسلم ٣/١٤٣٣ «كشفوا».
(١٠) في الصحيح «أتاكم القوم».
(١١) في الصحيح، والطبري «رجّالتنا».
(١٢) في الطبعة الأوربية «يسبقه شيء».

شئتَ. قال: فطفرتُ وربطتُ شرفاً أو شرفين فألحقه فقلت: سبقتك والله! فسبقته إلى المدينة، فلم نمكث بها إلّا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خَيْبر[1].

وفي هذه الغزوة نودي: يا خيل الله اركبي، ولم يكن يقال قبلها.

(قَرَد بفتح القاف والراء).

ذكر غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعة[2]

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت في شعبان من السنة (سنة ستٍّ). وكان بلغ رسولَ الله، ﷺ، أن بني المُصْطَلِق تجمّعوا له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُوَيْرِيَة زوج النبيّ، ﷺ، فلمّا سمع بهم خرج إليهم، فلقيهم بماء لهم يقال له المُرَيْسيع، بناحية قُدَيْد، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، وقُتل من قُتل منهم، وأُصيب رجل من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صُبابة أخو مِقْيَس بن صُبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت بسهم، وهو يُرَى أنّه من العدوّ فقتله خطأً.

وأصاب رسول الله، ﷺ، سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين، وفيهم جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرار، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شَمّاس، أو لابن عمٍّ له، فكاتبته عن نفسها، فأتت رسول الله، ﷺ، فاستعانته في كتابتها، فقال لها: هل لكِ في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوّجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل، وسمع الناسُ الخبر فقالوا: أصهار رسول الله؛ فأعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بني المصطلِق، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها[3].

وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بني غِفار، يقال له جَهْجاه، فازدحم هو وسِنان الجُهَنيّ، حليف بني عَوْف من الخزرج، على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنيّ: يا معشر الأنصار! وصرخ جَهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبدُ الله بن أُبَيّ بن سلول، وعنده رهْط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ. فقال: أقد فعلوها! قد كاثرونا في بلادنا! أمَا والله ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٤٣٣ - ١٤٤١، ورواه الطبري ٢/٦٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٣٥، تاريخ الطبري ٢/٦٠٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٣، المغازي لعروة ١٩٠، تاريخ خليفة ٨٠، عيون الأثر ٢/٩١، الدرر لابن عبد البر ٢٠٠، عيون التواريخ ١/٢٢٨، سيرة ابن كثير ٣/٢٩٧، البداية والنهاية ٤/١٥٦، تاريخ الإسلام ٣٤٩، المغازي للواقدي ١/٤٠٤ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٢/٦٣ - ٦٥، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٣٣٦، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٩، المحبّر ١١٤، نهاية الأرب ١٧/١٦٤ - ١٦٦، مجمع الزوائد ٦/١٤٢، ١٤٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٢٤٠، ٢٤١.

إلى المَدِينَة **لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾**[1]! ثمّ أقبل على مَنْ حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم! والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم.

فسمع ذلك زيد، فمشى به إلى النبيّ، ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله، ﷺ، من غزوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطّاب، فقال: يا رسول الله مُرْ به عَبّاد بن بِشْر فليقتله. فقال رسول الله، ﷺ: «كيف إذا تحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه! ولكن أذنّ بالرحيل». فارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها، ليقطع ما الناس فيه[2].

فلقيه أُسَيْد بن حُضَير فسلّم عليه وقال: يا رسول الله لقد رُحْتَ في ساعة لم تكن تروح فيها. فقال: «أوَما بلغك ما قال عبد الله بن أُبَيّ»؟ قال: وماذا؟ قال: «زعم إنْ رجع إلى المدينة، لَيُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ». قال أُسَيْد: فأنت والله تُخْرجه إن شئتَ، فإنّك العزيز وهو الذليل، ثمّ قال: يا رسول الله ارفقْ به فوالله لقد منّ الله بك، وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ليتوّجوه، فإنّه ليرى أنّك قد استلبتَهُ مُلْكاً[3].

وسمع عبد الله بن أُبَيّ أنّ زيداً أعلم النبيّ، ﷺ، قوله فمشى إلى رسول الله، ﷺ، فحلف بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلّمتُ به. وكان عبد الله في قومه شريفاً، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ، وأنزل الله: **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾**[4]؛ تصديقاً لزيد، فلمّا نزلت أخذ رسولُ الله، ﷺ، بأُذُن زيد وقال: هذا الذي أوفى الله بأُذُنه[5].

وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول ما كان من أمر أبيه، فأتى النبيَّ، ﷺ، فقال: يا رسول الله بلغني أنّك تريد قتل أبي، فإنْ كنتَ فاعلاً فمرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أن تأمر غيري بقتله، فلا تَدَعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأُدْخَل النار. فقال النبيّ، ﷺ: بل نرفق به ونُحْسن صحبته[6] ما بقي معنا[7]. فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً عاتبه قومه وعنّفوه وتوعّدوه،

---

(1) سورة المنافقين، الآية ٨.
(2) سيرة ابن هشام ٣/٢٣٨، الطبري ٢/٦٠٨، ٦٠٩، التفسير ٢٨/٧٥، ٧٦.
(3) سيرة ابن هشام ٣/٢٣٧، الطبري ٢/٦٠٦.
(4) سورة المنافقين ـ الآية ١.
(5) سيرة ابن هشام ٣/٢٣٨، الطبري ٢/٦٠٧.
(6) في إحدى النُسخ «مجتبه».
(7) في النسخة (ب): «حياً».

فقال رسول الله، ﷺ، لعمر بن الخطّاب حين بلغه ذلك عنهم: «كيف ترى ذلك يا عمر؟ أمَا والله لو قتلتُه يوم أمرتَني بقتله لأُرْعِدَتْ له آنُف، لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتْه». فقال عمر: أمر رسول الله أعظم بركة من أمري[1].

وفيها قدِم مِقْيَس بن صُبابة مسلماً فيما[2] يُظْهِر، فقال: يا رسول الله جئتُ مسلماً وجئت أطلب دِية أخي، وكان قُتل خطأً؛ فأمر له بدِية أخيه هشام بن صُبابة، وقد تقدّم ذِكْر قتْله آنفاً، فأقام عند رسول الله، ﷺ، غير كثير، ثمّ عدا على قاتل أخيه فقتله، ثمّ خرج إلى مكّة مرتدّاً فقال:

شفَى النفسَ أن قد باتَ في القاع مُسنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه[3] دماءُ الأخادعِ[4]
وكانتْ هُمُومُ النّفس من قبلِ قتلِهِ ... تُلِمّ، فتحميني وِطاءَ المَضاجعِ
حللتُ به نذري[5] وأدركتُ ثُؤرَتي ... وكنتُ إلى الأصنامِ[6] أوّلَ راجعِ[7]

(مِقْيَس: بكسر الميم، وسكون القاف، وفتح الياء تحتها نقطتان. وصُبابة: بصاد مهملة، وببائَين موحّدتَين بينهما ألف. وأسيد: بهمزة مضمومة. وحُضَير: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الضاد).

حديث الإفْك[8]

وكان حديث الإفك في غزوة بني المصطلِق:

لما رجع رسول الله، ﷺ، فكان ببعض الطريق قال أهل الإفك ما قالوا. وكان من حديثه ما رُوي عن عائشة، قالت: كان رسول الله، ﷺ، إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه، فلمّا كانت غزوة بني المصطلِق أقرع بين نسائه، فخرج سهمي، فخرج بي معه، وكانت النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[9] لم يتفكّهنَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٣٩، الطبري ٢/٦٠٨، ٦٠٩.
(٢) في الطبعة الأوربية «فلم».
(٣) في النسخة (ب): «ثوبيه روى بن».
(٤) الأخادع: عروق القفا، وإنما هما أخدعان، فجمعهما مع ما يليهما.
(٥) في السيرة، وتاريخ الطبري «وتري».
(٦) في السيرة، والطبري «الأوثان».
(٧) أنظر بيتاً رابعاً في السيرة ٣/٢٣٩، والطبري ٢/٦٠٩.
(٨) سيرة ابن هشام ٣/٢٤٣، تاريخ الطبري ٢/٦١٠، تاريخ خليفة ٨٠، عيون الأثر ٢/٩٦، عيون التواريخ ١/٢٣٠، سيرة ابن كثير ٣/٣٠٤، البداية والنهاية ٤/١٦٠، صحيح البخاري ٥/٥٥ - ٦١ باب حديث الإفك، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٦٩، المغازي للزهري ١١٦ - ١٢٢.
(٩) العُلَق: ما فيه بُلغة من الطعام إلى وقت الغداء.

بـاللحم[1]، وكنتُ إذا وصل بعيـري جلستُ في هودجي، ثمّ يـأتي القـوم الـذي يـرحّلون بعيري، فيحملون الهودج وأنا فيه، فيضعـونه على ظهـر البعير، ثمّ يـأخذون بـرأس البعير ويسيرون.

قالت: فلمّا قفل رسول الله، ﷺ، من سفـره ذلك، وكـان قريبـاً من المدينـة، بات بمنزلٍ بعض الليل، ثمّ ارتحل هو والنّاس، وكنتُ قد خرجتُ لبعضِ حاجتي، وفي عنقي عِقْدٌ لي من جَزْعِ ظَفـار، انسـلّ من عنقي ولا أدري، فلمّـا رجعتُ التمستُ العقـدَ فلم أجده، [وأخذ النّـاسُ بالـرَّحيل]، فـرجعتُ إلى المكان الـذي كنتُ فيه ألتمسـه فوجـدتُهُ، وجاء القوم الذين يرحّلون بعيـري، فأخـذوا الهودج وهم يـظنّون أنّي فيـه، فاحتملوه على عـادتهم وانـطلقـوا، ورجعتُ إلى المعسكـر ومـا فيـه داعٍ ولا مجيب، فتلفّفتُ بجلبـابي واضطّجعتُ مكاني، وعرفتُ أنّهم يرجعون إليّ إذا افتقدونّي.

قالت: فوالله إنّي لمضـطّجعة إذ مـرّ بي صَفوان بن المُعَـطَّل السُّلَميّ، وكان تخلّف عن العسكـر لحـاجتـه، فلم يبتْ مـع النـاس، فلمّـا رأى ســوادي أقبـل حتى وقف عليّ فعـرفني، وكان رآني قبـل أن يُضرب الحجـاب، فلمّا رآني استـرجع وقـال: ما خلّفـك؟ قالت: فما كلّمتُهُ، ثمّ قرّب البعير وقال: اركبي. فركبتُ، وأخذ برأس البعير مسرعاً.

فلمّا نزل الناس واطمأنّـوا طلع الرجـل يقودني، فقـال أهل الإفـك [فيَّ] ما قـالوا، فـارتعج[2] العسكـر، ولـم أعلم بشيء من ذلك، ثمّ قـدِمنـا المـدينـة، فـاشتكيتُ شكـوى شديدة، وقد انتهَى الحديث إلى رسـول الله، ﷺ، وإلى أبويّ ولا يـذكران لي منه شيئاً، إلاّ أنّي أنكـرتُ من رسول الله، ﷺ، بعض لُـطْفه، فكـان إذا دخـل عليّ وأمّي تمـرّضني قال: كيف تيكُم؟ لا يزيد على ذلك، فوجدت في نفسي ممّا رأيتُ من جفائه، فاستـأذنته في الإنتقال إلى أمّي لتمرّضني، فأذِن لي، وانتقلتُ ولا أعلم بشيء ممّا كان، حتّى نقهتُ من وجعي بعد بضعٍ وعشرين ليلة.

قالت: وكنّا قوماً عرباً لا نتّخذ في بيوتنـا هذه الكُنُف، نعـافها ونكـرهها، إنّمـا كان النساء يخرجن كلّ ليلة، فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي، ومعي أمّ مِسْطَح ابنـة أبي رُهْم بن المطّلب، وكانت أمّها خالـة أبي بكر الصدّيق، قالت: فـوالله إنها لتمشي، إذ عثـرت في مِرطها فقالت: تَعِسَ مِسطحٌ. قالت: قلتُ: لعمرُ الله بئس ما قلتِ لرجـل من المهاجـرين قد شهد بدراً! قالت: أوَما بلغكِ الخبر؟ قلتُ: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان. قـالت:

---

(1) عبارة الطبري «إنّما يأكلن العُلق لم يهيجّن اللحم فيثقُلْن».

(2) في الطبعة الأوربية «فارتجع»، وهكذا في طبعة السيرة لابن هشام، وفي طبعة أخرى «ارتعج»، كما هو مثبت أعلاه، بمعنى تحرّك واضطرب.

فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي، فرجعتُ، فما زلتُ أبكي حتّى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع كبِدِي، وقلتُ لأمّي: تحدّث الناس بما تحدّثوا، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أيْ بُنيّة خفِّضي عليك، فوالله قَلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبّها لها ضرائر، إلاّ كثّرن، وكثّر[1] الناس عليها. قالت: وقد قام رسول الله، ﷺ، في الناس فخطبهم، ولا أعلم بذلك، ثمّ قال: أيّها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهنّ غير الحقّ، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ عليه إلاّ خيراً، وما دخل بيتاً من بيوتي إلاّ معي.

وكان كُبْر ذلك عند عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، في رجال من الخزرج، مع الذي قال مِسْطح، وحَمْنة بنت جَحْش، وذلك أنّ زينب أختها كانت عند رسول الله، ﷺ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تُضارّني لأختها، فلمّا قال رسول الله، ﷺ، تلك المقالة قال أُسَيْد بن حُضَير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نَكْفِكَهُمْ[2]، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمُرْنا بأمرك. فقال سعد بن عُبادة: والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ وقد عرفتَ أنّهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا.

فقال أُسَيْد: كذبتَ ولكنّك منافق تجادل عن المنافقين. وتثاور الناس حتى كاد يكون بينهم شرّ، ونزل رسول الله، ﷺ، ودعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما. فأما أسامة فاثنى خيراً وأما علي فقال: إنّ النساء لكثير وسلِ الخادم تَصْدُقْك، فدعا رسول الله، ﷺ، بَريرَة يسألها، فقام إليها عليّ، فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: اصدقي رسول الله. فقالت: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنتُ أعيبُ عليها، إلاّ أنّها كانت تنام عن عجينها، فيأتي الداجن فيأكله[3].

ثمّ دخل عليّ رسول الله، ﷺ، وعندي أبوايَ وامرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا عائشة إنّه قد كان ما بلغك من قول الناس، فإن كنتِ قارفتِ سوءاً فتوبي إلى الله.

قالت: فوالله لقد تقلّص دمعي، حتّى ما أُحسّ منه شيئاً، وانتظرتُ أبويَّ أن يُجيباه، فلم يفعلا، فقلت: ألا تجيبانه؟ فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه! وما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيّام. فلمّا استعجما بكيتُ ثمّ قلت: والله لا

---

(١) في الطبعة الأوربية «كبّرن وكبّره».

(٢) في الطبعة الأوربية «نكفيهم»، والمثبت يتفق مع السيرة.

(٣) في الطبعة الأوربية «الداخن فيأكلها».

أتوب إلى الله ممّا ذكرتَ أبداً، والله لئن أقررتُ ـ والله يعلم أنّي منه بريئة ـ لتصدّقني، ولئن أنكرت لا تصدّقني. ثمّ التمستُ اسم يعقوب، فلم أجده، فقلت: ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1]، ولشأني كأنّي أصغر في نفسي أن ينزّل الله فيَّ قرآناً يُتلى، ولكنّي كنتُ أرجو أن يرى رُؤيا يكذّب الله بها عني.

قالت: فوالله ما برح رسول الله، ﷺ. من مجلسه حتى جاءه الوحي، فسُجّيَ بثوبه، فأمّا أنا فوالله ما فزعت ولا باليتُ، قد عرفت أنّي بريئة، وأنّ الله غير ظالمي، وأمّا أبوايَ فما سُرّي عن رسول الله، ﷺ، حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسهما فرَقاً [من] أن يحقّق الله ما قال الناس.

قالت: ثمّ سُرّي عن رسول الله، ﷺ، وإنّه ليتحدّر عنه مثل الجُمان، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشِري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله! ثمّ خرج إلى الناس فخطبهم، وذكر لهم ما أنزل الله فيّ من القرآن، ثمّ أمر بمِسْطَح بن أُثاثة، وحسّان بن ثابت، وحَمْنة بنت جَحْش، وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدّهم، وحلف أبو بكر لا يُنفق على مِسطح أبداً، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾[2] الآية؛ فقال أبو بكر: إنّي أحبّ أن يغفر الله لي؛ ورجّع إلى مِسطح نفقته. ثمّ إنّ صفوان بن المُعَطّل اعترض حسّان بن ثابت بالسيف فضربه، ثمّ قال:

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عَنّي[3] فإنّني غلامٌ إذا هوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابت بن قيس بن شَمّاس، فجمع يديه إلى عنقه، وانطلق به إلى الحارث بن الخزرج، فلقِيه عبد الله بن رَواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسّانَ وما أراه إلّا قتله. فقال عبدُ الله: هل علم رسول الله، ﷺ، بشيء ممّا صنعتَ؟ [قال: لا والله]، قال: لقد اجترأتَ، أَطلقِ الرجل، فأطلقه، فذكر ذلك لرسول الله، ﷺ، فدعا حسّانَ، وصفوان بن المعطّل، فقال صفوان: هجاني يا رسول الله وآذاني، فضربتُهُ. فقال رسول الله، ﷺ، لحسّان: «أحسِن يا حسّان». قال: هي لك يا رسول الله، فأعطاه رسول الله، ﷺ، عوضاً منها بَيْرَحاء، وهي قصر بني حُدَيْلة، بالحاء المهملة؛ وأعطاه شيرينَ، أَمَة قبطيّة، وهي أخت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله، فولدتْ له ابنَه عبد الرحمن، وكان صفوان حصوراً

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٢) سورة النور ـ الآية ٢٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «عنك».

لا يأتي النساء، ثمّ قُتل بعد ذلك شهيداً[1].

(مِسْطَح: بكسر الميم، وسكون السين المهملة، وبالطّاء والحاء المهملتين).

ذكر عُمرة الحُدَيْبية[2]

في هذه السنة خرج رسول الله، ﷺ، معتمراً في ذي القعدة، لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار، ومَنْ تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة، وقيل: ألف وخمسمائة، وقيل: ثلاثمائة. وساق الهدْي معه سبعين بدنة، ليعلم الناس أنّه إنّما جاء زائراً للبيت. فلمّا بلغ عُسْفان لقيه بُسْر بن سفيان الكعبيّ فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك، فاجتمعوا بذي طَوىً يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدّموا خالد بن الوليد إلى كُراع الغَميم.

وقيل: إنّ خالداً كان مع النبيّ، ﷺ، مسلماً، وإنّه أرسله، فلقي عِكرمة بن أبي جهل فهزمه؛ والأوّل أصحّ.

ولما بلّغه بُسر ما فعلت قريش قال رسول الله، ﷺ: «يا ويح قريش قد أكلتْهم الحرب! ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرين، والله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يُظْهره الله أو تنفرد هذه السالفة»[3].

ثمّ خرج على غير الطريق التي هم بها، وسلك ذات اليمين، حتّى سلك ثنيّة المُرار على مَهْبط الحُدَيْبية، فبركت به ناقته، فقال الناس: خلأتْ. فقال: ما خلأتْ ولكنْ حبسها حابس الفيل [عن مكة]، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة يسألوني فيها صِلة الرحم إلاّ أعطيتهم إيّاها. ثمّ قال للناس: انزلوا. فقالوا: ما بالوادي ماء. فأخرج سهماً من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قَلِيب من تلك القُلُب، فغرزه في جوفه. فجاش الماء بالريّ حتى ضرب الناس عنه بعَطَن، وكان اسم الذي أخذ السهم

---

(١) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ٣/٢٤٣ ـ ٢٤٨، وتاريخ الطبري ٢/٦١١ ـ ٦١٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٥، تاريخ الطبري ٢/٦٢٠، المغازي لعروة ١٩٢، المغازي للواقدي ٢/٥٧١، البدء والتاريخ ٤/٢٢٤، الطبقات الكبرى ٢/٩٥، أنساب الأشراف ١/٣٤٩، الدرر ٢٠٤، جوامع السيرة ٢٠٧، عيون الأثر ٢/١١٣، البداية والنهاية ٤/١٦٤، تاريخ خليفة ٨١، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٤، عيون التواريخ ١/٢٣٨، نهاية الأرب ١٧/٢١٧، سيرة ابن كثير ٣/٣١٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، المعارف ١٦٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٦٣، المحبّر ١١٥، صحيح البخاري ٥/٦١ ـ ٧٠، صحيح مسلم، في الجهاد ٩٠ ـ ٩٧ صفحة ١٤٠٩ ـ ١٤١٣، مرآة الجنان ١/١١، مجمع الزوائد ٦/١٤٤ ـ ١٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٦، ٢٥٧.

ناجية بن عُمَير سائق بُدن النبيّ، ﷺ.

فبينما هم كذلك أتاهم بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ في نفر من قومه خُزاعة، وكانت خُزاعة عَيْبة نُصح رسول الله، ﷺ، من تِهامة، فقال: تركتُ كعب بن لُؤيّ، وعامر بن لؤيّ [قد نزلوا] أعْدادَ[1] مياه الحديبية، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. فقال النبيّ، ﷺ: إنّا لم نأتِ لقتال أحد، ولكنّا جئنا معتمرين، وإنْ شاءت قريش ماددناهم مدّة، ويخلّوا بيني وبين الناس، وإنْ أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتّى تنفرد سالفتي.

فانطلق بُدَيْل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبيّ، ﷺ، فقام عُرْوة بن مسعود الثقفيّ فقال: إنّ هذا الرجل عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، دَعوني آتِهِ. فقالوا: ائتِهِ. فأتاه وكلّمه، فقال له: يا محمّد جمعتَ أوشاب[2] الناس، ثمّ جئت بهم إلى بيضتك لتفضّها بهم[3]، إنّها قريش خرجت معها العُوذ المَطافيل[4] قد لبسوا جلود النّمور: يعاهدون الله إنّك لا تدخلها عليهم عَنوةً أبداً، وايمُ الله لكأنّي بهؤلاء قد تكشّفوا عنك غداً. فقال أبو بكر: امصصْ بَظْرَ اللّات! أنحن ننكشف عنه؟ [قال: من هذا يا محمد؟] قال النبيّ، ﷺ: «هذا ابن أبي قُحافة».

فقال: أما والله لولا يد لك عندي لكفأتُك بها. ثمّ جعل يتناول لحية رسول الله، ﷺ، وهو يكلّمه، والمُغيرة بن شُعْبة واقف على رأس رسول الله، ﷺ، في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناولها ويقول له: اكففْ يدك قبل أن تصل إليك. فقال [عُروة]: مَنْ هذا؟ قال النبيّ، ﷺ: «هذا ابن أخيك المغيرة». فقال: أي غُدَرُ! وهل غسلت سوأتك [إلّا] بالأمس؟ وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وهرب، فتهايجَ الحيّان بنو مالك رهْط المقتولين، والأحلاف رهْط المغيرة، فودى عُروة للمقتولين ثلاث عشرة ديةً، وأصلح ذلك الأمر.

وطال الكلام بينهما، فقال له النبيّ، ﷺ، نحو مقالته لبُديل، فقال له عُروة: يا محمّد أرأيتَ إن استأصلتَ قومك، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وجعل يرمق أصحاب النبيّ، ﷺ، فوالله لا يتنخّم النبيّ نخامةً إلّا وقعت في كفّ

---

(١) في الأوربية: عدّدا. (والأعداد، جمع عِدّ: الماء الدائم الذي له مادّة لا انقطاع لها).

(٢) في الأوربية: أوباش. (والأوشاب: الأخلاط).

(٣) في الأوربية: جئت بهم لبعض فعل بهم. (وما أثبتناه عن ابن هشام ٣/ ٢٦٠).

(٤) العُوذ: الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمّهات اللاتي معها أطفالها، والمراد أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون أدعى إلى عدم الفرار. (شرح المواهب ٢/ ١٨٧).

أحدهم، فدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإنْ أمَرَهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له.

فرجع عُروة إلى أصحابه وقال: أي قوم، وفدتُ على كسرى وقيصر والنجاشيّ، فَوَالله ما رأيتُ ملكاً قطّ يُعظّمه أصحابه ما يُعظّم أصحاب محمّدٍ محمّداً! وحدّثهم ما رأى وما قال النبيّ، ﷺ.

فقال رجل من كِنانة اسمه الحُلَيْس بن علقمة، وهو سيّد الأحابيش: دعوني آتِهِ. [فقالوا: ائتِهِ]. فلمّا رآه النبيّ، ﷺ، قال: «[هذا فلان، هو] من قومٍ يعظّمون البُدن، فابعثوا الهدْي في وجهه»، فلمّا رأى الهدْي رجع إلى قريش ولم يصلْ إلى النبيّ، ﷺ، فقال: يا قوم قد رأيتُ ما لا يحلّ صدّه، الهدْي في قلائده. فقالوا: اجلس فإنّما أنت أعرابيّ لا علم لك. فقال: والله ما على هذا حالفناكم أن تصدّوا عن البيت مَنْ جاء معظّماً له، والذي نفسي بيده لتُخَلُّنّ بين محمّد وبين البيت، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا: مَهْ! كُفّ عنّا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا.

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص فقال: دعوني آتِهِ. فقالوا: افعلْ. فلمّا أشرف على النبيّ، ﷺ، قال لأصحابه: هذا رجل فاجر، فجعل يكلّم النبيّ، ﷺ، فبينما هو يكلّمه إذ جاء سُهَيل بن عمرو، فلمّا جاء قال النبيّ: «سُهّل أمركم»(١).

وقال ابن إسحاق: إنّ قريشاً إنّما بعثت سُهَيْلاً بعد رسالة رسول الله، ﷺ، مع عثمان بن عفّان. قال: لما رجع عُروة بن مسعود إلى قريش بعث رسول الله، ﷺ، خِراش بن أميّة الخُزاعيّ إلى قريش على جمل له يقال له الثّعلب ليبلّغ عنه، فعقروا به جمل رسول الله، ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، وخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله، ﷺ، فدعا رسولُ الله، ﷺ، عمرَ ليرسله [إلى مكّة]، فقال: ليس بمكّة من بني عديّ مَنْ يمنعني، وقد علمتْ قريش عداوتي لها، وأخافها على نفسي، فأرسلْ عثمان فهو أعزّ بها منّي.

[فدعا عثمانَ] فأرسله ليبلّغ عنه، فانطلق، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره، فأتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول الله، ﷺ، فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة: إن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُفْ به، فقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به النبيّ، ﷺ. فاحتبسته قريش عندها، فبلغ النبيّ، ﷺ، أنّه قد قُتل، فقال: «لا نبرح حتى نناجز القومَ»(٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣١، ٦٣٢.

ثمّ دعا الناسَ إلى البيعة، فبايعوه تحت الشجرة، وهي سَمُرَة، لم يتخلّف منهم أحد إلاّ الجَدّ بن قيس، وكان أوّلَ مَنْ بايعَه رجل من بني أسد يقال له أبو سِنان. ثمّ أتى الخبرُ أنّ عثمان لم يُقْتَلْ[1].

ثمّ بعثت قريش سُهَيْل بن عمرو أخا بني عامر بن لُؤيّ إلى النبيّ، ﷺ، ليصالحه على أن يرجع عنهم عامَهُ ذلك، فأقبل سهيل إلى النبيّ، ﷺ، وأطال معه الكلام وتراجعا، ثمّ جرى بينهم الصلح، فدعا رسولُ الله، ﷺ، عليّ بن أبي طالب، فقال: «اكتبْ باسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا نعرف هذا، ولكن اكتبْ: باسمك اللهمّ، فكتبها، ثمّ قال: اكتبْ: «هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله سُهَيْل بن عمرو» - فقال سهيل: لو نعلم أنّك رسول الله لم نقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال لعليّ: «امحُ رسولَ الله». فقال: لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله، ﷺ، وليس يُحْسن يكتب، فكتب موضع رسول الله: محمّد بن عبد الله، وقال لعليّ: لتبلَينّ بمثلها - اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنْه من أتى منهم رسول الله بغير إذن وليّه ردّه إليهم، ومَنْ جاء قريشاً ممّنْ مع رسول الله لم يردّوه [عليه]، ومن يحبّ أن يدخل في عهد رسول الله دخل، ومَن أحبّ أن يدخل في عهد قريش دخل.

فدخلتْ خُزاعة في عهد رسول الله، ﷺ، ودخلتْ بنو بكر في عهد قريش، وأن يرجع رسول الله، ﷺ، عنهم عامه ذلك، فإذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتَها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً وسلاح الراكب السيوف في القُرُب.

فبينا النبيّ، ﷺ، يكتب الكتاب إذ جاء أبو جَنْدل، ابن سُهَيْل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلَتَ إلى رسول الله، ﷺ، وكان أصحاب النبيّ، ﷺ، لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله، ﷺ، فلمّا رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون. فلمّا رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه وقال: يا محمّد قد تمّت القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقتَ، وأخذه ليردّه إلى قريش، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني! فزاد الناس شرّاً إلى ما بهم، فقال له رسول الله، ﷺ: «احتسبْ فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعَفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد أعطينا القومَ عهودنا على ذلك فلا نغدر بهم». قال: فوثب عمر بن الخطّاب يمشي مع أبي جندل ويقول له: اصبرْ واحتسبْ فإنّما هم المشركون، وإنّما دم أحدهم دم كلب! وأدنى قائم السيف منه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه، قال: فبخل الرجل بأبيه.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٢، الطبري ٢/٦٣٣.

وشهد على الصلح جماعةٌ من المسلمين فيهم أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عَوْف، وغيرهم، وجماعة من المشركين[1].

فلمّا فرغ النبيّ، ﷺ، من قضيّته قال: «قوموا فانحروا ثمّ احلقوا»، فما قام أحد حتّى قال ذلك مراراً[2]، فلمّا لم يقم أحد منهم دخل على أمّ سَلَمَة فذكر لها ذلك، فقالت: يا نبيّ الله اخرجْ ولا تكلّمْ أحداً منهم حتى تنحر بُدنك وتحلق شعرك، ففعل، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً. فما فُتح في الإسلام قبله فتح كان أعظم منه، حيث أمن الناس كلّهم، فدخل في الإسلام تَيْنك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر[3].

فلمّا قدِم رسول الله، ﷺ، المدينةَ جاءه أبو بَصير عُتبة بن أَسيد بن جارية الثقفي، وهو مسلم، وكان ممّن حُبس بمكّة، فكتب فيه الأزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شَريق، وبعثا فيه رجلاً من بني عامر بن لُؤيّ، ومعه مولى لهم، فقال له رسول الله، ﷺ: «قد علمتَ أنّا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً، ولا يصلحُ الغدر في ديننا». فانطلق معهما إلى ذي الحُلَيْفَة فجلسوا، وأخذ أبو بصير سيف أحدهما فقتله به، وخرج المولى سريعاً إلى النبيّ، ﷺ، فأخبره بقتل صاحبه، ثمّ أقبل أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وفتْ ذِمّتك وأنجاني الله منهم. فقال رسول الله، ﷺ: «ويلُ امّهِ مِسعر حرب لو كان له رجال»!

فلمّا سمع ذلك عرف أنّه سيردّه إليهم، فخرج أبو بَصير حتّى نزل بناحية ذي المَرْوة على ساحل البحر، على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا [احتُبسوا] بمكّة ذلك، فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فضيّقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم، فأرسلت قريش إلى النبيّ، ﷺ، يناشدونه الله والرَّحِمَ لمّا أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فآواهم رسول الله، ﷺ[4].

وفيها نزلت سورة الفتح، وهاجر إلى رسول الله، ﷺ، نسوة مؤمنات، فيهنّ أمّ كلثوم ابنة عُقْبة بن أبي مُعَيْط، فجاء أخوها عُمارةُ والوليد يطلبانها، فأنزل الله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُؤمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُن إلى الكُفّارِ﴾[5] الآية؛ فلم يرسل امرأة مؤمنة إلى مكّة. وأنزل الله: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾[5]؛ فطلّق عمر بن الخطّاب امرأتين له،

---

(1) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٥، الطبري ٢/٢٣٦، ٢٣٧.

(2) في إحدى النسخ «ثلاثاً».

(3) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٥، الطبري ٢/٦٣٨.

(4) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٩، ٢٧٠، الطبري ٢/٦٣٩.

(5) سورة الممتحنة ـ الآية ١٠.

إحـداهما قُـرَيْبة بنت أبي أميّـة، والثانيـة أمّ كلثوم بنت عمـرو بن جَرْول الخُـزاعيّ، وهما مشركتان، فتزوّج أمّ كلثوم أبو جَهْم بن حُذَيْفة بن غانم[1].

(بُسْـر: بضمّ الباء المـوحّدة، وسكـون السين المهملة، وآخره راء. بَصيـر: بالبـاء الموحّدة المفتوحة، والصاد المهملة المكسورة، والياء الساكنة تحتها نقـطتان، وآخـره راء أيضـاً. وأُسيـد: بفتـح الهمـزة، وكسـر السين. وجـاريـة: بـالجيم، وآخـره راء أيضـاً. والحُلَيْس: بضمّ الحـاء المهملة، وفتح الـلام، وبعده يـاء تحتهـا نقـطتـان، وآخـره سين مهملة).

وفيها كانت عدّة من سرايا وغزوات

منهـا **سريّـة عُكّاشـة بن مِحْصن** في أربعين رجلاً إلى الغَمْـر[2]، فنـذِر[3] بهم القـومُ فهـربوا، فسعت الـطلائع فـوجدوا مـائتي بعير فـأخذوهـا إلى المدينـة، وكـانت في ربيـع الآخر[4].

ومنها **سريّة محمّد بن مَسْلمة**[5]، أرسله رسول الله، ﷺ، في عشرة فوارس في ربيع الأوّل إلى بني ثعلبة بن سعد، فكمن القوم له حتى نام هو وأصحابه وظهروا عليهم، فقُتل أصحابه، ونجا هو وحده جريحاً.

ومنهـا **سريّـة أبي عُبيدة بـن الجـرّاح**[6] إلى ذي القَصّة، في ربيـع الآخر في أربعين رجلاً، فهرب أهله منهم وأصابوا نَعماً، ورجلاً [واحداً] أسلم فتركه رسول الله، ﷺ.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٧٣، الطبري ٢/٦٤٠.

(٢) في الأصول والمطبوع «العَمْق». وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام، وغيره. والغَمْر: ماء من مياه بني أسد على ليلتين من فَيْد، طريق الأول إلى المدينة. (معجم البلدان ٤/٢١٢) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٨٤ أنه غَمْر مرزوق.

(٣) نذِر: علِم.

(٤) الطبقات الكبـرى ٢/٨٤، تاريـخ الطبـري ٢/٦٤٠، المغازي للواقـدي ٢/٥٥٠، نهايـة الأرب ١٧/٣٠٣، عيون الأثر ٢/١٠٣، عيون التواريخ ١/٢٤٧، تاريـخ الإسلام (المغـازي) ٣٥٢، سيرة ابن كثيـر ٣/٣٣٨، البداية والنهاية ٤/١٧٨.

(٥) المغازي للواقدي ٢/٥٥١، الطبقات الكبرى ٢/٨٥، عيون الأثر ٢/١٠٤، عيون التواريخ ١/٢٤٨، البداية والنهاية ٤/١٧٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، تاريخ الطبري ٢/٦٤١، نهاية الأرب ١٧/٢٠٤، سيـرة ابن كثير ٣/٣٣٨.

(٦) الـطبقات الكبـرى ٢/٨٦، تاريـخ الطبـري ٢/٦٤١ و٣/١٥٤، المغازي للواقـدي ٤/٥٥٢، نهايـة الأرب ١٧/٢٠٤، عيون الأثر ٢/١٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، البداية والنهاية ٤/١٧٨، عيون التواريـخ ١/٢٤٨.

ومنها سريّة زيد بن حارثة[١] بالجَموم[٢]، فأصاب امرأة من مُزَيْنة اسمها حليمة، فدلّتهم على محلّة من محال بني سُلَيم، فأصابوا نَعَماً وشاء وأسرى، فيهم زوجها، فأطْلقها رسول الله، ﷺ، وزوجَها معها.

ومنها سريّة زيد[٣] أيضاً إلى العِيص[٤] في جمادى الأولى.

وفيها أُخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع، واستجار بزينب بنت النبيّ، ﷺ، فأجارته[٥]. وقد تقدّم ذكره في غزوة بدر.

ومنها سريّة زيد أيضاً إلى الطَّرَف[٦] في جمادى الآخرة، إلى بني ثَعْلبة، في خمسة عشر رجلاً، فهربوا منه، وأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً[٧].

ومنها سريّة زيد بن حارثة إلى حِسْمي[٨] في جمادى الآخرة.

وسببها أنّ رِفاعة بن زيد الجُذاميّ، ثمّ الضّبيّ قدِم على النبيّ، ﷺ، في هُدنة الحُدَيبية وأهدى لرسول الله، ﷺ، غلاماً وأسلم فحسُن إسلامه، وكتب له رسول الله، ﷺ، كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا، ثمّ ساروا إلى حَرّة الرَّجْلاء.

---

(١) اكتفى ابن هشام بذكر الغزوة دون تفاصيل ٤/٢٥٨، وكذا فعل الطبري ٣/١٥٥، والخبر في: الطبقات الكبرى ٢/٨٦، ونهاية الأرب ١٧/٥٠٥، وعيون الأثر ٢/١٠٥، ١٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، وعيون التواريخ ١/٢٤٨، والبداية والنهاية ٤/١٧٨.

(٢) الجَموم: أرض لبني سليم ناحية بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرُد. (معجم البلدان ٢/١٦٣، ١٦٤).

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٨٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٣، عيون الأثر ٢/١٠٦، عيون التواريخ ١/٢٤٨، نهاية الأرب ١٧/٢٠٦، تاريخ الطبري ٢/٦٤١، المغازي للواقدي ٢/٥٥٣.

(٤) العِيص: قال ابن سعد: بينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلةً.

(٥) الطبري ٢/٦٤١.

(٦) الطَّرَف: ماء قريب من المرقى، وقيل المراض، دون النُخَيْل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ٤/٣١ والطبقات الكبرى) وقال ابن إسحاق: الطرف من ناحية نخل، من طريق العراق. (سيرة ابن هشام ٤/٢٣٦).

(٧) سيرة ابن هشام ٤/٢٣٦، المغازي للواقدي ٢/٥٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٨٧، نهاية الأرب ١٧/٢٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٢٤، عيون الأثر ٢/١٠٦، البداية والنهاية ٤/١٧٨، عيون التواريخ ١/٢٤٩، تاريخ الطبري ٢/٦٤١.

(٨) حِسْمَى: بالكسر ثم السكون، مقصور. أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان. وأهل تبوك يرون جبل حِسْمَى في غربيّهم. وقيل هي لجُذام جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض بني عُذرة منْ ظهر حَرّ ةٍيا، فذلك كلّه حِسْمَى. (معجم البلدان ٢/٢٥٨، ٢٥٩).

ثمّ إنّ دِحْية بن خليفة الكلبيّ أقبل من الشام من عند قيصر، حتى إذا كان بأرض جُذام أغار عليه الهُنَيْد بن عُوص وابنه عُوص بن الهنيد الضُّلَيْعيّان، وهو بطن من جُذام، فأخذا كلّ شيء معه، فبلغ ذلك نفراً من بني الضُّبَيْب قوم رِفاعة ممّن كان أسلم، فنفروا إلى الهُنَيْد وابنه، فلقوهما واقتتلوا. فظفر بنو الضبيب، واستنقذوا كلّ شيء أُخذ من دِحْية، وردّوه عليه، فخرج دحية حتى قدِم على النبيّ، ﷺ، فأخبره خبره وطلب منه دم الهُنَيْد وابنه عُوص، فأرسل رسول الله، ﷺ، إليهم زيد بن حارثة في جيش، فأغاروا بالفضافض وجمعوا ما وجدوا من مال وقتلوا الهُنَيد وابنه.

فلمّا سمع بذلك بنو الضُّبَيْب رهْط رِفاعة بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا: إنّا قوم مسلمون. فقال زيد: فاقرأوا أمّ الكتاب، فقرأها حسّان [بن ملّة]. فقال زيد: نادوا في الجيش: إنّ الله حرّم علينا ما أُخذ[1] من طريق القوم التي جاؤوا منها، وأراد أن يسلّم إليهم سباياهم، فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط[2]، فتوقف في تسليم السبايا وقال: هم في حكم الله، ونهى الجيش أن يهبطوا واديهم.

وعاد أولئك الركب الجُذاميّون إلى رِفاعة بن زيد، وهو بكُراع رَبّة[3] لم يشعر بشيء من أمرهم، فقال له بعضهم: إنّك لجالسٌ تحلب المعْزَى ونساء جُذام أسارى، قد غرّهنّ كتابك الذي جئتَ به. فسار رِفاعة والقوم معه إلى المدينة، وعرض كتابَ رسول الله، ﷺ، فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: لنا مَنْ كان حَيّاً، ومن قُتل فهو تحت أقدامنا، يعنون تركوا الطلب به. فأجابهم إلى ذلك وأرسل معهم عليّ بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة، فردّ على القوم، مالهم، حتّى كانوا ينتزعون لِبد المرأة تحت الرَّحْل، وأطلق الأسارى.

(رَبّة: بالراء والباء الموحّدة. والضُّبَيْب: بضمّ الضاد المعجمة، تصغير ضبّ ـ وقيل: هو بفتح الضاد، وكسر الباء، وآخره نون ـ نسبة إلى ضببية).

ومنها سريّة زيد أيضاً إلى وادي القُرى[4] في رجب[5].

---

(١) في إحدى النسخ «أخف».

(٢) في الطبعة الأوربية «يختلط».

(٣) كراع رَبَّة: جبل في ديار جُذام. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

(٤) وادي القرى: وادٍ بين الشام والمدينة بين تيماء وخيبر فيه قرىً كثيرة وبها سُمّي وادي القرى. (معجم البلدان ٥/٣٤٥).

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٢٦٣، تاريخ الطبري ٣/١٥٥، نهاية الأرب ١٧/٢١٨، المغازي للواقدي ٢/٥٦٢، عيون الأثر ٢/١٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٥.

ومنها **سريّة عبد الرحمن بن عَوْف إلى دُومة الجندل**[1] في شعبان، فأسلموا، فتزوّج عبد الرحمن تُماضر بنت الأصبغ رئيسهم، وهي أمّ أبي سلمة[2].

ومنها **سريّة عليّ بن أبي طالب إلى فَدَك**[3] في شعبان في مائة رجل، وذلك أنّ رسول الله، ﷺ، بلغه أنّ حيّاً من بني سعد قد تجمّعوا له، يريدون أن يمدّوا أهل خَيْبر، فسار إليهم عليّ، فأصاب عيناً لهم، فأخبره أنّه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر[4].

ومنها **سريّة زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة**[5] في رمضان، وكانت عجوزاً كبيرة، فلقي زيد بن فَزَارة بوادي القرى، فأصيب أصحابه وارتُثّ زيد من بين القتلى، فنذر أن لا يمسّ ماءً من جنابة حتى يغزو فَزَارة، فبعثه رسول الله، ﷺ، إليهم، فلقيهم بوادي القرى، فأصاب منهم وقتل وأسر أمّ قِرْفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، عجوز كبيرة، وبنتاً لها، فربط أمّ قِرْفة بين بعيرَين فشقّاها نصفين، وقدِم على النبيّ، ﷺ، بابنتها، وكانت لسَلَمَة بن الأكوع، فأخذها رسول الله، ﷺ، منه هبةً وأرسلها إلى حرب[6] بن أبي وهب، فولدت له عبد الله بن حرب[6].

وأمّا سلمة بن الأكوع، فإنّه جعل أمير هذه السريّة أبا بكر، فرُوي عنه أنّه قال: أمّر رسول الله، ﷺ، علينا أبا بكر، فغزونا ناساً من بني فَزَارة، فشننّا عليهم الغارة صلاة الصبح، فأخذتُ منهم جماعة وسُقْتهم إلى أبي بكر، وفيها امرأة من بني فَزارة، معها بنت لها من أحسن العرب، فنفلني أبو بكر بنتها، فقدِمتُ المدينة فلقيتُ النبيَّ، ﷺ، بالسوق فقال لي: «يا أبا سلمة لله أبوك هبْ لي المرأة». فقلت: والله لقد أعجبتْني، وما كشفتُ لها ثوباً. فسكت ثمّ عاد من الغد فوهبتها له، فبعث بها إلى مكّة، ففادى بها أسارى من المسلمين[7].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٨٩، تاريخ الطبري ٣/١٥٨، نهاية الأرب ١٧/٢٠٩، ٢١٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٥، البداية والنهاية ٤/٢١٧٩، عيون الأثر ٢/١٠٨، ١٠٩.

(٢) أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف المحدّث الثقة الفقيه. ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المدنيّين. أنظر (تهذيب التهذيب ١٢/١١٥).

(٣) فَدَك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي مما أفاء الله على رسوله صُلحاً بعد غزوة خيبر.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٨٩، ٩٠، المغازي للواقدي ٢/٥٦٢، تاريخ الطبري ٣/١٥٤، نهاية الأرب ١٧/٢٠٩، ٢١٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٥، عيون الأثر ٢/١٠٩، ١١٠، سيرة ابن هشام ٤/٢٥٨.

(٥) الطبري ٢/٦٤٣.

(٦) في تاريخ الطبري «حَزْن».

(٧) تاريخ الطبري ٢/٦٤٣، ٦٤٤.

ومنها سريّة كُرْز بن جابر الفِهْريّ إلى العُرَنيّين[1] الذين قتلوا راعي النبيّ، ﷺ، واستاقوا الإبل في شوّال. [وبعثه رسول الله، ﷺ] في عشرين فارساً[2].

وفيها تزوّج عمر بن الخطّاب جميلة بنت ثابت بن [أبي][3] أقلح[4] أخت عاصم، فولدت له عاصماً، فطلّقها وتزوّجها بعده يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد[5]، فهو أخو عاصم لأمّه.

(جارية: بالجيم وبعد الراء ياء تحتها نقطتان).

وفيها أجدب الناس جدْباً شديداً، فاستسقى رسول الله بالناس في رمضان[6].

ذكر مكاتبة رسول الله، ﷺ، الملوك[7]

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشيّ وغيرهم، وأرسل حاطبَ بن أبي بَلْتعة إلى المُقَوْقِس بمصر، وأرسل شُجاعَ بن وهْب الأسديّ إلى الحارث ابن أبي شَمِر الغسّانيّ، وأرسل دِحْيَةَ إلى قيصر، وأرسل سَليط بن عمرو العامريّ إلى هَوْذة بن عليّ الحنفيّ، وبعث عبد الله بن حُذافة إلى كسرى، وأرسل عمرو بن أميّة الضّمريّ إلى النجاشيّ، وأرسل العلاءَ بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخي عبد القيس[8].

وقيل: إنّ إرساله كان سنة ثمانٍ، والله أعلم.

وأمّا المقوقس فإنّه قبل كتاب النبيّ، ﷺ، وأهدى إليه أربع جوارٍ، منهنّ مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله، ﷺ[9].

---

(١) في الطبعة الأوربية «العرينيّين».

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٩٣، تاريخ الطبري ٢/٦٤٤، نهاية الأرب ١٧/٢١٣، ٢١٤، عيون التواريخ ١/٢٥٣، البداية والنهاية ٤/١٧٩، ١٨٠ وقد أخرج البخاري عن هذه السرية في كتاب المغازي (٥/٧٠، ٧١) باب قصّة عُكْل عُرَينة.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، وطبعة صادر ٢/٢١٠ والاستدراك من ابن سعد، والطبري.

(٤) في طبعة صادر ٢/٢١٠ «أفلح» بالفاء. والتصويب من الطبري وابن سعد.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٤٢، الطبقات الكبرى ٨/٣٤٦.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٤٢.

(٧) تاريخ خليفة ٧٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٨٠، تاريخ الطبري ٢/٦٤٤، عيون التواريخ ١/٢٥٣، سيرة ابن كثير ٣/٤٩٤، البداية والنهاية ٤/٢٦٢، عيون الأثر ٢/٢٥٩.

(٨) الطبري ٢/٦٤٤، سيرة ابن هشام ٤/٢٥٤.

(٩) تاريخ الطبري ٢/٦٤٥.

وأمّا قيصر، وهو هِرَقْل، فإنّه قبل كتاب رسول الله، ﷺ، وجعله بين فخذَيْه وخاصرته[1]، وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يُخبره شأنه، فكتب إليه صاحب رومية: إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه، فاتبعْه وصدّقْه. فجمع هِرَقْل بطارقة الروم في الدّسْكرة، وغُلّقت أبوابها، ثمّ اطّلع عليهم من عِلّية، وخافهم على نفسه، وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنّه والله النبيّ الذي نجده في كتابنا، فهلمّ فلنتبعه ونصدّقه فتسلَم لنا دنيانا وآخرتنا. فنخَروا نخرة رجل واحد، ثمّ ابتدروا الأبواب ليخرجوا، فقال: ردّوهم عليّ، وخافهم على نفسه وقال لهم: إنّما قلتُ لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيتُ منكم ما سرّني، فسجدوا له.

وانطلق وقال لدحية: إنّي لأعلم أن صاحبك نبيّ مرسلٌ، ولكنّي أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لأتّبعتُه، فاذهب إلى ضغاطر[2] الأسقفّ الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك، وانظر ما يقول لك.

فجاء دِحْية، وأخبره بما جاء به من رسول الله، ﷺ، فقال له ضغاطر[2]: والله إنّ صاحبك نبيّ مرسَل، نعرفه بصفته ونجده في كتابنا. ثمّ أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله، وإنّي أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه فقتلوه[3].

فرجع دِحية إلى هِرَقْل وأخبره الخبر. قال: قد قلتُ إنّا نخافهم على أنفسنا. وقال قيصر للروم: هلمّوا نعطيه الجزية، فأبوا، فقال: نُعْطيه أرض سورية، وهي الشام، ونصالحه، فأبوا. واستدعى هِرَقْل أبا سفيان، وكان بالشام تاجراً، إلى الشام في الهدنة، فحضر عنده ومعه جماعة من قريش أجلسهم هِرَقْل خلفه وقال: إنّي سائله فإنْ كذب فكذّبوه، فقال أبو سفيان: لولا أن يؤثر عنّي الكذِب لكذبتُ، فسأله عن النبيّ، قال: فصغرتُ له شأنه، فلم يلتفت إلى قولي وقال: كيف نَسَبه فيكم؟ قلتُ: هو أوسطنا نَسَباً. قال: هل كان من أهل بيته مَنْ يقول مثل قوله؟ قلت: لا. قال: فهل له فيكم مِلْك سلبتموه إيّاه؟ قلت: لا. قال: فمَن اتّبعه منك؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث. قال: فهل يحبّه من يتبعه ويلزمه، أو يقليه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه. قال: فكيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: [سجال] يُدال عَلَينا ونُدال عليه. قال: هل يغدر؟

---

(1) سيرة ابن هشام، الطبري ٢/٦٤٦.

(2) في تاريخ الطبري ٢/٦٥٠ «صغاطر» بالصاد المهملة.

(3) الطبري ٢/٦٥٠.

قال: فلم أجد شيئاً أغمز[1] به غيرها، قلت: لا، ونحن منه في هدنة، ولا نأمن غدره. قال: فما التفت إليها.

قال أبو سفيان: فقال لي هِرَقْل: سألتُك عن نَسَبه، فزعمتَ أنّه من أوسط النّاس، وكذلك الأنبياء، وسألتك: هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبّه به، فزعمتَ أن لا، وسألتك هل سلبتموه ملْكه فجاء بهذا لتردّوا عليه ملْكه، فزعمتَ أن لا، وسألتك عن أتباعه، فزعمتَ أنّهم الضعفاء والمساكين، وكذلك أتباع الرُسُل، وسألتك عَمَّنْ يتبعه، أيحبّه أم يفارقه، فزعمتَ أنّهم يحبّونه ولا يفارقونه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر، فزعمتَ أن لا، ولئن صدقتني ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين، ولوددتُ أنّي عنده فأغسل قدمَيْه. انطلق لشأنك.

قال: فخرجت وأنا أضرب إحدى يديّ بالأخرى وأقول: أي عباد الله لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم[2].

قال: وقدِم عليه دِحْية بكتاب النبيّ، ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتّبع الهدى، أسلِمْ تسلمْ، وأسلمْ يؤتِك الله أجرك مرّتين، وإن تولّيت فإن إثم الأكّارين عليك[3].

وأمّا الحارث بن أبي شِمْر الغسّانيّ فأتاه كتاب رسول الله، ﷺ مع شُجاع بن وهْب، فلمّا قرأه قال: أنا سائر إليه، فلمّا بلغ قولُهُ رسولَ الله، ﷺ، قال: «بادَ مُلْكه»[4].

وأمّا النجاشيّ، فإنّه لما جاءه كتاب النبيّ، ﷺ، آمن به واتّبعه، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وأرسل إليه ابنه في ستّين من الحبشة، فغرقوا في البحر. وأرسل إليه رسول الله، ﷺ، ليزوّجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عُبيد الله بن جَحْش، فتنصّر وتُوفّي بالحبشة، فخطبها النجاشيّ إلى رسول الله، ﷺ، فأجابت، وزوّجها، وأصدقها النجاشيّ أربعمائة دينار، فلمّا سمع أبو سفيان تزويج رسول الله، ﷺ، أمّ حبيبة قال: ذاك الفحل لا يُقْدَع أنفه[5].

---

(١) في الطبعة الأوربية «أغز».
(٢) الطبري ٢/٦٤٧، ٦٤٨.
(٣) أضاف الطبري ٢/٦٤٩ «يعني تِحِمَّالَه».
(٤) الطبري ٢/٦٥٢.
(٥) الطبري ٢/٦٥٣، ٦٥٤.

وأمّا كسرى، فجاءه كتاب رسول الله، ﷺ، مع عبدالله بن حُذافة، فمزّق الكتاب، فقال رسول الله، ﷺ: «مُزّق ملكُه». وكان كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإنّي أدعوك بدعاء الله، وإنّي رسول الله إلى النّاس كافّة لأُنذر ﴿مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكافرين﴾[1]، فأسلِمْ تَسْلَمْ، وإن تولّيت فإنّ إثم المجوس عليك».

فلمّا قرأه شقّه، قال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي! ثمّ كتب إلى باذان، وهو باليمن: أن ابعثْ إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلَين من عندك جَلْدين فليأتياني به. فبعث باذان نابوه[2]، وكان كاتباً حاسباً، ورجلاً آخر من الفرس يقال له خُرَّخُسْرَه، وكتب معهما يأمره بالمسير معهما إلى كسرى، وتقدّم إلى نابوه[2] أن يأتيه بخبر رسول الله، ﷺ، وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقال: أبشروا فقد نَصِبَ[3] له كسرى ملك الملوك، كُفِيتُم الرجلَ.

فخرجا حتّى قدِما على رسول الله، ﷺ، وقد حلقا لحاهما [وأعفيا] شواربهما، فكره[4] النظر إليهما وقال: ويلكما مَنْ أمركما بهذا؟ قالا: ربّنا، يعنيان[5] الملك. فقال: لكنّ ربّي أمرني أن أعفي لحيتي وأقصّ شاربي، فأعلماه بما قدِما له وقالا: إن فعلتَ كتبَ باذان فيك إلى كسرى، وإن أبيتَ فهو يُهْلكك ويُهْلك قومك. فقال لهما رسول الله، ﷺ: ارجعا حتى تأتياني غداً. وأتى رسولَ الله، ﷺ، الخبرُ من السماء: إنّ الله قد سلّط على كسرى ابنَه شيرويه فقتله، فدعاهما رسول الله، ﷺ، وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ مُلك كسرى وينتهي منتهَى الخفّ والحافر، وأمرهما أن يقولا[6] لباذان: أسلِمْ، فإنْ أسلم أُقرّه على ما تحت يده، وأُملّكه على قومه. ثمّ أعطى خُرَّخُسْرَه منطقة ذهب وفضّة أهداها له بعض الملوك.

وخرجا فقدِما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا كلام ملك، وإنّي لأراه نبيّاً، ولننظرنّ، فإنْ كان ما قال حقّاً، فإنّه لنبيّ مرسَل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا. فلم

---

(١) سورة يّس - الآية ٧٠.

(٢) في النسخة (ب): «تابوة»، وفي الطبري «بابَوَيه».

(٣) نَصِب: اهتمّ له وجَدّ.

(٤) في الطبعة الأوربية «فكرّر».

(٥) في الطبعة الأوربية «يعنون».

(٦) في الطبعة الأوربية «يقول».

يلبث باذان أن قدِم عليه كتاب شيرويه يُخْبره بقتل كسرى، وأنّه قتله غضباً للفرس لما استحلّ من قتْل أشرافهم، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن، وبالكفّ عن النبيّ، ﷺ. فلمّا أتاه كتاب شيرويه أسلم، وأسلم معه أبناء من فارس. وكانت حِمْير تسمّي خُرَّخسره صاحب المعجزة، والمعجزة بلغة حِمْير المنطقة[1].

وأمّا هَوْذة بن عليّ فكان ملك اليمامة، فلمّا أتاه سليطُ بن عمرو يدعوه إلى الإسلام، وكان نصرانيّاً، أرسل إلى النبيّ، ﷺ، وفداً فيهم مُجّاعة بن مُرارة، والرَّجّال بن عُنْفُوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلّا قصد حربه. فقال رسول الله، ﷺ: «لا ولا كرامة، اللهمّ اكفنيه»! فمات بعد قليل[2].

وأمّا مُجّاعةُ والرَّجّال فأسلما، وأقام الرَّجّال عند رسول الله، ﷺ، حتى قرأ سورة البقرة وغيرها، وتفقّه وعاد إلى اليمامة، فارتدّ وشهد أنّ رسول الله أشرك مُسَيْلِمة معه، فكانت فتنته أشدّ من فتنة مسيلمة.

(مُجّاعة: بضمّ الميم وتشديد الجيم. والرَّجّال: بالجيم المشدّدة، وقيل بالحاء المهملة المشدّدة. وعُنْفُوة: بضمّ العين، وسكون النون وضمّ الفاء، وفتح الواو).

وأمّا المنذر بن ساوى، والي البحرين، فلمّا أتاه العلاء بن الحضرميّ يدعوه ومَنْ معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى، وأسلم جميع العرب بالبحرين.

فأمّا أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنّهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كلّ حالم دينار، ولم يكن بالبحرين قتال، إنّما بعضهم أسلم وبعضهم صالح[3].

وولي الحج في هذه السنة المشركون[4].

وفي هذه السنة ماتت أمّ رُومان، وهي أمّ عائشة زوجة النبيّ، ﷺ[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٥٤ - ٦٥٧ والمنطقة بلسان حِمْيَر: المِعْجَزَة.
(٢) عيون الأثر ٢/٢٦٩، ٢٧٠.
(٣) عيون الأثر ٢/٢٦٦، ٢٦٧.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٥٧.
(٥) أسد الغابة ٥/٥٨٣.

٧
ودخلت سنة سبع

ذكر غزوة خيبر[1]

لما عاد رسول الله، ﷺ، من الحُدَيْبية أقام بالمدينة ذا الحجّة وبعض المحرّم، وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل، معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرّم سنة سبع، واستخلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطة الغِفاريّ، فمضى حتى نزل بجيشه بالرّجيع، ليحول بين أهل خيبر وغَطَفان، لأنّهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله، ﷺ. وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهودَ [عليه]، ثمّ خافوا المسلمين أن يخلّفوهم في أهليهم وأموالهم، [فرجعوا] ونزلوا بين رسول الله، ﷺ، ويهود، فسار رسول الله، ﷺ، وقال في مسيره لعامر بن الأكْوَع، عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع: احْدُ[2] لنا، فنزل وحداهم يقول:

وَاللهِ لَوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنَا ... وَلا تَصَدَّقنا وَلا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سكينَةً عَلَيْنا ... وَثَبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنَا[3]

فقال له رسول الله، ﷺ: رحِمك الله! فقال له عمر: هلاّ أمتعتَنا به يا رسول الله! وكان إذا قالها لرجل قُتل، فلمّا نازلوا خيبر بارز عامر[4]، فعاد عليه سيفه، فجرحه جرحاً

---

(١) المغازي للزهري ٨٤ سيرة ابن هشام ٣/٢٧٥، تاريخ خليفة ٨٢، الطبقات الكبرى ٢/١٠٦، المغازي لعروة ١٩٥، المغازي للواقدي ٢/٦٣٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٦، تاريخ الطبري ٣/٩، أنساب الأشراف ١/٣٥٢ رقم ٧٣٧، البدء والتاريخ ٤/٢٢٥، نهاية الأرب ١٧/٢٤٨، عيون الأثر ٢/١٣٠، عيون التواريخ ١/٢٦٤، الدرر في المغازي ٢١٧، مرآة الجنان ١/١١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٠٣، سيرة ابن كثير ٣/٣٤٤، البداية والنهاية ١٨١، شذرات الذهب ١/١٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «خُذْ».

(٣) أنظر: سيرة ابن هشام ٣/٢٧٦، ومناقب أمير المؤمنين عليّ للواسطي ١٢٩، والطبقات الكبرى ٢/١١١، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٩، وعيون الأثر ٢/١٣٠، وعيون التواريخ ١/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٠٥، وصحيح البخاري ٥/٧٢ في المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ٣/١٤٢٩ باختلاف.

(٤) في الطبعة الأوربية «عمرو».

شديداً، فمات منه، فقال النّاس: إنّه قتل نفسه. فقال سَلَمَة ابن أخيه للنبيّ، ﷺ، [ما قالوا] فقال: «كذبوا بل له أجره مرّتين». فلمّا أشرف عليها قال لأصحابه: «قفوا». ثمّ قال: «اللهمّ ربّ السموات وما أظلَلْنَ، وربّ الأرضين وما أقلَلْنَ، وربّ الشياطين وما أضلَلْنَ، وربّ الرياض وما أذرَيْنَ، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدِموا بسم الله». وكان يقول ذلك لكلّ قرية يقدمها.

ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها، فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم، فلمّا رأوه عادوا وقالوا: محمّد والخميس، يعنون الجيش، فقال النبيّ، ﷺ: الله أكبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[1]. ثمّ حصرهم وضيّق عليهم، وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً، فكان أوّل حصن افتتحه حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن سلمة، أُلقي عليه [منه] رحىً فقتلته، ثمّ القَمُوص حصن بني أبي الحُقَيْق، وأصاب منهم رسول الله ﷺ، سبايا، منهم صفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطَب، وكانت عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فاصطفاها رسول الله، ﷺ، لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، وأكلوا لحوم الحمر الإنسيّة، فنهاهم رسول الله، ﷺ، عنها[2].

وكان الزَّبير بن باطا القُرَظيّ قد منّ على ثابت بن قيس بن شَمّاس في الجاهليّة يوم بُعاث، فأطلقه، فلمّا كان الآن أتاه ثابت فقال له: أتعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك! قال: أريد أن أجزيك بيدك عندي. قال: إنّ الكريم يجيز الكريم. فأتى ثابت رسول الله، ﷺ، فقال: كان للزَّبير عندي يد أريد أن أجزيه بها فهَبْه لي. فوهبه له. فأتاه فقال له: إنّ النبيّ، ﷺ، قد وهب لي دمك فهو لك. قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد؛ فاستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله، ﷺ، فوهبهم له. فقال الزَّبير: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم؛ فاستوهب ثابت ماله من رسول الله، ﷺ، فوهبه له، فمنّ عليه بالجميع.

فقال الزَّبير: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهُه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحيّ كعب بن أسد؟ قال: قُتل. قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخْطب؟ قال: قُتل. قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا وحاميتُنا إذا كررنا عَزّال بن سَمْوال[3]؟ قال: قُتل. قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيْظة، وبني عَمرو بن قُرَيظة. قال:

---

(١) سورة الصّافات ـ الآية ١٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٧٨.

(٣) في النسخة (ب): «شموال».

ذهبوا. قال: فإنّي أسألك يا ثابت بيدي عندك إلاّ ما ألحقتني بهم، فوالله ما في العيش بعدهم خير. فقتله.

ثمّ افتتح رسول الله، ﷺ، حصن الصَّعب، وهو أكثرها طعاماً وودكاً، ثمّ قصد حصنهم الوطيح والسُّلالم، وكانا آخر ما افتتح، فخرج منه مَرْحب اليهوديّ وهو يقول:

قد علِمتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكي السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحِيناً أضربُ ... إذا اللّيوثُ أقبلَتْ تَلَهَّبُ[1]
كانَ حِمَايَ كالحِمَى[2] لا يُقْرَبُ[3]

وسأل المبارزة، فخرج إليه محمّد بن مَسْلمة وقال: أنا والله الموتور الثائر، قتلوا أخي بالأمس. فأقرّه رسول الله، ﷺ، بمبارزته وقال: اللهمّ أعِنْهُ عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلاً، ثمّ حمل مرحب على محمّد بن مَسْلَمَة فضربه، فاتّقاه بالدَّرَقة، فوقع سيفه فيها، فعضّت به فأمسكته[4]، وضربه محمّد بن مَسْلَمة حتى قتله. ثمّ خرج أخوه ياسر وهو يقول:

قد علِمَتْ خيبرُ أنّي ياسرُ ... شاكي السّلاح بَطَلٌ مُغاوِرُ

وطلب المبارزة، فخرج إليه الزُّبَير بن العوّام، فقتله الزُّبير[5].

وقيل: إنّ الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن عليّ بن أبي طالب؛ وهو الأشهر والأصحّ.

قال بُرَيْدة الأسلميّ: كان رسول الله، ﷺ، ربّما أخذَتْه الشقيقة[6]، فيلبث اليوم واليومَين لا يخرج، فلمّا نزل خيبر أخذته، فلم يخرج إلى النّاس، فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله، ﷺ، ثمّ نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ رجع فأخذها عمر، فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل؛ ثمّ رجع، فأُخبر بذلك رسول الله، ﷺ، فقال: أمَا والله لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يأخذها عنوةً. وليس ثَمّ عليّ،

---

(١) في سيرة ابن هشام «تحرب». وفي الطبعة الأوربية «تلتهب».
(٢) في السيرة «إن حماي للحمى».
(٣) سيرة ابن هشام ٢٨٢/٣، تاريخ الطبري ١٠/٣ و١١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٠٨.
(٤) في الطبعة الأوربية «فغضب وأمسكه عليه».
(٥) الطبري ١١/٣.
(٦) الشقيقة: صُداع يعرض في مقدّم الرأس أو إلى أحد جانبيه.

كان قد تخلّف بالمدينة لَرَمَدٍ لحِقه، فلمّا قال رسول الله، ﷺ، مقالته هذه تطاولت لها قريش، فأصبح فجاء عليّ على بعير له، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله، ﷺ، وهو أرمد قد عصب عينَيْه، فقال رسول الله، ﷺ: ما لك؟ قال: رمدتُ بعدك. فقال له: ادنُ منّي. فدنا منه، فتفل في عينيه، فما شكا وجعاً حتى مضى لسبيله. ثمّ أعطاه الراية، فنهض بها وعليه حلّة حمراء، فأتَى خيبر، فأشرف عليه رجل من يهود فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال اليهوديّ: غُلبتم يا معشر يهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفَر يمانيّ، قد نقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يقول:

قد علِمَتْ خيبرُ أنّي مرحبُ شاكي السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فقال عليّ:

أنا الذي سَمّتْني أمّي حيدَرَةْ أكيلكم بالسّيفِ كَيْلَ السَنْدَرَةْ[1]
لَيْثٌ بغاباتٍ شَديدٌ قَسْوَرَةْ

فاختلفا ضربتَين، فبدره عليّ فضربه فقدّ الحَجَفة[2] والمِغْفَر ورأسه حتى وقع في الأرض؛ وأخذ المدينة[3].

قال أبو رافع مولى رسول الله، ﷺ: خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله، ﷺ، [برايته] إلى خيبر، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهوديّ فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه[4]، ثمّ ألقاه من يده؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه[5].

وكان فتحها في صفر.

فلمّا فُتحت خيبر جاء بلال بصفيّة وأخرى معها على قتلى يهود، فلمّا رأتهم التي مع صفيّة صرخت وصكّت وجهها، وحثَت التراب على رأسها، فاصطفى رسول الله،

---

(١) كيل السندرة: أي كيلاً وافياً، وقيل: السندرة ضربٌ من الكيل الواسع. وقيل: شجرة تُصنع منها مكاييل عظام. (راجع مناقب أمير المؤمنين علي للواسطي - ص ١٣١).
(٢) في الطبعة الأوربية «الحجر». والحَجَفَة: الترس من جلد بلا خشب.
(٣) تاريخ الطبري ١٢/٣، ١٣.
(٤) في الطبعة الأوربية «الله على يديه».
(٥) الخبر عند الطبري ١٣/٣، وتاريخ الإسلام ٤١١، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢٥٦/٢، وسيرة ابن هشام ٢٨٤/٣، ٢٨٥.

ﷺ، صفيّة وأبعد الأخرى وقال: إنّها شيطانة، لأجل فعلها، وقال لبلال: أَنُزِعَتْ منك الرحمة؟ جئت بهما على قتلاهما!.

وكانت صفيّة قد رأت في منامها وهي عروس لكِنانة بن أبي الحُقَيْق أنّ قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلّا أنّك تتمنّين محمّداً. ولطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها، فأُتي بها رسول الله، ﷺ، وبها أثر منها، وسألها، فأخبرته، ودفع كِنانةَ بن أبي الحُقيق إلى محمّد بن مَسْلمة، فقتله بأخيه محمود[1].

وحاصر رسول الله، ﷺ، حصنَيْ أهل خيبر الوطيح والسُّلالم، فلمّا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم، فأجابهم إلى ذلك، وكان قد حاز الأموال كلّها، الشِّقَ ونَطاةَ والكَتيبة، وجميع حصونهم.

فلمّا سمع بذلك أهلُ فَدَك بعثوا إلى رسول الله، ﷺ، يسألونه أن يسيّرهم ويخلّوا له الأموال. ففعل ذلك، ولما نزل أهلُ خيبر [على ذلك] سألوا رسول الله، ﷺ، أن يعاملهم في الأموال على النصف، وأن يُخْرجهم إذا شاء، فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا، وفعل مثل ذلك أهل فَدَك، وكانت خيبر فَيْئاً للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله، ﷺ، لأنّهم لم يجلبوا عليها بخَيْل ولا رِكاب[2].

ولما استقرّ رسول الله، ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلاّم بن مِشْكم شاة مصليّة مسمومة، فوضعتها بين يديه، فأخذ رسول الله، ﷺ، منها مُضغة، فلم يُسِغْها، ومعه بِشْر بن البَراء بن مَعْرور، فأكل بِشْر منها، وقال رسول الله، ﷺ: إنّ هذه الشاة تُخْبرني أنّها مسمومة، ثمّ دعا المرأةَ فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغتَ من قومي ما لم يخفَ عليك فقلتُ: إن كان نبيّاً فسيُخبَر، وإن كان مِلِكاً استرحنا منه. فتجاوز عنها. ومات بِشر من تلك الأكلة[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٦، ٢٨٧، تاريخ خليفة ٨٣، تاريخ الطبري ٣/١٤، ١٥، فتوح البلدان ١/٣٤، البداية والنهاية ٤/١٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٢٢.

(٣) أنظر صحيح البخاري ٥/٨٤ في المغازي، باب الشاة التي سُمَّت للنبيّ ﷺ في خيبر، و٣/١٤١ في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السلام، باب السمّ، وأبو داود في الديات (٤٥٠٨) و(٤٥٠٩) و(٤٥١٠) و(٤٥١١) و(٤٥١٢) و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) باب فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمات، أيُقاد منه؟ وابن ماجه في الطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند ١/٣٠٥ و٣٧٣، وابن هشام في السيرة ٤/٤٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٩٥، ٢٩٦، باب ما جاء في الشاة المسمومة، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٢٠٢، ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٣٦، ٤٣٧، وتاريخ الطبري ٣/١٥.

وقـال رسول الله، ﷺ، في مـرضه الـذي مات فيـه: «هـذا الأوان وجدتُ انقـطاع أبْهري[1] من أكلة خيبر»[2]. فكان المسلمون يرون أنّه مات شهيداً مع كرامة النبوّة[3].

[ذكر غزوة وادي القُرى]

ولما فرغ رسول الله، ﷺ، من خيبر انصرف إلى وادي القُرى، فحاصر أهله ليـاليَ فافتتحه عنوة، وفي حصاره قُتل مِدْعم مـولى رسول الله، ﷺ، الـذي أهداه لـه رِفاعـة بن زيد الجُذامي، فقال المسلمون: هنيئاً له الجنّـة. وقال رسـول الله، ﷺ: «كلا، والـذي نفس محمّـد بيده إنّ شملتـه الآن لتشتعل عليـه ناراً، وكـان غلّها من فَيْء المسلمين يـوم خيبـر». فسمعـه رجــل فقـال: [يـا رسـول الله] أصبتُ شِـراكَين[4] لنعلين [لي] كنتُ[5] أخذتهما. فقال رسول الله، ﷺ: «يُقَدّ لك مثلهما من النّار»[6].

وترك رسولُ الله، ﷺ، النخـل والأرض في أيدي أهـل الوادي، وعـاملهم نحو مـا عامل أهلَ خيبر، فبقوا كذلك إلى أن ولي عمرُ الخـلافة فـأجلاهم، وقيـل: إنّه لم يجلهم لأنّها خارجة عن الحجاز[7].

وفي هذه السفرة، أعني خيبر، نام رسول الله، ﷺ، عن صلاة الصبـح حتى طلعت الشمس، والقصّة مشهورة[8].

وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرَضَخَ[9] لهنّ [من الفَيْء].

[قصة الحَجّاج بن عِلاط السُّلَمي]

وفي هذه السفرة قال الحَجّاج بن عِـلاط السُّلَميّ لرسـول الله، ﷺ: لي بمكّة مـالٌ

---

(١) الأبهر: عِرْق في الظَّهْر.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٧، الطبري ٣/١٦.

(٤) الشِراك: سير النعل الذي يكون على وجهها.

(٥) في الطبعة الأوروبية «كانا».

(٦) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٨، تـاريخ الـطبري ٣/١٦، نهاية الأرب ١٧/٢٦٨، ٢٦٩، عيـون الأثـر ٢/١٤٤، تاريخ الإسلام ٤٠٨.

(٧) أنظر: فتوح البلدان ١/٣٩، ونهاية الأرب ١٧/٢٦٩، ٢٧٠، وتاريخ الإسـلام ٤٢، وعيون الأثـر ٢/١٤٥، والبداية والنهاية ٤/٢١٨.

(٨) الحديث في صحيح مسلم (٦٨٠) كتاب المساجد ومواضـع الصلاة، بـاب قضاء الصـلاة الفائتـة واستحباب تعجيل قضائها. وانظر تاريخ الإسلام ٤٣.

(٩) رضخ: أعطى.

عند صاحبتي أمّ شَيْبَة ابنة أبي طلحة، وهي أمّ ابنه مُعْرِض بن الحجّاج، ومال متفرّق بمكّة، فأذنْ لي يا رسول الله. فأذِنَ له. فقال: إنّه لا بدّ من أن أقول. قال: «قُلْ». فقدم الحجّاجُ مكّة، فسأله أهلُ مكّة عن رسول الله، ﷺ، وما صنع بخيبر، ولم يكونوا علِموا بإسلامه، فقال لهم: إنّ يهود هزمته وأصحابَه، وقُتل أصحابُهُ قتلاً ذريعاً وأُسر محمّد، وقالت يهود: لن نقتله حتى نبعث به إلى مكّة فيقتلوه. فصاحوا بمكّة بذلك، فقال: أعينوني في جمع مالي حتى أقدم خيبرَ فأصيب من فلّ محمّد وأصحابه قبل [أن يسبقني] التجّار. فجمعوه كلّه كأحثّ شيء. فأتاه العبّاسُ وسأله عن الخبر، فأخبره، بعد أن جمع ماله، بفتح خيبر وأنّ النبيّ، ﷺ، أخذ صفيّة بنت حُيَيّ لنفسه، وأنه قدِم لجمع ماله، وسأله أن يكتم عنه ثلاثاً خوف الطلب. فكتم العبّاسُ الخبرَ ثلاثاً بعد مسيره، ثمّ لبس حلّة له، وخرج فطاف بالكعبة، فلمّا رأته قريش قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلّد. قال: كلّا والله! لقد افتتح محمّد خيبر وأخذ ابنة ملكهم وأموالهم. وأخبرهم بخبر الحجّاج. فقالوا: لو علمنا لكان له ولنا شأن[1].

[ذكر مقاسم خيبر]

وقسّم من أموال خيبر الشِّق والنَّطاة بين المسلمين، وكانت الكَتيبة خُمْس الله والرسول، وسهم ذوي القربَى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فطُعم أزواج النبيّ، ﷺ، وطُعِم رجال مشوا بين رسول الله وأهل فَدَك [بالصُّلح]، وقُسِمت خيبر على أهل الحُدَيْبية، فأُعطي الفرس سهمَين والرجل سهماً. وأقرّ النبيّ، ﷺ، أهل خيبر بخير، وأبو بكر بعده، وعمر صدراً من إمارته حتى بلغه أنّ النبيّ، ﷺ، قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»[2]؛ فأجلى عمر من يهود مَنْ لم يكن معه عهد من رسول الله، ﷺ[3].

(سلّام بن مِشْكم: بتشديد اللام، ومِشْكم بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة. والحُقَيْق: بضمّ الحاء المهملة، وبقافَين. وأخْطب: بالخاء المعجمة، وآخره باء موحّدة. ومَعْرور: بالعين المهملة، وبعده راءان مهملتان. وعِلاط: بكسر العين المهملة، وطاء مهملة).

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٩، تاريخ الطبري ٣/١٧، تاريخ الإسلام ٣٨، ٣٩.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٣٠١، تاريخ الطبري ٣/٢١.
(٣) السيرة، الطبري.

ذكر فَدَك

لمـا انصرف رسـول الله، ﷺ، من خيبر بعث مُحَيِّصـة بن مسعود إلى أهـل فَـدَك، يدعوهم إلى الإسلام، ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهوديّ، فصالحوا رسول الله، ﷺ، على نصف الأرض، فقبل منهم ذلك، وكان نصف فدك خالصاً لرسول الله، ﷺ، لأنّه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، ولم يـزل أهلها بها حتى استخلف عمـر بن الخطّاب، وأجلى يهـود الحجاز[1]، فبعث أبـا الهيثم بن التَّيِّهان، وسهل بن أبي حَثْمَة[2]، وزيد بن ثابت، فقوّموا نصف تربتها بقيمة عدل، فدفعها إلى يهـود وأجلاهم إلى الشـام، ولم يزل رسـول الله، ﷺ، وأبو بكـر، وعمر، وعثمـان، وعليّ، يصنعون صنيع رسول الله، ﷺ، بعد وفاته.

فلمّا ولي معاوية الخلافة أقطعها مروانَ بن الحكم، فوهبها مروان ابنَيْه عبـدَ الملك وعبـد العزيـز، ثمّ صارت لعمـر بن عبد العـزيز، وللوليـد وسليمـان ابنَيْ عبـد الملك بن مـروان، فلمّا وليَ الـوليد الخـلافة وهب نصيبَـه عمر بن عبـد العـزيـز، ثمّ ولي سليمـان الخلافة، فـوهب نصيبه منهـا أيضاً عمـر بن عبد العـزيز، فلمّـا ولي عمر بن عبـد العزيـز الخلافة خطب النّاس، وأعلمهم أمر فدك، وأنّه قد ردّها إلى ما كانت عليه مع رسول الله، ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمـان، وعليّ، فوليهـا أولاد فاطمـة بنت رسول الله، ﷺ، ثمّ أُخذتْ منهم.

فلمّا كانت سنة عشر ومائتين ردّها المأمون إليهم.

(مُحَيِّصـة: بضمّ الميم، وفتـح الحـاء المهملة، وتشـديـد اليـاء المثنّـاة من تحت وكسرها، وآخره صاد مهملة. والتَّيِّهـان: بفتح التـاء فوقهـا نقطتـان، وتشديـد الياء تحتهـا نقطتان وكسرها).

وفي هـذه السنـة ردّ رسـولُ الله، ﷺ، ابنتـه زينب على أبي العـاصم بن الـربيـع، زوجها، في المحرّم[3].

وفيها قدِم حاطب من عند المُقَوْقِس بمارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله، ﷺ، وأختها شيرين، وبغلته دُلْدُل، وحماره يَعْفور، وكسوة، فأسلمت مارية وأختها قبـل قدومهمـا على رسول الله، ﷺ، فأخذ مارية لنفسه، ووهب شيـرين حسّانَ بنَ ثـابت الأنصاريّ، فهي أمّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٠٤.

(٢) في طبعة صادر «خيثمة» وهو تحريف.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١.

ابنه عبد الرحمن، فهو وإبراهيم ابنا خالةٍ[1].

وفيها اتخذ منبره، وقيل: إنّه عُمل سنة ثمان، وهو الثبت[2].

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، عمر بن الخطّاب في ثلاثين رجلاً إلى عجُز هوازن، فهربوا منه ولم يلقَ كيداً[3].

وفيها كانت سريّة بَشير بن سعد والد النعمان بن بشير الأنصاري إلى بني مُرّة بفدك، في شعبان، في ثلاثين رجلاً، أُصيب أصحابه، وارتُثّ في القتلى، ثمّ رجع إلى المدينة[4].

وفيها كانت سريّة غالب بن عبد الله الليثيّ إلى أرض بني مُرّة، فأصاب مِرْداس بن نَهيك حليفاً لهم من جُهَيْنة قتله أُسامة [بن زيد] ورجل من الأنصار. قال أُسامة: لما غشيناه قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، فلم ننزع عنه حتّى قتلناه، فلمّا قدِمْنا على النبيّ، ﷺ، أخبرناه الخبر، فقال: «كيف تصنع بلا إله إلّا الله!»[5].

وفيها كانت سريّة غالب بن عبد الله أيضاً، في مائة وثلاثين راكباً إلى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم واستاق النَّعَم إلى المدينة[6].

وفيها كانت سريّة بشير بن سعد إلى اليَمْن والجِنَاب في شوّال[7].

وكان سببها أنّ حُسَيْل[8] بن نويرة[9] الأشجعي كان دليل رسول الله، ﷺ، إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١، ٢٢، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الإسلام ٤٥، البداية والنهاية ٤/٢٣٦ وانظر عن مارية في الطبقات الكبرى ٨/٢١٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢.

(٣) أنظر: المغازي للواقدي ٢/٧٢٢، والطبقات الكبرى ٢/١١٧، وتاريخ الطبري ٣/٢٢، والبداية والنهاية ٤/٢٢١، ونهاية الأرب ١٧/٢٧٠، وتاريخ الإسلام ٤٦، وعيون الأثر ٢/١٤٥.

(٤) أنظر: المغازي للواقدي ٢/٧٢٣، والطبقات الكبرى ٢/١١٨، ١١٩، وتاريخ الطبري ٣/٢٢، ونهاية الأرب ١٧/٧٢، وتاريخ دمشق (تحقيق دهمان) ١٠/١٥٠، وتاريخ الإسلام ٤٧، وعيون الأثر ٢/١٤٧، ١٤٨، والبداية والنهاية ٤/٢٢١، ٢٢٢، وعيون التواريخ ١/٢٧١.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٢٣٩، الطبقات الكبرى ٢/١١٩، تاريخ الطبري ٣/٢٢، نهاية الأرب ١٧/٢٧٢، ٢٧٣، تاريخ الإسلام ٤٨، عيون الأثر ٢/١٤٧، البداية والنهاية ٤/٢٢٢.

(٦) الطبري ٣/٢٣، الطبقات الكبرى ٢/١١٩، عيون الأثر ٢/١٤٧، عيون التواريخ ١/٢٧١، البدء والتاريخ ٤/٢٢٧، ٢٢٨.

(٧) الطبري ٣/٢٣، عيون الأثر ٢/١٤٧، ١٤٨، الطبقات الكبرى ٢/١٢٠، عيون التواريخ ١/٢٧٢، المغازي للواقدي ٢/٧٢٧، تاريخ الإسلام ٥١، البدء والتاريخ ٤/٢٢٨.

(٨) في طبعة صادر ٢/٢٢٦ «جبيل»، وهو وهم.

(٩) في النسخة (ب): «بريرة».

خيبر، قدِم على النبيّ، ﷺ، فأخبره أنّ جمعاً من غطفان بالجِناب قد أمدّهم عُيَيْنة بن حِصْن، وأمرهم بالمسير إلى المدينة، فبعث النبيّ، ﷺ، بشيراً فأصابوا نَعَماً وقتلوا مولى لعُيَيْنة، ثمّ لقوا جمع عُيَينة، فهزمهم المسلمون، وانهزم عُيَينة، فلقيه الحارث بن عَوْف منهزماً، فقال له: قد آن لك أن تقصر عمّا مضى[1].

(حاطب: بالحاء المهملة، وآخره باء موحدة. وبشير: بفتح الباء الموحّدة، وكسر الشين المعجمة، وآخره راء، والد النعمان بن بشير. وعُيَيْنة: بضمّ العين، وفتح الياء المثنّاة تحتها نقطتان، وسكون الياء الثانية، وبعدها نون، تصغير عين).

ذكر عُمْرة القضاء[2]

لما عاد رسول الله، ﷺ، من خيبر أقام بالمدينة جُمادَيين ورجبَ وشعبان ورمضان وشوّالاً يبعث السرايا، ثمّ خرج في ذي الحجّة معتمراً عُمْرة القضاء، وساق معه سبعين بدنةً، وخرج معه المسلمون ممّن كان معه في عُمرته الأولى. فلمّا سمع به أهل مكّة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش [بينها] أنّ النبيّ، ﷺ، وأصحابه في عُسْر وجُهْد، فاصطفّوا له عند دار النَّدوة، فلمّا دخلها اضطّبع بردائه، فأخرج عضُده اليمنى، ثمّ قال: رحِم الله امرأً أراهم اليوم [من نفسه] قوّةً! ثمّ استلم الركن وخرج يُهَرْول، ويُهَرْول أصحابه [معه]، وكان بين يديه لما دخل مكّة عبد الله بن رَواحة آخذاً بخطام ناقته وهو يقول:

خَلّوا بني الكُفّارِ عَن سَبيلهْ ... خلّوا فكلّ الخَيرِ في رَسولهْ
يا رَبّ إنّي مُؤمنٌ بقِيلهْ ... أعرِفُ حَقّ الله في قَبُولهْ
نحنُ قَتَلناكُمْ على تأويلهْ ... كما قَتَلناكُمْ على تَنزِيلهْ
ضَرْباً يُزيلُ الهَامَ عَنْ مَقيلهْ ... ويُذْهل الخليلَ عن خَليلهْ[3]

وتزوّج النبيّ، ﷺ، في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، وأقام بمكّة ثلاثاً، فأرسل

---

(١) في إحدى النسخ «عماری».
وأنظر عن هذا الخبر: نهاية الأرب ٢٧٣/١٧، ٢٧٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٣٣٥.

(٢) ويقال: عُمرة القضيّة، ويقال: عُمرة القصاص. (عيون الأثر ١٤٨/٢).
وأنظر الخبر في: سيرة ابن هشام ٥/٤، وتاريخ الطبري ٢٣/٣، تاريخ خليفة ٨٦، والمغازي للواقدي ٧٣١/٢، المغازي لعروة ٢٠١، عيون الأثر ١٤٨/٢، الطبقات الكبرى ١٢٠/٢، أنساب الأشراف ٣٥٣/١، عيون التواريخ ٢٧٢/١، البدء والتاريخ ٢٢٨/٤، مرآة الجنان ١١/١، سيرة ابن كثير ٤٢٨/٣، البداية والنهاية ٢٢٦/٤، تاريخ الإسلام ٤٥٦.

(٣) الأبيات في ديوان عبد الله بن رواحة ١٠٠، ١٠١، باختلاف في الألفاظ وترتيب الأبيات، وفي سيرة ابن هشام ٧/٤، والطبقات الكبرى ١٢١/٢، والمغازي لعروة ٢٠٢، وتاريخ الطبري ٢٤/٣.

المشـركون إليـه مع عليّ بنِ أبي طـالب ليخرج عنهم. فقـال: ما عليهم لـو أعرستُ بين أظهُرهم، وصنعنا لهم طعاماً فحضروه معنا؟ فقالوا: لا حاجة لنا في طعامـه. فخرج عنهم وبنى بميمونة بسَرِف، ثمّ انصرف إلى المدينة فأقام بهـا بقيّة ذي الحجّـة والمحرّم وصفـر وشهر ربيع، وبعث جيشه الذي أُصيب بمُؤتة[1].

وولي تلك الحجّة المشركون.

وفيهـا كـانت غـزوة ابن أبي العَـوْجـاء السُّلَميّ إلى بني سُلَيْم، فلقـوه فـأُصيب هـو وأصحابه.

وقيل: بل نجا وأُصيب أصحابه[2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٨، ٩، تاريخ الطبري ٣/٢٥، الطبقات الكبـرى ٢/١٢٢، المغازي لعـروة ٢٠١، البدء والتاريخ ٤/٢٢٨، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الإسلام ٤٦١، عيون التواريخ ١/٢٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٦، الطبقات الكبرى ٢/١٢٣، عيون الأثر ٢/١٤٩، عيون التواريخ ١/٢٧٤.

٨
ودخلت سنة ثمان

فيها توفيت زينب بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ قاله الواقديّ[١]

* * *

[غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوَّح][٢]

وفيها كان سريّة غالب بن عبد الله الليثيّ الكلبيّ، كلب اللّيث، إلى بني المُلَوَّح، فلقيه الحارث بن البَرْصاء الليثيّ، فأخذوه أسيراً، فقال: إنّما جئتُ لأسلم. فقال له غالب: إن كنتَ صادقاً فلن يضرّك رباط ليلة، وإن كنتَ كاذباً استوثقنا منك. ووكّل به بعض أصحابه وقال له: إنْ نازعك فخذْ رأسه؛ وأمره بالمقام إلى أن يعود، ثمّ ساروا حتى أتوا بطنِ الكَديد، فنزلوا بعد العصر، وأرسلوا جُنْدُبَ بن مَكيث الجُهَنيّ ربيئة لهم، قال: فقصدتُ تلاًّ هناك يطلعني على الحاضر، فانبطحتُ عليه، فخرج لي منهم رجلٌ فرآني منبطحاً، فأخذ قوسه وسهمَين فرماني بأحدهما، فوضعه في جنبي، قال: فنزعتُهُ ولم أتحرّك، ثمّ رماني بالثاني فوضعه في رأس منكبي، قال: فنزعتُهُ ولم أتحرّك. قال: أمَا والله لقد خالطه سهماي، ولو كان ربيئة لتحرّك. قال: فأمهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا، فشننّا عليهم الغارة فقتلنا منهم، واستقنا منهم النَّعم، ورجعنا سراعاً، وأتَى صريخُ القوم، فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به، حتّى إذا لم يكن بيننا إلاّ بطن الوادي من قُدَيْد بعث الله من حيث شاء سحاباً، ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدّم، وقدِمنا المدينة. وكان شعار المسلمين: «أمِتْ أمِتْ»[٣]، وكان عِدّتهم بضعة عشر رجلاً[٤].

---

(١) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٢٧/٣، عيون التواريخ ٣٤٠/١.

(٢) المغازي للواقدي ٧٢٤/٢، البداية والنهاية ٢٢٢/٤، تاريخ الإسلام ٤٤٨، الطبقات الكبرى ١٢٤/٢، عيون التواريخ ٢٧٧/١، تاريخ الطبري ٢٧/٣، عيون الأثر ١٥٠/٢، سيرة ابن هشام ٢٥٦/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٥٧/٤، ٢٥٨.

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، العلاء بن الحضرميّ إلى البحرين وبها المنذر بن ساوَى، فصالح المنذر على أنّ على المجوس الجزية، ولا تؤكل ذبائحهم و [لا] تُنكح نساؤهم.

وقيل: إنّ إرساله كان سنة ستٍّ من الهجرة، مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله، ﷺ، إلى الملوك[1]، وقد تقدّم ذلك.

وفيها كانت سريّة شُجاع بن وهْب إلى بني عامر، في ربيع الأوّل، في أربعة عشر رجلاً، فأصابوا نَعَماً، فكان سهم كلّ رجل منهم خمسة عشر بعيراً[2].

وفيها كانت سريّة عمرو بن كعب[3] الغِفاريّ إلى ذات الأطلاح في خمسة عشر رجلاً، فوجد بها جمعاً كثيراً، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا أن يجيبوا، وقتلوا أصحاب عمرو، ونجا حتّى قدِم المدينة[4].

وذات الأطلاح من ناحية الشام[5]، وكانوا [من] قُضاعة، ورئيسهم رجل يقال له سَدوس.

ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص [وعثمان بن طلحة][6]

في هذه السنة في صفر، قدِم عمرو بن العاص مسلماً على النبيّ، ﷺ، وقدِم معه خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدريّ.

وكان سبب إسلام عمرو أنّه قال: لما انصرفنا مع[7] الأحزاب [عن الخندق] قلتُ لأصحابي: إنّي أرى أمر محمّد يعلو عُلُوّاً مُنْكَراً، وإنّي قد رأيتُ أن نلحق بالنجاشيّ، فإنْ

---

(٤) الطبري ٣/٢٨.

---

(١) الطبري ٣/٢٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٢٧، الطبري ٣/٢٩، المغازي للواقدي ٢/٧٥٣، تاريخ الإسلام ٤٧٦، البداية والنهاية ٤/٢٤٠، نهاية الأرب ١٧/٢٧٦، عيون التواريخ ١/٢٧٧، عيون الأثر ٢/١٥٢، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠.

(٣) هكذا في الأصل، وفي مغازي الواقدي، وتاريخ الطبري «كعب بن عمير».

(٤) المغازي للواقدي ٢/٧٥٢، الطبقات الكبرى ٢/١٢٧، تاريخ الإسلام ٤٧٧، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠.

(٥) ذات الأطلاح: موضع من وراء وادي القرى إلى المدينة. (معجم البلدان ١/٢١٨).

(٦) المغازي للواقدي ٢/٧٤٢، تاريخ الطبري ٣/٢٩، تاريخ الإسلام ٤٦٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «من».

ظهر محمّد على قومنا كنّا عند النجاشيّ، وإنْ ظهر قومنا على محمّد فنحن مَنْ قد عرفوا. قالوا: إنّ هذا الرأي. قال: فجمعنا له أدماً كثيراً، وخرجنا إلى النجاشيّ، فإنّا لعنده، إذ وصل عمرو بن أميّة الضَّمْريّ رسولاً من النبيّ، ﷺ، في أمر جعفر وأصحابه. قال: فدخلتُ على النجاشيّ، وطلبتُ منه أن يسلّم إليّ عمرو بن أميّة الضَّمْريّ، لأقتله تقرّباً إلى قريش بمكّة. فلمّا سمع كلامي غضب، وضرب أنفه ضربةً ظننتُ أنّه قد كسره، يعني النجاشيّ، فخفتُهُ ثمّ قلتُ: والله لو ظننتُ أنّك تكره هذا ما سألتُكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلتُ أيّها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطِعْني واتّبعه، فإنّه والله لعلى الحقّ، وليظهرنّ على مَنْ خالفه، كما ظهر موسى على فرعون [وجنوده]. قال: فقلت: فبايعني له على الإسلام. فبسط يده فبايعته، ثمّ خرجتُ إلى أصحابي وكتمتُهم إسلامي، وخرجتُ عائداً إلى رسول الله، ﷺ، ولقيني خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مقبل [من مكّة]، فقلتُ: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسِم[1]، إنّ الرجل لنبيّ، أذهب والله أسلم فحتّى متى! فقلتُ: ما جئْتُ إلاّ للإسلام، فقدِمنا على النبيّ، ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم، ثمّ دنوتُ فأسلمتُ، وتقدّم عثمان بن طلحة فأسلم[2].

ذكر غزوة ذات السلاسل[3]

وفيها أرسل رسولُ الله، ﷺ، عمرَو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذْرة يدعو الناس إلى الإسلام، وكانت أمّه من بَليّ، فتألّفهم رسولُ الله، ﷺ، بذلك، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل، وبه سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلمّا كان به خاف، فبعث إلى النبيّ، ﷺ، يستمدّه، فبعث إليه رسول الله، ﷺ، أبا عُبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين، فيهم أبو بكر، وعمر، وقال لأبي عُبيد حين وجّهه: لا تختلفا. [فخرج أبو عُبيدة]، فلمّا قدِم عليه قال عمرو: إنّما جئْتَ مدداً إليّ. فقال له أبو عُبيدة: يا عمرو إنّ رسول الله، ﷺ، قال: لا تختلفا، فإنْ عصيتَني أطعتُك. قال: فأنا أمير عليك. قال: فدونك. فصلّى عمرو بالنّاس[4].

---

(١) والمنسم: المذهب والوجه. وفي الطبعة الأوربية «الميسم».

(٢) الخبر في المغازي للواقدي ٢/٧٤١ وما بعدها.

(٣) المغازي للواقدي ٢/٧٦٩، سيرة ابن هشام ٤/٢٦٩، الطبقات الكبرى ٢/١٣١، المغازي لعروة ٢٠٧، جوامع السيرة ٢٠، البداية والنهاية ٤/٢٧٣، عيون الأثر ٢/١٥٧، تاريخ الطبري ٣/٣١، نهاية الأرب ١٧/٢٨٣، عيون التواريخ ١/٢٨٥، البدء والتاريخ ٤/٢٣٢، سيرة ابن كثير ٣/٥١٦، تاريخ الإسلام ٥١٣، المغازي للزهري ١٥٠.

(٤) المغازي لعروة ٢٠٧، وانظر سيرة ابن هشام ٤/٢٦٩، تاريخ الطبري ٣/٣٢.

وفيها أرسل رسولُ الله، ﷺ، عمرَو بن العاص إلى جَيْفر، وعِياذ[1] ابنَيْ الجُلُنْدَى بعُمان، فآمنا وصدّقا. وأخذ الجزية من المجوس[2].

ذكر غزوة الخَبَط وغيرها[3]

وفيها كانت غزوة الخَبَط، وأميرهم أبو عُبيدة بن الجرّاح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب، وزوّدهم رسول الله، ﷺ، جُراباً من تمر، فكان أبو عُبيدة يقبض لهم قبضة، ثمّ تمرة تمرة، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء، فنفد ما في الجراب، فأكلوا الخَبَط، وجاعوا جوعاً شديداً، فنحر لهم قيس بن سعد بن عُبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عُبيدة، فانتهَى. ثمّ إنّ البحر ألقى إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منها حتى شبعوا، ونصب أبو عُبيدة ضلعاً من أضلاعه، فيمرّ الراكب تحته. فلمّا قدِموا المدينة ذكروا ذلك للنبيّ، ﷺ، فقال: كُلُوا رزقاً أخرجه الله لكم، وأكل منه رسول الله، ﷺ، وذكروا صنيع قيس بن سعد، فقال: إنّ الجواد من شيمة أهل ذلك البيت[4].

وفيها كانت سريّة وجّهها رسول الله، ﷺ، في شعبان أميرها أبو قَتادة، ومعه عبد الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ؛ وكان سببها أنّ رِفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن عظيم من جُشَم نزل بالغابة يجمع لحرب النبيّ، ﷺ، فبعث النبيّ، ﷺ، أبا قَتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر، فوصلوا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس، فكمن كلّ واحد منهم في ناحية، وكانوا ثلاثة، وقيل كانوا ستة عشر رجلاً، قال عبد الله بن أبي حَدْرد: فكان لهم راعٍ أبطأ عليهم، فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه، فرميته بسهم في فؤآده، فما تكلّم، قال: فأخذت رأسه، ثمّ شددت في ناحية العسكر، وكبّرت وكبّر صاحباي، فوالله ما كان إلاّ النجاء، فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خفّ عليهم، واستقنا الإبل الكثيرة والغنم، فجئنا بها رسول الله وبرأسه معي، فأعطاني رسول الله، ﷺ، من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً، وكنتُ قد تزوّجت وأخذتُ أهلي. وعدل البعير بعشر من الغنم[5].

وفيها أغزى رسولُ الله، ﷺ، أبا قَتادة أيضاً إلى إضَم، ومعه مُحلِّم بن جَثّامة

---

(١) في الأصل «حيفر وعباد». وفي تاريخ الطبري «عمرو» بدل «عياذ».

(٢) الخبر عند الطبري ٣/٩٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٣٢، تاريخ الطبري ٣/٣٢، عيون التواريخ ١/٢٨٦، عيون الأثر ٢/١٥٨، المغازي للواقدي ٢/٧٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٣، الطبقات الكبرى ٢/١٣٢.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٣٥، ٣٦.

اللّيثيّ قبل الفتح، فلقيهم عامر بن الأضبط الأشجعيّ على بعير له، ومعه متاعه، فسلّم عليهم بتحيّة الإسلام، فأمسكوا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثّامة لشيء كان بينهما، فقتله وأخذ بعيره، فلمّا قدِمْنا على رسول الله، ﷺ، أخبره الخبر، فنزل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا**﴾[1]؛ الآية.

وقيل: كانت هذه السريّة حين خرج إلى مكّة في رمضان[2].

ذكر غزوة مُؤتة[3]

كان ينبغي أن نقدّم هذه الغزوة على ما تقدّم، وإنّما أخّرناها لتتّصل الغزوات العظيمة، فيتلو بعضها بعضاً.

وكانت في جُمادى الأولى من سنة ثمانٍ، واستعمل رسول الله، ﷺ، عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة». فقال جعفر: ما كنتُ أذهب أن تستعملَ[4] عليّ زيداً. فقال: «امضِ فإنّك لا تدري أيّ ذلك خير». فبكى النّاسُ وقالوا: هلّا متّعتنا بهم يا رسول الله؟ فأمسك، وكان إذا قال: «فإن أُصيب فلان فالأمير فلان»، أُصيب كلّ من ذكره.

فتجهّز النّاس، وهم ثلاثة آلاف، وودّعهم رسول الله، ﷺ، والنّاس. فلمّا ودّع عبدَ الله بن رواحة بكى عبد الله، فقال له النّاس: ما يُبْكيك؟ فقال: ما بي حبّ الدنّيا ولا صَبابة بكم، ولكن سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقرأ آية، وهي: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً**﴾[5]؛ فلستُ أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردّكم إلينا سالمين. فقال عبد الله:

لكنّني أسألُ الرّحمنَ مَغفِرَةً ... وضرْبةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا
أوْ طعنَةً بيدَيْ حَرّان مُجهِزَةً ... بحَرْبةٍ تَنْفُذ الأحشاء والكَبِدَا

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٩٤.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ٩/٧٣، وتاريخه ٣/٣٥/٣٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١١، تاريخ خليفة ٨٦، تاريخ الطبري ٣/٣٦، الطبقات الكبرى ٢/١٢٨، عيون التواريخ ١/٢٧٩، نهاية الأرب ١٧/٢٧٧، عيون الأثر ٢/١٥٦، المغازي ٢/٧٥٥، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠، مرآة الجنان ١/١١، سيرة ابن كثير ٣/٤٥٥، البداية والنهاية ٤/٢٤١، شذرات الذهب ١/١٢، تاريخ الإسلام ٧٩، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨.

(٤) في الطبعة الأوربية «استعمل».

(٥) سورة مريم ـ الآية ٧٢.

حتى يَقولوا[1] إذا مَرّوا على جَدَثي   أرشدك[2] الله من غازٍ وقد رَشَدَا[3]

فلمّا ودّعهم رسول الله، ﷺ، وعاد قال عبد الله:

خَلَفَ السّلامُ على امرىءٍ وَدّعتُهُ   في النَّخْل خيرَ مُشَيَّع[4] وخَلِيلِ

ثمّ ساروا حتى نزلوا مُعان، فبلغهم أنّ هِرَقْل سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة من لخم، وجُذام، وبلقَين، وبَلِيّ، عليهم رجل من بَليّ يقال له مالك بن رافلة[5]، ونزلوا مآب من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمُعان ليلتَين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله، ﷺ، نخبره الخبر وننتظر أمره، فشجّعهم عبدُ الله ابن رَواحة وقال: يا قوم والله إنّ الذي تكرهون لَلّذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل النّاس بعدد ولا قوّة، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدّين، فانطلِقوا فما هي إلاّ إحدى الحُسْنَيَين. فقال النّاس: صدق والله، وساروا، وسمعه زيد بن أرقم، وكان يتيماً في حجْره، وقد أردفه في مسيره ذلك على حقيبته، وهو يقول:

إذا أدّيْتِني وَحَمَلتِ رحْلي   مسيرَةَ أربعٍ بعد الحِساء
فشأنُكِ فانعمي[6] وخلاكِ ذَمٌّ   وَلا أرْجِعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المُسلمُونَ وغادَرُوني   بأرْضِ الشّام مُشْتَهِيَ[7] الثّواء
وردَّكِ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ   منَ[8] الرّحمَنِ مُنقطع الإخاء
هُنالكَ لا أُبالي طَلْعَ[9] بَعْلٍ[10]   وَلاَ نَخْلٍ أسافلُها رِواء

فلمّا سمعها زيد بكى، فخفقه بالدِّرّة وقال: ما عليك يا لُكَعُ! يرزقني الله الشهادة وترجع بين شُعْبتِي الرحل؟ ثمّ ساروا، فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء، يقال لها مَشَارِف، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة، فالتقى النّاسُ عندها، وكان

---

(١) في السيرة «يقال».
(٢) في السيرة «أرشده»، وفي إحدى النسخ «أشهدك».
(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام ١٢/٤، تاريخ الطبري ٣٧/٣.
(٤) في الطبعة الأوربية «مشبّع».
(٥) في الطبعة الأوربية «زافلة».
(٦) في السيرة وتاريخ الطبري «أنْعُمٌ».
(٧) في السيرة «مستنهى»، وفي الطبعة الأوربية «مشهور».
(٨) في السيرة «إلى».
(٩) في الطبعة الأوربية «ضلع».
(١٠)البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض.

على ميمنة المسلمين قُطْبة بن قَتادة العُذريّ، وعلى ميسرتهم عَبايَة[1] بن مالك الأنصاري، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله، ﷺ، حتى شاط في رماح القوم، ثمّ أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل [بها] وهو يقول:

يا حَبّذا الجنّةُ واقترابُها طَيّبَةً وبارِداً شَرابُها
والرّومُ رُومٌ قد دنا عذابُها، عليّ، إذ لاقَيتُها، ضِرابُها[2]

فلمّا اشتدّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أوّل مَن عَقر فرسه في الإسلام، فوجدوا به بضعاً وثمانين بين رمية وضربة وطعنة، فلمّا قُتل أخذ الراية عبدُ الله بن رَواحة، ثمّ تقدّم، فتردّد بعض التردّد، ثمّ قال يخاطب نفسه:

أقسَمتُ يا نَفسُ لتَنزِلَنّهْ طائعَةً أوْ لا لَتُكْرَهِنّهْ
إن أجلَبَ النّاسُ وشدّوا الرَّنّهْ ما لي أراكِ تكرَهينَ الجَنّهْ
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمَئنّهْ هَل أنتِ إلّا نُطْفَةٌ في شَنّهْ[3]

وقال أيضاً:

يا نَفسُ إن لم تُقْتَلي تَمُوتي هذا حِمَامُ المَوْتِ قد صَليتِ
وَما تَمَنّيْتِ فقد أُعْطيتِ إنْ تَفعَلي فعلَهما هُديتِ[4]

ثمّ نزل عن فرسه، وأتاه ابن عمّ له بعِرق[5] من لحم، فقال له: شدّ بهذا صلبك، فقد لقيتَ ما لقيتَ. فأخذه فانتهش منه نهشةً، ثمّ سمع الحَطْمة في ناحية العسكر، فقال لنفسه: وأنت في الدنيا! ثمّ ألقاه وأخذ سيفه، وتقدّم فقاتل حتى قُتل.

واشتدّ الأمرُ على المسلمين وكَلِبَ عليهم العدوّ، وقد كان قُطْبة بن قَتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة. ثمّ إنّ الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبيّ، ﷺ، فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: باب خير![6]

---

(١) في الطبعة الأوربية «عُبادة».
(٢) أنظر سيرة ابن هشام ١٧/٤ ففيها اختلاف بالتقديم.
(٣) النطفة: الماء القليل الصافي. والشّنّة: السقاء البالي.
(٤) في الطبعة الأوربية:
وما تمنّيتيه قد أُعطيتي إنْ تَفعَلي بقتلِها هُدِيتي
(٥) في الطبعة الأوربية «بعظم».
(٦) في الطبعة الأوربية «ثار خبر».

(ثلاثاً) [أُخبركم] عن جيشكم هذا الغازي؛ إنّهم لقوا العدوّ، فقُتل زيد شهيداً، فاستغفر له، ثمّ أخذ اللواءَ جعفرٌ، فشدّ على القوم حتّى قُتل شهيداً، فاستغفر له، ثمّ أخذ اللواءَ عبدُ الله بن رواحة، وصمت حتى تغيّرت وجوه الأنصار، وظنّوا أنّه قد كان من عبد الله ما يكرهون، ثمّ قال رسول الله، ﷺ: فقاتل القومَ حتى قُتل شهيداً، ثمّ قال: لقد رُفعوا إلى الجنّة على سُرُر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريرَيْ صاحبَيْه، فقلتُ: عمّ هذا؟ فقيل: مَضَيَا، وتردّد بعض التردّد ثمّ مضى. ولما قُتل ابنُ رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاريّ وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم. فقالوا: رضينا بك. فقال: ما أنا بفاعل. فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فأخذَ الراية ودافع القوم وانحازوا عنه، فقال رسول الله، ﷺ: «ثمّ أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالنّاس»، فمن يومئذٍ سُمّي خالد سيف الله.

وقال رسول الله، ﷺ: «مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان مختضب القوادم[1] بالدم.

قالت أسماء: أتاني النبيّ، ﷺ، وقد فرغتُ من اشتغالي، وغسلتُ أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشمّهم ودمعتْ عيناه، فقلتُ: يا رسول الله أبَلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، أُصيب هذا اليوم. ثمّ عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أوّل ما عُمل في دين الإسلام. قالت أسماء بنت عُمَيْس: فقمتُ أصنع، واجتمع إليّ النساء. فلمّا رجع الجيش (ودنا من المدينة] لقيهم رسول الله، ﷺ، والمسلمون، فأخذ عبدَ الله بن جعفر فحمله بين يدَيْه، فجعل النّاس يحثّون التراب على الجيش ويقولون: يا فُرّار يا فُرّار! ويقول رسول الله، ﷺ: «ليسوا بالفُرّار، ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى»[2].

---

(١) في النسخة (ب): «القوايم».

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٤/٢٠ ـ ٢٢، تاريخ الطبري ٣/٤٠ ـ ٤٢.

ذكر فتح مكّة[1]

وأقام رسول الله، ﷺ، بعد غزوة مؤتة جُمادى الآخرة ورجباً، ثمّ إنّ بني بكر بن عبد مَناة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماءٍ لهم بأسفل مكّة، يقال له الوتير، وكانت خُزاعة في عهد رسول الله، ﷺ، وبكر في عهد قريش في صُلح الحُدَيْبية؛ وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من بني الحضرميّ اسمه مالك بن عَبّاد، وكان حليفاً للأسود بن رَزْن الدُّئليّ، ثمّ البكري في الجاهليّة خرج تاجراً، فلمّا كان بأرض خُزاعة قتلوه، وأخذوا ماله، فعدتْ بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدتْ خُزاعة على بني الأسود بن رَزْن، وهم سَلْمى، وكُلْثوم، وذُؤَيب، فقتلوهم بعَرَفَة، وكانوا من أشراف بني بكر، فبينما خُزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلامُ، واشتغل النّاسُ به، فلمّا كان صلح الحُدَيبية ودخلت خُزاعة في عهد النبيّ، ﷺ، ودخلت بكر في عهد قريش، اغتنمت بكر تلك الهدنة، وأرادوا أن يصيبوا من خُزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود، فخرج نَوْفل بن معاوية الدُّئليّ بمن تبعه من بكر حتى بيَّتَ[2] خُزاعة على ماء الوتير.

وقيل: كان سبب ذلك أنّ رجلاً من خُزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبيّ، ﷺ، فشجّه، فهاج الشرّ بينهم، وثارت بكر بخُزاعة حتى بيّتوهم بالوتير، وأعانت قريش بني بكر على خُزاعة بسلاح ودواب، وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين، منهم صفوان بن أميّة، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وسهل بن عَمرو، فانحازت خُزاعة إلى الحرم، وقُتل منهم نفر. فلمّا دخلت خُزاعة الحرمَ قالت بكر: يا نوفل إنّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهَك! فقال: لا إلهَ له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فَلَعمْري إنّكم لتُسرِفون في الحَرَم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟.

فلمّا نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبيّ، ﷺ، خرج عمرو بن سالم الخزاعيّ، ثمّ الكعبيّ حتّى قدِم على رسول الله، ﷺ، المدينة فوقف عليه، ثمّ قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٩، تاريخ الطبري ٣/٤٢، الطبقات الكبرى ٢/١٣٤، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٩، المعارف ١٦٣، تاريخ خليفة ٨٧، المغازي لعروة ٢٠٨، الدرر لابن عبد البر ٢٢٤، جوامع السيرة لابن حزم ٢٢٣، عيون الأثر ٢/١٦٣، المغازي للواقدي ٢/٧٨٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩/١٢٠، نهاية الأرب ١٧/٢٩٩، أنساب الأشراف ١/٣٥٣ رقم ٧٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٨، مروج الذهب ٢/٢٩٦، عيون التواريخ ١/٢٨٨، مرآة الجنان ١/١٥، تاريخ الإسلام ٥٢١، البدء والتاريخ ٤/٢٣٢، سيرة ابن كثير ٣/٥٢٦، البداية والنهاية ٤/٢٧٨، المغازي للزهري ٨٦ - ٩١.

(٢) في الطبعة الأوربية «تبيت».

لا هُمَّ[1] إنّي نـاشـدٌ مَـحـمّـداً   حِـلْفَ أبِـيـنـا وأبِـيـه الأتْـلَدَا
فـوالـداً كُـنّـا وكـنـتَ وَلَـدَا[2]   ثُمّتَ أسلمنـا فلم نَـنـزِعْ يـدَا
فـانصـرْ رَسـول[3] الله نصـراً أعـتـدا   وَادعُ عـبـادَ الله يـأتـوا مَـدَدَا
فـيـهـم رَسـولُ الله قـد تَـجَـرّدَا   أبيضَ مثـل البدر يَنمي صُعُـدَا[4]
إن سيمَ خـسـفـاً وَجـهُـه تَـرَبَّـدَا   في فَيلقٍ كـالبحـرِ يجـرِي مُزْبِـدَا
إنّ قـرَيشـاً أخلفـوكَ المَـوْعِـدَا   ونـقـضُـوا مـيـثـاقَـكَ المـؤكَّـدَا
وَجـعـلوا لـي فـي كَـداءٍ رَصَـدَا   وَزعـمـوا أن لـسـتُ أدعـو أحـدَا[5]
وهـم أذلُّ وأقَـلُّ عَـدَدَا   هم بَيّتـونـا بـالـوَتيـرِ هُـجّـدَا
فقَتَّلونـا رُكّعـاً وسُجّـدَا[6]

فقال رسول الله، ﷺ: قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم! ثمّ عرض لـرسول الله، ﷺ، عَنانٌ من السماء فقال: «إنّ هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب»[7].

وكان بين عبد المطّلب وخُزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم:

حـلف أبينـا وأبيـه الأتـلدا

ثمّ خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة، حتّى قدِموا على النبيّ، ﷺ، المدينـةَ فنادوه وهو يغتسل فقال: «يا لبّيكم»! وخرج إليهم، فأخبروه الخبر، ثمّ انصرفوا راجعين إلى مكّة، وكان رسول الله، ﷺ، قد قال: كأنّكم بأبي سفيان قد جاء ليجدّد العهد خوفاً ويزيد في المدّة. ومضى بُديـل فلقي أبا سفيـان بعُسْفان يـريد النبيّ، ﷺ، ليجـدّد العهد خوفاً منه، فقال لبُدَيل: من أين أقبلتَ؟ قال: من خُزاعة في الساحل وبطن هـذا الوادي. قال: أوَما أتيتَ محمّداً؟ قال: لا. فقال أبو سفيان لأصحابه [لمّا راح بُديل]: انـظروا بعر ناقته، فإن جاء المدينة لقد عَلَفَ النَّوَى. فنظروا بعر الناقة، فرأوا فيه النَّوَى.

---

(١) في السيرة «يا رب».
(٢) في السيرة: «قد كنتم ولداً وكنّا والداً».
(٣) في السيرة: «هداك الله».
(٤) في الطبعة الأوربية: «أبيض مثل اليد تيمى صَعَدا».
ومن هنا يبدأ الاختلاف في الترتيب عند ابن هشام.
(٥) في الطبعة الأوربية:
وجـعـلوا فـي كَـداء ورَصَـدا   وزعـمـوا أن كـنـت تـدعـو أحـداً
(٦) سيرة ابن هشام ٤/٣٥، الطبري ٣/٤٥، وبعضها في أنساب الأشراف ١/٣٥٣، ٣٥٤، والمغازي للواقدي ٢/٧٨٩، وعيون التواريخ ١/٢٨٨، ٢٨٩، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٣، وتاريخ الإسلام ٥٢٣.
(٧) سيرة ابن هشام ٤/٣٥، تاريخ الطبري ٣/٤٥.

ثمّ خرج أبو سفيان حتى أتَى النبيَّ، ﷺ، فدخل على ابنته أمّ حَبيبة زوج النبيّ، فلمّا أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوتْه عنه. فقال: أرغبتِ به عنّي أم رغبتِ بي عنه؟ فقالت: هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجسٌ، فلم أحبّ أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك بعدي شرّ. ثمّ خرج حتى أتَى النبيَّ، ﷺ، فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً، ثمّ أتَى أبا بكر، فكلّمه ليكلّم له رسول الله، ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل. ثمّ أتَى عمرَ فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله، ﷺ! والله لو لم أجد إلّا الذرّ لجاهدتكم به. ثمّ خرج حتى أتَى عليّاً، وعنده فاطمة والحسن غلام، فكلّمه في ذلك، فقال له: والله لقد عزم رسول الله، ﷺ، على أمر لا نستطيع أن نكلّمه فيه. فقال لفاطمة: يا بنت محمّد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يُجير بين النّاس فيكون سيّدَ العرب؟ فقالت: ما بلغ ابني أن يُجير بين الناس[1]، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد[2]. فالتفت إلى عليّ فقال له: أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحني. قال: أنت سيّد كِنانة، فقمْ فأجِرْ بين النّاس، والحقْ بأرضك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيّها النّاس قد أجرتُ بين النّاس. ثمّ ركب بعيره وقدِم مكّة، وأخبر قريشاً ما جرى له، وما أشار به عليّ عليه. فقالوا له: والله ما زاد على أن يسخر بك[3].

ثمّ إنّ رسول الله، ﷺ، تجهّز وأمر النّاس بالتجهّز إلى مكّة وقال: «اللهمّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتّى نَبْغَتَها في بلادها». فكتب حاطب بن أبي بَلْتعة كتاباً إلى قريش يُعلمهم الخبر، وسيَّره مع امرأة من مُزَيْنة اسمها كنود، وقيل: مع سارة مولاة لبني المطّلب. فأرسل رسول الله، ﷺ، عليّاً والزَّبير، فأدركاها وأخذا منها الكتاب وجاءا به إلى رسول الله، ﷺ، فأحضر حاطباً وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: والله إنّي لمؤمن [بالله ورسوله] ما بدّلتُ ولا غيّرتُ، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد، وليس لي عشيرة، فصانعتُهم عليهم. فقال عمر: دعني أضرب عنقه، فإنّه قد نافق. فقال رسول الله، ﷺ: «وما يُدريك يا عمر؟ لعلّ الله قد اطّلع على أهلِ بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وأنزل الله [في حاطب]: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾**[4] إلى آخر الآية[5].

ثمّ مضى رسول الله، ﷺ، واستخلف على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين

---

(١) في الطبعة الأوروبية «أن يجير رسول الله».

(٢) في الطبعة الأوروبية «أحداً».

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٣٧، تاريخ الطبري ٣/٤٦، ٤٧.

(٤) سورة الممتحنة ـ الآية ١.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٣٩، تفسير الطبري ٢٨/٣٩، تاريخ الطبري ٣/٤٨، ٤٩.

الغفاريّ، وخرج لعشرٍ مَضَيْن من رمضان، وفتح مكّة لعشر بقين منه، فصام حتّى بلغ ما بين عُسْفان وأَمَج، فأمطروا، واستوعب معه المهاجرون والأنصار، فسبّعتْ سُلَيم، وألّفتْ مُزَيْنة[1]، وفي كلّ القبائل عدد [وإسلام]، وأدركه عُيَيْنَة بن حصْن الفزاري، والأقرع بن حابس، ولقيه العبّاس بن عبد المطّلب بالسُّقيا، وقيل: بذي الحُلَيْفة، مهاجراً، فأمره رسول الله، ﷺ، أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه، وقال له: «أنت آخر المهاجرين، وأنا آخر الأنبياء».

ولقيه أيضاً مَخْرمة بن نوفل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعبد الله بن أميّة[2] بنيق[3] العُقاب، فالتمسا الدخول على رسول الله، ﷺ، وكلّمته أمّ سلمة فيهما وقالت له: ابن عمّك وابن عمّتك. قال: لا حاجة لي بهما، أمّا ابن عمّي فهتك عِرضي، وأمّا ابن عمّتي، فهو الذي قال بمكّة ما قال. فلمّا سمعا ذلك، وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر فقال: والله ليأذنّ لي، أو لآخذنّ بيد ابني هذا، ثمّ لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فرقّ لهما رسول الله، ﷺ، فأدخلهما إليه فأسلما[4].

وقيل: إنّ عليّاً قال لأبي سفيان بن الحارث: إئت رسول الله، ﷺ، من قبل وجهه، فقلْ له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿**تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[5]، فإنّه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً، ففعل ذلك. فقال له رسول الله، ﷺ: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[6]، وقرّبهما، فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره ممّا مضى:

لَعَمرُكَ إنّي يومَ أحملُ رايَةً ... لتَغْلِبَ خيلُ اللاّتِ خيلَ مُحمّدِ
لكالمُدلجِ الحَيرانِ أظلَمَ لَيلُهُ ... فهذا أواني حينَ أُهدَى وأهْتَدِي
وهادٍ هَداني[7] غيرَ نفسي ونالَني ... معَ الله مَنْ طَرّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

الأبيات[8]، فضرب رسول الله، ﷺ، صدره وقال: أنت طرّدتني كلّ مطرّد[9].

---

(١) سبّعت: أي كانت سبعمائة. وألّفت: أي كانت ألفاً.

(٢) في السيرة ٤/٤١ «عبد الله بن أبي أميّة».

(٣) في السيرة «نبق» بالباء الموحدة. والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٥٢.

(٤) السيرة ٤/٤١.

(٥) سورة يوسف ـ الآية ٩١.

(٦) سورة يوسف ـ الآية ٩٢.

(٧) في السيرة «هداني هاد».

(٨) سيرة ابن هشام ٤/٤٢، تاريخ الطبري ٣/٥١، نهاية الأرب ١٧/٢٩٨، أنساب الأشراف ١/٣٦٣، تاريخ الإسلام ٥٣٦.

(٩) سيرة ابن هشام ٤/٦، الطبري ٣/٥١.

وقيل: إنّ أبا سفيان لم يرفع رأسه إلى النبيّ، ﷺ، حياء منه.

وقدِم رسول الله، ﷺ، مَرَّ الظّهران في عشرة آلاف فارس، من بني غِفار أربعمائة، ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سُلَيْم سبعمائة، ومن جُهَيْنة ألف وأربعمائة، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف من العرب، ثمّ من تميم وأسد وقيس.

فلمّا نزل مَرّ الظَّهْران قال العبّاس بن عبد المطّلب: يا هلاك قريش! والله لئن بَغَتَها رسول الله، ﷺ، في بلادها فدخل عَنوة إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. فجلس على بغلة النبيّ، ﷺ، وقال: أخرج لعلّي أرى حطّاباً أو رجلاً يدخل مكّة فيُخبرهم بمكان رسول الله، ﷺ، فيأتونه ويستأمنونه. قال: فخرجتُ أطوف في الأراك إذ سمعتُ صوت أبي سفيان، وحَكيم بن حزام، وبُدَيل بن ورقاء الخُزاعي، قد خرجوا يتجسّسون. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ نيراناً أكثر من هذه. فقال بُدَيل: هذه نيران خُزاعة. فقال أبو سفيان: خُزاعة أذلّ من ذلك. فقلتُ: يا أبا حنظلة، يعني أبا سفيان كان يُكنى بذلك، فقال: أبو الفضل! قلت: نعم. قال: لبيّك فداك أبي وأمّي، ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله، ﷺ، في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف. قال: ما تأمرني؟ قلتُ: تركب معي فأستأمن لك رسولَ الله، ﷺ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عُنُقك. فردفني، فخرجتُ أركضُ به نحو رسول الله، ﷺ، فكلّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين يقولون: عمّ رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مررنا بنار عمر بن الخطّاب، فقال أبو سفيان: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد! ثمّ اشتدّ نحو النبيّ، ﷺ، وركضتُ البغلة فسبقت عمرَ، ودخل عمر على رسول الله، ﷺ، فأخبره وقال: دَعْني أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله إنّي قد أجرتُهُ. ثمّ أخذتُ برأس رسول الله، ﷺ، وقلتُ: لا يناجيه [اليومَ] أحد دوني. فلمّا أكثر فيه عمر قلتُ: مهلاً يا عمر، [فوالله] ما تصنع هذا إلاّ لأنّه من بني عبد مَناف، ولو كان من بني عديّ ما قلتَ هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عبّاس، فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم. فقال رسول الله، ﷺ: [اذهب] فقد آمنّاه حتى تغدو عليّ به بالغداة. فرجعتُ به إلى منزلي وغدوتُ به على رسول الله، ﷺ، فلمّا رآه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى [عنّي] شيئاً. فقال: ويحك لم يأنِ لك [أن تعلم] أنّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأمّي، أمّا هذه ففي النفس منها شيء. قال العبّاس: فقلتُ له: ويحك تشهّد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عنقك! قال: فتشهّد، وأسلم معه حَكيم بن حِزام وبُديل بن ورقاء. فقال رسول الله، ﷺ، للعبّاس: اذهبْ فاحبس أبا سفيان عند خَطْم[1] الجبل بمضيق الوادي، حتّى تمرّ عليه جنود الله.

---

(١) خَطْم الجبل: أنفه أي مقدّمه. وفي رواية «حطم» بالحاء المهملة، وهو موضع ضيّق تتزاحم فيه الخيل حتى =

فقلت: يا رسول الله إنّه يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: «مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[1].

قال: فخرجتُ به فحبستُهُ عند خَطْم الجبل، فمرّت عليه القبائل فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: أسْلم. فيقول: ما لي ولأسلم. ويقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: جُهَيْنَة. فيقول: ما لي ولجهينة. حتى مرّ رسول الله، ﷺ، في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار [في الحديد]، لا يُرى منهم إلّا الحَدَق. فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله، ﷺ، في المهاجرين والأنصار. فقال: لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويْحك إنّها النبوّة. فقال: نعم إذن. فقلتُ: الحقْ بقومك سريعاً فحذّرْهم. فخرج حتى أتَى مكّة ومعه حكيم بن حِزام، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به. فقالوا: فمَهْ. قال: مَنْ دخل داري فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن[2].

ثمّ قال: يا معشر قريش أسلِموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلي لحيتي، وأقسم لئن أنتِ لم تُسلِمي لتُضربنّ عنقك، ادخلي بيتك! فتركتْهُ.

وبعث رسول الله، ﷺ، في أثرهما الزّبَير وأمره أن يدخل ببعض النّاس من كَداء، وكان على المُجَنّبة[3] اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل ببعض النّاس من كَداء، فقال سعد حين وجّهه: اليوم يوم الملحمَةْ، اليوم تُستحلّ الحُرمَهْ. فسمعها رجل من المهاجرين، فأعلم رسولَ الله، ﷺ، فقال لعليّ بن أبي طالب: أدركهْ فخذِ الرايةَ منه، وكنْ أنت الذي تدخل بها، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكّة من اللِّيط في بعض النّاس، وكان معه أسْلم، وغِفار، ومُزينة، وجُهينة، وقبائل من العرب[4]. وهو أوّل يوم أمّر رسول الله، ﷺ، خالد بن الوليد.

ولما وصل رسول الله، ﷺ، إلى ذي طَوىً وقف على راحلته وهو مُعتجِر ببرد خزّ

= يحطم بعضها بعضاً.

(١) سيرة ابن هشام ٤/٤٢ ـ ٤٤، تاريخ الطبري ٣/٥٢ ـ ٥٤، الأغاني ٦/٣٥٢ ـ ٣٥٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٤٣، الطبري ٣/٥٤، الأغاني ٦/٣٥٤..

(٣) في الطبعة الأوربية «الجنبة».

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٤٩، الطبري ٣/٥٦، ٥٧.

أحمر، وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به [من الفتح]، حتّى إنّ أسفل لحيته ليمسّ واسطة الرحل، ثمّ تقدّم ودخل من أذاخر بأعلاها، وضربت قبّته هناك[1].

وكان عِكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أميّة، وسهيل بن عمرو، قد جمعوا ناساً بالخَنْدمة ليقاتلوا، ومعهم الأحابيش، وبنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مَناة، فلقيهم خالد ابن الوليد، فقاتلهم فقُتل من المسلمين جابر بن حُسَيْل الفِهْريّ، وحُبَيْش[2] بن خالد، وهو الأشعر الكعبيّ، وسَلَمة بن المَيْلاء، وقُتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً، ثمّ انهزم المشركون[3].

وكان مع عِكْرمة حماس بن خالد الدُّئليّ، وكان قد قال لامرأته: لآتينّك بخادم من أصحاب محمّد، فلمّا عاد إليها منهزماً قالت له تستهزىء به: أين الخادم؟ فقال:

فأنت لَوْ شهدتنا بالخَنْدَمَهْ إذْ فَرّ صفوَانُ وفرّ عِكْرِمَهْ
وابو يَزيدَ كالعجوزِ المؤتَمَهْ لم تنطقي في اللّوم أدنى كَلِمَهْ
إذْ ضَرَبتنا بالسّيوفِ المثْلَمَهْ لهم زفيرٌ[4] خلفنَا وغَمغَمَهْ[5]

أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو.

وكان رسول الله، ﷺ، قد عهد إلى أمرائه أن لا يقتلوا أحداً إلاّ مَنْ قاتلهم. فلمّا انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكّة قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر، وقد نشرن شعورهنّ، فرآهنّ رسول الله، ﷺ، وإلى جنبه أبو بكر، فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: يا أبا بكر كيف قال حسّان؟ فأنشده:

تَظَلُّ جِيَادُنا مُتَمَطِّرَاتٍ[6] تُلَطِّمُهُنّ بالخُمرِ النِّساءُ[7]

---

(١) السيرة ٤/٤٩، الطبري ٣/٥٧.
(٢) في الطبعة الأوربية «خُنَيْش» وفي السيرة «خنيس».
(٣) سيرة ابن هشام ٤/٥٠، الطبري ٣/٥٧، ٥٨.
(٤) في الطبعة الأوربية: «زبير».
(٥) أنظر الأبيات باختلاف الألفاظ والترتيب في: سيرة ابن هشام ٤/٥٠، وتاريخ الطبري ٣/٥٨، وعيون التواريخ ١/٣٠٠، وأنساب الأشراف ١/٣٥٦، ٣٥٧، والمغازي لعروة ٢١٢، والمغازي للواقدي ٢/٨٢٧، وعيون الأثر ٢/١٧٣، ونهاية الأرب ١٧/٣٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٣٥.
(٦) في إحدى النسخ «مضمرات».
(٧) في الطبعة الأوربية:
تكاد جيادنا مستمطراتٍ يُلَطِّمهنّ بالخمر النساء
والبيت من قصيدة طويلة في: ديوان حسّان، وسيرة ابن هشام ٤/٦٣ - ٦٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٦، =

وكان رسول الله، ﷺ، قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة، فأمّا الرجال فمنهم عِكْرمة بن أبي جهل، كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله، ﷺ، وعداوته والإنفاق على محاربته، فلمّا فتح رسول الله، ﷺ، مكّة خافه على نفسه، فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له، وخرجت في طلبه ومعها غلام لها روميّ، فراودها عن نفسها، فأطمعته ولم تمكّنه[1]. حتى أتت حيّاً من العرب فاستعانتهم عليه، فأوثقوه، وأدركت عِكْرمةَ وهو يريد ركوب البحر فقالت: جئْتُك من عند أوصل النّاس وأحلمهم وأكرمهم، وقد آمنك، فرجع، وأخبرته خبر الروميّ، فقتله قبل أن يُسْلم. فلمّا قدِم على رسول الله، ﷺ، سُرّ به، فأسلم وسأل رسولَ الله، ﷺ، أن يستغفر[2] له، فاستغفر[3].

ومنهم صفوان بن أميّة بن خَلَف، وكان أيضاً شديداً على النبيّ، ﷺ، فهرب خوفاً منه إلى جُدّة، فقال عُمَير بن وهب الجُمَحيّ: يا رسول الله إنّ صفوان سيّد قومي، وقد خرج هارباً منك فآمِنْهُ. قال: هو آمِنٌ، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكّة ليُعرف بها أمانه، فخرج بها عُمَير فأدركه بجدّة، فأعلمه بأمانه وقال: إنّه أحلم النّاس وأوصلهم، وإنّه ابن عمّك، وعزّه عزّك، وشرفه شرفك. قال: إنّي أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك. فرجع صفوان وقال لرسول الله، ﷺ: إنّ هذا يزعم أنّك آمنتني. قال: «صدق». قال: اجعلني بالخيار شهرَين. قال: «أنت فيه أربعة أشهر»[4]، فأقام معه كافراً، وشهد معه حُنَيْناً والطائف، ثمّ أسلم وحسُن إسلامُهُ، وتوفّي بمكّة عند خروج النّاس إلى البصرة ليوم الجمل.

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح من بني عامر بن لُؤيّ، وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله، ﷺ، فكان إذا أملى عليه: عزيز حكيم، يكتب: عليم حكيم، وأشباه ذلك، ثمّ ارتدّ وقال لقريش: إنّي أكتب أحرفَ محمّدٍ في قرآنه حيث شئتُ، ودينكم خير من دينه؛ فلمّا كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفّان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيّبه عثمان حتى اطمأنّ النّاس، ثمّ أحضره عند رسول الله، ﷺ، وطلب له الأمان، فصمت رسول الله، ﷺ، طويلاً ثمّ آمنه، فأسلم وعاد، فلمّا انصرف قال رسول الله، ﷺ، لأصحابه: «لقد صمتُّ ليقتله أحدكم». فقال أحدهم: هلاّ أومأتَ إلينا؟ فقال:

= والمغازي للواقدي ٢/٨٣١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٢، ٥٤٣.

(١) في الطبعة الأوربية «تمنّيه».

(٢) في الطبعة الأوربية «استغفر».

(٣) السيرة ٤/٥٢، الطبري ٣/٥٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٦٠.

«ما كان للنبيّ أن يقتل بالإشارة، إنّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين»[1].

ومنهم عبد الله بن خَطَل، وكان قد أسلم، فأرسله رسول الله، ﷺ، مصدِّقاً ومعه رجل من الأنصار، وغلامٌ له روميّ قد أسلم، فكان الروميّ يخدمه ويصنع الطعام، فنسي يوماً أن يصنع له طعاماً، فقتله وارتدّ، وكان له قَينتان تغنّيان بهجاء رسول الله، ﷺ، فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزوميّ، أخو عمرو بن حريث، وأبو بَرْزَةَ الأسلميّ[2].

ومنهم الحُوَيرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان يؤذي رسول الله، ﷺ، بمكّة وينشد الهجاء فيه، فلمّا كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقيه عليّ بن أبي طالب فقتله[3].

ومنهم مِقْيس بن صُبابة، وإنّما أمر بقتله لأنّه قتل الأنصاريّ الذي قتل أخاه هشاماً خطأً وارتدّ، فلمّا انهزم أهل مكّة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة، وشربوا الخمر، فعلم به نُمَيْلة بن عبد الله الكنانيّ، فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله[4].

ومنهم عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهْميّ، وكان يهجو رسول الله، ﷺ، بمكّة ويعظّم القول فيه، فهرب يوم الفتح هو وهُبَيرة بن أبي وهب المخزوميّ زوج أمّ هانىء بنت أبي طالب إلى نجران، فأمّا هبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك، وأمّا ابنُ الزِّبَعْرَى فرجع إلى رسول الله، ﷺ، واعتذر، فقبل عُذره، فقال حين أسلم:

يا رَسولَ المَليكِ إنّ لساني ... راتقٌ[5] ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[6]

إذْ أُباري الشّيطان في سننِ الغـ ... ـيّ[7] وَمَنْ مالَ ميلَه[8] مَثْبُورُ[9]

---

(١) قال ابن الأثير في: النهاية في غريب الحديث ٦/٢ «أي يفسّر في نفسه غير ما يظهر، فإذا كفّ لسانه وأومأ بعينه فقد خان، وإذا كان ظهور تلك الحالة من قِبَل العين سُمّيت خائنة الأعين. وانظر المغازي للواقدي ٨٥٦/٢، وسيرة ابن هشام ٥١/٤، وعيون الأثر ١٧٥/٢، وشفاء الغرام ١٨٧/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٩٢/٤، ٩٣، المغازي للواقدي ٨٥٩/٢، ٨٦٠، عيون الأثر ١٧٦/٢، سيرة ابن كثير ٥٦٤/٣، شفاء الغرام ٢٢٦/٢، ٢٢٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٣، ٥٥٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٢/٤، الطبري ٦٠/٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٥٢/٤، والطبري ٦٠/٣، وعيون الأثر ١٧٦/٢، والمغازي للواقدي ٨٦٠/٢، ٨٦١، وشفاء الغرام ٢٢٥/٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «رايق».

(٦) البور: الهالك.

(٧) عند الطبري «سنن الريح».

(٨) في الطبعة الأوربية «نال مثله».

(٩) المثبور: الهالك.

آمَنَ اللّحمُ والعظامُ بربّي ثمّ نفسي[1] الشهيد أنتَ النّذيرُ

في أشعار له كثيرة يعتذر فيها[2].

ومنهم وحشيّ بن حرب قاتل حمزة، فهرب يوم الفتح إلى الطائف، ثمّ قدِم في وفد أهله على رسول الله، ﷺ، وهو يقول: أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأشهدُ أن محمّداً رسول الله. فقال النبيّ، ﷺ: أَوَحْشيّ؟ قال: نعم. قال: أخبِرْني كيف قتلتَ عمّي؟ فأخبره، فبكى وقال: «غيّبْ وجهك عنّي»[3]. وهو أوّل مَنْ جُلد في الخمر، وأوّل من لبس المُعَصْفَر المصقول في الشام.

وهرب حُوَيْطب بن عبد العُزّى، فرآه أبو ذرّ في حائط[4] فأخبر النبيّ، ﷺ، بمكانه، فقال: أَوَليس قد آمنّا النّاس إلّا مَنْ قد أمرنا بقتله؟ فأخبره بذلك، فجاء إلى النبيّ فأسلم.

قيل: إنّه دخل يوماً على مروان بن الحَكَم وهو على المدينة، فقال له مروان: يا شيخ تأخّر إسلامك. فقال: لقد هممتُ به غير مرّة، فكان يصدّني عنه أبوك.

فأمّا النساء فمنهنّ هِنْد بنت عُتْبة، وكان رسول الله، ﷺ، أمر بقتلها لِما فعلت بحمزة، ولِما كانت تؤذي رسول الله، ﷺ، بمكّة، فجاءت إليه مع النساء متخفّية فأسلمت، وكسّرت كلّ صنم في بيتها وقالت: لقد كنّا منكم في غرور، وأهدت إلى رسول الله، ﷺ، جَدْيَيْن، واعتذرت من قلّة ولادة غنمها، فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرت، فكانت تهب وتقول: هذا من بركة رسول الله، ﷺ، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام[5].

ومنهنّ سارة، وهي مولاة عمرو بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بَلْتعة في قول بعضهم، وكانت قدِمت على رسول الله، ﷺ، مسلمة فوصلها، فعادت إلى مكّة مرتدّة، فأمر بقتلها، فقتلها عليّ بن أبي طالب[6].

ومنهنّ قينتا عبد الله بن خَطَل، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله، ﷺ، فأمر بقتلهما، فقُتلت إحداهما واسمها قُرَيْبة، وفرّت الأخرى وتنكّرت وجاءت إلى رسول الله، ﷺ،

---

(١) في السيرة: «لربّي ثم قلبي».
(٢) سيرة ابن هشام ٤/٦١، الطبري ٣/٦٤.
(٣) المغازي للواقدي ٢/٨٦٣.
(٤) حائط: بستان.
(٥) أنظر الطبقات الكبرى ٨/٢٣٧، والطبري ٣/٦٢، والمغازي للواقدي ٢/٨٦٩.
(٦) المغازي للواقدي ٢/٨٦٠.

فأسلمت وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطّاب، فأوطأها رجل فرسه خطأً فماتت[1].

وقيل: بقيت إلى خلافة عثمان، فكسر رجل ضلعاً من أضلاعها خطأً فماتت، فأغرمه عثمان دِيَتَها[2].

ولما دخل رسول الله، ﷺ، مكّة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إلهَ إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألَا كلّ دم أو مأثرة أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين، إلّا سدانة البيت، وسقاية الحجّ». ثمّ قال: «يا معشر قريش ما ترون أنّي فاعل بكم»؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخٍ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[3]، فعفا عنهم[4]، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فَيْئاً، فلذلك سمّي أهل مكّة الطُّلَقاء. وطاف بالكعبة سبعاً، ودخلها وصلّى فيها، ورأى فيها صُوَر الأنبياء، فأمر بها فمُحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستّون صنماً، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقَاً﴾[5]؛ فلا يشير إلى صنم منها إلّا سقط لوجهه.

وقيل بل أمر بها وخُدمت وكُسرت.

ثمّ جلس رسول الله، ﷺ، للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطّاب تحته، واجتمع النّاس لبيعة رسول الله، ﷺ، على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال[6].

وأمّا بيعة النساء فإنّه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاه منهنّ نساء من نساء قريش، منهنّ أمّ هانىء بنت أبي طالب، وأمّ حبيب بنت العاص بن أميّة، وكانت عند عمرو بن عبد وَدّ العامريّ، وأروى بنت أبي العِيص عمّة عتّاب بن أسِيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطّلب بن أبي وداعة السّهْميّ، وأمّه بنت عفّان بن أبي العاص أخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عُتْبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزّى، وأمّ حَكيم بنت

---

(١) الطبري ٣/٦٠، سيرة ابن هشام ٤/٥٢، الروض الأنف ٤/١٠٤، شفاء الغرام ٢/٢٣٠، ٢٣١.
(٢) المغازي للواقدي ٢/٨٦٠.
(٣) سيرة ابن هشام ٤/٥٤، ٥٥، الطبري ٣/٦٠، ٦١.
(٤) العبارة في النسخة (ب): «فأعتقهم رسول الله».
(٥) سورة الإسراء ـ الآية ٨١، والخبر في المغازي للواقدي ٢/٨٣١، ٨٣٢.
(٦) عيون التواريخ ١/٣٠٦، الطبري ٣/٦١.

الحارث بن هشام، وكانت عند عِكرمة بن أبي جهل، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وكانت عند صفوان بن أميّة بن خَلَف، ورَيْطة بنت الحجّاج، وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهنّ، وكانت هند متنكّرة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال لهنّ: «تُبايعنني على أن لا تُشْركن بالله شيئاً». قالت هند: إنّك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه. قال: «ولا تسرقن». قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهَنَة والهَنَة. فقال أبو سفيان، وكان حاضراً: أمّا ما مضى فأنتِ منه في حِلّ. فقال رسول الله، ﷺ: «أهِند»؟ قالت: أنا هند فاعفُ عمّا سلف[1] عفا الله عنك. قال: «ولا تزنين». قالت: وهل تزني الحرّة؟ قال: «ولا تقتلنَ أولادكنّ». قالت: ربّيناهم صغاراً وقتلتَهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم. فضحك عمر. قال: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنّ وأرجلكنّ». قالت: والله إنّ إتيان البهتان لقبيح، ولبعض[2] التجاوز أمثل[3]. قال: ولا تعصينني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس، ونحن نريد أن نعصيك. فقال رسول الله، ﷺ، لعمر: بايعهنّ. واستغفر لهنّ رسول الله، ﷺ. وكان رسول الله، ﷺ، لا يمسّ النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسّه[4] امرأة إلّا امرأة أحلّها الله له، أو ذات مَحْرم [منه][5].

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله، ﷺ، بلالاً أن يؤذّن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم مَنْ يطلب الأمان، ومنهم من قد أمن، فلمّا أذّن وقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة. وقيل: إنّها قالت: لقد رفع الله ذكر محمّد، وأمّا نحن فسنصلّي، ولكنّا لا نحبّ مَنْ قتل الأحبّة.

وقال خالد بن أسد، أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي، فلم يرَ هذا اليوم.

وقال الحارث بن هشام: ليتني متّ قبل هذا اليوم.

وقال جماعة نحو هذا القول. ثمّ أسلموا وحسُن إسلامهم، ورضي الله عنهم.

(وأمّا الأسماء المُشْكلة، فحاطب بن أبي بَلْتعة: بالحاء والطاء المهملتَين، والباء الموحّدة، وبَلْتعة: بالباء الموحّدة، وبعد اللام، تاء مثنّاة[6] من فوقها. وعُيَيْنة بن حِصن:

---

(١) في الطبعة الأوربية «سالف».

(٢) في الطبعة الأوربية «ليعرض».

(٣) في النسخة (ب): «أميل».

(٤) في الأصل: «تحسه».

(٥) الطبري ٣/٦١، ٦٢ وأنظر المغازي للواقدي ٢/٨٥٠، ٨٥١.

(٦) في النسخة (ب): «ثاء مثلثة».

بضمّ العين المهملة، وبائين مثنّاتين من تحت، ثمّ نون، تصغير عين. وبُدَيْل بن ورقاء: بضمّ الباء الموحّدة. وعَتّاب: بالتاء فوقها نقطتان، وآخره باء موحّدة. وأَسِيد: بفتح[1] الهمزة، وكسر السين).

وقول أمّ سلمة: ابن عمّك وابن عمّتك، فتعني بابن عمّه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وابن عمّته عبد الله بن أبي أميّة، وهو أخوها لأبيها، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطّلب. وقوله: قال في مكّة ما قال، فإنّه قال بمكّة: لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء، ﴿ولن نؤمن لِرُقيّك حتى تُنَزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه﴾[2]. وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال: معنى قول أمّ سلمة: ابن عمّتك، أنّ جدّة النبيّ أمّ عبد الله كانت مخزوميّة، وعبد الله بن أبي أميّة مخزوميّ، فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمّته، والصواب ما ذكرناه.

(وحُبَيْش بن خالد: بضمّ الحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، ثمّ بالياء المثنّاة من تحت، وآخره شين معجمة. ومِقْيس بن صُبابة: بكسر الميم، وسكون القاف، وبالياء المثنّاة من تحت المفتوحة، وآخره سين مهملة. وصُبابة: بضمّ الصاد المهملة، وبائين موحّدتين بينهما ألف. خطم الجبل: رُوي بالخاء المعجمة، وبالحاء المهملة، فأما بالخاء المعجمة، فهو الأنف الخارج من الجبل، وأمّا بالحاء المهملة فهو الموضع الذي ثُلم منه وقُطع، فبقي منقطعاً، وقد رُوي حطْم الخيل بالحاء المهملة، والخيل هذه هي التي تُركب، يعني أنّه يحبسه في الموضع الضيّق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضاً لضيقه[3].

ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جَذِيمة[4]

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جَذيمة، وكان رسول الله، ﷺ، قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكّة يدعون النّاس إلى الإسلام، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممّنْ بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فنزل على الغُمَيْصاء ماء من مياه جَذيمة بن عامر بن عبد مَناة بن كِنانة، وكانت جَذِيمة أصابت في الجاهليّة عَوف بن

---

(١) في الطبعة الأوربية «بضم».

(٢) الإسراء ٩٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «لمضيقها».

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٧١، المغازي للواقدي ٣/٨٧٥، تاريخ الطبري ٣/٦٦، تاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، الطبقات الكبرى ٢/١٤٧، نهاية الأرب ١٧/٣١٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧، عيون التواريخ ١/٣١٣، عيون الأثر ٢/١٨٥، سيرة ابن كثير ٣/٥٩٣.

عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المُغيرة عمّ خالد، كانا أقبلا [تاجرين] من اليمن، فأخذت ما معهما [وقتلتهما]، فلمّا نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جَذِيمة السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السّلاح فإنّ النّاس قد أسلموا. فوضعوا السلاح، فأمر خالد بهم فكُتفوا، ثمّ عرضهم على السيف فقتل منهم مَنْ قتل[١].

فلمّا انتهى الخبر إلى النبيّ، ﷺ، رفع يديه إلى السماء ثمّ قال: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد»! ثمّ أرسل عليّاً ومعه مال، وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال[٢] حتى إنه ليدي مِيلَغَة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم عليّ: هل بقي لكم مال أو دم لم يودَ؟ قالوا: لا. قال: فإنّي أعطيكم هذه البقيّة احتياطاً لرسول الله، ﷺ، ففعل. ثمّ رجع إلى رسول الله، ﷺ، فأخبره، فقال: «أصبتَ وأحسنتَ»[٣].

وقيل: إنّ خالداً اعتذر وقال إنّ عبد الله بن حُذافة السّهْميّ أمره بذلك عن رسول الله، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك، فقال له: عملتَ بأمر الجاهليّة في الإسلام. فقال خالد: إنّما ثأرتُ بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبتَ، قد قتلتُ أنا قاتلَ أبي، ولكنّك إنّما ثأرتَ بعمّك الفاكه، حتى كان بينهما شرّ، فبلغ ذلك رسول الله، ﷺ، فقال: «مهلاً يا خالد دَعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً، ثمّ أنفقتَهُ في سبيل الله ما أدركتَ غَدْوة أحدهم ولا رَوْحته»[٤]. .

قال عبد الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ: كنتُ يومئذٍ في جند[٥] خالد، فأثرنا في أثر ظُعُن مصعدة يسوق بهنّ فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم مضوا، ووقف لنا غلام شابّ على الطريق، فلمّا انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويقول:

ارفعنَ[٦] أطرافَ الذيولِ وارتَعْن[٧] مَشْيَ حَيِيّاتٍ[٨] كأن لم تُفْزَعْن

إن تُمْنَعِ اليومَ النّساء تُمنَعْن

---

(١) السيرة ٤/٧١ و٧٢.

(٢) في النسخة (ب): «النساء والأولاد».

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٧٣، تاريخ الطبري ٣/٦٧، المغازي للواقدي ٣/٧٣، الطبقات الكبرى ٢/١٤٨، نهاية الأرب ١٧/٣١٦ و٣١٩ و٣٢١، ٣٢٢، عيون الأثر ٢/١٨٦.

(٤) السيرة ٤/٧٤، الطبري ٣/٦٧.

(٥) في السيرة وتاريخ الطبري «خيل».

(٦) في الطبقات الكبرى ٢/١٤٨.

«رَخّينَ أذيالَ الحِقاء وأرْبَعَنْ»

(٧) في النسخة (ب): «وارفعن»، وفي الأغاني ٧/٢٨٣ «واربعن».

(٨) في النسخة (ب): «شيء حسان».

فقاتلناه طويلاً، فقتلناه ومضينا حتّى لحقنا الظُّعن، فخرج إلينا غلام كأنّه الأوّل فجعل يقاتلنا ويقول:

أُقسم ما إن خادِرٌ[1] ذو لِبْدَهْ | يَرْزِمُ[2] بينَ أثْلَةٍ[3] ووهْدَهْ
يفرِسُ[4] شبّان[5] الرِّجالِ وحدَهْ[6] | بأصْدَقَ الغداة منّي نجْدَهْ

فقاتلناه حتّى قتلناه، وأدركنا الظُّعُن فأخذناهنّ، فإذا فيهنّ غلام وضيء الوجه، به صُفْرة كالمنهوك، فربطناه بحبل وقدّمناه لنقتله، فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بي[7] الظُّعُن في أسفل الوادي، ثمّ تقتلوني. قلنا: نفعل، فعارضنا الظُّعُن، فلمّا كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته: اسلمي حُبيش، على فَقد العيش[8]. فأقبلت إليه جارية بيضاء حُسّانة وقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدّة البلاء. قال: سلام عليكِ دهراً، وإن بقيت عصراً. قالت: وأنت سلام عليك عشراً، وشفعاً تترى، وثلاثاً وِتراً. فقال:

إن يقتلوني يا حُبَيْش فلم يدعْ | هواكِ لهم منّي سوى غُلّة الصَّدْرِ
فأنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي | وعظمي، وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له:

ونحنُ بكَينا من فراقكَ مَرّةً | وأخرى وواسيناك في العُسرِ واليسرِ
وأنت فلم تَبْعَدْ فنعم فتى الهَوَى | جَميلَ العَفافِ والمَوَدّةِ في سترِ[9]
أرَيتَكِ إذْ طالَبتُكم فوَجدتُكُمْ | بحَلْيةَ أو ألفيتُكم بالخوانقِ[10]
ألم يَكُ حَقّاً[11] أن يُنَوَّلَ عاشقٌ | تكلّفَ إدلاجَ السُّرَى في الوَدائقِ[12]

---

(١) في إحدى النسخ «خادم». والخادر: المقيم في عرينه وهو الأسد.

(٢) في الطبعة الأوربية «يروم». وفي الأغاني «يزأر».

(٣) هكذا في عيون التواريخ ٣١٦/١، وفي الأغاني، ونهاية الأرب ٣٢٠/١٧، وسيرة ابن هشام ٤/ ٧٩ «أيكة».

(٤) في الطبعة الأوربية «بفرس».

(٥) في نهاية الأرب «ثنيان». والمثبت يتفق مع الأغاني ٢٨٣/٧، وعيون التواريخ ٣١٦/١.

(٦) الشطر في سيرة ابن هشام ٧٩/٤.

ضار بتأكال الرجال وحده

(٧) في الطبعة الأوربية «في».

(٨) راجع الأغاني ٢٨٣/٧، ونهاية الأرب ٣٢٠/١٧.

(٩) أنظر الأغاني ٢٨٤/٧ ففيه «في المودّة والستر». وكذا في شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/٣ طبعة بولاق.

(١٠) في النسخة (ب): «وافيتكم بالخوافق».

(١١) في السيرة «أهلاً».

(١٢) في الطبعة الأوربية: «فكلّف إذ لاح السّرى في الودائق».

فلا ذنبَ لي قد قُلتُ إذ نحنُ جيرَةٌ[١] أثيبي[٢] بودٍّ قبلَ إحدى الصَّفائقِ
أثيبي[٢] بودٍّ قبل أن تَشْحطَ[٣] النَّوى وينْأى الأميرُ بالحَبيبِ المُفارِقِ
فإنّيَ لا سرّا لديَّ أضعتُهُ[٤] ولا منظرٌ مذْ غبتِ عنّي برائقِ
على[٥] أنّ ما نابَ العَشيرةَ شاغلٌ ولا ذِكْرَ إلا أنْ يكونَ لوامقِ[٦]

فقدّموه [فضربوا] عنقه[٧].

هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكنانيّ، وكان من جَذيمة مع حُبَيْشة بنت حُبيش الكنانيّة أنّه خرج مع أمّه، وهو غلام، نحو المُحتلم لتزور جارة لها، وكان لها ابنة اسمها حُبَيْشة بنت حُبَيْش. فلمّا رآها عبد الله هويها[٨] ووقعت في نفسه، وأقامت أمّه عند جارتها، وعاد عبد الله إلى أهله. ثمّ عاد ليأخذ أمّه بعد يومَين، فوجد حبيشة قد تزيّنَت لأمرٍ كان في الحيّ، فازداد بها عجباً، وانصرفت أمّه، فمشى معها وهو يقول:

وَما أدري، بلى إنّي لأدري أصَوْبُ القطر أحسن أم حُبيشُ
حُبَيْشة والذي خلَقَ البَرَايا وما إن عندَنا[٩] للصّب عَيشُ

فسمعت أمّه فتغافلتْ عنه. ثمّ إنّه رأى ظبياً على ربوة فقال:

يا أُمّتا[١٠] خَبّريني غيرَ كاذِبَةٍ وما يريد سَؤولُ[١١] الحقّ بالكذبِ

---

(١) في السيرة: «فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً».
(٢) في الطبعة الأوربية «أتتني».
(٣) في الأصل «يسخط».
(٤) في الطبعة الأوربية «فإني لأبه لذي ادعيته».
وفي سيرة ابن هشام:
فإنّي لا ضيّعت سرّ أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
(٥) في السيرة «سوى».
(٦) في الطبعة الأوربية:
على بابات العشيرة شاغل ولا ذكر إلّا ذكر هيمان وامق
وفي السيرة: «عف الودّ إلّا أن يكون الترامق».
وانظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في: الأغاني ٢٨٤/٧ و٢٨٨ و٢٨٩، ٢٩٠ و٢٩١، ٢٩٢، ونهاية الأرب ٣٢٠/١٧، ٣٢١، وسيرة ابن هشام ٧٦/٤، ٧٧، وعيون التواريخ ٣١٧/١، والطبقات الكبرى ١٤٩/٢، وعيون الأثر ١٨٧/٢، وتاريخ الطبري ٦٩/٣.
(٧) في الأصل «عنقة».
(٨) في الطبعة الأوربية «هواها».
(٩) في الأغاني ٢٨٠/٧ «وما عن بعدها».
(١٠) في طبعة صادر ٢٥٨/٢ «أمّنا»، وما أثبتناه عن الأغاني.
(١١) في الأغاني «مَسُولُ».

أتـلك أحـسـنُ أم ظـبـيٌ بـرابـيَـةٍ ... لا بـل حُبَيْشَـةُ في عيني وَفي أرَبي

فزجرته أمّه وقالت: ما أنت وهذا؟ وأنا قد زوّجتك ابنة عمّك، فهي من أجمل تلك النساء. وأتت امرأة عُمَير فأخبرتها الخبر وقالت: زيِّني ابنتـك له، ففعلت وأدخلتْهـا عليه، فأطرق. فقالت أمّه: أيّهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غُـيِّـبَـتْ عـنـي حُـبَـيْـشَـةُ مَـرّةً ... من الدّهرِ لا[1] أملِكُ عَزاءً وَلاَ صَبرا

كـأنّ الحَشـا حَـرُّ السَّعيـرِ تحسّـهُ[2] ... وَقود الغضا والقلبُ مضطرمٌ جمرَا[3]

وجعل يراسل الجارية وتراسله، فعلِقتـه كما علِقهـا، وأكثر قـول الشعر فيهـا، فمن ذلك:

حُبَيِّشةُ [هل][4] جَدّي وجَدُّك جـامِعٌ ... بـشَمـلكُمُ شَـملي وأهـلِكُـمُ أهـلي

وهَـلْ أنـا مُلتَفٌّ بـثَـوْبـك مـرّةً ... بصَحـراءَ بينَ الألَيْتَينِ إلى النّخْلِ[5]

فلمّا علِم أهلها خَبرَهما حجبوها عنه، فازداد غرامه. فقالوا لها: عِديه السرحةَ، فإذا أتاك فقولي لـه: نشدتـك الله إن أحببتَني، فوالله مـا على الأرض أبغض إليّ منك، ونحن قريب نسمع ما تقولين، فوعدته وجلسوا قـريباً، فـأقبل لمـوعدٍ لهـا. فلمّا دنـا منها دمعت عيناها والتفتت إلى جنب أهلها [وهم] جلوس، فعرف أنّهم قريب، وبلغه الحال فقال:

فإن قلتِ ما قـالوا لقـد زِدتني جوىً ... على أنّـهُ لم يَبقَ سـرٌّ وَلاَ سِتـرُ[6]

وَلم يَـكُ حبّي عَن نَـوالٍ بَـذَلْتِـهِ ... فيُسْليني عنـكِ التّجهُّمُ وَالهَجْـرُ[7]

وَما أنسَ م لأشياءِ لا أنسَ وَمْقَهـا[8] ... ونَـظرَتَـهَـا حتى يُغَيِّبَـني الـقَبـرُ

---

(١) في الأغاني «لم».

(٢) في الأغاني «يحشّه».

(٣) في الطبعة الأوربية «الجمراء». وفي الأغاني «والقلب مستعرا».

(٤) إضافة من الأغاني.

(٥) في طبعة صادر ٢٥٩/٢ «الألبتين إلى النخْل». والتصويب من الأغاني ٢٨١/٧.
وألية: ماءة من مياه بني سليم. وفيها أقوال أخرى.

(٦) في الأغاني:
لـو قلتِ مـا قـالـوا لـزدتُ جَـوىً بكم ... عـلى أنـه لـم يـبـق سِـتـر ولا صـبـرُ

(٧) البيت في طبعة صادر:
ولـم يـك حـتـى عـن فـواك بـذلـتـه ... فـيسلبني عـنـك الـتـجنّب والـهـجـر
وما أثبتناه عن الأغاني.

(٨) في الطبعة الأوربية:
ومـا أنس لـك شيئـاً ولا أنس وَمْـقَـهـا

وفي الأغاني «ومعها» بدل «ومقها».

وبعث النبيّ، ﷺ، إثر ذلك خالد بن الوليد، فكان منه ما تقدّم ذكره[1].

وفي هذه السنة تزوّج النبيّ، ﷺ، مُلَيْكة ابنة داود الليثيّة، وكان أبواها قُتل يوم فتح مكّة، فجاء إليها بعض أزواج النبيّ، ﷺ، فقلن لها: ألا تستحين تزوّجين رجلاً قتل أباك؟ فاستعاذت منه، ففارقها[2].

وفيها هدم خالد بن الوليد العُزّى ببطن نخلة لخمس ليالٍ بقين من رمضان، وكان هذا البيت تعظّمه قريش وكِنانة ومُضَر كلّها، وكان سَدَنَتها بنو شيبان بن سُلَيْم حلفاء بني هاشم، فلمّا سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علّق عليها سيفه وقال:

أيا عُزَّ شُدّي شَدّةً لا شَوَى لها ... على خالدٍ ألْقي القِناعَ وَشَمّرِي

فلمّا انتهى خالد إليها جعل السّادنُ يقول: أعُزّى بعض غضباتك، فخرجت امرأة سوداء حبشيّة عريانة مولولة، فقتلها وكسر الصنم، وهدم البيت، ثمّ رجع إلى النبيّ، ﷺ، فأخبره، فقال: تلك العُزّى لا تُعْبَد أبداً[3].

وفيها هدم عمرو بن العاص سُواع، وكان بُرهاط لهُذَيل، فلمّا كسر الصنم أسلم سادنه، ولم يجد في خزانته شيئاً[4].

وفيها هدم سعد بن زيد الأشهليّ مَناة بالمُشلّل[5].

ذكر غزوة هوازن بحُنَين[6]

وكانت في شوّال، وسببها أنّه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكّة جمعها مالك بن عَوف النَّصريُّ من بني نصر بن معاوية بن بكر، وكانوا مُشفقين من أن يغزوهم رسول الله، ﷺ، بعد فتح مكّة، وقالوا: لا مانع له من غزونا، والرأي أن نغزوه

(١) الأغاني ٧/٢٨٠ - ٢٨٢.
(٢) الطبري ٣/٦٥.
(٣) سيرة ابن هشام ٤/٧٩، تاريخ الطبري ٣/٦٥، عيون التواريخ ١/٣١٩، ٣٢٠، وكتاب الأصنام لابن الكلبي ٢٦، تاريخ خليفة ٨٨.
(٤) الطبري ٣/٦٦ ورُهاط من أرض يَنْبُع. (الأصنام ٩).
(٥) الأصنام ١٥، الطبري ٣/٦٦، عيون التواريخ ١/٣٢١.
(٦) المغازي لعروة ٢١٤، سيرة ابن هشام ٤/٨١، المغازي للواقدي ٣/٨٨٥، الطبقات الكبرى ٢/١٤٩، تاريخ الطبري ٣/٧٠، تاريخ خليفة ٨٨، الروض الأنف ٤/١٣٨، نهاية الأرب ١٧/٣٢٣، عيون الأثر ٢/١٨٧، سيرة ابن كثير ٣/٦١٠، عيون التواريخ ١/٣٢١، تاريخ الإسلام (المغازي)، جوامع السيرة ٢٣٦، الدرر لابن عبد البر ٢٣٧، مرآة الجنان ١/١٥، البدء والتاريخ ٤/٢٣٥، مروج الذهب ٢/٢٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٦٢، أنساب الأشراف ١/٣٦٤، البداية والنهاية ٤/٣٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٦١، المعارف ١٦٣، المغازي للزهري ٩٢ - ٩٥.

قبل أن يغزونا. واجتمع إليه ثقيف، يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيّد الأحلاف، وذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث، وأخوه الأحْمر بن الحارث سيّد بني مالك، ولم يحضرها من قيس عيلان إلاّ نصر، وجُشَم، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، ولم يحضرها كعب، ولا كِلاب، وفي جُشَم دُرَيْد بن الصِّمّة، شيخ كبير ليس فيه شيء إلاّ التيمّن برأيه، وكان شيخاً مجرّباً[1].

فلمّا أجمع مالك بن عَوف المسير إلى رسول الله، ﷺ، حطّ مع النّاس أموالهم ونساءهم، فلمّا نزلوا أوطاس[2] جمع النّاس، وفيهم دُريد بن الصِّمّة، فقال دُريد: بأيّ وادٍ أنتم؟ فقالوا: بأوطاس. قال: نِعْمَ مجال الخيل، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[3]، ولا سهلٌ دَهِسٌ[4]؛ ما لي أسمع رُغاء البعير[5]، ونُهاق الحمير، ويُعار الشاء، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك مع النّاس ذلك. فقال: يا مالك إنّ هذا يوم له ما بعده، ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: سُقْتُهم مع النّاس، ليقاتل كلّ إنسان عن حريمه وماله. قال دُريد: راعي ضأنٍ والله[6]، هل يردّ المنهزِم شيء؟ [إنها] إن كانت لك، لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فُضِحْتَ في أهلك ومالك. وقال: ما فعلتْ كعب وكِلاب؟ قالوا: لم يشهدها أحد منهم. قال: غاب الجدّ والحَدّ، لو كان يوم عَلاء ورِفْعَة لم تَغِبْ عنه كعب ولا كلاب، ووددتُ أنّكم فعلتم ما فعلا. ثمّ قال: يا مالك ارفع مَنْ معك إلى عُلْيا بلادهم، ثمّ الْقَ الصُّبَّاء على الخيل، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلك ومالك. قال مالك: والله لا أفعل ذلك، إنّك قد كبرتَ وكبر علمك، والله لتطيعُنّني يا معشر هوازن، أو لأتّكينّ على هذا السّيف حتّى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدُريد فيها ذِكر. فقال دُريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتْني.

ثمّ قال مالك: أيّها النّاس إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدّوا عليهم شدّة رجل واحد[7].

وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر، فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ما

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٨١، الطبري ٣/٧٠، ٧١، الأغاني ١٠/٣٠.

(٢) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن. (معجم البلدان ١/٢٨١).

(٣) الضَّرِس: الصعب.

(٤) الدَّهِس: الليّن السهْل.

(٥) في الأغاني «الإبل».

(٦) أصناف في الأغاني ١٠/٣١ (أي أحمق).

(٧) سيرة ابن هشام ٤/٨٢، الطبري ٣/٧١، ٧٢، الأغاني ١٠/٣٠، ٣١، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٢٢٩، ٢٣٠، نهاية الأرب ١٧/٣٢٤، ٣٢٥، معجم البلدان ١/٢٨١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٤.

شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق، فوالله ما تماسكنا أن حلّ بنا ما ترى! فلم ينهه ذلك [عن وجهه، أن مضى على ما يريد][1].

ولما بلغ رسولَ الله، ﷺ، خبر هوازن أجمع المسير إليهم، وبلغه أنّ عند صفوان ابن أميّة أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه رسول الله، ﷺ، وهو يومئذ مشرك: أعِرْنا سلاحك نلقَ فيه عدّونا. فقال له صفوان: أَغَصْباً يا محمّد؟ فقال: «بل عاريةً مضمونةً نؤدّيها إليك». قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح. ثمّ سار النبيّ، ﷺ، ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه، فكانوا اثني عشر ألفاً، فلمّا رأى رسول الله، ﷺ، كثرة مَنْ معه قال: «لن نُغْلَب [اليوم] من قلّة»، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾[2]؛ وقيل: إنّما قالها رجل من بكر[3].

واستعمل رسول الله، ﷺ، على مَنْ بمكّة عَتّاب بن أَسِيد.

فقال جابر: فلمّا استقبلنا وادي حُنَين انحدرنا في وادٍ أجوف[4] حَطوط، إنّما ننحدر فيه انحداراً في عَماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه، قد تهيّأوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّت علينا شدّة رجل واحد، فانهزم النّاس أجمعون لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله، ﷺ، ذات اليمين ثمّ قال: «أيّها النّاس هلمّوا إليّ أنا رسول الله، أنا محمّد بن عبد الله»، قاله ثلاثاً، ثمّ احتملت الإبلُ بعضها بعضاً، إلاّ أنّه قد بقي مع النبيّ، ﷺ، نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، منهم: أبو بكر، وعمر، وعليّ، والعبّاس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيْمن ابن أمّ أيْمن، وأُسامة بن زيد.

قال: وكان رجل من هوازن على جمل أحمر، بيده راية سوداء أمام النّاس، فإذا أدرك رجلاً طعنه، ثمّ رفع رايته لمن وراءه فاتّبعوه، فحمل عليه عليّ فقتله.

ولما انهزم النّاس تكلّم رجال من أهل مكّة بما في أنفسهم من الضِّغْن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، والأزلام معه. وقال كَلَدة بن الحنبل، وهو أخو صفوان بن أميّة لأمّه، وكان صفوان بن أميّة يومئذ مشركاً: الآن[5] بطل السحر.

---

(١) السيرة ٤/٨٣، الطبري ٣/٧٢.
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٢٥.
(٣) تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن هشام ٤/٨٤.
(٤) أجوف: متّسع.
(٥) في الأصل «ألا».

فقال له صفوان: اسكتْ فضّ الله فاك، فوالله لأن[1] يَرُبّني[2] رجل من قريش، أحبّ إليّ من أن يَرُبّني[2] رجل من هوازن!.

وقال شَيْبة بن عثمان: اليوم أُدرك ثأري من محمّد، وكان أبوه قُتل بأُحُد، قال: فأدرتُ به لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشّى فُؤآدي، فلم أُطِقْ ذلك[3].

وكان العبّاس مع النبيّ، ﷺ، آخذاً بحَكمَة[4] بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العبّاس جسيماً شديد الصوت، فقال له رسول الله، ﷺ: «يا عبّاس اصرخْ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة»! ففعل، فأجابوه: لبّيك لبّيك! فكان الرجل يريد أن يثني بعيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه، ثمّ ينزل عنه، ويؤمّ الصّوت، فاجتمع على رسول الله، ﷺ، مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقاتلهم، فلمّا رأى النبيّ، ﷺ، شدّة القتال قال:

أنا النبيّ لا كذِبْ   أنا ابن عبد المطّلبْ

الآن حمي الوطيس؛ وهو أوّل من قالها. واقتتل النّاس قتالاً شديداً، وقال النبيّ، ﷺ، لبغلته دلدل: «البدي دلدل»، فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى به في وجوههم، فكانت الهزيمة، فما رجع النّاس إلّا والأسارى في الحبال عند رسول الله، ﷺ.

وقيل: بل أقبل شيء أسود من السماء مثل البِجاد[5] حتى سقط بين القوم، فإذا نمل أسود مبثوث، فكانت الهزيمة[6].

ولما انهزمت هوازن قُتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً، فأمّا الأحلاف من ثقيف فلم يُقتل منهم غير رجلين، لأنّهم انهزموا سريعاً. وقصد بعضُ المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف، واتّبعت خيلُ رسول الله، ﷺ، المشركين فقتلتهم، فأدرك ربيعةُ ابن يربوع السُّلَميّ دُرَيْدَ بن الصِّمّة، ولم يعرفه لأنّه كان في شِجار[7] لكبره، وأناخ بعيره،

---

(١) في الطبعة الأوروبية «لئن».

(٢) في الأصل «يرثني».

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٨٨، تاريخ الطبري ٣/٧٤، ٧٥، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الطبقات الكبرى ٢/١٥١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «بلجام».

(٥) في الطبعة الأوربية «البخار» وهو تحريف.

(٦) سيرة ابن هشام ٤/٨٨، ٨٩، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الطبقات الكبرى ٢/١٥١، تاريخ الطبري ٣/٧٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٧) الشجار: مركب مكشوف دون الهودج.

فإذا هو شيخ كبير، فقال له دُريد: ماذا تريد؟ قال: قتلك. قال: ومن أنت؟ فانتسب له، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً. فقال دُريد: بئس ما سلّحتك أمّك، خذْ سيفي فاضربْ [به]، ثمّ ارفع [عن العظام واخفض] عن الدماغ فإنّي كذلك كنتُ أقتل الرجال، وإذا أتيتَ أمّك فأخبرها أنّك قتلت دُريد بن الصِّمّة، فرُبَّ يوم قد منعتُ فيه نساءك. [فقتله]. فلمّا أخبر أمّه قالت: والله لقد أعتقَ أمّهات لك ثلاثاً. واستلب أبو طلحة الأنصاريّ يوم حُنَين عشرين رجلاً وحده، وقتلهم. فقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ قتل قتيلاً فله سَلَبه»[1].

وقتل أبو قتادة الأنصاريّ قتيلاً، وأجهضه القتالُ عن أخذ سلبه فأخذه غيره، فلمّا قال رسول الله، ﷺ، ذلك قام أبو قتادة فقال: قتلتُ قتيلاً، وأخذ غيري سلبه. فقال الذي أخذ السلب: هو عندي فارضه منّي يا رسول الله. فقال أبو بكر: لا والله، لا تعمد إلى أسد من أُسُد الله يقاتل عن الله تقاسمه، فردّ عليه السّلب[2].

وكان لبعض ثقيف غلامٌ نصرانيّ، فقُتل، فبينما رجل من الأنصار يستلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد فرآه أغرل، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر العرب إنّ ثقيفاً لا تختتن. فقال له المُغيرة بن شُعْبة: لا تقلْ هذا، إنّما هو غلامٌ نصرانيّ، وأراه قتلى ثقيف مختتنين[3].

ومرّ رسول الله، ﷺ، في الطريق بامرأة مقتولة، فقال: «مَنْ قتلها»؟ قالوا: خالد بن الوليد. فقال لبعض مَنْ معه: «أدرِكْ خالداً فقلْ له إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً». والعسيفَ الأجير.

وكان بعض المشركين بأوْطاس، فأرسل إليهم رسول الله، ﷺ، أبا عامر الأشعريّ، عمّ أبي موسى، فرُميَ أبو عامر بسهم، قيل رماه سَلَمة بن دُرَيْد بن الصّمّة[4]، وقتل أبو موسى سلمة هذا بعمّه أبي عامر، وانهزم المشركون بأوْطاس، وظفر المسلمون بالغنائم

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطّأ، في كتاب الجهاد، باب ما جاء في السلب في النفل. - ص ٣٠١ رقم ٩٨١، وابن أبي داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يُعطى القاتل، والدارمي في السير (٤٣). . وانظر الخبر في الأغاني ٣٢/١٠، ٣٣، والمغازي للواقدي ٩١٤/٣، ٩١٥.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس (١١٦/٤) باب من لم يخمّس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه، وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ (١٩٦/٥)، والمسند للإمام أحمد ١٢/٥ و ٢٩٥ و ٣٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن هشام ٩٣/٤، والمغازي للواقدي ٩٠٨/٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٩٣/٤، تاريخ الطبري ٧٨/٣.

(٤) في النسخة (ب) زيادة: «ومات سليم بن دريد بن الصمّة ويعرف بابن سمارة وهي أمّه، قاله الكلبي، وبعض المؤرّخين يجعلهما اثنين وهو خطأ».

والسبايا، فساقوا في السبيّ والشّيْماء ابنة الحارث بن عبد العُزّى، فقالت لهم: إنّي والله أخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدّقوها حتى أتوا بها النبيّ، ﷺ. فقالت له: إنّي أختك. قال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضّة عضضتَنيها في ظهري وأنا متورّكتُك. فعرفها، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيّرها فقال: إن أحببتِ فعندي مكرّمة محبّبة، وإن أحببتِ أن أمتّعك وترجعي إلى قومك. قالت: بل تمتّعني وتردّني إلى قومي، ففعل[1].

وأمر رسول الله، ﷺ، بالسبايا والأموال، فجُمعتْ إلى الجِعْرانة، وجعل عليها بُدَيْل ابن ورقاء الخزاعيّ[2].

واستشهد من المسلمين بحُنين: أيْمن بن أمّ أيمن، ويزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن عبد العُزّى، وغيرهما[3].

ذكر حصار الطائف[4]

لما قدِم المنهزمون من ثقيف ومَنِ انضمّ إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم، واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه. فسار إليهم النبيّ، ﷺ، فلمّا كان بِبُحْرَة الرُّغاء قبل وصوله إلى الطائف قتل بها رجلاً من بني ليث قصاصاً، كان قد قتل رجلاً من هُذَيل فأمر بقتله، وهو أوّل دم أُقيد به في الإسلام، وسار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيّفاً وعشرين يوماً، ونصب عليهم منجنيقاً أشار به سلمان الفارسيّ، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتّى [إذا] كان يوم الشدخة، عند جدار الطائف، دخل نفر من المسلمين تحت دبّابة عملوها، ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المُحْماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم مَنْ بالطائف بالنبل، فقتلوا رجالاً. فأمر رسول الله، ﷺ، بقطع أعناب ثقيف، فقُطعتْ. ونزل إلى رسول الله نفر من رقيق أهل الطائف

---

(١) سيرة ابن هشام ١٠١/٤، تاريخ الطبري ٨٠/٣، ٨١.

(٢) سيرة ابن هشام ١٠٢/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١٠١/٤، الطبري ٨١/٣، تاريخ خليفة ٨٩، المغازي للواقدي ٩٢٢/٣.

(٤) المغازي لعروة ٢١٦، سيرة ابن هشام ١١٧/٤، المغازي للواقدي ٩٢٢/٣، تاريخ خليفة ٨٩، الطبقات الكبرى ١٥٨/٢، تاريخ الطبري ٨٢/٣، صحيح البخاري ١٠٢/٥، صحيح مسلم ١٤٠٢/٣، جوامع السيرة ٢٤٢، الدرر في المغازي والسير ٢٤٣، معجم البلدان ١١/٤، ١٢، سيرة ابن كثير ٦٥٢/٣، عيون الأثر ٢٠٠/٢، نهاية الأرب ٣٣٥/١٧، عيون التواريخ ٣٣٣/١، البدء والتاريخ ٢٣٧/٤، أنساب الأشراف ٣٦٦/١، تاريخ اليعقوبي ٦٤/٢، المعارف ١٦٤، البداية والنهاية ٣٤٥/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩١.

فأعتقهم، منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كَلَدة، وإنّما قيل له أبو بكرة ببكرة نزل فيها، وغيره. فلمّا أسلم أهل الطائف تكلّمت سادات أولئك العبيد في أن يردّهم رسول الله، ﷺ، إلى الرقّ فقال: لا أفعل، أولئك عتقاء الله.

ثمّ إنّ خُوَيْلة بنت حَكيم السُّلَميّة، وهي امرأة عثمان بن مَظْعون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غَيلان، أو حليّ الفارعة بنت عَقيل، وكانتا من أكثر النساء حُليّاً. فقال لها رسول الله، ﷺ: «أرأيتِ إن كان لم يؤذنْ لي في ثقيف يا خويلة»؟ فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب. فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديثٌ حدّثتنيه خويلة أنّك قد قلتَهُ؟ قال: «قد قلتُهُ». قال: أفلا أؤذِن بالرحيل يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فأذّن بالرّحيل[1].

وقيل: إنّ رسول الله، ﷺ، استشار نوفل بن معاوية الدُّئليّ في المقام عليهم. فقال: يا رسول الله ثعلبٌ في جُحر، إن أقمتَ عليه أخذتَه وإن تركته لم يضرّك، فأذِّن بالرّحيل. فلمّا رجع النّاس قال رجل: يا رسول الله ادعُ على ثقيف. قال: «اللهمّ اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم»[2]. فلمّا رأت ثقيفُ النّاس قد رحلوا عنهم، نادى سعيد بن عُبَيد الثقفيّ: ألا إنّ الحيّ مقيم. فقال عُيَيْنة بن حصْن: أجلْ والله مَجَدَةً كراماً. فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُيينة، أتمدحهم بالامتناع من رسول الله، ﷺ؟ قال: إنّي والله ما جئتُ لأقاتل معكم ثقيفاً، ولكنّي أردتُ أن أُصيب من ثقيف جارية، لعلّها تلِد لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مناكير[3].

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبد الله بن أبي أميّة المخزوميّ، وأمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، وعبد الله بن أبي بكر الصدّيق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله، ﷺ، والسائب بن الحارث بن عديّ، وغيرهم[4].

(وهذه بادية بنت غَيلان قال فيها هيت المخنّث لعبد الله بن أبي أميّة: إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله أن ينفلك بادية بنت غيلان فإنّها هَيْفاء شَموعٌ نجلاء، إن تكلّمتْ تَغَنَّتْ، وإن قامت تثنّتْ، وإن مشت ارتجّت، وإن قعدت تبنّت، تُقبل بأربع وتُدبر بثمان، بثغر كالأقحوان، بين رجليها كالقعب المكفأ. فقال النبيّ، ﷺ: لقد علمتَ

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٢٣، تاريخ الطبري ٣/٨٥.
(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٥٩.
(٣) السيرة ٤/١٢٣، تاريخ الطبري ٣/٨٥.
(٤) أنظر أسماء الشهداء في سيرة ابن هشام ٤/١٢٤، وعيون الأثر ٢/٢٠٢، والمغازي للواقدي ٣/٩٣٨.

الصفة، ومنعه من الدخول إلى نسائه)[١].

ذكر قسمة غنائم حُنَين[٢]

لما رحل رسول الله، ﷺ، من الطائف سار حتى نزل الجِعْرانة، وأتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخفَ عليك، فامننْ علينا منّ الله عليك. وقام زهير بن صُرَد من بني سعد بن بكر، وهم الذين أرضعوا رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك، ولو أنّا أرضعنا الحارث بن أبي شِمْر الغسّاني، أو النّعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين! ثمّ قال:

امننْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنّكَ المَرْءُ نَرْجوهُ ونَدّخرُ
امننْ على نسوةٍ قد عاقَها قَدَرٌ ... ممزَّقٌ شملُها في دهرِها غِيَرُ[٣]

في أبيات. فخيّرهم رسول الله، ﷺ، بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فاختاروا أبناءهم ونساءهم، فقال: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم، فإذا أنا صلّيتُ بالنّاس فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم وأسألُ فيكم». فلمّا صلّى الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله، ﷺ: «ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم». وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم فلا. وقال عُيَيْنة ابن حِصْن: ما كان لي ولفَزَارة فلا. وقال عبّاس بن مِرْداس: ما كان لي ولسُلَيْم فلا. فقالت بنو سُليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: «وهّنتموني». فقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ تمسّك بحقّه من السبي فله بكلّ إنسان ستّ فرائض، من أوّل شيء نُصيبه»، فردّوا على النّاس أبناءهم ونساءهم[٤].

وسأل رسول الله، ﷺ، عن مالك بن عَوف، فقيل: إنّه بالطائف. فقال: «أخبروه إن أتاني مسلماً رددتُ عليه أهله وماله، وأعطيته مائة بعير». فأُخبر مالك بذلك، فخرج من الطائف سرّاً، ولحِق برسول الله، ﷺ، فأسلم وحسُن إسلامه، واستعمله رسول الله،

---

(١) ما بين القوسين من نسختي (ب) و(ت).
(٢) سيرة ابن هشام ١٢٧/٤، تاريخ الطبري ٨٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٩.
(٣) البيتان من جملة أبيات في المغازي للواقدي ٩٥٠/٣، ٩٥١، والروض الأنف ١٦٦/٤، والسيرة الحلبية ٢٥٠/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٦.
(٤) سيرة ابن هشام ١٢٩/٤، تاريخ الطبري ٨٧/٣، المغازي للواقدي ٩٥١/٣، ٩٥٢، الطبقات الكبرى ١٥٣/٢، ١٥٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٧، ٦٠٨.

ﷺ، على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف، فأعطاه أهله وماله ومائة بعير. وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثُمالة، وفَهْم، وسَلَمة ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلّا أغار عليه، حتى ضيّق عليهم[1].

ولما فرغ رسول الله، ﷺ، من ردّ سبايا هوازن ركب واتّبعه النّاس يقولون: يا رسول الله اقسمْ علينا فيئَنا، حتى ألقوه إلى شجرة، فاختُطِف رداؤه، فقال: «ردّوا عليّ ردائي أيّها النّاس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمٌ لقسمتُها عليكم، ثمّ لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذّاباً».

ثمّ رفع وَبَرَةً من سَنام بعير، وقال: ليس لي من فَيْئكم، ولا هذه الوبرة إلّا الخُمس، وهو مردود عليكم. ثمّ أعطى المؤلَّفة قلوبهم، وكانوا من أشراف النّاس، يتألّفهم على الإسلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحَكيم بن حِزام، والعلاء بن جارية الثقفيّ، والحارث بن هشام، وصفوان بن أميّة، وسُهَيْل بن عمرو، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى، وعُيَيْنة بن حِصْن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصريّ، كلّ واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً، منهم: مَخْرَمة بن نوفل الزُّهْريّ، وعُمَير بن وهْب، وهشام بن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العبّاس بن مِرْداس أباعر، فسَخِطَها وقال:

كانَتْ نِهاباً تَلافَيْتُها ... بكَرّي على المُهْرِ في الأجرَعِ[2]
وإيقاظيَ القَوْمَ أن يَرْقدوا ... إذا هجعَ النّاسُ لم أهجعِ
فأصبَحَ نَهبي ونَهبُ العُبيـ ... ـدِ بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأقرعِ
وَقد كنتُ في الحَرْبِ ذا تُدرَإٍ[3] ... فلَم أُعطَ شَيئاً وَلم أُمْنَعِ
إلّا أفائِلَ أُعطِيتُها ... عَديدَ قَوائِمِها[4] الأرْبَعِ
وَما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ ... يَفوقانِ مِرْداسَ[5] في المجمَعِ
وما كنتُ دونَ امرىءٍ مِنهُما ... ومن تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ

فأعطاه حتى رضي[6].

وقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيتَ عيينَةَ والأقرع، وتركتَ جُعَيْل بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٨٨، ٨٩، المغازي للواقدي ٣/٩٥٥.
(٢) الأجرع: المكان السهل.
(٣) في النسخة (ب): «ندرة». وذا تدرأ: أي ذا دفع عن قومي.
(٤) في الطبعة الأوربية «قوائمه»..
(٥) في سيرة ابن هشام ٤/١٣٣ «ينوقان شيخي».
(٦) سيرة ابن هشام ٤/١٣٣، تاريخ الطبري ٣/٩٠، ٩١، المغازي للواقدي ٣/٩٤٦، ٩٤٧.

سُراقة. فقال رسول الله، ﷺ: «والذي نفسي بيده، لجُعَيْل خيرٌ من طِلاع الأرض رجالاً، كلّهم مثل عيينة، والأقرع، ولكِنّي تألّفتهما، ووكلتُ جُعيلاً إلى إسلامه»[1].

وقيل: إنّ ذا الخُوَيْصرة التميميّ في هذه القسمة قال لرسول الله، ﷺ: إنّك لم تعدل اليومَ. فقال رسول الله، ﷺ: «ومَنْ يعدل إذا لم أعدل»؟ فقال عمر بن الخطّاب: ألا نقتله؟ فقال: «دعوه، ستكون له شيعة يتعمّقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة»[2].

وقيل: إنّ هذا القول إنّما كان في مال بعث به عليّ من اليمن إلى رسول الله، ﷺ، فقسّمه بين جماعة، منهم: عُيَيْنة، والأقرع، وزيد الخيل[3].

قال أبو سعيد الخُدْريّ: لما أعطى رسول الله، ﷺ، ما أعطى من تلك الغنائم في قريش وقبائل العرب، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئاً، وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي رسول الله، ﷺ، قومَهُ. فأخبر سعد بن عُبادة رسولَ الله، ﷺ، بذلك، فقال له: «فأين أنت يا سعد»؟ قال: أنا من قومي. قال: «فاجمعْ قومك لي»، فجمعهم. فأتاهم رسول الله، ﷺ، فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟ ألم آتِكم ضُلّالاً فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم بي»؟ قالوا: بلى والله يا رسول الله، ولله ورسوله المنّ والفضل. فقال: «ألا تجيبوني»؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: «والله لو شئْتم لقلتم فصدقتم: أتيتَنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك، أوَجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا، تألّفتُ بها قوماً ليُسْلموا، ووكلتُكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون أن يذهب النّاس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك النّاس شِعباً، وسلكتِ الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعبَ الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخضلّوا لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قِسْماً وحَظّاً. وتفرّقوا[4].

ثمّ اعتمر رسول الله، ﷺ، من الجِعْرانة، وعاد إلى المدينة، واستخلف على مكّة عَتّاب بن أَسيد، وترك معه مُعاذَ بن جبل يفقّه النّاس، وحجّ عتّاب بن أسيد بالنّاس، وحجّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٣٥، تاريخ الطبري ٣/٩١.

(٢) السيرة ٤/١٣٦، الطبري ٣/٩٢ والمغازي للواقدي ٣/٩٤٨، والحديث أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألّف.

(٣) الطبري ٣/٩٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/١٣٧، ١٣٨، تاريخ الطبري ٣/٩٣، ٩٤، تاريخ خليفة ٩٢.

النّاس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ، وعاد رسول الله، ﷺ، إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجّة[1].

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعِياذ[2] ابنَيِ الجُلَنْدَى من الأزد بعُمان مصدّقاً، فأخذ الصدقة من أغنيائهم، وردّها على فقرائهم، وأخذ الجزية من المجوس، وهم كانوا أهل البلد، وكان العرب حولها[3].

وقيل سنة سبع.

وفيها تزوّج رسول الله، ﷺ، الكلابيّة، واسمها فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان، فاختارت الدنيا، وقيل: إنّها استعاذت منه ففارقها[4].

وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن النبيّ، ﷺ، في ذي الحجّة، فدفعه إلى أمّ بُردة بنت المنذر الأنصاريّة [فكانت تُرضعه]، وزوْجها البراء بن أوس الأنصاري. وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله، ﷺ، فأرسلت أبا رافع إلى النبيّ، ﷺ، يبشّره بإبراهيم، فوهب له مملوكاً، وغار نساءُ النبيّ، ﷺ، وعظم عليهنّ حين رُزقت مارية منه ولداً[5].

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، كعب بن عُمَير إلى ذات إطلاح[6] من الشام، إلى نفر من قُضاعة يدعوهم إلى الإسلام، ومعه خمسة عشر رجلاً، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه، وكان رئيس قُضاعة رجلاً يقال له سدوس، فقتلوا المسلمين ونجا عمير، فتقدّم إلى المدينة. وفيها بعث أيضاً عُيَيْنَة بن حصْن الفزاري إلى بني العنبر من تميم، فأغار عليهم وسبى منهم نساء، وكان على عائشة عتق رقبة من بني إسماعيل، فقال لها رسول الله، ﷺ: «هذا سبي[7] بني العنبر يقدم علينا، فنُعطيك إنساناً فتعتقينه»[8].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٤٠، الطبري ٣/٩٤، عيون التواريخ ١/٣٣٤.
(٢) في الأصل «صعر وعمرو»، وفي النسخة (ب): «صقر وعمر».
(٣) الطبري ٣/٩٥.
(٤) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٣/٩٥.
(٥) تاريخ خليفة ٩٢، تاريخ الطبري ٣/٩٥، عيون التواريخ ١/٣٣٤.
(٦) وتقال: ذات أباطح.
(٧) في الأصل «سيد».
(٨) أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٧، عيون التواريخ ١/٣٣٤، ٣٣٥، المغازي للواقدي ٢/٧٥٢.

٩
ثم دخلت سنة تسع

ذكر إسلام كعب بن زُهَير[١]

قيل: خرج كعب بن زهير بن أبي سُلْمى، وأبو سُلْمى ربيعة المُزَنيّ، ومعه أخوه بُجَير حتى أتيا أبرق العزّاف[٢]، فقال له بُجَير: اثبتْ في غنمنا حتى آتي هذا الرجل، يعني رسول الله، ﷺ، فأسمع منه. فأقام كعب وسار بُجير إلى رسول الله، ﷺ، فأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عنّي بُجَيراً رِسالَةً ... على أيّ شيءٍ ويْبَ[٣] غيرِكَ دَلّكا
على خُلُقٍ لم تُلفِ أُمّاً وَلَا أباً ... عليه ولم تُدْرِكْ عليهِ أخاً لَكَا
سقاك أبو بكْرٍ بكأسٍ رَوِيّةٍ ... فأنْهَلَكَ المأمورُ منها وعلّكَا[٤]

فلمّا بلغ رسولَ الله، ﷺ، قوله غضب وأهدر دمه، فكتب بذلك بُجير إلى أخيه بعد عَود رسول الله، ﷺ، من الطائف وقال: النجاءَ النجاءَ، وما أدري أن تتفلّت، ثمّ كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فأسلِم، وأقبِل إليه، فإنّه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله. فأسلم كعب، وجاء حتّى أناخ راحلَته بباب المسجد، ورسول الله، ﷺ، مع أصحابه، قال كعب: فعرفتُهُ بالصفة، فتخطّيت النّاسِ إليه فأسلمتُ وقلتُ: الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك. قال: «مَنْ أنت»؟ فقلتُ: كعب بن زُهير. قال: «الذي يقول»، ثمّ التفت إلى أبي بكر فقال: «كيف قال»؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التي أوّلها:

---

(١) سيرة ابن هشام ١٤٣/٤، عيون الأثر ٢٠٨/٢، عيون التواريخ ٣٤١/١، سيرة ابن كثير ٦٩٩/٣، البداية والنهاية ٣٦٨/٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥.

(٢) أبرق العزّاف: بفتح العين المهملة، وتشديد الزاي. هو ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، مشهور، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة يُجاء من حَوْمانة الدّرّاج إليه، ومنه إلى بطن نخل ثم الطرف ثم المدينة. (معجم البلدان ٦٨/١).

(٣) وَيْب: مثل ويحْ ووَي.

(٤) الأبيات من قصيدة في أول ديوان كعب بن زهير - ص ٣، وسيرة ابن هشام ١٥٨/٤، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٠/١، والأغاني ٨٦/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥، ٦١٦، مع اختلاف في الألفاظ.

ألا أبلِغا عنّي بُجَيْراً رسالَةً

فقال كعب: ما هكذا قلتُ يا رسول الله، إنّما قلت:

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّةٍ فأنهلَك المأمونُ منها وعلّكا

فقال رسول الله، ﷺ: «مأمون والله». فتجهّمَتْه[1] الأنصار وأغلظَتْ له، ولانَتْ له قريش وأحَبّت إسلامه، فأنشدَه قصيدتَه التي أوّلها:

بانَتْ سُعادُ فقَلبي اليَوْمَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها[2] لم يُفْدَ مَكبُولُ

فلمّا انتهَى إلى قوله:

وقالَ كلُّ خَليلٍ[3] كنتُ آمُلُهُ لا أُلْهِينَكَ إنّي عَنْهُ[4] مَشغُولُ
نُبّئْتُ أنّ رَسولَ الله أوْعدَني والعَفْوُ عندَ رَسولِ الله مأمُولُ
في فتيَةٍ[5] من قريشٍ قال قائلُهم ببطنِ مكّةَ لما أسلَموا زُولُوا
زالوا فما زالَ أنكاسٌ وَلاَ كُشُفٌ عند اللّقاء ولا مِيلٌ مَعازيلُ
لا يقعُ الطّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ وما لهم عن حياض الموْتِ تهليلُ[6]

نظر رسول الله، ﷺ، إلى قريش فأومأ إليهم أن اسمعوا، حتى قال:

يمشونَ مَشْيَ الجِمال الزُّهْرِ يَعْصِمُهم ضَربٌ إذا عرّد السّودُ التّنابيلُ

يُعرّض بالأنصار لغِلظتهم التي كانت عليه، فأنكرت قريش قوله وقالوا: لم تمدحْنا إذ هجوتَهم، ولم يقبلوا ذلك منه، وعظُم على الأنصار هجوه، فشكوه، فقال يمدحهم:

مَنْ سرّهُ كَرَمُ الحَياةِ فلا يزَلْ في مِقنَبٍ من صَالحي الأنصَارِ
ألباذِلينَ نُفُوسَهم ودِماءَهُمْ يومَ الهياجِ وسطوَةِ الجبّارِ
يتطَهّرُونَ كأنّهُ نُسكٌ لهم بدماءِ مَنْ قَتَلوا مِنَ الكُفّارِ[7]

في أبيات. فكساه النبيّ، ﷺ، بُردةً كانت عليه، فلمّا كان زمن معاوية أرسل إلى

(١) في الطبعة الأوربية «فتهجمته».
(٢) في الطبعة الأوربية «عندها».
(٣) في السيرة ٤/١٦٠ «صديق».
(٤) في السيرة «عنك».
(٥) في السيرة «عصبية».
(٦) الأبيات من قصيدة في سيرة ابن هشام ٤/١٤٦، ١٥٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٨ ـ ٦٢١.
(٧) أنظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في سيرة ابن هشام ٤/١٥٣.

كعب: أن بعْنا بُردة رسول الله. فقال: ما كنتُ لأوثر بثوب رسول الله أحداً. فلمّا مات كعب اشتراها معاويةُ من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن[1].

وقيل: إنّما أمر رسول الله، ﷺ، بقتله وقطع لسانه، لأنّه كان تشبّب بأمّ هانىء بنت أبي طالب[2].

(أبو سُلْمَى: بضمّ السين والإمالة، والمأمور بالراء، قال بعض العلماء: إنّما كره رسول الله، ﷺ، ذلك لأنّ العرب كانت تقول لكلّ من يتكلّم بالشيء من تلقاء نفسه مأمور، بالراء، يريدون أنّ الذي يقوله تأمره به الجنّ، وإنْ كان رسول الله، ﷺ، مأموراً من الله تعالى، ولكنّه كرهه لعادتهم، فلمّا قال: المأمون بالنّون، رضي به لأنّه مأمون على الوحي.

وبُجَير: بالباء الموحّدة المضمومة وبالجيم).

ذكر غزوة تَبُوك[3]

لما عاد رسول الله، ﷺ، أقام بالمدينة بعد عَوده من الطائف ما بين ذي الحجّة إلى رجب، ثمّ أمر النّاس بالتجهّز لغزو الروم، وأعلم النّاس مقصدهم، لبُعْد الطريق، وشدّة الحرّ، وقوّة العدوّ، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى بغيرها.

وكان سببها أنّ النبيّ، ﷺ، بلغه أنّ هِرَقْل ملك الروم، ومَنْ عنده من متنصّرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الروم. وكان الحرّ شديداً، والبلاد مجدبة، والنّاس في عُسْرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحبّ النّاس المقام في ثمارهم، فتجهّزوا على كُره، فكان ذلك الجيش يسمّى جيش العُسْرة. فقال رسول الله، ﷺ، للجدّ بن قيس، وكان من رؤساء المنافقين: هل لك [في] جلاد بني

---

(١) يعني العباسيّين، ومنهم انتقلت إلى مصر، وحين فتح السلطان سليم مصر نقلها إلى قصر طوبقبو باسطنبول، على ما (كشف الذعرات بوصف الشعرات للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور - ص ١١٢ طبعة تونس، وكتاب: الآثار النبوية للأستاذ أحمد باشا تيمور. (عن كتاب: عيون التواريخ ١/٣٤٤ الحاشية «١»).

(٢) عيون التواريخ ١/٣٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٥٥، المغازي لعروة ٢٢٠، المغازي للواقدي ٣/٩٨٩، الدرر لابن عبد البرّ ٢٥، جوامع السيرة ٢٤٩، عيون الأثر ٢/٢١٥، البدء والتاريخ ٤/٢٣٩، أنساب الأشراف ١/٣٦٨ رقم ٧٦٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٦٧، تاريخ الطبري ٣/١٠٠، الطبقات الكبرى ٢/١٦٥، المعارف ١٦٥، تاريخ خليفة ٩٢، نهاية الأرب ١٧/٣٥٢، عيون التواريخ ١/٣٤٤، سيرة ابن كثير ٤/٣، البداية والنهاية ٥/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٢٧ المغازي للزهري ١١١.

الأصفر[1]؟ فقال: والله لقد عرف قومي حبّي للنساء، وأخشى أن لا أصبر على نساء بني الأصفر، فإن رأيتَ أن تأذن لي ولا تفتني. فقال رسول الله، ﷺ: قد أذنتُ لك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنّي﴾[2] الآية؛ وقال قائل من المنافقين: لا تنفروا في الحرّ، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً﴾[3].

ثمّ إنّ النبيّ، ﷺ، تجهّز وأمر بالنفقة في سبيل الله، وأنفق أهل الغِنى، وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل: كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار[4].

ثمّ إنّ رجالاً من المسلمين أتوا النبيّ، ﷺ، وهم البكّاؤون، وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة، فاستحملوه. فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولّوا يبكون، فلقيهم يامين بن عُمَير بن كعب النضريّ، فسألهم عمّا يُبكيهم فأعلموه، فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن مُغَفّل المُزَنيّ بعيراً، فكانا يعتقبانه[5] مع رسول الله، ﷺ[6].

وجاء المعذّرون من الأعراب، فاعتذروا إلى رسول الله، ﷺ، فلم يعذرهم الله، وكان عدّة من المسلمين تخلّفوا من غير شكّ، منهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أبي أميّة، وأبو خَيْثمة[7].

فلمّا سار رسولُ الله، ﷺ، تخلّف عنه عبد الله بن أُبيّ المنافق، فيمَنْ تبعه من أهل النفاق، واستخلف رسول الله، ﷺ، على المدينة سِباع بن عُرْفُطة، وعلى أهله عليّ بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلّا استثقالاً له. فلمّا سمع عليّ ذلك أخذ سلاحه ولحِق برسول الله، ﷺ، فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنّما خلّفتُك لما ورائي، فارجعْ فاخلفْني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من

---

(١) بنو الأصفر: هم الروم.

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٤٩.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٨١، والخبر في سيرة ابن هشام ٤/١٥٦، وتاريخ الطبري ٣/١٠١، ١٠٢.

(٤) السيرة ٤/١٥٧، الطبري ٣/١٠٢، وأنظر: تاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) ص ٥٢، والمسند للإمام أحمد ٤/٧٥، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٢٨.

(٥) في النسخة (ب): «بعسفانة».

(٦) سيرة ابن هشام ٤/١٥٨، تاريخ الطبري ٣/١٠٢.

(٧) سيرة ابن هشام ٤/١٥٨، المحبّر لابن حبيب ٢٨٤، ٢٨٥، الطبري ٣/١٠٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٠، ٦٣١.

موسى؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. فرجع. فسار رسول الله، ﷺ.

ثمّ إنّ أبا خَيْثمة أقام أيّاماً، فجاء يوماً إلى أهله، وكانت له امرأتان، وقد رشّتْ كلّ امرأة منهما عريشها، وبرّدت له ماء، وصنعت طعاماً، فلمّا رآه قال: يكون رسول الله، ﷺ، في الحرّ والريح، وأبو خَيْثمة في الظلّ البارد، والماء البارد مقيم! ما هذا بالنّصَفِ، والله ما أحلُّ عريشاً منهما حتّى ألحق برسول الله، ﷺ. فهيّأ زاده وخرج إلى ناضحه فركبه، وطلب رسولَ الله، ﷺ، فأدركه بتبوك، فقال النّاسُ: يا رسول الله هذا راكب مقبلٌ. فقال رسول الله، ﷺ: «كن أبا خَيْثمة». فقالوا: هو والله أبو خَيْثمة. وأتى رسول الله، ﷺ، فأخبره بخبره، فدعا له[1].

وكان رسول الله، ﷺ، حين مرّ بالحِجْر، وهو بطريقه، وهو منزل ثمود[2]، قال لأصحابه: لا تشربوا من هذا الماء شيئاً، ولا تتوضّأوا منه، وما كان من عجين فألقوه واعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج اللّيلة أحد إلّا مع صاحبٍ له. ففعل ذلك النّاسُ، ولم يخرج أحدٌ، إلّا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون، وأمّا الذي طلب بعيره، فاحتمله الريح إلى جبلَيْ طيّء، فأُخبر بذلك رسول الله، ﷺ، فقال: «ألم أنهَكم أن لا يخرج أحد إلّا مع صاحب له»؟ فأمّا الذي خُنق فدعا له فشُفي، وأمّا الذي حملته الريح فأهدته طيّء إلى رسول الله بعد عَوده إلى المدينة. وأصبح النّاس بالحِجر ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى النبيّ، ﷺ، فدعا الله فأرسل سحابةً، فأمطرت حتّى روي النّاسُ[3].

وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله، ﷺ، فلمّا جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا الشيء؟ قال: سحابة مارّة[4].

وضلّت ناقةُ رسول الله، ﷺ، في الطريق، فقال لأصحابه، وفيهم عُمارة بن حَزْم، وهو عقبيّ بدريّ: إنّ رجلاً قال إنّ محمّداً يُخبركم الخبر من السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله عزّ وجلّ، وهي في الوادي في شعب كذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا فأتوه بها، فرجع عُمارة إلى أصحابه، فخبّرهم بما قال

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٦٠، ١٦١، الطبري ٣/١٠٤، ١٠٥، المغازي للواقدي ٣/٩٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٣.

(٢) ثمود: هم أصحاب الحِجْر الذين كذّبوا النبيّ صالحاً عليه السلام. وكانت دارُهم تسمّى «الحِجْر»، وهي بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٦٢.

(٤) السيرة ٤/١٦٢.

رسول الله، ﷺ، عن النّاقة تعجّباً ممّا رأى. وكان زيد بن لُصَيْت[1] القَيْنُقاعيّ منافقاً، وهو في رحل عُمارة، قد قال هذه المقالة، فأخبر عُمارة بأنّ زيداً قد قالها، فقام عُمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري! اخرجْ عنّي يا عدوّ الله! فزعم بعضُ النّاس أنّ زيداً تاب [بعد ذلك] وحَسُن إسلامُهُ، وقيل: لم يزلْ متّهماً حتى هلك[2].

ووقف بأبي ذَرّ جمله فتخلّف عليه، فقيل: يا رسول الله تخلّف أبو ذرّ. فقال: «ذروه فإن يكُ فيه خير فسيُلْحقه الله بكم»، فكان يقولها لكلّ مَنْ تخلّف عنه، فوقف أبو ذرّ على جمله، فلمّا أبطأ عليه أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره وتبع النبيّ، ﷺ، ماشياً. فنظر النّاسُ فقالوا: يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده. فقال رسول الله، ﷺ: «كنْ أبا ذرّ». فلمّا تأمّله النّاسُ قالوا: هو أبو ذرّ. فقال رسول الله، ﷺ: «يرحم الله أبا ذرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين»[3].

فلمّا نفى عثمان أبا ذرّ إلى الرَّبَذة[4]، أصابه بها أَجَلُهُ، ولم يكن معه إلّا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه ويكفّناه، ثمّ يضعاه على الطريق، فأوّل رَكْب يمرّ بهما يستعينان بهم على دفنه؛ ففعلا ذلك، فاجتاز بهما عبد الله بن مسعود في رهْط من أهل العراق، فأعلمته امرأة أبي ذرّ بموته. فبكى ابن مسعود وقال: صدق رسول الله، ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبْعَث وحدك؛ ثمّ واروه[5].

وانتهى رسول الله، ﷺ، إلى تبوك، فأتى يوحنّا بن رُؤبة صاحب أَيْلة[6]، فصالحه على الجزية، وكتب له كتاباً، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثمّ زاد فيها الخلفاء من بني أميّة. فلمّا كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة، وصالح أهل أذْرُح على مائة دينار في كلّ رجب، وصالح أهل جَرْباء على الجزية، وصالح أهل مَقْنا[7] على ربع ثمارهم.

وأرسل رسول الله، ﷺ، خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر بن عبد الملك صاحب دُومة

---

(١) في الأصل «نصيب»، وفي النسخة (ب): «الصلت». ويقال: لصيب.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/١٦٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٦٣، الطبري ٣/١٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢، ٦٣٣.

(٤) الرَّبَذَة: بالتحريك. قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٣/٢٤).

(٥) السيرة، الطبري، تاريخ الإسلام.

(٦) أَيْلَة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام. وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام... وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت.. (معجم البلدان ١/٢٩٢).

(٧) في الأصل «مما»، وفي النسخة (ت) «سفنا»، والتصويب من فتوح البلدان ٥٩.

الجندل[1]، وكان نصرانياً من كِندة، فقال لخالد: إنّك تجده يصيد البقر. فخرج خالد بنُ الوليد، حتى إذا كان من حصنه على منظر العين، وأكيدر على سطح داره، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيتَ مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله، ثمّ نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهلِ بيته، ثمّ خرج يطلب البقر، فتلقّتهم خيل رسول الله، ﷺ، وأخذته وقتلوا أخاه حسّاناً، وأخذ خالد من أُكَيْدر قَباء ديباج مُخوّص بالذهب، فأرسله إلى رسول الله، ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجّبون منه. فقال رسول الله، ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ لَمَناديل سعد بن مُعاذ[2] في الجنّة أحسن من هذا». وقدِم خالد بأُكَيْدر على رسول الله، ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية، وخلّى سبيله[3].

وأقام رسول الله، ﷺ، بتبوك بضع عشرة ليلة، ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم والعرب المتنصّرة، فعاد إلى المدينة. وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ لا يروي إلّا الراكب والراكبَين، بوادٍ يقال له وادي المُشقّق، فقال رسول الله، ﷺ: «مَنْ سبَقنا فلا يستقينّ منه شيئاً حتى نأتيه»، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلمّا جاءه رسول الله، ﷺ، أخبروه بفعلهم، فلعنهم ودعا عليهم، ثمّ نزل رسول الله، ﷺ، إليه فوضع يده تحته، [وجعل] يصبّ إليها يسيراً من الماء، فدعا فيه ونضحه في الوشل، فانخرق الماء جرياً شديداً، فشرب النّاس واستقوا. وسار رسول الله، ﷺ، حتى قارب المدينة، فأتاه خبر مسجد الضِّرار، فأرسل مالك بن الدُّخْشُم فحرقه وهدمه، وأنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] الآيات. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً، وكان قد أُخرج من دار خِذام بن خالد من بني عمرو بن عوف.

وقدِم رسول الله، ﷺ، وكان قد تخلّف عنه رهط من المنافقين، فأتوه يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله، ﷺ، ولم يعذرهم الله ورسوله، وتخلّف أولئك النفر الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أميّة، ومُرارة بن الربيع، تخلّفوا من غير شكّ ولا نفاق، فنهَى رسول الله، ﷺ، عن كلامهم، فاعتزلهم النّاسُ، فبقوا كذلك خمسين ليلة، ثمّ أنزل الله توبتهم: ﴿وَعَلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا

---

(١) دُومة الجندل: بضم أوله وفتح. حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيّء كانت به بنو كِنانة من كلب. (معجم البلدان ٢/٤٨٧).

(٢) في الطبعة الأوربية «عُبادة».

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١٦٧، والمغازي للواقدي ٣/١٠٣١، والطبقات الكبرى ٢/١٦٦، تاريخ الطبري ٣/١٠٨ و١٠٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٥، البدء والتاريخ ٤/٢٤٠، أنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٤) سورة التوبة ـ الآية ١٠٧.

رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ الآيات؛ إلى قوله: ﴿صَادِقِينَ﴾[1]، وكان قدوم رسول الله، ﷺ، [المدينةَ من تبوك] في رمضان[2].

(يامين النّضْريّ: بالنون، والضاد المعجمة. وعبد الله بن مُغفَّل: بالغين المعجمة، والفاء المشدّدة المفتوحة. وزيد بن لُصَيت: باللام المضمومة، والصاد المهملة المفتوحة، وآخره تاء مثنّاة من فوقها. وخِذام بن خالد: بالخاء المكسورة، والذال المعجمتَين. وأُكَيْدِر: بالهمزة المضمومة، والكاف المفتوحة، والدال المهملة المكسورة، وآخره راء مهملة).

ذكر قدوم عُرْوَة بن مسعود الثقفيّ على رسول الله ﷺ

وفيها قدِم عُروة بن مسعود الثقفيّ على النبيّ، ﷺ، مسلماً، وقيل: بل أدركه في الطريق مرجعَهُ من الطائف، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله، ﷺ: «إنّهم قاتِلوك». فقال: أنا أحبّ إليهم من أبكارهم، ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم، فلمّا رجع إلى الطائف صعد إلى عِلّيّة له، وأشرف منها عليهم، وأظهر الإسلام ودعاهم إليه، فرموه بالنَّبْل، فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامةً أكرمني الله بها، وشهادةً ساقها إليّ، ليس فيّ إلّا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله، فادفنوني معهم. فلمّا مات دفنوه معهم. وقال رسول الله، ﷺ، فيه: «إنّ مثَله في قومه كمثَل صاحب يّس في قومه»[3].

ذكر قدوم وفد ثقيف

وفي هذه السنة في رمضان قدِم وفد ثقيف على رسول الله، ﷺ.

وسبب ذلك أنّهم رأوا أنّ مَنْ يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال، وشنّوا الغارات عليهم، وكان أشدّهم في ذلك مالك بن عَوف النصريّ، فلا يخرج منهم مال إلّا نُهب، ولا إنسان إلّا أُخذ، فلمّا رأوا عجزهم اجتمعوا، وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عُمَير، والحَكَم بن عمرو بن وهب، وشُرَحْبيل بن غيلان، وهؤلاء من الأحلاف، وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونُمَير بن خَرَشَة، فخرجوا حتى

(١) سورة التوبة ـ الآيات ١١٧ ـ ١١٩.
(٢) سيرة ابن هشام ١٧١/٤ ـ ١٧٩، تاريخ الطبري ١٠٩/٣ ـ ١١١.
(٣) سيرة ابن هشام ١٨٠/٤، تاريخ الطبري ٩٦/٣، ٩٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٠، مرآة الجنان ١٥/١.

قـدِموا على رسـول الله، ﷺ، فأنـزلهم في قبّة في المسجـد، فكان خـالـد بن سعيـد بن العاص يمشي بينهم وبين النبيّ، ﷺ، وكان رسول الله، ﷺ، يرسل إليهم ما يأكلونه مـع خالد، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه، حتى أسلموا.

وكان فيما سألوا رسولَ الله، ﷺ، أن يدَع الطاغية، وهي الـلات، لا يهدمهـا ثلاث سنين، فأبَى عليهم، وكان قصْـدهم بذلـك أن يتسلّموا [بتـركها] من سفهـائهم ونسائهم، فنـزلوا إلى شهـر فلم يجبهم، وسألـوه أن يُعفيهم من الصـلاة فقـال: «لا خيـرَ في دين لا صلاةَ فيه»، فأجابوا وأسلموا. وأمّر عليهم رسول الله، ﷺ، عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لِمَا رأى من حرصه على الإسـلام والتفقّه في الـدّين. ثمّ رجعوا إلى بـلادهم، وأرسل رسول الله، ﷺ، معهم المُغيرة بن شُعْبة، وأبا سفيان بن حرب، ليهدما الطاغيـة، فتقدّم المغيرةُ فهدمها، وقام قومُهُ من بني شُعَيْب دونه، خوفاً أن يُرْمى بسهم، وخرج نساء ثقيف حُسّراً يبكين عليها، وأخذ حُليّها ومالها[1].

وكان أبو مَليح بن عروة بن مسعود، وقارب بن الأسود بن مسعود قـدِما على رسـول الله، ﷺ، لمـا قُتل عـروة والأسود، فـأمرهمـا رسول الله، ﷺ، أن يقضيـا منه دَيْن عـروة والأسود ابني مسعود، ففعلا، وكان الأسود مات كافراً، فسأل ابنه قارب بن الأسود رسـولَ الله، ﷺ، أن يقضي دَيْن أبيه، فقال: إنّه كافر. فقال: «يصل مسلمٌ ذا قرابتـه»، يعني أنّه أسلم فيصل أباه وإن كان مشركاً[2].

ذكر غزوة طيّء وإسلام عديّ بن حاتم

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أرسل النبيّ، ﷺ، عليّ بن أبي طالب في سريّة [إلى ديار] طيّء، وأمره أن يهدم صنمهم الفَلْس[3]، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبَى وكسر الصنم، وكان متقلّداً سيفين يقال لأحدهما مخذَم، وللآخر رَسُـوب، فأخـذهما عليّ وحملهما إلى رسول الله، ﷺ، وكان الحارث بن أبي شِمْر أهدى السّيفَين للصّنم، فعُلّقـا عليه، وأسر بنتاً لحاتم الطائيّ، وحُملت إلى رسول الله، ﷺ، بالمدينة فأطلقها[4].

وأمّا إسلام عديّ بن حاتم فقال عديّ: جاءت خيل رسول الله، ﷺ، فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسولَ الله، ﷺ، فقالت أختي: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٨٢، ١٨٣، تاريخ الطبري ٣/٩٦ـ ١٠٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/١٨٥، الطبري ٣/١٠٠، عيون التواريخ ١/٣٦٤.

(٣) في الطبعة الأوربية «القلس». وأنظر عنه: الأصنام لابن الكلبي ١٥.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١١١، ١١٢.

فامننْ عليّ منّ الله عليك. فقال: «ومَنْ وافدك»؟ قالت: عديّ بن حاتم. قال: «الذي فرّ من الله ورسوله»! فمنّ عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو عليّ بن أبي طالب، قال: «سليه حُملاناً. فسألته، فأمر لها به وكساها، وأعطاها نفقة. قال عديّ: وكنتُ ملك طيّء آخذ منهم المِرْباع وأنا نصرانيّ، فلمّا قدِمت خيل رسول الله، ﷺ، هربتُ إلى الشام من الإسلام، وقلتُ أكون عند أهل ديني، فبينا أنا بالشام إذ جاءت أختي، وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثمّ قالت لي: أرى أن تلحق بمحمّد سريعاً، فإن كان نبيّاً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنتَ في عزٍّ وأنت أنت. قال: فقدِمتُ على رسول الله، ﷺ، فسلّمتُ عليه وعرّفتُهُ نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفَتْهُ، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، فقلت: ما هذا بملِك، ثمّ دخلتُ بيته، فأجلسني على وسادة، وجلس على الأرض، فقلتُ في نفسي: ما هذا ملك. فقال لي: يا عديّ إنّك تأخذ المرباع، وهو لا يحلّ في دينك، ولعلّك إنّما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدوّنا، والله ليفيضنّ المال فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، ووالله لتسمعنّ بالمرأة تسير من القادسيّة على بعيرها، حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلاّ الله، ووالله لتسمعنّ بالقصور البيض من بابل وقد فُتحت. قال: فأسلمتُ، فقد رأيتُ القصور البيض وقد فُتحت، ورأيتُ المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلاّ الله، ووالله لتكوننّ الثالثة[1] ليفيضنّ المال، حتى لا يقبله أحد[2].

ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ[3]

لما افتتح رسول الله، ﷺ، مكّة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه، وإنّما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً، إذ كانوا أمام النّاس وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله، ﷺ، وخلافه، فلمّا فُتحت مكّة وأسلمت قريش عرفت العرب أنّها لا طاقة لها بحرب رسول الله، ﷺ، ولا عداوته، فدخلوا في الدّين أفواجاً، كما قال الله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾**[4].

---

(١) في الطبعة الأوربية «الثلاثة».

(٢) سيرة ابن هشام ٢٢٢/٤، ٢٢٣، تاريخ الطبري ١١٢/٣ - ١١٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٩١/١ وما بعدها، تاريخ خليفة ٩٣، تاريخ اليعقوبي ٧٩/٢، سيرة ابن هشام ٢٠٣/٤، تاريخ الطبري ١١٥/٣، عيون الأثر ٢٣٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٥.

(٤) سورة النصر بكاملها، والخبر في سيرة ابن هشام ٢٠٣/٤، ونهاية الأرب ١/١٨، وعيون التواريخ ٣٦٤/١، ٣٦٥.

وقدِمت وفودهم في هذه السنة، قدِم وفد بني أسـد على رسول الله، ﷺ، وقـالوا: أتيناك قبل أن تـرسل إلينـا [رسولاً]، فـأنزل الله تعـالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْـكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾[1]؛ الآية.

وفيها قدِم وفد بَليّ في شهر ربيع الأوّل[2].

وفيها قدِم وفد الدّاريين[3]، وهم عشرة نفر.

وفيهـا قدِم على رسـول الله، ﷺ، وفد بني تميم مـع حاجب بن زُرارة بن عُـدَس، وفيهم الأقْـرع بن حابس، والـزِّبـرقـان بن بـدر، وعمـرو بـن الأهتم، وقيس بن عـاصم، والختـات[4]، ومعتمر بن زيـد، في وفد عـظيم، ومعهم عُيَيْنَـة بن حِصْن الفـزاريّ، فلمّـا دخلوا المسجد نادوا رسول الله، ﷺ، [من وراء حُجُراته] أن اخرجْ إلينا يا محمّـد، فآذى ذلك رسولَ الله، ﷺ، وخرج إليهم، فقالوا: جئْنا نفاخرك، فأذنْ لشاعرنا وخـطيبنا، فـأذِن لهم، فقام عُطارد فقال: الحمد لله الذي له علينـا الفضل الـذي جعلنا ملوكـاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثرهم عدداً، فمن يفاخرنـا فليعدّد مثلَ عددنا.

فقال رسول الله، ﷺ؛ لثابت بن قيس: «أجب الرجل». فقام ثابت فقال:

«الحمـد لله الذي لـه السماوات والأرض خَلْقُـهُ، قضى فيهنّ أمره، ووَسِـع كُرْسيّـه علمهُ، ولم يكنِ شيء قطّ إلاّ من فضله، ثمّ كان من قدرته أن جعلَنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسبـاً، فأنـزل عليه كتـابه، وائتمنه على خلقه، فكان خِيرَةَ الله تعالى من العالمين، ثمّ دعا النّاس إلى الإيمان، فآمن به المهاجرون من قومـه وذوي رَحِمه، أكـرم النّاس نسبـاً، وأحسن النّاس وجـوهاً، وخيـر النّـاس فَعالاً. ثمّ كـان أوّل الخلق استجابـة لله حين دعاه نحن، فنحن أنصـار الله ووزراء رسوله، نقاتل النّاس حتّى يُؤمنوا، فمَنْ آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومَنْ كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، والسلام عليكم».

فقالوا: يا رسول الله ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزِّبرقان بن بدر فقال:

---

(١) سورة الحجرات ـ الآية ١٧، والخبر في الطبقات الكبرى ١/٢٩٢.

(٢) عيون الأثر ٢/٢٢٢.

(٣) في طبعة صادر ٢/٢٨٧ «الزاريين» والتصويب من عيون التواريخ ١/٣٦٥.

(٤) في السيرة لابن هشام ٤/٢٠٤ وتاريخ الطبري ٣/١١٥ «الحُتـات». والذي أثبتنـاه هو مـا نص عليه المؤلف كما سيأتي.

نحنُ الكِـرامُ فـلا حيٌّ يُعـادِلُنـا … منّـا المُلُوكُ وفينـا تُنصَبُ البِيَـعُ
وكم قَسَـرْنـا مِنَ الأحيـاء كـلِّهمُ … عنـدَ النِّهابِ وفضْـلُ العُزْبِ[1] يُتّبَعُ
ونحنُ يُـطْعِمُ عنـد القحطِ مُـطعِمُنا … من الشِّـواء إذا لم يؤنَس القَـزَعُ[2]
بمـا تَـرَى النّـاسَ تـأتينـا سَراتُهُمُ … مِن كـلِّ أرضٍ هُـوِيّـاً[3] ثمّ نَصْطنعُ
فَننحرُ الكُـومَ عَبْـطاً[4] في أَرُومَتنـا … للنّـازِلينَ إذا مـا أُنْـزِلـوا شبعُـوا
فـلا تَـرَانـا إلى حَيٍّ نُفـاخِـرُهم … إلاّ استَقـادوا وكاد[5] الـرّأسُ يُقتـطَعُ
إنّـا أبَيْنَـا ولن يَـأبى[6] لَنـا أحَـدٌ … إنّـا كـذلـكَ عنـدَ الفَخـرِ نـرْتَفِـعُ
فمَنْ يُفـاخِـرُنـا في ذاكَ يعـرفنـا … فيـرْجعُ القـوْلُ[7] والأخبارُ تُستَمَعُ

قال: وكان حسّان بن ثابت غائباً، فـدعاه رسـول الله، ﷺ، ليجيب شاعـرهم. قال حسّان: فلمّا سمعتُ قوله قلت على نحوه:

إنّ الـذّوائبَ من فِهْـرٍ وإخـوَتهـمْ … قـد بَيّنُـوا سُنّـةً للنّـاسِ تُـتّبَـعُ
قَـوْمٌ إذا حـارَبـوا ضَـرّوا عـدوَّهمُ … أوْ حاوَلوا النّفـعَ في أشياعهم نفعُـوا
يـرْضَى بها كـلّ مَن كانَتْ سريرَتُـهُ … تَقْـوَى الإلَهِ، وكـلَّ البرِّ[8] يُصْـطَنَعُ
سجيّـةٌ تلك منهم غيـرُ مُحْـدَثَـةٍ … إنّ الخَلائقَ، فاعلَمْ، شـرُّها البِـدَعُ
إن كانَ في النّاسِ سَبّاقونَ بعـدهُمُ … فكـلُّ سَبْـقٍ لأدْنَى سَبقِـهم تَـبَـعُ
لا يـرْقـعُ النّـاسُ مـا أوْهتْ أكُفُّهُمُ … عنـد الدّفـاعِ وَلاَ يوهـونَ ما رَقعُـوا
إنْ سـابقُوا النّاسَ يومـاً فازَ سَبقُهمُ … أو وَازَنـوا أهلَ مجْـدٍ بالنّـدى مَتعُـوا
أعِفّـةٌ ذُكـرَتْ في الـوحْيِ[9] عِفّتُهم … لا يَطعبونَ[10] وَلاَ يُزري بهم[11] طَمَعُ
لا يَبخَلون[12] على جـارٍ بـفضْـلِهِمُ … وَلا يمسّهمُ مِـن مَـطمَـعٍ طَبَعُ[13]

(١) في السيرة، وتاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام «العزّ».
(٢) القزع: السحاب الرقيق، يريد إذا أخلفهم المطر فأجدبت أرضهم. وفي الطبعة الأوربية «القرع».
(٣) هوياً: سراعاً.
(٤) في الطبعة الأوربية «غبطاً».
(٥) في الطبعة الأوربية «وكان».
(٦) في الطبعة الأوربية «ولم يأب».
(٧) في السيرة «فيرجع القوم».
(٨) في السيرة والطبري «الخير».
(٩) في الطبعة الأوربية «الحي».
(١٠) في الطبعة الأوربية «لا يطمعون». ولا يطبعون، لا يدنّسون.
(١١) في السيرة «يرديهم».
(١٢) في الطبعة الأوربية «لا ينحلون».
(١٣) في السيرة «طمع».

إذا نَصَبْنـا لحَيٍّ لم نـدِبّ لَـهُم | كمـا يدبّ إلى الـوَحشيّـةِ الـذُّرَعُ[1]
كـأنّهمْ في الـوَغى والمَـوْتُ مُكتَنِـعٌ | أُسْـدٌ بحَلْيَـةَ في أرْسـاغِهـا فَـدَعُ
أكـرِمْ بقَـوْمٍ رَسـولُ الله شيعَتُهُمْ | إذا تَـفـرّقَـتِ الأهـواءُ والـشّيَـعُ
فـإنّـهُم أفـضَـلُ الأحيـاء كـلّهـمُ | إن جدَّ بالناس جِدُّ القوْل أوْ شَمَعُوا[2]

فلمّا فرغ حسّان قال الأقرع بن حابس: إنّ هذا الرجـل لمُؤتّىً له، خـطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعـر من شاعـرنا؛ ثمّ أسلمـوا وأجازهم رسـول الله، ﷺ، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ الآيات[3].

(الختّات: بالخاء المعجمة، وتائين كلّ واحدة منهما مثنّاة من تحت، ونون).

وفيها قدِم على رسول الله، ﷺ، كُتُب ملوك حِمْير مقـرّين بالإسـلام، مع رسـولهم الحـارث بن عبد كُـلال، والنُّعمان قَيْـل ذي رُعَين، وهمْدان، فـأرسل إليـه زُرْعةُ ذو يَـزَن مالكَ بن مُرّة الرهـاوي بإسـلامهم، وكتب إليهم رسول الله، ﷺ، يـأمرهم بمـا عليهم في الإسلام وينهاهم عمّا حرّم عليهم[4].

وفيها قدِم وفد بهراء على رسول الله، ﷺ، فنزلوا على المِقداد بن عمرو[5].

وفيها قدِم وفد بني البكّاء[6].

وفيها قدِم وفد بني فَزارة، فيهم خارجة بن حِصْن[7].

وفيها قدِم وفد ثعلبة بن مُنْقذ.

وفيها قدِم وفـد سعد بن بكـر، وكان وافـدهم ضِمام بن ثعلبـة، فسأل رسـولَ الله، ﷺ، عن شرائع الإسلام وأسلم، فلمّا رجـع إلى قومـه قال رسـول الله، ﷺ: «لئن صدق ليدخلنّ الجنّة»؛ فلمّا قدِم على قومه اجتمعـوا إليه فكـان أوّل ما تكلّم بـه أن قال: بئستُ اللاّت والعُزّى! فقالوا: اتّقِ البرص والجُذام والجنون. فقال: ويحكم إنّهما لا يضرّان ولا

---

(١) الذّرع: ولد البقرة الوحشية.
(٢) شمعوا: هزلوا، وأصل الشمع اللهو والطرب. والأبيات في سيرة ابن هشام ٤/٢٠٧ و٢٠٨، وتاريخ الطبري ٣/١١٦ ـ ١١٩، وأنظر ديوان حسّان ٢٤٨ باختلاف في الألفاظ وترتيب الأبيات، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٦، ٦٧٧.
(٣) سورة الحجرات ـ الآية ٤.
(٤) سيرة ابن هشام ٤/٢٣١، ٢٣٢، تاريخ الطبري ٣/١٢٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٠.
(٥) تاريخ الطبري ٣/١٢٢، عيون الأثر ٢/٢٥١.
(٦) الطبري ٣/١٢٢.
(٧) الطبري ٣/١٢٢.

ينفعان، وإنّ الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً، وقد استنقذكم به ممّا كنتم فيه؛ وأظهر إسلامه، فما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل مشرك ولا امرأة مشركة، فما سُمع بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة[1].

ذكر حجّ أبي بكر، رضي الله عنه

وفيها حجّ أبو بكر بالنّاس، ومعه عشرون بَدَنَة لرسول الله، ﷺ، ولنفسه خمس بَدَنات، وكان في ثلاثمائة رجل، فلمّا كان بذي الحُلَيْفة أرسل رسول الله، ﷺ، في أثره عليّاً وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فعاد أبو بكر وقال: يا رسول الله أَنَزَلَ فيَّ شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي، ألا ترضى يا أبا بكر أنّك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض»؟ قال: بلى، فسار أبو بكر أميراً على الموسم، فأقام النّاس الحجّ، وحجّت العربُ الكُفّارُ على عادتهم في الجاهليّة، وعليّ يؤذّن ببراءة، فنادى يوم الأضحى: لا يحجّنّ بعد العام مشركٌ ولا يطوفنّ بالبيت عُريان، ومَنْ كان بينه وبين رسول الله، ﷺ، عهد فأجله إلى مدّته. ورجع المشركون، فلام بعضهم بعضاً وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا[2].

وفي هذه السنة فُرضت الصدقات، وفرّق رسول الله، ﷺ، فيها عُمّاله[3].

وفيها في شعبان توفّيت أم كلثوم بنت النبيّ، ﷺ، وهي زوج عثمان بن عفّان، وغسّلتها أسماء بنت عُمَيس، وصفيّة بنت عبد المطّلب، وقيل: غسّلتها نسوة من الأنصار، منهنّ أُمّ عطيّة، وصلّى عليها رسول الله، ﷺ، ونزل في حفرتها أبو طلحة[4].

وفيها مات عبد الله بن أُبيّ بن سَلول رأس المنافقين، وكان ابتداء مرضه في شوّال، فلمّا توفّي جاء ابنه عبد الله إلى النبيّ، ﷺ، فسأله قميصَه، فأعطاه، فكفّنه فيه، وجاء رسول الله، ﷺ، ليصلّي عليه، فقام عمر في صدره وقال: يا رسول الله أتصلّي عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ يعدّد أيّامه، ورسول الله، ﷺ، يتبسّم ثمّ قال: «أَخِّر عنّي عُمَرُ، قد خُيِّرْتُ فاخترتُ، قد قيل لي: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ**

---

(١) سيرة ابن هشام ٢١٧/٤، تاريخ الطبري ١٢٤/٣، ١٢٥، الطبقات الكبرى ٢٩٩/١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٠ ـ ٦٨٢.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ١٠٩/١٤، وتاريخ الطبري ١٢٢/٣، ١٢٣، وانظر سيرة ابن هشام ١٨٩/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٤، ٦٦٥ وعيون التواريخ ٣٧٠/١.

(٣) تاريخ الطبري ١٢٣/٣.

(٤) تاريخ خليفة ٩٣، الطبقات الكبرى ٣٧/٨ ـ ٣٩، تاريخ الطبري ١٢٤/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦١.

مَرّةً **﴿فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ﴾**[1]؛ ولو علمتُ أن لو زِدتُ على السّبعينِ غفرٍ لهم لَزِدتُ، ثمّ صلّى عليه، وقامِ على قبره حتى فرغ منه، فأنـزل الله تعالى: **﴿وَلاَ تُصَـلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَـاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾**[2] الآية[3].

وفيها نعى النبيّ، ﷺ، النجاشيّ للمسلمين، وكان موته في رجب سنة تسـع وصلّى عليه رسول الله، ﷺ[4].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّي أبو عامر الراهب عند النجاشيّ[5].

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٨٠.

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٨٤.

(٣) وانظر: المغازي للواقـدي ٣/١٠٥٧، وتاريـخ الطبـري ٣/١٢٠، وسيرة ابن كثيـر ٤/٦٥، وتاريـخ الإسلام (المغازي) ٦٦٠، وعيون التواريخ ١/٣٧٣.

(٤) تاريخ خليفة ٩٣، عيون التواريخ ١/٣٧٣.

(٥) تاريخ الطبري ٣/١٤٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠٠.

١٠
ذكر الأحداث في سنة عشر

ذكر وفد نجران مع العاقب والسيّد[١]

وفيها أرسل رسول الله، ﷺ، خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً، فإن أجابوا أقام فيهم وعلّمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم. فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأجابوا وأسلموا، فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله، ﷺ، يُعلمه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم، فيهم قيس بن الحُصَين بن يزيد بن قينان[٢] ذي الغُصّة[٣] ويزيد بن عبد المَدَان وغيرهما، فقدِموا على رسول الله، ﷺ، ثمّ عادوا عنه في بقيّة شوّال أو في ذي الحجّة، وأرسل إليهم عمرَو بن حَزْم يعلّمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم، وكتب معه كتاباً، وتوفّي رسول الله، ﷺ، وعمرو بن حزم على نجران.

وأمّا نصارى نجران فإنّهم أرسلوا العاقب والسيّد في نفر إلى رسول الله، ﷺ، وأرادوا مباهلته، فخرج رسول الله، ﷺ، ومعه عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، فلمّا رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه، وصالحوه على ألفَي حُلّة، ثمن كلّ حلّة أربعون درهماً، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله، ﷺ، وجعل لهم ذمّة الله تعالى وعهده ألاّ يُفتنوا[٤] عن دينهم ولا يُعشّروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الرّبا ولا يتعاملوا به. فلمّا استخلف أبو بكر عامَلَهم [بذلك]، فلمّا استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز، وأجلى أهل نجران، فخرج بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى نجرانيّة الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٣٥، تاريخ الطبري ٣/١٢٦، الطبقات الكبرى ٢/١٦٩، تاريخ خليفة ٩٤، نهاية الأرب ١٨/١٢١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري «قَنَان».

(٣) سُمّي بذلك لغُصّة كانت في حلقه. أنظر عنه في أسد الغابة ٤/٤١٨.

(٤) في الأصل «يقتلوا»، وفي النسخة (ب): «يفثوا».

وقيل: إنّهم كانوا قد كثروا، فبلغوا أربعين ألفاً، فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر بن الخطّاب وقالوا: أجْلِنا، وكان عمر بن الخطّاب قد خافهم على المسلمين، فاغتنمها فأجلاهم، فندموا بعد ذلك، ثمّ استقالّوه فأبَى، فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان. فلمّا ولي عليّ أتوه وقالوا: ننشدك الله خطّك بيمينك. فقال: إنّ عمر كان رشيد الأمر، وأنا أكره خلافه، وكان عثمان قد أسقط عنهما مائَتيْ حُلّة، وكان صاحب النجرانيّة بالكوفة يبعث إلى من بالشام والنواحي من أهل نجران يجبونهم الحلل[1].

فلمّا ولي معاوية ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرّقهم وموتَ مَنْ مات منهم، وإسلام مَنْ أسلم منهم، وكانوا قد قلّوا، وأروه كتاب عثمان، فوضع عنهم مائَتيْ حُلّة تكملة أربعمائة حلّة. فلمّا ولي الحَجّاج العراقَ وخرج عليه عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث اتّهم الدهاقين بموالاته، واتّهمهم معهم، فردّهم إلى ألف وثلاثمائة حلّة، وأخذهم بحلل وشيءٍ. فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصهم، وإلحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحَجّاج، فأمر بهم فأُحصوا، ووُجدوا على العُشْر من عدّتهم الأولى، فقال: أرى هذا الصلح جزيةً، وليس على أرضهم شيء، وجزية المسلم والميت ساقطة، فألزمهم مائتَيْ حلّة. فلمّا تولّى يوسف بن عمر الثقفي[2] ردّهم إلى أمرهم الأوّل عصبيةً للحَجّاج. فلمّا استخلف السفّاح عمدوا إلى طريقه يوم ظهوره من الكوفة، فألقوا فيها الريحان ونثروا عليه، فأعجبه ذلك من فعلهم، ثمّ رفعوا إليه أمرهم، وتقرّبوا إليه بأخواله بني الحارث بن كعب، فكلّمه فيهم عبد الله بن الحارث، فردّهم إلى مائتَيْ حُلّة. فلمّا ولي الرشيد شكوا إليه العمّال، فأمر أن يُعفوا من العمّال، وأن يكون مؤدّاهم بيت المال[3].

وفيها قدِم وفد سلامان في شوال، وهم سبعة نفر، رأسهم حبيب السلامانيّ[4].

وفيها قدِم وفد غسّان[5] في رمضان، ووفد غامد[6] في شهر رمضان أيضاً.

---

(١) أنظر الطبقات الكبرى ١/٣٥٧، ٣٥٨، ونهاية الأرب ١٨/١٣٦، ١٣٨، وفتوح البلدان ١/٧٧، ٧٨، والخراج لقدامة ٢٧٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «تعاقب».

(٣) الخبر في فتوح البلدان ١/٨٠، ٨١، والخراج لقدامة ٢٧٣، ٢٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٣٠، الطبقات الكبرى ١/٣٣٢، نهاية الأرب ١٨/٩٢.

(٥) في طبعة صادر ٢/٢٩٥، «غُبْشَان». والتصويب من الطبقات الكبرى ١/٣٣٨، وتاريخ الطبري ٣/١٣٠، وعيون الأثر ٢/٢٥٦، ونهاية الأرب ١٨/٩٨.

(٦) في طبعة صادر ٢/٢٩٥ «عامر»، والتصويب من: الطبقات الكبرى ١/٣٤٥، وتاريخ الطبري ٣/١٣٠، ونهاية الأرب ١٨/١٠٨، وعيون الأثر ٢/٢٥٧، ٢٥٨.

وفيها قدم وفد الأزد، رأسهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً، فأسلم، وأمّره رسول الله، ﷺ، على مَنْ أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد المشركين، فسار إلى مدينة جُرَش، وفيها قبائل من اليمن فيهم خَثْعم، فحاصرهم قريباً من شهر، فامتنعوا منه، فرجع حتّى كان بجبل يقال له كشر، فظنّ أهل جُرَش أنّه منهزم، فخرجوا في طلبه فأدركوه، فعطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلَين منهم إلى رسول الله، ﷺ، ينظران حالِهِ. فبينما هما عنده إذ قال: بأيّ بلاد الله شكر؟ فقالا: ببلادنا جبل يقال له كَشَر. فقال: إنّه ليس بكَشَر ولكنّه شكر، وإنّ بُدن الله لتُنْحَر عنده الآن. فقال لهما أبو بكر أو عثمان: ويْحكما إنّه ينعي لكما قومَكما، فاسألاه أن يدعو الله يرفع عنهم، ففعلا، فقال: «اللهمّ ارفع عنهم»، فخرجا من عنده إلى قومهما، فوجداهم قد أُصيبوا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها النبيّ، ﷺ، حالهم، وخرج وفد جُرَش إلى رسول الله، ﷺ، فأسلموا[1].

وفيها قدِم وفد مُراد، مع فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ على رسول الله، ﷺ، مفارقاً لملوك كِنْدة، وقد كان قُبَيل الإسلام بين مُراد وهمْدان وقعة ظفرت [فيها] همْدان، وأكثروا القتل في مُراد، وكان يقال لذلك اليوم يوم الرَّزْم[2]، وكان رئيس همْدان الأجدع بن مالك والد مسروق، وفي ذلك يقول فَرْوة:

فإنْ نَغْلِبْ فغَلّابُونَ قِدْماً	وَإنْ نُهزَمْ فغيرُ مُهَزَّمِينَا[3]
وَما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلكنْ[4]	مَنَايانا ودَوْلَةُ[5] آخَرينَا
كَذاكَ الدّهرُ دولتُهُ سِجالٌ	تكُرّ صُروفُهُ حِيناً وحِينَا
فبَينا ما يُسَرّ بهِ ويُرْضَى	ولوْ لُبستْ غضارَتُهُ سِنِينَا
إذِ انقَلَبَتْ به كرّاتُ دَهرٍ	فألفى للأولى غَبَطوا طحِينَا
وَمَن يُغبَطْ برَيْبِ الدّهرِ منهم	يجِدْ رَيْبَ الزّمانِ لَهُ[6] خؤونَا
فلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إذاً خَلَدْنَا	ولوْ بقيَ الكِرامُ إذاً بَقِينَا

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٢٩، ٢٣٠ الطبقات الكبرى ١/٣٣٧، ٣٣٨، تاريخ الطبري ٣/١٣٠، ١٣١، نهاية الأرب ١٨٠/٩٦، ٩٧، عيون الأثر ٢/٢٤٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «الردْم»، والرزم: موضع في بلاد مُراد.

(٣) في سيرة ابن هشام: «وإن نغلب فغير مغلّبينا».

(٤) في تاريخ الطبري: «وإنْ نُقتل فلاجُبْن ولكن».

(٥) في السير، والطبري «وطعمة».

(٦) في الطبعة الأوربية «لهم».

فـأفنى ذاكُـمُ[1] سَـرواتِ قَـوْمٍ[2] كمـا أفنى القُـرُونَ الأوَّلِـينَـا[3]

ولما توجّه فروة إلى رسول الله، ﷺ، مفارقاً لقومه قال:

لمّـا رأيتُ مُلوكَ كِنـدَةَ أعـرضَتْ كالرِّجلِ خان الـرِّجلَ عِـرْقُ نسائهـا
يَـمّـمْـتُ راحـلتـي أؤمّ مُـحَـمّـداً أرجـو فَضائِلها[4] وحُسْنَ ثَـرائِهـا[5]

فلمّا انتهى إلى رسول الله، ﷺ، قال له: «يا فروة هل ساءك ما أصاب قـومَك يـوم الرَّزْم»؟ فقال: يا رسول الله مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلـك؟ فقال رسول الله، ﷺ: «إنّ ذلك لا يزيد قومك في الإسلام إلّا خيراً»[6]، فاستعمله رسول الله، ﷺ، على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلّها، وبعث معه خـالد بن سعيـد بن العاص، فكـان على الصدقات إلى أن توفّي رسول الله، ﷺ[7].

وفيهـا أرسـل فَـرْوة بن عمـرو الجُـذاميّ ثمّ النُّفـاثيّ رسـولاً إلى رسـول الله، ﷺ، بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عـاملاً للروم على مَنْ يليهم من العـرب، وكان منزله مُعان في أرض الشام، فلمّا بلغ الروم إسلامه، طلبوه حتى أسروه فحبسوه، فقال في محبسه ذلك:

طـرقَتْ سُلَيْمى مُـوْهنـاً فشَجـاني[8] والـرّومُ بينَ البـابِ والقـرْبـانِ[9]
صـدّ الخيـالُ وسـاءهُ مـا قـد رَأى وهممتُ أن أُغفي وقـد أبكـاني
لا تكحـلِنّ العـينَ بـعـدي إثمـداً سَـلْمَـى وَلا تَـدْنِـنّ لـلإنسـانِ[10]

فلمّا اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عِفْرَى بفلسطين قال:

---

(١) في السيرة «ذلكم»، وكذلك في الطبعة الأوربية.
(٢) في السيرة والطبري «قومي».
(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام ٤/٢٢٤، ٢٢٥ وتاريخ الطبري ٣/١٣٥.
(٤) في السيرة والطبري «فواضلها».
(٥) البيتـان في السيرة ٤/٢٢٥، وتـاريخ الـطبري ٣/١٣٥، ونهـايـة الأرب ١٨/٨٥، وعيـون الأثـر ٢/٢٤٠، وعيون التواريخ ١/٣٨٣.
(٦) في الطبعة الأوربية «خرافاً».
(٧) الـطبقـات الكبـرى ١/٣٢٧، سيـرة ابن هشـام ٤/٢٢٥، تـاريـخ الـطبـري ٣/١٣٥، ١٣٦، نهـايـة الأرب ١٨/٨٤، ٨٥، عيون الأثر ٢/٢٣٩، ٢٤٠.
(٨) في سيرة ابن هشام ٤/٢٣٤، «موهناً أصحابي».
(٩) في النسخة (ت): «العرفان»، وفي السيرة «والقروان».
(١٠) في السيرة «ولا تدين للإتيان».

ألا هَـلْ أتَى سَلْمَى بأنّ خَليلَهـا[1] على ماء عِفرَى فوْق إحدى الرّواحِل
على ناقةٍ لم يلقـح[2] الفحلُ[3] أمّهـا مشـذّبـةٍ أطـرافُهـا بـالمَناجِـلِ

وهذا من أبيات المعاني. فلمّا قدموه ليصلبوه قال:

بلّغْ سَـرَاةَ المسلمينَ[4] بأنّني سَلْمٌ لـرَبّي أعْظُمي ومقـامي

ثمّ ضربوا عنقه وصلبوه[5].

وفيها قدِم وفد زُبَيْد على رسول الله، ﷺ، مع عمرو بن معدي كرِب، وكان رسول الله، ﷺ، قد استعمل على زُبيد ومُراد فَرْوة بن مُسَيْك في هذه السنة، قبل قدوم عمرو، فلمّا عاد عمرو من عند رسول الله، ﷺ، أقام في قومه بني زُبَيْد وعليهم فَرْوة، فلمّا توفّي رسول الله، ﷺ، ارتدّ عمرو[6].

وفيها قدِم وفد عبد القيس على رسول الله، ﷺ، وفيهم الجارود بن عمرو، وكان نصرانياً فأسلم وأسلم من معه، وكان الجارود حسن الإسلام، نَهَى قومه عن الردّة بعد موت النبيّ، ﷺ، لما ارتدّوا مع الغَرور، وهو المنذر بن النعمان، وقد كان رسول الله، ﷺ، بعث العلاء بن الحضرميّ قبل الفتح إلى المنذر بن ساوي العبد، فأسلم وحسُن إسلامه، ثمّ هلك بعد وفاة رسول الله، ﷺ، وقبل ردّة أهل البحرين، والعلاء أمير لرسول الله ﷺ على البحرين[7].

وفيها قدِم وفد بني حَنيفة وفيهم مُسَيْلمة، وكان منزله في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار، واجتمع مسيلمة برسول الله، ﷺ، ثمّ عاد إلى اليمامة وتنبّأ وتكذّب [لهم]، وادّعى أنّه شريك رسول الله ﷺ في النبوّة، فاتّبعه بنو حَنيفة[8].

---

(١) في السيرة «حليلها» بالحاء المهملة.
(٢) في الأصل، والسيرة «يضرب».
(٣) في الطبعة الأوربية «الفلح».
(٤) في الطبقات الكبرى ١/٣٥٥ «المؤمنين».
(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ٤/٢٣٤، ٢٣٥، والطبقات الكبرى ١/٣٥٤، ٣٥٥، وعيون الأثر ٢/٢٤٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٩.
(٦) سيرة ابن هشام ٤/٢٢٦، ٢٢٧، الطبقات الكبرى ١/٣٢٨، تاريخ الطبري ٣/١٣٢ ـ ١٣٤، نهاية الأرب ١٨/٨٥، ٨٦، عيون الأثر ٢/٢٤٠، ٢٤١، عيون التواريخ ١/٣٨٣.
(٧) سيرة ابن هشام ٤/٢١٣، الطبقات الكبرى ١/٣١٤، تاريخ الطبري ٣/١٣٦، نهاية الأرب ١٨/٦٥، عيون الأثر ٢/٢٣٤، عيون التواريخ ١/٣٧٧.
(٨) سيرة ابن هشام ٤/٢١٨، تاريخ الطبري ٣/١٣٧، الطبقات الكبرى ١/٣١٦، نهاية الأرب ١٨/٧٢، ٧٣، عيون الأثر ٢/٢٣٥، عيون التواريخ ١/٣٧٨.

وفيها قدِم وفد كِندة مع الأشعث بن قيس، وكانوا ستّين راكباً، فقال الأشعث: نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار. فقال النبيّ، ﷺ: نحن بنو النضر بن كِنانة لا نَقْفُوا أمّنا ولا ننتفي من أبينا[1].

وفيها قدِم وفد محارب[2].

وفيها قدِم وفد الرهاويّين، وهم بطن من مَذْحج[3].

(ورَهاء: بفتح الراء، قاله عبد الغني بن سعيد)[4].

وفيها قدِم وفد عبْس[5].

وفيها قدِم وفد صَدِف، وافوا رسولَ الله، ﷺ، في حَجّة الوَداع[6].

وفيها قدِم وفد خَوْلان، وكانوا عشرة[7].

وفيها قدِم وفد بني عامر بن صَعْصعة، فيهم عامر بن الطُّفَيل، وأربد بن قيس، وجبّار[8] بن سُلْمى، بضمّ السين وبالإمالة، بن مالك بن جعفر، وكان عامر يريد الغدر برسول الله، ﷺ، فقال له قومه: إنّ النّاس قد أسلموا فأسلم. فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى، ثمّ قال لأربد: إذا قدِمنا عليه فإنّي شاغله عنك، فاعْلُهُ بالسيف من خلفه. فلمّا قدِموا جعل يكلّم النبيّ، ﷺ، يشغله ليفتك به أربد، فلم يفعل أربد شيئاً، فقال عامر للنبيّ، ﷺ: لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً، فلمّا ولّى قال رسول الله، ﷺ: «اللهمّ اكفِني عامراً». فلمّا خرجوا قال عامر لأربد: لِمَ لَمْ تَقْتُلْهُ؟ قال: كلّما هممتُ بقتله دخلتَ بيني وبينه حتّى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ ورجعوا، فلمّا كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعونَ فقتله، وإنّه لفي بيت امرأة سَلوليّة، فمات وجعل يقول: يا بني عامر أغُدّة كغُدّة البعير، وموتٌ في بيتِ سَلوليّة! وأرسل الله إلى أربد صاعقة فأحرقته، وكان أربد بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه[9].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٢٨، الطبقات الكبرى ١/٣٢٨، تاريخ الطبري ٣/١٣٨، نهاية الأرب ١٨/٨٧، ٨٨، عيون الأثر ٢/٢٤١، ٢٤٢، عيون التواريخ ١/٣٨٤.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٩٩، تاريخ الطبري ٣/١٣٩، نهاية الأرب ١٨/٤٣، عيون الأثر ٢/٢٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٣٩، تاريخ الطبري ٣/٣٤٤، ٣٤٥، نهاية الأرب ١٨/١٠٧.

(٤) في مشتبه النسبة ـ (مخطوطة المتحف البريطاني) ـ ١٨ب.

(٥) الطبقات الكبرى ١/٢٩٥، تاريخ الطبري ٣/١٣٩.

(٦) الطبقات الكبرى ١/٣٢٩، تاريخ الطبري ٣/١٣٩.

(٧) الطبقات الكبرى ١/٣٢٤، تاريخ الطبري ٣/١٤٠.

(٨) في النسخة (ب): «حسان».

(٩) تاريخ الطبري ٣/١٤٤، ١٤٥، سيرة ابن هشام ٤/٢١١، ٢١٢، الطبقات الكبرى ١/٣١٠، ٣١١، نهاية الأرب ١٨/٥١.

وفيها قدِم على رسول الله، ﷺ، وفد طيّء فيهم زيد الخيل، وهو سيّدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم. وقال رسول الله، ﷺ: «ما ذُكر لي رجل من العرب [بفضلٍ] ثمّ جاءني إلّا رأيتُهُ دون ما يقال فيه، إلّا ما كان من زيد الخيل»، ثمّ سمّاه زيد الخير، وأقطع له فَيْد وأَرَضين معها. فلمّا رجع أصابته الحُمَّى بقريةٍ من نجد، فمات بها[1].

وفيها كتب مُسيلِمة الكذّاب إلى رسول الله، ﷺ، يذكر أنّه شريكه في النبوّة، وأرسل الكتاب مع رسولَين، فسألهما رسول الله، ﷺ، عنه، فصدّقاه. فقال لهما: «لولا أنّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتُكما»[2].

وكان كتاب مُسَيْلمة: من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، أمّا بعد فإنّي قد أُشركتُ معك في الأمر وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله، ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى مُسيلمة الكذّاب، أمّا بعد، فالسّلام على مَنِ اتّبع الهُدى، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين»[3].

وقيل: إنّ دعوى مُسيلمة وغيره النبوّة كانت بعد حجّة الوداع ومرضته التي مات فيها. فلمّا سمع النّاس بمرضه وثب الأسود العَنْسيّ باليمن، ومُسيلمة باليمامة، وطُلَيحة في بني أسد[4].

ذكر إرسال عليّ إلى اليمن وإسلام همْدان

في هذه السنة بعث رسول الله، ﷺ، عليّاً إلى اليمن، وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فأرسل عليّاً، وأمره أن يعقل خالداً ومَن شاء من أصحابه، ففعل، وقرأ عليّ كتاب رسول الله، ﷺ، على أهل اليمن، فأسلمت همْدان كلّها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله، ﷺ، فقال: السلام على همْدان، يقوله ثلاثاً، ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله، ﷺ، فسجد شكراً لله تعالى[5].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٢٠، الطبقات الكبرى ١/٣٢١، تاريخ الطبري ٣/١٤٥، نهاية الأرب ١٨/٧٦، عيون الأثر ٢/٢٣٦، عيون التواريخ ١/٣٧٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦، ٦٨٧.

(٢) في الطبعة الأوربية «لقتلتهما». والخبر في سيرة ابن هشام ٤/٢٤٣، ٢٤٤، وتاريخ الطبري ٣/١٤٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٢٤٣، تاريخ الطبري ٣/١٤٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٤٧، سيرة ابن هشام ٤/٢٤٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٢٤٧، الطبقات الكبرى ٢/١٦٩، تاريخ الطبري ٣/٩٣١، نهاية الأرب ١٨، ٣٦٨، =

ذكر بعث رسول الله، ﷺ، أمراءه على الصدقات

وفيها بعث رسول الله، ﷺ، أمراءه وعمّاله على الصدقات، فبعث المهاجر بن أبي أُمَيّة بن المُغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها، وبعث زياد بن لَبيد الأنصاريّ إلى حضرموت على صدقاتهم، وبعث عديّ بن حاتم الطائيّ على صدقات طيّء وأسد، وبعث مالك بن نُوَيْرة على صدقات [بني] حنظلة، وجعل الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مَناة بن تميم، وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى البحرين، وبعث عليّ بن أبي طالب إلى نجران، ليجمع صدقاتهم وجزْيتهم ويعود[1]، ففعل وعاد، ولقي رسول الله، ﷺ، بمكّة في حجّة الوداع، واستخلف على الجيش الذي معه رجلاً من أصحابه، وسبقهم إلى النبيّ، ﷺ، فلقيه بمكّة، فعمد الرجل إلى الجيش، فكساهم كلّ رجل حُلّة من البزّ الذي مع عليّ، فلمّا دنا الجيش خرج عليّ ليتلقّاهم فرأى عليهم الحلل، فنزعها عنهم، فشكاه الجيش إلى رسول الله، ﷺ، فقام النبيّ، ﷺ، خطيباً فقال: «أيّها النّاس لا تشكوا عليّاً، فَوَالله [إنه] لأخْشَنُ[2] في ذات الله وفي سبيل الله»[3].

= تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٩٠، المغازي للواقدي ١٠٧٩/٣، عيون الأثر ٢٧١/٢.

(١) إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢٤٣/٤، وتاريخ الطبري ١٤٧/٣، وعيون التواريخ ٣٩٣/١.

(٢) في الطبعة الأوربية «فهو لأخشن».

(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٧/٤، ٢٤٨ تاريخ الطبري ١٤٩/٣.

ذكر حجّة الوداع[1]

خرج رسول الله، ﷺ، إلى الحجّ لخمس بقين من ذي القعدة، لا يذكر النّاس إلّا الحجّ، فلمّا كان بسَرِف[2] أمر النّاس أن يحلّوا بعُمْرة إلّا مَنْ ساق الهَدْي، وكان رسول الله، ﷺ، قد ساق الهدْي وناس معه، وكان عليّ بن أبي طالب قد لقيه مُحرِماً، فقال له النبيّ، ﷺ: «حلّ كما حلّ أصحابك». فقال: إنّي قد أهللتُ بما أهلّ به رسول الله، فبقي على إحرامه، ونحر رسول الله، ﷺ، الهَدْي عنه وعن عليّ، وحجّ بالنّاس فأراهم مناسكهم وعلّمهم سُنَن حجّهم، وخطب خطبته التي بيّن فيها للنّاس ما بيّن، وكان الذي يبلّغ عنه بعَرَفَة ربيعة بن أميّة بن خلف لكثرة النّاس، فقال بعد حمد الله:

«أيّها النّاس، اسمعوا قولي، فلعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً. أيّها النّاس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام[3]، كحرمة يومكم هذا، وكلّ رِباً موضوع، لكم رؤوس أموالكم، وإنّ رِبا العبّاس بن عبد المطّلب موضوعٌ كلّه، وكلّ دم كان في الجاهليّة موضوعٌ، وأوّل دم أضَع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هُذَيل. أيّها النّاس إنّ الشيطان قد يئس أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنّه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم. أيّها النّاس ﴿**إنّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ في الكُفْرِ**﴾[4]، وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، و ﴿**إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْرَاً**﴾[5]. أيّها النّاس استوصوا بالنساء

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٨/٤، الطبقات الكبرى ١٧٢/٢، المغازي للواقدي ١٠٨٨/٣، تاريخ اليعقوبي ١٠٩/٢، البدء والتاريخ ٢٤٢/٤، تاريخ الطبريَ ١٤٨/٣، المغازي لعروة ٢٢٢، تاريخ خليفة ٩٤، عيون الأثر ٢٧٢/٢، عيون التواريخ ٣٩٤/١، أنساب الأشراف ٣٦٨/١، المعارف ١٦٥، سيرة ابن كثير ٢١١/٤، البداية والنهاية ١٠٩/٥، مروج الذهب ٢٩٧/٢، تاريخ الخميس ١٦٤/٢، نهاية الأرب ٣٧١/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠١.

(٢) سَرِف: بفتح أوله، وكسر ثانيه. وهو موضع على ستة أميال من مكة. (معجم البلدان ٢١٢/٣).

(٣) في السيرة والطبري «حرام إلى أن تلقوا ربكم».

(٤) سورة التوبة ـ الآية ٣٧.

(٥) سورة التوبة ـ الآية ٣٦.

خيراً». وهي خطبة طويلة[1].

وقال حين وقف بعَرَفَة: «هذا الموقف ـ للجبل الذي هو عليه ـ وكلّ عرفة موقف». وقال بالمُزْدَلِفة: «هذا الموقف وكلّ مزدَلِفة موقف». ولما نحر بمِنَى قال: «هذا المنحر وكلّ مِني منحر». فقضى رسول الله، ﷺ، الحجّ، وكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ[2]، وذلك أنّ رسول الله، ﷺ، لم يحجّ بعدها، وأرى النّاسَ مَناسكهم وعلّمهم حَجّهم[3].

ذكر عدد غزواته، ﷺ، وسراياه

وكان آخر غزوة [غزاها] رسول الله، ﷺ، بنفسه غزوة تَبُوك، وجميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة.

قال الواقديّ: هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم، وهو خطأ لأنّ زيداً غزا مُؤتة مع عبد الله بن رَواحة، وهو رديفه عِلى رَحْله، ولم يغزُ مع النبيّ، ﷺ، غير ثلاث غزوات أو أربع.

وقيل: غزا رسول الله، ﷺ، ستّاً وعشرين غزوة، وقيل: سبعاً وعشرين، فمَنْ قال: ستّاً وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة، لأنّه لم يرجع من خيبر إلى منزله، ومن فرّق بينهما جعل غزواته سبعاً وعشرين، جعل خيبر غزوة، ووادي القرى غزوة[4].

وأوّل غزوة غزاها وَدّان، وهي الأبْواء، ثمّ بُواط بناحية رَضْوَى، ثمّ العُشَيرة، ثمّ بدر الأولى لطلب كُرْز بن جابر، ثمّ بدر التي قتل فيها قريشاً، ثمّ غزوة بني سُلَيْم، ثمّ غزوة السَّويق، ثمّ غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أَمَرّ، ثمّ غزوة بَحْران بالحجاز، ثمّ غزوة أُحُد، ثمّ غزوة حَمْراء الأسد، ثمّ غزوة بني النَّضِير، ثمّ غزوة ذات الرِّقاع، ثمّ غزوة بدر الآخرة، ثمّ غزوة[5] دُومة الجندل، ثمّ غزوة الخندق، ثمّ غزوة بني قُرَيْظة، ثمّ غزوة بني لِحْيان من هُذَيْل، ثمّ غزوة ذي قَرَد، ثمّ غزوة بني المُصْطلق، ثمّ غزوة الحُدَيْبية، ثمّ غزوة خَيْبر، ثمّ عمرة القضاء، ثمّ غزوة فتح مكّة، ثمّ غزوة حُنَين، ثمّ غزوة الطائف، ثمّ

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام ٢٤٨/٤، ٢٤٩ وتاريخ الطبري ١٥٠/٣ ـ ١٥٢، والطبقات الكبرى ١٨٦/٢.
(٢) في الطبعة الأوربية «البلاغة».
(٣) سيرة ابن هشام ٢٥١/٤، تاريخ الطبري ١٥٢/٣، وانظر الأحاديث الواردة في صحيح البخاري ٢٢٣/٥، ٢٢٤، كتاب المغازي، باب حجّة الوداع، وصحيح مسلم ١٩٩/٥ كتاب الجهاد والسِّير، باب عدد غزوات النبي ﷺ.
(٤) تاريخ الطبري ١٥٢/٣.
(٥) في النسخة (ب): «غزوة ذات الحرملت».

غزوة تبوك؛ قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأُحُد، والخندق، وقُريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحُنَين، والطائف[1].

واختُلف في عدد سراياه، فقيل: كانت خمساً وثلاثين ما بين سريّة وبَعْث، وقيل: ثمانياً وأربعين[2].

وفي هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البجليّ في رمضان مسلماً، فبعثه إلى ذي الخَلَصة فهدمها، وكان من حجر أبيض بتَبالة[3]، وهو صَنم بَجيلة وخَثْعم وأزد السراة، فلمّا أتى رسولَ الله، ﷺ، خبر هدمه سجد شكراً لله تعالى[4].

وفيها أسلم باذان[5] باليمن، وبعث بإسلامه إلى رسول الله، ﷺ[6].

ذكر عدد حجّ النبيّ، ﷺ، وعُمَره

قال جابر: حجّ النبيّ، ﷺ، حجّتَين، حجّة قبل أن يهاجر، وحجّة بعدما هاجر، معها عُمْرة. وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله، ﷺ، ثلاث عُمَر، وقالت عائشة: أربع عُمَر، وروي مثل ذلك عن ابن عمر[7].

ذكر صفة النبيّ، ﷺ، وأسمائه وخاتم النبوّة

قال عليّ بن أبي طالب: كان رسول الله، ﷺ، ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللّحية، شِثْن الكفّين والقدَمين، ضخم الكراديس، مُشْرَباً وجهه حمرةً، طويل المَسْرُبة، إذا مشى تكفّأ تكفُّؤاً كأنّما ينحطّ من صَبَب، لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وكان أدعج العينين، سَبْط الشعر، سهل الخدّيْن، ذا وَفْرة، كأنّ عنقه إبريق فضّة، وإذا التفتَ التفت جميعاً، كأنّ العَرَق في وجهه اللّؤلؤ الرطب لطِيب عَرَقه وريحه.

قال أبو عُبيدة وغيره: شَثْن الكفّين والقدمين، يعني أنّهما إلى الغِلَظ [أقرب]، وقوله: ضخم الكراديس، يعني ألواح الأكتاف، والمَسْرُبة: الشعر ما بين السُّرّة واللَّبّة،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٥٥، تاريخ الطبري ٣/١٥٣.
(٢) تاريخ الطبري ٣/١٥٤ و١٥٨.
(٣) في الطبعة الأوربية «بثبالة».
(٤) الطبري ٣/١٥٨.
(٥) في الأصل «زادان».
(٦) الطبري ٣/١٥٨.
(٧) تاريخ الطبري ٣/١٥٩، ١٦٠.

والصبب: الانحدار، والدَّعَج في العين السواد، والسَّبِط من الشعر ضد الجعد.

وكان بين كَتفَيه، ﷺ، خاتم النبوّة، وهي بضعة ناشزة حولها شعر[1].

وأمّا أسماؤه فهي كما[2] قال رسول الله، ﷺ: «أنا محمّد، وأنا أحمد، والمقفّي[3]، والحاشر، ونبيّ الرحمة، ونبيّ التوبة، ونبيّ الملحمة[4]، والعاقب، والماحي الذي يمحو الله به الكُفْر»[5].

والحاشر الذي يُحشر النّاس على قدمه. والعاقب آخر الأنبياء.

وأمّا شعره وشيبه فقال أنس: لم يشِنْه الله بالشيب، وقيل: كان في مقدَّم[6] لحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب.

قال جابر بن سَمُرَة: وكان في مفرق رأسه شعرات بيض إذا دهنه غطّاهنّ الدهن، وأخرجت أمّ سَلَمة شعره مخضوباً بالحنّاء والكَتم.

وقال أبو رمثة: كان رسول الله، ﷺ، يخضب، وكان شعره يبلغ كتفَيه أو منكَبيْه.

وقالت: أمّ هانىء: كان له ضفائر أربع.

ذكر شجاعته، ﷺ، وجُوده

قال أَنَس: كان رسول الله، ﷺ، أشجع النّاس، وأسمح النّاس، وأحسن النّاس[7]،

---

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١/ ٤١٠، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢١٣، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣١٧، وتاريخ الطبري ٣/ ١٧٩، وأنساب الأشراف ١/ ٣٩٤ رقم ٨٤٨، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٤٣٤، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٣، وصفة الصفوة ١/ ١٥٣، ١٥٤، والبداية والنهاية ٦/ ٢٨، ٢٩، وأخرج حديث صفة النبيّ ﷺ: أبو داود في كتاب الأدب ٤/ ٢٦٦ رقم (٤٨٦٣) باب في هدي الرجل، والترمذي في اللباس (١٨٠٧) باب ما جاء في الجُمّة واتخاذ الشعر.

(٢) في الطبعة الأوربية «فإنه».

(٣) في الطبعة الأوربية «المقتفي».

(٤) في الطبعة الأوربية «الملحة».

(٥) أنظر صحيح مسلم (٢٣٥٥) في الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، ودلائل النبوّة للبيهقي ١/ ٩٧، ٩٨، والطبقات الكبرى ١/ ١٠٥، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال ١/ ١٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٢٠ - ١٢٢، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٧٥، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٢ وما بعدها، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٩.

(٦) في الطبعة الأوربية «قدم».

(٧) أنظر ما أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٤/ ١٠ - ١١ باب السرعة والركض في الفزع، ومسلم (٢٣٠٧) في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدّمه للحرب، وأحمد في المسند ٣/ ٢٦١، والبيهقي في دلائل =

وقع في المدينة فزع فركب فرساً عُرياً فسبق النّاس إليه فجعل يقول: «أيّها النّاس لم تُراعوا لم تُراعوا».

وقال عليّ بن أبي طالب: كنّا إذا اشتدّ البأس اتّقينا برسول الله، ﷺ، فكان أقربنا إلى العدوّ[1]. وكفى بهذا شجاعةً أنّ مثل عليّ الذي هو هو في شجاعته يقول هذا، وقد تقدّم في غزواته ما يُستدلّ به على تمكّنه من الشجاعة، وأنّه ما يقاربه فيها أحدٌ.

ذكر عدد أزواج النبيّ، ﷺ، وسراريه وأولاده[2]

قال ابن الكلبيّ: إنّ النبيّ، ﷺ، تزوّج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفّي عن تسع. وأوّل امرأة تزوّجها خديجة بنت خُوَيْلد، وكان تزوّجها قبله عتيق بن عائذ[3] بن عبد الله بن مخزوم، ومات عنها، وتزوّجها بعد عتيق أبو هالة بن زُرارة بن نبّاش التميميّ، فولدت له هند بن أبي هالة، ثمّ مات عنها، فتزوّجها رسول الله، ﷺ، فولدت له ثمانية: القاسم، والطيّب، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورُقيّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة. فأمّا الذكور فماتوا وهم صغار، وأمّا الإناث فبلغن ونُكحن وولدن، ولم يتزوّج على خديجة في حياتها أحداً[4] وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يولد له ولد من غيرها إلّا إبراهيم.

فلمّا توفّيت خديجة نكح بعدها سوْدة بنت زَمْعَة، وقيل عائشة، فأمّا عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة بنت ستّ سنين، وأمّا سودة فكانت امرأة ثيّباً، وكانت قبله عند

= النبوّة ١/٢٧٩، وابن سعد ١/٣٧٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٦٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/٤٢.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ٣/٢١٨، و٣/٢٢٠ و٣/٢٣٣.

(٢) أنظر في هذا الموضوع: تسمية أزواج النبيّ ﷺ لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ـ ٤٤ وما بعدها، والطبقات الكبرى ٨/٥٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣/١٢٠ وما بعدها، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٣٩٦ وما بعدها، وسيرة ابن هشام ٤/٢٥٤، وتهذيب الكمال للمزّي ١/٢٠٣، ونهاية الأرب للنويري ١٨/١٧٠ وما بعدها، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢/٣٠٠ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٤ وما بعدها، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١/٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٢، والسمط الثمين للمحبّ الطبري ٢٣٩ وما بعدها، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٢/٣٤١، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٣ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٢٩٣، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٣٦ وما بعدها، وذيل المذيّل للطبري ٦٠٠ وما بعدها، وعيون التواريخ للكتبي ١/٤١١، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٨٤، والسيرة لابن كثير ٤/٥٧٩، والمعارف لابن قتيبة ١٣٢، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٦٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/١٦١ «عابد».

(٤) في الطبعة الأوربية «إحدى».

السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس أخي سُهَيْل بن عمرو، وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصّر بها ومات، فخلف عليها رسول الله، ﷺ، وهو بمكّة، وكان الذي خطبها عليه خَوْلة بنت حَكيم زوجة عثمان بن مَظْعون، فدخل بسَوْدَة بمكّة، زوّجها منه أبوها زَمَعَة بن قيس، فلمّا تزوّجها كان أخوها عبد بن زَمَعَة غائباً، فلمّا قدِم جعل يحثي التراب على رأسه، فلمّا أسلم قال: إنّي سفيهٌ حيث فعلتُ ذلك، وندم على ما كان منه.

وأمّا عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، ولم يتزوّج بكراً غيرها، وماتت سنة ثمانٍ وخمسين[1].

ثمّ تزوّج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطّاب، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذافة السَّهْميّ (خنيس: بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة)، وكان بدْريّاً، ولم يشهد من بني سَهْم بدراً غيره، ولم تلد له شيئاً، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان[2].

ثمّ تزوّج بعدها أمّ سَلمة ابنة أبي أُميّة زاد الرّكب المخزوميّة، وكانت قبله عند أبي سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي، شهد بدراً، وأصابته جراحة يوم أُحُد فمات منها، وتزوّجها[3] رسول الله، ﷺ، قبل الأحزاب[4]، وماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: بعد قتل الحسين، رضي الله عنه.

ثمّ تزوّج زينب بنت خُزَيْمة من بني عامر بن صَعْصَعَة، ويقال لها أمّ المساكين، وتوفّيت في حياته، ولم يَمُتْ في حياته غيرها وغير خديجة بنت خُويلد، وكانت زينب قبله عند الطُفَيل بن الحارث بن عبد المطّلب.

ثمّ تزوّج عام المُرَيْسيع جُوَيْرِية ابنة الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعيّة من بني المُصْطلق، وكانت قبله عند مالك بن صَفْوان المصطلقيّ، لم تلد له شيئاً[5].

ثمّ تزوّج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت عند عُبيد الله بن جَحْش، وكان من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها، فأرسل النبيّ، ﷺ، إلى النجاشيّ فخطبها عليه، وتزوّجها وهي بالحبشة، وزوّجها منه خالدُ بن سعيد بن العاص، وقيل: بل خطبها إلى عثمان بن عفّان فزوّجها منه، وبعث فيها إلى النجاشيّ، فساق منه المهر أربعمائة

(١) تاريخ الطبري ٣/١٦٤.
(٢) تاريخ الطبري ٣/١٦٤.
(٣) في الطبعة الأوربية «وتزوّج».
(٤) تاريخ الطبري ٣/١٦٤ «فتزوّجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب سنة ثلاث، وتزوّج سلمة بن أبي سلمة ابنة حمزة بن عبد المطّلب».
(٥) الطبري ٣/١٦٥.

دينار، وأرسلها إليه، وتوفّيت في خلافة أخيه معاوية، فلم تلد له شيئاً[1].

ثمّ تزوّج زينب بنت جَحْش، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، فلم تلد له شيئاً، فزوّجها الله إيّاه وبعث في ذلك جبرائيل، وكانت تفخر على نساء النبيّ، ﷺ، وتقول: أنا أكرمهنّ وليّاً وسفيراً، وهي أوّل [من تُوفّي من] أزواجه، توفّيت بعده في خلافة عمر[2].

ثمّ تزوّج عام خيبر صفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطب، وكانت قبله تحت سلّام بن مِشْكم فتوفّي عنها، وخلف عليها كِنانةُ بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، فقتله محمّد بن مَسْلمة صبراً بأمر النبيّ، ﷺ، ثمّ أعتقها النبيّ، ﷺ، وتزوّجها سنة ستّ، وماتت سنة ستّ وثلاثين[3].

ثمّ تزوّج ميمونة ابنة الحارث الهلاليّة، وكانت قبله عند عُمَير بن عمرو الثقفيّ، ولم تلد له شيئاً، ثمّ خلف عليها أبو زُهَير بن عبد العُزّى بعد عُمَير، ثمّ رسولُ الله، ﷺ، بعده، وهي خالة ابن عبّاس وخالد بن الوليد، وتزوّجها في عُمْرة القضاء بسَرِف[4].

ثمّ تزوّج امرأة من بني كلاب يقال لها النشا[5] بنت رِفاعة، وقيل: هي شنبا[6] ابنة أسماء بن الصّلت، وقيل: ابنة الصلت بن حَبيب، تُوفّيت قبل أن يدخل بها[7].

ثمّ تزوّج الشنبا[8] ابنة عمرو الغِفاريّة، وقيل الكِنانيّة، فمات إبراهيم ابنه قبل أن يدخل بها، فقالت: لو كان نبيّاً ما مات ابنه، فطلّقها.

ثمّ تزوّج غزيّة[9] ابنة جابر الكلابيّة، خطبها عليه أبو أُسَيْد، بضمّ الهمزة، الساعديّ، فلمّا قدِمت على النبيّ، ﷺ، استعاذت بالله منه ففارقها[10].

ثمّ تزوّج أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن شراحيل[11] الكِنْديّ، فلمّا دخل بها وجد

---

(1) الطبري ٣/١٦٥.
(2) الطبري ٣/١٦٥.
(3) الطبري ٣/١٦٦.
(4) الطبري ٣/١٦٦.
(5) في النسخة (ب): «النساء»، وفي تاريخ الطبري «النشاة».
(6) في النسختين: (ب) و(ت): «سبا». وفي تاريخ الطبري ٣/١٦٦ «سنا». وكذلك في تاريخ دمشق ١٨٩.
(7) الطبري ٣/١٦٦.
(8) في النسخة (ب): «الصابية». والخبر عند الطبري ٣/١٦٦.
(9) في طبعة صادر ٢/٣١٠ «عربة»، وفي الأصل «عذية». والتصويب من تاريخ الطبري ٣/١٦٧ و١٦٨.
(10) تاريخ الطبري ٣/١٦٧.
(11) في طبعة صادر ٢/٣١٠ «براحل». والتصويب من تاريخ الطبري.

بها بياضاً، فمتّعها وردّها إلى أهلها، وقيل: بل استعاذت منه أيضاً فردّها[1].

والعاليةَ ابنة ظَبْيان، فجمعها ثمّ فارقها[2].

وقُتَيْلَةَ بنت قيس أخت الأشعث، فتوفّي عنها قبل أن يدخل بها، فارتدّت[3].

وفاطمةَ ابنة شُرَيح[4].

وقال ابن الكلبيّ: غزية[5] هي أمّ شريك. قال: وقيل: إنّه تزوّج خَوْلة ابنة الهُذَيْل ابن هبيرة[6].

وليلى ابنة الخطيم[7] الأنصاريّة عرضت نفسها عليه فتزوّجها، فأخبرت قومها، فقالوا: أنتِ غيور وله نساء فاستقيليه، فأقالته ففارقها[8].

وأمّا مَنْ خطب النبيّ، ﷺ، من النساء، ولم ينكحها فمنهنّ أُمُّ هانىء بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوّجها[9].

ومنهنّ ضباعة بنت عامر[10] من بني قُشَير.

ومنهنّ صفيّة بنت بشّامة أخت الأعور العنبريّ[11].

ومنهنّ أمّ حبيب[12] ابنة عمّه العبّاس، فوجد العبّاسَ أخاه من الرضاعة فتركها[13].

ومنهنّ جَمْرة ابنة الحارث بن أبي حارثة خطبها، فقال أبوها: بها سوء[14]، ولم يكن

---

(١) تاريخ الطبري ١٦٧/٣.

(٢) تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١٩٠، ١٩١، تاريخ الطبري ١٦٨/٣.

(٣) الطبري ١٦٨/٣، الاستيعاب ٤/ رقم ١٩٠٣، تاريخ دمشق (السيرة) ١٨٦، الإصابة ٢٨٨/٤.

(٤) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «سرع»، والتصويب من تسمية أزواج النبيّ ﷺ لأبي عبيدة ٦٨، وتاريخ الطبري ١٦٨/٣، والبداية والنهاية ٢٩٩/٥، وعيون الأثر ١٣٠/٢.

(٥) في طبعة صادر «عربة». والتصويب من الطبري، وتاريخ دمشق ٢٠١.

(٦) تاريخ الطبري ١٦٨/٣، تاريخ دمشق ١٩١.

(٧) في الطبعة الأوربية «وليلة ابنة الحطيم».

(٨) تاريخ الطبري ١٦٨/٣، عيون التواريخ ٤٢١/١.

(٩) تاريخ الطبري ١٦٩/٣، تاريخ دمشق (السيرة) ١٩٩.

(١٠) في الأصول، وطبعة صادر ٣١٠/٢ «ساعة بنت عمر»، والتصحيح من تاريخ الطبري ١٦٩/٣ وتاريخ دمشق (السيرة) ٢٠٠، وأنساب الأشراف ٤٦٠/١.

(١١) تاريخ الطبري ١٦٩/٣ وتاريخ دمشق ٢٠٠.

(١٢) في طبعة صادر ٣١٠/٢ «حبيبة»، والتصويب من تاريخ الطبري ١٦٩/٣.

(١٣) الطبري ١٦٩/٣.

(١٤) عند الطبري «شيء».

بها، فرجع إليها فوجدها قد بَرِصَتْ[1].

وأمّا سراريه فهي مارية ابنة شمعون القبطيّة، وولدت له إبراهيم[2].

وريحانة ابنة زيد القُرَظيّة، وقيل: هي من بني النَّضير[3].

ذكر موالي رسول الله، ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة، وابنه أُسامة بن زيد، وثَوْبان، ويكنى أبا عبد الله، أصله من السَّراة، وسكن حِمْص بعد موت النبيّ، ﷺ، ومات سنة سبع وخمسين، وقيل: سكن الرملة، ولا عقِب له.

وشُقْران، وكان من الحبشة، وقيل من الفرس، واسمه صالح [بن عديّ، واختُلف في أمره]، فقيل: إنّ رسول الله، ﷺ، ورثه من أبيه، وقيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبيّ، ﷺ، وأعقب.

وأبو رافع، واسمه إبراهيم، وقيل أُويقع، فقيل: كان للعبّاس فوهبه للنبيّ، ﷺ، فأعتقه رسول الله، ﷺ، وقيل: كان لأبي أُحَيْحة سعيد بن العاص، فأعتق ثلاثة من بنيه أنصباءهم منه[4]، وشهد معهم بدراً وهم كُفّار، وقُتلوا يومئذٍ، ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبيّ، ﷺ، فأعتقه وابنه البهي[5]، واسمه رافع، وأخوه عُبيد الله بن أبي رافع، كان يكتب لعليّ بن أبي طالب.

وسلمان الفارسيّ، وكنيته أبو عبد الله، من أهل أصبهان، وقيل: من أهل رامَهُرْمُز، أصابه سبْياً بعض من كلْب، وبِيع من يهوديّ بوادي القرى، فكاتب اليهوديّ وأعانه النبيّ، ﷺ، حتى عَتَق[6].

وسَفينة، كان لأمّ سلمة، فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله، ﷺ، [حياته][7].

قيل: اسمه مِهران، وقيل: رَباح، وقيل: كان من عجم الفرس[8].

---

(1) الطبري ٣/١٦٩.
(2) الطبري ٣/١٦٩، وتاريخ دمشق ١٣٩.
(3) الطبري، تاريخ دمشق.
(4) في الطبعة الأوربية «وأنصبهم منه».
(5) في الإصابة «أبو البهي». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/١٧٠.
(6) الطبري ٣/١٧١.
(7) إضافة عن الطبري.
(8) زاد الطبري: «واسمه سبيه بن مارقيه».

وأنسة[1] يكنّى أبا مسروح، وهو من مولّدي السَّراة، وكان يأذَن على رسول الله، ﷺ، وشهد معه بدراً وأُحُداً والمشاهد كلّها، وقيل: كان من الفرس[2].

وأبو كَبْشة، واسمه سُلَيْم، قيل: كان من موالي[3] مكّة، وقيل: كان من مولّدي أرض دَوْس، اشتراه رسول الله، ﷺ، وأعتقه، وشهد بدراً والمشاهد كلّها، وتوفّي يوم استُخْلِف عمر بن الخطّاب سنة ثلاث عشرة[4].

ورُوَيقع[5] أبو مُوَيْهبة، كان من مولّدي مُزَيْنة، فاشتراه رسول الله، ﷺ، وأعتقه[6].

ورَباح الأسود، كان يأذَن على رسول الله[7]، ﷺ.

وفَضالة نزل الشام[8].

ومِدْعَم قُتل بوادي القرى[9].

وأبو ضُمَيرة، قيل: كان من الفرس من ولد بشتاسب[10] الملك، فأصابه رسول الله، ﷺ، في بعض وقائعه فأعتقه، وهو جدّ أبي حسين[11].

ويَسَار[12] وكان نوبيّاً[13]، أصابه في بعض غزواته فأعتقه، وهو الذي قتله العُرَنيّون الذين أغاروا على لِقاح رسول الله، ﷺ.

ومِهران مولاه، حدّث عن النبيّ، ﷺ.

وكان له خصيّ يقال له مابوز[14]، أهداه له المُقَوقِس مع مارية وشيرين[15]، قيل: إنّه الذي قُذفت مارية به، فبعث رسول الله، ﷺ، عليّاً ليقتله، فرآه خصيّاً فتركه. وخرج إليه

---

(١) في الطبعة الأوربية «وابنه».
(٢) الطبري ٣/١٧١.
(٣) عند الطبري «مولّدي».
(٤) الطبري ٣/١٧١.
(٥) في الإصابة «رويفع» بالفاء.
(٦) الطبري ٣/١٧١.
(٧) في الطبعة الأوربية «يؤذن لرسول الله».
(٨) الطبري ٣/١٧١.
(٩) الطبري ٣/١٧١، ١٧٢.
(١٠) في تاريخ الطبري «كشتاسب».
(١١) في تاريخ الطبري «جدّ حسين».
(١٢) عند ابن قتيبة في المعارف ٧٢ «بشار».
(١٣) في الطبعة الأوربية «يونانياً».
(١٤) عند الطبري «مابور» بالراء.
(١٥) عند الطبري «سيرين» بالسين المهملة.

من الطائف، وهو محاصرهم، أربعةُ أَعبدٍ فأعتقهم، منهم أبو بَكْرة[1].

ذكر مَنْ كان يكتب لرسول الله، ﷺ

ذُكر أنّ عثمان بن عفّان كان يكتب له أحياناً، وعليّ بن أبي طالب أحياناً، وخالد ابن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرميّ. وأوّل مَن كتب له أُبَيّ بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ثمّ ارتدّ ورجع إلى الإسلام يوم الفتح. وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسيِّديّ[2] (بضمّ الهمزة، وتشديد الياء، كذلك يقوله المحدّثون، وهو منسوب إلى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، بالتشديد إجماعاً)[3].

ذكر أسماء خيله، ﷺ

قيل: أوّل فَرَس مَلَكه، ﷺ، فرس اشتراه بالمدينة من أعرابيّ من فَزارة بعشر أواق، وسمّاه السَّكْب[4]، وأوّل غزوة غزاها عليه أُحد. وفرس لأبي بُردة بن نِيار[5] اسمه مُلاوِح[6].

وكان له فرس يُدْعَى المرتجِز[7]، وهو الفَرَس الذي شهد به خُزَيْمة بن ثابت، وكان صاحبه من بني مُرّة.

وكان له ثلاثة أفراس: لِزاز، والظَّرب، واللَّحِيف[8]، وأمّا لزاز فأهداه له المُقَوْقس، وأمّا اللَّحِيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء، وأمّا الظَّرب فأهداه له فَرْوة بن عمرو الجُذاميّ[9].

---

(١) الطبري ٣/١٧٢.

(٢) الطبري ٣/١٧٣ وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/٨٠.

(٣) الإكمال لابن ماكولا ١/٧٣، ٧٤ و١٨ - ١٢٠، الأنساب للسمعاني ١/٢٦٢.

(٤) أنظر عنه: المعارف ١٤٩، رشحات المداد ١١٦، فضل الخيل ١٣٦، أنساب الخيل ١٩، حلية الفرسان ١٥١، المخصّص (الخيل) ١٩٣، حياة الحيوان ١/٣١٢ و٢/٢١٩، أنساب الأشراف ١/٥١١، نهاية الأرب ١٠/٣٣، شرح المواهب اللدنية ٣/٤٦٣، التراتيب الإدارية ١/٣٣١، الحلبة ٩٠.

(٥) في الطبعة الأوربية «لأبي بردة بن أبي نيار».

(٦) الطبقات الكبرى ١/٤٨٩، تاريخ الطبري ٣/١٧٣، عيون الأثر ٢/٣٢٠، نهاية الأرب ١٨/٣٠٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥١٨.

(٧) الطبقات الكبرى ١/٤٩٠، أنساب الأشراف ١/٥٠٩، نهاية الأرب ١٨/٢٩٩، الحلبة ١٩٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥١٨.

(٨) ويقال «اللُّخَيْف» بالخاء المعجمة، (تاريخ الإسلام ٥١٨).

(٩) تاريخ الطبري ٣/١٧٤.

وكان له فَرَس يقال له الورد، أهداه له تميم الداريّ، فوهبه النبيّ، ﷺ، لعمر بن الخطّاب، فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع[1]. وقيل: كان له فرس اسمه اليَعْسُوب.

تفسير هذه الأسماء: السّكْب: الكثير الجَرْي، كأنّما يُصَبّ جريه صبّاً. واللّحِيف: سُمّي به لطُول ذَنَبه، كأنّه يلحف الأرض بذنبه، أي يغطّيها. ولزاز: سُمّي به لشدّة تلزّزه. والظرب: سُمّي به لشدّة خلقه، سُمّي بالجبل الصغير. والمرتجز: سُمّي به لحسن صهيله. واليعسوب: سمّي به لأنّه أجود خيله، لأنّ اليعسوب الرئيس.

ذكر بغاله وحميره وإبلِهِ، ﷺ

كانت له دُلْدُل، وهي أوّل بغلة رؤيت في الإسلام، أهداها له المقوقس، ومعها حمار اسمه عُفَير، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية، وأهدى له فروة بن عمرو بغلة يقال لها[2] فِضّة، فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور بقي بعد مُنْصَرَفه من حَجّة الوداع[3].

وأمّا إبله فكانت له القَصْوَى[4]، وهي التي أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم، وهاجر عليها، وكانت من نَعَم بني الحُرَيْش، وبقيت مدّة، وهي العَضْباء، والجَدْعاء أيضاً. قال ابن المسيّب: كان في طرف أذنها جَدْع، وقيل: لم يكن بها جَدْع[5].

وأمّا لِقاحه فكان له عشرون لِقْحة بالغابة، وهي التي أغار[6] عليها القوم[7]، يأتي لبنها أهلَهُ كلّ ليلة.

وكان له لِقاح غِزار[8]، منهنّ: الحناء[9]، والسمراء، والعريس، والسَّعديّة، والبَغوم، واليسيرة، والرّيّا[10]، ومُهْرة، والشقراء[11].

---

(١) في تاريخ الطبري «يَنْباع»، بمعنى: يسير بخطا فسيحة.

(٢) في الطبعة الأوربية «له».

(٣) أنظر: الطبقات الكبرى ١/٤٩١، أنساب الأشراف ١/٥١١، المعارف ١٤٩، عيون الأثر ٢/٣٢٢، عيون التواريخ ١/٤٣٦، تاريخ الطبري ٣/١٧٤.

(٤) ويقال «القصواء». قال ابن الأثير في «جامع الأصول ٨/٦٦١»: «القصواء لقب ناقة رسول الله ﷺ، ولم تكن قصواء، فإنّ القصواء هي المشقوقة الأذن».

(٥) الطبقات الكبرى ١/٤٩٢، أنساب الأشراف ١/٥١١، ٥١٢، نهاية الأرب ١٨/٣٠١، عيون الأثر ٢/٣٢٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٢٠، تاريخ الطبري ٣/١٧٥، عيون التواريخ ١/١٤٩.

(٦) في الطبعة الأوربية «غار».

(٧) الطبقات الكبرى ١/٤٩٥، عيون الأثر ٢/٣٢٢، تاريخ الإسلام ٥٢١.

(٨) في الطبعة الأوربية «غرر».

(٩) في طبعة صادر ٢/٣١٥ «الحسناء»، والتصحيح من: تاريخ الطبري، وأنساب الأشراف، والطبقات الكبرى.

(١٠) في طبقات ابن سعد «الدبّاء».

(١١) الطبقات الكبرى ١/١٧٧، تاريخ الطبري ٣/١٧٥، أنساب الأشراف ١/٥١٣.

وأمّا منائحه، فكانت له سبع منائح من الغنم: عجوة، وزمزم، وسُقيا[1]، وبَركة، ووَرَسة، وأطلال، وأطراف، وسبع أعْنُزٍ يرعاهنّ أيْمن بن أمّ أيمن[2].

تفسير هذه الأسماء: عُفَير: تصغير ترخيم الأعفر، وهو الأبيض بياضاً غير خالص، ومنه أيضاً اسم حماره يعفور، كأخضر ويخضور. البغام: صوت الإبل، ومنه البغوم. والباقي لا يحتاج إلى شرح.

ذكر أسماء سلاحه، ﷺ

كان له ذو الفقار، غنِمه يوم بدر، وكان لمنبّه بن الحجّاج، وقيل لغيره، وغنِم من بني قَيْنُقاع ثلاثة أسياف: سيفاً قَلَعِيّاً[3]، وسيفاً يُدْعى بتّاراً، وسيفاً يدعى الحَتْف[4].

وكان له المخذم، ورَسوب، وقدم معه المدينة سيفان، شهد بأحدهما بدراً، يسمّى العَضْب[5].

وكان له ثلاثة أرماح، وثلاث قسيّ، قوس اسمها الروحاء، وقوس تُدعى البيضاء، وقوس نَبْع[6] تدعى الصفراء.

وكان له درع يقال لها الصعديّة[7]. وكان له درع يقال لها فِضّة، غنِمها من بني قَيْنُقاع، وكان له درع تسمّى ذات الفُضُول، كانت عليه يوم أُحُد، هي وفِضّة.

---

(١) في الطبعة الأوربية «سقيا».

(٢) الطبقات الكبرى ١/٤٩٥، تاريخ الطبري ٣/١٧٦، أنساب الأشراف ١/٥١٤.

(٣) يُنسب إلى قلع: قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق همذان.

(٤) في الأصول، وطبعة صادر ٢/٣١٦ «الخيف»، وما أثبتناه عن النسخة (ب)، والطبقات لابن سعد ١/٤٨٦، ونهاية الأرب للنويري ١٨/٢٩٧، وعيون الأثر ٢/٣١٨، وقيّده «المِزّي» في تهذيب الكمال ١/٢١٢ «الحنيف» بالنون والياء، أي من الحنف، وهو الإعوجاج. وأنظر تعليقنا في (تاريخ الإسلام (السيرة) ٥١٠ حاشية رقم ٣)، وأنساب الأشراف ١/٥٢٢.

(٥) العضْب: أي القاطع.

(٦) قال أبو حنيفة: والنبع شجر، زاد الأزهري: من أشجار الجبال، تتخذ منه القسيّ. وقال مرة: النبع شجر أصفر العود، رزينة، ثقيلة في اليد، وإذا تقادم احمرّ. قال: وكل القسيّ إذا ضُمّت إلى قوس النبع، لأنها أجمع القسيّ للأرز واللبن. يعني بالأرز: الشدّة. (أنظر مادة «فرع» في: لسان العرب، وتاج العروس).

(٧) هكذا في الأصول وطبعة صادر وغيرها. ويقال «السعدية» بالسين المهملة، أنظر الطبقات الكبرى ١/٤٨٧، وأنساب الأشراف ١/٥٢٣، ونهاية الأرب ١٨/٢٩٨، وذلك نسبة إلى جبال السعد.
ويقال «الصُّغْديّة» نسبة إلى الصُّغْد، أو «السّغديّة» بضم الصاد أو السين المهملة، وسكون الغين المعجمة. (انظر: تهذيب الكمال ١/٢١٢، وعيون الأثر ٢/٣١٨) وأنظر تاريخ الإسلام (السيرة) ٥١٣ حاشية (٣).

وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش، فكرِهه رسول الله، ﷺ، فأصبح وقد أذهبه الله عزَّ وجلّ[1].

تفسير هـذه الأسمـاء: سُمّي السيف ذو الفقـار لحفـر[2] فيـه. والسيف المِخـذم: القاطع. والرَّسوب: الذي يمضي في الضربة ويثبت فيها.

(١) الطبقات الكبرى ١/٤٨٩، نهاية الأرب ١٨/٢٩٧، تاريخ الطبري ٣/١٧٧، ١٧٨، عيون الأثر ٢/٣١٨، تهذيب الكمال ١/٢١١، أنساب الأشراف ١/٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «لحُصُر».

١١
ذكر أحداث سنة إحدى عشرة

في المحرّم من هذه السنة ضرب النبيّ، ﷺ، بعثاً إلى الشام، وأميرهم أُسامة بن زيد مولاه، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتكلّم المنافقون في إمارته وقالوا: أمّر غلاماً على جِلّة المهاجرين والأنصار[١]. فقال رسول الله، ﷺ: «إنْ تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبلُ، وإنّه لخليق للإمارة، وكان أبوه خليقاً لها»، وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأوّلون، منهم: أبو بكر، وعمر، فبينما النّاس على لك ابتُديء برسول الله، ﷺ، مرضه[٢].

ذكر مرض رسول الله، ﷺ، ووفاته

ابتُديء برسول الله، ﷺ، مرضه أواخر صفر، في بيت زينب بنت جَحْش، وكان يدور على نسائه حتى اشتدّ مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه، فاستأذنهنّ أن يتمرّض في بيت عائشة، ووصلت أخبار بظهور الأسود العَنْسيّ باليمن، ومُسَيْلِمة باليمامة، وطُلَيْحة في بني أسد، وعسكر بسُمَيراء، وسيجيء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى.

فتأخّر مسير أُسامة لمرض رسول الله، ﷺ، ولخبر الأسود العنسيّ، ومُسيلمة، فخرج النبيّ، ﷺ، عاصباً رأسه من الصُّداع فقال: «إنّي رأيتُ [فيما يرى النائم أنّ][٣] في عَضُدَيّ سوارَيْن من ذهب، فنفختُهما فطارا، فأوّلتهما بكذّاب اليَمامة، وكذّاب صنعاء». وأمر بإنفاذ جيش أُسامة وقال: «لعن الله الذين اتّخذوا قبور[٤] أنبيائهم مساجد»[٥].

---

(١) إلى هنا الخبر في سيرة ابن هشام ٤/٢٥٣.

(٢) أنظر: السيرة، وتاريخ خليفة ١٠٠، والطبقات الكبرى ٢/١٩٠، والمغازي للواقدي ٣/١١١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/١١٣، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢، وتاريخ الطبري ٣/١٨٤، وعيون التواريخ ١/٤٤٩، والبداية والنهاية ٥/٢٢٢، السيرة لابن كثير ٤/٤٤٠، ٤٤١، والروض الأنف ٤/٢٤٨، المغازي للزهري ١٣٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري.

(٤) في النسخة (ب): «جعلوا بيوت».

(٥) أنظر حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد في صحيح مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) باب=

وخرج أُسامة فضرب الجُرْف العسكر، وتمهّل النّاس، وثُقل رسول الله، ﷺ، ولم يشغله شدّة مرضه عن إنفاذ أمر الله، فأرسل إلى نفرٍ من الأنصار في أمر الأسود[1]، فأُصيب الأسود في حياة رسول الله، ﷺ، قبل وفاته بيوم، فأرسل إلى جماعة من النّاس يحثّهم على جهاد مَنْ عندهم من المرتدّين[2].

وقال أبو مُوَيْهبة مولى رسول الله، ﷺ: أيقظني رسول الله، ﷺ، ليلة وقال: «إنّي قد أُمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع، [فانطلقْ معي]» فانطلقتُ معه، فسلّم عليهم، ثمّ قال: «ليَهْنِئْكم ما أصبحتم فيه، قد أقبلت الفِتن كقطع اللّيل المظلم». ثمّ قال: «قد أُوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض والخُلْدِ بها، ثمّ الجنّة، وخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي، فاخترتُ لقاء ربّي». ثمّ استغفر لأهل البقيع ثمّ انصرف، فبُدِيء بمرضه الذي قُبض فيه[3].

قالت عائشة: فلمّا رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صُداعاً وأنا أقول: وارأساه! قال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه»! ثمّ قال: «ما ضرّك لو مُتِّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنتكِ وصلّيتُ عليكِ ودفنتكِ»؟ فقلتُ: كأنّي بك والله لو فعلتَ ذلك فرجعتَ إلى بيتي فعرّست ببعض نسائك. فتبسّم وتتامّ به وجعه، وتمرّض في بيتي[4].

فخرج منه يوماً بين رجلين، أحدهما الفضل بن العبّاس، والآخر عليّ، قال الفضل: فأخرجتُهُ حتى جلس على المنبر فحمد الله، وكان أوّل ما تكلّم به النبيّ، ﷺ، أن صلّى على أصحاب أُحُد، فأكثر واستغفر لهم، ثمّ قال: «أيّها النّاس إنّه[5] قد دنا منّي حقوق من بين أظهركم، فمن كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقِد[6] منه، ومَنْ كنت شتمتُ له عِرضاً فهذا عِرضي فلْيستقِد[7] منه، ومَنْ كُنْتُ أخذتُ له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشَ الشحناء من قِبَلي، فإنّها ليس من شأني، ألا وإنّ أحبّكم إليّ مَنْ أخذ

= النهي عن بناء المساجد على القبور.

(١) أنظر عنه: المعرفة والتاريخ ٣/٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٨٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٢٨٩، الطبقات الكبرى ٢/٢٠٤، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧١٦، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، نهاية الأرب ١٨/٣٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٢٩٠، المصنّف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، الطبقات الكبرى ٢/٢٣٢، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، مصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢٣، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩ و١٩٥، نهاية الأرب للنويري ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، عيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/٣٣٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، السيرة لابن كثير ٤/٤٤٥ - ٤٤٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «ان».

(٦) في الطبعة الأوربية «ذليستقذ».

منّي حقّاً إن كان له، أو حلّلني فلقيتُ ربّي وأنا طيّب[1] النفس».

ثمّ نزل فصلّى الظهر، ثمّ رجع إلى المنبر، فعاد لمقالته الأولى. فادّعى عليه رجلٌ بثلاثة دراهم، فأعطاه عوَضها. ثمّ قال: «أيّها النّاس مَنْ كان عنده شيء فليؤدّه، ولا يقل فُضوح[2] الدنيا، ألا وإنّ فُضوح[2] الدنيا أهون من فُضوح[2] الآخرة». ثمّ صلّى على أصحاب أُحُد واستغفر لهم، ثمّ قال: «إنّ عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكى أبو بكر وقال: فديناك بأنفسنا وآبائنا! فقال رسول الله، ﷺ: «لا يبقينّ في المسجد باب إلّا باب أبي بكر، فإنّي لا أعلم أحداً أفضل في الصُحْبة عندي منه، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أُخوّة الإسلام»[3].

ثمّ أوصى بالأنصار فقال: «يا معشر المهاجرين أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد، والأنصار عيبتي التي أويتُ إليها، فأكرِموا كريمهم وتجاوزوا عن مُسيئهم»[4].

قال ابن مسعود: نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا نفسَه قبل موته بشهر. فلمّا دنا الفراق جمعَنا في بيت عائشة، فنظر إلينا فشدّد، ودمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم، حيّاكم الله، رحِمكم الله، آواكم الله، حفِظكم الله، رفعكم الله، وفّقكم[5] الله، سلّمكم الله، قبِلَكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأؤدّيكم إليه، إنّي لكم منه نذير وبشير، ألّا تعلَوا على الله في عباده وبلاده، فإنّه قال لي ولكم: «﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا للَّذينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[6]. قلنا: فمتى أجلُك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وسِدرة المنتهى، والرفيق الأعلى، وجنّة المأوى». فقلنا: من يغسّلك؟ قال: «أهلي». قلنا: فِيمَ نكفّنك؟ قال: «في ثيابي أو في بياض». قلنا: فمن يصلّي عليك؟ قال: «مهلاً، غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيّكم خيراً».

---

(١) عند الطبري «أطيب».

(٢) في الطبعة الأوربية «نضوح».

(٣) هذا حديث متّفق عليه، أخرجه البخاري في الصلاة ١/١١٩، ١٢٠، باب الخوخة والممرّ في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ٤/١٩٠، ١٩١، باب قول النبيّ ﷺ: سدّوا الأبواب إلا باب أبي بكر، والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢/٢٦ و٣/١٨، وعبد الرزاق في المصنّف ٥/٤٣١، والبلاذري في أنساب الأشراف، والطبري في تاريخه ٣/١٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩، وابن سعد في الطبقات ٢/٢٢٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٢٥٧، تاريخ الطبري ٣/١٩٤.

(٥) في النسخة (ب): «نفعكم».

(٦) سورة القصص ـ الآية ٨٣.

فبكينا وبكى، ثمّ قال: «ضعوني على سريري على شفير قبري، ثمّ اخرجوا عنّي ساعةً، ليصلّي عليّ جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، وملَك الموت مع الملائكة، ثمّ ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ، ولا تأذوني بتزكية ولا رنّة، أقرِئوا أنفسكم منّي السلام، ومَنْ غاب من أصحابي فأقرِئوه منّي السلام، ومَن تابعكم على بني فاقرِئوه السلام»[1].

قال ابن عبّاس: يوم الخميس، وما يوم الخميس - ثمّ جرت دموعه على خدّيْه - اشتدّ برسول الله، ﷺ، مرضه ووَجَعُهُ، فقال: «إيتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي أبداً». فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبيّ تنازع - فقالوا: إنّ رسول الله، ﷺ، يهجر. فجعلوا يُعيدون عليه، فقال: «دعوني فما أنا فيه خيرٌ ممّا تدعونني إليه». فأوصى [بثلاث]: أن يخرج المشركون من جزيرة العرب، وأن يجاز الوفد بنحْوٍ ممّا كان يُجيزهم. وسكت عن الثالثة عمداً، أو قال: نسِيتُها[2].

وخرج عليّ بن أبي طالب من عند رسول الله، ﷺ، في مرضه. فقال النّاس: كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العبّاس فقال: أنت بعد ثلاث عبد العصا، وإنّ رسول الله، ﷺ، سيُتوفّى في مرضه هذا، وإنّي لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطّلب، فاذهبْ إلى رسول الله، ﷺ، فاسألْه فيمن يكون هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا أمره أوصى بنا. فقال عليّ: لئن سألناها رسولَ الله، ﷺ، فمنعناها لا يُعْطيناها النّاس أبداً، والله لا أسألها رسولَ الله، ﷺ، [أبداً][3].

قال: فما اشتدّ الضُحَى حتى تُوفّي رسول الله، ﷺ. قالت عائشة: قالت أسماء بنت عُمَيس: ما وجعه إلا ذات الجَنْب، فلو لددتموه، ففعلوا. فلمّا أفاق قال: «لِمَ فعلتم هذا»، قالوا: ظننّا أنّ بك ذات الجَنْب. قال: «لم يكن الله ليسلّطها عليّ». ثمّ قال: «لا تُبْقُنَّ أحداً[4] لددتموه إلّا عميّ، وكان العبّاس حاضراً، ففعلوا.

قال أُسامة: لما ثَقُل رسول الله، ﷺ، هبطتُ أنا ومن معي [إلى المدينة] فدخلنا عليه، وقد صمتَ فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثمّ يضعها[5] عليّ، فعلمتُ أنّه يدعو لي[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩١، ١٩٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في المغازي ٥/١٣٧ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الجزية ٤/٦٦ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. ومسلم في الوصيّة (١٦٣٧) باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه. وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٩٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٣/١٩٣، ١٩٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «تبقين أحداً إلا».

(٥) في الأصل «يصعبها».

(٦) سيرة ابن هشام ٤/٣٠١، الطبري ٣/١٩٦.

قالت عائشة: وكنتُ أسمع رسول الله، ﷺ، يقول كثيراً: «إنّ الله لم يقبض نبيّاً حتى يخيّره». قالت: فلمّا احتُضر كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: بل «الرفيق الأعلى»[1]. قالت: قلتُ: إذاً والله لا يختارنا، وعلمتُ أنه تخيّر.

ولما اشتدّ مرضه أذّنه بلال بالصلاة فقال: «مُروا أبا بكر يصلّي بالنّاس». قالت عائشة: فقلت: إنّه رجل رقيق، وإنّه متى يقوم[2] مقامك لا يطيق ذلك. فقال: «مروا أبا بكر فيصلّي بالنّاس». فقلت مثل ذلك، فغضب، وقال: «إنّكنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصلّي بالنّاس». فتقدّم أبو بكر، فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله، ﷺ، خفّة، فخرج بين رجلَين، فلمّا دنا من أبي بكر تأخّر أبو بكر، فأشار إليه أنْ قُمْ مقامك، فقعد رسول الله، ﷺ، يصلّي إلى جنب أبي بكر جالساً، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة النبيّ، والنّاس يصلّون بصلاة أبي بكر[3].

وصلّى أبو بكر بالنّاس سبع عشرة صلاة، وقيل: ثلاثة أيام[4].

ثمّ إنّ رسول الله، ﷺ، خرج في اليوم الذي تُوفّي فيه إلى النّاس في صلاة الصبح، فكاد النّاس يفتتنون[5] في صلاتهم فرحاً برسول الله، ﷺ، وتبسّم رسول الله، ﷺ، فرحاً لما رأى من هيئتهم في الصلاة، ثمّ رجع وانصرف النّاس وهم يظنّون أنّ رسول الله، ﷺ، قد أفاق من وجعه، ورجع أبو بكر إلى منزله بالسُّنْح.

---

(١) أنظر: صحيح البخاري ٥/١٣٨، ١٣٩ في المغازي، باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الرقائق ٧/١٩٢ باب سكرات الموت، وفي الدعوات ٧/١٥٥ باب دعاء النبيّ ﷺ اللهم الرفيق الأعلى، ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقية المريض، وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، ومالك في الموطأ (١٥٩) رقم (٥٦٥) في جامع الجنائز، وأحمد في المسند ٦/٤٥ و٤٨ و٧٤ و٨٩ و١٠٨ و١٢٠ و١٢٦ و٢٠٠ و٢٣١ و٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٠، والطبري في التاريخ ٣/١٩٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «يقيم».

(٣) أنظر الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري في الأذان ١/١٦٨، ١٦٩ باب إنّما جُعل الإمام ليؤتمّ به وصلّى النبيّ ﷺ في مرضه الذي توفي فيه بالناس وهو جالس. ومسلم في الصلاة (٤١٨) باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما. والنسائي في الإمامة ٢/٨٤ باب الإئتمام بمن يأتمّ بالإمام، والدارمي في الصلاة باب ٤٤، وأحمد في المسند ٢/٥٢ و٦/٢٥١، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٨، وابن هشام في السيرة ٤/٢٥٩، والطبري في التاريخ ٣/١٩٧، والنويري في نهاية الأرب ١٨/٣٦٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٩٧.

(٥) في النسخة (ب): «يونسون».

قالت عائشة: رأيتُ رسول الله، ﷺ، وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، يُدخل يدَه في القدح، ثمّ يمسح وجهه بالماء، ثمّ يقول: «اللهمّ أعِنّي على سكرات الموت»[1].
قال: ثمّ دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه (نظراً عرفتُ أنه يريده]، فأخذتُهُ فليّنته، ثمّ ناولتُه إيّاه، فاستنّ به ثمّ وضعه، ثمّ ثَقُل في حِجْري، قالت: فذهبت أنظر في وجهه، وإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى»، فقُبِض[2].

قالت: توفّي وهو بين سَحْري ونَحْري، فمن سفهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله، ﷺ، قُبض في حِجْري، فوضعتُ رأسه على وسادة، وقمتُ ألتدم مع النساء وأضرب وجهي[3].

ولما اشتدّ برسول الله، ﷺ، وجعه، ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: «واكرباه»! فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا أبتي! فيقول رسول الله ﷺ: «لا كربَ على أبيك بعد اليوم»[4]، فلمّا رأى شدّة جزعها استدناها وسارّها، فبكت، ثمّ سارّها الثانية فضحكت، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ سألتْها عائشة عن ذلك، قالت: أخبرني أنّه ميّت فبكيتُ، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً[5] به، فضحكتُ.

ورُوي عنها أنّها قالت: ثمّ سارّني الثانية، وأخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة، فضحكتُ.

وكان موته يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودُفن من الغد نصف النهار، وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلَتَين بقيتا من ربيع الأوّل[6].

ولما توفّي كان أبو بكر بمنزله بالسُّنْح، وعمر حاضر، فلمّا تُوفّي قام عمر فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله، ﷺ، تُوفّي، وإنّه والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعنّ رسول الله، ﷺ، فليقطعنّ أيدي

---

(١) رواه ابن ماجة في الجنائز (١٦٢٣) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، والترمذي في الجنائز (٩٨٥) باب ما جاء في التشديد عند الموت، وأحمد في المسند ٦/٦٤ و ٧٠ و ٧٧ و١٥١، والطبري في تاريخه ٣/١٩٧ و١٩٨.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٤/٣٠٦، وتاريخ الطبري ٣/١٩٨، ١٩٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢، وصحيح البخاري ٥/١٤١، ١٤٢، باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٣٠٥، ٣٠٦، تاريخ الطبري ٣/١٩٩، المسند للإمام أحمد ٦/٢٧٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٤) في النسخة (ب): «الموت».

(٥) في الطبعة الأوربية «لحوقٌ».

(٦) الطبري ٣/٢٠٠، وعند ابن سعد في الطبقات ٢/٣٧٢ «لليلتين خلتا من ربيع الأول»، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٨.

رجالٍ وأرجُلَهم زعموا أنّه مات[1].

وأقبل أبو بكر وعمر يكلّم النّاس، فدخل على رسول الله، ﷺ، وهو مسجىً في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثمّ قبّله وقال: بأبي أنت وأمّي، طِبْتَ[2] حيّاً وميتاً، أمّا الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها. ثمّ ردّ الثوب على وجهه ثمّ خرج، وعمر يكلّم النّاس، فأمره بالسكوت فأبَى، فأقبل أبو بكر على النّاس، فلمّا سمع النّاس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس مَنْ كان يعبد محمّد فإنّ محمّداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشّاكِرِينَ**﴾[3]. قال: فَوَالله لكأنّ النّاس ما سمعوها إلاّ منه. قال عمر: فوالله ما هو إلاّ إذ سمعتُها فعَقِرتُ حتّى وقعتُ على الأرض ما تحملني رجلاي، وقد علمتُ أنّ رسول الله، ﷺ، قد مات[4].

ولما تُوفّي رسول الله، ﷺ، ووصل خبره إلى مكّة، وعامِله عليها عتّاب بن أَسِيد ابن أبي العاص بن أُمَيّة، استخفى عتّاب وارتجّت مكّة، وكاد أهلها يرتدّون، فقام سُهَيْل ابن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال يا أهل مكّة لا تكونوا آخر مَنْ أسلم وأوّل من ارتدّ، والله لَيُتِمّنّ الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله، ﷺ، فلقد رأيتُهُ قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي لا إله إلاّ الله تَدِنْ لكم العرب، وتؤدّ[5] إليكم العجم الجزية، والله لتنفقُنّ كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله، فمن بين مستهزىء ومصدّق فكان ما رأيتم، والله ليكوننّ الباقي. فامتنع الناس من الردّة. وهذا المقام الذي قاله رسول الله، ﷺ، لما أُسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطّاب، وقد ذُكر هناك.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤، تاريخ الطبري ٢٠٠/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «طيّب».

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٣٠٧/٤، تاريخ الطبري ٢٠٠/٣، ٢٠١، الطبقات الكبرى ٢٦٨/٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «تدين لكم العرب وتؤدي».

حديث السقيفة
وخلافة أبي بكر، رضي الله عنه وأرضاه[1]

لما توفّي رسول الله، ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عُبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر، وأبو عُبَيْدة بن الجّراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء. ثمّ قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحدَ هذين الرجلين عمر، وأبو عُبيدة أمين[2] هذه الأمّة. فقال عمر: أيّكم يَطيب نفساً أن يخلُف قَدَمَين قدّمهما النبيّ، ﷺ؟ فبايعه عمر وبايعه النّاس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً. قال: وتخلّف عليّ، وبنو هاشم، والزّبَير، وطلحة عن البيعة. وقال الزُبير: لا أُغمد سيفاً حتى يُبايَع عليّ. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثمّ أتاهم عمر[3] فأخذهم للبيعة[4].

وقيل: لما سمع عليّ بيعةَ أبي بكر خرج في قميصٍ ما عليه إزار ولا رداء عجلاً حتى بايعه، ثمّ استدعى إزاره ورداءه فتجلّله[5].

والصحيح: أنّ أمير المؤمنين ما بايع إلّا بعد ستّة أشهر[6]، والله أعلم.

وقيل: لما اجتمع النّاس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلّا دم! يا آل عبد مَناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعَفَان؟ أين الأذلّان عليّ والعبّاس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ ثمّ قال لعليّ: ابسط

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٣٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٣، الطبقات الكبرى ٢/٢٦٩، تاريخ الطبري ٣/٢٠٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٩، مروج الذهب، ٢/٣٠٧، المعارف ١٧٠، سيرة ابن كثير ٤/٤٨٦، البداية والنهاية ٥/٢٤٥، المغازي للزهري ١٣٩.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمير».

(٣) في الطبعة الأوربية «عمر قال».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٠٣.

(٥) الطبري ٣/٢٠٧.

(٦) الطبري ٣/٢٠٨.

يدك أبايعك، فوالله لئن شئْتَ لأملأنّها عليه خيلاً ورَجلاً. فأبَى عليّ، عليه السلام، فتمثّل بشعر المتلمّس[1]:

ولن يُقيم على خَسْف يرادُ بِهِ إلّا الأذلّان عَيْرُ الحيّ والوَتَدُ
هذا على الخَسْفِ معكوسٌ[2] برُمّته[3] وَذا يُشَجّ فلا يَبكي[4] لَهُ أحَدُ

فزجره عليّ وقال: والله إنّك ما أردتَ بهذا إلّا الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً! لا حاجة لنا في نصيحتك[5].

وقال ابن عبّاس: كنتُ أُقرىء عبدَ الرحمن بنَ عوف القرآن، فحجّ عمر وحججْنا معه، فقال لي عبد الرحمن: شهدتُ أميرَالمؤمنين اليوم بمنىً، وقال له رجل: سمعتُ فلاناً يقول: لو مات عمر لبايعتُ فلاناً، فقال عمر: إنّي لَقائم العشيّة في النّاس أحذّرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغتصبوا النّاسَ أمرهم[6]. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ الموسم يجمع رِعاع النّاس وغوغاءهم، وهم الذين يغلبون على مجلسك، وأخاف أن تقول مقالةً لا يَعُوها ولا يحفظوها ويطّيّروا بها، ولكنْ أمهلْ حتّى تقدَم المدينة، وتخلُص بأصحاب رسول الله، ﷺ، فتقول ما قلتَ[7] فيَعُوا مقالتك. فقال: والله لأقومنّ بها أوّل مقامٍ أقومه بالمدينة.

قال: فلمّا قدِمتُ المدينة هجّرتُ يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن، فلمّا جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال بعد أن ذكر الرجْم وما نُسخ من القرآن فيه: إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً، فلا يغرّنّ أمرأً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فتنة، فقد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرَّها، وليس منكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنّه كان خيرنا حين توفّي رسول الله، ﷺ، وإنّ عليّاً والزّبير ومَنْ معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّفت عنّا الأنصار واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلتُ له: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نحوهم، فلقِينا رجلان صالحان من الأنصار، أحدهما عُوَيْم بن ساعدة، والثاني معن بن عديّ، فقالا

---

(١) أنظر ديوانه بتحقيق حسن كامل الصيرفي، مع التخريج ص ٢٠٨ ـ ٢١١ طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.
(٢) في النسخة (ب) «مربوط».
(٣) الرُمّة: الحبْل، والمعنى: شدّ عنق الدابّة إلى إحدى يديها.
(٤) في حاشية النسخة (ب): «يرثي».
(٥) الطبري ٣/٢٠٩.
(٦) في النسخة (ب) «حقهم».
(٧) في النسخة (ب) «فعلت».

لنا: ارجعوا اقضوا أمركم بينكم. قال: فأتينا الأنصارَ وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وبين أظهرهم رجل مزمَّل، قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عُبادة وجِع، فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا[1]، وقد دفّت إلينا دافّة[2] من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصِبونا الأمر. فلمّا سكت، وكنتُ قد زوّرتُ في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر، فلمّا أردتُ أن أتكلّم قال أبو بكر: على رِسْلِك! فقام فحمد الله، وما ترك شيئاً كنت زوّرتُ[3] في نفسي إلاّ جاء به أو بأحسن منه، وقال: يا معشر الأنصار إنّكم لا تذكرون فضلاً إلاّ وأنتم له أهلٌ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلاّ لقريش، هم أوسط العرب داراً ونَسَباً، وقد رضيتُ لكم أحد هذَين الرّجلين. وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح، وإنّي والله ما كرهتُ من كلامه كلمةً غيرَها، إن كنتُ أقدَّم فتُضرب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أؤمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر.

فلمّا قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال: أنا جُذَيْلها المحكَّك[4] وعُذَيْقُها المرجَّب[5]، منّا أمير ومنكم أمير. وارتفعت الأصوات واللّغط، فلمّا خفت الاختلاف قلتُ لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك؛ فبسط يده فبايعته وبايعه النّاس، ثمّ نَزَوْنا[6] على سعد بن عُبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعداً. فقلت: قتل الله سعداً[7]، وإنّا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر، خشيتُ إن فارقتُ القوم ولم تكن بيعة، أن يُحْدِثوا بعدنا بيعة، فإمّا أن نتابعهم على ما لا نرضى به، وإمّا أن نخالفهم فيكون فساداً[8].

وقال أبو عَمْرة الأنصاريّ: لما قُبض النبيّ، ﷺ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عُبادة ليولّوه الأمر، وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً، ﷺ، لبث في

---

(١) هكذا في الأصول، والمطبوع، وفي تاريخ الطبري «نبيّنا».

(٢) الدافّة: القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد.

(٣) زوّر في نفسه: هيّأ وأعدّ.

(٤) الجُذَيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه، فيُضرب به المثل في الرجل يُشْتَفَى برأيه.

(٥) العُذَيْق: تصغير عذق، وهو النخلة نفسها. والمرجَّب: الذي تُبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزّه على أهله، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظّمه قومه.

(٦) نَزَوْنا: وثبنا عليه ووطِئناه.

(٧) الخبر حتى هنا في سيرة ابن هشام ٤/٣٠٨ ـ ٣١١ برواية عبد الله بن أبي بكر، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس.

(٨) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٠٣ ـ ٢٠٦ وانظر نحوه في أنساب الأشراف ١/٥٨١، ٥٨٢.

قومه بضع عشرة سنة يدعوهم، فما آمن به إلاّ القليل، ما كانوا يقدرون على منعه، ولا على إعزاز دينه، ولا على دفع ضَيْم، حتى [إذا] أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشدّ النّاس على عدوّه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً، فدانت لرسوله بأسيافكم العرب، وتوفّاه الله وهو عنكم راضٍ قرير العين. استبِدّوا بهذا الأمر دون النّاس، فإنّه لكم دونهم.

فأجابوه بأجمعهم: أنْ قد وُفّقتَ وأصبتَ الرأي، ونحن نولّيك هذا الأمر، فإنّك مَقْنعٌ ورِضاً للمؤمنين. ثمّ إنّهم ترادّوا الكلام فقالوا: وإن أبى[1] المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأوّلون وعشيرته وأولياؤه! فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً. فقال سعد: هذا أوّل الوهن.

وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبيّ، ﷺ، وأبو بكر فيه، فأرسل إليه أن اخرجْ إليّ. فأرسل إليه: إنّي مشتغل. فقال عمر: قد حدث أمر لا بدّ لك من حضوره. فخرج إليه، فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عُبيدة. قال عمر: فأتيناهم وقد كنتُ زوّرتُ كلاماً أقوله لهم، فلمّا دنوتُ أقول أسكتني أبو بكر، وتكلّم بكلّ ما أردتُ أن أقول، فحمد الله وقال: إنّ الله قد بعث فينا رسولاً شهيداً على أمّته ليعبدوه ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهةً شتّى من حجر وخشب، فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدّة أذى قومهم [لهم] وتكذيبهم إيّاهم[2]، وكلّ النّاس لهم خالفٌ زارٍ[3] عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشَنَفِ[4] النّاس لهم، فهم أوّل مَنْ عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ النّاس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم إلاّ ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار، مَنْ لا ينكرُ فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون[5] بمشورة ولا تُقضى دونكم الأمور.

فقام حُباب بن المنذر بن الجَموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم،

---

(١) في الطبعة الأوربية «أبوا».
(٢) في الطبعة الأوربية «إياه».
(٣) في الطبعة الأوربية «زار».
(٤) الشنف: البُغض والتنكّر.
(٥) عند الطبري «تُفتانون». .

فإنّ النّاس في ظلّكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم، ولا يصدروا إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّ وأولوا العدد والمَنْعة وذوو البأس، وإنّما ينظر النّاس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أَبَى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان [في قَرن]! والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيّنا[1] من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها مَنْ كانت النبوّة فيهم، ولنا بذلك الحجّة الظاهرة، مَنْ ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته!.

فقال الحُباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أَبَوْا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان النّاس لهذا الدّين، أنا جُذَيْلها المحكّك وعُذَيْقها المرجَّب! (أنا أبو شبل في عرينة الأسد)[2]، والله لئن شئتم لنعيدنّها جذَعةً[3].

فقال عمر: إذاً ليقتلك الله! فقال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عُبيدة: يا معشر الأنصار إنّكم أوّل مَنْ نصر، فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر! فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنّا والله وإن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقةٍ في الدّين، ما أردنا به إلاّ رضى ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكَدْح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على النّاس بذلك، ولا نبتغي به الدنيا، ألاَ إنّ محمّداً، ﷺ، من قريش وقومه أولى به، وايمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتّقوا الله ولا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عُبيدة، فإنْ شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله، ﷺ، في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، ابسطْ يدك نبايعك. فلمّا ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: عَقَّتْك عَقاقِ[4]! أَنَفِسْتَ[5] على ابن عمّك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهتُ أن أنازع القوم حقّهم.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٢٢٠ «نبيّها».

(٢) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «لنعيدها جدعة».

(٤) في الطبعة الأوربية «عققت عقاقاً».

(٥) في النسخة (ب): «أثبت».

لبعض، وفيهم أُسيد بن حُضَير، وكان نقيباً: والله لئن ولَيْتها الخزرج مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل النّاس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب[1].

ثمّ تحوّل سعد بن عُبادة إلى داره فبقي أيّاماً، وأرسل إليه ليبايع، فإنّ النّاس قد بايعوا، فقال: لا والله حتّى أرميكم بما في كِنانتي، وأخضِب سنان رمْحي، وأضرب بسيفي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومَنْ أطاعني، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنس ما بايعتكم، حتى أُعرَض على ربّي. فقال عمر: لا تدعْه حتى يبايع. فقال بشير بن سعد: إنّه قد لجّ وأبَى، ولا يبايعكم حتى يُقْتَل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضرّكم ترْكه، وإنّما هو رجل واحد. فتركوه[2].

وجاءت أسلمُ فبايعتْ، فقوي أبو بكر بهم، وبايع النّاس بعدُ.

قيل إنّ عمرو بن حُرَيْث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله، ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة.

قال الزّهريّ: بقي عليّ وبنو هاشم والزّبير ستّة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة، رضي الله عنها، فبايعوه.

فلمّا كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه[3] النّاس بيعة عامّة، ثمّ تكلّم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس قد وُليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني، الصدق أمانة والكذِب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى آخذ له حقّه، والقويّ ضعيف عندي حتى آخذ منه الحقّ، إن شاء الله تعالى لا يَدَع أحد منكم الجهاد، فإنّه لا يدعه قوم إلّا ضربهم الله بالذّلّ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله[4].

(أُسيد بن حُضَير: بضمّ الهمزة، وبالحاء المهملة المضمومة، وبالضاد المعجَمة، وآخره راء).

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢١٨ - ٢٢٢.

(٢) الطبري ٣/٢٢٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «وبايعوه».

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٣١٢، البداية والنهاية ٦/٣٠١.

ذكر تجهيز النبيّ، ﷺ، ودفنه[1]

فلمّا بويع أبو بكر أقبل النّاس على جهاز رسول الله، ﷺ، ودُفن يوم الثلاثاء[2].

وقيل: بقي ثلاثة أيّام لم يُدْفَن[3]، والأوّل أصحّ.

وكان الذي يلي غَسْله: عليّ، والعبّاس، والفضل، وقُثَم ابنا العبّاس، وأُسامة بن زيد، وشُقْران مولى رسول الله، ﷺ، وحضرهم أوس بن خَوْليّ الأنصاريّ، وكان بدْريّاً، وكان العبّاس وابناه يقلّبونه، وأسامة وشقران يصبّان[4] الماء، وعليّ يغسله وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت وأمّي ما أطْيَبَكَ حيّاً ومَيتاً! ولم يُرَ من رسول الله، ﷺ، ما يرى من ميت[5].

واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجرّداً، فألقى الله عليهم النوم، ثمّ كلّمهم مكلّمٌ لا يُدْرَى مَنْ هو أنْ غسِّلوا رسولَ الله، ﷺ، وعليه ثيابه، ففعلوا ذلك[6].

وكُفِّن رسول الله، ﷺ، في ثلاثة أثواب: ثوبَين صُحَاريّين، وبُرد حِبَرة أُدْرج فيها إدراجاً[7].

واختلفوا في موضع دفْنه، فقال أبو بكر: سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقول: «ما قُبض نبيّ إلّا دُفن حيث قُبض»[8]، فرُفع فراشه ودُفن موضعه، وحفر له أبو طلحة الأنصاريّ

---

(1) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ وما بعدها، سيرة ابن هشام ٤/٣١٣، تاريخ الطبري ٣/٢١١، نهاية الأرب ١٨/٣٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٠، عيون الأثر ٢/٣٣٩.

(2) سيرة ابن هشام ٤/٢١٥، الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ عن الواقدي، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ. تاريخ الطبري ٣/٢١١ وعن دفنه ﷺ يوم الثلاثاء أخرج البخاري في المناقب ٤/١٦٤ و ١٦٥ باب صفة النبيّ ﷺ. وفي المغازي ٥/١٤٤ باب وفاة النبيّ ﷺ، ومسلم في الفضائل (٢٣٤٧) باب في صفة النبيّ ﷺ ومبعثه وسنه. وانظر تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(3) الطبري ٣/٢١١.

(4) في الطبعة الأوربية «يصبّون»، وكذلك في الطبقات لابن سعد ٢/٢٧٩.

(5) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، تاريخ الطبري ٣/٢١١، ٢١٢، ابن سعد ٢/٢٨١.

(6) أنظر ما رواه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في ستر الميت عند غسله، وسيرة ابن هشام ٤/٣١٣، ومسند أحمد ١/٢٦٧، وتاريخ الطبري ٣/٢١٢، وأنساب الأشراف ١/٥٦٩، والطبقات الكبرى ٢/٢٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤.

(7) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٣/٢٨٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨.

(8) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٢/٢٩٢، ٢٩٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٣، تاريخ الطبري ٣/٢١٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٠.

لحداً، ودخل النّاس يصلّون عليه أرسالاً: الرجال، ثمّ النساء، ثمّ الصبيان، ثمّ العبيد، ودُفن ليلة الأربعاء[1].

وكان الذي نزل قبره عليّ بن أبي طالب، والفضل، وقُثَم ابنا العبّاس، وشُقران[2]. وقال أوس بن خَوْليّ الأنصاريّ لعليّ: أنشدك الله وحظّنا من رسول الله، ﷺ، فأمره بالنزول فنزل[3].

وكان المُغيرة بن شُعبة يدّعي أنّه أحدثُ النّاس عهداً برسول الله، ﷺ، ويقول: ألقيتُ خاتمي في قبره عمْداً، فنزلتُ لآخذه[4]، وسأل ناس من أهل العراق عليّاً عن ذلك فقال: كذب المغيرة، أحدثُنا عهداً به قُثَم بن العبّاس[5].

واختلفوا في عمره يوم مات، فقال ابن عبّاس، وعائشة، ومعاوية، وابن المسيّب: كان عمره ثلاثاً وستّين سنة[6].

وقال ابن عبّاس أيضاً، ودَغْفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستّين سنة[7].

وقال عُرْوة بن الزّبير: كان عمره ستّين سنة[8].

ذكر إنفاذ جيش أُسامة بن زيد[9]

قد ذكرنا استعمال النبيّ، ﷺ، أُسامة بن زيد على جيشٍ، وأمره بالتوجّه إلى

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات لابن سعد ٢/٢٩١، تاريخ الطبري ٣/٢١٣ و٢١٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات الكبرى ٢/٣٠٠ وما بعدها، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، تاريخ الطبري ٣/٢١٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات لابن سعد ٢/٣٠٣ و٣٠٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٤، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٤) في الطبقة الأوربية «لآخذها».

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٣١٦، الطبقات لابن سعد ٢/٣٠٣ و٣٠٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٤، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/٣٠٩، تاريخ الطبري ٣/٢١٥، أنساب الأشراف ١/٥٧٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و٥٧٤.

(٧) الطبقات الكبرى ٢/٣١٠، تاريخ الطبري ٣/٢١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و٥٧٣، سنن الترمذي، رقم (٣٧٠١)، صحيح مسلم (١٢٢/٢٣٥٣).

(٨) أنظر البخاري في المناقب ٤/١٦٤ و١٦٥ والمغازي ٥/١٤٤، ومسلم (٢٣٤٧) في الفضائل، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٠٨، وتاريخ الطبري ٣/٢١٦، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(٩) تاريخ خليفة ١٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧، تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، البداية والنهاية ٦/٣٠٤.

الشام، وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومَنْ حولها، وفيهم عمر بن الخطّاب، فتُوفّي النبيّ، ﷺ، ولم يسرِ الجيش، وارتدّت العرب إمّا عامّة أو خاصّة من كلّ قبيلة، وظهر النفاق، واشرأبّت يهود والنصرانيّة، وبقي المسلمون كالغنم في اللّيلة المطيرة، لفقد نبيّهم، وقلّتهم وكثرة عدوّهم. فقال النّاس لأبي بكر: إنّ هؤلاء، يعنون جيش أسامة، جُند المسلمين، والعرب ـ على ما ترى ـ قد[1] انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرّق جماعة المسلمين عنك. فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنّ السباع تختطفني، لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبيّ، ﷺ. فخاطب النّاس وأمرهم بالتجهّز للغزو، وأن يخرج كلّ من هو من جيش أسامة إلى معسكره بالجُرْف، فخرجوا كما أمرهم، وجيّش[2] أبو بكر مَنْ بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالح[3] حول قبائلهم، وهم قليل[4].

فلمّا خرج الجيش إلى معسكرهم بالجُرْف وتكاملوا، أرسل أُسامةُ عمرَ بن الخطّاب، وكان معه في جيشه، إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالنّاس وقال: إنّ معي وجوه النّاس وحَدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وحُرَم رسول الله والمسلمين أن يتخطّفهم المشركون. وقال مَنْ مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطّاب: إنّ أبا بكر خليفة رسول الله، [فإنْ أبى] إلاّ أن نمضي فأبلغْه عنّا، واطلبْ إليه أن يولّي أمرَنا [رجلاً] أقدم سنّاً من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر، فأخبره بما قال أسامة. فقال: لو خطفتْني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله، ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله، ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته. قال عمر: فإنّ الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنّاً من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً، وأخذ بلِحْية عمر وقال: ثكِلَتْك أمّك يا ابن الخطّاب! استعمله رسول الله، ﷺ، وتأمرني أن أعزله؟.

ثمّ خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيّعهم، وهو ماشٍ وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلنّ! فقال: والله لا نزلتُ ولا أركب، وما عليّ أن أغبّر قدميّ ساعةً في سبيل الله! فإنّ للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتب له، وسبعمائة درجة تُرفع له، وسبعمائة سيّئة تُمْحَى عنه.

---

(١) في الطبعة الأوروبية «فقد».
(٢) في النسخة (ب): «حبس».
(٣) في الطبعة الأوروبية «مسايح».
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، وانظر البداية والنهاية ٦/٣٠٤.

فلمّـا أراد أن يرجـع قال لأسـامة: إن رأيتَ أن تُعينني بعمـر فافعـلْ، فإذِن لـه، ثمّ وصّاهم فقال: لا تخـونوا، ولا تغـدروا، ولا تُغلّوا، ولا تُمثّلوا، ولاتقتلوا طفلاً ولا شيخـاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تـذبحوا شـاة ولا بقـرة ولا بعيراً [إلّا لمـأكلة]، وسوف تمـرّون بأقـوامٍ قـد فـرّغـوا أنفسهم في الصـوامـع، فدَعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسـوف تقدَمـون علىٰ قومٍ قـد فحصوا أوسـاط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفِقوهم بالسيف خفْقاً. اندفعوا باسم الله[1].

وأوصى أُسـامة أن يفعـل ما أمـر به رسـول الله، ﷺ. فسار وأوقـع بقبائـل من ناس قُضاعة التي ارتدّت، وغنِم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوماً[2].

وقيل: سبعين يوماً.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإنّ العرب قالـوا: لو لم يكن بهم قوّةٌ لما أرسلوا هذا الجيش، فكفّوا عن كثير ممّا كانوا يريدون أن يفعلوه[3].

ذِكْر أخبار الأسود العنْسيّ باليمن[4]

واسمـه عَيْهلة[5] بن كعب بن عَوف العنْسيّ، بـالنّون؛ وعنْس: بـطن من مَـذْحِـج، وكان يلقّب ذا الخمار، لأنّه كان معتمّاً متخمّراً أبداً.

وكـان النبيّ، ﷺ، قـد جمـع لباذان[6] حينَ أسلم وأسلم أهـلُ اليمن عمـلَ اليمن جميعَه، وأمّره على جميع مخالفيه، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات. فلمّا مات باذان فرّق رسـول الله، ﷺ، أمراءه في اليمن، فـاستعمل عمـرو بن حَزْم على نَجْـران، وخـالـد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزَبِيـد، وعامـر بن شهر على همـدان، وعلى صنعاء شَهْـر بن باذان، وعلى عـكّ والأشعريّين الـطّاهر بن أبي هـالة، وعلى مـأرب أبا مـوسى، وعلى الجَنـد[7] يعلى بن أميّة، وكـان مُعـاذ معلّماً يتنقّـل في عَمـالـة كـلّ عـامـل بـاليمن وحَضرَمَوْت[8].

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢٢٦، ٢٢٧، وبعضه في البداية والنهاية ٦/٣٠٥.

(٢) الطبري ٣/٢٢٧.

(٣) في الطبعة الأوربية «يفعلونه».

(٤) أنظر عنه: تـاريخ اليعقـوبي ٢/١٣٠، والمعرفـة والتاريـخ ٣/٢٦٢، وتاريـخ خليفة ١١٦ و١١٧، وتهـذيب الأسماء واللغات للنووي ١ ج ٢/٥٣، والبداية والنهاية ١٦/٣٠٥.

(٥) في الأصل «عبهلة».

(٦) في تاريخ الطبري «باذام»، وكذا في المعرفة والتاريخ.

(٧) الجَنَـد: بالتحـريك، من المـدن النجدية باليمن الجَنَـد من أرض السكاسك، وهي إحدى مخـاليف اليمن وأعظمها. (معجم البلدان ٢/١٦٩).

(٨) تاريخ الطبري ٣/٢٢٨.

واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن لَبِيد الأنصاريّ، وعلى السكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثَوْر، وعلي بني معاوية ابن كِندة عبدَ الله[1] أو المهاجر، فاشتكى رسولُ الله، ﷺ، فلم يذهب حتى وجّهه أبو بكر، فمات رسول الله، ﷺ، وهؤلاء عُمّاله على اليمن وحضرموت[2].

وكان أوّل من اعترض الأسود الكاذب: شَهْر[3]، وفيروز، وداذوَيْه، وكان الأسود العَنْسيّ لما عاد رسول الله، ﷺ، من حجّة الوداع وتمرّض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادّعى النُّبوّة، وكان مشعبذاً يُريهم الأعاجيب، فاتّبعته مَذْحِج، وكانت ردّة الأسود أوّل ردّة في الإسلام على عهد رسول الله، ﷺ، وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حَزْم، وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فَرْوة بن مُسَيْك، وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شَهْر بن باذان فلقِيه، فقُتل شهر لخمسٍ وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج مُعاذ هارباً حتى لحِق بأبي موسى وهو بمأرِب، فلحِقا بحضرموت، ولحق بفَرْوة مَنْ تمّ على إسلامه من مَذْحِج.

واستتبَّ[4] للأسود مُلْك اليمن، ولحِق أمراء اليمن إلى الطّاهر بن أبي هالة، إلاّ عَمراً وخالداً، فإنّهما رجعا إلى المدينة، والطّاهر بجبال عكّ وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مَفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين والأحساء، إلى عدن، واستطار أمره كالحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً، سوى الرُكبان، واستغلظ أمرُه، وكان خليفته في مَذْحِج عمرو بن مَعدي كرِب، وكان خليفته على جُنده قيس بن عبد يغوث، وأمْر الأبناء إلى فيروز وداذوَيْه[5].

وكان الأسود تزوّج امرأة شَهْر بن باذان بعد قتْله، وهي ابنة عمّ فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً، أو يظهر بها كذّاب مثل الأسود، فتزوّج مُعاذ إلى السَّكون، فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين كُتُب النبيّ، ﷺ، يأمرهم بقتال الأسود، فقام مُعاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدِم بكتاب النبيّ، ﷺ، وَبرُ

---

(١) هو عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعريّ.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) عند الطبري «عامر بن شهرْ الهمْداني».

(٤) في الطبعة الأوربية «وأسيب».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٣٠.

ابن يُحَنّس الأزديّ، قال جِشْنَس الديلميّ: فجاءتنا كتب النبيّ، ﷺ، يأمرنا بقتاله إمّا مصادمةً أو غيلةً، يعني إليه وإلى فيروز وداذوَيْه، وأن نكاتب مَنْ عنده دِين، فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إنّ قيساً يخاف على دمه، فهو لأوّل دعوة، فدعوناه وأبلغناه عن النبيّ، ﷺ، فكأنّما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، وكاتبْنا النّاسَ. فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك، فدعا قيساً فأخبره أنّ شيطانه يأمره بقتله، لميله إلى عدوّه، فحلف قيس: لأنت أعظم في نفسي من أن أحدِّث نفسي بذلك. ثمّ أتانا فقال: يا جِشْنس، ويا فيروز، ويا داذوَيْه، فأخبرَنا بقول الأسود. فبينا نحن معه يحدّثنا، إذ أرسل إلينا الأسود فتهدّدنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكَدْ، وهو مرتاب بنا، ونحن نحذره. فبينا نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شَهْر، وذي زُودٍ، وذي مُرّان، وذي الكَلاع، وذي ظُلَيْم، يبذلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبْرم أمرنا. وإنّما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ، ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحسّ بالهلاك.

قال: فدخلتُ على آزاد، وهي امرأته التي تزوّجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان، فدعوتها إلى ما نحن عليه، وذكّرتها قَتْل زوجها شهر، وإهلاك عشيرتها، وفضيحة النساء. فأجابت وقالت: والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حقٍّ ولا ينتهي عن محرّم، فأعلِموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز، وداذَوَيه، وقيساً. قال: وإذ قد جاء رجل فدعا قيساً إلى الأسود، فدخل في عشرة من مَذْحِج وهمْدان، فلم يقدر على قتله معهم وقال له: ألم أخبِرْك الحقّ وتخبرْني الكذِب؟ إنّه، يعني شيطانه، يقول لي: إلاّ تقطع من قيسٍ يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلكَ وأنت رسولَ الله، فمرْني بما أحببتَ أو اقتلْني، فموتة أهون من موتات.

فرقّ له وتركه، وخرج قيس فمرّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا. فخرج علينا الأسودُ في جمع، فقمنا له وبالباب مائة، ما بين بقرة وبعير. فنحرها ثمّ خلاّها، ثمّ قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ - وبَوّأ له الحربة - لقد هممتُ أن أنحرك. فقال: اخترتَنا لصهرك وفضلتنا، فلو لم تكن نبيّاً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة! فقال له: اقسم هذه، فقسمها، ولحِق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز، وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه، ثمّ التفت فإذا فيروز، فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود ورجع فيروز، فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها، فأتيتُها فأخبرتُها، فقالت: هو متحرّز وليس من القصر شيء إلاّ والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإنّ ظهره إلى

مكـان كذا وكـذا، فإذا أمسيتم فـانقبـوا عليـه، فـإنّكم من دون الحـرس، وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

فتلقّاني الأسود خارجاً من بعض منـازله فقـال: ما أدخلك عليّ؟ ووجـأ رأسي حتى سقطتُ، وكان شديداً، فصاحت المرأة فأدهشته وقالت: جاءني ابن عمّي زائـراً ففعلتَ به هذا؟ فتركني، فأتيتُ أصحابي فقلتُ: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر.

فإنّا على ذلك حيارى إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعنّ ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأنّ. فقلنا لفيروز: إيتِها فتثبّتْ منها. ففعل، فلمّا أخبرتْـه قال: ننقب على بيـوت مبطّنة: فدخل فاقتلع البطانة، وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود فـأخذتـه غَيْرة، فأخبرته برضاع وقرابةٍ منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلمّا أمسينا عملنا في أمـرنا، وأعلمنـا أشياعنا، وعجِلْنـا عن مراسلة الهمْـدانيّين والحِمْيَريّين، فنقبنـا البيت ودخلنا، وفيـه سراج تحت جَفْنة، واتّقينا بفيروز، كان أشدّنا، فقلنـا: انظر مـاذا ترى، فخـرج ونحن بينه وبين الحرس. فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً، والمرأة قاعدة، فلمّا قام على بـاب البيت أجلسه الشيطان، وتكلّم على لسانه وقال: ما لي ولك يا فيروز! فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخـالطه وهـو مثل الجمـل، فأخـذ برأسـه فقتله ودقّ عنقه، ووضع ركبته في ظهـره فدقّـه، ثمّ قام ليخـرج، فأخـذت المرأة بثـوبه، وهي تـرى أنّه لم يقتله. فقال: قد قتلتُهُ وأَرَحْتُكِ منه، وخرج فأخبرَنا، فدخلنا معه، فخار كما يخـور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولـون: ما هـذا؟ فقالت المـرأة: النبيّ يوحَى إليه! فخمدوا[1]، وقعدنا نأتمر بيننا، فيروز، وداذوَيْه، وقيس، كيف نخبر أشياعنـا، فاجتمعنا على النّداء. فلمّا طلع الفجـر نادَيْنـا بشعارنـا الذي بيننَا وبين أصحابنـا، ففزع المسلمون والكافرون، ثمّ نادَينا بشعارنا بالأذان فقلتُ: أشهدُ أنّ محمّداً رسـول الله، وأنّ عَيْهلة[2] كذّاب! وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنـا أصحابـه وحرسـه، وشنّوا الغـارة، وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا. فنادينا أهـل صنعاء مَنْ عنـده منهم فأمسكـه[3]، ففعلوا. فلمّا خـرج أصحـابه فقـدوا سبعين رجلاً، فـراسلونا وراسلنـاهم، على أن يتركـوا لنا مـا في أيديهم، ونترك ما في أيدينا، ففعلنا، ولم يظفـروا منّا بشيء، وتـردّدوا في ما بين صنعـاء ونجران. وتراجع أصحـاب النبيّ، ﷺ، إلى أعمالهم، وكـان يصلّي بنا مُعـاذ بن جبل، وكتبنـا إلى رسول الله، ﷺ، بخبره، وذلك في حياته.

---

(١) عند الطبري ٣/٢٣٥ «فخمد».

(٢) في الأصل «عبهلة».

(٣) عبارة الطبري: «ونادينا: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلّقوا بـه، ومن كان عنـده منهم أحد فتعلّقـوا به...».

وأتاه الخبر من ليلته، وقدِمَت رُسُلُنا، وقد توفّي رسول الله، ﷺ، فأجابنا أبو بكر.

قال ابن عمر: أتَى الخبر من السماء إلى النبيّ، ﷺ، في ليلته التي قُتل فيها، فقال: قُتل العنْسيّ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: مَنْ قتله؟ قال: قتله فيروز[1].

قيل: كان أوّل أمر العنْسيّ إلى آخره ثلاثة أشهر[2]، وقيل قريب من أربعة أشهر[3]، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأوّل، بعد موت النبيّ، ﷺ، فكان أوّل بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة[4].

قال فيروز: لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان، وأرسلنا إلى مُعاذ بن جبل فصلّى بنا، ونحن راجون مؤمّلون، لم يبقَ شيء نكرهه إلاّ تلك الخيول من أصحاب الأسود، فأتَى موت النبيّ، ﷺ، فانتقضت الأمور واضطربت الأرض[5].

(العنْسيّ: بالعين والنون).

وفي هذه السنة ماتت فاطمة[6] بنت النبيّ، ﷺ، لثلاثٍ خَلَون من رمضان، وهي ابنة تسعٍ وعشرين سنة أو نحوها، وقيل: توفّيت بعد النبيّ، ﷺ، بثلاثة أشهر، وقيل: بستّة أشهر، وغسّلها عليّ، وأسماء بنت عُمَيْس، وصلّى عليها العبّاس بن عبد المطّلب، ودخل قبرها: العبّاس، وعليّ، والفضل بن العبّاس[7].

وفيها توفّي عبد الله بن أبي بكر الصدّيق[8]، وكان أصابه سهم بالطائف وهو مع النبيّ، ﷺ، رماه به أبو مِحْجَن، ثمّ انتقض عليه فمات في شوّال[9].

وفي هذا العام الذي بويع فيه أبو بكر مَلَك يَزْدَجِرْد بلادَ فارس[10].

وفيه، أعني سنة إحدى عشرة، اشترى عمر بن الخطّاب مولاه أسلم بمكّة من ناس من الأشعريّين[11].

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٠ - ٢٣٧ وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٢، والإصابة لابن حجر ١/ ٤٦٧، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٨ - ٣١٠، وعيون التواريخ ١/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٩.

(٣) الطبري ٣/ ٢٤٠.

(٤) الطبري ٣/ ٢٤٠.

(٥) الطبري ٣/ ٢٣٦.

(٦) تاريخ خليفة ٩٦، تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠، مرآة الجنان ١/ ٦١، عيون التواريخ ١/ ٤٩٨.

(٧) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٨) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٣/ ٢٤١، البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨.

(٩) الطبري ٣/ ٢٤١.

(١٠) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤١.

(١١) تاريخ خليفة ١١٧.

ذِكْر أخبار الرِّدّة

قال عبد الله بن مسعود: لقد قُمْنا بعد رسول الله، ﷺ، مقاماً كدْنا نهلك فيه، لولا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مَخاض وابنة لَبون، وأن نأكل قرى عربيّة[1] ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فَوَالله ما رضي منهم إلاّ بالخطّة المُخزية[2] أو الحرب المُجلية، فأمّا الخُطّة المخزية، فأن يقرّوا بأن مَنْ قُتل منهم في النّار، ومن قُتل منّا في الجنّة، وأن يَدُوا قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأنّ ما أخذوا منّا مردودٌ علينا. وأمّا الحرب المُجلية، فأن يُخْرَجوا من ديارهم.

وأمّا أخبار الردّة فإنّه لما مات النبيّ، ﷺ، وسيّر أبو بكر جيشَ أُسامة ارتدّت العرب، وتضرّمت الأرضُ ناراً، وارتدّت كلّ قبيلة، عامّة أو خاصّة، إلاّ قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمرُ مُسَيْلِمة، وطُلَيْحة، واجتمع على طُليحة عوامّ طيّء وأسد، وارتدّت غطفان تبعاً لعُيَيْنة بن حصْن، فإنّه قال: نبيّ من الحليفَين، يعني أسداً وغطفان، أحبّ إلينا من نبيّ من قريش، وقد مات محمّد وطُليحة حيّ، فاتّبعه وتبِعته غطفان. وقدِمت رُسُل النبيّ، ﷺ، من اليمامة وأسد وغيرهما وقد مات، فدفعوا كتبهم لأبي بكر، وأخبروه الخبرَ عن مُسيلمة وطُليحة، فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى ممّا وصفتم، فكان كذلك، وقدِمت كتب أمراء النبيّ، ﷺ، من كلّ مكان بانتقاض العرب عامّة أو خاصّة، وتسلّطهم[3] على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله، ﷺ، يحاربهم، بالرسل، فردّ رُسُلهم بأمره، وأتبع رُسُلَهم رسلاً، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، فكان عُمّال رسول الله، ﷺ، على قضاعة وكلب: امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ، وعلى القَين: عمرو بن الحكم، وعلى سعد: هُذَيْم معاوية الوالبيّ[4]، فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن تبِعه، وبقي امرؤ القيس على دينه، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبة القينيّ، وبقي عَمرو، وارتدّ معاوية فيمن اتّبعه من سعد هُذَيْم، فكتب أبو بكر إلى امرىء القيس، وهو جدّ سُكَيْنة بنت الحسين، فسار بوديعة إلى عمرو، فأقام لزُميل، وإلى معاوية العُذْري، وتوسّطت خيل أُسامة ببلاد قُضاعة، فشنّ الغارة فيهم، فغنِموا وعادوا سالمين[5].

---

(١) في أنساب الأشراف «عرينة».
(٢) في النسختين (ب) و (ت) «الحنطة» و «المجزية».
(٣) في النسخة (ب): «تبسّطهم»، وكذلك في تاريخ الطبري ٢٤٣/٣.
(٤) في تاريخ الطبري «معاوية بن فلان الوائلي».
(٥) تاريخ الطبري ٢٤٢/٣، ٢٤٣.

ذكر خبر طُلَيْحة الأسديّ[1]

وكان طُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسديّ من بني أسد بن خُزَيْمة قد تنبّأ في حياة رسول الله ، ﷺ ، فوجّه إليه النبيّ ، ﷺ ، ضِرار بن الأزور عاملاً على بني أسد، وأمرهم بالقيام على من ارتدّ، فضعُف أمر طُلَيحة حتى لم يبقَ إلّا أخْذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه شيئاً، فظهر بين النّاس أنّ السلاح لا يعمل فيه، فكثُر جمْعُه. ومات النبيّ، ﷺ، وهم على ذلك، فكان طُليحة يقول: إنّ جبرائيل يأتيني، وسجّع للنّاس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إنّ الله لا يصنع بتعفّر وجوهكم وتقبّح أدباركم شيئاً، اذكروا الله أعِفَّةً قياماً، إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبيةً، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغَطَفان وطيّء. فسارت فَزارة وغطفان إلى جنوب طَيْبة، وأقامت طيّء على حدود أراضيهم، وأسد بسُمَيراء، واجتمعت عبْس، وثعلبة بن سعد، ومُرّة بالأبرق من الرَّبَذة، واجتمع إليهم ناس من بني كِنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتَين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القَصّة[2]، وأمدّهم طُليحة بأخيه حِبال، فكان عليهم وعلى من معهم من الدّئل، وليث ومُدْلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عِقالاً لجاهدتهم عليه. وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردّهم، فرجع وفْدهم، فأخبروهم بقلّة مَنْ في المدينة وأطمعوهم فيها.

وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب[3] المدينة عليّاً، وطلحة، والزّبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدوّ لقربهم، فما لبثوا إلّا ثلاثاً، حتى طرقوا المدينة غارة مع اللّيل، وخلّفوا بعضهم بذي حُسىً[4]، ليكونوا لهم رِدْءاً، فوافوا ليلاً الأنقابَ وعليها المقاتلة فمنعوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر الخبر، فخرج إلى أهل المسجد على النّواضح، فردّوا العدوّ واتّبعوهم حتى بلغوا ذا حُسىً، فخرج عليهم الردءُ بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال، ثمّ دهدهوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها، ورجعت بهم إلى المدينة ولم يُصْرَعْ مسلمٌ.

وظنّ الكُفّار بالمسلمين الوَهَن، وبعثوا إلى أهل ذي القَصّة بالخبر، فقدِموا عليهم،

---

(١) أنظر عنه: تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٩، وتاريخ خليفة ١٠٢، والبداية والنهاية ٦/٣١٤ وما بعدها، وعيون التواريخ ١/٤٥٦، وتاريخ الطبري ٣/٢٤٣ وما بعدها.

(٢) ذو القَصّة: بالفتح، وتشديد الصاد: الجصّ الذي تُبيَّض به المنازل. وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَّبَذة. (معجم البلدان ٤/٣٦٦).

(٣) في الطبعة الأوربية «أنصار». والأنقاب: واحدها النقب: الطريق في الجبل.

(٤) ذو حُسىً: بالضم، والقصر، وادٍ بأرض الشربّة من ديار عبس وغطفان... ولبني عجلان الحُسا في جوف جبل يُسمّى دفافاً (٢/٢٥٨).

وبات أبو بكر يعبّي النّاس، وخرج على تعبية يمشي، وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقرِّن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن، وعلى أهل الساقة سُوَيْد بن مقرّن. فما طلع الفجر إلاّ وهم والعدوّ على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامّة ظهرهم، وقُتل رجال، واتّبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصّة، وكان أوّل الفتح، ووضع بها النُّعمان بن مقرّن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذلّ لها المشركون. فوثب بنو عَبْس وذُبيان على مَنْ فيهم من المسلمين فقتلوهم، فحلف أبو بكر ليقتلنّ في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وازداد المسلمون قوّة وثباتاً.

وطرقت المدينةَ صدقات نفرٍ كانوا على صدقة النّاس، بهم صفوان، والزِّبْرِقان بن بدر، وعديّ بن حاتم، وذلك لتمام ستّين يوماً من مخرج أسامة، وقدِم أسامة بعد ذلك بأيّام، وقيل: كانت غزوته وعَوْده في أربعين يوماً. فلمّا قدِم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه، ليستريحوا ويريحوا ظهرهم، ثمّ خرج فيمن كان معه، فناشده المسلمون ليقيم، فأبَى وقال: لأواسينّكم بنفسي. وسار إلى ذي حُسىً وذي القَصّة حتى نزل بالأبرق، فقاتل مَنْ به، فهزم الله المشركين وأخذ الحُطَيْئة[1] أسيراً، فطارت عبْس وبنو بكر، وأقام أبو بكر بالأبرق أيّاماً، وغلب على بني ذبيان وبلادهم، وحماها لدوابّ المسلمين وصدقاتهم.

ولما انهزمت عبْس وذبيان رجعوا إلى طُلَيْحة وهو ببُزاخة[2]، وكان رحل من سُمِيْراء[3] إليها، فأقام عليها، وعاد أبو بكر إلى المدينة. فلمّا استراح أسامة وجُنده، وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تُفْضل عليهم، قطّع أبو بكر البعوث وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نُوَيْرة بالبُطاح إن أقام له، وعقد لعِكْرِمة بن أبي جهل وأمره بمُسَيْلمة، وعقد للمهاجر بن أبي أميّة وأمره بجنود العنْسيّ، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، ثمّ يمضي إلى كِنْدة بحضْرَمَوْت، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام، وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلى قُضاعة، وعقد لحُذيفة بن مِحْصن الغلفانيّ[4] وأمره بأهل دَبَا[5]، وعقد لعَرْفجة

---

(١) في طبعة صادر ٢/٣٤٥ «الخَطْبة»، وفي طبعة أخرى «الخطية»، وما أثبتناه عن تاريخ الطبري.

(٢) بُزاخة: بالضم والخاء المعجمة. قال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصدّيق مع طليحة بن خويلد الأسدي. (معجم البلدان ١/٤٠٨).

(٣) سميراء: بفتح أوله وكسر ثانيه، بالمدّ، وقيل بالضمّ. منزل بطريق مكة بعد توز مُصْعداً وقبل الحاجز: قال السّكوني: حوله جبال وآكام سود بذلك سُمّي سميراء. (معجم البلدان ٣/٢٥٥).

(٤) في النسخة (ب) «الغفاري».

(٥) دَبَا: بفتح أوله والقصر. قال الأصمعيّ: سوق من أسواق العرب بعُمان. (معجم البلدان ٢/٤٣٥).

ابن هرثمة وأمره بمَهْرة[1]، وأمرهما أن يجتمعا وكلّ واحد منهما على صاحبه في عمله. وبعث شُرَحْبيل بن حَسَنَة في أثر عِكرِمة بن أبي جهل وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحقْ بقُضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردّة. وعقد لمعن[2] بن حاجز وأمره ببني سُلَيْم ومن معهم من هوازن، وعقد لسُوَيد بن مُقَرّن وأمره بتِهامة باليمن، وعقد للعلاء بن الحضرميّ وأمره بالبحرين، ففصلت الأمراء من ذي القَصّة ولحِق بكلّ أمير جُنده، وعهد إلى كلّ أمير، وكتب إلى جميع المرتدّين نسخة واحدة[3] يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذّرهم، وسيّر الكتب إليهم مع رُسُله. ولما انهزمت عبْس وذبيان ورجعوا إلى طُليحة ببُزاخة أرسل إلى جَديلة والغَوْث من طيّء يأمرهم باللّحاق به، فتعجّل إليه بعضهم، وأمروا قومهم باللّحاق بهم، فقدِموا على طُليحة.

وكان أبو بكر بعث عديّ بن حاتم قبل خالد إلى طيّء، وأتْبعه خالداً، وأمره أن يبدأ بطيّء ومنهم يسير إلى بزاخة، ثمّ يثلّث بالبُطاح، ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له. وأظهر أبو بكر للنّاس أنّه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالداً، يُرْهب العدوّ بذلك.

وقدِم عديّ على طيّء فدعاهم وخوّفهم، فأجابوه وقالوا له: استقبل الجيش فأخّره عنّا حتى نستخرج مَنْ عند طليحة منّا لئلا يقتلهم. فاستقبل عديّ خالداً وأخبره بالخبر، فتأخّر خالد، وأرسلت طيّء إلى إخوانهم عند طُليحة فلحِقوا بهم، فعادت طيّء إلى خالد بإسلامهم، ولحِق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان خير مولودٍ في أرض طيّء وأعظمه بركة عليهم[4].

وأرسل خالد بن الوليد عُكاشة بن مِحْصن، وثابت بن أقْرم الأنصاريّ طليعةً، فلقيهما حِبال أخو طُلَيحة فقتلاه، فبلغ خبره طُليحةَ، فخرج هو وأخوه سَلَمَة، فقتل طليحةُ عُكاشةَ وقتل أخوه ثابتاً ورجعا.

وأقبل خالد بالنّاس، فرأوا عُكاشة وثابتاً قتيلَين، فجزع لذلك المسلمون، وانصرف بهم خالد نحو طيّء، فقالت له طيّء: نحن نكفيك قيساً، فإنّ بني أسد حلفاؤنا. فقال: قاتلوا أيّ الطائفتين شئتم. فقال عديّ بن حاتم: لو نزل هذا على الذين [هم] أُسْرتي الأدنى فالأدنى لَجَاهدتهم[5] عليه، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم. فقال له

---

(١) مَهْرَة: بالفتح ثم السكون. قبيلة مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. تُنسب إليهم الإبل المهريّة، وباليمن لهم مخلاف. (معجم البلدان ٥/٢٣٤).

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٢٤٩ «طُرَيْفَة».

(٣) أنظر نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ٣/٢٥٠.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٤٣ ـ ٢٥٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «لجاهدتم».

خالد: إنّ جهاد الفريقَين جهادٌ، لا تخالف رأي أصحابك، وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط؛ ثمّ تعبّى لقتالهم، ثمّ سار حتى التقيا على بُزاخة، وبنو عامر قريباً يتربَّصون على مَنْ تكون الدائرة، قال: فاقتتل النّاس على بُزاخة[1].

وكان عُيَيْنة بن حصن مع طُليحة في سبعمائةٍ من بني فَزارة، فقاتلوا قتالاً شديداً، وطُليحة متلفّف في كسائه يتنبّأ لهم، فلمّا اشتدّت الحرب كرّ عُيَيْنَة على طُليحة وقال له: هل جاءك جبرائيل بعدُ؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثمّ كرّ على طُليحة فقال له: لا أبا لك! أجاءك جبرائيل؟ قال: لا. فقال عُيَيْنَة: حتى متى؟ قد والله بلغ منّا! ثمّ رجع فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ كرّ على طُليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إنّ لك رَحاً كرَحاه، وحديثاً لا تنساه. فقال عُيَيْنة: قد علم الله أنّه سيكون حديث لا تنساه، انصرفوا يا بني فَزارة فإنّه كذّاب، فانصرفوا وانهزم النّاس.

وكان طُلَيحة قد أعدّ فرسه وراحلته لامرأته النوّار، فلمّا غشوه ركب فرسه وحمل امرأته، ثم نجا وقال: يا معشر فَزارة مَن استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل. ثمّ انهزم فلحِق بالشام[2]، ثمّ نزل على كلب فأسلم حين بلغه أنّ أسداً وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر.

وكان خرج معتمِراً [في إمارة أبي بكر] ومرَّ بجنَبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طُليحة! فقال: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثمّ أتَى عمرَ فبايعه حين استُخلف. فقال له: أنت قاتل عُكاشة وثابت؟ والله لا أحبّك أبداً! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهمّك من رجلَين أكرمهما الله بيدي ولم يُهِنّي بأيديهما! فبايعه عمر وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان [بالكير]. ثمّ رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق[3].

ولما انهزم النّاس عن طُليحة أُسر عُيَيْنَة بن حصْن، فقُدِم به على أبي بكر، فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدوّ الله أكفرتَ بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنتُ بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه[4].

وأُخذ من أصحاب طُلَيحة رجل كان عالماً به، فسأله خالد عمّا كان يقول، فقال:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٤ و ٢٥٥.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٥٦.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٦١.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٦٠.

إنّ[1] ممّا أتَى به: والحَمَام واليمام، والصُّرَد الصوّام، قد صُمن[2] قبلكم بأعوام، ليبلغنّ مُلْكُنا العراقَ والشام[3].

قال: ولم يؤخذ منهم سبيٌ لأنّهم كانوا قد أحرزوا حريمهم، فلمّا انهزموا أقرّوا بالإسلام خشيةً على عِيالاتهم، فآمنهم.

(حِبال: بكسر الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وبعد الألف لام. وذو القَصّة: بفتح القاف، والصاد المهملة. وذو حُسىً: بضمّ الحاء المهملة، والسين المهملة المفتوحة. ودَبَا: بفتح الدال المهملة، والباء الموحّدة. وبُزاخة: بضمّ الباء الموحّدة، وبالزاي، والخاء المعجمة).

ذكر رِدّة بني عامر وهوازن وسُلَيْم

وكانت بنو عامر تُقدّم إلى الردّة رِجْلًا وتؤخّر أخرى، وتنظر ما تصنع أسد وغطفان. فلمّا أُحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قُرّة بن هُبَيرة في كعب ومَنْ لافّها، وعلقمة بن عُلاثة في كلاب ومَنْ لافّها، وكان أسلم ثمّ ارتدّ في زمن النبيّ، ﷺ، ولحِق بالشام بعد فتح الطائف، فلمّا توفّي النبيّ، ﷺ، أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب. فبلغ ذلك أبا بكر، فبعث إليه سريّة عليها القعقاع بن عمرو، وقيل: بل قعقاع بن سور، وقال له ليغير على علقمة لعلّه يقتله أو يستأسره. فخرج حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح [إلّا] مستعدّاً، فسابقهم على فرسه فسبقهم، وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع وقدِم بهم على أبي بكر، فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم أنّهم فارقوا دارهم، وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم ثمّ أسلم، فقُبل ذلك منه[4].

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، وأتوا خالداً فبايعهم على ما بايع أهل بُزاخة وأعطوه بأيديهم على الإسلام، وكانت بيعته: «عليكم عهدُ الله وميثاقه لتؤمنُنّ بالله ورسوله، ولتقيمُنّ الصلاة، ولتؤتُنّ الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم»، فيقولون: نعم، ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطيّء، وسُلَيم، وعامر إلّا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعَدَوْا على

---

(١) في الطبعة الأوربية «إنّما».
(٢) في الطبعة الأوربية «ضمن».
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٦٠.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٦١، ٢٦٢.

الإسلام في حال رِدّتهم، فأتوه بهم، فمثّل بهم وحرّقهم ورضخهم بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكّسهم في الآبار، وأرسل إلى أبي بكر يُعْلمه ما فعل، وأرسل إليه قُرّةَ بن هُبَيرة ونفراً معه موثّقين، وزهيراً أيضاً[1].

وأمّا أمّ زَمْل فاجتمع فُلاَّل غطفان وطيّء وسُلَيْم وهوازن وغيرها إلى أمّ زِمْل سَلْمى بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر، وكانت أمّها أمّ قِرْفة بنت ربيعة بن بدر، وكانت أمّ زمل قد سُبيت أيّام أمّها أمّ قرفة، وقد تقدّمت الغزوة، فوقعت لعائشة، فأعتقتها ورجعت إلى قومها وارتدّت، واجتمع إليها الفَلّ، فأمرتهم بالقتال، وكثف جمْعُها وعظُمت شوكتها. فلمّا بلغ خالداً أمرُها سار إليها، فاقتتلوا قتالاً شديداً أوّل يوم، وهي واقفة على جملٍ كان لأمّها، وهي في مثل عزّها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها، وقُتل حولَ جَمَلها مائة رجل، وبعث بالفتح إلى أبي بكر[2].

وأمّا خبر الفُجَاءة السُّلَميّ، واسمه إياس بن عبد ياليل، فإنّه جاء إلى أبي بكر فقال له: أعنّي بالسّلاح أقاتل به أهل الردّة. فأعطاه سلاحاً وأمّره إمرةً، فخالف إلى المسلمين، وخرج حتى نزل بالجِواء[3]، وبعث نُخْبة[4] بن أبي المَيْثاء من بني الشريد، وأمره بالمسلمين، فشنّ الغارة على كلّ مسلم في سُلَيْم، وعامر، وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طُرَيْفة بن حاجز، فأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبدَ الله بن قيس الحاسيَّ[5] عوناً، فنهضا إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثمّ لقياه على الجواء فاقتتلوا، وقُتل نُخْبة وهرب الفُجَاءة، فلحِقه طُرَيْفة فأسره، ثمّ بعث به إلى أبي بكر، فلمّا قدِم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلّى المدينة، ثمّ رُمِيَ به فيه مقموطاً[6].

وأمّا خبر أبي شَجْرة بن عبد العُزّى السُّلَميّ، وهو ابن الخَنْساء، فإنّه كان قد ارتدّ فيمن ارتدّ من سُلَيْم، وثبت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجز، وكان أميراً لأبي بكر. فلما سار خالد إلى طُليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسلام من بني سُلَيْم، فسار واستخلف على عمله أخاه طُرَيْفة بن حاجز. فقال أبو شَجْرة حين ارتدّ:

صَحا القلبُ عن مَيٍّ[7] هَواهُ وَأقْصرَا ... وَطاوَعَ فيها العاذِلينَ فأبْصَرَا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٦٢، ٢٦٣.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٦٣، ٢٦٤.
(٣) الجِواء: من قُرْقرى من نواحي اليمامة. (معجم البلدان ٢/١٧٤).
(٤) في تاريخ الطبري ٣/٢٦٤ «نجبة».
(٥) في طبعة صادر ٢/٣٥١ «الحاشي»، وما أثبتناه عن الطبري ٣/٢٦٤.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٦٤.
(٧) في الطبعة الأوربية «عمّن هو».

ألا أيّها المُدْلي بكَثْرَةِ قَوْمِهِ ... وَحَظُّكَ منهُم أن تُضَامَ وَتُقْهَرَا
سَلِ النّاسَ عَنّا كلَّ يَوْمِ كريهَةٍ ... إذا ما التَقَيْنَا: دارِعِينَ وحُسَّرَا
ألَسنا نُعاطي ذا الطِّماحَ لجامَهُ[1] ... ونَطعنُ في الهيجا إذا المَوْتُ أقفرَا
فَرَوّيْتُ رُمحي منْ كَتيبَةِ خالِدٍ ... وَإنّي لأرْجُو بَعدَها أنْ أُعَمَّرَا[2]

ثمّ إنّ أبا شجرة أسلم، فلمّا كان زمن عمر قدِم المدينةَ فرأى عمر وهو يُقسِّم في المساكين، فقال: أعطني فإنّي ذو حاجة، فقال: ومَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العُزّى السُّلميّ. قال: أيْ عدوّ الله [لا] والله! ألستَ الذي تقول:

فَرَوّيْتُ رُمحي من كَتيبَةِ خالِدٍ ... وَإنّي لأرْجُو بعدَها أن أُعَمَّرَا؟

وجعل يعلوه بالدِّرّة في رأسه حتى سبقه عدواً إلى ناقته، فركبها ولحِق بقومه وقال:

ضَنّ علَينا[3] أبو حَفصٍ بنائِلِهِ ... وكلُّ مُختَبِطٍ[4] يوْماً لهُ وَرَقُ

في أبيات[5].

ذكر قدوم عمرو بن العاص من عُمان

كان رسول الله، ﷺ، قد أرسل عَمرو بن العاص إلى جَيْفر[6] عند منصرفه من حَجّة الوداع. فمات رسول الله، ﷺ، وعَمرو بعُمان، فأقبل حتى انتهى إلى البحرين، فوجد المنذر بنِ ساويٍ في الموت. ثمّ خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بقُرّة بن هُبيرة، وقُرّة يقدّم رِجْلاً ويؤخر أخرى، ومعه عسكر من بني عامر، فذبح له وأكرم مثواه. فلمّا أراد الرحلة خلا به قُرّة وقال: يا هذا إنّ العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة[7]، فإن أعفيتموها من أخْذ أموالها فتسمع لكم وتُطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم.

فقال له عمرو: أكفرتَ يا قُرّة؟ أتخوّفنا بالعرب؟ فوالله لأوطئنّ عليك الخيل في حِفْش أمّك.

---

(١) في النسخة (ب) «حمامة».
(٢) الأبيات وغيرها في تاريخ الطبري ٣/٢٦٦.
(٣) في الإصابة لابن حجر ٤/١٠١ «ضنّ عنّا».
(٤) المختبط، من الخبط: ضرب من ورق الشجر حتى يُنَحّى عنه، ثم يستخلف من غير أن يضرّ ذلك بأصل الشجرة وأغصانها.
(٥) أنظرها في تاريخ الطبري ٣/٢٦٧، والإصابة ٤/١٠١.
(٦) هو جيْفَر بن عبد الله بن مالك، ويقال: بل جعفر بن عبد الله بن مالك من بني سُليم. (تاريخ خليفة ٢٤٠).
(٧) في النسخة (ب): «بالإمارة».

والحِفْش[1] : بيت تنفرد فيه النفساء.

وقدِم على المسلمين بالمدينة فأخبرهم، فأطافوا به يسألونه، فأخبرهم أنّ العساكر مُعسكِرة من دَبَا إلى المدينة. فتفرّقوا وتحلّقوا حِلَقاً، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو، فمرّ على حلقة فيها عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد. فلمّا دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: إنّكم تقولون ما أخْوفنا على قريش من العرب! قالوا: صدقتَ. قال: فلا تخافوهم، أنا والله منكم على العرب أخوف منّي من العرب عليكم، والله لو تدخلون، معاشر قريش، جُحْراً[2] لَدَخَلَتْه العرب في آثاركم، فاتّقوا الله فيهم.

ومضى عمر، فلمّا قدِم بُقرّة بن هُبيرة على أبي بكر أسيراً، استشهد بعمرو على إسلامه، فأحضر أبو بكر عَمراً فسأله، فأخبره بقول قُرّة إلى أن وصل إلى ذكر الزكاة فقال قُرّة: مهلاً يا عمرو! فقال: كلاّ، والله لأخبرنّه بجميعه. فعفا عنه أبو بكر وقَبِلَ إسلامه.

ذكر بني تميم وسَجَاح

وأمّا بنو تميم، فإنّ رسول الله، ﷺ، فرّق فيهم عُمّاله، فكان الزِّبْرقان منهم، وسهل بن مِنْجاب، وقيس بن عاصم، وصَفْوان بن صفوان، وسَبْرة بن عمرو، ووَكيع بن مالك، ومالك بن نُوَيْرة. فلمّا وقع الخبر بموت رسول الله، ﷺ، سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو، وأقام قيس بن عاصم ينظر ما الزِّبْرقان صانع ليخالفه، فقال حين أبطأ عليه الزبرقان في عمله: وا ويلتاه[3] من ابن العُكْليّة! والله ما أدري ما أصنع، لئن أنا بعثتُ بالصدقة إلى أبي بكر وبايعتُهُ لَينحرنّ[4] ما معه في بني سعد، فيسوّدني فيهم، ولئن نحرتُها[5] في بني سعد ليأتينّ أبا بكر فيسوّدني عنده. فقسّمها على المقاعس والبطون، ووافَى الزبْرقان فاتّبع صفوانَ بن صفوان بصدقات عَوْف والأبناء، وهذه بطون من تميم. ثمّ ندم قيس، فلمّا أظلّه العلاء بن الحضرميّ أخرج الصدقة فتلقّاه بها، ثمّ خرج معه وتشاغلت تميم بعضها ببعض[6].

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأحفاش».
(٢) في الطبعة الأوربية «حُجْراً».
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٢٦٨ «واويلنا».
(٤) في الطبعة الأوربية «لَيُنجزنّ».
(٥) في الطبعة الأوربية «نجزتها».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٦٧، ٢٦٨.

وكان ثُمامة بن أُثال الحنفيّ تأتيه أمداد تميم، فلمّا حدث هذا الحدث[1] أضرّ ذلك بثُمامة، وكان مقاتلاً لمسيلِمة الكذّاب، حتى قدِم عليه عِكرِمة بن أبي جَهْل، فبينما النّاس ببلاد تميم مُسلِمهم بإزاء مَنْ أراد الردّة وارتاب، إذ جاءتهم سَجَاحِ بنت الحارث بن سويْد ابن عُقفان التميميّة، قد أقبلت من الجزيرة وادّعت النُّبوّة، وكان ورهْطها في أخوالها من تغلِب تقود أفناء ربيعة، معها الهُذَيْل بن عِمْران في بني تغلِب، وكان نصرانيّاً، فترك دينه وتبِعها، وعَقّة بن هِلال في النمِر، وتاد[2] بن فلان في إياد، والسَّليل بن قيس في شَيْبان، فأتاهم أمر أعظم ممّا هم فيه لاختلافهم.

وكانت سَجاحِ تريد غزو أبي بكر، فأرسلت إلى مالك بن نُوَيْرة تطلب الموادعة، فأجابها وردّها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته وقالت: أنا امرأة من بني يربوع، فإن كان مُلْك فهو لكم. وهرب منها عُطارد بن حاجب، وسادةُ بني مالك، وحنظلة إلى بني العنبر[3]، وكرهوا ما صنع وَكيع، وكان قد وادعها، وهرب منها أشباههم من بني يربوع، وكرِهوا ما صنع مالك بن نُوَيْرة، واجتمع مالك، ووَكيع، وسَجاح، فسجعت لهم سجاح وقالت: «أعِدّوا الرّكاب، واستعدّوا للنِّهاب، ثمّ أغيروا على الرِّباب، فليس دونهم حجاب». فساروا إليهم، فلقيهم ضَبّة، وعبد مَناة، فقُتل بينهم قتلى كثيرة، وأسر بعضهم من بعض، ثمّ تصالحوا، وقال قيس بن عاصم شِعراً، ظهر فيه ندمُهُ على تخلّفه عن أبي بكر بصدقته.

ثمّ سارت سَجاحِ في جنود الجزيرة حتى بلغت النِّباج[4]، فأغار عليهم أوْس بن خُزَيْمة الهُجَيْميّ في بني عمرو، فأسر الهذيل وعَقّة، ثمّ اتّفقوا على أن يطلق أسرى سجاح، ولا يطأ أرض أوس ومَنْ معه.

ثمّ خرجت سَجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت: «عليكم باليمامهْ، ودُفّوا دَفيفَ الحمامهْ، فإنّها غزوة صرّامَهْ، لا يلحقكم بعدها ملامَهْ». فقصدت بني حَنيفة، فبلغ ذلك مُسيلمة، فخاف إن هو شُغل بها أن يغلب ثُمامةُ وشُرَحبيل بن حَسَنَة، والقبائل التي حولهم على حَجْر، وهي اليمامة، فأهدى لها، ثمّ أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فآمنتْهُ، فجاءها في أربعين من بني حنيفة، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض، وكان

---

(١) في الطبعة الأوربية «الحديث».

(٢) في طبعة صادر ٣٥٤/٢ «وزياد»، والصحيح ما أثبتناه، فهو أبو عديّ بن وتاد الإيادي. أنظر تاريخ الطبري ٢٦٩/٣.

(٣) في الأصل «العنزة».

(٤) النباج: بكسر أوله. قال أبو منصور: في بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين (أنظر عنه معجم البلدان ٢٥٥/٥).

لقريش نصفها لو عدلت، وقد ردّ الله عليكِ النصف الذي ردّت قريش.

وكان ممّا شرع لهم أنّ مَنْ أصاب ولداً واحداً ذكراً لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد، فيطلب الولد حتى يصيب ابناً ثمّ يمسك[1].

وقيل: بل تحصّن منها، فقالت له: انزلْ، فقال لها: أبعدِي أصحابك. ففعلت، وقد ضرب لها قُبّة وجمّرها[2] لتذكر بطيب الريح الجماعَ، واجتمع بها، فقالت له: ما أوحى إليك ربُّك؟ فقال: «ألم تَرَ إلى ربّك كيف فعل بالحُبْلى، أخرج منها نسمةً تسعى، بين صِفاق[3] وحشىً»[4]؟ قالت: وماذا أيضاً؟ قال: «إنّ الله خلق النساء أفراجاً، وجعل الرّجال لهنّ أزواجاً، فتولج فيهنّ [قُعْساً][5] إيلاجاً، ثمّ تُخرجها إذا تشاء[6] إخراجاً، فيُنتجن لنا سِخالاً إنتاجاً». قالت: أشهد أنّك نبيّ. قال: هل لك أن أتزوّجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. قال:

ألا قُومي إلى النّيْكِ	فقد هُيّي لكِ المَضْجَعْ
فإنْ شِئْتِ فَفي البَيْتِ	وَإنْ شئتِ فَفي المَخْدَعْ
وَإنْ شِئْتِ سَلَقْناكِ	وَإن شِئتِ على أرْبَعْ
وَإنْ شِئْتِ بِثُلْثَيْهِ	وَإنْ شِئتِ بِهِ أجْمَعْ

قالت[7]: بل به أجمع فإنّه أجمع للشمل. قال: بذلك أُوحي إليّ[8]. فأقامت عنده ثلاثاً ثمّ انصرفت إلى قومها، فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على الحقّ فتبِعتُهُ وتزوّجتُهُ. قالوا: هل أصدقك شيئاً؟ قالت: لا. قالوا: فارجعي فاطلبي الصَّداق؛ فرجعت. فلمّا رآها أغلق باب الحصن وقال: ما لكِ؟ قالت: أصْدِقني. قال: مَنْ مُؤذِّنُك؟ قالت: شَبَث بن رِبْعيّ الرِّياحيّ، فدعاه وقال له: نادِ في أصحابك أنّ مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا جاءكم به محمّد: صلاة الفجر وصلاة العِشاء الآخرة. فانصرفت ومعها أصحابها، منهم: عُطارد بن حاجب، وعمرو بن الأهْتم[9]،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٧١ ـ ٢٧٣.

(٢) في طبعة صادر ٢/٣٥٥ «خمّرها»، والتصحيح عن الطبري ٣/٢٧٣.

(٣) الصِفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

(٤) زاد في الأغاني: «من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحياء ثم إلى ربّهم يكون المنتهى».

(٥) إضافة على الأصل من الطبري. وفي الأغاني «الغراميل»، وهو بمعناها.

(٦) في طبعة صادر ٢/٣٥٦ «تشاء».

(٧) في الطبعة الأوربية «قال»، وهو وهْم.

(٨) إلى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ١٨/١٦٥، ١٦٦ (طبعة ساسي).

(٩) في الطبعة الأوربية «الأهيم».

وغَيْلان بن خَرَشة، وشَبَث بن رِبْعيّ، فقال عُطارد بن حاجب:

أمسَتْ[1] نبيَّتُنا أُنْثى نَطُوف[2] بِها   وأصبَحَتْ أنبياءُ النّاسِ ذُكْرانا

وصالحها مُسيلمة على غلّات اليمامة، سنة تأخذ النصف، وتترك عنده مَنْ يأخذ النّصف، فأخذت النصف وانصرفت إلى الجزيرة، وخلَّفتِ الهذيلَ، وعَقّةَ، وزياداً لأخذ النصف الباقي، فلم يُفاجِئهم إلاّ دُنُوّ خالد إليهم فارفضّوا.

فلم تزل سَجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة، وجاءت معهم، وحسُن إسلامهم وإسلامها[3]، وانتقلت إلى البصرة وماتت بها، وصلّى عليها سَمُرة بن جُنْدب وهو على البصرة لمعاوية، قبل قدوم عُبَيد الله بن زياد من خُراسان وولايته البصرة.

وقيل: إنّها لما قُتل مُسيلمة سارت إلى أخوالها تغلِب بالجزيرة، فماتت عندهم ولم يُسمع لها بذكر.

ذِكْر مالك بن نُوَيْرة

لما رجعت سَجاح إلى الجزيرة ارعَوَى مالك بن نُوَيرة وندم وتحيّر في أمره، وعرف وَكيع وسماعة قُبح ما أتيا، فراجعا[4] رجوعاً حسناً ولم يتجبّرا، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالداً. وسار خالد بعد أن فرغ من فَزارة، وغطفان، وأسد، وطيّء، يريد البُطاح، وبها مالك بن نُويرة قد تردّد عليه أمره، وتخلّفت الأنصار عن خالد وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إنْ نحن فرغنا من بُزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا. فقال خالد: قد عهِد إليّ أن أمضي، وأنا الأمير، (ولو لم يأتِ كتاب بما رأيته فرصةً وكنتُ إن أعلمته فاتتني لم أعلمه)[5]، وكذلك لو ابتُلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم نَدَعْ أن نرى أفضل ما يحضرنا ثمّ نعمل به، فأنا قاصد إلى مالك ومَنْ معي، ولستُ أُكْرِهُهم. ومضى خالد ونَدِمت الأنصار وقالوا: إن أصاب القومُ خيراً حُرمتموه، وإن أُصيبوا ليجتنبنّكم النّاس. فلحقوه.

ثمّ سار حتى قدِم البُطاح، فلم يجد بها أحداً، وكان مالك بن نُويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع، إنّا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نُفْلح،

---

(١) في الأغاني «أضحت».

(٢) في تاريخ الطبري «نطيف»، وكذلك في البداية والنهاية ٦/ ٣٢٠.

(٣) إلى هنا في تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٥.

(٤) في تاريخ الطبري «فرجعا».

(٥) العبارة في الطبري: «ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر، ثم رأيتُ فرصةً، فكنت إن أعلمتُه فاتتني، لم أُعلمه حتى أنتهزها».

وقد نظرتُ فيه فرأيتَ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه النّاس، فإيّاكم ومُناوأة قومٍ صُنع لهم، فتفرّقوا وادخلوا في هذا الأمر. فتفرّقوا على ذلك، ولما قدِم خالد البُطاحَ بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكلّ مَنْ لم يُجِب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذّن القوم فكُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا، وإنْ أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم.

قال: فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة في نفرٍ من بني ثَعلبة بن يربوع، فاختلفت السريّة فيهم، وكان فيهم أبو قَتادة، فكان فيمَن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلمّا اختلفوا أمر بهم فحُبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى: أدفئوا[1] أسْراكم، وهي في لغة كِنانة القتل، فظنّ القوم أنه أراد القتل، ولم يُرِد إلاّ الدفء، فقتلوهم، فقتل ضِرارُ بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية[2]، فخرج وقد فرِغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوّج خالد أمّ تميم امرأة مالكَ. فقال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رَهَق، وأكثر عليه في ذلك. فقال: [هيه] يا عمر! تأوّلَ فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم[3] سيفاً سلّه الله على الكافرين. ووَدَى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قَباء وقد غرز في عمامته أسهُماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلتَ امرأً مسلماً ثمّ نزوتَ على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك! وخالد لا يكلّمه، يظنّ أنّ رأيَ أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه، وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيّام الحرب. فخرج خالد وعمر جالسٌ فقال: هلمّ إليّ يا ابن أمّ سَلَمَة. فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلّمه[4].

وقيل: إنّ المسلمين لما غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً، أخذوا السلاح فقالوا: نحن المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح، فوضعوه ثمّ صلّوا[5]، وكان يعتذر في قتله أنه قال: ما إخال صاحبكم إلاّ قال كذا وكذا. فقال له: أوَما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه.

وقدِم مُتمّم بن نُوَيْرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يردّ عليهم سبْيَهم،

---

(١) في الطبعة الأوربية «دافئوا».
(٢) الواعية: الجَلَبَة والصراخ على الميت ونعيّه.
(٣) في الطبعة الأوربية «لا أشتم».
(٤) تاريخ الطبري ٢٧٦/٣ - ٢٨٠، الأغاني ٢٩٩/١٥ - ٣٠٤.
(٥) إلى هنا الخبر في تاريخ خليفة ١٠٥.

فأمر أبو بكر بردّ السبي، ووَدَى مالكاً من بيت المال[1]. ولما قدِم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيتُه حولاً حتى أسعدتْ عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيتُ ناراً قطّ إلّا كدتُ أنقطع أسفاً عليه، لأنّه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. قال: فصفْه لي. قال: كان يركب الفرس الحَرُون، ويقود الجمل الثِّقال، وهو بين المزادَتين النضوختين في اللّيلة القَرّة، وعليه شملة فَلُوت، معتقلاً رمحاً خَطِلاً، فيسري ليلتَه، ثمّ يصبح وكأنّ وجهه فلقة قمر. قال: أنشدني بعض ما قلتَ فيه. فأنشده مرثيّته التي يقول فيها:

وكُنّا كنَدْمانَيّ جَذيمةَ حِقْبةً ... منَ الدّهرِ حتى قيلَ لن يَتَصَدّعا[2]

فلَمّا تَفَرّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعا[3]

فقال عمر: لو كنتُ أقول الشعر لرثيتُ أخي زيداً. فقال متمّم: ولا سواء يا أمير المؤمنين، لو كان أخي صُرع مصرع أخيك لما بكيتُهُ. فقال عمر: ما عزّاني أحد بأحسن ممّا عزّيتني به.

وفي هذه الوقعة قُتل الوليد، وأبو عبيدة ابنا عُمارة بن الوليد، وهما ابنا أخي خالد، لهما صُحبة.

ذكر مُسَيْلمة وأهل اليمامة[4]

قد ذكرنا فيما تقدّم مجيء مسيلمة إلى النبيّ، ﷺ. فلمّا مات النبيّ، ﷺ، وبعث أبو بكر السّرايا إلى المرتدّين، أرسل عِكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شُرَحبيلَ بن حَسَنَة، فعجّل عِكرِمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه، وأقام شُرَحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عِكرِمةُ إلى أبي بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر: لا أرينّك ولا تراني، لا ترجعنّ فتوهن النّاسَ، امضِ إلى حُذَيْفة وعَرْفجة فقاتلْ أهل عُمان ومَهْرة، ثمّ تسير أنت وجندك تستبرون[5] النّاس حتى تلقى مُهاجر بن أبي أميّة باليمن

---

(١) تاريخ خليفة ١٠٥.

(٢) البيت في: عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٧٤ وفيه «لن نتصدعا»، وزهر الآداب للحصري ٣/٧٦١، والأغاني ١٥/٣٠٩ و٣١٠، ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٣٩، وتاريخ خليفة ١٠٥، والبداية والنهاية ٦/٣٢٢.

(٣) البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة (طبعة أوربا) ٥٤٦، والأغاني ١٥/٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠، وتاريخ خليفة ١٠٦، والكامل في الأدب للمبرّد ٣/١١٩٨، والبداية والنهاية ٦/٣٢٢.

(٤) تاريخ خليفة ١٠٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٢٨١، مرآة الجنان ١/٦٣، البداية والنهاية ٦/٣٢٣، عيون التواريخ ١/٤٥٣.

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٢٨١ «تستبرئون»، وفي نسخة أخرى «تستثيرون».

وحَضْرَمَوْت. فكتب إلى شُرَحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مُسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تُعينه على قُضاعة.

فلمّا رجع خالد من البُطاح إلى أبي بكر واعتذر إليه قبل[1] عذره، ورضي عنه، ووجّهه إلى مسيلمة، وأوعب معه المهاجرين والأنصار، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شمّاس، وعلى المهاجرين أبو حُذَيْفة، وزيد بن الخطّاب، وأقام خالد بالبُطاح ينتظر وصول البعث إليه. فلمّا وصلوا إليه سار إلى اليمامة، وبنو حَنيفة يومئذٍ كثيرون، كانت عدّتهم أربعين ألف مقاتل، وعجّل شُرَحبيل بن حَسَنَة، وبادر خالداً بقتال مُسيلمة، فنُكب، فلامه خالد، وأمدّ أبو بكر خالداً بسَليط، ليكون رِدْءاً له، لئلاّ يُؤتَى من خلفه. وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر، أدَعُهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، فإنّ الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر ممّا ينتصر بهم. وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره.

وكان مع مسيلمة نهارُ الرَّجّال بن عُنْفُوَة، وكان قد هاجر إلى النبيّ، ﷺ، وقرأ القرآن، وفُقّه في الدّين، وبعثه معلّماً لأهل اليمامة وليشْغب على مُسيلمة، فكان أعظم فتنةً على بني حنيفة من مُسيلمة، شهد أنّ محمّداً، ﷺ، يقول: إنّ مُسيلمة قد أُشرك معه، فصدّقوه واستجابوا له، وكان مُسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يؤذّن له عبد الله بن النّواحة[2]، والذي يُقيم له حُجَير بن عُمَير[3]، فكان حُجَير يقول: أشهد أنّ مُسيلمة يزعم أنّه رسول الله. فقال له مُسيلمة: أفصح حُجير، فليس في المجمجمة خير. وهو أوّل مَنْ قالها.

وكان ممّا جاء به وذكر أنّه وحي: يا ضفدع بنت ضفدع، نُقّي ما تنقّين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطّين، لا الشاربَ تمنعين، ولا الماء تكدّرين. وقال أيضاً: والمُبْديات[4] زرعاً، والحاصدات حصداً، والذّاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خُبزاً، والثاردات ثرداً[5]، واللاّقمات لقماً، إهالةً وسمناً؛ لقد فُضّلتم على أهل الوبَر، وما سبقكم أهل المَدَر؛ ريفَكم فامنعوه، والمُعْيِيَ فأوّوه[6]، والباغي فناوئوه[7] وأتته

(١) في الطبعة الأوربية «فقبل».
(٢) في طبعة صادر ٢/٣٦١ «النواجة».
(٣) في إحدى النسخ «عمرو»، وإلى هنا ينتهي الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢٨١ ـ ٢٨٣.
(٤) في تاريخ الطبري ٣/٢٨٤ «المبذّرات».
(٥) ثرد الخبز ثرداً: فتّه ثم بلّه بمَرَق.
(٦) في تاريخ الطبري «والمعترّ فآووه».
(٧) في الطبعة الأوربية «فتأوّوه».

امرأة فقالت: إنّ نخلنا لسحيق[1]، وإنّ آبارَنا لجُرُزٌ[2]، فادعُ الله لمائنا ونخلنا، كما وعد محمّد، ﷺ، لأهل هَزْمان. فسأل نَهاراً عن ذلك، فذكر أنّ النبيّ، ﷺ، دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجّه في الآبار، ففاضت ماء، وأنجبت كلّ نخلة وأطلعت فسيلاً قصيراً مكمّماً، ففعل مسيلمة ذلك، فغار ماء الآبار ويبس النخل، وإنّما ظهر ذلك بعد مهلكه[3]. .

وقال لها نهار: أمرّ يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمّد، ففعل وأمّر يده على رؤوسهم وحنّكهم، فقرِع كلّ صبيّ مسح رأسه، ولَثِغ كلّ صبيّ حنّكه، وإنّما استبان ذلك بعد مهلكه[4].

وقيل: جاءه طلحة النمريّ فسأله عن حاله، فأخبره أنّه يأتيه رجل في ظُلمة، فقال: أشهد أنّك الكاذب[5]، وأنّ محمّداً صادق، ولكنّ كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقِ مُضَر. فقُتل معه يوم عُقْرباء كافراً.

ولما بلغ مسيلمةَ دنوّ خالد ضرب عسكره بعقرباء، وخرج إليه النّاس، وخرج مَجّاعة بن مُرارة في سريّة يطلب ثأراً لهم في بني عامر، فأخذه المسلمون وأصحابه، فقتلهم خالد، واستبقاه لشرفه في بني حنيفة، وكانوا ما بين أربعين إلى ستّين[6].

وترك مُسيلمة الأموال وراء ظهره، فقال شُرَحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة قاتلوا، فإنّ اليوم يوم الغَيرة، فإن انهزمتم تُسْتردف النساء سبيّات، ويُنْكحن غير خطّيبات؛ فقاتِلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حُذَيْفة، وكان قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم، فقُتل، فقالوا: تخشى[7] علينا من نفسك [شيئاً]! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس، وكانت العرب على راياتهم، والتقى النّاس، وكان أوّل من لقي المسلمين نهارٌ الرَّجّال بن عُنْفُوة فقُتل، قتله زيد بن الخطّاب، واشتدّ القتال، ولم يلقَ المسلمون حرباً مثلها قطّ، وانهزم المسلمون، وخلص بنو حنيفة إلى مَجّاعة وإلى خالد، فزال خالد عن الفسطاط، ودخلوا إلى مَجّاعة وهو عند امرأة خالد، وكان سلّمه إليها، فأرادوا قتلها،

---

(١) في الطبعة الأوربية «يستحيق» وفي تاريخ الطبري «لسُحُق».

(٢) الجُرُز: المجدبة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٨٤، ٦٨٥، معجم البلدان ٨/٤٦٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٨٥.

(٥) عند الطبري ٣/٢٨٦ «كذّاب».

(٦) الطبري ٣/٢٨٦، ٢٨٧.

(٧) في الطبعة الأوربية «تخسى».

فنهاهم مَجّاعة عن قتلها وقال: أنا لها جار، فتركوها، وقال لهم: عليكم بالرجال، فقطّعوا الفسطاط. ثمّ إنّ المسلمين تداعَوْا، فقال ثابت بن قيس: بئس ما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهمّ إنّي أبرأُ إليك ممّا يصنع هؤلاء، يعني أهل اليمامة، وأعتذر إليك ممّا يصنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثمّ قاتل حتى قُتل[1].

وقال زيد بن الخطّاب: لا نَحورُ[2] بعد الرجال[3]، والله لا أتكلّم اليوم حتى نهزمهم، أو أُقتل فأكلّمه بحجتي. غُضّوا أبصاركم، وعَضّوا على أضراسكم أيّها النّاس، واضربوا في عدوّكم، وامضوا قُدُماً.

وقال أبو حُذَيْفة: يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفَعال. وحمل خالد في النّاس حتى ردّوهم إلى أبعد ممّا كانوا، واشتدّ القتال وتذامرت بنو حنيفة، وقاتلت قتالاً شديداً، وكانت الحرب يومئذ تارةً للمسلمين وتارة للكافرين، وقُتل سالم، وأبو حُذيفة، وزيد بن الخطّاب، وغيرهم من أُولي البصائر. فلمّا رأى خالد ما النّاس فيه قال امتازوا أيّها النّاس لنعلم بلاء كلّ حيّ، ولنعلم من أين نؤتَى. فامتازوا، وكان أهل البوادي قد جنّبوا المهاجرين والأنصار، وجنّبهم المهاجرون والأنصار. فلمّا امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يُستحى من الفرار، فما رُئي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم، ولم يُدْرَ أيّ الفريقين كان أعظم نكاية، غير أنّ القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه[4] في أهل البوادي[5].

وثبت مُسيلمة، فدارت رحاهم عليه، فعرف خالدٌ أنّها لا تركد إلّا بقتل مُسيلمة، ولم تحفلْ بنو حنيفة بمن قُتل منهم. ثمّ برز خالد ودعا إلى البراز، ونادى بشعارهم، وكان شعارهم: يا محمّداه! فلم يبرز إليه أحدٌ إلّا قتله. ودارت رحا المسلمين، ودعا خالد مُسيلمة فأجابه، فعرض عليه أشياء ممّا يشتهي مسيلمة، فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه، فينهاه أن يقبل. فأعرض بوجهه مرّة، وركبه خالد وأرهقه، فأدبر وزال أصحابه، وصاح خالد في النّاس فركبوهم، فكانت هزيمتهم، وقالوا لمسيلمة: أين ما كنتَ تَعِدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. ونادى المُحكَّم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة! فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٨٨ ـ ٢٩٠، تاريخ خليفة ١٠٧.
(٢) في الطبعة الأوربية «لأتجوّر»، وفي تاريخ الطبري ٣/٢٩٠ «لا تحوّز».
(٣) في تاريخ الطبري «الرحال»، وكذلك في تاريخ خليفة ١٠٨.
(٤) في الطبعة الأوربية «منهم».
(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٩٣.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٩٣، ٢٩٤.

وكان البَراء بن مالك، وهو أخو أسد بن مالك، إذا حضر الحرب أخذته رعدة، حتى يقعد عليه الرجال ثمّ يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد، فأصابه ذلك، فلمّا بال وثب وقال: إليّ أيّها النّاس، أنا البراء بن مالك! إليّ إليّ! وقاتل قتالاً شديداً، فلمّا دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فقالوا: لا نفعل. فقال: والله لتطرحُنّني عليهم بها! فاحتمل حتى أشرف على الجدار، فاقتحمها عليهم، وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم، فاقتتلوا أشدّ قتال، وكثر القتلى في الفريقَين لا سيّما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قُتل مسيلمة[1]. واشترك في قتله وحشيّ مولى جُبَير بن مُطْعم، ورجل من الأنصار، أمّا وحشيّ فدفع عليه حربته، وضربه الأنصاريّ بسيفه، قال ابن عمر: فصرخ رجل: قتله العبد الأسود[2]، فولّت بنو حنيفة عند قتله منهزمةً، وأخذهم السيف من كلّ جانب، وأخبر خالد بقتل مُسيلمة، فخرج بمَجّاعة يرسف في الحديد، ليدلّه على مسيلمة، فجعل يكشف له القتلى حتى مرّ بمُحكّم اليمامة، وكان وسيماً، فقال: هذا صاحبكم؟ فقال مجّاعة: لا، هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكَّم اليمامة، ثمّ دخل الحديقة، فإذا رُوَيْجِلٌ أُصَيْفِرُ أُخَيْنس، فقال مجّاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا الذي فعل بكم ما فعل[3].

وكان الذي قتل مُحكَّم اليمامة: عبد الرحمن بن أبي بكر، رماه بسهم في نحره وهو يخطب، ويحرّض النّاس فقتله. وقال مجّاعة لخالد: ما جاءك إلاّ سَرَعان النّاس، وإنّ الحصون مملوّة، فهلمّ إلى الصلح على ما ورائي، فصالحه على كلّ شيء دون النفوس، وقال: أنطلق إليهم فأشاورهم. فانطلق إليهم وليس في الحصون إلاّ النساء والصبيان[4] ومشيخة فانية، ورجال ضعفى، فألبسهم الحديد، وأمر النساء أن ينشرن شعورهنّ ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم. فرجع إلى خالد فقال: قد أبوا أن يُجيزوا ما صنعتُ، فرأى خالد الحصون مملوّة وقد نَهَكتِ المسلمين الحربُ وطال اللّقاء، وأحبّوا أن يرجعوا على الظفر، ولم يدروا ما هو كائن، وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستّون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقُتل ثابت بن قيس، قطع رجل من المشركين رِجْله، فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقُتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها. وصالحه خالد على الذهب والفضّة والسلاح ونصف السّبي، وقيل رُبْعه[5].

(١) تاريخ خليفة ١٠٩.
(٢) تاريخ خليفة ١٠٩.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ خليفة ١١٠.
(٤) حتى هنا في تاريخ خليفة ١١٠.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

فلمّا فُتحت الحصون لم يكن فيها إلاّ النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمجّاعة: ويحك خدعتَني! فقال: هم قومي ولم أستطع إلاّ ما صنعتُ[1]

ووصل كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كلّ محتلم، وكان قد صالحهم، فوفى لهم ولم يغدر. ولما رجع النّاس قال عمر لابنه عبد الله، وكان معهم: ألا هلكتَ قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حيّ! ألا واريتَ وجهك عنّي؟ فقال عبد الله: سألَ الله الشهادة فأعطِيهَا، وجهدتُ أن تُساق إليّ، فلم أُعْطَها.

* * *

وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن، لما رأى من كثرة مَنْ قُتل من الصحابة، لئلاّ يذهب القرآن، وسيرد مبيَّناً سنة ثلاثين.

وممّنْ قُتل باليمامة شهيداً من الصحابة: عَبّاد بن بِشْر الأنصاريّ، شهد بدراً وغيرها[2].

وقُتل عَبّاد بن الحارث الأنصاريّ، وكان شهد أُحُداً.

وقُتل بها عُمَير بن أوس بن عَتيك الأنصاري، وكان شهد أُحُداً[3].

وفيها قُتل عامر بن ثابت بن سَلَمَة الأنصاريّ[4].

وفيها قُتل عُمارة بن حَزم الأنصاريّ أخو عمر، وكان بدريّاً[5].

وفيها قُتل عليّ بن عبيد الله بن الحارث من بني عامر بن لُؤيّ، وكان له صُحبة.

وقُتل بها عائذ بن ماعص الأنصاريّ، وقيل قُتل يوم بئر مَعُونة.

وقُتل فيها فَرْوة بن النعمان[6]، وقيل ابن الحارث بن النعمان الأنصاري، وكان قد شهد أُحُداً وما بعدها.

وفيها قُتل قيس بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ، عمّ البَراء بن عازب، وقيل بل قُتل بأُحُد.

وقُتل بها سعد بن جمّاز[7] الأنصاريّ، وكان قد شهد أُحُداً.

---

(١) الطبري ٢٩٨/٣.
(٢) تاريخ خليفة ١١٣.
(٣) تاريخ خليفة ١١٣.
(٤) تاريخ خليفة ١١٤.
(٥) تاريخ خليفة ١١٥.
(٦) تاريخ خليفة ١١٥.
(٧) في تاريخ خليفة ١١٤ «حمّاز»، وفي الإصابة «حمار»، وقيل «حمان» وقيل «حبان».

وقُتل بها أبو دُجانة الأنصاريّ، وهو بدريّ، وقيل بل عـاش بعد ذلـك وشهد صفّين مع عليّ، عليه السلام، والله أعلم.

وقُتل باليمامة سَلَمَة بن مسعود بن سِنان الأنصاريّ[١].

وقُتل فيها السائب بن عثمان بن مَظْعون الجُمَحيّ، وهو من مهاجرة الحبشة، وشهد بدراً.

وقُتل أيضاً السائب بن العوّام أخو الزّبَير لأبَوَيْه[٢].

وقُتل بها الطُّفَيْل بن عمرو الدّوْسيّ، شهد خيبر[٣].

وقُتل بها زُرارة بن قيس الأنصاريّ، له صحبة.

وقُتل فيها مالك بن عمرو السُّلَميّ حليف بني عبد شمس، وهو بدريّ.

وقُتل مالك بن أُميّة السُّلَميّ، وهو بدريّ.

ومالك بن عَوس [٤] بن عَتيك الأنصاريّ، وهو ممّنْ شهد أُحُداً.

وقُتـل بها معن بن عـديّ بن الجَـدّ البلويّ حليف الأنصـار[٥]، شهـد العقبـة وبـدراً وغيرهما.

ومسعود بن سِنان الأسود حليف بني غانم، وشهد أُحُداً.

وفيها قُتل النّعمان بن عَصَر بن الربيع البلويّ، وهو بدريّ.

(وقيل هو بكسر العين وسكون الصاد، وقيل بفتحهما).

وفيها قُتل صَفْوان ومالك ابنا عمرو السُّلَميّ[٦]، وهما بدريّان.

وضِرار بن الأزور الأسديّ، وهو الذي قتل مالك بن نُوَيرة بأمر خالد.

وفيهـا قُتل عبـد الله بن الحارث بن قيس[٧] بن عـديّ السهميّ، وقيل قُتـل عبـد الله بالطائف هو وأخوه السائب.

وفيها قُتل عبـد الله بن مَخْرمـة بن عبد العُـزّى العامـريّ[٨] عامـر قيس، وشهد بـدراً وغيرها.

---

(١) تاريخ خليفة ١١٥.
(٢) تاريخ خليفة ١١٢.
(٣) تاريخ خليفة ١١١.
(٤) في تاريخ خليفة ١١٣ «أوس».
(٥) تاريخ خليفة ١١٤.
(٦) تاريخ خليفة ١١١.
(٧) تاريخ خليفة ١١٣.
(٨) تاريخ خليفة ١١٣.

وفيها قُتل عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول[1]، وهو بدريّ.
وعبد الله بن عَتيك الأنصاريّ[2]، وهو قاتل ابن أبي الحُقَيْق، وهو بدريّ.
وفيها قُتل شُجاع بن أبي وهب[3] الأسديّ أسد خُزَيْمة، شهد بدراً.
وهُرَيْم بن عبد الله المطّلبي القرشيّ، وأخوه جُنادة.
والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوميّ[4]، ابن عمّ خالد.
وقُتل وَرَقة بن إياس بن عمرو الأنصاريّ، وهو بدريّ.
ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار[5]، أسلم يوم الفتح.
وأبو حبّة بن غزية[6] الأنصاريّ[7]، شهد أُحُداً.
وأبو عَقيل البلويّ حليف الأنصار، وهو بدريّ.

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ السهْميّ، من مهاجرة الحبشة[8]، شهد أُحُداً.

ويزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت[9].

(الرَّجّال بن عُنْفُوَة: بالراء المفتوحة، وبالجيم المشدّدة، وقيل بالحاء المهملة، والأوّل أكثر. ومجّاعة: بتشديد الجيم. ومحكِّم اليمامة: بالحاء المهملة، والكاف المشدّدة. وسعد بن جمّاز: بالجيم، والميم المشدّدة، وآخره زاي).

ذكر ردة أهل البحرين[10]

لما قدِم الجارود بن المُعَلّى العبديّ على النبيّ، ﷺ، وتفقّه ردّه إلى قومه عبد القيس، فكان فيهم. فلمّا مات النبيّ، ﷺ، وكان المنذر بن ساوي العبديّ مريضاً،

---

(١) تاريخ خليفة ١١٤.
(٢) تاريخ خليفة ١١٣.
(٣) في تاريخ خليفة ١١١ «شجاع بن وهب».
(٤) تاريخ خليفة ١١٢.
(٥) تاريخ خليفة ١١٢.
(٦) في النسخة (ب): «عرم».
(٧) تاريخ خليفة ١١٥.
(٨) تاريخ خليفة ١١٣.
(٩) تاريخ خليفة ١١٥.
(١٠) تاريخ خليفة ١١٦، تاريخ اليعقوبي ١٣١/٢، تاريخ الطبري ٣٠١/٣، الأغاني ٣٥٥/١٥، البداية والنهاية ٣٢٧/٦.

فمات بعد النبيّ، ﷺ، بقليل. فلمّا مات المنذر بن ساوي ارتدّ بعده أهل البحرين؛ فأمّا بكر فتمّت على رِدّتها، وأمّا عبد القيس فإنّهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنّهم قالوا: لو كان محمّد نبيّاً لم يمتْ. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنّه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإنّ محمّداً، ﷺ، قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. فأسلموا وثبتوا على إسلامهم. وحصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرميّ. واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردّة، إلّا الجارود ومَنْ تبعه وقالوا: نردّ المُلْك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمّى الغَرور. فلمّا أسلم كان يقول: أنا المغرور ولستُ بالغَرور[1].

وخرج الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل، فاجتمع إليه من غير المرتدّين ممَّنْ لم يزل مشركاً، حتى نزل القَطِيف وهَجَر، واستغووا[2] الخطّ، ومَنْ بها من الزُّطّ والسبابجة[3]، وبعث بعثاً إلى دارِين[4]، وبعث إلى جُواثا[5] فحصر المسلمين، فاشتدّ الحصر على مَنْ بها، فقال عبد الله بن حَذَف، وقد قتلهم الجوع:

ألا أبْلِغْ أبا بكْرٍ رَسُولاً	وفتيانَ المَدينَةِ أجْمَعِينَا
فَهَلْ لَكُمُ إلى قَوْمٍ كِرَامٍ	قُعُودٍ في جُوَاثَا مُحْصَرِينَا
كأنّ دِماءَهُمْ في كُلِّ فَجٍّ	شُعاعُ الشّمسِ يَغْشَى النّاظِرِينَا
تَوَكّلْنا على الرّحمَنِ إنّا	وَجَدْنا النّصْرَ[6] للمُتَوكّلِينَا[7]

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرميّ إيّاهم أنّ أبا بكر كان قد بعثه على قتال أهل الرِّدة بالبحرين، فلمّا كان بحيال اليمامة لحِق به ثُمامة بن أُثال الحنفيّ في مُسلمة بني حنيفة، ولحِق به أيضاً قيس بن عاصم المِنْقريّ، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبيّ، ﷺ، وانضمّ إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرِّباب أيضاً لحِقته في مثل عدّته، فسلك بهم الدّهناء، حتى [إذا] كانوا في بُحْبُوحَتها نزل، وأمر النّاسْ بالنزول

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٠٣، الأغاني ١٥/٢٥٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤ «استغوى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، وفتوح البلدان ١/١٩٢، وأنساب الأشراف ٤/١٠٦ و١١٢ وجاء في تاج العروس للزبيدي ٦/٧ تحقيق د. حسين نصّار ـ طبعة الكويت ١٩٦٩ السبابجة: قوم ذَوو جَلَد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يُبَذْرِقونها. واحدهم: سبيجي.

(٤) دارِين: فُرضة بالبحرين يُجلب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان ٢/٤٣٢).

(٥) جُواثا: بالضم. حصن لعبد القيس بالبحرين. (معجم البلدان ٢/١٧٤).

(٦) في تاريخ الطبري «الصبر».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، الأغاني ١٥/٢٥٦، ٢٥٧.

في اللّيـل، فنفرت إبِلهم بـأحمالهـا، فما بقي عنـدهم بعير ولا زاد ولا مـاء، فلحِقهم من الغمّ ما لا يعلمه إلّا الله، ووصّى بعضهم بعضـاً، فدعـاهم العلاء فـاجتمعوا إليـه، فقال: مـا هـذا الـذي غلب عليكم من الغمّ؟ فقـالـوا: كيف نُـلام ونحن إن بلغنـا غـداً لم تحمَ الشمس حتى نهلك. فقـال: لن تُـراعـوا، أنتم المسلمـون وفي سبيـل الله وأنصـار الله، فأبشِروا فَوَالله لن تُخْذَلوا.

فلمّـا صلّوا الصّبحَ دعـا العلاءُ ودعـوا معه، فلمـع لهم الماء، فمشـوا إليه وشـربـوا واغتسلوا. فمـا تعـالى النهـار حتى أقبلت الإبـل تُجمـع من كـلّ وجـه، فـأنـاخت إليهم فسقوها. وكان أبو هُرَيْرة فيهم، فلمّا ساروا عن ذلك المكان قال لمِنْجاب بن راشد: كيف علمـك بموضـع الماء؟ قـال: عارف بـه. فقال لـه: كنْ معي حتى تُقيمني عليـه. قـال: فـرجعتُ به إلى ذلـك المكان، فلم نجـد إلّا غديـر الماء، فقلتُ لـه: والله لـولا الغـديـر لأخبرتُك أنّ هذا هو المكان، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوّة ماء. فقال أبو هـريرة: هـذا والله المكان، ولهـذا رجعتُ بك ومـلأتُ إداوتي، ثـمّ وضعتُها على شفيـر الغديـر وقلتُ: إن كان مَنّـا من المنّ عرفتـهُ، وإن كان عينـاً[1] عرفتـهُ، فـإذا مَنٌّ من المَنّ، فحمِد الله.

ثمّ ساروا فنزلوا بهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمـره أن ينزل بعبـد القيس على الحُطَم ممّا يليه، وسار هو فيمَنْ معه، حتى نزل عليه ممّا يلي هَجَر، فـاجتمع المشـركون كلّهم إلى الحُـطَم، إلّا أهل دارين، واجتمـع المسلمون إلى العـلاء، وخندق المسلمـون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يتراوحون القتال، ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينا هم كذلك سمع المسلمون ضَوْضاء هزيمة أو قتـال، فقال العـلاء: مَنْ يأتينـا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَذَف: أنا، فخرج حتى دنا من خنـدقهم، فأخـذوه. وكانت أمّه عِجْليّة، فجعل ينادي: يا أبْجراه! فجاء أبجر بن بُجَيْر فعرفه فقال: مـا شأنـك؟ فقال: عَلامَ أقبل[2] وحولي عساكر من عِجْل وتَيْم اللّات وغيرهمـا؟ فخلّصه، فقـال له: والله إنّي لأظنّك بئس ابن أختٍ أتيتَ اللّيلة أخوالـك. فقال: دَعني من هـذا، وأطعمني، فقد مت جوعاً. فقرّب له طعاماً، فأكل، ثمّ قال: زوّدْني واحمِلْني، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكـر، فحمله على بعير وزوّده وجـوّزه، فدخـل عسكـر المسلمين فـأخبـرهم أنّ القـوم سُكارَى، فخرج المسلمـون عليهم، فوضعـوا فيهم السيف كيف شاؤوا، وهـرب الكُفّار،

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «غياثا».

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «أقتل».

فمن بين مترد[1] وناجٍ، ومقتول ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر، ولم يفلت رجل إلّا بما عليه.

فأمّا أبجر فأفلت، وأمّا الحُطَم فَقُتل، قتله قيس بن عاصم، بعد أن قطع عفيفُ بن المنذر التميميّ رِجْله. وطلبهم المسلمون، فأسر عفيفُ المنذرَ بن النعمان بن المنذر الغَرورَ فأسلم. وأصبح العلاء، فقسّم الأنفال، ونفّل رجالاً من أهل البلاء ثياباً، فأعطى ثُمامةَ بن أُثال الحنفيّ خميصة ذات أعلام، كانت للحُطَم يُباهي بها. فلمّا رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثَعلبة، فقالوا له: أنت قتلتَ الحُطَم! فقال: لم أقتله ولكنّي اشتريتها من المغنم. فوثبوا عليه فقتلوه.

وقصد عُظْم الفُلَّال إلى دارين، فركبوا إليها السفن، ولحِق الباقون ببلاد قومهم. فكتب العلاء إلى مَنْ ثَبُت على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عُتَيْبة بن النَّهّاس[2] والمُثَنّى بن حارثة وغيرهما، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدّين بكلّ طريق، ففعلوا، وجاءت رُسُلهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يُؤتى من وراء ظهره، فندب حينئذٍ النّاسَ إلى دارين وقال لهم: قد أراكم الله من آياته في البّر لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوّكم واستعرضوا البحر. وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك، وفيهم الراجل، ودعا ودعوا. وكان من دعائهم: يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا صمد، يا حيّ، يا مُحيي الموتَى، يا حيّ يا قيُّوم، لا إله إلّا أنت يا ربّنا! فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم وليلة لسُفُن البحر، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فظفر المسلمون وانهزم المشركون، وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مُخْبراً، وغنِموا وسبوا، فلمّا فرغوا رجعوا حتى عبروا[3]، وضرب الإسلام فيها بجِرانه.

وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرّفه هزيمة المرتدّين وقتْل الحُطَم. وكان مع المسلمين راهب من أهل هَجَر، فأسلم فقيل له: ما حملك على الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها: فَيْض في الرمال، وتمهيد أثباج البحر[4]، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سَحَراً: اللهمّ أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحيّ الذي لا يموت، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى، وكلّ

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «متردٍّ».
(٢) في الأصل «النهاش».
(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٣٠٦ ـ ٣١١، الأغاني ١٥/٢٥٦ ـ ٢٦٠.
(٤) في تاريخ الطبري ٣/٣١٢ «البحار»، وفي الأغاني «البحور».

يوم أنت في شأن، علِمتَ كلّ شيء بغير تعلّم[1]. فعلمتُ أنّ القوم لم يُعانوا بالملائكة إلاّ وهم على حقّ[2]، فكان أصحاب النبيّ، ﷺ، يسمعون هذا منه بعدُ[3].

(عُتَيْبَة: بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها، وياء تحتها نقطتان، ثم باء موحّدة. وحارثة: بحاء مهمَلَة، وثاء مثلّثة).

ذكر ردّة أهل عُمان ومَهْرة

قد اختُلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدّين، فقال ابن إسحاق: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام سنة اثنتي عشرة.

وقال أبو معشر، ويزيد بن [عياض] بن جُعْدبة[4]، وأبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر: إن فتوح الردّة كلّها لخالد وغيره سنة إحدى عشرة، إلاّ أمر ربيعة بن بُجَير، فإنّه كان سنة ثلاث عشرة، وقصّته: أنّه بلغ خالد بن الوليد أنّ ربيعة بالمُصَيّخ[5] والحَصيد[6]، في جَمْعٍ من المرتدّين، فقاتله وغنِم وسبَى، وأصاب ابنة لربيعة، فبعث بها إلى أبي بكر، فصارت إلى عليّ بن أبي طالب[7].

وأمّا عُمان فإنّه نبغ بها ذو التاج لَقيط بن مالك الأزديّ، وكان يسامي في الجاهليّة الجُلُنْدَى، وادّعى بمثل ما ادّعى مَنْ تنبّأ، وغلب على عُمان مرتدّاً، والتجأ جَيْفَر وعياذ[8] إلى الجبال، وبعث جَيْفَر إلى أبي بكر يُخبره ويستمدّه[9] عليه، وبعث أبو بكر حُذَيْفة بن مِحْصن الغَلْفانيّ من حِمْير، وعَرْفجة البارقيّ من الأزد، حذيفة إلى عُمان، وعرفجة إلى مَهْرة، وكلّ منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قَرُبا من عُمان يكاتبان جَيْفَراً. فسار إلى عُمان، وأرسل أبو بكر إلى عِكْرِمة بن أبي جهل، وكان بعثه إلى اليمامة، فأُصيب. فأرسل إليه أن يلحق بحُذَيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عُمان وَمهْرَة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحِقهما عِكْرِمة قبل عُمان، فلمّا وصلوا رِجاماً، وهي قريب

---

(١) في الأغاني «تعليم».

(٢) حتى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ١٥/٢٥٧ - ٢٦٢.

(٣) أي من الهَجَريّ، كما في تاريخ الطبري ٣/٣١٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «وجُعدبة».

(٥) في الطبعة الأوربية «بالمُضَبَّخ». والمُصَيَّخ: بضمّ الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشدَّدَة، وخاء معجمة، يقال له مصيخ بني البرشاء: وهو بين حوران والقَلْت. (معجم البلدان ٥/١٤٤).

(٦) الحصيد: بالفتح ثم الكسر، موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. (معجم البلدان ٢/٢٦٦).

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣١٣، ٣١٤.

(٨) في تاريخ الطبري «عبّاد».

(٩) في تاريخ الطبري «يستجيشه».

من عُمان، كاتبوا جَيْفَراً وعياذاً[1]، وجمع لَقيط جموعه وعسكر بدَبَا، وخرج جَيْفـر وعياذ[1] وعسكرا بصُحار، وأرسلا إلى حُذيفة وعِكْرِمة وعَرْفجة، فقدِموا عليهما، وكاتبوا رؤساء من لَقيط وارفضّـوا عنه، ثُمّ التقـوا على دَبَـا، فـاقتتلوا قتـالاً شـديـداً، واستعلى لَقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركـون الظفـر. فبينما هم كـذلك جاءت المسلمين موادّهم العظمى من بني ناجيـة، وعليهم الخريّت بن راشـد، ومن عبد القيس وعليهم سَيْحـان بن وُصحـان، وغيـرهم، فقـوّى الله المسلمين، فـولّى المشـركـون الأدبـار، فقُتـل منهم في المعـركة عشـرة آلاف، وركِبوهم حتى أثخنـوا فيهم، وسبوا الـذراري، وقسّموا الأمـوال، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عَرْفجة، وأقام حُذيفة بعُمان يُسكّن النّاس[2].

وأمّا مَهْرة فإنّ عِكْرِمة بن أبي جهل سار إليهم لما فرغ من عُمان، ومعـه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب، وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فـوافق بها جمعَين من مَهْرة، أحدهمـا مع سِخْـريت[3]، رجل منهم، والثـاني مع المُصبِّـح، أحد بني مُحـارب، ومعظم النّاس معه، وكانـا مختلفَين. فكاتب عكـرمة سخـريتاً[3]، فـأجابـه وأسلم، وكاتب المصبّح يدعوه فلم يجبْ، فقاتله قتالاً شديداً، فانهزم المرتدّون، وقُتل رئيسهم، وركِبهم المسلمون، فقتلوا من شاؤوا منهم، وأصابوا مـا شاؤوا من الغنـائم، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع سِخْـريت[3]، وازداد عِكرمـة وجُنده قـوّة بالـظّهر والمتـاع، وأقام عِكْـرِمة حتى اجتمع النّاس على الذي يحبّ وبايعوا على الإسلام[4].

(دَبَا: بفتح الباء الموحّدة المخفّفة، وفتح الدال المهملة. والخـريّت: بكسر الخـاء المعجَمَة، وتشديد الراء المهملة المكسورة ثمّ ياء مثنّاة من تحتها، وآخره تاء. وسَيْحـان: بفتح السين المهملة، وبالياء المثنّاة من تحت، وبالحاء المهملة، وآخره نون).

ذِكر خبر رِدّة اليمن

لمـا تُـوفّي رسـول الله، ﷺ، وعلى مكّـة وأرضهـا عَتّاب بن أَسِيـد، وعلى عَـكّ والأشعريّين الطّاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، ومـالك بن عَـوْف النصْريّ، عثمان على المدن[5]، ومالك على أهل الوَبَر، وبصنعـاء فيروز وداذَوَيْـه يسانـده

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣١٥ «عبّاد».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٤ - ٣١٦.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣١٧ «شخريت».
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣١٦، ٣١٧.
(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣١٨ «على أهل المدر».

وقيس بن مَكْشوح، وعلى الجَنَد يَعْلى بن أُمَيَّـة، وعلى مأرب أبـو موسى، وكـان منهم مع الأسود الكذّاب ما ذكرناه. فلمّا أهلك الله الأسود العنْسيّ بقي طائفة من أصحابـه يتردّدون بين صنعـاء ونَجْران، لا يـأوون[1] إلى أحـد. ومـات النبيّ، ﷺ، على أثـر ذلـك، فـارتـدّ النّاس، فكتب عتّاب بن أسيـد إلى أبي بكر يعـرّفه خبـر مَنِ ارتدّ في عمله، وبعث عتّاب أخاه خالداً إلى أهل تِهامة، وبها جماعة من مُدْلج، وخُزاعة، وأبناء كنانة.

وأمّا كنانة عليهم جُنْدُب بن سَلْمَى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد وفـرّقهم، وأفلت جُنْدُب بن سَلْمَى، وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شَنُوءة، وبها جماعة من الأزد، وبَجيلة، وخثْعَم، وعليهم حُمَيْضة بن النُّعمان، واستعمل عثمانُ على السريّة عثمانَ بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم الكفّار وتفرّقوا، وهرب حُمَيْضة في البلاد[2].

وأمّا الأخابِث من العَكّ فكانوا أوّل منتقض بتِهامـة بعد النبيّ، ﷺ، ثم تجمّـع عَكّ والأشعريّون، وأقـاموا على الأعـلاب[3]، فسار إليهم الـطّاهر بن أبي هـالة، ومعـه مسروق وقومه من عكّ، ممّنْ لم يرتدّ، فالتقـوا على الأعلاب، فـانهزمت عـكّ ومَنْ معهم، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وكـان ذلك فتحـاً عظيمـاً. وورد كتاب أبي بكـر على الطّاهـر يأمـره بقتالهم، وسمّاهم الأخابث، وسمّى طريقهم طريق الأخابث، فبقي الاسم عليهم إلى الآن[4].

وأمّا أهل نَجْران فلمّا بلغهم موت النبيّ، ﷺ، أرسلوا وفداً ليجدّدوا عهدهم مع أبي بكر، فكتب بذلك كتاباً[5].

وأمّا بَجيلة فإنّ أبا بكر ردّ جرير بن عبد الله، وأمره أن يستنفر من قومه مَن ثبت على الإسلام ويقاتل بهم مَن ارتدّ عن الإسلام، وأن يأتي خثْعَمَ فيقـاتل مَنْ خـرج غَضباً لـذي الخَلَصة، فخرج جرير وفعل ما أمره، فلم يقم له أحد إلاّ نفر يسير، فقتلهم وتتبّعهم[6].
(حُمَيْضة: بالحاء المهملة المضمومة، والضاد المعجمة).

ذِكر خبر رِدّة اليمن ثانية

وكـان ممّن ارتدّ ثـانية قيس بن عبـد يَغوث بن مكشـوح، وذلك أنّـه لما بلغـه موت

---

(١) في الطبعة الأوربية «تأوي».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٨ ـ ٣٢٠.
(٣) الأعلاب: أرض لعَكّ بن عدنان بين مكة والساحل. (معجم البلدان ١/٢٢٢).
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.
(٥) أنظر تاريخ الطبري ٣/٣٢١.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.

النبيّ، ﷺ، عمل في قتْل فيروز وجِشْنَسْ[1]. وكتب أبو بكر إلى عمر[2] ذي مُرّان وإلى سعيد ذي زُود، وإلى الكَلاع، وإلى حَوْشب ذي ظُلَيْم، وإلى شهر ذي يَناف[3] يأمرهم بالتمسّك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على مَنْ ناوأهم[4]، والسمع لفيروز، وكان فيروز وداذَوَيه وقيس قبل ذلك متساندين. فلمّا سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكَلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء، وإخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه ولم ينصروا الأبناء. فاستعدّ لهم قيس، وكاتب أصحاب الأسود المتردِّدين في البلاد سرّاً، يدعوهم ليجتمعوا معه، فجاؤوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء، فقصد قيس فيروز وداذَوَيه، فاستشارهما في أمره خديعةً منه ليلبّس عليهما، فاطمأنّا إليه. ثمّ إنّ قيساً صنع من الغد طعاماً، ودعا داذَوَيْه، وفيروز، وجِشْنَس، فخرج داذَوَيه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز، فلمّا دنا منه سمع امرأتين تتحدّثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتل داذَوَيْه، فخرج. فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، ولقيه جِشْنَس، فرجع معه، فتوجّها نحو جبل خَوْلان، وهم أخوال فيروز، فصعِدا الجبل، ورجعت خيول قيس فأخبروه، فثار بصنعاء وما حولها، وأتته خيول الأسود.

واجتمع إلى فيروز جماعة من النّاس، وكتب إلى أبي بكر يُخْبره، واجتمع إلى قيس عوامّ قبائل مَنْ كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء، وعمد قيس إلى الأبناء، ففرّقهم ثلاث فرق: مَنْ أقام أقرّ عياله، والذين ساروا مع فيروز فرّق عيالهم فرقتَين، فوجّه إحداهما إلى عدن ليُحْملوا في البحر، وحمل الأخرى في البرّ، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلمّا علم فيروز ذلك جدّ في حربه، وتجرّد لها، وأرسل إلى بني عُقَيل بن ربيعة بن عامر يستمدّهم، وإلى عَكّ يستمدّهم، فركبت عُقَيْل، فلقوا خيل قيس بن عامر، ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيّرهم قيس، فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس. وسارت عَكّ فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء، وقتلوا مَنْ معهم من أصحاب قيس، وأمدّت عُقَيْل وعكّ فيروزَ بالرجال. فلمّا أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده، فلقوا قيساً دون صنعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم قيس وأصحابه، وتذَبْذب أصحاب العنْسيّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران[5].

---

(١) في الأصل «خشنش، وفي النسخة (ب) «جيس»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ «جُشَيش».

(٢) في تاريخ الطبري «عمير».

(٣) في تاريخ الطبري «يناف».

(٤) في الطبعة الأوربية «باواهم».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ ـ ٣٢٦.

قيل: وكان فَرْوة بن مُسَيْك قدِم على النبيّ، ﷺ، مسلماً فاستعمله النبيّ، ﷺ، على صدقات مُراد ومَنْ نازلهم ونزل دارهم.

وكان عَمرو بن معدي كرب الزُّبَيْديّ قد فارق قومَهُ سعد العَشيرة، وانحاز إليهم وأسلم معهم، فلمّا ارتدّ العَنْسيّ ومعه مَذْحِج ارتدّ عمرو فيمَن ارتدّ، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلمّا ارتدّ سار إليه خالد فلقِيه. فضربه خالد على عاتقه فهرب منه، وأخذ خالد سيفَه الصمصامة وفرسه، فلمّا ارتدّ عمرو جعله العَنْسي بإزاء فَرْوة، فامتنع كلّ واحد منهما من البراح لمكان صاحبه. فبينما هم كذلك قدِم عكرِمة بن أبي جهل أَبْيَنَ[1] من مَهْرة، وقد تقدّم ذكر قتال مَهْرة، ومعه بَشَر كثير من مَهْرة وغيرهم، فاستبرى النّخع وحِمْير، وقدِم أيضاً المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكّة، والطائف، وبَجيلة، مع جرير[2] إلى نجران، فانضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ، فأقبل عمرو بن معدي كرب مستجيباً[3] حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيساً أيضاً فأوثقه، وسيّرهما إلى أبي بكر، فقال: يا قيس قتلتَ عباد الله، واتّخذت المرتدّين وليجة من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذوَيْه شيئاً، وكان قتله سرّاً، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو: أما تستحي أنك كلّ يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرتَ هذا الدّين لَرَفَعَك الله. فقال: لا جَرَمَ لأُقبلنّ ولا أعود. ورجعا إلى عشائرهما. فسار المهاجر من نجران، والتقت الخيول على أصحاب العَنْسيّ، فاستأمنوا فلم يؤمّنهم، وقتلهم بكلّ سبيل، ثمّ سار إلى صنعاء فدخلها، وكتب إلى أبي بكر بذلك[4].

ذِكْر رِدّة حَضْرَمَوْت وكِنْدة

لما تُوفي رسول الله، ﷺ، وعُمّاله على بلاد حضرموت: زياد بن أبي لَبيد الأنصاريّ على حضرموت، وعُكاشة بن أبي أميّة على السكاسك، والسَّكون، والمُهاجر بن أبي أُميّة على كِنْدة، استعمله النبيّ، ﷺ، ولم يخرج إليها حتى تُوفّي النبيّ، ﷺ، فبعثه أبو بكر إلى قتال مَنْ باليمن، ثمّ المسير بعدُ إلى عمله، وكان قد تخلّف عن رسول الله، ﷺ، بتَبوك، فرجع رسول الله، ﷺ، وهو عاتب عليه، فبينما أمّ سلمة تغسل رأس النبيّ، ﷺ، قالت: كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي؟ فرأت

---

(١) أَبْيَن: يُفتح أوله ويُكسر. مخلاف باليمن، منه عدن. (معجم البلدان ١/٨٦).

(٢) في النسخة (ب): «حزبه».

(٣) في الأصل «مستخفياً». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٣٢٩.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٧ ـ ٣٣٠.

منه رقّة، فأومأت إلى خادمها فدعته، فلم يزل بالنبيّ، ﷺ، يذكر عذره حتى رضي عنه واستعمله على كِنْدة. فتوفّي النبيّ، ﷺ، ولم يسرْ إلى عمله، ثمّ سار بعده[1].

وكان سبب رِدّة كِنْدة، وإجابتهم الأسود الكذّاب حتى لعن النبيُّ، ﷺ، الملوكَ الأربعة منهم، أنّهم لما أسلموا أمر رسول الله، ﷺ، أن يوضع بعض صدقة حضرمَوت في كِنْدة، وبعض صدقة كِنْدة في حضْرَمَوت، وبعض صدقة حضْرَمَوت في السَّكون، وبعض صدقة السَّكون في حضرموت، فقال بعض بني وَليعة: من كِنْدة لحضرموت ليس لنا ظهر، فإن رأيتم أن تبعثوا إلينا بذلك على ظهر. قالوا: فإنّا ننظر، فإنْ لم يكن لكم ظهر فعلنا، فلمّا تُوفّي رسول الله، ﷺ، قالت بنو وَليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله، ﷺ! فقالوا: إنّ لكم ظهراً فاحتملوا، فقالوا لزياد: أنت معهم علينا. فأبَى[2] الحضْرَمَيّون، ولجّ الكِنْديّون، ورجعوا إلى دارهم، وتردّدوا في أمرهم، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمهاجر.

وكان المهاجر لما تأخّر بالمدينة قد استخلف زياداً على عمله، وسار المهاجر من صنعاء إلى عمله، وعكرمة بن أبي جهل أيضاً، فنزل أحدهما على الأسود، والآخر على وائل، وكان زياد بن لَبيد قد ولي صدقات بني عمرو بن معاوية من كِنْدة بنفسه، فقدِم عليهم، فكان أوّل من انتهى إليه منهم شيطان بن حُجْر، فأخذ منهم بَكرةً ووسمها، فإذا النّاقة للعَدّاء بن حُجُر أخي شيطان، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها، وكان اسمها شَذْرة، وظنّها غيرها، فقال العدّاء: هذه ناقتي. فقال شيطان: صدق فأطلقْها وخذْ غيرها. فاتّهمه زياد بالكفر ومباعدة الإسلام، فمنعهما عنها وقال: صارت في حقّ الله. فلجّا في أخْذها، فقال لهما: لا تكونَنّ شَذْرة عليكم كالبسوس. فنادى العدّاء: يا آل عمرو أُضام وأُضطَهد! إنّ الذليل مَنْ أُكل في داره! ونادى حارثةَ بن سُرَاقة بن معدي كرب، فأقبل إلى زياد وهو واقف، فقال: أطلقْ بَكرة الرجل وخذْ غيرها. فقال زياد: ما لي إلى ذلك سبيل. فقال حارثة: ذاك إذا كنتَ يهودياً؛ وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها، فأمر زياد شباباً من حضرموت والسَّكون فمنعوه[3] وكتّفوه، وكتفوا أصحابه، وأخذوا البكرة، وتصايحت كِنْدة، وغضبت بنو معاوية لحارثة، وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسَّكون لزياد، وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء، ولم يُحْدث بنو معاوية شيئاً لمكان أسرائهم، ولم يجد أصحاب زياد سبيلاً يتعلّقون به عليهم، وأمرهم زياد بوضع السلاح

---

(١) الطبري ٣/٣٣٠، ٣٣١.

(٢) في الطبعة الأوروبية «فأتى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٣٢ «فمغثوه»، بمعنى: نالوه بالأيدي.

فلم يفعلوا، وطلبوا أسراءهم فلم يطلقهم، ونهد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرّقوا، فلمّا تفرّقوا أطلق حارثةَ ومَنْ معه. فلمّا رجع الأسرى إلى أصحابهم حرّضوهم على زياد ومَنْ معه، واجتمع منهم عسكر كثير، ونادوا بمنع الصدقة، فأرسل الحُصَين بن نُمَير، وسكن بعضهم عن بعض، فأقاموا بعد ذلك يسيراً.

ثمّ إنّ بني عمرو بن معاوية من كِنْدة نزلوا المَحَاجر، وهي أحْماء حموها، فنزل جَمَد محجراً، ومِخْوَص محجراً، ومِشْرح محجراً، وأبْضَعة محجراً، وأختهم العَمَرّدة محجراً، وهم الملوك الأربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله، ﷺ، وقد ذُكروا قبلُ. ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها، فنزل الأشعث بن قيس محجراً، والسّمط بن الأسود محجراً، وأطبقت بنو معاوية كلّها على منع الصدقة، إلاّ شُرَحْبيل بن السِّمْط وابنه، فإنّهما قالا لبنّي معاوية: إنّه لقبيح بالأحرار التنقّل، إنّ الكرام ليلزمون الشُبْهة فيتكرّمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحقّ إلى الباطل والقبيح! اللهمّ إنّا لا نماليء قومنا على ذلك. وانتقل ونزل مع زياد، ومعهما امرؤ القيس بن عابس، وقالا له: بيّتِ القوم فإنّ أقواماً من السكاسك والسَّكون قد انضمّوا إليهم، وكذلك شُذّاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تتفرّق النّاس عنّا إليهم. فأجابهم إلى تبييت القوم، فاجتمعوا وطرقوهم في محاجرهم، فوجدوهم جلوساً حول نيرانهم، فأكبّوا على بني عمرو بن معاوية، وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجُه، فأصابوا مِشْرحاً، ومِخْوصاً، وجَمَداً، وأبضعة، وأختهم العَمَرَّدة، وأدركتهم لعنة النبيّ، ﷺ، وقتلوا فأكثروا، وهرب مَن أطاق الهرب، وعاد زياد بن لَبيد بالأموال والسبي، واجتازوا بالأشعث، فثار في قومه، فاستنقذهم وجمع الجموع.

وكتب زياد إلى المهاجر يستحثّه، فلقِيه الكتاب بالطريق، فاستخلف على الجند عِكرمة بن أبي جهل، وتعجّل في سَرَعان الجناس، وقدِم على زياد وسار إلى كِنْدة، فالتقوا بمحجر الزُّرْقان[1] فاقتتلوا، فانهزمت كِنْدة وقُتلت، وخرجوا هُرّاباً فالتجأوا إلى النُّجَير[2]، وقد رمّوه وأصلحوه. وسار المهاجر فنزل عليهم، واجتمعت كِنْدة في النُّجَير، فتحصنّوا به، فحصرهم المسلمون، وقدِم إليهم عِكرمة، فاشتدّ الحصر على كِنْدة، وتفرّقت السرايا في طلبهم، فقتلوا منهم، وخرج مَنْ بالنُّجَير من كِنْدة وغيرهم، فقاتلوا المسلمين، فكثُر فيهم القتل، فرجعوا إلى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل،

---

(١) في الطبعة الأوربية «الزّبرقان»، وهو بضمّ الزاي والمحجر كالناحية للقوم، بأرض حضرموت. (معجم البلدان ٣/١٣٧).

(٢) النُّجَيْر: حصن باليمن قرب حضرموت منيع. (معجم البلدان ٥/٢٧٣).

وخاف الرؤساء على نفوسهم. فخرج الأشعث ومعه تسعة نفر، فطلبوا من زياد أن يؤمّنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب. فأجابهم إلى ذلك وقال: اكتبوا ما شئتم ثمّ هلمّوا الكتاب حتى أختمه. ففعلوا، ونسي الأشعث أن يكتب نفسه لأنّ جَحْدماً وثب عليه بسكّين، فقال: تكتبني أو أقتلك؟ فكتبه ونسي نفسه، ففتحوا الباب فدخل[1] المسلمون فلم يدعوا مقاتلاً إلاّ قتلوه، وضربوا أعناقهم صبراً، وأخذوا الأموال والسَّبْي. فلمّا فرغوا منهم دعا الأشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم، فأجار مَن في الكتاب، فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذي خطّأ فاك يا أشعث يا عدوّ الله! قد كنتُ أشتهي أن يُخزيك الله! وشدّه كتافاً، فقيل له: أخّرْه وسيّرْه إلى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه، فسيّره إلى أبي بكر مع السبي[2].

وقيل: إنّ الحصار لما اشتدّ على مَنْ بالنُّجَير نزل الأشعث إلى المهاجر وزياد والمسلمين، فسألهم الأمان على دمه وماله حتى يقدَموا به على أبي بكر، فيرى فيه رأيه، على أن يفتح لهم النُّجَير ويُسلّم إليهم مَنْ فيه وغدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن، فاستنزلوا مَنْ فيه من الملوك، فقتلوهم وأوثقوا الأشعث وأرسلوه مع السبي إلى أبي بكر، فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه عُرْف النّار، وهو اسم الغادر عندهم. فلمّا قدِم المدينة قال له أبو بكر: ما تراني أصنع بك؟ قال: لا أعلم. قال: فإنّي أقتلك. قال: فأنا الذي راوضتُ القومَ في عشرة فما يحلّ دمي. قال: إنّما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على مَنْ فيها، وإنّما كنتَ قبل ذلك مراوضاً. فلمّا خشي القتل قال: أوَتحتسب فيّ خيراً فتطلق إساري، وتُقيلني عثرتي، وتفعل بي مثل ما فعلتَ بأمثالي، وتردّ عليّ زوجتي؟ وقد كان خطب أمّ فَرْوة أخت أبي بكر لما قدِم على النبيّ، ﷺ، وأخّرها إلى أن يقدَم الثانية، فمات النبيّ، ﷺ، وارتدّ؛ فإنْ فعلتَ ذلك تجدني خيرَ أهل بلادي لدين الله. فحقن دمه وردّ عليه أهله، وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسّم الغنائم بين النّاس[3].

وقيل: إنّ عِكرمة قدِم بعد الفتح، فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إنّ إخوانكم قدِموا مدداً لكم، فأشرِكوهم في الغنيمة، ففعلوا وأشركوهم.

ولما ولي عمر بن الخطّاب قال: إنّه لقبيح بالعرب أن يملِك بعضُهم بعضاً، وقد وسّع الله عز وجل وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهليّة والإسلام،

---

(١) في الطبعة الأوربية «فدخلوا».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٨.

(٣) الطبري ٣/٣٣٨، ٣٣٩، وانظر: معجم البلدان ٥/٢٧٢، ٢٧٣، وتاريخ خليفة ١١٦.

إلّا امرأة وَلَدَت لسيّدها، وجعل فداء لكـلّ إنسان ستّـة أبعرة أو سبعـة، إلّا حنيفة وكِنْـدة، فإنّه خفّف عليهم لقتل رجالهم، فتتبّع النساء بكلّ مكان ففدوهنّ[1].

وفيها انصرف مُعاذ بن جبل من اليمن[2].

وفيها استقضى أبو بكر عمرَ بنَ الخطّاب، وكان يقضي بين النّاس خلافته كلّها[3].

وحج بالنّاس في هذه السنة عتّاب بن أَسِيد، وقيل عبد الرحمن بن عوف[4].

(النُّجَيْر: بضمّ النون، وفتح الجيم، وسكون الياء تحتها نقطتان وآخـره راء: حصن باليمن منيع).

---

(١) الطبري ٣/٣٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٤) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

١٢
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق وصلح الحيرة

في هذه السنة في المحرّم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، وقيل: بل قدم المدينة من اليمامة، فسيّره أبو بكر إلى العراق، فسار حتى نزل ببانِقْيا[١] وباروسْما[٢] وأُلَّيْس[٣] وصالحه أهلها. وكان الذي صالحه عليها ابن صَلُوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة[٤] كسرى، وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية. ثمّ سار حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قَبيصة[٥] الطائيّ، وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاختاروا الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أوّل جزية أُخذت من الفرس في الإسلام هي والقُرَيَّات التي صالح عليها[٦].

وقيل: إنّما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأُبُلّة[٧]، وكتب إلى عِياض بن غَنم أن يقصد العراق ويبدأ بالمُصَيَّح[٨] ويدخل العراق من أعلاه، ويسير حتى يلقى خالداً، وكان المثنّى بن حارثة الشيبانيّ قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق فأذِن له، فكان يغزوهم قبل

---

(١) بانِقْيا: بكسر النون. ناحية من نواحي الكوفة. (معجم البلدان ١/٣٣١).

(٢) باروسْما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٣) في الطبعة الأوربية «واللّيس». وأُلَّيْس: مصغَّر، وهو الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي كتب الفتوح: أُلَّيْس قرية من قرى الأنبار. (معجم البلدان ١/٢٤٨).

(٤) في النسخة (ب): «ما حرزه».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٤٤ «قَبيصة بن إياس» والمثبت يتفق مع تاريخ خليفة ١١٨.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٤٣، ٣٤٤.

(٧) الأُبُلّة: بضمّ أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها. بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. (معجم البلدان ١/٧٧).

(٨) في الأصل «بالمصبح»، وفي الطبعة الأوربية «بالمُضَيَّح».

قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالداً وعِياضاً أن يستنفرا مَنْ قاتل أهل الردّة، وأن لا يغزونّ معهما مرتدّ، ففعلا وكتبا إليه يستمدّانه، فأمدّ خالداً بالقعقاع بن عمرو التميميّ، فقيل له: أتمدّه برجل واحد؟ لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. وأمدّ عياضاً بعبد بن غوث[1] الحِمْيريّ. وكتب أبو بكر إلى المثنّى وحَرمَلَة ومَعْذور وسُلْمى أن يلحقوا بخالد بالأُبُلّة. فقدِم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل، وكان مع المثنّى وأصحابه ثمانية آلاف[2].

ولما قدِم خالد فرّق جنده ثلاث فرَق، ولم يحملهم على طريق واحد، على مقدّمته[3] المثنّى وبعده عديّ بن حاتم، وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحَفير ليصادموا عدوّهم، وكان ذلك الفَرْج أعظم فروج فارس وأشدّها شوكة، فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البرّ والهند في البحر. فلمّا سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر، وتعجّل هو إلى الكواظم في سَرَعان أصحابه، فسمع أنّهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه ونزل به، وجعل على مقدّمته قُباذ وأنُوشَجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، واقترنوا في السلاسل لئلاّ يفجروا، فسمع بهم خالد، فمال بالنّاس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، وكان سيّء المجاورة للعرب، فكلّهم عليه حَنِقٌ، وكانوا يضربونه مثلاً فيقولون: أكفر من هرمز[4].

وقدِم خالد فنزل على غير ماء، فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لَعَمْري ليصيرنّ الماء لأِصْبَرِ الفريقَين، فحطّوا أثقالهم، وتقدّم خالد إلى الفُرس فلاقاهم، وأرسل الله سحابة فأغدرت[5] وراء صفّ المسلمين، فقويت قلوبهم، وخرج هرمز ودعا خالداً إلى البراز، وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد، فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلاً، ونزل هرمز أيضاً وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز، فما شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون، وسُمّيت الوقعة ذات السلاسل، ونجا قُباذ وأنُوشَجان، وأخذ خالد سَلَب هُرمز، وكانت قَلَنْسُوَته بمائة ألف، لأنّه كان قد تمّ شَرَفُه في الفرس، وكانت هذه عادتهم، إذا تمّ شرف الإنسان تكون قَلَنْسُوَتُه بمائة ألف. وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى أبي بكر، وسار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة، وبعث المثنّى بن حارثة في آثارهم، وأرسل مَعْقل بن مُقرِّن إلى الأُبُلّة ففتحها، فجمع الأموال بها والسَّبي.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ما عدا النسخة (ب) ففيها وفي تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ «بعبد بن عوف».
(٢) تاريخ الطبري ٣٤٦/٣، ٣٤٧.
(٣) في النسخة (ب): «فتقدمه».
(٤) تاريخ الطبري ٣٤٨/٣.
(٥) في النسخة (ب): «فأعردت»، وفي تاريخ الطبري ٣٤٩/٣ فأغزرت.

وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل، لأنّ فتح الأُبُلّة كان على يد عُتْبة بن غَزْوان أيّام عمر بن الخطّاب سنة أربع عشرة[1].

وحاصر المثنّى بن حارثة حصن المرأة[2] وأسلمت، ولم يعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين، لأنّ أبا بكر أمرهم بذلك[3].

ذكر وقعة الثِّنْي

لما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد أمدّه بقارن بن قريانس[4]، فلمّا انتهى إلى المذار لقيه المنهزمون، فاجتمعوا ورجعوا ومعهم قُباذ وأنُوشجان، ونزلوا الثِّنْي[5]، وهو النهر، وسار إليهم خالد فلقيهم واقتتلوا، فبرز قارن فقتله مَعْقل بن الأعْشَى بن النّبّاش، وقتل عاصم أنوشجان، وقتل عديّ بن حاتم قُباذ، وكان شرف قارن انتهى. ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه، وقُتل من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً، سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وقسّم الفَيْء، وأنفذ الأخماس إلى المدينة، وأعطى الأسلاب مَنْ سَلَبها، وكانت الغنيمة عظيمة، وسبَى عيالات المقاتلة، وأخذ الجزية من الفلاّحين وصاروا ذمّةً. وكان في السَّبْي أبو الحسن البصريّ، وكان نصرانياً، وأمّر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الجُنْد[6] سُوَيد بن مُقرّن المُزَنيّ، وأمره بنزول الحَفير، وأقام يتجسّس الأخبار[7].

ذكر وقعة الوَلَجة

ولما فرغ خالد من الثِّنْي وأتَى الخبر أردشير بعث الأنْدَرْزَغَرّ[8]، وكان فارساً من مولَّدي السواد، وأرسل بَهمن جاذَوَيْه في أثره في جيش، وحشر إلى الأندرزغرّ[8] من بين الحيرة وكَسْكر ومن عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالوَلَجة[9]. وسمع بهم خالد فسار

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) في تاريخ خليفة ١١٨: وصالحته طماهيج صاحبة نهر المرأة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٠.

(٤) في النسخة (ب): «قرياس».

(٥) الثّني: بكسر أوّله، وسكون ثانيه، وياء مخفّفة، والثّنْيُ من كل نهر أو جبل مُنعطفه. ويقال: الثني اسم لكل نهر. ويوم الثني لخالد بن الوليد على الفرس قرب البصرة مشهور. (معجم البلدان ٢/٨٦).

(٦) في إحدى النسخ «الجزء».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٥١، ٣٥٢ والخبر بعنوان (وقعة المذار).

(٨) في تاريخ الطبري ٣/٣٥٣ «الأندَرْ زَغَر».

(٩) الوَلَجَة: بأرض كسكر، موضع مما يلي البرّ. (معجم البلدان ٥/٣٨٣).

إليهم من الثّني فلقيهم بالولجة وكمّن لهم[1] فقاتلهم قتالاً شديداً أشدّ من الأوّل، حتى ظنّ الفريقان أنّ الصبر قد أفرغ. واستبطأ خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين[2]، فانهزمت الأعاجم، وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الأندرزعزّ منهزماً، فمات عطشاً، وأصاب خالد ابناً لجابر بن وائل، وكانت وقعة الوَلَجَة في صفر، وبذل الأمان للفلاّحين، فعادوا وصاروا ذمّةً، وسَبَى ذراري المقاتلة ومن أعانهم[3].

ذكر وقعة أُلَّيْس[4] وهو على الفرات

لمّا أصاب خالد يوم الوَلَجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أُلَّيْس وعليهم عبد الأسود العِجْليّ، وكان[5] مسلمو بني عِجْل، منهم: عُتَيْبة بن النَّهّاس، وسعيد بن مُرّة، وفُرات بن حيّان، ومَذْعور بن عديّ، والمثنّى بن لاحق، وشدّ النّاس على أولئك النصارى. وكتب أردشير إلى بَهْمن جاذَوَيْه، وهو بقَشيناثا[6]، يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأُلَّيْس، فقدّم بهمن جاذَوَيْه جابانَ إليهم، وأمره بالتوقّف عن المحاربة إلى أن يقدَم عليه، ورجع بهمن جاذَوَيْه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل، فوجده مريضاً، فتوقّف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عِجْل، وتَيْم اللات، وضُبَيْعة، وجابر بن بُجَير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة،.

وكان خالد لما بلغه تجمّع نصارى بكر وغيرهم سار إليهم ولا يشعر بدنوّ جابان. فلمّا طلع جابان بأُلَّيْس قالت العجم له: أنعاجلهم أم نغدّي النّاس ولا نُريهم أنّا نحفل بهم ثمّ نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فعصوه وبسطوا الطعام، وانتهى خالد إليهم وحطّ الأثقال، فلمّا وُضعت توجّه إليهم، وطلب مبارزة عبد الأسود، وابن أبجر، ومالك بن قيس، فبرز إليه مالك من بينهم، فقتله خالد وأعجل الأعاجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: ألم أقلْ لكم والله ما دخلتْني من مقدّم جيش وحشة إلاّ هذا؟ وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسُمّوا الطعام، فإن ظفرتم فأيسر هالكٍ، وإنْ

---

(١) في الطبعة الأوربية «له».
(٢) في النسخة (ب): «موضعهم».
(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٣، ٣٥٤.
(٤) في الطبعة الأوربية «الليس».
(٥) في الطبعة الأوربية «وكانوا».
(٦) في معجم البلدان ٤/٣٥٠ «قُسْياثا» موضع بالعراق له ذكر في فتوح خالد بن الوليد. وليس فيه «قشيناثا» كما هنا. وفي تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ «قُسْيانا».

كـانت لهم هلكوا بـأكله، فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالاً شـديداً، والمشـركون يـزيدهم ثبـوتـاً توقّعهم قدوم بهمن جاذَوَيْه، فصابَرُوا المسلمين، فقال خالـد: اللهمّ إنْ هزمتَهم فعليّ أن لا أستبقي منهم مَنْ أقـدر عليه حتى أجـري من دمائهم نهـرهم. فانهـزمت فـارس فنـادى منادي خالد: الأَسَراء الأَسَراء إلاّ مَنِ امتنع فـاقتلوه. فأقبـل بهم المسلمون أُسـراء، ووكّل بهم مَنْ يضرب أعناقهم يوماً وليلةً. فقال له القعقاع وغيره: لو قتلتَ أهل الأرض لم تجرِ دماؤهم، فأرسلْ عليه الماء تُبِرّ يمينك؛ ففعل، وسُمّي نهر الدّم؛ ووقف خالد على الطعام وقـال للمسلمين: قد نفّلْتُكمـوه، فتعشّى به المسلمـون، وجعل من لم يـرَ الرقـاق يقول: ما هذه الرقاع البيض![1].

وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وكانت الوقعة في صفر.

ذِكْر وقعة أمغيشِيّا

فلمّـا فرغ من أُلّيْس سـار إلى أمْغِيشِيّا، وقيـل اسمها مَنِيشيـا، فأصـابوا فيهـا مـا لم يصيبوا مثله، لأنّ أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب أمغيشيّا. فلمّا بلغ ذلـك أبا بكـر قال: عجز النساء أن يلدن[2] مثل خالد[3].

ذكر وقعة يوم فرات[4] بادَقْلَى وفتْحه الحيرة

ثمّ سار خالد من أمغيشيّا إلى الحيـرة وحمل الـرحال[5] والأثقـال في السفن، فخرج مرزبان الحيرة، وهو الأزاذبَهْ، فعسكر عند الغريّين، وأرسـل ابنه فقـطع الماء عن السفن، فبقيت على الأرض. فسار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبه فلقيه على فرات بادَقْلَى فضربه وقتله وقتل أصحابه وسار نحـو الحيرة، فهـرب منه الأزاذبـه، وكان قـد بلغه مـوت أردشير وقتْـل ابنه، فهـرب بغيـر قتـال، ونـزل المسلمـون عنـد الغـريّين، وتحصّن أهـل الحيـرة فحصـرهم في قصورهم. وكـان ضِرار بن الأزور محـاصراً القصـر الأبيض وفيـه إيـاس بن قَبيصـة الطائيّ، وكـان ضِرار بن الخـطّاب محاصـراً قصر الغـريّين[6] وفيه عـديّ بن عـديّ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ - ٣٥٧.
(٢) في تاريخ الطبري «ينسلن».
(٣) الطبري ٣/٣٥٨، ٣٥٩.
(٤) في تاريخ الطبري ٣/٣٥٩ «حديث يوم المَقْر وفم فُرات بادَقْلَى».
(٥) في تاريخ الطبري «الرَّجْل»، وفي نسخة أخرى «الرجال».
(٦) الغـريّين: بظاهـر الكوفـة، بناهمـا المنذر بن امرىء القيس بن ماء السمـاء (معجم البلدان ٤/١٩٨). وفي تاريخ الطبري ٣/٣٦٠ «قصر العدسيّين».

المقتول، وكان ضِرار بن مُقَرِّن المُزَنيّ عاشر عشرة إخوة محاصراً قصر ابن مازن، وفيه ابن أكّال، وكان المثنّى محاصراً قصر ابن بُقَيْلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بُقَيْلة، فدعوهم جميعاً وأجّلوهم يوماً وليلة، فأبَى أهلُ الحيرة، وقاتلهم المسلمون، فافتتحوا الدُّور والديرات وأكثروا القتل. فنادى القسّيسون والرهبان: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم! فنادى أهل القصور المسلمين: قد قبِلْنا واحدةً من ثلاث، وهي: إمّا الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فكفّوا عنهم، وخرج إليهم إياس بن قَبيصة، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث، وهو بُقَيْلة، وإنّما سمّي بُقَيْلة لأنّه خرج على قومه في بُرْدَيْن أخضرَين، فقالوا: ما أنت إلاّ بُقَيْلة خضراء، فأرسلوهم إلى خالد، فكان الذي يتكلّم عنهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتَى عليك؟ قال: مئو سنين. قال: فما أعجبُ ما رأيت؟ قال: رأيتُ القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة فلا تتزوّد إلاّ رغيفاً. فتبسّم خالد وقال لأهل الحيرة: ألم يبلغني أنّكم خَبَثَة خَدَعَة، فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرِفٍ لا يُدْرَى[1] من أين جاء؟.

فأحبَّ عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله وصحّة ما حدّثه به، قال: وحقّك إنّي لأعرف من أين جئت! قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمّي. قال: فأين تريد؟ قال: أمامي. قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صُلْب أبي. قال: ففيمَ أنت؟ قال: في ثيابي. قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيّد[2]. قال خالد: إنّما أسألك! قال: فأنا أجيبك. قال: أسِلمٌ أنت أم حربٌ؟ قال: بل سلمٌ. قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم. قال خالد: قتلتْ أرضٌ جاهلها وقتل أرضاً عالمُها، القوم أعلم بما فيهم.

وكان مع ابن بُقَيْلة خادم معه كيس فيه سمّ، فأخذه خالد ونثره في يده وقال: لِمَ تستصحِب هذا؟ قال: خشيتُ أن تكونوا على غير ما رأيتُ، فكان الموت أحبَّ إليّ من مكروه أُدخِله على قومي. فقال خالد: إنّها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلِها، وقال: باسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض والسماء، الذي لا يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، وابتلع السمّ. فقال ابن بُقَيْلة: والله لتبلغُنّ ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا[3].

وأبَى خالد أن يصالحهم إلاّ على تسليم كَرامة بنت عبد المسيح إلى شُوَيْل، فأبوا، فقالت: هوّنوا عليهم وأسلموني فإنّي سأفتدي. ففعلوا، فأخذها شويل، فافتدت منه بألف

---

(١) في طبعة صادر ٣٩١/٢ «يدري» والتصويب من الطبري.
(٢) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣٦٣/٣.
(٣) الطبري ٣٦٣/٣.

درهم، فلامه النّاس، فقال: ما كنتُ أظنّ أنّ عدداً أكثر من هذا[1].

وكان سبب تسليمها إليه أنّ النبيّ، ﷺ، لما ذكر استيلاء أمّته على ملك فارس والحيرة سأله شُوَيْل أن يعطي كرامة ابنة عبد المسيح، وكان رآها شابّة فمال إليها، فوعده النبيّ، ﷺ، ذلك، فلمّا فُتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبيّ، ﷺ، أن يسلّمها إليه، فسلّمها إليه خالد[2].

وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفاً، وقيل: على مائتَيْ ألف وتسعين ألفاً، وأهدوا له هدايا. فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد أن يأخذ منهم بقيّة الجزية ويحسب لهم الهديّة.

وكان فتْح الحيرة في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتاباً، فلمّا كفر أهل السواد ضيّعوا الكتاب، فلمّا افتتحه المثنّى ثانية عاد بشرط آخر، فلمّا عادوا كفروا، وافتتحها سعد بن أبي وقّاص ووضع عليهم أربعمائة ألف.

قال خالد: ما لقيتُ قوماً كأهل فارس، وما لقيتُ من أهل فارس كأهل أُلَّيْس[3].

ذِكْر ما بعد الحيرة

قيل: كان الدهاقين يتربّصون بخالد [وينظرون] ما يصنع أهل الحيرة، فلمّا صالحهم واستقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سِرْيا وصَلُوبا ابن نسطونا ونسطونا، فصالحوه على ما بين الفلاليج[4] إلى هُرْمُزْجرد[5] على ألفَي ألف، وقيل: ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى، وبعث خالد عُمّاله ومسالحه، وبعث ضِرار بن الأزور، وضِرار بن الخطّاب، والقعقاع بن عمرو، والمثنّى بن حارثة، وعُتَيبة بن النهّاس، فنزلوا على السِّيب[6]، وهم كانوا أمراء الثغور مع خالد، وأمرهم بالغارة، فمخروا[7] ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة، وكتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فإنْ أجابوا وإلاّ حاربهم، فكان العجم مختلفين بموت أردشير، إلاّ أنّهم قد أنزلوا

---

(١) في النسخة (ب): «ألف». والخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٦٤ و ٣٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧.

(٤) الفلاليج: فلاليج السواد قراها، إحداها فَلُّوجة. (معجم البلدان ٤/٢٧٠).

(٥) هرمزجرد: ناحية كانت بأطراف العراق. (معجم البلدان ٥/٤٠٢).

(٦) السِّيْب: بكسر أوله وسكون ثانيه، وأصله مجرى الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة، وهم سيبان الأعلى والأسفل من طسّوج سُورا عند قصر ابن هبيرة. (معجم البلدان ٣/٢٩٣).

(٧) في النسخة (ب): فجردوا، وفي هامش النسخة «فنحروا».

بهمَن جاذَوَيْه بَهُرَسِير[1] ومعه غيره كأنّه مقدّمة لهم، وجبى خالد الخراج في خمسين ليلة وأعطاه المسلمين، ولم يبقَ لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمرٌ، لاختلافهم بموت أردشير، إلاّ أنّهم مجمعون على حرب خالد، وخالد مقيم بالحيرة يصعّد ويصوّب[2] سنةً قبل خروجه إلى الشام، والفُرس يخلعون ويملّكون ليس إلاّ الدفع عن بَهُرَسِير، وذلك أنّ شيرى بن كِسْرى قتل كلّ مَن كان يناسبه إلى أنو شروان، وقتل أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، من كان بين أنوشروان وبين بهرام جور، فبقوا لم يقدروا على مَنْ يملّكونه ممّنْ يجتمعون عليه. فلمّا وصلهم كُتبُ خالد تكلّم نساء آل كسرى، فوُلّي الفرّخزاد بن البنذوان إلى أن يجتمع آل كسرى على مَنْ يملّكونه إنْ وجدوه[3].

ووصل جَرير بن عبد الله البَجليّ إلى خالد بعد فتح الحيرة، وكان سبب وصوله إليه أنّه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام، فاستأذنه في المصير إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه ليجمعهم له، وكانوا أوزاعاً متفرّقين في العرب، فأذِن له، فقدِم على أبي بكر، فذكر له ذلك، وأنّ رسول الله، ﷺ، وعده به وشهد له شهود، فغضب أبو بكر وقال: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممّن بإزائهم من فارس والروم، ثمّ أنت تكلّفني ما لا يُغْني! وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد، فسار حتى قدِم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئاً ممّا قبلها بالعراق، ولا شيئاً ممّا كان خالد فيه من قتل أهل الرِّدة.

(عُتَيبة: بالتاء المثنّاة من فوقها، وبالياء المثنّاة من تحتها، وبالباء الموحّدة).

ذكر فتح الأنبار

ثمّ سار خالد على تعبيته إلى الأنبار، وإنّما سُمّي الأنبار لأنّ أهراء الطّعام كانت بها أنابير[4]، وعلى مقدّمته الأقْرع بن حابس. فلمّا بلغها أطاف بها وأنشب القتال، وكان قليل الصبر عنه، وتقدّم إلى رُماته أن يقصدوا عيونهم، فرموا رشقاً واحداً، ثمّ تابعوا فأصابوا ألف عين، فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون. وكان مَن بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط[5]، فلمّا رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردّ رُسُلَه ونحر من إبل العسكر كلّ ضعيف، وألقاه في خندقهم، ثمّ عبره، فاجتمع المسلمون والكفّار

---

(١) بَهُرَسِير: بالفتح ثم الضمّ، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. ويقال: بَهُرَسِير الرومقان. (معجم البلدان ١/٥١٥).

(٢) في النسخة (ب): «يضرب».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٩ - ٣٧٢.

(٤) العبارة في النسخة (ب): «لأهل الطعام كانت بها أنا بيرهم».

(٥) ساباط: هو ساباط كسرى، بالمدائن موضع معروف. قال أبو المنذر: إنّما سُمّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسُمّي به. (معجم البلدان ٣/١٩٦).

في الخندق، فأرسل شيرزاد إلى خالد وبذل له ما أراد، فصالحه على أن يُلْحقه بمأمنه في جريدة ليس معهم من متاع شيء، وخرج شيرزاد إلى بهمن جاذَوَيْه، ثمّ صالح خالد مَنْ حول الأنبار وأهل كَلْواذَى[1].

ذكر فتح عين التمر

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزِّبْرِقان بن بدر، وسار إلى عين التمر، وبها مِهران بن بهرام جُوبين، في جمْع عظيمٍ من العجم، وعَقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من النمِر، وتغلِب، وإياد، وغيرهم، فلمّا سمعوا بخالد قال عقّة لِمهران: إنّ العرب أعلم بقتال العرب فدَعْنا وخالداً. قال: صدقتَ فأنتم أعلم بقتال العرب، وإنّكم لمثلنا في قتال العجم. فخدعه واتّقى به وقال: إن احتجتم إلينا أَعَنّاكم. فلامه أصحابه من الفُرس على هذا القول، فقال لهم: إنّه قد جاءكم من قتْل[2] ملوككم (أمر عظيم)[3] وفلّ حدّكم فاتّقيتُه[4] بهم، فإن كانت لكم[5] على خالد فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء. فاعترفوا له، وسار عقّة إلى خالد فالتقوا، فحمل خالد بنفسه على عقّة وهو يقيم صفوفه، فاحتضنه وأخذه أسيراً، وانهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم.

فلمّا بلغ الخبر مِهْران هرب في جُنده وتركوا الحصن، فلمّا انتهَى المنهزمون إليه تحصّنوا به، فنازلهم خالد، فطلبوا منه الأمان، فأبَى، فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى وقتل عَقّة، ثمّ قتلهم أجمعين، وسبَى كلّ مَن في الحصن وغنِم ما فيه، ووجد في بِيعتهم[6] أربعين غلاماً يتعلّمون الإنجيل، فأخذهم فقسّمهم في أهل البلاء، منهم: سيرين أبو محمّد[7]، ونُصير أبو موسى[8]، وحُمران مولى عثمان[9]. وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخُمس.

---

(١) كَلْوَاذَى: طسوج قرب مدينة السلام ببغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربي من نهربوق. (معجم البلدان ٤/٤٧٧).
والخبر باختصار عن الطبري ٣/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) في النسخة (ب): «مَنْ قتل»، وفي النسخة (ت): «قبل».

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ب).

(٤) في النسخة (ب): «ما اتقيته».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ «لهم».

(٦) في النسخة (ب): «شعبهم».

(٧) في النسخة (ت): «سير بن أبي محمد».

(٨) إلى هنا في تاريخ خليفة ١١٨.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٣٧٧.

وفي عين التمر قُتل عُمَير بن رِئاب السّهْميّ، وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير بن سعد الأنصاريّ والد النعمان، فدُفن بها إلى جانب عُمَيْر.

ذكر خبر دُومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتابُ عِياض بن غنم يستمدّه على مَن بإزائه من المشركين، فسار خالد إليه، فكان بإزائه بَهْراء، وكلب، وغسّان، وتنوخ، والضّجاعم، وكانت دُومة على رئيسين: أُكَيْدر بن عبد الملك، والجُوديّ بن ربيعة، فأمّا أكيدر فلم يرَ قتال خالد وأشار بصلحه خوفاً، فلم يقبلوا منه، فخرج عنهم، وسمع خالد بمسيره، فأرسل إلى طريقه فأخذه أسيراً فقتله، وأخذ ما كان معه، وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل، فجعلها بينه وبين عِياض. فلمّا اطمأنّ خالد خرج إليه الجوديّ في جمع ممّنْ عنده من العرب لقتاله، وأخرج طائفة أخرى إلى عِياض، فقاتلهم عِياض فهزمهم، فهزم خالد مَنْ يليه، وأخذ الجوديّ أسيراً وانهزموا إلى الحصن، فلمّا امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله، فأخذهم خالد فقتلهم حتى سدّ باب الحصن، وقتل الجوديّ وقتل الأسرى إلا أسرى كلب، فإنّ تميم قالوا لخالد: قد أمّنّاهم، وكانوا حلفاءهم، فتركهم. ثمّ أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة وسبَى الذرّيّة والسَّرْح فباعهم، واشترى خالد ابنة الجوديّ، وكانت موصوفةً.

وأقام خالد بدومة الجندل، فطمع الأعاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقّة، فخرج زرمِهْر ورُوزبه يريدان الأنبار، واتّعدا حُصَيْداً والخنافس، فسمع القعقاع بن عمرو، وهو خليفة خالد على الحيرة، فأرسل أعبدَ بن فَدكيّ وأمره بالحصيد، وأرسل عُرْوة بن الجَعْد البارقيّ إلى الخنافس، فخرجا فحالا بينهما وبين الريف، ورجع خالد إلى الحيرة، فبلغه ذلك، وكان عازماً على مصادمة أهل المدائن، فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر، فعجّل القعقاعَ بن عمرو وأبا ليلى بن فدكيّ إلى رُوزبة وزرمِهْر. ووصل إلى خالد أنّ الهُذَيْل بن عِمْران قد عسكر بالمُصَيّخ، ونزل ربيعة بن بُجَير بالثّنيّ وبالبِشْر[1] غضباً لعقّة يريدان زرمِهْر ورُوزبة، فخرج خالد وسار إلى القعقاع وأبي ليلى فاجتمع بهما بالعين، فبعث القعقاعَ إلى حُصَيد، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس[2].

---

(١) البِشْر: بكسر أوله ثم السكون. وهو حبل يمتدّ من عُرْض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية. سُمّي بالبِشْر بن هلال بن عقبة. . (معجم البلدان ١/٤٢٦). وفي النسخة (ب) «بالسير».

(٢) الخبر باختصار عن الطبري ٣/٣٧٨ ـ ٣٨٠.

ذكر وقعة حُصَيد والخنافس

فسار القعقاع نحو حصيد، وقد اجتمع بها رُوزبة وزَرْمِهر، فالتقوا بُحصَيد، فقُتل من العجم مقتلة عظيمة، فقتل القعقاعُ زرمِهْر، وقتل عِصمةُ بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف الضَّبّيّ رُوزبة، وكان عِصمة من البَرَرَة، وهم كلّ فخذ هاجرت بأسرها، والخيّرَة كلّ قوم هاجروا من بطن، وغنِم المسلمون ما في حُصَيد، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس، وسار أبو ليلى بمن معه إلى الخنافس وبها المَهْبُوذان على العسكر، فلمّا أحسّ المهبوذان بهم هرب إلى المُصَيّخ إلى الهُذَيْل بن عِمْران[1].

ذكر وقعة مُصَيّخ[2] بني البَرْشاء

ولما انتهَى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحُصَيد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع، وأبي ليلى، وأعبد، وعُرْوة، وواعدهم ليلةً وساعةً يجتمعون فيها إلى المُصَيّخ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم. فلمّا كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتّفقوا جميعاً بالمصيّخ، فأغاروا على الهُذَيْل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجُهٍ فقتلوهم، وأفلت الهُذَيل في ناس قليل وكثُر فيهم القتل، وكان مع الهُذَيل عبد العُزّى بن أبي رُهْم أخو أوس مَناة ولَبيد بن جَرير، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما، فقُتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العُزّى:

أقولُ إذ طَرَقَ الصَّباحُ بغارَةٍ ... سبحانك اللّهمّ رَبّ مُحَمّد
سُبحانَ رَبّي لا إلَهَ غيرُهُ ... رَبّ البلاد وربّ مَنْ يَتَوَرّدُ[3]

فوداهما وأوصى بأولادهما، فكان عمر يعتدّ بقتلهما وقتل مالك بن نُويرة على خالد، فيقول أبو بكر: كذلك يلقى مَنْ نازل أهل الشرك. وقد كان حُرْقوص بن النعمان بن النّمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه، فجلس مع زوجته وأولاده يشربون، فقال لهم: اشربوا شرابَ مودّع، هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد؛ ثمّ قال:

ألا سقّياني قبل خَيل أبي بكرِ ... لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرِي

فضرب رأسه، فإذا هو في جفنة فيها الخمر، وقتلوا أولاده وأخذوا بناته[4].

وقيل: إنّ قتل حُرْقوص وهذه الوقعة ووقعة الثّني كان في مسير خالد بن الوليد من

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٨٠.
(٢) في الطبعة الأوربية «مضيَّح».
(٣) في البيت إقواء.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨١، ٣٨٢.

العراق إلى الشام، وسيُذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر وقعة الثَّنِيّ والزُّمَيْل

وكان ربيعة بن بُجَير التغلبيّ بالثَّنِيّ والبِشر، وهو الزُّمَيْل، وهما شرقي الرُّصافة، قد خرج غضباً لعَقّة، وواعد رُوزبة وزرمِهْر والهُذَيْل، ولما أصاب خالد أهل المصيّخ[1] واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة، وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم، فسار خالد من المصيّخ، فاجتمع هو وأصحابه بالثنيّ، فبيّتهم من ثلاثة أوجهٍ وجرّدوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مُخْبِرٌ، وغنِم وسبى وبعث بالخبر والخُمس إلى أبي بكر، فاشترى عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، بنت ربيعة بن بُجَير التغلبيّ، فولدت له عمَر ورُقيّة.

ولما انهزم الهُذَيْل بالمصيّخ لحِق بعتّاب بن فلان، وهو بالبِشر، في عسكر ضخم، فبيّتهم خالد بغارة شعْواء من ثلاثة أوجهٍ قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم، وبعث الخُمْس إلى أبي بكر، وسار خالد من البِشر إلى الرُّضاب، وبها هِلال بن عَقّة، فتفرّق عنه أصحابه، وسار هلال عنها فلم يلقَ خالد بها كيداً[2].

ذكر وقعة الفِراض

ثمّ سار خالد من الرُّضاب[3] إلى الفِراض[4]، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، وأفطر بها رمضان لاتّصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مَسالح الفرس فأعانوهم، واجتمع معهم تغلِب، وإياد، والنّمِر، وساروا إلى خالد. فلمّا بلغوا الفراتَ قالوا له: إمّا أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم. قال خالد: اعبروا. قالوا له: تنحَّ عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل، ولكن اعبروا أسفل منّا. فعبروا أسفلَ من خالد، وعظُم في أعينهم، وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم [من يثب] ممَّنْ يولّي. ففعلوا، فاقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزمت الروم ومَنْ معهم، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم، فقُتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفِراض عشراً، ثمّ أذن

(١) في الطبعة الأوربية «المضيّح».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٢، ٣٨٣.
(٣) الرضاب: موضع بالرُّصافة قبل بناء هشام إيّاها. (معجم البلدان ٣/٥٠).
(٤) الفِراض: بكسر أوله. موضع بين البصرة واليمامة قرب فُليج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٤٣).

بالرجوع إلى الحيرة لخمسٍ بقين من ذي القعدة، وجعل شَجَرَ بن الأعَزّ[1] على الساقة، وأظهر خالد أنّه في الساقة[2].

ذكر حَجّة خالد

ثمّ خرج خالد حاجّاً من الفِراض سِرّاً ومعه عدّة من أصحابه يعتسف[3] البلاد، فأتى مكّة وحجّ ورجع، فما توافى جُنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة، فقدِما معاً وخالد وأصحابه محلِّقون، ولم يعلم بحَجّه إلاّ مَنْ أعلمه به، ولم يعلم أبو بكر بذلك إلاّ بعد رجوعه، فعتب عليه، وكانت عقوبته إيّاه أن صرفه إلى الشام من العراق ممدّاً جموع المسلمين باليرموك، وكان أهل العراق أيّام عليّ إذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون: نحن أصحاب ذات السلاسل، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض، ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقاراً للذي كان بعدها.

وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد، ووجّه المثنّى فأغار على سوق فيها جمعٌ لقُضاعة وبكر[4]، وأغار أيضاً على مَسْكِن[5]، وقُطرَبُّل[6]، وتلّ عَقْرَقُوف[7]، وبادُورَيا[8]؛ قال الشاعر:

وللمُثنّى بالعَالِ مَعركَةٌ ... شاهدَها مِنْ قَبيلِه بَشَرُ
كَتيبةٌ أفزَعَتْ بوَقْعَتِها ... كِسرَى وكادَ الإيوانُ ينفطرُ
وشجّعَ المسلمينَ إذْ حذرُوا[9] ... وفي صُرُوفِ التّجارِب العِبَرُ
سهّلَ نَهجَ السّبيلِ فاقتفَرُوا ... آثارَهُ وَالأمُورُ تُقْتَفَرُ

---

(١) في إحدى النسخ «سحرة بن الأعر»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٨٤ «شجرة».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) في طبعة صادر ٢/٤٠٠ «يعسف». ويعتسف الطريق: يقطعه دون صوب توخّاه فأصابه.

(٤) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣/٣٨٤، ٣٨٥.

(٥) مَسْكِن: بالفتح، ثم السكون، وكسر الكاف. موضع قريب من أوانا على نهر دُجَيل عند دير الجاثليق. (معجم البلدان ٥/١٢٧).

(٦) قُطْرَبُّلْ: بالضمّ ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحّدة مشدَّدة مضمومة، ولام. وقد رُوي بفتح أوله وطائه، وأما الباء فمشدَّدة مضمومة في الروايتين، وهي كلمة أعجميّة: إسم قرية بين بغداد وعُكبرا يُنسب إليها الخمر. (معجم البلدان ٤/٣٧١).

(٧) عقرقوف: هو عقر أضيف إليه قوف فصار مركّباً مثل حضرموت وبعلبك. قرية نواحي دُجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. (معجم البلدان ٤/١٣٧).

(٨) بادُورَيا: بالواو، والراء، وياء، وألِف: طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد. (معجم البلدان ١/٣١٧).

(٩) في النسخة (ب): «حضروا». وفي فتوح البلدان «شُجِّع المسلمون».

يعني بالعال: الأنبار، ومَسْكِن، وقُطربُّل، وبادُورَيَا[١].

* * *

وفيها تزوّج عمر عاتكة بنت زيد[٢].

وفيها مات أبو العاص بن الربيع[٣] في ذي الحجّة وأوصى إلى الزّبَير، وتزوّج عليّ، عليه السلام، ابنته أُمامة، وأُمُّها زينب بنت رسول الله، ﷺ[٤].

وفيها اشترى عُمر أسلم مولاه في قول[٥].

وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفّان[٦]، وقيل: حجّ بالنّاس عمر بن الخطّاب أو عبد الرحمن بن عوف[٧].

[الوَفَيَات]

وفيها مات أبو مَرْثد الغَنَويّ[٨]، وهو بدري، وكان ابنه مَرْثد بن أبي مرثد قد قُتل بالرَّجيع[٩]، وهو بدريّ أيضاً.

(١) فتوح البلدان ٣٠٥، ٣٠٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥.
(٣) تاريخ خليفة ١١٩.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥، عيون التواريخ ١/٥٠٧، ٥٠٨، مرآة الجنان ١/٦٤.
(٥) الطبري ٣/٣٨٥، وفي تاريخ خليفة ١١٧ في سنة ١١هـ.
(٦) تاريخ خليفة ١١٩، الطبري ٣/٣٨٦.
(٧) الطبري ٣/٣٨٦، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩١.
(٨) الطبري ٣/٣٨٥.
(٩) تاريخ خليفة ٧٥.

١٣
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر فتوح الشام[1]

قيل: في سنة ثلاث عشرة وجّه أبو بكر الجنود إلى الشام بعد عَوْده من الحجّ، فبعث خالدَ بنَ سعيد بن العاص، وقيل: إنّما سيّره لما سيّر خالدَ بنَ الوليد إلى العراق، وكان أوّل لواء عقده إلى الشام لواء خالد، ثمّ عزله قبل أن يسير.

وكان سبب عزله أنّه تربّص ببيعه أبي بكر شهرَيْن، ولقي عليَّ بن أبي طالب وعثمانَ بنَ عفّان فقال: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغُلِبْتم عليها؟ فقال عليّ: أمغالبةً ترى أم خِلافة.

فأمّا أبو بكر فلم يحقدها[2] عليه، وأمّا عمر فاضطّغنها عليه، فلمّا ولّاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الإمارة وجعله رِدْءاً للمسلمين بتَيماء، وأمره أن لا يفارقها إلّا بأمره، وأن يدعو مَنْ حوله من العرب إلّا مَن ارتدّ، وأن لا يقاتل إلّا مَنْ قاتله. فاجتمع إليه جموع كثيرة، وبلغ خبرهُ الروم فضربوا البعثَ على العرب الضاحية بالشام من: بَهْراء، وسَليح، وغسّان، وكلب، ولخم، وجُذام، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر: أقدِمْ ولا تقتحمنّ. فسار إليهم، فلمّا دنا منهم تفرّقوا، فنزل منزلهم وكتب إلى أبي بكر بذلك، فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتَى من خلفه. فسار حتى جازه قليلاً ونزل[3]، فسار إليه بَطْريق [من بطارقة] الروم يُدْعَى باهان، فقاتله فهزمه وقتل من جُنده، فكتب خالد إلى أبي بكر يستمدّه، وكان قد قدِم على أبي بكر أوائل مستنفري

---

(١) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٣، فتوح البلدان للبلاذري ١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٣٨٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩٠ وما بعدها، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٤، مروج الذهب ٢/٣٠٩، مرآة الجنان ١/٦٥، عيون التواريخ ١/٥٠٩، تاريخ دمشق ١/٤٤١، وانظر فتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والفتوح لابن أعثم الكوفي، وتاريخ الإسلام للذهبي (عصر الخلفاء الراشدين) بتحقيقنا.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٨٧ «فلم يحفلها».

(٣) في الطبعة الأوربية «ينزل».

اليمن وفيهم ذو الكَلاع، وقدِم عِكرِمة بن أبي جهل فيمن معه من تِهامة، وعُمان، والبحرين، والسّرْو، فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يُبْدلوا مَن استبدل، فكلّهم استبدل، فسُمّي جيش البِدال، وقدِموا على خالد بن سعيد.

وعندها اهتمّ أبو بكر بالشام وعناه أمره، وكان أبو بكر قد ردّ عمرو بن العاص إلى عمله الذي كان رسول الله، ﷺ، ولّاه إيّاه من صدقات سعد هُذَيْم وعُذْرة وغيرهم، قبل ذهابه إلى عُمان، ووعده أن يُعيده إلى عمله بعد عَوده من عُمان، فأنجز له أبو بكر عِدة رسول الله، ﷺ.

فلمّا عزم على قصْد الشام كتب له: إنّي كنتُ قد رددتُك على العمل الذي ولّاك رسول الله، ﷺ، مرّة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله، ﷺ، وقد وليتَهُ، وقد أحببتُ أنْ أُفْرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلّا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك.

فكتب إليه عمرو: إنّي سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارمِ به. فأمره وأمر الوليدَ بن عُقبة، وكان على بعض صدقات قُضاعة، أن يجمعا العرب، ففعلا، وأرسل أبو بكر إلى عمرو بعض مَنِ اجتمع إليه، وأمره بطريقٍ سمّاها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بالأردنّ وأمدّه ببعضهم، وأمّر يزيدَ بنَ أبي سفيانَ على جيش عظيم هو جمهور مَنِ انتدب إليه، فيهم سُهَيْل بن عمرو في أمثاله من أهل مكّة، وشيّعه ماشياً[1]، وأوصاه وغيرَه من الأمراء[2]، فكان ممّا قال ليزيد:

«.. إنّي قد ولّيتُك لأبلوَك وأجرّبك وأُخرّجك، فإن أحسنتَ رددتُك إلى عملك وزدتُك، وإن أسأتَ عزلتُك، فعليك بتقوى الله فإنّه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإنّ أولى النّاس بالله أشدّهم تولّياً له، وأقرب النّاس من الله أشدّهم تقرّباً إليه بعمله، وقد ولّيتُك عمل خالد فإيّاك وعُبّيّة الجاهليّة، فإنّ الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدِمتَ على جُندك فأحسِن صُحْبتهم وابدأهم بالخير وعِدْهم إيّاه، وإذا وعظتهم فأوجزْ فإنّ كثير الكلام يُنسي بعضه بعضاً، وأصلِحْ نفسَك يصلحْ لك النّاس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشّع فيها، وإذا قدِم عليك رُسُل عدوّك فأكرِمْهم وأقلِلْ لَبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تُرِينّهم[3] فيروا خللك ويعلموا علمك،

---

(١) من هنا ناقص في النسخة (ب).
(٢) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٠.
(٣) في الطبعة الأوروبية «يرينهم».

وأنزِلْهم في ثروة عسكرك، وامنعْ مَنْ قِبَلَكَ من محادثتهم، وكنْ أنت المتولّي لكلامهم، ولا تجعلْ سرّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدَق المشورة، ولا تخزنْ عن المشير خبرَك فتؤتى من قِبَل نفسك، واسمرْ باللّيل في أصحابك تأتِك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثِرْ حَرَسَك وبدِّدْهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمَنْ وجدتَهُ غفل عن محرسه فأحسِنْ أدبه وعاقبْه في غير إفراط، وأعقِبْ بينهم باللّيل، واجعلِ النّوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تَخَفْ من عقوبة المستحقّ، ولا تلجَّنَّ فيها، ولا تسرعْ إليها، ولا تخذلْها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتُفسده، ولا تَجسّسْ عليهم فتفضحَهم، ولا تكشِف النّاس عن أسرارهم، واكتفِ[1] بعلانيتهم، ولا تجالِس العبّاثين، وجالِس أهلَ الصدق والوفاء، واصدقِ اللّقاء، ولا تجبنْ فيجبنَ النّاس، واجتنبِ الغلول فإنّه يقرِّب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدَعْهم وما حبسوا أنفسهم له»[2].

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لوُلاة الأمر.

ثمّ إنّ أبا بكر[3] استعمل أبا عُبَيْدة بن الجرّاح على مَنِ اجتمع وأمره بحِمْص[4]، وسار أبو عُبيدة على بابٍ[5] من البلقاء فقاتله أهله ثمّ صالحوه، فكان أوّل صلح في الشام.

واجتمع للروم جمع بالعَرَبَة من أرض فلسطين، فوجّه[6] إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أُمامة الباهليّ فهزمهم، فكان أوّل قتال بالشام بعد سريّة أُسامة بن زيد[7]. ثمّ أتوا الدائن[8] فهزمهم أبو أُمامة أيضاً، ثمّ مرج الصُّفَّر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد، وقيل: استشهد فيها خالد أيضاً[9]، وقيل: بل سلِم وانهزم على ما نذكره، وذلك أنّه لما سمع توجيه الأمراء بالجنود بادر لقتال الروم، فاستطرد له باهان فاتبعه خالد ومعه ذو الكلاع

---

(١) في الطبعة الأوربية «واكنفْ».

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) حتى هنا ينتهي النقص في النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٩٠.

(٥) هكذا في الأصول. وفي فتوح البلدان للبلاذري ١٣٤ رقم ٣١٣ «مآب». قال ياقوت في معجم البلدان ٣١/٥: «مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء».

(٦) في النسخة (ب) زيادة «بعد سرية».

(٧) الخبر في معجم البلدان ـ مادّة «عَرَبَة» ج ٩٦/٤ وانظر: فتوح البلدان ١٣٠.

(٨) دائن: ناحية قرب غزّة بأعمال فلسطين بالشام. (معجم البلدان ٤١٧/٢).

(٩) تاريخ خليفة ١٢٠.

وعِكرمة والوليد فنزل مرج الصُّفَّر، فاجتمعت عليه مَسالح باهان وأخذوا الطُّرُق، وخَرج باهان فرأى ابن خالد بنِ سعيد فقتله ومَنْ معه، فسمع خالد فانهزم، فوصل في هزيمته إلى ذي المَرْوة قريب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها، وبقي عِكرمة في النّاس رِدْءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم[1].

وكان قد قدِم شُرَحْبيلِ بن حَسَنَة من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر وافداً، فأمره أبو بكر بالشام وندب معه النّاس واستعمله على عمل الوليد بن عُقبة. فأتَى شُرَحْبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه ببعض أصحابه، واجتمع إلى أبي بكر ناس[2] فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللّحاق بأخيه يزيد، فلمّا مرّ[3] بخالد فصل عنه بباقي أصحابه[4]. فأذِن أبو بكر لخالد بدخول المدينة[5]. فلمّا وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عُبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاءَ، ونزل شُرَحْبيل الأردنّ، وقيل بُصْرى، ونزل عمرو بن العاص العَرَبة. فبلغ الرومَ ذلك فكتبوا إلى هِرَقْل، وكان بالقُدْس، فقال: أرى أن تصالحوا المسلمين، فَوَاللّهِ لأنْ تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحبّ إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم. فتفرّقوا عنه وعصوه، فجمعهم وسار بهم إلى حِمْص، فنزلها وأعدّ الجنود والعساكر، وأراد إشغال كلّ طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره، لكثرة جنده، لتضعف كلّ فرقة من المسلمين عمّن بإزائه، فأرسل تَذَارق أخاه لأبيه وأمّه في تسعين ألفاً إلى عمرو، وأرسل جَرَجَة بن توذر[6] إلى يزيد بن أبي سفيان، وبعث القيقار[7] بن نَسطوس في ستّين ألفاً إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وبعث الدُّراقص نحو شُرَحْبيل، فهابهم المسلمون وكاتبوا عَمراً ما الرأي، فأجابهم: إنّ الرأي لمثلنا الاجتماع، فإنّ مِثْلنا إذا اجتمعنا لا نُغْلَب من قلّة، فإن تفرّقنا لا يقوم كلّ فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدوّنا.

وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال: إنّ مثلكم لا يؤتى من قلّة وإنّما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، فاجتمِعوا باليرموك متساندين، وليصلْ كلّ واحد منكم بأصحابه. فاجتمع المسلمون باليرموك، والروم أيضاً وعليهم

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٩١.
(٢) هكذا في الأصول، وفي النسخة (ب): «فوارس». وفي تاريخ الطبري ٣/٣٩١.
(٣) في النسخة (ب): «لحق».
(٤) حتى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩١.
(٥) الطبري ٣/٣٩٢.
(٦) عند الطبري «توذرا».
(٧) في النسخة (ت): «فيقار». وفي النسخة (ب): «القنقار».

التّذارق، وعلى المقدّمة جَرَجَة، وعلى المجنّبَة باهان، ولم يكن وصل بعدُ إليهم، والدُّراقص على الأخرى، وعلى الحرب القيقار[1]. فنزل الروم وصار الوادي خندقاً لهم، وإنّما أرادوا أن يتأنّس الروم بالمسلمين لترجع إليهم قلوبهم، ونزل المسلمون على طريقهم، ليس للروم طريق إلاّ عليهم، فقال عمرو: أبشِروا! حُصرت الروم وقلّ ما جاء محصورٌ بخير. وأقاموا صفراً عليهم وشهرَيْ ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق، ولا يُخْرج الروم خرجة إلاّ أُديل[2] عليهم المسلمون[3].

ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدّوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إليهم وبالحثّ[4] وأن يأخذ نصف النّاس ويستخلف على النصف الآخر المثنّى بن حارثة الشيبانيّ[5]، ولا يأخذنّ مَنْ فيه نجدة إلاّ ويترك عند المثنّى مثله، وإذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه إلى العراق.

فاستأثر خالد بأصحاب النبيّ، ﷺ، على المثنّى وترك للمثنّى عدادهم من أهل القناعة مَنْ ليس له صحبة، ثمّ قسَم الجند نصفَين، فقال المثنّى: والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر، وبالله ما أرجو النصر إلاّ بأصحاب النبيّ، ﷺ. فلمّا رأى خالد ذلك أرضاه[6].

وقيل: سار من العراق في ثمانمائة، وقيل؛ في ستّمائة، وقيل؛ في خمسمائة[7]، وقيل: في تسعة آلاف[8]، وقيل: في ستّة آلاف.

وقيل: إنّما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القوّة والنجدة، فأتى حَدَوْداء[9] فقاتله أهلها فظفر بهم، وأتى المصيّخ وبه جمْعٌ من تغلِب فقاتلهم وظفر بهم وسبَى وغنِم[10].

---

(١) في النسخة (ت): «فيقار»، والنسخة (ب) «القنقار»، وفي نسخة دي غوية: «الفيقار».

(٢) في النسخة (ب): «أغار»، وجاء في لسان العرب: يقال: «أُديل لنا على أعدائنا، أي نُصِرنا عليهم، وكانت الدولة لنا».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) الطبري ٣/٣٩٣.

(٥) فتوح البلدان ١٣١.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤١١.

(٧) الأقوال في فتوح البلدان ١٣١.

(٨) الطبري ٣/٤١١.

(٩) حَدَوْداء: بفتحتين وسكون الواو، ودال أخرى، وألِف ممدودة. موضع في بلاد عُذرة. ويروى بالقصر. (معجم البلدان ٢/٢٢٩).

(١٠) الطبري ٣/٤١٠، فتوح البلدان ١٣١.

وكـان من السَّبي: الصَّهْبـاء بنت حَبيب بن بُجَيـر، وهي أمّ عمـر بن علـيّ بـن أبي طالب[1]، وقيل في أمرها ما تقدّم..

وقيل: سار خالد فلمّا وصل إلى قُراقر[2]، وهو ماء لكلْب، أغار على أهلها وأراد أن يسير منهم مفوّزاً إلى سُوَى[3]، وهو مـاء لبهراء بينهمـا خمس ليال، فـالتمس دليلاً، فـدُلّ على رافـع بن[4] عَمِيرة الـطائي، فقال لـه في ذلك، فقـال له رافـع: إنّك لن تُـطيق ذلـك بالخيل والأثقـال، فَوَ اللَّهِ إنّ الـراكب المفرد يخـافه على نفسـه. فقال: إنـه لا بُدّ لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلاّ يحبسني عن غياث المسلمين. فـأمر صـاحب كلّ جماعة أن يـأخذ المـاء للشعبة لخمْس، وأن يعـطّش من الإبل الشُّرُف ما يكتفي بـه، ثمّ يسقـوها عَلَلاً بعـد نَهَل، والعَلَل الشـربة الثـانية، والنَّهَـل الأولى، ثمّ يصـرّوا آذان الإبـل ويشدّوا مشافرها لئلاّ تجترّ. ثمّ ركبوا من قُراقِـر، فلمّا سـاروا يومـاً وليلة شقّوا لعـدّة[5] من الخيل بطون عشرة من الإبل، فمزجوا ماء في كروشها بما كان من الألبان وسقـوا الخيل، ففعلوا ذلك أربعة أيام. فلمّا دنا من العَلَمَين قال للنّاس: انظروا هل تَرَوْن شجـرة عَوْسـج كقعدة الرجل؟ فقالـوا: ما نـراها. فقـال: إنّا لله وإنّـا إليه راجعـون، هلكتم والله وهلكت معكم! وكان أرمد. فقال لهم: انظروا ويحكم! فنظروا فرأوها قد قُطعت وبقي منها بقيّة. فلمّا رأوها كبّروا، فقال رافع: احفروا في أصلها. فحفروا واستخرجوا عيناً، فشربـوا حتى روي النّاسُ. فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قطّ إلاّ مرّة واحدة مـع أبي وأنا غـلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عـينـا رافـع[6] أنّـى اهْـتَـدَى ... فَـوّزَ مـن قُـراقِـرٍ إلـى سُـوَى[7]

خِمْسـاً إذا ما سـارَ[8] الجيش بكى ... مـا سـارَهـا قبلكَ إنسِيٌّ يُـرَى[9]

---

(1) فتوح البلدان ١٣١.

(2) قُراقِر: بضم أوله. اسم وادٍ أصله من الدهناء. وهو وادٍ لكلب بـالسماوة من نـاحية العـراق. (معجم البلدان ٣١٧/٤).

(3) سُوَى: بضمّ أوله والقصر. اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة. (معجم البلدان ٢٧١/٣).

(4) في الطبعة الأوربية «من».

(5) في الطبعة الأوربية «العدّة».

(6) في فتوح البلدان: «لله دَرُّ نافعٍ» وفي معجم البلدان «لله درّ رافع».

(7) في النسخة (ب) «سرى».

(8) في تاريخ الطبري «سارها».

(9) تاريخ الطبري ٤١٦/٣ وفي فتوح البلدان ١٣١:

مـاء إذا مـا رامـه الـجِـبْس انـثـنـى ... مـا جـازهـا قـبـلُك مـن إنسٍ يُـرَى

وفي معجم البلدان ٢٧١/٣:

خمسـاً إذا مـا سـارهـا الجبسُ بـكى ... مـا سَـارهـا مـن قـبـلـه إنسٌ يُـرَى

فلمّا انتهى خالد إلى سُوَى[1] أغار على أهلها وهم بهراء وهم يشربون الخمر ومغنّيهم يقول:

ألا عَلّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ ... لعَلّ مَنايانا قريبٌ وَلا[2] نَدْرِي

ألا عَلّلاني بالزُّجاجِ وكَرّرُوا ... عليّ كُمَيتَ[3] اللّونِ صافيةً تجرِي

ألا عَلّلاني من سُلافةِ قَهوَةٍ ... تُسلّي همومَ النّفس من جيّد الخمرِ

أظُنُّ خُيولَ المُسلمينَ وخالِداً ... ستطرُقكم قبل الصّباحِ معَ النّسرِ[4]

فهل لكُمُ في السّيرِ قبل قتالِكُمْ[5] ... وقبل خُرُوج المُعصِرَات من الخِدْرِ

فقتل المسلمون مُغَنّيهم وسال دمه في تلك الجفنة وأخذوا أموالهم[6]، وقُتل حُرْقوص بن النُّعْمان البَهْرانيّ[7]. ثمّ أتى أرَك[8] فصالحوه، ثمّ أتى تَدْمُرَ فتحصّن أهله ثمّ صالحوه، ثمّ أتى القَريتَين[9] فقاتلهم فظفر بهم وغنِم، وأتى حُوَّارِين[10] فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبَى، وأتَى قُصَمَ[11] فصالحه بنو مَشْجَعة من قُضاعة، وسار فوصل إلى ثنيّة العُقاب عند دمشق ناشراً رايته، وهي راية سوداء وكانت لرسول الله ﷺ، تسمّى العُقاب، وقيل: كانت رايته تسمّى العُقاب فسُمّيت الثنيّة بها، وقيل: سُمّيت بعُقاب من الطير سقطت عليها، والأوّل أصحّ[12].

ثمّ سار فأتَى مرجَ راهط فأغار على[13] غسّان في يوم فِصْحهم[14] فقتل وسبَى،

---

(١) في النسخ (ب): «سرى».

(٢) هكذا في فتوح البلدان ١٣٢، وفي تاريخ الطبري «وما» ٤١٦. وانظر البيت بألفاظ مختلفة في: المعرفة والتاريخ ٢٩٢/٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٤١٧/٣ «كُمَيتَ».

(٤) في تاريخ الطبري ٤١٧/٣ ونهاية الأب «من البشر».

(٥) في تاريخ الطبري «قتالهم».

(٦) فتوح البلدان ١٣٢، تاريخ الطبري ٤١٧/٣.

(٧) فتوح البلدان ١٣١.

(٨) أرك: بفتحتين: مدينة صغيرة في طرف بريّة حلب قرب تدمُر، وهي ذات نخل وزيتون. وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام. (معجم البلدان ١٥٣/١).

(٩) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البريّة بينها وبين سُخْنة، وأرك كلهم نصارى (في أيام ياقوت). (معجم البلدان ٣٣٦/٤).

(١٠) حُوَّارَيْن: بالضمّ، وتشديد الواو، ويُختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وياء ساكنة، ونون. حصن من ناحية حمص. (معجم البلدان ٣١٥/٢).

(١١) قُصَم: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق. (معجم البلدان ٣٦٥/٤).

(١٢) فتوح البلدان ١٣٢، ١٣٣، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٦، ٢٨٧، تاريخ اليعقوبي ١٣٤/٢.

(١٣) في إحدى النسخ: «على مرج».

(١٤) في النسخة (ب): «فصبحهم».

وأرسل سريّة إلى كنيسة بالغوطة، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد. ثمّ سار حتى وصل إلى بُصْرى، فقاتل مَنْ بها، فظفِر بهم وصالحهم، فكانت بُصرى أوّل مدينة فُتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق[1]. وبعث بالأخماس إلى أبي بكر. ثمّ سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر، وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسّيسون والرهبان يحرّضون الروم على القتال، وخرج باهان كالمعتذر[2]، فولي خالد قتاله، وقاتل الأمراء مَنْ بإزائهم، ورجع باهان والروم إلى خندقهم وقد نال منهم المسلمون[3].

(عَمِيرة: بفتح العين المهملة وكسر الميم).

ذكر وقعة اليرموك

فلمّا تكامل جمع المسلمين باليرموك، وكانوا سبعة وعشرين ألفاً، قدِم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستّة وثلاثين ألفاً سوى عِكرمة، فإنّه كان رِدءاً لهم، وقيل: بل كانوا سبعة وعشرين ألفاً وثلاثة آلاف من فُلّال خالد بن سعيد، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد، فصاروا أربعين ألفاً سوى ستّة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل، وقيل في عددهم غير ذلك، والله أعلم[4].

وكان فيهم ألف صحابيّ، منهم نحو مائة ممّنْ شهد بدراً[5]. وكان الروم في مائتَيْ ألف وأربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألف مقيّد، وأربعون ألف مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربَّطون بالعمائم لئلا يفرّوا، وثمانون ألف رجل، وقيل: كانوا مائة ألف، وكان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد، حتى قدِم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسّيسون والرهبان يحرّضون الروم شهراً، ثمّ خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جُمادَى الآخرة[6].

فلمّا أحسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين، فسار فيهم خالد بن الوليد فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «إنّ هذا يوم من أيّام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا

---

(١) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ الطبري ٣/ ٤١٠، ٤١١ و٤١٧، المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٣، تاريخ دمشق ١/ ٤٦٠.

(٢) في تاريخ الطبري «كالمقتدر».

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٧.

(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٥.

البغي، أخلِصوا جهادكم وأَريدوا[1] الله بعملكم، فإنّ هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون[2]، فإنّ ذلك لا يحلّ ولا ينبغي، وإنّ مَنْ وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تُؤمروا به بالذي ترون أنّه رأيٌ من واليكم ومحبّته». قالوا: هات فما الرأي؟ قال: «إنّ أبا بكر لم يبعثنا إلّا وهو يرى أنّا سنتياسر، ولو علِم بالذي كان ويكون، لقد جمعكم، إنّ الذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشِيَهم، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم، ولقد علمتُ أنّ الدنيا فرّقت بينكم، فالله اللّهَ! فقد أفرِد كلّ رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان [لأحد] من الأمراء[3]، ولا يزيده عليه إن دانوا له. إنّ تأمير بعضكم لا ينتقصكم[4] عند الله ولا عند خليفة رسول الله، ﷺ. هلمّوا فإن هؤلاء قد تهيّأوا، وإنّ هذا يوم له ما بعده، إنْ رددْناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم، وإنْ هزمونا لم نُفْلح بعدها. فهلمّوا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا[5] اليوم، والآخر بعد غد، حتى تتأمّروا كلّكم، ودعوني أتأمّر اليوم». فأمّروه وهم يرون أنّها كخرجاتهم، وأنّ الأمر [لا] يطول.

فخرجت الروم في تعبية لم يرَ الراؤون مثلها قطّ، وخرج خالد في تعبية لم تُعَبّها العرب قبل ذلك، فخرج في ستّة وثلاثين كُرْدوساً[6] إلى الأربعين، وقال: «إنّ عدوّكم كثير[7] وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عُبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشُرَحبيل[8] بن حَسَنَة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كُرْدوسٍ القعقاعُ بن عمرو، وجعل على كلّ كُردوس رجلاً من الشجعان، وكان القاضي أبو الدَّرداء، وكان القاصّ أبوسفيان بن حرب، وعلى الطلائع قَباث بن أشْيم، وعلى الأقباض[9] عبد الله بن مسعود.

وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين! فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقلّ الروم، إنّما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان، والله لودِدْتُ أنّ الأشقر، يعني

---

(١) في النسخة (ب): «وارضوا».
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٩٥ «على تساند».
(٣) عند الطبري «امراء الجنود».
(٤) عند الطبري ٣/٣٩٦ «ينقصكم».
(٥) عند الطبري «فليكن عليها بعضنا».
(٦) الكُرْدوس: القطعة العظيمة من الخيل، يقال: كردس القائد خيله، أي جعلها كتيبة منه.
(٧) عند الطبري ٣/٣٩٦ «إنّ عدوّكم قد كثُر وطغى وليس من التعبية تعبية أكثر».
(٨) عند الطبري «وفيها شرحبيل».
(٩) الأقباض: جمع قَبَض، بفتحتين، وهو ما جُمع من الغنائم.

فرسه، براء من توجّيه[1]، وأنّهم أُضْعِفُوا في العدد، وكان قد حَفِي في مسيره.

فأمر خالدٌ عِكرمةَ بن أبي جهل والقعقاعَ بن عمرو فأنشبا القتال، والتحم النّاس وتطارد الفرسان وتقاتلوا، فإنّهم على ذلك قدِم البريد من المدينة، واسمه مَحْمية بن زُنَيْم، فسألوه الخبر، فأخبرهم بسلامةٍ وأمداد؛ وإنّما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عُبيدة، فبلّغوه خالداً، فأخبره خبرَ أبي بكر سرّاً.

وخرج جَرَجَة إلى بين الصفّين وطلب خالداً، فخرج إليه، فآمن كلّ واحد منهما صاحبه، فقال جَرَجة: يا خالد اصدِقْني ولا تكذِبْني، فإنْ الحُرّ لا يكذب، ولا تُخادِعْني، فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل، هل أنزل الله على نبيّكم سيفاً من السماء فأعطاكه، فلا تسلّه على قوم إلاّ هزمتهم؟ قال: لا. قال: ففيمَ سُمّيتَ سيف الله؟ فقال له: إنّ الله بعث فينا نبيّه، ﷺ، فكنتُ فيمن كذّبه وقاتله، ثمّ إنّ الله هداني فتابعته. فقال: أنت سيف الله سلّه الله على المشركين! ودعا لي[2] بالنصر. قال: فأخبِرْني إلى ما تدعوني. قال خالد: إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب. قال: فما منزلة من الذي يُجيبكم ويدخل فيكم؟ قال: منزلتنا واحدة. قال: فهل له مثلكم من الأجر والذُّخْر؟ قال: نعم وأفضل لأنّنا اتّبعنا نبيّنا وهو حيّ يُخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات، وحُقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسْلِم، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا، فمَنْ دخل بنيّةٍ وصِدْقٍ كان أفضل منّا. فقلب جَرَجَة ترسه ومال مع خالد وأسلم، وعلّمه الإسلام واغتسل وصلّى ركعتين، ثمّ خرج مع خالد فقاتل الرومَ.

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلاّ[3] المحامية، عليهم عِكرِمة وعمّه الحارث بن هشام، فقال عِكرمة [يومئذٍ]: قاتلتُ مع رسول الله، ﷺ، في كلّ موطن ثمّ أفرّ اليوم! ثمّ نادى: مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام وضِرار بن الأزْور في أربعمائةٍ من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدّام فسطاط خالد حتى أُثبتوا[4] جميعاً جراحاً، فمنهم مَنْ برأ ومنهم مَنْ قُتل. وقاتل خالد وجَرَجَة قتالاً شديداً، فقتل جَرَجَة عند آخر النهار، وصلّى النّاس الأولى والعصر إيماءً، وتضعضع الروم ونَهَدَ خالد بالقَلْب حتى كان بين خيله ورَجْلهم. فانهزم الفرسان وتركوا الرَّجّالة.

ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجّهت للمهرب أفرجوا لها، فتفرّقت وقُتل

(١) وجي الفرس وتَوَجى، أي أصيب بالوجا، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره.

(٢) في الطبعة الأوربية «عليّ».

(٣) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٤) في الطبعة الأوربية «أثيبوا».

الرَّجّالة واقتحموا في خندقهم، فاقتحمه[1] عليهم، [فعمدوا إلى الواقوصة حتى][2] هوى فيها المقترنون وغيرهم، ثمانون ألفاً من المقترنين، وأربعون ألف مُطْلَق، سوى مَنْ قُتل في المعركة، وتجلّل الفيقار وجماعة من أشراف الروم برانسَهم وجلسوا فقُتلوا متزمّلين. ودخل خالد الخندق ونزل في رِواق تَذارِق. فلمّا أصبحوا أُتي خالد بعِكرِمة بن أبي جهل جريحاً، فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عِكرِمة فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما وقطّر في حلوقهما الماء وقال: زعم ابن حَنْتمة، يعني عُمر، أنّا لا نُستشهَد! وقاتل النساءُ ذلك اليوم وأَبلين[3].

قال عبد الله بن الزّبَير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبيّ لا أقاتل، فلمّا اقتتل النّاس نظرتُ إلى ناسٍ على تلّ لا يقاتلون، فركبتُ وذهبتُ إليهم وإذ أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح، فرأوني حَدَثاً فلم يتّقوني، قال: فجعلوا والله إذا مال[4] المسلمون وركِبْتهم الروم يقولون: إيه بني الأصفر! فإذا مالت الروم وركبهم[5] المسلمون قال؛ ويْح بني الأصفر[6]! فلمّا هزم الله الروم أخبرتُ أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلّا ضِغناً، لَنَحْن خير لهم من الروم!.

وفي اليرموك أُصيبت عين أبي سفيان بن حرب[7].

ولما انهزمت الروم كان هِرَقْل بحِمص، فنادى بالرحيل عنها قريباً وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمّر عليها أميراً كما أمّر على دمشق. وكان مَنْ أُصيب من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عِكرمة، وابنه عمرو، وسَلَمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وجُنْدُب بن عمرو، والطُّفَيْل بن عمرو، وطُليب بن عُمَير، وهشام بن العاص، وعِياش بن أبي ربيعة، في قول بعضهم[8].

(عِياش: بالياء المثنّاة والشين المعجمة).

وفيها قُتل سعيد بن الحارث[9] بن قيس بن عديّ السّهميّ، وهو من مُهاجرة الحبشة.

---

(١) اي خالد بن الوليد.

(٢) ما بين الحاصرتين عن الطبري ٣/٤٠٠.

(٣) في الطبعة الأوربية «وأبلوا». وانظر الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٣٩٤ - ٤٠١.

(٤) في الطبعة الأوربية «مالت».

(٥) في الطبعة الأوربية «وركبتهم».

(٦) الإصابة لابن حجر ٢/١٧٣ وقال ابن حجر: «وهذا لبعده من قبله والذي قبله أصح». وأنظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، ٣٠١.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، وفي فتوح البلدان ١٦٠ ذهبت عينه يوم الطائف.

(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٠٢، وفي فتوح البلدان كانت وفاتهم يوم أجنادين - ص ١٣٥.

(٩) في طبعة صادر ٢/٤١٤ «الحرب»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان ١٣٥ رقم ٣١٥.

وفيها قُتل نُعَيْم[1] بن عبد الله النَّحّام العدوي عديّ قريش، وكان إسلامه قبل عمر.

وفيها قُتل النُّضير بن الحارث بن علقمة، وهو قديم الإسلام والهجرة، وهو أخو النَّضْر الذي قُتل ببدر كافراً.

وقُتل فيها أبو الروم بن عُمير بن هاشم العبدريّ[2] أخو مُصْعَب بن عُمَير، وهو من مُهاجِرة الحبشة، شهد أُحُداً. وقيل قُتلوا يوم أجنادَيْن، والله أعلم.

ذكر حال المُثنّى بن حارثة بالعراق

وأمّا المثنّى بن حارثة الشيباني فإنّه لما ودّع خالدَ بن الوليد، وسار خالد إلى الشام فيمن معه بالجُنْد، أقام بالحيرة ووضع المسلحة وأذكى العيون، واستقام أمر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة، على شهريران[3] بن أردشير بن شهريار سابور، فوجّه إلى المثنّى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذَوَيْه في عشرة آلاف، فخرج المثنّى من الحيرة نحوه وعلى مجنّبَتَيْه المُعنّى ومسعود أخواه، فأقام ببابل، وأقبل هرمز نحوه، وكتب كسرى شهريران[3] إلى المثنّى كتاباً: إنّي قد بعثتُ إليكم جنداً من وخش[4] أهل فارس، إنّما هم رُعاء الدجاج والخنازير، ولستُ أقاتلك إلاّ بهم. فكتب إليه المثنّى: «إنّما أنت أحد رجلَين: إمّا باغ، فذلك شرّ لك وخير لنا، وإمّا كاذبٌ، فأعظم الكاذبين[5] فضيحةً عند الله وفي النّاس الملوك، وأمّا الذي يدلّنا عليه الرأي فإنّكم إنّما أضررتم[6] إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رُعاة الدجاج والخنازير.

فجزع الفرس من كتابه، فالتقى المثنّى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان فيلهم يفرّق المسلمين، فانتدب له المثنّى ومعه ناس فقتلوه، وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون إلى المدائن يقتلونهم. ومات شهريران لما انهزم هرمز جاذَوَيْه، واختلف أهل فارس، وبقي ما دون دِجلة بيد المثنّى[7].

ثمّ اجتمعت الفرسُ على دُخْت زَنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمرٌ وخُلعت، ومَلَك سابور بن شهريران[8]. فلمّا مَلَك قام بأمره الفَرُّخْزاد بن البِنْذَوان، فسأله أن يزوّجه

---

(١) في النسخة (ب): «معمر»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان وتاريخ خليفة ١٢٠.

(٢) في النسخة (ب): «العدوي».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤١١ «شهْرَبراز» وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٢.

(٤) في طبعة صادر ٢/٤١٥ «وحش»، وما أثبتناه عن الطبري، والوخش بالخاء المعجمة، والحُثالة من الناس.

(٥) عند الطبري ٣/٤١٢ «الكذّابين».

(٦) عند الطبري «اضطررتم».

(٧) الطبري ٣/٤١٢ - ٤١٣.

(٨) عند الطبري ٣/٤١٣ شهريراز، وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٢.

آزرميدُخْت بنت كسرى، فأجابه. فغضبت آزرميدُخْت، فأرسلت إلى سياوَخشْ، فلمّا كان ليلة العرس أقبل الفرُّخْزاد حتى دخل، فثار به سياوَخشٍ فقتله، وقصدت آزَرْمِيدُخْت ومعها سياوَخش سابورَ فحصروه ثمّ قتلوه، وملكت آزرميدُخت ثمّ تشاغلوا بذلك[1].

وأبطأ خبر أبي بكر على المثنّى، فاستخلف على المسلمين بَشير بن الخصاصيّة، وسار إلى المدينة إلى أبي بكر ليُخبره خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسُنَت توبته من المرتدّين، فإنّهم أنشط إلى القتال من غيرهم، فقدِم المدينة وأبو بكر مريض قد أشفي، فأخبره الخبر، فاستدعى عمرَ وقال له: إنّي لأرجو أن أموت يومي هذا، فإذا متُّ فلا تُمسينّ حتى تندب النّاس مع المثنّى، ولا تشغلنّكم مصيبة عن أمر دينكم ووصيّة ربّكم، فقد رأيتني متوفّى رسول الله، ﷺ، وما صنعتُ وما أُصيب الخلق بمثله، وإذا فتح الله على أهل الشام فاردُدْ أهلَ العراق إلى العراق فإنّهم أهله ووُلاة أمره وأهل الجرأة عليهم[2].

ومات أبو بكر ليلاً فدفنه عمر، وندب النّاس مع المثنّى، وقال عمر: قد علم أبو بكر أنّه يسوءُني أن أؤمّر خالداً فلهذا أمرني أن أردّ أصحاب خالد، وترك ذِكره معهم[3].

وإلى آزرميدُخْت انتهى شأن أبي بكر، فهذا حديث العراق إلى آخر أيّام أبي بكر، رضي الله عنه[4].

ذكر وقعة أجنادَيْن

قد ذكرها أبو جعفر[5] عُقَيْب وقعة اليرموك، وروى خبرها عن ابن إسحاق من اجتماع الأمراء ومسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام نحو ما تقدّم، وقال: فسار خالد من مرج راهط إلى بُصْرى، وعليها أبو عبيدة بن الجرّاح وشُرَحْبيل بن حَسَنَة ويزيد بن أبي سفيان، فصالحهم أهلها على الجزية، فكانت أوّل مدينة فُتحت بالشام في خلافة أبي بكر. ثمّ ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وهو مقيم بالعَرَبات، واجتمعت الروم بأجنادَيْن وعليهم تَذَارِق أخو هِرَقْل لأبَويْه، وقيل كان على الروم القُبُقْلار؛ وأجنادَيْن بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن

---

(١) الطبري ٣/٤١٣.
(٢) الطبري ٣/٤١٤.
(٣) الطبري ٣/٤١٤.
(٤) الطبري ٣/٤١٤.
(٥) الطبري في تاريخه ٣/٤١٧.

العاص حين سمع بالمسلمين فلقِيهم ونزلوا بأجنادَيْن وعسكروا عليهم، فبعث القُبُقْلار عربيّاً إلى المسلمين يأتيه بخبرهم، فدخل فيهم وأقام يوماً وليلة ثمّ عاد إليه، فقال: ما وراءك؟ فقال: باللّيل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه[1]، ولو زنَى رُجم، لإقامة الحقّ فيهم. فقال: إن كنتَ صدقتني لَبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها.

والتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جُمادَى[2] الأولى سنة ثلاث عشرة، فظهر المسلمون وهُزم المشركون وقُتل القُبُقْلار وتَذَارِق، واستشهد رجال من المسلمين[3]، منهم: سَلَمَة بن هشام بن المُغيرة، وهَبّار بن الأسود، ونُعَيم بن عبد الله النَّحّام، وهشام بن العاص بن وائل[4].

وقيل: بل قُتل باليرموك وجماعة غيرهم.

قال: ثمّ جمع هِرَقْل للمسلمين باليرموك، وجاءهم خبر وفاة أبي بكر وهم مصافّون، وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الوقعة في رجب؛ هذه سياقة الخبر.

وكان فيمَنْ قُتل ضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ وله صحبة، وعمرو بن سعيد بن العاص وهو من مهاجرة الحبشة[5]، وقُتل باليرموك، وممّنْ قُتل الفضل بن العبّاس[6]، وقيل: قُتل بمرج الصُّفَّر، وقيل: مات في طاعون عَمَواس.

وفيها قُتل طُلَيْب بن عمير بن وهْب القُرَشيّ وقُتل باليرموك، شهد بدراً، وهو من المهاجرين الأولين.

وفيها قُتل عبد الله بن أبي جَهْم القرشيّ العدويّ، وكان إسلامه يوم الفتح.

وفيها قُتل عبد الله بن الزّبَير بن عبد المطّلب بعد أن قتل جمعاً من الروم في المعركة، وكان عمره يوم مات النبيّ، ﷺ، نحو ثلاثين سنة.

وفيها قُتل عبد الله بن الطُّفَيْل الدّوْسي[7]، وهو الملقب بذي النّور، وكان من فضلاء الصحابة قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة.

---

(١) عند الطبري ٣/٤١٨ «قطعوا يده». وانظر: الفتوح لابن أعثم ١/١٥١.
(٢) في تاريخ خليفة ١١٩ «لثلاثٍ بقين من جمادىٰ الأولى».
(٣) حتى هنا عند الطبري ٣/٤١٧ - ٤١٩.
(٤) فتوح البلدان ١٣٥ وأنظر تاريخ خليفة ١٢٠، والفتوح لابن أعثم ١٤٧.
(٥) تاريخ خليفة ١٢٠.
(٦) تاريخ خليفة ١٢٠.
(٧) في فتوح البلدان ١٣٥ «عمر بن الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي»؛ وأنظر تجريد أسماء الصحابة ١/٣٥٠.

(أجنادَين: بعد الجيم نون، ودال مهملة مفتوحة، ومنهم مَنْ يكسرها، ثمّ ياء مثنّاة من تحتها ساكنة، وآخره نون).

وقد قيل: إنّ وقعة أجنادَيْن كانت سنة خمس عشرة، وسيرِد ذِكْرها إن شاء الله.

ذكر وفاة أبي بكر

كانت وفاة أبي بكر، رضي الله عنه، لثماني ليالٍ بقين من جُمادَى الآخرة ليلة الثلاثاء وهو ابن ثلاثٍ وستّين سنة، وهو الصحيح، وقيل غير ذلك، وكان قد سمّه اليهود في أُرُزّ، وقيل في حريرة، وهي الحَسْو، فأكل هو والحارث بن كَلَدة، فكفّ الحارث وقال لأبي بكر: أكلنا طعاماً مسموماً سُمَّ سنة، فماتا بعد سنة[١].

وقيل: إنّه اغتسل وكان يوماً بارداً، فحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، فأمر عمر أن يصلّي بالنّاس. ولما مرض قال له النّاس: ألا ندعو الطبيب؟ قال: قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد؛ فعلموا مراده وسكتوا عنه، ثمّ مات[٢].

وكانت خلافته سنتَين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وقيل: كانت سنتين وأربعة أشهر إلاّ أربع ليال، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين[٣].

وأوصى أن تغسّله زوجته أسماء بنت عُمَيْس وابنه عبد الرحمن، وأن يُكَفَّن في ثوبَيْه ويُشتَرَى معهما ثوبٌ ثالث، وقال: الحيّ أحوج[٤] إلى الجديد من الميت، إنّما هو للمُهْلَة[٥] والصديد[٦]..

ودُفن ليلاً وصلّى عليه عمر بن الخطّاب في مسجد رسول الله، ﷺ، وكبّر عليه أربعاً، وحُمل على السرير الذي حُمل عليه رسول الله، ﷺ، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة، وجُعل رأسه عند كتفي النبيّ، ﷺ، وألصقوا لحده بلحْد النبيّ ﷺ[٧]، وجُعل قبره مثل قبر النبيّ ﷺ، مسطّحاً[٨]. وأقامت عائشة عليه النَّوْح، فنهاهنّ عن البكاء عمر، فأبين، فقال لهشام بن الوليد: ادخلْ فأخرجّ إليّ ابنة أبي قُحافة،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٩.

(٢) الطبري ٣/٤١٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٠٢، تاريخ الطبري ٣/٤٢٠، وانظر تاريخ خليفة ١٢٢.

(٤) عند الطبري ٣/٤٢١ «أحقّ».

(٥) المُهْلَة: القيح والصديد.

(٦) الطبري ٣/٤٢١.

(٧) الطبقات الكبرى ٣/٢٠٩، الطبري ٣/٤٢٢.

(٨) الطبقات ٣/٢٠٩، الطبري ٣/٤٢٣.

فأخرج إليه أمّ فروة ابنة أبي قُحافة فعلاها بالدِّرّة ضربات، فتفرّق النّوح حين سمعن ذلك.

وكان آخر ما تكلّم به: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

وكان أبيض خفيف العارضتين، أحْنى[2] لا يستمسك[3] إزاره، معروق الوجه[4]، نحيفاً، أقنى، غائر العينين، يَخضِب بالحِنّاء والكَتَم، وكان أبوه حيّاً بمكّة لما تُوُفّي[5].

وهو أبو بكر عبد الله، وقيل: عَتيق بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة[6] بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك، يجتمع مع رسول الله، ﷺ، في مُرّة بن كعب، وأمّه أمّ الخير سَلْمَى بنت صخر بن عمرو[7] بن كعب بن سعد بن تَيْم.

وقيل: إنّ رسول الله، ﷺ، قال له: أنت عَتيق من النّار، فلزمه، وقيل: إنّما قيل له عتيق لرقّة حسنه وجماله. وأسلمت أمّه قديماً بعد إسلام أبي بكر، وتزوّج في الجاهلية قُتَيْلة بنت عبد العُزّى بن عامر بن لُؤيّ، فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوّج أيضاً في الجاهلية أمّ رُومان، واسمها دَعْد بنت عامر بن عَميرة الكنانيّة، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وتزوّج في الإسلام أسماء بنت عُمَيس، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فولدت له محمّد بن أبي بكر، وتزوّج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاريّة، فولدت له بعد وفاته أمّ كُلْثوم[8].

أسماء قُضاته وعُمّاله وكُتّابه

لما ولي أبو بكر قال له أبو عُبَيْدة: أنا أكفيك المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان.

وكان عليّ بن أبي طالب يكتب له، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفّان، وكان يكتب له مَن حضر[9].

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٠١، وانظر الطبري ٣/ ٤٢٣.
(٢) عند الطبري ٣/٤٢٤، وابن سعد ٣/١٨٨ «أجْنأ»: أي أحدب.
(٣) في الطبعة الأوربية «يتمسّك».
(٤) أي قليل اللحم.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٢٤.
(٦) في تاريخ الطبري ٣/٤٢٥ «تيم بن مرة بن كعب بن لؤيّ».
(٧) في تاريخ الطبري «عامر».
(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٢٥، ٤٢٦.
(٩) تاريخ الطبري ٣/٤٢٦.

وكان عامله على مكّة عَتّاب بن أسيد، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر[1]، وقيل: مات بعده. وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المُهاجر بن أبي أميّة[2]، وعلى حَضْرَمَوْت زياد بن لَبِيد الأنصاريّ، وعلى خَوْلان يَعْلى بن مُنْية[3]، وعلى زَبيد ورِمَعَ أبو موسى، وعلى الجَنَد مُعاذ بن جَبَل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ[4]. وبعث جريرَ بن عبد الله إلى نَجْران، وعبدَ الله بن ثَوْر إلى جُرَش، وعِياضَ بن غَنْم إلى دُومة الجَنْدل. وكان بالشام أبو عبيدة وشُرَحْبيل ويزيد وعمرو، وكلّ رجل منهم على جُنْدٍ وعليهم خالد بن الوليد[5].

وكان نقْش خاتمه: نِعم القادر الله. وعاش أبوه بعده ستّة أشهر وأيّاماً، ومات وله سبعٌ وتسعون سنة[6].

ذكر بعض أخباره ومناقبه

كان أبو بكر أوّل النّاس إسلاماً في قول بعضهم، وقد تقدّم الخلاف في ذلك، وقال النبيّ ﷺ: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلاّ كانت له عنه كبوة غير أبي بكر. والذي ورد له عن النبيّ ﷺ، من المناقب كثير، كشهادته له بالجنّة، وعتقه من النّار، وغير ذلك من الإخبار بخلافته تعريضاً كقوله، ﷺ، للمرأة: إن لم تجديني فأتي أبا بكر، وكقوله: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، إلى غير ذلك.

وشهد بدراً وأُحُداً والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله، ﷺ وأعتق سبعة نفر كلّهم يُعَذَّب في الله تعالى، منهم بِلال وعامر بن فُهَيرة وزِنِّيرة والنَّهديّة وابنها وجارية بني مؤمّل وأمّ عُبَيْس وأسلم. وله أربعون ألفاً أنفقها في الله مع ما كسب في التجارة.

ولما ولي الخلافة وارتدّت العرب خرج شاهراً سيفه إلى ذي القَصّة، فجاءه عليّ وأخذ بزمام راحلته وقال له: أين يا خليفة رسول الله، ﷺ! أقول لك ما قال لك رسول الله، ﷺ، يوم أُحُد: «شِمْ سيفك لا تفجعنا بنفسك، فَوَاللَّهِ لئِنْ أُصِبْنا بك لا يكون للإسلام نظام»؛ فرجع وأمضى الجيش.

وكان له بيت مال بالسُّنْح، وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة، فقيل له:

---

(١) تاريخ خليفة ١٢٣.
(٢) تاريخ خليفة ١٢٣.
(٣) هكذا في الأصول والمطبوع في تاريخ خليفة ١٢٣ وتاريخ الطبري ٤٢٧/٣، «أميّة».
(٤) تاريخ خليفة ١٢٢.
(٥) تاريخ الطبري ٤٢٧/٣.
(٦) تاريخ الطبري ٤٢٧/٣.

ألانجعل عليه مَنْ يحرسه؟ قال: لا. فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شيء، فلمّا انتقل إلى المدينة جعل بيت المال معه في داره.

وفي خلافته افتتح معدِن بني سُلَيْم، وكان يسوّي في قسمته بين السابقين الأوّلين والمتأخّرين في الإسلام، وبين الحرّ والعبد والذَّكَر والأنثى، فقيل له: لتقدّم أهل السبق على قدر منازلهم، فقال: إنّما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة، وإنّما هذه الدنيا بلاغ. وكان يشتري الأكسية ويفرّقها في الأرامل في الشتاء.

ولما توفّي أبو بكر جمع عمر الأمناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً غير دينار سقط من غرارة، فترحّموا عليه.

قال أبو صالح الغِفاري: كان عمر يتعهّد امرأةً عمياء في المدينة باللّيل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضي أشغالها سرّاً وهو خليفة، فقال له: أنت هو لَعَمْري! قال أبو بكر بن حفص بن عمر: لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرتْه عائشة وهو يعالج الموت فتمثّلت:

لَعَمْرُكَ ما يغني الثّراءُ عَنِ الفتى إذا حشرَجتْ يوْماً وضَاق بها الصّدرُ

فنظر إليها كالغضبان ثمّ قال: ليس كذلك ولكن ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1]، إنّي قد كنتُ نحلتُك حائط كذا وفي نفسي منه شيء فرُدّيه على الميراث، فردّته، فقال: إنّما هما أخواك وأختاك. قالت: مَنِ الثانية؟ إنّما هي أسماء. قال: ذاتُ بطنِ بنتِ خارجة، يعني زوجته، وكانت حاملاً فولدت أمّ كلثوم بعد موته. وقال لها: أما إنّا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنّا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشنٍ ثيابهم وليس عندنا من فَيْء المسلمين إلّا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة، فإذا متّ فابعثي بالجميع إلى عمر. فلمّا مات بعثته إلى عمر، فلمّا رآه بكى حتى سالت دموعه إلى الأرض وجعل يقول: رحِم الله أبا بكر! لقد أتعب مَنْ بعده، ويكرّر ذلك، وأمر برفعه. فقال عبد الرحمن بن عوف؛ سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم، فلو أمرتَ بردّها عليهم. فقال: لا والذي بعث محمّداً، ﷺ، لا يكون هذا في ولايتي ولا خرج أبو بكر منه وأتقلّده أنا. وأمر أبو بكر أن يُردّ جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته.

وقيل: إنّ زوجته اشتهت حُلْواً فقال: ليس لنا ما نشتري به. فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدّة أيّام ما نشتري به. قال: افعلي. ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيّام

---

(١) (سورة ق، الآية ١٩).

كثيرة شيء يسير، فلمّا عرّفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه فردّه إلى بيت المال وقال: هذا يفضل عن قُوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كلّ يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له.

هذا والله هو التقوى الذي لا مزيد عليه وبحقّ قدّمه النّاس، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان منزل أبي بكر بالسُّنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، فأقام هنالك ستّة أشهر بعدما بُويع له، وكان يغدو على رجلَيْه إلى المدينة، وربّما ركب فرسه، فيصلّي بالنّاس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى السُّنح، وكان إذا غاب صلّى بالنّاس عمر. وكان يغدو كلّ يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربّما خرج هو بنفسه فيها، وربّما رُعيت له، وكان يحلب للحيّ أغنامهم، فلمّا بويع بالخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لَعَمْري لأحلِبَنّها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيّر بي ما دخلتُ فيه. فكان يحلِب لهم. ثمّ تحوّل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من خلافته وقال: ما تصلح أمور النّاس مع التجارة، وما يصلح إلاّ التفرّغ لهم والنظر في شأنهم، فترك التجارة، وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم، ويحجّ ويعتمر، فكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستّة آلاف درهم[1].

وقيل: فرضوا له ما يكفيه، فلمّا حضرتْه الوفاة أوصى أن تُباع أرض له ويُصرف ثمنها عِوض ما أخذه من مال المسلمين.

وكان أوّل والٍ فرض له رعيّته نفقته، وأوّل خليفة ولي وأبوه حيّ وأوّل من سمّى مصحف القرآن مصحفاً، وأوّل من سُمّي خليفة.

(زِنِّيرة: بكسر الزاي، والنون مشدّدة. وعُبَيْس: بضمّ العين المهملة، وبالباء الموحّدة المفتوحة، ثمّ بالياء المثنّاة من تحت، وبالسين المهملة. ومُنْية: بالنون الساكنة، والياء تحتها نقطتان).

ذكر استخلافه عمر بن الخطّاب

لما نزل بأبي بكر، رضي الله عنه، الموتُ دعا عبدَ الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيك إلاّ أنّه فيه غِلْظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنّه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً ممّا هو عليه، وقد رمّقتُهُ فكنتُ إذا غضبتُ على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لِنْتُ له أراني الشدّة عليه. ودعا عثمانَ بن عفّان وقال

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٣٢.

له: أخبرْني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا ممّا قلتُ لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوتُ عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولَوَدِدْتُ أنّي كنتُ من أموركم خِلْواً وكنتُ فيمن مضى من سَلَفِكم[1].

ودخل طلحة بن عُبَيد الله على أبي بكر فقال: استخلفتَ على النّاس عمر وقد رأيتَ ما يلقى النّاس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربّك فسائلك عن رعيّتك! فقال أبو بكر: أجلِسُوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوّفني! إذا لقيتُ ربّي فسألني قلتُ: استخلفتُ على أهلك خير أهلك[2].

ثمّ إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان خالياً ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين، أمّا بعد. ثمّ أغمي عليه، فكتب عثمان: أمّا بعد فإنّي قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطّاب ولم آلُكم خيراً. ثمّ أفاق أبو بكرٍ فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفْتَ أن يختلف النّاس إن مُتُّ في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله[3].

فلمّا كتب العهد أمر به أن يُقْرأ على النّاس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للنّاس[4]: أنصِتوا واسمعوا لخليفة رسول الله، ﷺ، فإنّه لم يألكم نصحاً. فسكن النّاسُ، فلمّا قُرىء عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على النّاس وقال: أترضون بمن استخلفتُ عليكم؟ فإنّي ما استخلفتُ عليكم ذا قرابة، وإنّي قد استخلفتُ عليكم عمرَ فاسمعوا له وأطيعوا، فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا[5]. ثمّ أحضر أبو بكر عمرَ فقال له: إنّي قد استخلفتك على أصحاب رسول الله، ﷺ، وأوصاه بتقوى الله ثمّ قال:

يا عمر إنّ لله حقّاً باللّيل لا يقبله في النهار، وحقّاً في النهار لا يقبله باللّيل، وإنّه لا يقبل نافلةً حتى تؤدّى الفريضة، ألم ترَ يا عمر أنّما ثَقُلَتْ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحقّ وثِقْله عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه غداً إلّا حقٌّ أن يكون

---

(١) في النسخة (ب) «سبقكم». والخبر في الطبقات الكبرى ٣/١٩٩ باختلافٍ في الرواية، وتاريخ الطبري ٣/٤٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٢٩.

(٤) هنا زيادة في النسخة (ب): «أترضون بمن أستخلف عليكم». والعبارة في تاريخ الطبري ٣/٤٢٨.

(٥) الطبري ٣/٤٢٨ بتقديم وتأخير.

ثقيلاً. ألم ترَ يا عمر أنّما خفّت موازين مَنْ خفّت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الباطلَ وخفّته[1] عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع [فيه] غداً[2] إلّا باطل أن يكون خفيفاً. ألم ترَ يا عمر أنّمانزلت آية الرخاء مع آية الشدّة وآية الشدّة مع آية الرّخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنّى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبةً يُلقي فيها بيديه. أوَلم ترَ يا عمر أنّما ذكر الله أهل النّار بأسوإ أعمالهم، فإذا ذكرتُهم قلتُ إنّي لأرجو أن لا أكون منهم، وأنّه إنّما ذكر أهل الجنّة بأحسن أعمالهم لأنّه يجاوز لهم ما كان من سيّء، فإذا ذكرتُهم قلتُ أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظتَ وصيّتي فلا يكوننّ غائب أحبَّ إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه.

وتُوُفّي أبو بكرٍ، فلمّا دُفن صعِد عمر بن الخطّاب فخطب النّاسَ ثمّ قال: إنّما مَثَل العرب مثل جمل أنِف اتّبع قائده، فلينظرْ قائدُه حيث يقوده، وأمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنّكم على الطريق[3].

وكان أوّل كتاب كتبه إلى أبي عُبَيْدة بن الجرّاح بتولية جُنْد خالد وبعزل خالد لأنّه كان عليه ساخطاً في خلافة أبي بكر كلّها لوقعته بابن نُوَيرة وما كان يعمل في حربه، وأوّل ما تكلّم به عزْل خالد وقال: لا يلي لي عملاً أبداً، وكتب إلى أبي عُبيدة: إنْ أكْذَبَ خالدٌ نفسَه فهو الأمير على ما كان عليه، وإن لم يُكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه، وانزعْ عمامته عن رأسه وقاسمْه ماله. فذُكر ذلك لخالد، فاستشار أخته فاطمة، وكانت عند الحارث بن هشام، فقالت له: والله لا يحبّك عمر أبداً وما يريد إلّا أن تكذّب نفسك ثمّ ينزعك. فقبّل رأسها وقال: صدقتِ؛ فأبى أن يكذّب نفسه، فأمر أبو عُبيدة فنزع عمامة خالد وقاسمه ماله، ثمّ قدِم خالد على عمر بالمدينة[4].

وقيل: بل هو أقام بالشام مع المسلمين، وهو أصحّ.

ذكر فتح دِمَشْق

قيل: ولما هزم الله أهل اليرموك استخلف أبو عُبيدة على اليرموك بَشير بن كعب الحِمْيريّ، وسار حتى نزل بالصُّفَّر، فأتاه الخبرُ أن المنهزمين اجتمعوا بفِحْل، وأتاه الخبر أيضاً بأنّ المدد قد أتى أهلَ دمشق من حِمْص، فكتب إلى عمر في ذلك، فأجابه عمر

(١) في الطبعة الأوربية «وخفّت».
(٢) في الطبعة الأوربية «هذا».
(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٣٣.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٣٦، ٤٣٧.

يأمره بأن يبدأ بدمشق فإنّها حصن الشام وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فِحْل، فإذا فُتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص وترك شُرحْبيل بن حَسَنَة وعَمراً بالأردنّ وفلسطين.

فأرسل أبو عبيدة إلى فِحْل طائفة من المسلمين فنزلوا قريباً منها، وبثق الرومُ الماء حول فِحْل فوحلت الأرض، فنزل عليهم المسلمون، فكان أوّل محصور بالشام أهل فِحْل ثمّ أهل دمشق.

وبعث أبو عُبيدة جُنداً فنزلوا بين حمص ودمشق، وأرسل جُنداً آخر فكانوا بين دمشق وفلسطِين، وسار أبو عُبيدة وخالد فقدِموا على دمشق وعليها نِسْطاس، فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو[1] على ناحية، وكان هِرَقْل قريب حِمْص، فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً، وقاتلوهم بالزحف والمجانيق، وجاءت خيول هِرَقْل مُغيثةً دمشقَ، فمنعتها خيولُ المسلمين التي عند حِمْص، فخُذل أهل دمشق وطمع فيهم المسلمون[2].

وَوُلد للبِطريق الذي على أهلها مولود، فصنع طعاماً فأكل القوم وشربوا وتركوا مواقفهم، ولا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلّا ما كان من خالد، فإنّه كان لا ينام ولا يُنيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، وكان قد اتّخذ حبالاً كهيئة السلاليم وأوهاقاً[3]، فلمّا أمسى ذلك اليوم نهد هو ومَنْ معه من جُنده الذين قُدّم عليهم، وتقدّمهم هو والقعقاع ابن عمرو ومذعور بن عديّ وأمثاله وقالوا: إذا سمعتم تكبيراً على السور فارْقَوا إلينا واقصدوا الباب. فلمّا وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشُّرَف منها حبلان، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشُّرَف، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء، فصعد المسلمون ثمّ انحدر خالد وأصحابه وترك بذلك المكان مَن يحميه وأمرهم بالتكبير، فكبّروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وانتهى خالد إلى مَنْ يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوّابين، وثار أهلُ المدينة لا يدرون ما الحال، وتشاغل أهل كلّ ناحية بما يليهم، وفتح خالد الباب وقتل كلّ مَنْ عنده من الروم.

فلمّا رأى الروم ذلك قصدوا أبا عُبيدة وبذلوا له الصلح، فقبِل منهم وفتحوا له الباب

---

(١) في النسخة (ب): «يزيد» وهذا وهم.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٣٨، ٤٣٩.
(٣) الأوهاق، واحدها وَهَق: حبل في طرفه أُنشوطة يُطرح في عنق الدابّة حتى تؤخذ.

وقالوا له: ادخلْ وامنعْنا من أهل ذلك الجانب، ودخل أهل كلّ باب بصلح ممّا يليهم. ودخل خالد عَنوةً، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها، هذا قتلاً ونهباً وهذا صفْحاً[1] وتسكيناً، فأجْرَوا ناحيةَ خالد مجرى الصلح[2]، وكان صلحهم على المقاسمة، وقسموا معهم للجنود التي عند فِحْل وعند حمص وغيرهم ممّن هو رِدْء للمسلمين.

وأرسل أبو عُبيدة إلى عمر بالفتح، فوصل كتاب عمر إلى أبي عُبيدة يأمره بإرسال جُند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقّاص، فأرسلهم وأمرّ عليهم هاشم بن عُتْبة المِرْقال، وكانوا قد قُتل منهم، فأرسل أبو عبيدة عوَض مَنْ قُتل، وكان ممّنْ أرسل الأشْتر وغيره، وسار أبو عبيدة إلى فِحْل[3].

ذكر غزوة فِحْل[4]

فلمّا فُتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فِحْل واستخلف على دمشق يزيدَ بن أبي سفيان، وبعث خالداً على المقدّمة، وعلى النّاس شُرَحْبيل بن حَسَنَة، وكان على المجنّبَتَين أبو عُبيدة وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْور، وعلى الرّجال عِياض بن غنم، وكان أهل فِحل قد قصدوا بَيْسان، فهم بها، فنزل شُرَحْبيل بالنّاس فِحلاً، وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر، وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة ذات الرَّدَغَة وبَيْسان وفِحْل. وأقام النّاسُ ينتظرون كتاب عمر، فاعترّهم الرومُ فخرجوا وعليهم سَقَلّار بن مخْراق، فأتوهم والمسلمون حذِرون، وكان شُرَحْبيل لا يبيت ولا يصبح إلّا على تعبية. فلمّا هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشدّ قتال كان لهم لِيلتهم ويومهم إلى الليل، وأظلم اللّيل عليهم وقد حاروا، فانهزم الروم وهم حيارى وقد أُصيب رئيسهم سَقَلّار والذي يليه [فيهم] نِسطورس[5]، وظفر المسلمون بهم وركبوهم، ولم تعرف الروم مأخذهم، فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه، ولحِقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يدَ لامِس[6] فوخزوهم بالرّماح، فكانت الهزيمة بفِحْل والقتل بالرِّدَاغ، فأصيب الروم وهم ثمانون ألفاً، لم يُفلِت منهم إلا الشريد، وقد كان الله

---

(١) عند الطبري ٣/٤٤٠ «صلحاً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٣٠، ٤٤٠ وأنظر البداية والنهاية ٧/٢٠، ٢١.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٤٠ و ٤٤١.

(٤) قال أبو عبد الله الصوري: في الأصل فحل بكسر الحاء، والمحفوظ سكونها. (تهذيب تاريخ دمشق ١/١٣١).

(٥) في الطبعة الأوربية «نسطوس».

(٦) في الطبعة الأوربية «بذُلامس».

يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البُثُوق والوحل، فكانت عوناً لهم على عدوّهم وغنِموا أموالهم فاقتسموها، وانصرف أبو عُبيدة بخالد ومَنْ معه إلى حمص[1].

وممّن قُتل في هذه الحرب السّائب بن الحارث[2] بن قيس بن عديّ السهميّ، له صُحبة.

(فِحْل: بكسر الفاء، وسكون الحاء المهملة، وآخره لام).

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق[3]

لما استخلف أبو عُبَيْدة يزيدَ بن أبي سفيان على دمشق وسار إلى فِحْل سار يزيد إلى مدينة صَيْدا وعِرْقة[4] وجُبَيْل[5] وبَيروت، وهي سواحل دمشق، على مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كَثيرٌ من أهلها؛ وتولّى فتحَ عِرْقَةَ معاويةُ بنفسه في ولاية يزيد. ثمّ إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأوّل[6] خلافة عثمان، فقصدهم معاوية ففتحها ثمّ رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[7].

ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجّه معاويةُ سُفْيانَ بن مُجيب الأزديَّ إلى طرابلس، وهي ثلاث مدنٍ مُجتمِعة، ثمّ بنى في مَرْجٍ على أميالٍ منها حصناً سُمّي حصن سُفيان، وقطع المادّة عن أهلها من البرّ والبحر وحاصرهم. فلمّا اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم، فوجّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلاً وهربوا. فلمّا أصبح سفيان، وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثمّ يغدو على العدوّ، وجد الحصن خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعة كثيرة

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٧/٣٢ أنّ الذي قُتل هو: تميم بن الحارث بن قيس وأخوه قيس. وليس فيه «السائب».

(٣) ليس في تاريخ الطبري أيّ ذِكر لفتح بلاد ساحل دمشق. أنظر حول هذا الموضوع بحثنا المقدَّم إلى المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام المنعقد بالجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان «الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)» ص ٤.

(٤) عِرْقَة: بكسر العين وسكون الراء. بلدة في شرقيّ طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق. وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. (معجم البلدان ٤/١٠٩) ولم يبق من البلدة الآن سوى بعض الآثار، وقد زالت منذ أوائل العصر العثماني.

(٥) جُبَيل: تصغير جبل. بلدة بين طرابلس وبيروت، على ساحل البحر.

(٦) عند البلاذري «أو».

(٧) الخبر في فتوح البلدان ١٥٠.

من اليهود. وهو الذي فيه الميناء اليوم، ثمّ بناه عبد الملك بن مروان وحصّنه. ثمّ نقض أهله أيّام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد في زمانه[1].

ذكر فتح بَيْسان وطبرية

لما قصد أبو عُبَيْدة حِمْصَ من فِحْل أرسل شُرَحْبيل ومن معه إلى بيسان فقاتلوا أهلها، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثمّ صالحهم مَنْ بقي على صُلح دمشق فقبل ذلك منهم[2].

وكان أبو عُبيدة قد بعث بالأعور إلى طَبَرِيّة يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضاً، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القوّاد وخيولها، وكتبوا بالفتح إلى عمر[3].

قال أبو جعفر: وقد اختلفوا في أيّ هذه الغزوات كان قبل الأخرى، فقيل ما ذكرنا، وقيل: إنّ المسلمين لما فرغوا من أجنادين اجتمع المنهزمون بفِحْل فقصدها المسلمون فظفروا بها.

ثمّ لحِق المنهزمون من فِحل بدمشق، فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحوها، وقدِم كتاب عمر بن الخطّاب بعزل خالد وولاية أبي عُبيدة وهم محاصرون دمشق، فلم يعرّفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد، وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله، وكانت فِحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، وفتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة.

وقيل: إنّ وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة، ولم تكن للروم بعدها وقعة[4]، وإنّما اختلفوا لقرب بعض ذلك من بعض[5].

---

(١) الخبر في فتوح البلدان ١٥٠، ١٥١، والخراج وصناعة الكتابة ١٩٥ و٢٩٦، وتاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٧٦/١٦، وتهذيب تاريخ دمشق ١٨٤/٦ وينظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (عصر الصراع العربي البيزنطي) ٨١/١ ـ ٩٤، (الطبعة الثانية)، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣٤٥/١، ٣٤٦ في النص الفارسي.

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٣/٣.

(٣) الطبري ٤٤/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤١/٣.

(٥) الطبري ٤٤٢/٣.

ذكر خبر المثنّى بن حارثة وأبي عُبَيْد بن مسعود

قد ذكرنا قدوم المثنّى بن حارثة الشيبانيّ من العراق على أبي بكر، ووصيّةَ أبي بكر عمرَ بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه؛ فلمّا أصبح عمر من اللّيلة التي مات فيها أبو بكر كان أوّل ما عمل أن ندب النّاس مع المثنّى بن حارثة الشيبانيّ [إلى أهل فارس]، ثمّ بايع النّاس، ثمّ ندب النّاس وهو يبايعهم ثلاثاً، ولا يُنتدَب أحد إلى فارس، وكانوا أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها إليهم لشدّة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم، فلمّا كان اليوم الرابع ندب النّاس إلى العراق، فكان أوّل منتدَب أبو عُبيد بن مسعود الثقفيّ، وهو والد المختار، وسعد بن عُبيد الأنصاريّ، وسَليط بن قيس[1]، وهو ممّنْ شهد بدراً، وتتابع النّاسُ.

وتكلّم المثنّى بن حارثة فقال: أيها النّاس لا يَعْظُمنّ عليكم هذا الوجه، فإنّا قد فتحنا[2] ريفَ فارس وغلبناهم على خير شِقّيّ السواد ونلنا[3] منهم واجترأنا عليهم، ولنا إن شاء الله ما بعدها. فاجتمع النّاسُ، فقيل لعمر: أمّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار. قال: لا والله لا أفعل، إنّما رفعهم[4] الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم إلى العدوّ، فإذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خِفافاً وثقالاً ويسبقون إلى الرفع أولى بالرئاسة منهم، والله لا أؤمّر عليهم إلاّ أوّلهم انتداباً! ثمّ دعا أبا عبيد، وسعداً وسَليطاً، وقال لهما: لو سبقتماه لولّيتكما ولأدركتما بها إلى ما لكما من السابقة[5]، فأمّر أبا عُبيد وقال له: اسمعْ من أصحاب رسول الله، ﷺ، وأشْرِكْهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمّر سَليطاً إلاّ سرعتهُ إلى الحرب، وفي التسرّع إلى الحرب ضياع الأعراب[6]، فإنّه لا يصلحها إلاّ الرجل المَكِيث[7]. وأوصاه بجنده. فكان بعْث أبي عُبَيد أوّل جيش سيّره عمر، ثمّ بعده سيّر يَعْلى بن مُنْيَة إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران بوصيّة رسول الله، ﷺ، وأن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان[8].

---

(١) ذكر خليفة بن خياط في تاريخه ١٢٣ أن أبا بكر ولاّه على اليمامة. وسيأتي ذكره هنا.
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٤٤٥ «تبحبحنا».
(٣) في الطبعة الأوربية «وأنلنا».
(٤) في النسخة (ب) «زينهم».
(٥) في الطبعة الأوربية «المسابقة»، وفي تاريخ الطبري ٣/٤٤٥ «القُدْمة».
(٦) في إحدى النسخ «الأعربيان».
(٧) في النسخة (ب): «مكتب». والمكيث: الرزين الذي لا يعجل.
(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٦ وانظر فتوح البلدان ٣٠٧.

ذكر خبر النَّمارق

فسار أبو عبيدة الثقفيّ، وسعد بن عُبَيْـد، وسَليط بن قيس الأنصاريّـان، والمثّنى بن حارثة الشيبانيّ أحد بني هنـد من المدينـة، وأمر عمـر المثّنى بالتقـدّم إلى أن يَقْدَم عليـه أصحابه، وأمرهم باستنفـار مَن حسُن إسلامـه من أهل الـردّة. ففعلوا ذلك، وسـار المثّنى فقدِم الحيرة، وكـانت الفرس تشـاغلت عن المسلمين بموت شهـريران[1] حتى اصـطلحوا على سابور بن شَهْريار بن أردشير[2]، فثارت به آزرميدُخت فقتلته وقتلت الفرُّخْـزاد ومَلَكت بورَان، وكانت عَدلاً بين النّاس حتى يصطلحوا، فأرسلت إلى رستم بن الفرُّخـزاد بالخبـر وتحثّه على السير، وكان على فرج خُراسان، فأقبل لا يلقى جيشاً لآزرميدُخت إلاّ هـزمه، حتى دخل المدائن، فاقتتلوا، وهزم سياوُخْش وحصره وآزرميدُخْت بالمـدائن. ثمّ افتتحها رستم وقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدُخْت، ونصَّب بوران على أن تُملّكه عشر سنين، ثمّ يكـون المُلك في آل كسـرى إن وجـدوا من غلمـانهم أحـداً، وإلاّ ففي نسـائهم، ودعت مرازبة فارس وأمرتهم أن يسمعوا له ويـطيعوا، وتـوّجَتْهُ، فـدانت له فـارس قبل قـدوم أبي عُبيد. وكان منجّماً حسن المعرفة به وبـالحوادث، فقـال له بعضهم: مـا حملك على هذا الأمر وأنت ترى ما ترى[3]؟ قال: حبّ الشرف والطمع[4].

ثمّ قدِم المثّنى إلى الحيرة في عشر، وقدِم أبـو عُبيد بعـده بشهر. فكتب رُستم إلى الدهاقين أن يثوروا[5] بالمسلمين، وبعث في كلّ رستاق رجلاً يثور[6] بـأهله، فبعث جابـان إلى فـرات بادَقْلى، وبعث نَـرْسي إلى كَسْكَر[7] ووعـدهم يـومـاً، وبعث جُنْداً لمصادمـة المثّنى. وبلغ المثّنى الخبـرُ فحذِر، وعجـل جابـانُ ونزل النّمـارق[8]، وثاروا وتـوالوا على الخروج، وخرج أهل الرسـاتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخـرج المثّنى من الحيرة، فنزل خفّان[9] لئلاّ يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدِم عليه أبو عُبيـد. فلمّا قـدِم لبث أيّاماً يستريح هو وأصحابه، واجتمع إلى جابان بشر كثير، فنـزل النّمارق، وسـار إليه

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٤٤٨ «شَهْر بَراز».

(٢) في تاريخ الطبري «على سابور بن شهر براز بن أردشير بن شهريار».

(٣) في الطبعة الأوربية «أرى».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٤٦ - ٤٤٩.

(٥) في الطبعة الأوربية «يؤثروا».

(٦) في الطبعة الأوربية «يؤثر».

(٧) كَسْكَر: بالفتح ثم السكون، كورة واسعة. . . قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة. (معجم البلدان ٤/٤٦١).

(٨) النمارق: موضع قرب الكوفة. (معجم البلدان ٥/٣٠٤).

(٩) خَفّان: بفتح أوله وتشديد ثانيه. موضع قرب الكوفة، فوق القادسيّة. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

أبو عُبيد فجعل المثنّى على الخيل، وكـان على مجنّبَتَيْ جابـان جِشْنس[1] ماه ومَـرْدانْشاه، فـاقتتلوا بالنّمـارق قتالاً شـديداً، فهـزم الله أهل فـارس وأسر جـابان، أسـر مَطَر بن فِضّـة التيميّ، وأُسر مَرْدانْشاه، أسره أَكْتَل بن شمّاخ العُكْليّ فقتله.

وأمّا جابان فإنّه خدع مطراً وقال لـه: هل لـك أن تؤمّنني وأعطيـك غلامَين أمـردَيْن خفيفَين في عملك وكذا وكذا؟ ففعل، فخلّى عنه، فأخذه المسلمـون وأتوا بـه أبا عُبيـد، وأخبـروه أنّه جـابان وأشـاروا عليه بقتله. فقـال: إنّي أخاف الله أن أقتله وقـد آمنـه رجـل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد، ما لزم بعضَهم فقد لـزم كلَّهم، وتركـوه. وأرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نَرْسي، وقتلوا منهم[2].

(أَكْتَل: بفتح الهمزة، وسكون الكـاف، وفتح التـاء المثنّاة بـاثنتين من فوقهـا، وفي آخره لام).

ذكر وقعة السقاطيّة بكَسْكَر

ولحِق المنهزمون نحو كَسْكَر وبها نَرْسي، وهو ابن خالة الملك، وكان له النِّرْسيان، وهو نوع من التمر يحميه، لا يأكله إلّا ملك الفرس أو مَنْ أكـرموه بشيء منـه، ولا يغرسـه غيرهم، واجتمع إلى النَرْسي الفالّةُ، وهو في عسكره، فسار أبـو عُبيد إليهم من النمـارق، وكان على مجنبَتَيْ نَرسي بِنْدَوَيْه وتيـرَوَيْه ابنـا بسطام خـال الملك، ومعه أهـل بارُوسمـا[3] والـزّوابي[4]. ولما بلغ الخبـرُ بورانَ ورستم بهـزيمة جـابان بعثـا الجالينـوس إلى نَـرْسي، فلحِقـه قبـل الحـرب، فعـاجلهم أبـو عُبيـد، فـالتقـوا أسفـل من كَسْكَـر، بمكـانٍ يُـدْعى السَّقاطيّة[5]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انهـزمت فارس، وهـرب نَرْسي، وغلب المسلمـون على عسكره وأرضه، وجمعوا الغنائم، فـرأى أبو عُبيـد من الأطعمة شيئـاً كثيراً، فنفّله مَنْ حوله من العرب، وأخذوا النِّرْسيان فـأطعموه الفـلاّحين، وبعثوا بخُمسـه إلى عمر وكتبـوا إليه: إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميهـا، وأحببنا أن تـروها لتشكـروا إنعام الله وإفضاله. وأقام أبو عُبيد.

---

(١) في الأصل «حشنش»، وفي النسخة (ب) «حشيش».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٤٨، ٤٤٩.

(٣) باروسْما: ناحيتان من سـواد بغداد يقـال لهما بـاروسما العليـا وبارسـوما السفلى من كـورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٤) الـزَوَابي: في العراق أربعـة أنهر. نهـران فوق بغـداد ونهران تحتهـا، يقال لكـل واحد منهـا الزاب. (معجم البلدان ٣/١٥٥).

(٥) السقاطيّة: ناحية بكَسْكر من أرض واسط. (معجم البلدان ٣/٢٢٦).

وبعث أبو عبيد المثنّى إلى باروسما، وبعث والقاً إلى الزوابي، وعاصماً إلى نهر جَوْبر[1]، فهزموا مَنْ كان تجمّع وأخربوا وسبوا أهل زَنْدَوَرْد[2] وغيرها، وبذل لهم فرّوخ وفراونداد[3] عن أهل باروسما والزوابي وكَسْكر الجزاء معجّلاً، فأجابوا إلى ذلك وصاروا صلْحاً، وجاء فرّوخ وفراونداد إلى أبي عُبيد بأنواع الطعام والأخصبة وغيرها، فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟ فقالوا: لم يتيسّر ونحن فاعلون، وكانوا يتربّصون قدوم الجالينوس. فقال أبو عُبيد: لا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عُبيد إنْ صحِبَ قوماً من بلادهم استأثر عليهم بشيء، ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا ممّا أفاء الله إلاّ مثل ما يأكل أوساطهم. فلمّا هُزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضاً، فقال: ما آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: ليس من أصحابك أحد إلاّ وقد أُتي بمثل هذا؛ فأكل حينئذٍ[4].

ذكر وقعة الجالينوس

ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنَرْسي ثمّ يقاتل أبا عُبيد، فبادره أبو عُبيد إلى نَرْسي فهزمه، وجاء الجالينوس فنزل بباقُسْياثا[5] من باروسما، فسار إليه أبو عُبيد، وهو على تعبيته، فالتقوا بها، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عُبيد على تلك البلاد، ثمّ ارتحل حتى قدِم الحيرة، وكان عمر قد قال له: إنّك تقدَم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبريّة، تقدم على قوم تجرّأوا على الشرّ فعلِموه، وتناسوا الخيرَ فجهِلوه، فانظرْ كيف تكون، واحرزْ[6] لسانك، ولا تُفشينّ سرّك، فإنّ صاحب السرّ ما يضبطه متحصّن لا يؤتَى من وجْهٍ يكرهه، وإذا ضيّعه كان بمضِيعة[7].

ذكر وقعة قُسّ الناطف[8] ويقال لها الجِسر ويقال المَرْوَحَة وقتل أبي عُبَيْد بن مسعود[9]

ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزماً ومَنْ معه من جُنده قال رستم: أيّ العجم

---

(١) في الأصل «حرحر» وفي النسخة (ب): «بهرام جور»، وفي نسخة المتحف البريطاني، ونسخة مكتبة بودليان «جور».

(٢) زندورد: بفتح أوله وسكون ثانيه. مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط. (معجم البلدان ٣/١٥٤).

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤٥١ «فرونداذ».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٥٠ ـ ٤٥٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «بياقَشِياثا».

(٦) في تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ «واخزُن».

(٧) الطبري ٣/٤٥٣، ٤٥٤.

(٨) في إحدى النسخ «الناطق».

(٩) العنوان في تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ «وقعة القَرْقَس».

أشدّ على العرب؟ قال: بَهْمَن جاذَوَيْه المعروف بذي الحاجب، وإنّما قيل له ذو[1] الحاجب لأنّه كان يعصّب حاجبَيْه بعصابة ليرفعهما كِبْراً[2]. فوجّهه ومعه فيَلَة، وردّ الجالينوس معه وقال لبَهْمَن: إن انهزم الجالينوس ثانيةً فاضربْ عُنُقه. فأقبل بَهْمَن جاذَوَيْه ومعه دِرَفْش كابيان راية كسرى، وكانت من جلود النمر، عرْض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، فنزل بقُسّ الناطف[3]. وأقبل أبو عُبيد فنزل بالمَرْوحة[4]، فرأت دَوْمة، امرأته أمّ المختار ابنه، أنّ رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شراب، فشرب أبو عُبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عُبيد فقال: لَهذه إن شاء الله الشهادة! وعهد إلى النّاس فقال: إن قُتلتُ فعلى النّاس فلان، فإن قُتل فعليهم فلان، حتى أَمَّر الذين شربوا من الإناء، ثمّ قال: فإن قُتل فعلى النّاس المثنّى.

وبعث إليه بَهْمَن جاذَوَيْه: إمّا أن تعبر إلينا ونَدَعكم والعبور، وإمّا أن تَدَعُونا نعبر إليكم. فنهاه النّاس عن العبور، ونهاه سَليط أيضاً، فلجّ وترك الرأي وقال: لا يكونوا أجرأ على الموت منّا. فعبر إليهم على جسر عقده ابن صَلوبا للفريقين، وضاقت الأرض بأهلها واقتتلوا، فلمّا نظرت الخيول إلى الفِيَلَة والخيل عليها التجافيف[5] رأت شيئاً منكراً لم تكن رأت مثله، [فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم] لم[6] تقدم عليهم [خيولهم]، وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفِيلة والجلاجل فرّقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشّاب. واشتدّ الأمر بالمسلمين. فترجّل أبو عُبيد والنّاس، ثمّ مشوا إليهم، ثمّ صافحوهم بالسيوف، فجعلت الفِيَلَة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم، فنادى أبو عُبيد: احتوِشوا الفِيَلَة واقطعوا بِطانها[7] واقلبوا عنها أهلها، ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بِطَانه ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلاّ حطّوا رحله وقتلوا أصحابه. وأهوى الفيل لأبي عُبيد، فضربه أبو عُبيد بالسيف، وخبطه الفيل بيده فوقع فوطِئه الفيل وقام عليه. فلمّا بصر به النّاس تحت الفيل خشعت أنفُس بعضهم، ثمّ أخذ اللّواءَ الذي [كان] أمّره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحّى عن أبي عُبيد، فأخذه المسلمون فأحرزوه، ثمّ قتل الفيلُ الأميرَ الذي بعد أبي عُبيد، وتتابع سبعة أنفُس من ثقيف، كلّهم يأخذ اللّواء ويقاتل حتى يموت، ثمّ أخذ اللواءَ المثنّى، فهرب عنه النّاس.

---

(١) في الطبعة الأوروبية «ذا».

(٢) في الأصل «كثيراً».

(٣) قُسّ الناطف: بضم أوله. موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي. (معجم البلدان ٤/٣٤٩).

(٤) المَرْوَحَة: موضع بالسواد على شاطىء الفرات الغربي. (معجم البلدان ٥/١١١، ١١٢).

(٥) التجافيف: واحدها التجفاف: من آلات الحرب توضع على الفَرَس يُتَّقى بها كالدّرع للإنسان.

(٦) في الطبعة الأوروبية «فلم».

(٧) البطان: مفردها بطانة، وهي حزام القتب.

فلمّـا رأى عبد الله بن مَرْثد الثقفيّ مـا لقي أبو عُبيـد وخلفـاؤه، ومـا يصنـع النّـاس بادرهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيّها النّاس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا! وحاز المشركـون المسلمين إلى الجسر، فتـواثب بعضهم إلى الفرات فغـرق مَنْ لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر. وحمى المثنّى وفرسان من المسلمين النّاس وقال: إنّا دونكم فاعبروا على هِينتكم[1]، ولا تدهَشوا ولا تغرّقوا نفوسكم[2]. وقاتل عُروة بن زيد الخيل قتالاً شديداً وأبو مِحْجن الثقفيّ، وقاتل أبو زُبَيْـد الطائيّ حميَّـة للعربيّـة[3]، وكان نصـرانيّاً قـدِم الحيرة لبعض أمره[4]، ونادى المثنّى: من عبر نجا[5]. فجاءَ العلوج فعقدوا الجسر وعبر النّاس[6].

وكان آخر مَنْ قُتل عند الجسر سَليط بن قيس، وعبر المثنّى وحمى جانبه، فلمّا عبر ارفضّ عنه أهل المدينة وبقي المثنّى في قلّة، وكان قد جُرح وأُثبت فيه حَلَق من درعه[7].

وأُخبر عمر عمّن سار في البلاد من الهزيمة استحياء، فاشتـدّ عليه وقـال: اللهمّ إنّ كلّ مسلم في حِلّ مِنّي، أنا فئة كلّ مسلم، يرحم الله أبا عُبَيد! لو كان انحاز إليّ لكنتُ له فئة[8].

وهلك من المسلمين أربعـة آلاف بين قتيـل وغـريق[9]، وهـرب ألفـان وبقي ثـلاثـة آلاف، وقُتل من الفرس ستّة آلاف[10].

وأراد بَهْمَن جاذَوَيه العبور خلف المسلمين، فأتاه الخبر باختلاف الفُرس، وأنّهم قد ثـاروا برستم ونقضـوا الذي بينهم وبينـه، وصـاروا فـريقَين: الفَهْلُوج على رستم، وأهـل فارس على الفَيْرُزان، فرجع إلى المدائن.

وكانت هذه الوقعة في شعبان[11].

---

(١) في الطبعة الأوربية «هنتكم». وهينتكم: أي على مهلكم.

(٢) إلى هنـا الخبر في تـاريخ الطـبري ٣/٤٥٤ ـ ٤٥٧. وأنـظر الفتـوح لابن أعثم ١/١٦٨ وتـاريـخ اليعقـوبي ٢/١٤٢.

(٣) في فتوح البلدان ٣٠٨ «حميّة للمسلمين بالغربيّة».

(٤) العبارة من: وقاتل عروة بن زيد الخيل... إلى هنا، من فتوح البلدان ٣٠٨.

(٥) في الأصـل «غير ومن المسلمين».

(٦) تاريخ خليفة ١٢٥، فتوح البلدان ٣٠٩، تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٩) أنظر تاريخ خليفة ١٢٥.

(١٠) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨ وأنظر ص ٤٥٥ عن قتلى الفُرس.

(١١) الخبر في تاريخ الطُبري ٣/٤٥٥.

وكان فيمن قُتل بالجسر: عُقبة وعبد الله ابنا قَيْظي[1] بن قيس، وكانا شهدا أُحُداً، وقُتل معهما أخوهما عبّاد ولم يشهد معهما أُحُداً[2]، وقتل أيضاً قيس بن السَّكَن بن قيس أبو زيد الأنصاريّ، وهو بدْريّ لا عقِب له[3]، وقُتل يزيد بن قيس بن الحُطَيْم الأنصاريّ، شهد أُحُداً[4]، وفيها قُتل أبو أميّة الفزاريّ، له صحبة، والحَكَم بن مسعود أخو أبي عبيد، وابنه جبر[5] بن الحَكَم بن مسعود.

ذكر خبر أُلَّيْس الصغرى

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومَرْدانشاه بما جاءه من الخبر، فخرجا حتى أخذا بالطريق، وبلغ المثنّى فَعْلهُما فاستخلف على النّاس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريدهما، فظنّا أنّه هارب فاعترضاه، فأخذهما أسيرَين، وخرج أهل أُلَّيْس[6] على أصحابهما فأتوه بهم أسرى، وعقد لهم بها ذِمّة وقتلهما وقتل الأسرى. وهرب أبو مِحْجن من أُلَّيْس ولم يرجع مع المثنّى بن حارثة[7].

ذكر وقعة البُوَيْب

لما بلغ عمرَ خبرُ وقعة أبي عُبيد بالجسر ندبَ النّاسَ إلى المثنّى، وكان فيمن ندب بَجيلة، وأمْرهم إلى جرير بن عبد الله، لأنّه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرّقين فيها، فسأل النبيَّ، ﷺ، أن يجمعهم فوعده ذلك، فلمّا ولي عمر طلب منه ذلك فكتب إلى عُمّاله: إنّه مَنْ كان يُنسب إلى بَجيلة في الجاهليّة وثبت عليه في الإسلام فأخرجوه إلى جرير، ففعلوا ذلك، فلمّا اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق، وأبوا إلّا الشام، فعزم عمر على العراق، وينفلهم ربع الخُمْس، فأجابوا، وسيّرهم إلى المثنّى بن حارثة، وبعث عصمة بن عبد الله الضبيّ فيمن تبعه إلى المثنّى، وكتب إلى أهل الرِّدّة، فلم يأتِه أحد إلّا رمى به المثنّى، وبعث المثنّى الرُّسُل فيمن يليه من العرب، فتوافوا إليه في جمْعٍ عظيم. وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمريّ في جمْعٍ عظيم من النِّمر نصارى وقالوا: نقاتل مع قومنا.

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٤٠ «قبطي»، والتصويب من البداية والنهاية ٧/٥٠.

(٢) البداية والنهاية ٧/٥٠.

(٣) البداية والنهاية ٧/٤٩ و ٥٠.

(٤) البداية والنهاية ٧/٥١.

(٥) في النسخة (ب) «حبي».

(٦) أُلَّيْس: مُصَغَّر بوزن فُلَيْس. موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية. وهي قرية من قرى الأنبار. (معجم البلدان ١/٢٤٨).

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥٩، ٤٦٠.

وبلغ الخبر رستم والفَيْرُزَان، فبعثا مِهْران الهمذانيّ إلى الحيرة، فسمع المثنّى ذلك وهو بين القادسيّة وخَفّان، فاستبطن فراتَ بادَقْلى، وكتب إلى جرير وعصمة وكلّ مَن أتاه ممدّاً له يُعلمهم الخبر، ويأمرهم بقصد البُوَيْب فهو الموعد فانتهوا إلى المثنّى وهو بالبُوَيب ومِهران بإزائه من وراء الفرات، فاجتمع المسلمون بالبُويب ممّا يلي الكوفة اليوم، وأرسل مِهران إلى المثنّى يقول: إمّا أن تعبر إلينا وإمّا أن نعبر إليك. فقال المثنّى: اعبروا. فعبر مِهران فنزل على شاطىء الفرات، وعبّى المثنّى أصحابه، وكان في رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوّهم، فأفطروا[1].

وكان على مجنّبَتي المثنّى: بَشير بن الخصاصيّة، وبُسْر بن أبي رُهْم، وعلى مجرّدته المُعنّى أخوه، وعلى الرَّجْل مسعود أخوه، وعلى الرِّدْءِ[2] مَذْعور، وكان على مجنّبَتَيْ مِهران بن الازاذبه مرزُبان الحيرة وَمرْدانْشاه. وأقبل الفُرس في ثلاثة صفوف، مع كلّ صفّ فيل، ورَجْلهم أمام فيلهم ولهم زُجَلٌ، فقال المثنّى للمسلمين: إنّ الذي تسمعون فَشَل فالزموا الصمت.

ودنوا من المسلمين، وطاف المثنّى في صفوفه يعهد إليهم وهو على فرسه الشَّموس، وإنّما سُمّي بذلك لِلِينه، وكان لا يركبه إلّا إذا قاتل، فوقف على الرايات يحرّضهم، ويهزّهم، ولِكُلّهم يقول: إنّي لأرجو أن لا يؤتَى النّاس من قِبَلِكم اليوم، والله ما يسرّني اليوم لنفسي شيء إلّا وهو يسرّني لعامّتكم. فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل، وخلط النّاس في المحبوب والمكروه، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً وقال: إنّي مكبِّرٌ ثلاثاً فتهيّأوا، ثمّ احملوا في الرابعة. فلمّا كبّر أوّل تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم، وركدت خيلهم وحرْبهم مليّاً، فرأى المثنّى خللاً في بني عِجْل، فجعل يمدّ لحيته لِما يرى منهم، وأرسل إليهم يقول: الأسير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم. فقالوا: نعم؛ واعتدلوا. فضحك فرحاً.

فلمّا طال القتال واشتدّ قال المثنّى لأنس بن هلال النمريّ: إنّك امرؤ عربيّ وإن لم تكن على ديننا، فإذا حملتُ على مِهْران فاحملْ معي، فأجابه، فحمل المثنّى على مِهران فأزاله حتى دخل في ميمنته، ثمّ خالطوهم واجتمع القلبان، وارتفع الغبار والمجنّبات تُقْتَل[3]، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المسلمون ولا المشركون، وارتُثّ مسعود أخو المثنّى يومئذٍ وجماعة من أعيان المسلمين، فلمّا أُصيب مسعود تضعضع مَنْ

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦٠، ٤٦١.
(٢) في الطبعة الأوربية «الردّ».
(٣) عند الطبري ٣/٤٦٦ «تقتتل».

معه، فقال: يا معشر بكرٍ ارفعوا رايتكم رفعكم الله، ولا يهولنّكم مصرعي! وكان المثنّى قال لهم: إذا رأيتمونا أُصِبْنا فلا تَدَعوا ما أنتم فيه، الزموا مصافّكم وأغْنوا غَناءَ[1] من يليكم.

وأوجع قلبُ المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام نصرانيّ من تغلِب مِهرانَ، واستوى على فرسه، فجعل المثنّى سَلَبه لصاحب خيله، وكان التغلبيّ قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلِب، فلمّا رأوا القتال قاتلوا مع العرب، قال: وأفنى المثنّى قلب المشركين والمجنّبات بعضها يقاتل بعضاً. فلمّا رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله وثب مجنّبات المسلمين على مجنّبات المشركين، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنّى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر، ويرسل إليهم مَنْ يذمُرهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالكم، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنّى إلى الجسر، وأخذ طريق الأعاجم، فافترقوا مُصَعِّدين ومنحدرين، وأخذَتْهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جُثّاً[2].

فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رِمّة منها، بقيت عظام القتلى دهراً طويلاً، وكان يحزرون القتلى مائة ألف، وسُمّي ذلك اليوم الأعشار، أُحصي مائة رجل، قتل كلّ رجلٍ منهم عشرة. وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، وغالب الكِنانيّ وعَرْفجة الأزديّ من أصحاب التسعة. وقُتل المشركون فيما بين السَّكون المثنّى على أخْذه بالجسر وقال: عجزتُ عجزة وقَى الله شرّها بمسابقتي إيّاهم إلى الجسر حتى أحرجتُهم، فلا تعودوا أيّها النّاس إلى مثلها، فإنّها كانت زلّة، فلا ينبغي إحراج مَنْ لا يقوى على امتناع.

ومات أُناس من الجرحى، منهم: مسعود أخو المثنّى، وخالد بن هلال، فصلّى عليهم المثنّى وقال: والله إنّه ليهوِّن وَجْدي أن صبروا وشهِدوا البُوَيْب ولم ينكِلوا.

وكان قد أصاب المسلمون غَنَماً ودقيقاً وبَقَراً، فبعثوا به إلى عيال مَنْ قدِم من المدينة وهم بالقوادس. وأرسل المثنّى الخيلَ في طلب العجم، فبلغوا السِّيب[3]، وغنِموا من البقر والسبيْ وسائر الغنائم شيئاً كثيراً، فقسّمه فيهم، ونفّل أهل البلاد، وأعطى بَجيلة رُبْع الخمس، وأرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثنّى يعرّفونه سلامتهم، وأنّه لا مانع

---

(١) في الطبعة الأوروبية «عنّا».

(٢) في الطبعة الأوروبية: جثيّاً. (والجُثُّ: ما أشرف من الأرض حتى يكون كأكمة صغيرة). وقد وردت في النسخة (ب) «جثماً».

(٣) في النسخة (ب) «البر».

دون القوم، ويستأذنونه في الإقدام، فأذِن لهم، فأغاروا[١] حتى بلغوا ساباط[٢]، وتحصّن أهله منهم واستباحوا القرى، ثمّ مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة، لا يخافون كيداً ولا يَلقون مانعاً، ورجعت مسالح العجم إليهم، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة[٣].

(بُسْر بن أبي رُهْم: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة).

ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد

ثمّ خلّف المثنّى بالحيرة بَشيرَ بن الخصاصيّة، وسار يمخر السواد، وأرسل إلى مَيْسان ودَسْتُميسان[٤] وأذكى المسالح، ونزل أُلَّيْس[٥]، قرية من قرى الأنبار، وهذه الغزوة تُدْعى غزوة الأنبار الآخرة وغزوة أُلَّيْس[٥] الآخرة.

وجاء إلى المثنّى رجلان أحدهما أنباريّ فدلّه على سوق الخنافس، والثاني حيريّ[٦] دلّه على بغداد، فقال المثنّى: أيّتهما قبل صاحبتها[٧]؟ فقالا: بينهما مسيرة أيّام. قال: أيّهما أعجل؟ قالا: سوق الخنافس يجتمع بها تجّار مدائن كسرى والسواد وربيعة وقُضاعة يخفرونهم. فركب المثنّى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خَيْلان من ربيعة وقُضاعة، وعلى قُضاعة رُومانِس بن وَبَرَة، وعلى ربيعة السَّليل بن قيس وهم الخُفَراء، فانتسف[٨] السوق وما فيها، وسلب الخُفَراء. ثمّ رجع فأتَى الأنبار فتحصّن أهلُها منه، فلمّا عرفوه نزلوا إليه وأتوه بالأعلاف والزاد، وأخذ منهم الأدلاّء على سوق بغداد، وأظهر لدِهْقان الأنبار أنّه يريد المدائن، وسار منها إلى بغداد ليلاً، وعبر إليهم وصبّحهم في أسواقهم، فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء. وقال المثنّى: لا تأخذوا إلاّ الذهب والفضّة والحُرَّ[٩] من كلّ شيء. ثمّ عاد راجعاً حتى نزل بنهر السالحين[١٠] بالأنبار، فسمع أصحابه

---

(١) في النسخة (ب) «فساروا».
(٢) ساباط كسرى: بالمدائن موضع معروف. (معجم البلدان ٣/١٦٦).
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٦٠ ـ ٤٧٠.
(٤) دَستُمِيسان: بفتح الدال، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثنّاة من فوقها، وميم مكسورة، وياء مثنّاة من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون. كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. (معجم البلدان ٢/٤٥٥).
(٥) في الطبعة الأوربية «اللّيس».
(٦) في النسخة (ب) «خيبري».
(٧) في الطبعة الأوربية «صاحبتهما».
(٨) في النسخة (ب) «فانتهب».
(٩) في الطبعة الأوربية: والخزّ. (والحُرُّ من كل شيء: خياره وطيّبه).
(١٠) السالحين: هي سَيْلَحُون: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح لامه، ثم حاء مهملة، وواو ساكنة. قرب الحيرة ضاربة في البرّ قرب القادسيّة. وهذه غير سيلحون التي باليمن. وكُتّاب الخراج يجعلون السيلحين طسّوجاً=

يقولون: ما أسرع القوم في طلبنا، فخطبهم وقال: احمدوا الله وسلوه العافية، وتناجوا بالبرّ والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان، أنظروا في الأمور وقدّروها ثمّ تكلّموا. إنّه لم يبلغ النذير مدينتهم بعدُ، ولو بلغهم لحال الرّعْب بينهم وبين طلبكم. إنّ للغارات روعات تُضعف القلوب يوماً إلى اللّيل، ولو طلبكم المحامون من رأيِ العين ما أدركوكم وأنتم على العراب[1] حتى تنتهوا إلى عسكركم، ولو أدركوكم لَقَاتلتُهم التماس الأجر ورجاء النصر، فثِقُوا بالله وأحسِنوا به الظنّ، فقد نصركم في مواطن كثيرة.

ثمّ سار بهم إلى الأنبار، وكان مَنْ خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنّون الغارات ما بين أسفل كَسْكر وأسفل الفرات، وجسّوا مِثْقباً إلى عين التمر وفي أرض الفلاليج، والمثنّى بالأنبار.

ولما رجع المثنّى من بغداد إلى الأنبار بعث المُضاربَ العِجْليّ في جمع إلى الكَباث وعليه فارس العُنَاب التغلبيّ، ثمّ لحقهم المثنّى فسار معهم، فوجدوا الكَباث، قد سار مَنْ كان به[2]، ومعهم فارس العُناب، فسار المسلمون خلفه، فلحِقوه وقد رحل من الكَباث، فقتلوا في أخريات أصحابه وأكثروا القتل. فلمّا رجعوا إلى الأنبار سرّح فُرات بن حَيّان التغلبيّ وعُتَيْبة بن النّهّاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصفّين، ثمّ اتّبعهما المثنّى واستخلف على النّاس عمرو بن أبي سُلْمَى الهُجَيْميّ. فلمّا دنوا من صِفّين فرّ مَنْ بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنّى وأصحابه، فأكلوا رواحلهم إلّا ما لا بدّ منه حتى جلودها، ثمّ أدركوا عيراً من أهل دَبَا[3] وحَوْران، فقتلوا مَنْ بها، وأخذوا ثلاثة نفر من تغلِب كانوا خُفراء، وأخذوا العير، فقال لهم: دُلّوني. فقال أحدهم: آمنوني على أهلي ومالي، وأدلّكم على حيٍّ من تغلِب. فآمنه المثنّى وسار معهم يومه، فهجم العشيّ على القوم، والنَّعم صادرة عن الماء، وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّيّة، واستاق الأموال، وكان التغلبيّون بني ذي الرُّوَيْحلة، فاشترى مَنْ كان مع المثنّى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفَيْء وأعتقوهم؛ وكانت ربيعة لا تسابي إذ العرب يتسابَون في جاهليّتهم.

= برأسه من كورة بهُقُباذ الأسفل من الجانب الغربي، وبين هذه الناحية وبغداد ثلاثة فراسخ. وقيل: إنها سُمّيت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكِسرى، وهم قوم بسلاح يُرتّبون في الثغور والمخافات، واحدهم مَسْلَحيّ. والعامّة تقول مصلحيّ، وهو خطأ. (معجم البلدان ٣/٢٩٨. ٢٩٩).

(١) العِراب. من الخيل والإبل: الكرائم السالمة من الهجنة. وفي الطبعة الأوربية «العرب». وفي النسخة (ب): «الفرات».

(٢) في النسخة (ب) «يذب».

(٣) دَبَا: بفتح أوله. وهو سوق من أسواق العرب بعُمان. (معجم البلدان ٢/٤٣٥).

وأخبر المثنّى أنّ جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة، فخرج المثنّى وعلى مجنّبتَيْه النّعمان بن عوف ومَطَر الشيبانيّان، وعلى مقدّمته حُذَيفة بن مِحْصن الغِلفانيّ، فساروا في طِلبهم فأدركوهم بتَكريت، فأصابوا ما شاؤوا من النَّعم، وعاد إلى الأنبار. ومضى عُتَيْبة وفرات ومَن معهما حتى أغاروا على صِفّين وبها النمِر وتغلِب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم: الغرقَ الغرقَ! وجعل عتيبة وفرات يذمران النّاس ويناديانهم، تغريق بتحريق! يذكّرانهم يوماً من أيّام الجاهليّة أحرقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غَيْضة من الغياض. ثمّ رجعوا إلى المثنّى وقد غرّقوهم، وقد بلغ الخبرُ عمرَ فبعث إلى عُتيبة وفرات فاستدعاهما، فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنّهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل[1]، إنّما هو مَثَلٌ. فاستحلفهما وردّهما إلى المثنّى[2].

(عُتَيْبَة بن النَّهّاس: بالتاء المثنّاة من فوقها، والياء المثنّاة من تحتها، والباء الموحّدة).

ذكر الخبر عن الذي هيّج أمر القادسيّة وملك يَزْدَجِرْد

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرُزان، وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهّنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوّهم، ولم يبلغ من أمركما أن نقرّكما على هذا الرأي، وأن تعرّضاها للهَلَكة؛ ما بعد بغداد وساباط وتَكريت إلاّ المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما، ثمّ نهلك وقد اشتفينا منكما. فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كِسْرَى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريّه ونساء آل كسرى وسراريّهم، ففعلت، فأحضروهنّ جميعهنّ، وأخذوهنّ بالعذاب يستدلّونهنّ على ذَكَر من أبناء كسرى، فلم يوجد عند واحدةٍ منهنّ أحد، وقال بعضهنّ: لم يبقَ إلاّ غلام يُدْعى يَزْدَجِرْد من ولد شَهْريار بن كسرى، وأمّه من أهل بادوريا. فأرسلوا إليها وطلبوه منها، وكانت قد أنزلته أيّام شِيرَى حين جمعهنّ، فقتل الذكور، وأرسلته إلى أخواله. فلمّا سألوها عنه دلّتهم عليه، فجاؤوا به فملّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه، فاطمأنّت فارس واستوثقوا، وتباري المرازبة في طاعته ومعونته، فسمّى الجنود لكلّ مَسْلَحَة وثغر، فسمّى جُند الحيرة والأُبُلّة والأنبار وغير ذلك.

وبلغ ذلك من أمرهم المثنّى والمسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطّاب بما ينتظرون

---

(١) في تاريخ الطبري «على وجه طلب ذَحْل الجاهلية».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٧٦ - ٤٨٢.

من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، مَنْ كان له عهد ومَنْ لم يكن له عهد، فخرج المثنّى حتى نزل بذي قار، ونزل النّاس بالطَّفّ في عسكر واحد. ولما وصل كتاب المثنّى إلى عمر قال: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب! فلم يَدَعْ رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسْطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلاّ رماهم به، فرماهم بوجوه النّاس وغُرَرهم. وكتب عمر إلى المثنّى ومَنْ معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرّق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يَدَعوا في ربيعة ومُضَر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلاّ أحضروه إمّا طوعاً أو كرهاً. ونزل النّاس بالجُلّ[1] وشَرَاف[2] إلى غُضَيّ[3]، وهو جبل البصرة، وبسَلْمان[4]، بعضهم ينظر إلى بعض ويُغيث بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة[5].

وأرسل عمر في ذي الحجّة من السنة، مُخْرجَهُ إلى الحجّ، إلى عُمّاله على العرب أن لا يَدَعوا مَنْ له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي إلاّ وجّهوه إليه، فأمّا مَنْ كان على النصف[6] ما بين المدينة والعراق، فجاء إليه بالمدينة لما عاد من الحجّ، وأمّا مَنْ كان أقرب إلى العراق فانضمّ إلى المثنّى بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلى عمر[7].

وحجّ في هذه السنة عمر بن الخطّاب بالنّاس، وحجّ سنيه كلّها[8].

وكان عامل عمر على مكّة هذه السنة عتّاب بن أُسيد فيما قال بعضهم، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْية، وعلى عُمان واليمامة حُذَيْفة ابن مِحْصن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى فرْج[9] الكوفة وما فُتح من أرضها المثنّى بن حارثة[10].

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٤٩ «بالخَلّ»، والتصويب من معجم البلدان ٢/١٥٥، ١٥٦، حيث قال: الجُلّ: بالضم، وتشديد اللام.. وهو قريب من السَّلمان، بينه وبين واقصة ثمانية أميال. وقال الحازمي: جُلّ موضع بالبادية على جادّة طريق القادسيّة إلى زُبالة، بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلاً.

(٢) في طبعة صادر قيّدها «شِراف» بكسر أوله. والتصحيح من معجم البلدان ٣/٣٣١ حيث قال: شَراف: بفتح أوله. وقال أبو عبيد السكوني: شَراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب.

(٣) غُضَيّ: جبال البصرة. (معجم البلدان ٤/٢٠٧).

(٤) سَلْمان: منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة، وبين عين صيد والسلمان ليلتان وما قصة دون ذلك، وبين العقبة والسلمان ليلتان. (معجم البلدان ٣/٢٣٩).

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٧٧، ٤٧٨.

(٦) في النسخة (ب): «الثقف».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٧٩، وأنظر الفتوح لابن أعثم ١/١٧٣، ١٧٤.

(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٧٩ وفي تاريخ خليفة ١٢٥: أقام الحجّ سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في الأصل «فتح»، وفي النسخة (ب): «مرج».

(١٠) الطبري ٣/٤٧٩.

وكان على القضاء فيما ذُكر عليّ بن أبي طالب[1] . .

* * *

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أبو كَبْشة مولى رسول الله، ﷺ، وقيل بعد ذلك.

وفي خلافة أبي بكر مات سهل بن عمرو أخو سُهَيْل، وهو من مسلمة الفتح. وفي خلافته مات الصّعْب بن جثّامة اللّيثيّ.

وفي أوّل خلافته مات ابنه عبدالله بن أبي بكر، وكان قد جُرح في حصار الطائف ثمّ انتقض عليه جرحه فمات.

وفي هذه السنة توفّي الأرْقم بن أبي الأرقم يوم مات أبو بكر، وهو الذي كان رسول الله، ﷺ، مستخفياً بداره بمكّة أوّل ما أرسل.

---

(١) الطبري ٣/٤٧٩.

١٤
ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسيّة[١]

لما اجتمع النّاسُ إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يُدْعى صِراراً[٢]، فعسكر به، ولا يدري النّاس ما يريد أيسير أم يُقيم، وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عَوف، فإنْ لم يقدر هذان على عمل شيء ممّا يريد ثلّثوا بالعبّاس بن عبد المطّلب، فسأله عثمان عن سبب حركته، فأحضر النّاس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامّة: سِرْ وسِرْ بنا معك. فدخل معهم في رأيهم وقال: اغدوا واستعدّوا فإنّي سائر إلّا أن يجيء رأيٌ هو أمثل من هذا. ثمّ جمع وجوه أصحاب رسول الله، ﷺ، وأرسل إلى عليّ، وكان استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة، وكان على المقدّمة، فرجع إليه، وإلى الزبير وعبد الرحمن، وكانا على المجنّبَتَين، فحضرا، ثمّ استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله، ﷺ، ويرميه بالجنود، فإنْ كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلّا أعاد رجلاً وبعث[٣] آخر، ففي ذلك غيظ العدوّ.

فجمع عمر النّاس وقال لهم: إنّي كنتُ عزمتُ على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل.

---

(١) فتوح البلدان ٣١٣، تاريخ اليعقوبي ١٤٣/٢، تاريخ خليفة ١٣١، كتاب الفتوح لابن أعثم ١٧٢/١، تاريخ الطبري ٤٨٠/٣، الخراج وصناعة الكتابة ٣٥٩، الأخبار الطوال ١١٩، العقد الفريد ١٥٣/١، البدء والتاريخ ١٧٠/٥، مروج الذهب ٣١٢/٢ طبعة داغر، الأغاني ١٦٩/١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ ـ ٩٧/٩، آثار البلاد وأخبار العباد ٢٣٩، الفخري في الآداب السلطانية ٧٨، نهاية الأرب للنويري ١٨٩/١٩، تاريخ الإسلام ١١/٢، البداية والنهاية ٣٧/٧، تاريخ ابن خلدون ٩١/٢، خزانة الأدب للبغدادي ٤٢٦/١، المغازي للزهري ١٧٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «ضرار».

(٣) في الأصل إضافة «جنداً».

وكـان سعد بن أبي وقّـاص على صدقـات هوازن، فكتب إليـه عمر بـانتخاب ذوي الرأي والنَّجْدة والسلاح، فجاءه كتابُ سعد، وعمر يستشير النّاس فيمن يبعثه، يقـول: قد انتخبتُ لك ألف فارس كلّهم لـه نجدة ورأي وصـاحب حيطة يحـوط حريم قـومه، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم. فلمّا وصل كتابه قالوا لعمر: قد وجدتَـهُ. قال: من هـو؟ قالـوا: الأسد عادياً سعد بن مالك، فانتهى إلى قولهم، وأحضره وأمَّره على حرب العراق ووصّـاه وقـال: لا يغرّنّـك من الله أن قيل: خـال رسول الله، فـإنّ الله لا يمحـو السيّء بـالسيّء، ولكنّه يمحو السّيّء بالحَسَن، وليس بين الله وبين أحد نَسَب إلّا طـاعته، فـالنّاس في ذات الله سواء، الله ربّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويُدركون[1] مـا عنده بـالطاعـة، فانـظر الأمرَ الذي رأيتَ رسول الله، ﷺ، يلزمه فالزمْـه[2]. ووصّاه بـالصبر وسـرّحه فيمن اجتمـع إليـه من نفر المسلمين، وهم أربعـة آلاف، فيهم حُمَيْضـة بن النعمـان بن حُمَيضـة على بارق، وعمرو بن معدي كـرب، وأبو سَبْرة بن ذؤيب على مَـذْحِج[3]، ويـزيد بن الحـارث الصُّدائيّ على صُداء، وحَبيب[4] ومُسلية وبِشْر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان[5].

وخرج إليهم عمر، فمرّ بفِتْيَةٍ من السَّكـون مع حُصين بن نُمَيـر ومعاويـة بـن حُدَيْـج دُلَم[6] سِباطٍ، فأعرض عنهم، فقيل له: ما لك وهؤلاء؟ فقال: مـا مرّ بي قـوم من العرب أكرهَ إليّ منهم. ثمّ أمضاهم فكان بعدُ يذكرهم بـالكراهـة، فكان منهم سُـودان بن حُمْران قتل عثمان، وابن مُلْجم قتل عليّاً، ومعاوية بن حُـدَيْج جـرّد السيف في المسلمين، يُظهـر الأخذ بثأر عثمان، وحُصَين بن نُمَير كان أشدّ النّاس في قتال عليّ[7].

ثمّ إنّ عمر أخذ بوصيّتهم وبعظتهم ثمّ سيّرهم، وأمدّ عمر سعداً بعد خروجـه بألفَيْ يمانيّ نجديّ، وكان المثنّى بن حارثة في ثمانية آلاف، وسار سعد والمثنّى ينتظر قـدومه، فمات المثنّى قبل قدوم سعد من جـراحة انتقضت عليـه، واستخلف على النّاس بشيـرَ بنَ الخصاصيّة وسعد يومئذٍ بزَرود[8]، وقـد اجتمع معـه ثمانيـة آلاف، وأمر عمـر بني أسد أن ينـزلوا على حـدّ أرضهم بين الحَزْن والبسيـطة، فنزلـوا في ثلاثـة آلاف، وسار سعـد إلى

---

(١) في الطبعة الأوربية «ويذكرون».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٨٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤٨٤ «على جُعْفَى».

(٤) في تاريخ الطبري «جَنب».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٨٤، ٤٨٥.

(٦) دُلَمْ: جمع أدلم، وهو الطويل.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٨٥، ٤٨٦.

(٨) زَرُود: رمال بين الثعلبية والخُزَيمة بطريق الحاج من الكوفة. (معجم البلدان ٣/١٣٩).

شَرَاف فنزلها، ولحِقه بها الأشعث بن قيس في ألفٍ وسبعمائةٍ من أهل اليمن، فكان جميع مَنْ شهد القادسيّة بضعة وثلاثين ألفاً، وجميع مَنْ قُسم عليه فَيْئها نحوٌ من ثلاثين ألفاً[١].

ولم يكن أحد أجرأ على أهل فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفَرَس، ولم يَدَعْ عمر ذا رأيٍ ولا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً ولا وجيهاً من وجوه النّاس إلاّ سيّره إلى سعد[٢].

وجمع سعد مَنْ كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنّى، فاجتمعوا بشَراف، فعبّأهم وأمّر الأمراء، وعرّف على كلّ عشرة عريفاً، وجعل على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وولّى الحروب رجالاً على ساقتها ومقدّمتها ورَجْلها وطلائعها ومجنّباتها، ولم يفصل إلاّ بكتاب عمر، فجعل على المقدّمة زُهْرة بن عبد الله بن قَتادة بن الحَوِيّة، فانتهَى إلى العُذَيْب، وكان من أصحاب رسول الله، ﷺ، وجعل على الميمنة عبد الله بن المُعْتَمّ، وكان من الصحابة أيضاً، واستعمل على الميسرة شُرَحْبيل بن السِّمْط الكِنْديّ، وجعل خليفته خالد بن عُرْفُطة حليف بني عبد شمس، وجعل عاصم بن عمرو التميميّ على السّاقة، وسَواد بن مالك التميميّ على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهليّ على المجرّدة، وعلى الرَّجّالة حَمّال بن مالك الأسديّ، وعلى الرُّكبان عبد الله بن ذي السَّهمَين الخَثْعميّ[٣].

وجعل عمر على القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهليّ، وعلى قسمة الفَيْء أيضاً، وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسيّ، والكاتب زياد بن أبيه[٤].

وقدِم المعنّى بن حارثة الشيبانيّ وسَلْمَى بنت خَصَفَة زوج المثنّى بشَراف، وكان المعنّى بعد موت أخيه قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسيّة، وكان قد بعثه إليها الفُرس يستنفر العرب، فسار إليه المعنّى فقفله فأنامه[٥] ومَن معه، ورجع إلى ذي قار وسار إلى سعد يُعلمه برأي المثنّى له وللمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفُرس على حدود أرضهم على أدنَى حَجَر من أرض العرب، ولا يقاتلوهم[٦] بعقر دارهم، فإن يُظْهر الله

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٨٥ ـ ٤٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٨٧.

(٣) في طبعة صادر ٢/٤٥٣ «الحنفي» وهو تحريف، والتصويب من تاريخ الطبري ٣/٤٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٨٨، ٤٨٩.

(٥) في الطبعة الأوربية «فأقامه». وأنامه: قتله.

(٦) في الطبعة الأوربية «يقاتلهم».

المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثمّ يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم، إلى أن يردّ الله الكَرَّة عليهم. فترحّم سعد ومَنْ معه على المثنّى، وجعل المعنّى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً، ثمّ تزوّج سعد سَلْمَى زوج المثنّى. وكان معه تسعة وتسعون بدريّاً[1] وثلاثمائة وبضعة عشر ممّن كانت له صحبة، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممّن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة[2].

وقدِم على سعد كتاب عمر بمثل رأي المثنّى، وكتب عمر أيضاً إلى أبي عُبيدة ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم إلى العراق. وكان للفرس رابطة بقصر ابن مُقاتل، عليها النُّعمان بن قَبيصة الطائي، وهو ابن عمّ قَبيصة بن إياس صاحب الحيرة، فلمّا سمع بمجيء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سِنان بن خُزَيم الأسديّ، فقيل: رجل من قريش. فقال: والله لأحادنّه القتال فإنّ قريشاً عبيد مَنْ غلب، والله لا يخرجون من بلادهم إلّا بخفّين[3]! فغضب عبد الله بن سِنان من قوله وأمهله حتى دخل قبّته فقتله ولحِق بسعد وأسلم.

وسار سعد من شِراف فنزل العُذَيْب، ثمّ سار حتى نزل القادسيّة بين العَتيق والخندق بحيال القنطرة، وقُدَيْس[4] أسفل منها بميل.

وكتب عمر إلى سعد: إنّي أُلقيَ في روعي أنّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم، فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أماناً، فأجروا له ذلك مجرى الأمان والوفاء، فإنّ الخطأ بالوفاء بقيّة، وإنّ الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهنُكم وقوّة عدوّكم[5]. فلمّا نزل زُهْرة في المقدّمة وأمسى بعث سريّة في ثلاثين معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلمّا جازوا السَّيْلحين سمعوا جَلَبَة، فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أخت آزادُمَرْد بن آزاذبه مَرْزُبان الحيارة تُزَفّ إلى صاحب الصِّنِّين، وهو من أشراف العجم، فحمَل بُكَير بن عبد الله اللّيثيّ أمير السريّة على شيرزاد بن آزاذبه فدقّ صُلْبه، وطارت الخيل على وجوهها، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امرأً[6] من

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٠ «بضعة وسبعون بدريّاً».
(٢) الطبري ٣/ ٤٩٠.
(٣) في النسخة (ب) «لحقير».
(٤) أنظر معجم البلدان ٤/ ٣١٤.
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٢، ٤٩٣.
(٦) في الأصل، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٤ «امرأة»، وما أثبتناه هو الصحيح.

الدهاقين ومائة من التوابع، ومعهم ما لا يُدرى قيمته، فاستاق ذلك ورجع فصبّح سعداً بعُذَيْب الهجانات، فقسم ذلك على المسلمين، وترك الحريم بالعُذيب ومعها خيل تحوطها، وأمّر عليهم غالب بن عبد الله اللّيثيّ[1].

ونزل سعد القادسيّة وأقام بها شهراً لم يأته من الفُرس أحد. فأرسل سعد عاصمَ بن عمرو إلى مَيْسان، فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها، وتحصّن منه مَنْ هناك، فأصاب عاصم رجلاً بجانب أجَمَة، فسأله عن البقر والغنم، فقال: ما أعلم. فصاح ثور من الأجَمَة: كذب عدوّ الله، ها نحن! فدخل فاستاق البقر فأتى بها العسكر، فقسّمه سعد على النّاس، فأخصبوا أيّاماً. فبلغ ذلك الحَجّاج في زمانه فأرسل إلى جماعة فسألهم، فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك وشاهدوه، فقال: كذبتم. قالوا: ذلك إن كنتَ شهدتَها وغِبْنا عنها. قال: صدقتم، فما كان النّاس يقولون في ذلك؟ قالوا: وإنّه يُسْتدلّ بها على رِضى الله وفتْح عدوّنا. فقال: ما يكون هذا إلاّ والجمع أبرار أتقياء. قالوا: ما ندري ما أجنّت قلوبهم، فأمّا ما رأينا فما رأينا قطّ أزهد في دنيا منهم ولا أشدّ بُغضاً لها، ليس فيهم جبان ولا غار[2] ولا غدار. وذلك يوم الأباقر[3].

وبثّ سعد الغارات والنّهب بين كَسْكَر والأنبار، فحووا من الأطعمة ما استكْفوا به زماناً؛ وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسيّة والفراغ منها سنتان وشيء، وكان مقام سعد بالقادسيّة شهرَيْن وشيئاً حتى ظفر.

فاستغاث أهلُ السواد إلى يَزْدَجِرْد وأعلموه أنّ العرب قد نزلوا القادسيّة ولا يبقى على فعلهم شيء، وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات، ونهبوا الدوابّ والأطعمة، وإن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا، وكتب إليه بذلك الذين لهم الضياع بالطَّفّ، وهيّجوه على إرسال الجنود. فأرسل يزدجْرد إلى رستم، فدخل عليه فقال: إنّي أريد أن أوجّهك في هذا الوجه، فأنت رجل فارس اليوم، وقد ترى ما حلّ بالفرس ممّا لم يأتهم مثله، فأظهر له الإجابة ثمّ قال له: دَعْني فإنّ العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بي، ولعلّ الدولة أن تثبت بي إذا لم أحضر الحرب، فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة، والرأي في الحرب أنفع من بعض الظفر، والأناة خير من العجلة، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوّنا. فأبَى عليه، وأعاد رستم كلامه وقال: قد اضطرّني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها، ولو أجد من ذلك بدّاً لم أتكلّم به، فأنشد الله

---

(١) أنظر تاريخ خليفة ١٣٢.

(٢) في النسخة (ب): «غال».

(٣) في الأصل «الأنافر». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٤٩٥.

في نفسك وملكك دَعْني أقِم بعسكري وأسرّح الجالينوس، فإن تكن لنا فذلك وإلّا بعثنا غيره، حتى إذا لم نجد بدّاً صبرنا لهم وقد وهّنّاهم ونحن جامّون[1]، فإنّي لا أزال مرجُوّاً في أهل فارس ما لم أهزم. فأبَى إلّا أن يسير[2]، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط، وأرسل إلى الملك ليعفيه فأبَى.

وجاءت الأخبار إلى سعد بذلك، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكربنّك ما يأتيك عنهم واستعنّ بالله وتوكّل عليه، وابعثْ إليه رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجَلَد يدعونه، فإنّ الله جاعلٌ دُعاءَهم توهيناً لهم.

فأرسل سعد نفراً، منهم: النُّعمان بن مُقَرِّن، وبُسْر بن أبي رُهْم، وحَمَلَة بن حَوِيّة[3]، وحَنْظلة بن الربيع، وفُرات بن حَيّان، وعديّ بن سُهَيْل، وعُطارد بن حاجب، والمُغيرة بن زُرارة بن النَّبّاش الأسديّ، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسّان، وعاصم ابن عمرو، وعمرو بن معدي كرِب، والمغيرة بن شُعْبة، والمعنّى بن حارثة إلى يزدجِرد دُعاة[4]، فخرجوا من العسكر فقدِموا على يزدجرد، وطووا رستم، واستأذنوا على يزدجِرْد فحُبسوا، وأحضر وزراءه ورستم معهم، واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم.

واجتمع النّاس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلّها صُهّال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط، فأذِن لهم، وأحضر الترجمان وقال له: سلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والوَلوع ببلادنا؟ أمِن أجْلِ أنّنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النُّعمان بن مُقَرِّن لأصحابه: إن شئتم تكلّمتُ عنكم، ومَنْ شاء آثرتُهُ. فقالوا: بل تكلّم. فقال: إنّ الله رحِمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشرّ، ووعدَنا على إجابته خيرَ الدنيا والآخرة، فلم يدعُ قبيلة إلّا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثمّ أمر أن ينبِذ[5] إلى مَنْ خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهَين: مكرَه عليه فاغتبط، وطائع [أتاه] فازداد، فعرفنا جميعاً فضلَ ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضِّيق، ثمّ أمرَنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى دِيننا، وهو دين حسّن الحسنَ وقبّح القبيح كلّه، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرّ هو أهون من آخر شرّ منه الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتابَ الله، وأقمنا على أن

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٥٦ «حامون»، والتصحيح من تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٠٣، ٥٠٤.

(٣) في تاريخ الطبري «جُوَيّة».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٩٦، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «نبتدأ».

تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبِلْنا ومنعناكم، وإلاّ قاتلناكم.

فتكلّم يزدجِرْد فقال: إنّي لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقى ولا أقلّ عدداً ولا أسوأ ذات بَيْنٍ منكم، قد كنّا نوكّل بكم قُرى الضواحي فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس[1]، فإن كان غرر[2] لحقكم فلا يغرنّكم منّا، وإن كان الجَهْد فرضْنا لكم قوتاً إلى خِصْبكم، وأكرمْنا وجوهكم وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفُق بكم.

فأسكَت القوم، فقام المُغيرة بن زُرارة فقال: أيّها الملك إنّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنّما يُكرم الأشرافَ ويعظّم حقّهم الأشرافُ، وليس كلّ ما أُرسلوا به قالوه، ولا كلّ ما تكلّمتَ به أجابوك عليه، فجاوبْني لأكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي؛ فأمّا ما ذكرتَ من سوء الحال فهي على ما وصفتَ وأشدّ؛ ثمّ ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبيّ، ﷺ، إليهم نحو قول النعمان وقتال مَنْ خالفهم أو الجزية، ثمّ قال له: اخترْ إن شئتَ الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئتَ فالسيف أو تُسلم فتُنْجي نفسك[3].

فقال: لولا أنّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتُكم! لا شيء لكم عندي. ثمّ استدعى بوِقْرٍ من تراب فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثمّ سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلِموه أنّي مُرْسل إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسيّة، ثمّ أُورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور.

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب. وقال: أنا أشرفهم، أنا سيّد هؤلاء، فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد: أبشرْ فوَالله لقد أعطانا الله أقاليد مُلْكهم[4].

واشتدّ ذلك على جُلساء الملك. وقال الملك لرستم، وقد حضر عنده من ساباط: ما كنتُ أرى أنّ في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صَدَقني القوم، لقد وعدوا أمراً ليُدركُنّه أو ليموتُنّ عليه، على أنّي وجدتُ أفضلهم أحمقهم حيث حمل

---

(١) في الطبعة الأوربية «للفارس».

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٤٩٩ «عدد»، وفي البداية والنهاية ٧/٤١ «عددكم كثير».

(٣) النصّ هنا باختصار عن الطبري ٣/٤٩٩، ٥٠٠، وأنظر البداية والنهاية ٧/٤١، ٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٠٠، ٥٠١، البداية والنهاية ٧/٤٢، ٤٣، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٣، ١٤٤، وفتوح البلدان ٣١٦ وفيه عمرو بن معدي كرب.

التراب على رأسه. فقال رستم: أيّها الملك إنّه أعقلهم، وتطيَّر إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه. وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيباً، وبعث في أثر الوفد وقال لثقته: إنْ أدركهم الرسول تلافَيْنا أرضنا، وإنْ أعجزه سلبكم الله أرضكم. فرجع الرسول من الحيرة بفَوَاتِهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شكّ؛ وكان منجّماً كاهناً[1].

وأغار سَواد بن مالك التميميّ بعد مسير الوفد إلى يزدجِرْد على النِّجاف والفِراض[2]، فاستاق دابّة من بين بغل وحمار وثور وأوقرها سمكاً، وصبّح العسكر، فقسمه سعد بين النّاس، وهذا يوم الحِيتان، وكانت السرايا تسري لطلب اللّحوم، فإنّ الطعام كان كثيراً عندهم، فكانوا يسمّون الأيّام بها: يوم الأباقر ويوم الحيتان. وبعث سعد سريّة أخرى فأغاروا فأصابوا إبلاً لبني تغلب والنّمِر واستاقوها ومَن فيها، فنحر سعد الإبل وقسمها في النّاس فأخصبوا. وأغار عمرو بن الحارث على النّهْرين فاستاق مواشيَ كثيرة وعاد[3].

وسار رستم من ساباط، وجمع آلة الحرب وبعث على مقدّمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستّين ألفاً، وفي ساقته عشرون ألفاً، وجعل في ميمنته الهُرْمُزان، وعلى الميسرة مِهْران بن بَهرام الرازيّ، وقال رستم للملك يشجّعه بذلك: إنْ فتح الله علينا القوم فتوجّهنا[4] إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم[5] وبلادهم إلى أن يقبلوا المسالَمَة.

وكان خروج رستم من المدائن في ستّين ألف متبوع، ومسيره عن ساباط في مائة ألف وعشرين ألف متبوع، وقيل غير ذلك[6].

ولما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البِنْدوان: أمّا بعد فرمّوا حصونكم وأعِدّوا واستعِدّوا، فكأنّكم بالعرب قَد قارعوكم عن أرضكم[7] وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نُحوساً، فإنّ السمكة قد كدّرت الماء، وإن النّعائم قد حَسُنَتْ، والزُّهرة قد حَسُنَتْ، واعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠١، ٥٠٢، البداية والنهاية ٧/٤٣.

(٢) الفِراض: بكسر أوله، موضع بين البصرة واليمامة قرب فُلَيج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٤٣) والفارض: تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٠٢.

(٤) عند الطبري ٣/٥٠٥ «فهو وجْهنا».

(٥) في الأصل «أرضهم» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٠٤، ٥٠٥.

(٧) في النسخة (ب): «أنفسكم».

القوم إلّا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا، وإنّ أشدّ ما رأيتُ أنّ الملك قال: لتسيرُنّ أو لأسيرَنّ بنفسي[1].

ولقي جابان رستم على قَنْطَرة ساباط، وكانا منجّمين، فشكا إليه وقال له: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أمّا أنا فأُقاد بخِشاش وزمام، ولا أجد بُدّاً من الانقياد. ثمّ سار فنزل بكُوثَى[2]، فأتي برجل من العرب، فقال له: ما جاء بكم وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تُسلموا. قال رستم: فإن قُتلتم قبل ذلك! قال: مَنْ قُتل منّا دخل الجنّة، ومَنْ بقي منّا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعَنا إذَنْ في أيديكم! فقال: أعمالكم وضعتْكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرّنّك مَنْ ترى حولك، فإنّك لستَ تجاول[3] الإنسَ إنّما تجاول القَدَر. فضرب عُنقه، ثمّ سار فنزل البُرْس[4]، فغصب أصحابُهُ النّاسَ أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضجّ أهلها إلى رستم فقال: يا معشر فارس والله لقد صدق العربيّ، والله ما أسلَمَنا إلّا أعمالنا، والله إنّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرةً منكم، إنّ الله كان ينصركم على العدوّ يمكّن لكم في البلاد بحُسْن السيرة وكفّ الظُّلْم والوفاء والإحسان، فإذا تغيّرتم فلا يرى الله إلّا مغيّراً ما بكم، وما أنا بآمنٍ من أن ينزع الله سلطانه منكم. وأُتي ببعض من يُشكى منه فضرب عنقه.

ثمّ سار حتى نزل الحيرة، ودعا أهلها وتهدّدهم وهمّ بهم، فقال له ابن بُقَيْلة: لا تجمعْ علينا أن تعجز عن نُصْرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا[5].

ولما نزل رستم بالنّجف رأى كأنّ ملَكاً نزل من السماء ومعه النبيّ، ﷺ، وعمر، فأخذ الملَك سلاح أهل فارس فختمه، ثمّ دفعه إلى النبيّ، ﷺ، فدفعه النبيّ، ﷺ، إلى عمر، فأصبح رستم حزيناً[6].

وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النَّجَف والسَّيْلَحِين، فطافت في السّواد، فبعث سواداً وحُمَيْضة في مائة مائة، فأغاروا على النّهرَين، وبلغ رستم الخبرُ فأرسل إليهم خيلاً، وسمع سعدٌ أنّ خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠٥، ٥٠٦.
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٥٠٧ «بكوني» وما أثبتناه يتفق مع معجم البلدان ٤/٤٨٧.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٥٠٨ «تحاول».
(٤) في طبعة صادر ٢/٤٥٩ قيّدت «البِرْس»، وما أثبتناه عن معجم البلدان ١/٣٨٤ وهو موضع بأرض بابل.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٠٧، ٥٠٨.
(٦) الطبري ٣/٥٠٩، ٥١٠..

الأسديّ في آثارهم، فلقِيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلّصوا ما بأيديهم، فلمّا رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم. وأرسل سعدٌ عمرو بن مَعْدي كرب وطُلَيْحة الأسديّ طليعة، فسارا في عشرة، فلم يسيروا إلّا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسَرْحَهم على الطفوف قد ملأوها، فرجع عمرو ومَنْ معه، وأبى طليحة إلّا التقدّم، فقالوا له: أنت رجل في نفسك غدر، ولن تُفلح بعد قتل عُكّاشة بن مِحْصن، فارجعْ معنا. فأبى، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقرب القوم[1].

ومضى طُلَيْحة حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يجوسه ويتوسّم، فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه، ثمّ هتك على آخر بيته وحلّ فرسه، ثمّ فعل بآخر كذلك، ثمّ خرج يعدو به فَرَسُه، ونذر به النّاس فركبوا في طلبه، فأصبح وقد لحِقَه فارس من الجند، فقتله طُلَيحة، ثمّ آخر فقتله، ثمّ لحِق به ثالث، فرأى مصرع صاحبَيْه، وهما ابنا عمّه، فازداد حَنَقاً، فلحِق طُلَيحةَ، فكرّ عليه طليحةُ وأسره، ولحِقه النّاس، فرأوا فارسَيْ الجُنْد قد قُتلا وأُسر الثالث، وقد شارف طُلَيحةُ عسكره، فأحجموا عنه، ودخل طُلَيحة على سعد ومعه الفارسيّ وأخبره الخبر، فسأل الترجمان الفارسيّ، فطلب الأمان، فآمنه سعد، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلي، باشرتُ الحروب منذ أنا غلام إلى الآن، وسمعتُ بالأبطال، ولم أسمع بمثل هذا، أنّ رجلاً قطع فرسخين إلى عسكر فيه سبعون ألفاً، يخدم الرجلَ منهم الخمسةُ والعشرةُ، فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند، وهتك عليهم البيوت، فلمّا أدركناه قتل الأوّلَ وهو يُعَدّ بألف فارس، ثمّ الثاني وهو نظيره، ثمّ أدركتُهُ أنا [ولا أظُنُّ أنّني][2] خلّفتُ من بعدي مَنْ يعدِلني وأنا الثائر بالقتيلَين، فرأيتُ الموت واستؤسرتُ. ثمّ أخبره عن الفُرس، وأسلم ولزِم طُلَيحة، وكان من أهل البلاء بالقادسيّة، وسمّاه سعد مسلماً[3].

ثمّ سار رستم وقدّم الجالينوس وذا الحاجب، فنزل الجالينوس بحيال زُهْرة من دون القنطرة، ونزل ذو الحاجب بطِيزَناباذ[4]، ونزل رستم بالخرّارة[5]، ثمّ سار رستم فنزل بالقادسيّة؛ وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسيّة أربعة أشهر، لا يقدَم رجاء أن

---

(١) الطبري ٣/٥١٠ - ٥١٢.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والاستدراك من الطبري ٣/٥١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥١٣، ٥١٤.

(٤) طِيزناباذ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ثم زاي مفتوحة، ثم نون، وبعد ألِفِها باء موحَّدة، وآخره ذال معجمة. . موضع بين الكوفة والقادسية على حافّة الطريق على جادّة الحاجّ. (معجم البلدان ٤/٥٤).

(٥) الخرّارة: موضع قرب السيلحون من نواحي الكوفة (معجم البلدان ٢/٣٥٠).

يضجروا[1] بمكانهم فينصرفوا، وخاف أن يلقى ما لقي من قِبَله، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه [ويقدّمه، حتى أقحمه].

وكان عمر قد كتب إلى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضاً، فأعدّ للمطاولة. فلمّا وصل رستم القادسيّة وقف على العتيق بحيال عسكر سعد، ونزل النّاس، فما زالوا يتلاحقون حتى أعتموا من كثرتهم، والمسلمون ممسكون عنهم. وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكانت الفيلَة تألفه، فجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً، وفي المجنّبَتين خمسة عشر فيلاً[2].

فلمّا أصبح رستم من تلك اللّيلة ركب وسايَرَ العَتِيق نحو خَفّان، حتى أتَى على مُنْقطَع عسكر المسلمين، ثمّ صعِد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمّل المسلمين، ووقف على موضع يشرف منه عليهم، ووقف على القنطرة، وأرسل إلى زُهْرة فواقفه، فأراده على أن يصالحه ويجعل له جُعْلاً، على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرّح له بذلك بل يقول له: كنتم جيراننا وكنّا نُحْسن إليكم ونحفظكم، ويخبره عن صنيعهم مع العرب.

فقال له زُهْرة: ليس أمرنا أمر أولئك، إنّنا لم نأتِكم لطلب الدنيا، إنّما طَلِبتنا وهِمّتنا الآخرة، وقد كنّا كما ذكرتَ، إلى أن بعث الله فينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لرسوله: إنّي سلّطتُ هذه الطائفة على مَنْ لم يدِنْ بديني، فأنا منتقم به منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحقّ لا يرغب عنه أحد إلاّ ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلاّ عزّ.

فقال له رستم: ما هو؟ قال: أمّا عموده الذي لا يصلح إلاّ به، فشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله. قال: وأيّ شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، والنّاس بنو آدم وحوّاء إخوة لأب وأمّ. قال: ما أحسن هذا! [ثمّ] قال رستم: أرأيتَ إن أجبتُ إلى هذا ومعي قومي، كيف يكون أمركم، أترجعون؟ قال: إي والله. قال: صدقتَني، أما إنّ أهل فارس منذ ولي أردشير لم يَدَعوا أحداً يخرج من عمله من السِّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدّوا طَوْرَهم وعادوا أشرافهم. فقال زُهْرة: نحن خير النّاس للنّاس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، بل نطيع الله في السِّفلة ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا.

فانصرف عنه، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا، فأنِفوا. فأرسل إلى سعد: أن

---

(١) في الطبعة الأوربية «يضجر».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥١٥، ٥١٦.

ابعثْ إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا. فدعا سعدُ جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له رِبْعيّ بن عامر: متى نأتِهم جميعاً يروا أنّا قد احتفلنا بهم، فلا تزدْهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة. وأُعلم رستم بمجيئه، فأظهر زينته، وجلس على سريرٍ من ذهب، وبسط البُسُط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل رِبْعيّ على فرسه وسيفه في خرقة، ورمحه مشدود بعصب وقدّ[1]، فلمّا انتهى إلى البُسط قيل له: انزلْ، فحمل فرسه عليها ونزل، وربطها بوسادتَين شقّهما، وأدخل الحبل فيهما، فلم ينَهَوْه وأروه التهاون، وعليه دِرع، وأخذ عباءة بعيره فتدرّعها وشدّها على وسطه. فقالوا: ضعْ سلاحك. فقال: لم آتِكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني. فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكّأ على رمحه ويقارب خطْوه، فلم يَدَعْ لهم نُمْرُقاً ولا بساطاً إلاّ أفسده وهتكه. فلمّا دنا من رستم جلس على الأرض، وركز رُمحه على البُسُط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنّا لا نستحبّ القعود على زينتكم. فقال له ترجمان رستم، واسمه عَبُود من أهل الحيرة: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثَنا لنُخْرج مَنْ يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلَنا بدينه إلى خلقه، فمَنْ قبِلَه قبِلْنا منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومَنْ أبَى قاتلناه حتى نُفْضي إلى الجنّة أو الظفر. فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم، وإنّ ممّا سنّ لنا رسول الله، ﷺ، أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واخترْ واحدةً من ثلاثٍ بعد الأجل: إمّا الإسلام وندعك وأرضَك، أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك، وإن احتجتَ إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، إلاّ أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي. قال: أسيّدهم أنت؟ قال: لا ولكنّ المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاماً قطُّ أعزّ[2] وأوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويْحكم! لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إنّ العرب تستخفّ باللّباس وتصون الأحساب، ليسوا مثلكم.

فلمّا كان من الغد أرسل رستم إلى سعد: أن ابعثْ إلينا ذلك الرجل. فبعث إليهم حُذَيْفة بن مِحْصن، فأقبل في نحوٍ من ذلك الزيّ، ولم ينزل عن فرسه، ووقف على

---

(١) عبارة الطبري ٣/٥١٩: «ورمحه معلوب بقِدّ».

(٢) في النسخة (ب) «أعرف».

رستم راكباً. قال له: انزلْ. قال: لا أفعل. فقال له: ما جاء بك ولم يجيء الأوّل؟ قال له: إنّ أميرنا يحبّ أن يعدل[1] بيننا في الشدّة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأوّل. فقال رستم: أو الموادعة[2] إلى يومٍ ما؟ قال: نعم، ثلاثاً من أمس. فردّه وأقبل على أصحابه وقال: ويْحكم أما ترون ما أرى؟ جاءنا الأوّل بالأمس فغلبَنا على أرضنا، وحقّر ما نعظّم، وأقام فرسه على زِبْرِجنا، وجاء هذا اليوم فوقف علينا، وهو في يُمْن الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

فلمّا كان الغد أرسل: إبعثوا إلينا رجلاً. فبعث المُغيرةَ بن شُعْبة، فأقبل إليهم وعليهم التّيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبُسطهم على غلوة، لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها، فأقبل المُغيرةُ حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه[3]، وقال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً، فظننتُ أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أنّ بعضكم أرباب بعض، فإنّ هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحدٌ، وإنّي لم آتِكم ولكن دعوتموني اليوم، علمتُ أنّكم مغلّبون[4]، وأنّ مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول. فقالت السِّفلة: صدق والله العربيّ. وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزِعون[5] إليه، قاتل الله أوّلينا حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة!.

ثمّ تكلّم رستم فحمد قومه وعظّم أمرهم وقال: لم نزل متمكّنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافاً في الأمم، فليس لأحد مثل عزّنا وسلطاننا، نُنصر عليهم ولا يُنصرون علينا، إلّا اليوم واليومَين والشهر للذنوب، فإذا انتقم الله منّا ورضي علينا ردّ لنا الكَرَّة على عدوّنا، ولم يكن في الأمم أمّة أصغر عندنا أمراً منكم، كنتم أهل قَشَفٍ ومعيشةٍ سيّئة لا نراكم شيئاً، وكنتم تقصدوننا[6] إذا قحطت بلادكم، فنأمر لكم بشيءٍ من التمر والشعير، ثمّ نردّكم، وقد علمتُ أنّه لم يحملكم على ما صنعتم إلّا الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكلّ منكم بوِقر تمر، وتنصرفون عنّا، فإنّي أشتهي أن أقتلكم.

---

(١) في النسخة (ب): «يساوي».

(٢) في الطبعة الأوربية «المواعدة»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥٢١/٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٢٢/٣ «مغثوه»، أي ضربوه ضرباً ليس بالشديد.

(٤) في تاريخ الطبري «مغلوبون» ٥٢٢/٣.

(٥) في النسخة (ب): «يسرعون».

(٦) في الطبعة الأوربية «تصدّقوننا».

فتكلّم المغيرة، فحمِد الله وأثنى عليه وقال: إنّ الله خالق كلّ شيء ورازقه[1]، فمَن صنع شيئاً فإنّما هو يصنعه، وأمّا الذي ذكرتَ به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه، فالله صنعه بكم ووضعه فيكم، وهو له دونكم، وأمّا الذي ذكرتَ فينا من سوء الحال والضّيق والاختلاف، فنحن نعرفه ولسنا نُنْكره، والله ابتلانا به والدنيا دولٌ، ولم يزل أهلُ الشدائد يتوقّعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهلُ الرخاء يتوقّعون الشدائد حتى تنزل بهم، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصّر عمّا أوتيتم، وأسلمكم ضُعْف الشكر إلى تغيّر الحال، ولو كنّا فيما ابتُلينا به أهل كفر[2] لكان عظيم ما ابتُلينا به مستجلباً من الله رحمةً يرفّه[3] بها عنّا؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً. ثمّ ذكر مثل ما تقدّم من ذِكر الإسلام والجزية والقتال، وقال له: وإنّ عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم، فقالوا: لا صبرَ لنا عنه.

فقال رستم: إذاً تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل مَنْ قُتل منّا الجنّة ومن قُتل منكم النّار، ويظفر مَنْ بقي منّا بمن بقي منكم.

فاستشاط رستم غضباً ثمّ حلف أن لا يرتفع الصبح غداً حتى نقتلكم أجمعين. وانصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس وقال: أين هؤلاء منكم! هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرّهم أن لا يختلفوا، فما قومٌ أبلغَ لما أرادوا منهم، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء! فلجّوا وتجلّدوا.

فأرسل رستم مع المغيرة وقال له: إذا قطع القنطرة فأَعْلِمه أنّ عينه تُفقأ غداً، فأعلمه الرسول ذلك: فقال المغيرة: بشّرتَني بخير وأجر، ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنّيتُ أنّ الأخرى ذهبت. فرجع إلى رستم فأخبره. فقال: أطيعوني يا أهل فارس، إنّي لأرى لله فيكم نِقمة لا تستطيعون ردّها.

ثمّ أرسل إليه سعدٌ بقيّة ذوي الرأي فساروا، وكانوا ثلاثة، إلى رستم، فقالوا له: إنّ أميرنا يدعوك إلى ما هو خيرٌ لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك [الله][4] إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك، وداركم لكم وأمركم فيكم، وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا، وكنّا عوناً لكم على أحدٍ إن أرادكم، فاتقِ الله، ولا يكوننّ هلاك قومك على يدك، وليس بينك وبين أن تُغبط بهذا الأمر إلاّ أن تدخل فيه، وتطرد به الشيطان عنك.

---

(١) في النسخة (ب): «ووارثه».

(٢) في الطبعة الأوربية «الكفر».

(٣) في الطبعة الأوربية «برأفه».

(٤) إضافة من الطبري ٣/٥٢٦.

فقال لهم: إنّ الأمثال أوضحُ من كثيرٍ من الكلام، إنّكم كنتم أهل جَهد وقَشَفٍ لا تنتصفون ولا تمتنعون، فلم نُسيء جواركم، وكنّا نميركم ونحسن إليكم، فلمّا طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك، ودعوتموهم ثمّ أتيتمونا، وإنّما مَثَلُكم ومَثَلُنا كمثل رجل كان له كَرْم فرأى فيه ثعلباً فقال: وما ثعلب! فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرْم، فلمّا اجتمعوا إليه سدّ صاحب الكرْم النقب الذي كنّ يدخلْن منه فقتلهنّ؛ فقد علمتُ أنّ الذي حملكم على هذا: الحرصُ والجَهدُ، فارجعوا ونحن نميركم، فإنّي لا أشتهي أن أقتلكم، ومَثَلكم أيضاً كالذباب يرى العسل فيقول: مَنْ يوصلني إليه وله درهمان؟ فإذا دخله غرق ونشِب، فيقول: مَنْ يُخْرجني وله أربعة دراهم؟ وقال أيضاً: إنّ رجلاً وضع سلّة وجعل طعاماً فيها، فأتَى الجرذان فخرقن السلّة، فدخلْن فيها، فراد سدّها فقيل له: لا تفعل إذَنْ يخرقْنه، لكن انقبْ بحياله، ثمّ اجعلْ [فيها] قصبة مجوّفة، فإذا دخلها الجُرْذان وخرجن منها فاقتل كلّ ما خرج منها؛ وقد سددتُ عليكم، [فإيّاكم] أن تقتحموا[1] القصبة، فلا يخرج منها أحدٌ إلاّ قُتل، فما دعاكم إلى ما صنعتم، ولا أرى عدداً ولا عُدّة!.

قال: فتكلّم القوم، وذكروا سوء حالهم، وما منّ الله به عليهم من إرسال رسوله، واختلافهم أوّلاً، ثمّ اجتماعهم على الإسلام، وما أمرهم به من الجهاد، وقالوا: وأمّا ما ضربتَ لنا من الأمثال فليس كذلك، ولكنْ إنّما مَثَلكم كمثل رجلٍ غرس أرضاً واختار لها الشجر، وأجرى إليها الأنهار، وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلّاحين يسكنون قصورها ويقومون على جنّاتها، فخلا الفلّاحون في القصور على ما لا يحبّ، فأطال إمهالهم فلم يستحيوا، فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها، فإنْ ذهبوا عنها تخطّفهم النّاس، وإنْ أقاموا فيها صاروا خَوَلاً لهؤلاء فيسومونهم الخَسْف أبداً؛ والله لو لم يكن ما نقول حقّاً، ولم يكن إلاّ الدنيا، لَمَا صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم، ورأينا من بِزْرِجكم ولَقَارَعْناكم عليه!.

فقال رستم: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا.

ورجعوا من عنده عشيّاً، وأرسل سعد إلى النّاس أن يقفوا مواقفهم، وأرسل إليهم: شأنكم والعبور، فأرادوا القنطرة فقال: لا ولا كرامة! أمّا شيء غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم. فباتوا يَسْكُرون العَتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتمّ بعدما ارتفع النهار.

---

(١) عبارة الطبعة الأوربية «سددت عليهم أن يقتحموا»، والنصّ بكامله في تاريخ الطبري ٥٢٧/٣.

ورأى رستم من اللّيل كأنّ ملَكاً نزل من السماء، فأخذ قسِيّ أصحابه، فختم عليها، ثمّ صعِد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموماً واستدعى خاصّته، فقصّها عليهم وقال: إنّ الله ليَعِظنا لو اتّعظنا. ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومِغْفَر، وأخذ سلاحه ووثب، فإذا هو على فرسه لم يضع رِجْله في الركاب، وقال: غداً ندقّهم دقّاً! فقال له رجل: إن شاء الله. فقال: وإن لم يشأ! ثمّ قال: إنّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد، يعني كسرى، وإنّي أخشى أن تكون هذه سنة القرود[1]!.

فإنّما قال هذه الأشياء توهيناً للمسلمين عند الفرس، وإلاّ فالمشهور عنه الخوف من المسلمين، وقد أظهر ذلك إلى من يثق به[2].

ذكر يوم أرْماث

لما عبر الفرسُ العتيق جلس رُستم على سريره وضرب عليه طيارة، وعبّى في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها صناديق ورجال وفي المجنّبَتين ثمانية وسبعة، وأقام الجالينوس بينه وبين رُستم رجالاً على كلّ دعوة رجلاً، أوّلهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم، فكلّما فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه: كان كذا وكذا، ثمّ يقول الثاني ذلك للذي يليه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى يزدجِرْد في أسرع وقت.

وأخذ المسلمون مصافّهم. وكان بسعد دماميل وعِرْق النِّسَا فلا يستطيع الجلوس، إنّما هو مُكِبّ على وجهه، في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على النّاس، والصفّ في أصل حائطه[3]، لو أعْرَاهُ[4] الصفّ فُواق ناقةٍ لأخذ برُمّته، فما كَرَثَهُ[5] هولُ تلك الأيّام شجاعة، وذكر ذلك النّاس، وعابه بعضهم بذلك فقال:

نُقَاتِلُ[6] حتى أنـزَلَ الله نَصـرَهُ	وسعـدٌ ببـاب القـادسيّـةِ مُعْصِمُ
فـأُبْنا[7] وَقـد آمَتْ نسـاءٌ كَثيـرَةٌ	وَنسـوَةُ سَعـدٍ لَيس فيهنّ أيّـمُ[8]

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٥١٧ ـ ٥٣٠ وقد دخل فيه شيء من يوم أرماث.

(٢) العبارة هذه تعليق من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٣٠ و ٥٣١.

(٤) في الطبعة الأوربية «تُعزّاه».

(٥) كَرَث الغمّ فلاناً: اشتدّ عليه وبلغ منه المشقّة.

(٦) في فتوح البلدان «وقاتلت».

(٧) في فتوح البلدان «فرُحنا».

(٨) فتوح البلدان ٣١٩: البداية والنهاية ٧/٤٥، العقد الفريد ٥/٢٩٩، البدء والتاريخ ٥/١٧٦ وفيه:

ألم تر أنّ الله أنزل نصره

فبلغت أبياته سعداً فقال: اللهمّ إنْ كان هذا كاذباً وقال الذي قاله رياء وسُمعةً فاقطعْ عنّي لسانه! فإنّه لواقفٌ في الصفّ يومئذ أتاه سهم غرِب، فأصاب لسانه، فما تكلّم بكلمة حتى لحِق بالله تعالى. فقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضاً، وكذلك غيره، ونزل سعدُ إلى النّاس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذَيْه وأليتَيْه، فعذره النّاس وعلموا حاله، ولما عجز عن الركوب استخلف خالدَ بن عُرْفُطة على النّاس، فاختُلف عليه، فأخذ نفراً ممّن شغب عليه فحبسهم في القصر، منهم: أبو مِحْجن الثقفيّ، وقيّدهم[1].

وقيل: بل كان حبْس أبي مِحْجن بسبب الخمر، وأعلم النّاس أنّه قد استخلف خالداً وإنّما يأمرهم خالد، فسمعوا وأطاعوا، وخطب النّاسَ يومئذٍ، وهو يوم الاثنين من المحرّم سنة أربع عشرة، وحثّهم على الجهاد، وذكّرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد، وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس، وكذلك فعل أمير كلّ قوم، وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة، منهم: المُغيرة، وحُذَيْفة، وعاصم، وطُلَيْحة، وقيس الأسديّ، وغالب، وعمرو بن معدي كرِب، وأمثالهم، ومن الشعراء: الشمّاخ، والحُطيئة، وأوس بن مَغْراء، وعبيدة[2] بن الطَبيب وغيرهم، وأمرهم بتحريض النّاس على القتال، ففعلوا.

وكان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس والخندق، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق، ومع الفرس ثلاثون ألف مُسلسَل، وأمر سعد النّاس بقراءة سورة الجهاد، وهي الأنفال، فلمّا قُرئت هشّت قلوب النّاس وعيونهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها. فلمّا فرغ القرّاء منها قال سعد: الزموا مواقفكم حتى تُصلّوا الظُّهر، فإذا صلّيتم فإنّي مكبّر تكبيرة، فكبّروا واستعدّوا، فإذا سمعتم الثانية فكبّروا والبسوا[3] عُدّتكم، ثمّ إذا كبّرتُ الثالثة فكبّروا، ولينشّط فرسانُكم النّاس، فإذا كبّرتُ الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم، وقولوا لا حول ولا قوّة إلّا بالله. فلمّا كبّر سعد الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج إليهم من الفُرس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وقال غالب بن عبد الله الأسديّ:

= وكذلك في تاريخ غُرَر السير للثعالبي ـ نشره: هـ. زوتنبرج، باريس ١٩٠٠ ـ ص ٧٤١، ومعجم البلدان ٢٩١/٤، ونهاية الأرب ٢٠٣/١٩.

(١) فتوح البلدان ٣١٦، تاريخ الطبري ٥٣١/٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٣ «عبدة».

(٣) في إحدى النسخ «البستم». وفي تاريخ الطبري ٥٣٥/٣ «ولْتُسْتَتَمّ عدّتكم».

قَــدْ عَـلمتْ واردَةُ الـمَشَــائـحِ[1] ذاتُ اللَّبـانِ[2] والبَيـانِ[3] الـواضحِ
أنّي سِمَــامُ البَـطَل المسـالـحِ[4] وفـارجُ الأمـرِ الـمهـمّ الفـادحِ[5]

فخـرج إليه هُـرْمُز، وكـان من ملوك الباب، وكـان متوَّجـاً، فأسـره غالب، فجـاء به سعداً، ورجع وخرج عاصم وهو يقول:

قَـد علِمَتْ بَيْضَـاءُ صَفـرَاءُ اللَّبَبْ[6] مثـلُ اللُّجَينِ إذ تَغَشّاهُ[7] الـذَّهَبْ
أنّي امـرُؤٌ لا مَنْ يَعيبُـهُ[8] السَّبَبْ مثلي على مِثْلِك يُغـربـه الـعَتَبْ

فطارد فارسيّاً فانهزم، فاتّبعه عاصم حتى خالط صفّهم، فحموه، فأخذ عـاصم رجلاً على بغلٍ وعاد به، وإذا هو خبّاز الملك، معه من طعـام الملك وخبيصٌ، فأتى بـه سعداً فنفّله أهلَ موقفه. وخرج فارسيّ فطلب البـراز، فبرز إليـه عمرو بن معـدي كرِب، فـأخذه وجلد بـه الأرض، فـذبحـه وأخـذ سـوارَيْـه ومنـطقتـه. وحملت الفِيَلة عليهم ففـرّقت بين الكتائب، فنفرت الخيـل، وكانت الفُـرس قد قصـدت بَجيلة بسبعة[9] عشـر فيلاً، فنفـرت خيل بَجِيلة، فكادت بَجيلة تهلك[10] لنِفار خيلها عنهـا وعمَّنْ معها، وأرسـل سعد إلى بني أسد أن دافعوا عن بَجِيلة وعمَّنْ معها من النّاس. فخرج طُلَيْحَة بن خُـوَيْلد، وحمّال[11] بن مالك في كتائبهما، فباشروا الفِيَلة حتى عدلها ركبانها.

وخـرج إلى طُلَيْحـة عـظيم منهم، فقتله طُليحةُ، وقـام الأشعث بن قيس في كِنـدة فقال: يا معشر كِندة لله درّ بني أسد أيّ فَريّ يَفْـرون[12]، وأيّ هذٍّ يَهُـذُّون[13] عن موقفهم،

---

(١) في تاريخ الطبري ٥٣٦/٣ «المسائح»، وفي مروج الذهب ـ طبعة داغر ٣١٢/٢ «المسالح». والمشائح: المقاتل.
(٢) في الأصل «اللسان». والمثبت يتفق مع الطبري. وفي مروج الذهب «البنان واللبان». واللبان الصدر.
(٣) عند الطبري «البنان»، وفي المرجون «اللبان».
(٤) عند الطبري والمسعودي «المشايح».
(٥) في النسخة (ب): وفارج لكلّ همّ قادح.
(٦) اللَّبَب: بالتحريك، موضع القلادة من الصدر.
(٧) في مروج الذهب: مثل اللجَيْن يتغشّاه..
(٨) عند الطبري «تعيبه». وعند المسعودي «يعنيه».
(٩) عند الطبري ٥٣٨/٣ «ستة»، والمثبت يتفق مع المسعودي ٣١٣/٢.
(١٠) عند الطبري «تؤكل».
(١١) في النسخة (ب) «جمال».
(١٢) الفريّ: الأمر العظيم. يقال: فلان يفري الفريّ: إذا كان يأتي بالعجب في عمله.
(١٣) في النسخة (ب) «هدة يهدون». وفي الطبعة الأوربية «هزء يهزؤن».

أغنى[١] كلّ قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون مَن يكفيكم، أشهد ما أحسنتم أُسوة قومكم من العرب. فنهد ونهدوا معه، فأزالوا الذين بإزائهم. فلمّا رأى الفرس ما يلقى النّاس والفِيلة من أسد رَمَوْهم بحدّهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حَلْبة فارس على أسد ومعهم تلك الفِيلة، فثبتوا لهم، وكبّر سعد الرابعة، وزحف إليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة، فكانت الخيول تحيد عنها.

فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميميّ فقال: يا معشر بني تميم، أما عندكم لهذه الفِيَلة من حيلة؟ قالوا: بلى والله! ثمّ نادى في رجالٍ من قومه رُماة، وآخرين لهم ثَقَافة فقال: يا معشر الرماة، ذبّوا[٢] ركبان الفِيَلة عنهم بالنّبْل. وقال: يا معشر أهل الثقافة، استدبروا الفِيَلة فقطِّعوا وُضُنها[٣]، وخرج يحميهم[٤]، ورحا الحرب تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفِيَلة، فأخذوا بأذناب توابيتها، فقطَّعوا وُضُنها، وارتفع عُواؤهم، فما بقي لهم فيل إلاّ أوى[٥]، وقُتل أصحابها، ونُفّس عن أسد، وردّوا فارساً عنهم إلى مواقفهم، واقتتلوا حتى غربت الشمس، ثمّ حتى ذهبت هَدأة من اللّيل، ثمّ رجع هؤلاء وهؤلاء، وأُصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة، وكانوا رِدْءاً للنّاس، وكان عاصم حامية للنّاس، وهذا اليوم الأوّل، وهو يوم أرماث؛ فقال عمرو بن شأس الأسديّ:

جَلَبنا الخيلَ من أكنافِ نِيقٍ ... إلى كِسْرَى فوافقها رِعَالا[٦]

تَرَكنَ لهم على الأقسامِ شَجْواً ... وبالحَقْوَينِ أيّاماً طِوَالا[٧]

قَتَلْنا رُستَماً وبَنيهِ قَسْراً ... تُثير الخَيلُ فَوْقَهُمُ الهَيالا

الأبيات[٨].

= والهذ: القطع السريع.

(١) في الطبعة الأوربية «أعني».

(٢) في النسخة (ب) «ارموا».

(٣) الوضين: بطان عريض منسوخ من سيور أو شعر.

(٤) في النسخة (ب): «وخرجوا بجمعهم».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/ ٥٤٠ «أعرِيَ».

(٦) عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنبات ودارت على بني أسد يوم أرماث فقتل تلك العشيّة منهم خمسمائة رجل، فقال عمرو بن شاس الأسدي: جلبنا الخيل.
والرعال: الجماعة من الخيل. والإرعال: سرعة الطعن وشدّته.

(٧) ورد البيت في البداية والنهاية ٧/ ٤٧:
تركن لهم بقادس عزَّ فخر ... وبالخيفين أياماً طِوالاً

(٨) أنظر بقيّة الأبيات في تاريخ الطبري ٣/ ٥٤٠، ٥٤١، وهي في: شعر عمرو بن شأس الأسدي المتوفى نحو=

وكان سعد قد تزوّج سَلْمى امرأة المثنّى بن حارثة الشيباني بعده[1] بشَراف، فلمّا جال النّاس يوم أرماث، وكان سعد لا يطيق الجلوس، جعل سعد يتململ جَزَعاً فوق القصر، فلمّا رأت سَلمى ما يصنع الفرس قالت: وامثنّياه! ولا مثنّى للخيل اليوم! قالت ذلك عند رجل ضجر ممّا يرى في أصحابه ونفسه، فلطم وجهها وقال: أين المثنّى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا! يعني أسداً وعاصماً. فقالت: أَغَيْرةً وجُبناً[2]؟ فقال: والله لا يعذرني اليوم أحد إن لم تعذريني وأنت تَرَيْنِ ما بي! فتعلّقها النّاس، لم يبقَ شاعر إلّا اعتدّ بها عليه، وكان غير جبان ولا مَلوم[3].

ذكر يوم أغْواث

ولما أصبح القوم وكّلَ سعد بالقتلى والجرحى مَن ينقلهم، فسلّم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وأمّا القتلى فدُفنوا هنالك على مشرِّق، وهو وادٍ بين العُذَيْب وعين الشمس. فلمّا نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام، وكان فتح دمشق قبل القادسيّة، فلمّا قدِم كتاب عمر على أبي عُبيدة بن الجرّاح بإرسال أهل العراق سيّرهم وعليهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو التميميّ، فتعجّل القعقاع: فقدِم على النّاس صبيحة هذا اليوم، وهو يوم أغواث، وقد عهِد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً، وهم ألفٌ، كلّما بلغ عشرة مَدَى البصر سرّحوا عشرة، فقدّم أصحابه في عشرة، فأتَى النّاس فسلّم عليهم وبشّرهم بالجنود، وحرّضهم على القتال وقال: اصنعوا كما أصنع، وطلب البراز فقالوا فيه بقول أبي[4] بكر: لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. فخرج إليه ذو الحاجب، فعرفه القعقاع فنادى: يا لثارات أبي عُبَيْد وسَليط وأصحاب الجِسر! وتضاربا، فقتله القعقاع، وجعلت خيله تَرِد إلى اللّيل وتنشّط النّاس، وكأن لم يكن بالأمس مصيبة، وفرحوا بقتل ذي الحاجب، وانكسرت الأعاجم بذلك.

وطلب القعقاع البراز فخرج إليه الفيرزان والبِنْذَوان، فانضمّ إلى القعقاع الحارث ابن ظَبْيان بن الحارث أحد[5] بني تَيْم اللّات فتبارزوا، فقتل القعقاع الفيرزانَ وقتل الحارث البِنذوانَ، ونادى القعقاع: يا معشر المسلمين، باشِروهم بالسيوف، فإنّما يُحْصد النّاس

= سنة ٢٠ هـ./٦٤٠ م. تحقيق د. يحيى الجبوري ـ طبعة مطبعة الآداب بالنجف ١٣٩٦ هـ./١٩٧٦، ص ٨٦ و٨٧. مروج الذهب ٢/٣١٩.

(١) في تاريخ الطبري ٣/٥٤٢ «قبله».

(٢) فتوح البلدان ٣١٦ رقم ٦٤٠.

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٥٣٠ ـ ٥٤٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «يقول أبو».

(٥) عند الطبري ٣/٥٤٣ «أخو».

بها! فاقتتلوا حتى المساء، فلم يرَ أهل فارس في هذا اليوم [شيئاً] ممّا يُعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس، فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد.

وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة من أصحابه كبّر وكبّر المسلمون، ويحمل ويحملون، وحمل بنو عمّ للقعقاع عشرةً عشرة على إبل قد ألبسوها وهي مجلّلة مبرقعة، وأطافت بهم خيولهم تحميهم، وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبّهون بالفِيلة، ففعلوا بهم هذا اليوم، وهو يوم أغواث، كما فعلت فارس يوم أرماثٍ، فجعلت خيل الفرس تفرّ منها، وركبتها خيول المسلمين. فلمّا رأى النّاس ذلك استنوا[1] بهم، فلقي الفرس من الإبل أعظم ممّا لقي المسلمون من الفِيلة.

وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله، فقُتل دونه. وخرج رجل من فارس يبارز، فبرز إليه الأعرف بن الأعْلم العقيليّ فقتله، ثمّ برز إليه آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه، فغبّر في وجوههم التراب حتى رجع إلى أصحابه. وحمل القعقاع بن عمرو يومئذٍ ثلاثين حملة، كلّما طلعت قطعة حَمل حملة وأصاب فيها وقتل، فكان آخرهم بُزُرْجُمِهْر الهمذانيّ. وبارز الأعورُ بن قُطْبة شهريارَ[2] سِجستان، فقتل كلّ واحد منها صاحبه، وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار. فلمّا اعتدل النهار تزاحف النّاس، فاقتتلوا حتى انتصف اللّيل. فكانت ليلة أرمثا تُدعى الهِدْأة، وليلة أغواث تُدْعى السواد، ولم يزل المسلمون يرون [في] يوم أغواث الظَّفَر، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم، وحالت فيه خيل القلب، وثبت رَجْلهم، فَلَوْلا أنّ خيلهم عادت أُخذ رستم أخذاً. وبات النّاس على ما بات عليه القوم ليلة أرماث، ولم يزل المسلمون ينتمون. فلمّا سمع سعد ذلك قال لبعض مَنْ عنده: إن تمّ النّاس على الانتماء فلا توقظْني فإنّهم أقوياء، وإن سكتوا ولم ينتمِ الآخرون فلا توقظْني، فإنّهم على السّواء، فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظْني، فإنّ انتماءهم عن السّوء.

ولما اشتدّ القتال، وكان أبو مِحْجَن قد حُبس وقُيّد فهو في القصر، قال لسَلْمى زوج سعد: هل لكِ أن تخلّي[3] عني وتعيريني البلقاء؟ فللّه عليّ إن سلّمني الله أن أرجع إليكِ حتى أضع رِجلي في قَيْدي. فأبت، فقال:

---

(١) في الطبعة الأوربية «استوا».

(٢) في تاريخ الطبري ٥٤٧/٣ «شَهْرَبَراز».

(٣) في الطبعة الأوربية «تخلّين».

كَفى حَزَناً أن تَرْدي[1] الخيلُ بالقنا ... وأُتركَ مَشدوداً[2] عليّ وَثاقِيا
إذا قمتُ عَنّاني الحَديدُ وأُغلقتْ[3] ... مَصاريعُ دوني قد تُصمّ[4] المُنادِيا
وَقد كنتُ ذا مالٍ[5] كثيرٍ وإخوَةٍ[6] ... فقد تركوني واحداً[7] لا أخا لِيا
وَلله عَهْدٌ لا أخِيسُ بعَهدِهِ ... لئن فُرجتْ أن لا أزورَ الحوانِيَا[8]

فرقّت له سلمَى وأطلقته، وأعطته البلقاء فَرَس سعد، فركِبها، حتى [إذا] كان بحيال الميمنة كبّر، ثمّ حمل على ميسرة الفرس، ثمّ رجع خلف المسلمين، وحمل على ميمنتهم، وكان يقصف النّاس قصفاً منكراً، وتعجّب النّاس منه وهم لا يعرفونه، فقال بعضهم: هو من أصحاب هاشم أو هاشم نفسه، وكان سعد يقول: لولا مَحبس أبي مِحْجَن لقلت هذا أبو مِحْجَن وهذه البلقاء. وقال بعض النّاس: هذا الخضِر. وقال بعضهم: لولا أنّ الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنّه مَلَك. فلمّا انتصف اللّيل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو مِحْجَن، فدخل القصر وأعاد رِجلَيْه في القيد وقال:

لقد علِمَتْ ثَقيفُ غيرَ فَخْرٍ ... بأنّا نحن أكرَمُهُم سيُوفَا
وأكثرُهم[9] دُروعاً سابِغاتٍ ... وَأصبرُهم إذا كرهوا الوقُوفَا[10]

---

(1) في فتوح البلدان (٣١٩): «تُدْعَس». وفي طبقات فحول الشعراء لابن سلّام الجمحي ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ طبعة دار المعارف بالقاهرة (٢٢٥) «تُطْرَد». وفي الشعر والشعراء ١/٤٢٣ «تُطْعَن». وفي مروج الذهب ٢/٣١٥ «ترتدي». وفي البداية والنهاية ٧/٤٤ «تدحم».

(2) في فتوح البلدان «قد شدّوا».

(3) في فتوح البلدان، والشعر والشعراء، والأغاني ١٨/٢٩٢ «غُلِّقَت». وفي مروج الذهب «فأغلقت».

(4) في فتوح البلدان، وطبقات فحول الشعراء، ومروج الذهب، والأغاني، والبداية والنهاية:
مصاريع من دوني تصمّ المناديا
وفي الشعر والشعراء: «مغاليق» بدل «مصاريع». وفي نهاية الأرب: «مصارع مِن دوني تُقيم المناديا».

(5) في الشعر والشعراء «أهل».

(6) في مروج الذهب «وثروة».

(7) في البداية والنهاية «تركوني مفرداً».

(8) الأبيات الثلاثة الأولى في طبقات فحول الشعراء ٢٢٥، وكذلك في الشعر والشعراء ١/٤٢٣، والبداية والنهاية ٧/٤٤، وورد البيت الأول فقط في الإصابة ٧/٢٦١، في ترجمة أبي محجن الثقفي وورد البيتان الأوّلان فقط في فتوح البلدان ٣٣٩، والخراج وصناعة الكتابة ٣٥٩، وكلّها مع أبيات أخرى في: تاريخ الطبري ٣/٥٤٨، ومروج الذهب، والأغاني ١٨/٢٩٢، ونهاية الأرب ١٩/٢٠٩، وخزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية ـ لعبد القادر البغدادي ـ المطبعة الميرية، بولاق ١٢٧٩هـ ـ ج ٣/٥٥٤.

(9) في مروج الذهب «وأكرمهم».

(10) في نهاية الأرب «الحتوفا».

وأنَا وَفْدُهم[1] في كلّ يَوْمٍ   فإنْ عُمّوا[2] فَسَلْ بهِمْ عريفَا
وَلَيلَةَ قادسٍ[3] لم يشعروا بي   وَلم أُشْعِرْ[4] بمخرَجيَ الزُّحُوفَا
فإنْ أُحْبَسْ فذلِكُمُ بلائي[5]   وَإنْ أُتْرَكْ أُذيقُهُمُ الحُتُوفَا[6]

فقالت له سَلْمَى: في أيّ شيء حبسك؟ فقال: والله ما حبسني بحرام أكلتُه ولا شربتُه، ولكنّني كنت صاحب شرابٍ في الجاهليّة، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني، فقلت:

إذا متُّ فادفنّي إلى أصْلِ[7] كَرْمةٍ   تُرَوّي عِظامي بعد موْتي عروقُها
وَلا تَدْفِنَنّي بالفلاةِ فإنّني   أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقَها[8]

فلذلك حبسني. فلمّا أصبحت أتت سعداً فصالحتْه، وكانت مُغاضبة له، وأخبرته بخبر أبي مِحْجَنٍ، فاطلقه فقال: اذهبْ فما أنا مؤآخذك بشيء تقوله حتى تفعله. قال: لا جَرَمَ، [والله] لا أُجيب لساني إلى [صفة] قبيح أبداً![9].

ذكر يوم عِماس[10]

ثمّ أصبحوا اليوم الثالث وهم على مواقفهم، وبين الصفّين من قتلى المسلمين ألفان من جريحٍ وميتٍ، ومن المشركين عشرة آلاف، فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور، وكان على الشهداء حاجب بن زيد. وأمّا قتلى المشركين فبين الصفّين لم يُنقلوا، وكان ذلك ممّا

---

(١) في الأغاني «رفدهم».
(٢) في الأغاني «فإن جحدوا»، وفي مروج الذهب «فإن عتبوا»، وفي تاريخ الطبري، ونهاية الأرب «عمِيُوا».
(٣) في النسخة (ب): «فارس».
(٤) في الأغاني «ولم أكره».
(٥) في الأغاني: «فإن أحبس فقد عرفوا بلائي».
(٦) في الأغاني: «وإن أُطلق أجرّعهم حتوفاً».
والأبيات بتقديم وتأخير في: مروج الذهب، وتاريخ الطبري، والأغاني، ونهاية الأرب.
(٧) في العقد الفريد ٦/ ٣٥٠ «إلى ظل»، وفي مروج الذهب «إلى جنب».
(٨) البيتان في: العقد الفريد ٦/ ٣٥٠، ومروج الذهب ٢/ ٣١٦، والأغاني ١٨/ ٢٩٤، ونهاية الأرب ١٩/ ٢١٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٥٤٩، ٥٥٠.
(٩) تاريخ الطبري ٣/ ٥٤٢ ـ ٥٥٠، الأغاني ١٨/ ٢٩٤، مروج الذهب ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٧، ونهاية الأرب ١٩/ ٢٠٣ ـ ٢١١، وانظر فتوح البلدان ٣١٦، ٣١٧.
(١٠) عِماس: بكسر العين. قال ياقوت في معجم البلدان ٤/ ١٤٩: «كان اليوم الثالث من أيام القادسية، ولا أدري أهو موضع أم هو من العمس مقلوب المعس».

قوّى المسلمين، وبات القعقاع تلك اللّيلة يسرّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائةً مائةً، فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جددتم للنّاس رجاء وجدّاً ولا يشعر به أحد. وأصبح النّاسُ على مواقفهم، فلمّا ذرّ قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فحين رآهم كبّر وكبّر المسلمون وتقدّموا، وتكتّبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم، فأُخبر بما صنع القعقاع، فعبّى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن هُبَيرة بن عبد يَغوث المعروف بقيس بن المكشوف المُراديّ، ولم يكن من أهل الأيّام إنّما كان باليرموك، فانتدب مع هاشم، حتى إذا خالط القلب كبّر وكبّر المسلمون وقال: أوّل قتال المطاردة ثمّ المراماة؛ ثمّ حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفّهم إلى العَتيق، ثمّ عاد.

وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الرَّجّالة مع الفِيَلَة يحمونها أن تُقطع وُضُنُها، ومع الرَّجّالة فرسان يحمونهم، فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس، لأنّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش، وإذا أطافوا به كان آنس، وكان يوم عِماس من أوّله إلى آخره شديداً، العربُ والعجمُ فيه سواء، ولا تكون بينهم نُقْطَة إلاّ أبلغوها يزدَجِرْدَ بالأصوات، فيبعث إليهم أهل النَّجدات ممّن عنده، فلولا أنّ الله ألهم القعقاع ما فعل في اليومَين، وإلاّ كسر ذلك المسلمين[1].

وقاتل قيس بن المكشوح، وكان قد قدِم مع هاشم، قتالاً شديداً وحرّض أصحابه[2].

وقال عمرو بن معدي كرِب: إنّي حاملٌ على الفيل ومَن حوله، لفيلٍ[3] بإزائه، فلا تَدعوني أكثر من جَزْر جَزور، فإن تأخّرتم عنّي فقدتم أبا ثَور، يعني نفسه، وأين لكم مثل أبي ثور! فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبارُ، وحملِ أصحابه، فأُفرج المشركون عنه بعدما صرعوه، وإنّ سيفه لفي يده يصارمهم، وقد طُعن فرسه، فأخذ برِجْل فرسٍ أعجميّ، فلم يُطق الجرْي، فنزل عنه صاحبه إلى أصحابه وركب عمرو. وبرز فارسيّ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له شَبْر بن علقمة[4]، وكان قصيراً، فترجّل الفارسيّ إليه فاحتمله وجلس على صدره، ثمّ أخذ سيفه ليذبحه، ومِقْوَد فَرَسه مشدود في مِنْطَقته، فلمّا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٠ ـ ٥٥٢، مروج الذهب ٢/٣١٧، نهاية الأرب ١٩/٢١١، ٢١٢.
(٢) الطبري ٣/٥٥٤، نهاية الأرب ١٩/٢١٢، وفتوح البلدان ٣١٧ رقم ٦٤٢.
(٣) في الطبعة الأوربية «ومن حول الفيل».
(٤) في إحدى النسخ «بشر بن أرقمة».

سلّ سيفه نفر الفَرَس، فجذبه المِقْوَد فقلبه عنه، وتبِعه المسلم فقتله، وأخذ سلبه فباعه باثني عشر ألفاً[1].

فلمّا رأى سعد الفيول قد فُرّقت بين الكتائب وعادت لفِعلها، أرسل إلى القعقاع وعاصم ابنَيْ عمرو: اكفياني الأبيض، وكانت كلّها آلفة له، وكان بإزائهما، وقال لحمّال والرِّبّيل[2]: اكفياني الأجرب، وكان بإزائهما، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين، وتقدّما في خيل ورَجْل، وفعل حمّال والرِّبّيل[2] مثل فِعلهما، فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيْهما في عين الفيل الأبيض، فنفض رأسه فطرح سائسه[3] ودلّى مشفره، فضربه القعقاع فرمى به، ووقع لجنبه، وقتلوا مَنْ كان عليه، وحمل حمّال والرِّبّيل الأسديّان على الفيل الآخر فطعنه حمّال في عينه، فأقْعى ثمّ استوى، وضربه الرِّبّيل فأبان مشفره، وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بالطبرزين[4]، فأفلت الرِّبّيل جريحاً، فبقي الفيل جريحاً متحيّراً بين الصفّين، كلّما جاء صفَّ المسلمين وخزوه، وإذا أتَى صفَّ المشركين نخسوه. وولّى الفيل، وكان يُدْعَى الأجرب، وقد عوّر حمّالٌ عينَيْه، فألقى نفسه في العتيق، فاتّبعته الفِيَلَة فخرقت صفّ الأعاجم، فعبرت في أثره، فأتت المدائن في توابيتها، وهلك مَنْ فيها. فلمّا ذهبت الفِيَلة وخلص المسلمون والفرس، ومال الظلّ، تزاحف المسلمون، فاجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء. فلمّا أمسى النّاس اشتدّ القتال، وصبر الفريقان فخرجا على السواء[5].

ذكر ليلة الهرير وقتْل رستم

قيل: إنّما سُمّيت بذلك لتركهم الكلام، إنّما كانوا يهرّون هريراً، وأرسل سعد طُلَيْحة وعَمراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر، ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلمّا أتياها قال طُليحة: لو خُضْنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعبر أسفل. فافترقا، وأخذ طُليحة وراء العسكر وكبّر ثلاث تكبيرات، ثمّ ذهب وقد ارتاع أهلُ فارس وتعجّب المسلمون، وطلبه الأعاجمُ فلم يُدركوه[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٤، ٥٥٥.
(٢) في الطبعة الأوربية «الزبيّل»، والمثبت يتفق مع الطبري، ونهاية الأرب.
(٣) في الطبعة الأوربية «ساسته».
(٤) الطَّبْرْزِين، فارسية: الفأس من السلاح.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٥٥ ـ ٥٥٧، نهاية الأرب ١٩/٢١٢، ٢١٣.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٥٧، ٥٥٨.

وأمّا عمرو فإنّه أغار أسفل المخاضة ورجع، وخرج مسعود بن مالك الأسديّ، وعاصم بن عمرو، وابن ذي البُرْدَين الهلالي، وابن ذي السهمَين، وقيس بن هُبَيرة الأسديّ، وأشباههم، فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدّون ولا يريدون غير الزحف، فقدّموا صفوفهم وزاحَفَهم النّاس بغير إذن سعد، وكان أوّل مَنْ زاحفهم القعقاع، وقال سعد: اللهمّ اغفرْها له وانصرْه، فقد أذِنتُ له إن لم يستأذنّي. ثمّ قال: أرى الأمرَ ما فيه هذا، فإذا كبّرتُ ثلاثاً فاحملوا، وكبّر واحدةً فلحقهم أسد، فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمّ حملت النَّخَع فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ حملت بَجيلة فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ حملت كِنْدَة فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدّم حنظلة بن الربيع، وأمراء الأعشار، وطُليحة، وغالب، وحمّال، وأهل النجدات، ولما كبّر الثالثة لحق النّاس بعضهم بعضاً، وخالطوا القوم، واستقبلوا اللّيل استقبالاً بعدما صلّوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القُيُون ليلتهم إلى الصباح، وأفرغ الله الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطّ، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلمّا كان عند الصبح انتمى النّاس، فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلون، وكان أوّل شيء سمعه نصف اللّيل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحنُ قَتَلنا مَعشراً وزائِدَا ... أرْبَعَةً وخَمسَةً وواحِدَا
نُحْسَبُ فوْقَ اللِّبَدِ والأساوِدَا ... حتى إذا ماتوا دعَوْتُ جاهدَا
الله رَبّي وَاحترَزْتُ عامِدَا[1]

وقتلت كِنْدَة تُرْكاً الطبريّ، وكان مقدَّماً فيهم[2].

وأصبح النّاس ليلة الهرير ـ وتسمّى ليلة القادسيّة من بين تلك اللّيالي ـ وهم حَسْرَى، لم يُغْمِضُوا ليلتهم كلّها. فسار القعقاع في النّاس فقال: إنّ الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإنّ النصر مع الصبر. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء[3]، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلمّا رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكوننّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفُرس، أجرأ على الموت منكم. فحملوا فيما يليهم، وخالطوا مَنْ بإزائهم، فاقتتلوا حتّى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٩ ـ ٥٦٢، وانظر نهاية الأرب ١٩/٢١٣ و ٢١٤.
(٢) الطبري ٣/٥٦٣.
(٣) في النسخة (ب) زيادة «الغلبة».

قام قائم الظهيرة، فكان أوّل مَنْ زال الفَيْرُزان والهُرْمُزان، فتأخّرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلبُ، وركد عليهم النقعُ، وهبّت ريح عاصف فقلعت طيّارة رستم عن سريره، فهَوَت في العتيق، وهي دَبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَنْ معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين أطارت الريحُ الطيارة إلى بغال قد قدِمت عليه بمالٍ، فهي واقفة، فاستظلّ في ظلّ بغل وحمْله، وضرب هلال بن عُلَّفَة[1] الحِمْل الذي تحته رستم، فقطع حِباله، ووقع عليه أحد العِدْلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فَقاراً، وضربه هلال ضربة فنفحت مِسْكاً. ومضى [رستم] نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ برِجلَيْه، ثمّ خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثمّ ألقاه بين أرجل البغال، ثمّ صعد السرير وقال: قتلتُ رُسْتَم وربِّ الكعبة! إليّ إليّ! فأطافوا به وكبّروا، فنفّله سعد سَلَبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقَلَنْسُوته، ولو ظفِر بها لكانت قيمتها مائة ألف[2].

وقيل: إنّ هلالاً لما قصد رستم رماه رستم بنشّابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله، ثمّ احتزّ رأسه وعلّقه ونادى: قتلتُ رستم! فانهزم قلب المشركين.

وقام الجالينوس على الردْم، ونادى الفرسَ إلى العبور، وأمّا المقترنون فإنّهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم مُخْبر، وهم ثلاثون ألفاً. وأخذ ضِرار بن الخطّاب «دِرَفْش كابيان»، وهو العَلَم الأكبر الذي كان للفُرْس، فعُوّض منه ثلاثين ألفاً، وكانت قيمته ألف ألف ومائتَيْ ألف[3]. وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيّام قبله، وقُتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقُتل ليل الهرير ويوم القادسيّة ستّة آلاف، فدُفنوا في الخندق حِيال مُشرِّق، ودُفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق، وجُمعت الأسلاب والأموال فجُمع منها[4] شيء لم يُجْمَع قبله ولا بعده مثله.

وأرسل سعد إلى هِلال فسأله عن رستم، فأحضره، فقال: جَرِّدْه إلاّ[5] ما شئْتَ.

---

(١) في الطبعة الأوربية «علقمة». والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٣/٣، ٥٦٤ و٥٦٦، نهاية الأرب ٢١٤/١٩، مروج الذهب ٢١٨/٢، الذخائر والتحف، للقاضي الرشيد بن الزبير - (ت): في القرن ٥ هـ. - تحقيق د. محمد حميد الله - الكويت ١٩٥٩ - ص ١٥٦، شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني - (ت٦٥٦ هـ.) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ - ج ٩٨/٩، تتمّة المختصر في أخبار البشر، لابن الوردي ٢٢١/١، البداية والنهاية ٤٥/٧، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٨٨/٢ الاشتقاق ١٨٦.

(٣) أنظر في ذلك: البدء والتاريخ ١٧٤/٥، ١٧٥، ومروج الذهب ٣١٩/٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «منه».

(٥) في النسخة (ب) «إلى».

فأخذ سَلَبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً. وأمر القعقاعَ، وشُرَحْبيل باتّباعهم، حتّى بلغا مقدار الخرّارة من القادسيّة، وخرج زُهْرة بن الحَويّة التميميّ في آثارهم، في ثلاثمائة فارس، ثمّ أدركه النّاس فلحِق المنهزمين والجالينوس يجمعهم، فقتله زُهْرة وأخذ سَلَبه، وقتلوا ما بين الخرّارة إلى السّيْلحين إلى النّجَف، وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الأسرى[1]، فرؤي[2] شابّ من النَّخَع وهو يسوق ثمانين رجلاً أسرى من الفرس[3].

واستكثر سعدٌ سَلَبَ الجالينوس، فكتب فيه إلى عمر. فكتب عمر إلى سعد: تعمِد إلى مثل زُهْرة وقد صَلِيَ بمثل ما صَلَى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي، تُفْسد قلبه، امضِ له سَلَبَه وفضّلْه على أصحابه عند عطائه بخمسمائة[4].

ولما اتّبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير إلى الفارسيّ فيأتيه فيقتله، وربّما أخذ سلاحه فقتله به، وربّما أمر رجلَين فيقتل أحدهما صاحبه[5].

ولحِق سلمان بن ربيعة الباهليّ، وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فقتلهم سلمان ومَنْ معه. وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحيَوا من الفرار، وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين، لكلّ كتيبة منها رئيس. وكان قتال أهل الكتائب من الفُرس على وجهين، منهم من هرب، ومنهم مَنْ ثبت حتى قُتل، وكان ممّن هرب من أُمراء الكتائب الهُرْمُزان، وكان بإزاء عُطارِد، ومنهم أهوذ، وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبيّ، ﷺ، ومنهم زاد بن بُهَيْش[6]، وكان بإزاء عاصم بن عمرو، ومنهم قارن، وكان بإزاء القعقاع؛ وكان ممّن ثبت وقُتل شهريار بن كُنارا[7]، وكان بإزاء سلمان بن ربيعة، وابن الهِرْبِذ[8]، وكان بإزاء عبد الرحمن بن ربيعة، والفرُّخان الأهوازيّ، وكان بإزاء بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ، ومنهم خُشْدَسوم[9] الهمذانيّ، وكان بإزاء ابن الهُذَيْل الكاهليّ[10].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٦٤ - ٥٦٦.
(٢) في الطبعة الأوربية «فرأه».
(٣) نهاية الأرب ١٩/٢١٨.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٦٨.
(٥) الطبري ٣/٥٦٩.
(٦) في إحدى النسخ «رادان نهيش».
(٧) عند الطبري ٣/٥٧٠ «كنار».
(٨) في النسخة (ب): «ابن الهديد».
(٩) عند الطبري «خُسْرَ وَشْنوم».
(١٠) تاريخ الطبري ٣/٥٦٩، ٥٧٠

وتراجع النّاس من طلب المنهزمين، وقد قُتل مؤذّنهم، فتشاجّ المسلمون في الأذان حتى كادوا يقتتلون، وأقرع سعد بينهم فخرج سهمُ رجل، فأذّن.

وفُضّل أهل البلاء من أهل القادسيّة عند العطاء بخمسمائة خمسمائة، وهم خمسة وعشرون رجلاً، منهم: زُهْرة، وعصمة الضبيّ، والكلَج[1]؛ وأمّا أهل الأيّام قبلها فإنّهم فُرض لهم على ثلاثة آلاف، فُضّلوا على أهل القادسيّة، فقيل لعمر: لو ألْحَقْتَ بهم أهل القادسيّة. فقال: لم أكن لألحق بهم مَنْ لم يدركهم. وقيل له: لو فضّلتَ مَن بَعُدت دارهُ على مَنْ قاتلهم بفِنائه. قال: كيف أفضّل عليهم وهم شَجَن العدوّ! فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار هذا![2].

وكانت العرب تتوقّع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسيّة، فيما بين العُذَيْب إلى عدن أبْيَنَ، وفيما[3] بين الأُبُلّة وأيلة، يرون أن ثبات مُلكهم وزواله بها؛ وكانت في كلّ بلد مُصِيخة[4] إليها، تنظر ما يكون من أمرها. فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ، فأتت بها أُناساً من الإنس، فسبقت أخبار الإنس [إليهم][5].

وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وبعدّة من قُتلوا، وبعدّة مَن أُصيب من المسلمين، وسمّى من يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزاريّ. وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسيّة، ثمّ يرجع إلى أهله ومنزله، قال: فلمّا لقي البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدّثْني. قال: هزم الله المشركين. وعمر يخبّ معه يسأله، والآخر يسير على ناقته، لا يعرفه حتى دخل المدينة، وإذا النّاسُ يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، قال البشير: هلاّ أخبرتني، رحِمك الله، إنّك أمير المؤمنين! فقال عمر: لا بأسَ عليك يا أخي[6].

وأقام المسلمون بالقادسيّة في انتظار قدوم البشير، وأمرعمر النّاس أن يقوموا[7] على أقباضهم، ويصلحوا أحوالهم، ويتابع إليهم أهل الشام ممّن شهد اليرموك ودمشق ممدّين لهم، وجاء أوّلهم يوم أغواث، وآخرهم بعد الغد يوم الفتح، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه

---

(١) في الطبعة الأوربية «الكلخ» والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٥٦٨.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٦٨.
(٣) في الطبعة الأوربية «ففيما».
(٤) في الطبعة الأوربية «مُضَيْخة»، وفي نسخة المتحف البريطاني «مصيحة».
(٥) الطبري ٣/٥٨٢.
(٦) الأخبار الطوال ١٢٣، ١٢٤، الطبري ٣/٥٨٣.
(٧) في النسخة (ب): «يقيموا».

عمّا ينبغي أن يشار فيه مع نَذير بن عمرو[1].

وقيل: كانت وقعة القادسيّة سنة ستّ عشرة، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنّها كانت سنة خمس عشرة، وقد تقدّم أنّها كانت سنة أربع عشرة[2].

(حُمَيْضة بن النعمان: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الميم، وبالضاد المعجمة. بُسْر بن أبي رُهْم: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة. والحَوِيّة: بفتح الحاء المهملة، وكسر الواو، وقيل بالجيم المضمومة، وفتح الواو؛ والأوّل أصحّ. وحَمّال: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم. والمُعَنّى: بضمّ الميم، وفتح العين المهملة، والنّون المشدّدة[3]. وحُصَين بن نمير: بضمّ الحاء، وفتح الصاد. ومعاوية بن حُدَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدال المهملتين، وآخره جيم. والمُعْتَمّ: بضمّ الميم، وسكون العين المهملة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وآخره ميم مشدّدة[4]. وصِرار: بكسر الصاد المهملة، وبالرائين المهملتين بينهما ألف: موضع عند المدينة. وصِنّين: بكسر الصاد المهملة، والنون المشدّدة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها، وآخره نون: موضع من ناحية الكوفة).

انتهى خبر القادسيّة.

ذكر ولاية عُتْبَة بن غُزْوان البصرة

قيل: في هذه السنة بعث عمر عُتبة بن غزوان إلى البصرة، وكان بها قُطْبة بن قَتادة السَّدوسيّ يغير بتلك الناحية، كما كان يغير المثنّى بناحية الحيرة، فكتب إلى عمر يعلمه مكانه، وأنّه لو كان معه عددٌ يسيرٌ ظفر بمن كان قِبَلَه من العجم، فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر، ووجّه إليه شُرَيْح بن عامر أحد بني سعد بن بكر، فأقبل إلى البصرة، وترك بها قُطْبة، ومضى إلى الأهواز، حتى انتهى إلى دارس[5]، وفيها مَسْلَحَة الأعاجم، فقتلوه، فبعث عمر عُتْبة بن غَزْوان، [و] قال له حين وجّهه:

يا عُتبة، إنّي قد استعملتك على أرض الهند، وهي حوْمة من حَوْمة العدوّ، وأرجو

---

(1) تاريخ الطبري ٣/٥٨٤، وانظر مروج الذهب ٢/٣١٣، وشرح نهج البلاغة ٩/٢٩٧، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦١، ونهاية الأرب ١٩/٢١٩، والعبر للذهبي ١/١٩، ومرآة الجنان ١/٧١.

(2) الطبري ٣/٥٩٠.

(3) زاد في النسخة (ب) «عبد بن الطبيب».

(4) «مشدّدة» ساقطة من النسخة (ب).

(5) في النسخة (ب): «دارين».

أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحَضْرَميّ أن يمدّك بعَرْفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدوّ، فإذا قدِم عليك فاستشِرْه، وادعُ إلى الله، فمن أجابك فاقبلْ منه، ومَنْ أَبى فالجزية وإلاّ فالسيف، واتّقِ الله فيما وُلّيتَ، وإيّاك أن تنازعك نفسُك إلى كِبْرٍ ممّا يُفْسد عليك إخوتك، وقد صحبتَ رسول الله، ﷺ، فعُزّزتَ به بعد الذلّة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرتَ أميراً مسلّطاً ومَلِكاً مطاعاً، تقول فيُسْمَع منك، وتأمر فيُطاع أمرك، فيا لها نعمة، إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على مَنْ دونك، واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولَهِيَ أَخْوَفُهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنّم، أعِيذك بالله ونفسي من ذلك. إنّ النّاس أسرعوا إلى الله حين[1] رُفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرِدِ الله ولا تُرِدِ الدنيا، واتّقِ مصارع الظالمين[2]. انطلِقْ أنت ومَنْ معك، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنَى أرض العجم فأقيموا[3].

فسار عُتبة ومَنْ معه، حتّى إذا كانوا بالمِرْبد تقدّموا حتى بلغوا حِيال الجسر الصغير فنزلوا. فبلغ صاحبَ الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف فالتقوا، فقاتلهم عُتبة بعد الزوال، وكان في خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبقَ إلاّ صاحب الفرات، فأخذه أسيراً، ثمّ خطب عتبةُ أصحابه وقال: إنّ الدنيا قد تصرّمت وولّت حَذّاءَ[4]، ولم يبقَ منها إلاّ صُبابة[5] كصُبابة الإناء، ألا وإنّكم منتقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم[6]، وقد ذُكر لي: لو أنّ صخرة أُلقيت من شفير جهنّم لهوت[7] سبعين خريفاً، ولتُملأنّه؛ أوَعجِبتم! ولقد ذُكر لي أنّ ما بين مصراعين من مصاريع[8] الجنّة مسيرة أربعين خريفاً، وليأتينّ عليه يومٌ وهو كظيظ[9]، [بزحام][10]، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبيّ، ﷺ، ما لنا طعام إلاّ ورقُ السَّمُر، حتى تقرّحت أشداقُنا، والتقطتُ بُردة فشققتها بيني وبين سعد، فما منّا [من] أولئك السبعة من أحد إلاّ وهو أمير مِصرٍ من الأمصار،

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٨٦ «حتى»، والمثبت يتفق مع الطبعة الأوربية، وتاريخ الطبري ٣/٥٩٤.
(٢) هنا ينتهي النصّ عند الطبري ٣/٥٩٣، ٥٩٤.
(٣) العبارة في تاريخ الطبري ٣/٥٩١.
(٤) حذّاء: أي مسرعة.
(٥) الصُبابة: البقية.
(٦) في الطبعة الأوربية «يحضربكم».
(٧) عند الطبري ٣/٥٩٢ «هوت».
(٨) عند الطبري «مصانع».
(٩) الكظيظ: الممتلىء.
(١٠) إضافة من الطبري.

وسيُجرِّبون النّاسَ بعدنا[1].

وكان نزوله البصرة في ربيع الأوّل أو الآخر سنة أربع عشرة[2].

وقيل: إنّ البصرة مُصّرت سنة ستّ عشرة بعد جَلولاء وتَكْريت، أرسله سعد إليها بأمر عمر[3]. وإنّ عُتْبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر، فخرج إليه أهلُ الأُبُلّة، وكان بها خمسمائة أسوار يحمونها، وكانت مرفأ[4] السفن من الصّين، فقاتلهم عُتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عُتبة إلى عسكره، وألقى الله الرعبَ في قلوب الفرس، فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خفّ وعبروا الماء[5]، وأخلوا المدينة، ودخلها المسلمون، فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً، فاقتسموه، وأخرج الخُمْس منه، وكان المسلمون ثلاثمائة. وكان فتْحها في رجب أو في شعبان[6].

ثمّ نزل موضع مدينة الرزق، وخطّ موضع المسجد وبناه بالقصب.

وكان أوّل مولود بها عبد الرحمن بن أبي بكرة، فلمّا وُلد ذبح أبوه جَزُوراً، فكفتهم لقلّة النّاس.

وجمع لهم أهل دَسْتُمِيسان، فلقيهم عُتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً، وأخذ قَتادة منطقته، فبعث بها مع أنَس بن حجنة[7] إلى عمر، فقال له عمر: كيف النّاس؟ فقال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يَهيلون الذهب والفضّة. فرغب النّاس في البصرة فأتوها[8].

واستعمل عُتبةُ مُجاشعَ بن مسعود على جماعة وسيّرهم إلى الفرات، واستخلف المُغيرةَ بن شُعبة على الصلاة إلى أن يقدَم مجاشع بن مسعود، فإذا قدِم فهو الأمير، وسار عُتبة إلى عمر. فظفر مجاشع بأهل الفرات وجمع الفليكان[9]، عظيم من الفُرس، للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبة، فلقيهم بالمرْغاب فاقتتلوا. فقال نساء المسلمين: لو لحِقْنا بهم فكنّا معهم، فاتّخذت من خُمُرِهنّ رايات وسِرْن إلى المسلمين.

---

(١) الطبري ٣/٥٩١، ٥٩٢.
(٢) الطبري ٣/٥٩٠.
(٣) الطبري ٣/٥٩٠.
(٤) في الطبعة الأوربية «مرقى».
(٥) في النسخة (ب): «وعز من المال».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٩٤.
(٧) في تاريخ الطبري ٣/٥٩٥ «حُجيّة».
(٨) الطبري ٣/٥٩٥.
(٩) في تاريخ الطبري ٣/٥٩٥ «الفيلكان»، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥.

فلمّا رأى المشركون الرايات ظنّوا أنّ مدداً للمسلمين قد أقبل، فانهزموا وظفر بهم المسلمون[1].

وكتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعُتبة: مَن استعملتَ على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود. قال: أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المَدَر؟ وأخبره بما كان من المغيرة، وأمره أن يرجع إلى عمله، فمات في الطريق[2]، وقيل في موته غير ذلك، وسيرد ذِكْره سنة سبع عشرة.

وكان مِنْ سَبْي مَيْسان يَسار أبو الحسنِ البصريّ، وأرطبان جدّ عبد الله بن عَوْن بن أرطبان[3].

وقيل: إنّ إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة، والأوّل أصحّ، فكانت إمارته عليها ستّة أشهر[4].

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة، فبقي سنتين، ثمّ رُمي بما رُمي، واستعمل أبا موسى، وقيل: استعمل بعد عُتبة أبا موسى، وبعده المغيرة[5].

وفيها، أعني سنة أربع عشرة، ضرب عمر ابنَهُ عُبيد الله وأصحابه في شراب شربوه، وأبا مِحْجن[6].

وفيها أمر عمر بالقيام في شهر رمضان في المساجد بالمدينة، وجمعهم على أُبَيّ بن كعب، وكتب إلى الأمصار بذلك[7].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. وكان على مكّة عتّاب بن أسِيد في قول، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْية، وعلى الكوفة سعد، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل العلاء بن الحضرميّ، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصَن[8].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٩٥، ٥٩٦، وأنظر فتوح البلدان ٤٢٠ رقم ٨٤٩.
(٢) الخبر في فتوح البلدان ٤٢١ رقم ٨٥٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥، ١٤٦، والبدء والتاريخ ٥/١٧٥.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٩٦.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٩٧ وأنظر عنه: المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٥، وتاريخ بغداد ١/١٥٦.
(٥) الطبري ٣/٥٩٧.
(٦) الطبري ٣/٥٩٧.
(٧) الخبر في تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٠، وتاريخ خليفة ١٢٩.
(٨) تاريخ الطبري ٣/٥٩٧.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أبو قُحافة والد أبي بكر الصدّيق بعد موت ابنه[1].

وفيها مات سعد بن عُبادة الأنصاريّ، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة[2].

وفيها قُتل سَليط بن عمرو بن عامر بن لُؤيّ[3].

وفيها ماتت هند بنت عُتْبة بن ربيعة أمّ معاوية، وكان إسلامُها يوم الفتح[4].

---

(١) تاريخ خليفة ١٢٩..

(٢) أنظر عنه سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٠ ففيه مصادر ترجمته.

(٣) أسد الغابة ٢/ ٣٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

١٥
ثم دخلت سنة خمس عشرة

وقيل: إنّ الكوفة مصّرها سعد بن أبي وقّاص في هذه السنة، دلّهم على موضعها ابن بُقَيْلة، قال لسعد: أدلّك على أرض لله ارتفعت من البقّ وانحدرت عن الفلاة! فدلّه على موضعها[١]، وقيل غير ذلك، ويأتي ذكره.

ذكر الوقعة بمرج الروم

في هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان من ذلك أنّ أبا عُبيدة وخالد بن الوليد سارا بمن معهما من فِحْل قاصدَين حِمص، فنزلا على ذي الكَلاع، وبلغ الخبرُ هرقلَ. فبعث توذَر[٢] البطريق، حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عُبيدة بمرج الروم أيضاً، ونازله يوم نزوله شَنَش[٣] الروميّ في مثل خيل توذر، إمداداً لتوذر وردْءاً لأهل حمص. فلمّا نزل أصبحت الأرض من توذَر بلاقع، وكان خالد بإزائه، وأبو عُبيدة بإزاء شَنَش[٣]، وسار توذَر يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة[٤]، وبلغ يزيدَ بنَ أبي سفيان فعلُ توذَر، فاستقبله فاقتتلوا، ولحِق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم ولم يفلِتْ منهم إلّا الشريد، وغنم المسلمون ما معهم، فقسّمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق، ورجع خالد إلى أبي عُبيدة وقد قُتل توذر. وقاتل أبو عُبيدة بعد مسير خالد شنش[٥]، فاقتتلوا بمرج الروم، فقُتلت الروم مقتلة عظيمة، وقُتل شنش[٥]، وتبعهم المسلمون إلى حمص، فلمّا بلغ هرقلَ ذلك أمر بِطريق حمص بالمسير إليها، وسار هو إلى الرُّهاء، وسار أبو عُبيدة إلى حمص.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٩٨.
(٢) عند الطبري «توذرا».
(٣) عند الطبري «شنس».
(٤) جريدة: أي جرد الخيل جريدة لا رجّالة فيها. (لسان العرب ـ مادة جرد).
(٥) عند الطبري «شنس». وكذلك عند النويري في نهاية الأرب ١٩/١٦١، ١٦٢.

ذكر فتح حِمْص وَبَعْلَبَكّ وغيرهما

فلمّا فرغ أبو عُبيدة من دمشق سار إلى حمص، فسلك طريق بعلبك[1] فحصرها، فطلب أهلُها الأمان فآمنهم وصالحهم، وسار عنهم فنزل على حمص ومعه خالد.

وقيل: إنّما سار المسلمون إلى حمص من مرج الروم، وقد تقدّم ذِكره. فلمّا نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم في كلّ يوم بارد، ولقي المسلمون برداً شديداً، والروم حصاراً طويلاً، فصبر المسلمون والروم، وكان هِرَقْل قد أرسل إلى أهل حمص يَعِدهم المَدَد، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهّز إلى حمص، فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين. فسيّر سعد بن أبي وقّاص السرايا من العراق إلى هيت وحصروها، وسار بعضهم إلى قرقيسيا، فتفرّق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حمص، فكان أهلها يقولون: تمسّكوا بمدينتكم فإنّهم حُفاة، فإذا أصابهم البردُ تقطّعت أقدامهم. فكانت أقدام الروم تسقط، ولا يسقط للمسلمين إصبع.

فلمّا خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم إلى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه، وقام آخر فلم يجيبوه، فناهدهم[2] المسلمون فكبّروا تكبيرة، فانهدم كثير من دُور حمص، وزُلزلت حيطانهم فتصدّعت، فكبّروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك، فخرج أهلها إليهم يطلبون الصلح، ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق، وأنزلها أبو عُبيدة السِّمْطَ بن الأسود الكِنْدي في بني معاوية، والأشعث بن ميناس[3] في السَّكون، والمِقْدَادَ في بَليّ، وأنزلها غيرهم، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود، وكتب عمر إلى أبي عُبيدة: أنْ أقِمْ بمدينتك وادعُ أهل القوّة من عرب الشام، فإنّي غير تارك البعثة إليك[4].

ثمّ استخلف أبو عُبيدة على حمص عُبادةَ بن الصامت، وسار إلى حماة، فتلقّاه أهلُها مذْعِنين، فصالحهم أبو عُبيدة على الجزية لرؤوسهم، والخراج على أرضهم،

---

(١) أنظر حول فتح بعلبك البحث الذي قدّمناه إلى مؤتمر تاريخ بلاد الشام، في الجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان: الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق لبنان ـ ص ٦، ففيه مصادر التحقيق، ومنها: فتوح البلدان ١٣٢/١، فتوح الشام للأزدي ٧٨، تاريخ اليعقوبي ١٤١/٢، تاريخ خليفة ١٢٧٠، تاريخ دمشق ٥٢٦/١، البدء والتاريخ ١٨٤/٥، فتوح الشام للواقدي ٧٥/١، المعرفة والتاريخ ٢٩٨/٣ ويلاحظ أنّ الطبري لا يذكر بعلبك في الفتوح، وانظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ١٧٥/١، والخراج لقدامة ٢٩٦، ونهاية الأرب ١٦٢/١٩.

(٢) في النسخ (ب): «فأخذهم».

(٣) في النسخة (ب): «مساس».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٥٩٩/٣ ـ ٦٠١، وانظر: فتوح البلدان ١٥٥.

ومضى نحو شَيْزر، فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة، وسار أبو عُبيدة إلى مَعَرّة حمص، وهي معرّة النعمان، نُسبت بعدُ إلى النعمان بن بَشير الأنصاريّ، فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص[1].

ثمّ أتى اللاذقيّة[2] فقاتله أهلُها، وكان لها باب عظيم يفتحه جمعٌ من النّاس، فعسكر المسلمون على بُعْد منها، ثمّ أمر فحُفر حفائر عظيمة، تستر الحُفْرة منها الفارسَ راكباً، ثمّ أظهروا أنّهم عائدون عنها ورحلوا، فلمّا جنّهم اللّيل عادوا واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهلُ اللاذقيّة وهم يرون أنّ المسلمين قد انصرفوا عنهم، فأخرجوا سَرْحهم وانتشروا بظاهر البلد، فلم يَرُعْهم إلاّ والمسلمون يصيحون بهم، ودخلوا معهم المدينة، ومُلكت عنوةً، وهرب قوم من النصارى، ثمّ طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم، فقوطعوا على خراج يؤدّونه قلّوا أو كثروا، وتُركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بها مسجداً جامعاً، بناه عُبادة بن الصامت، ثمّ وُسّع فيه بعدُ[3].

ولما فتح المسلمون اللاذقيّة جلا أهلُ جَبَلَة من الروم عنها، فلمّا كان زمن معاوية بنى حصناً خارج الحصن الروميّ وشحنه بالرجال[4].

وفتح المسلمون مع عُبادة بن الصامت أنطرطوس، وكان حصيناً، فجلا عنه أهله، فبنى معاوية مدينة أنطرطوس ومصّرها، وأقطع بها القطائع للمقاتلة، وكذلك فعل ببانياس[5].

وفُتحت سَلَمْيَة أيضاً، وقيل: إنّما سُمّيت سلمية لأنّه كان بقربها مدينة تُدْعى المؤتفكة انقلبت بأهلها ولم يسلم منهم غير مائة نفس، فبنوا لهم مائة منزل، وسُمّيت سلِم مائة، ثمّ حرّف النّاس فقالوا سَلَمْية[6]، **وهذا يتمشّى لقائله لو كان أهلها عرباً ولسانهم عربيّاً، وأمّا إذا كان لسانهم أعجميّاً فلا يسوغ هذا القول**[7]. ثمّ إنّ صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس اتّخذها داراً وبنى [و] ولده فيها ومصّروها، ونزلها مَنْ نزلها من ولده، فهي وأرضوها لهم[8].

---

(١) الخبر في فتوح البلدان ١٥٦، والخراج لقدامة ٢٩٧، ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٣.
(٢) في الأصل «لاذقية».
(٣) الخبر في فتوح البلدان ١٥٧، والخراج ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٣.
(٤) فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٥٨، الخراج ٢٩٨.
(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٦٠ وفيه «وكذلك فعل بمَرَقيّة وبُلُنْياس»، والخراج لقدامه ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٤.
(٦) فتوح البلدان ١٥٨، ١٥٩ رقم ٣٦٢.
(٧) القول للمؤلّف رحمه الله.
(٨) فتوح البلدان ١٥٩.

ذكر فتح قِنّسرين ودخول هرقل القسطنطينية

ثمّ أرسل أبو عُبيدة خالدَ بن الوليد إلى قِنَّسرين. فلمّا نزل الحاضر زحف إليهم الرومُ وعليهم ميناس[1]، وكان من أعظم الروم بعد هِرَقْل، فاقتتلوا فقُتل ميناس ومَنْ معه مقتلة عظيمة لم يُقتلوا مثلها، فماتوا على دم واحد. وسار خالد حتى نزل على قنّسرين فتحصّنوا منه، فقالوا: لو كنتم في السحاب لحملَنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. فنظروا في أمرهم ورأوا ما لقي أهلُ حمص فصالحوهم على صلح حمص[2]، فأبَى خالد إلاّ على إخراب المدينة فأخربها. فعند ذلك دخل هِرَقل القسطنطينية؛ وسببه: أنّ خالداً وعِياضاً أدربا إلى هِرَقل من الشام، وأدرب عمرو بن مالك من الكوفة، فخرج من ناحية قَرْقيسيا، وأدرب عبد الله بن المُعْتَمّ من ناحية الموصل، ثمّ رجعوا، فعندها دخل هِرَقل القسطنطينيّة، وكانت هذه أوّل مُدْرِبة في الإسلام سنة خمس عشرة، وقيل ستّ[3] عشرة[4].

فلمّا بلغ عمرَ صنيعُ خالد قال: أمّر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منّي! وقد كان عزله والمثنّى بن حارثة وقال: إنّي لم أعزلهما عن ريبة، ولكنّ النّاس عظّموهما، فخشيتُ أن يوكلوا إليهما.

فأمّا المثنّى فإنّه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبي عُبَيْدة، ورجع عن خالد بعد قنّسرين. وأمّا هِرَقل فإنّه خرج من الرُّهاء؛ وكان أوّل مَنْ أنبح كلابها ونفّر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وسار هِرَقل فنزل بشِمْشاط، ثمّ أدرب منها نحو القسطنطينيّة. فلمّا أراد المسير منها علا على نشزٍ ثمّ التفت إلى الشام فقال: السلام عليكِ يا سورية، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليكِ روميّ أبداً إلاّ خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، ويا ليته لا يولد! فما أحلى فِعله وأمرّ فتنته[5] على الروم[6]. ثمّ سار فدخل القسطنطينيّة، وأخذ أهلَ الحصون التي بين إسكندريّة[7] وطَرَسُوس معه، لئلاّ يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم، وشعّث الحصون، فكان المسلمون لا

---

(١) في النسخة (ب) «بيناس».

(٢) فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩٠، الخراج لقدامة ٣٠٣.

(٣) في النسخة (ب): «تسع».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٦٠٢، ٦٠٣.

(٥) عند الطبري ٣/٦٠٣ «عاقبته».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٠٢، ٦٠٣، وانظر: البدء والتاريخ ٥/١٨٥، ونهاية الأرب ١٩/١٦٤، ١٦٥، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٧) المراد: إسكندرونة.

يجدون بها أحداً، وربّما كمّن عندها الروم، فأصابوا غِرّة المتخلّفين، فاحتاط المسلمون لذلك[1].

ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرهما من العواصم

لما فرغ أبو عُبيدة من قِنّسرين سار إلى حلب، فبلغه أنّ أهلَ قِنّسرين نقضوا وغدروا، فوجّه إليهم السِّمْط الكِنْديّ فحصرهم وفتحها[2]، وأصاب فيها بقراً وغنماً، فقسّم بعضه في جيشه، وجعل بقيّته في المغنم. ووصل أبو عُبيدة إلى حاضر حلب وهو قريب منها، فجمع أصنافاً من العرب، فصالحهم أبو عُبيدة على الجزية، ثمّ أسلموا بعد ذلك[3]، وأتى حلبَ وعلى مقدّمته عِياض بن غَنْم الفِهْريّ، فتحصّن أهلُها وحصرهم المسلمون، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك، واستثني عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عِياض، فأجاز أبو عُبيدة ذلك.

وقيل: صولحوا على أن يُقاسَموا منازلَهم وكنائسهم.

وقيل: إنّ أبا عُبيدة لم يصادف بحلب أحداً، لأنّ أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وراسلوا في الصلح، فلمّا تمّ ذلك رجعوا إليها[4].

وسار أبو عُبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصّن بها كثير من الخلق من قِنّسرين وغيرها. فلمّا فارقها لقِيه جمعُ العدوّ، فهزمهم فألجأهم إلى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها، ثمّ إنّهم صالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعض وأقام بعض فآمنهم، ثمّ نقضوا، فوجّه أبو عُبيدة إليهم عياضَ بن غَنْم وحَبيبَ بن مَسْلمة، ففتحاها على الصلح الأوّل[5].

وكانت أنطاكية عظيمة الذِكر عند المسلمين، فلمّا فُتحت كتب عمرُ إلى أبي عُبيدة أن رتّبْ بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلْهم بها مرابطة، ولا تحبسْ عنهم العطاء[6].

وبلغ أبا عُبيدة أنّ جمعاً من الروم بين معرّة مَصْرين وحلب، فسار إليهم فلقِيهم

---

(1) تاريخ الطبري ٦٠٣/٣، نهاية الأرب ١٦٥/١٩.
(2) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩١، والخراج لقدامة ٣٠٣.
(3) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢، ١٧٣ رقم ٣٩٢، والخراج ٣٠٣.
(4) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٤، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٦٥/١٩، ١٦٦.
(5) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٥، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٦٦/١٩.
(6) فتوح البلدان ١٧٥ رقم ٣٩٦، نهاية الأرب ١٦٦/١٩.

فهزمهم، وقتل عدّة بطارقة، وسبى وغنم، وفتح معرّة مَصْرين على مثل صلح حلب، وجالت خيوله فبلغت بُوقا، وفتحت قرى الجُومة[1] وسَرْمين وتيزين، وغلبوا على جميع أرض قِنّسرين وأنطاكية[2].

ثمّ أتى أبو عُبيدة حلبَ وقد التاثَ أهلها، فلم يزل بهم حتى أذعنوا وفتحوا المدينة[3].

وسار أبو عُبيدة يريد قُورُس وعلى مقدّمته عِياض، فلقِيه راهب من رهبانها يسأله الصلح، فبعث به إلى أبي عُبيدة فصالحه على صلح أنطاكية، وبثّ خيله فغلب على جميع أرض قُورُس وفتح تلّ عزاز، وكان سلمان بن ربيعة الباهليّ في جيش أبي عُبيدة، فنزل في حصن بقورُس، فنسب إليه، فهو يُعرف بحصن سلمان[4].

ثمّ سار أبو عُبيدة إلى مَنْبج وعلى مقدّمته عياض، فلحِقه وقد صالح أهلها على مثل صُلح أنطاكية، وسيّر عياضاً إلى ناحية دُلُوك ورَعْبان فصالحه أهلُها على مثل [صُلح] منبجٍ، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم. وولّى أبو عُبيدة كلّ كورة فتحها عاملاً، وضمّ إليه جماعة، وشحن النواحي المخوفة[5].

وسار إلى بالس، وبعث جيشاً مع حَبيب بن مَسلمة إلى قاصرين، فصالحهم أهلُها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذٍ، وإنّما اتُّخذ في خلافة عثمان للصوائف، وقيل: بل كان له رسم قديم[6].

واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات، وعاد أبو عُبيدة إلى فلسطين[7].

وكان بجبل اللُّكّام مدينة يقال لها جُرْجومة[8]، وأهلها يقال لهم الجراجمة، فسار حبيب بن مَسلمة إليها من أنطاكية، فافتتحها صلحاً، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين[9].

---

(١) في النسخة (ب) «الحوية».

(٢) فتوح البلدان ١٧٦ رقم ٤٠١، الخراج ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) الخبر في كتاب الخراج لقدامة ٣٠٥، نهاية الأرب ١٩/١٦٦.

(٤) الخبر في فتوح البلدان ١٧٦، ١٧٧ رقم ٤٠٣ و ٤٠٤، والخراج لقدامة ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧ رقم ٤٠٤، والخراج ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٩٠/١٦٧.

(٦) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧، ١٧٨ رقم ٤٠٦.

(٧) نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٨) في طبعة صادر ٢/٤٩٦ «جرجرومة»، والصحيح ما أثبتناه.

(٩) أنظر عن الجرجومة والجراجمة: فتوح البلدان ١٨٩.

وفيها سيّر أبو عُبيدة بن الجرّاح جيشاً مع مَيْسرة بن مسروق العبسيّ، فسلكوا درب بَغْرَاس من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم، وهو أوّل مَنْ سلك ذلك الدرب، فلقي جمعاً للروم معهم عرب من غسّان وتنوخ[1] وإياد يريدون اللّحاق بهرَقْل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ لحِق به مالك الأشتر النَّخَعيّ مَدَداً من قِبَل أبي عُبيدة وهو بأنطاكية[2]، فسلِموا وعادوا. وسيّر جيشاً آخر إلى مَرْعَش مع خالد بن الوليد، ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخربها[3]. وسيّر جيشاً آخر مع حَبيب بن مسلمة إلى حصن الحَدَث، وإنّما سُمّي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حَدَثاً فقاتلهم في أصحابه، فقيل درب الحدث، وقيل: لأنّ المسلمين أُصيبوا به فقيل درب الحدث، وكان بنو أميّة يسمّونه درب السلامة لهذا المعنى[4].

ذكر فتح قَيْساريّة وحصر غَزّة

في هذه السنة فُتحت قيساريّة[5]، وقيل: سنة تسع عشرة[6]، وقيل: سنة عشرين[7].

وكان سببها: أنّ عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يرسل معاوية إلى قيساريّة، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاويةُ إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردّهم إلى حصنهم. ثمّ زاحفوه آخر ذلك مستميتين، وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً، وكمّلها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها، وكان علقمة بن مُجَزِّز قد حصر القيقار[8] بغزّة وجعل يراسله، فلم يُشْفِه[9] أحد بما يريد، فأتاه كأنّه رسول علقمة، فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق، فإذا مرّ به قتله، ففطِن علقمة فقال: إنّ معي نفراً يشركونني في الرأي، فأنطلق فآتيك بهم، فبعث القيقار إلى ذلك الرجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده فلم يعُدْ، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون[10].

(مُجزِّز: بجيم وزايَين الأولى مكسورة [مشدَّدة]).

---

(١) ساقط من النسخة (ب).

(٢) فتوح البلدان ١٩٤ رقم ٤٣٢، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٣) فتوح البلدان ٢٢٤ رقم ٤٩٥، الخراج ٣١٩، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٤) فتوح البلدان ٢٢٥، ٢٢٦، الخراج ٣٢٠، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.

(٥) فتوح البلدان ١٦٦ رقم ٣٧٤.

(٦) فتوح البلدان ١٦٧ رقم ٣٧٦ و١٦٩ رقم ٣٨٠.

(٧) فتوح البلدان ١٦٩ رقم ٣٨١.

(٨) في تاريخ الطبري «الفيقار».

(٩) في النسخة (ب): «يسيقه».

(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٤.

ذكر فتح بَيْسان ووقعة أجنادَيْن

ولما انصرف أبو عُبيدة وخالد إلى حمص نـزل عمرو وشُـرَحْبيل على أهـل بَيْسان، فافتتحاها وصالحا أهلَ الأردنّ، واجتمع عسكر الروم بغزّة وأجنادين وبَيْسان، وسـار عمرو وشُرَحْبيل إلى الأرطبون ومَنْ معه وهو بأجنادَيْن، واستخلف على الأردنّ أبا الأعـور، فنزل بالأرطبون ومعه الروم. وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً، وكان قد وضـع بالـرملة جنـداً عظيمـاً، وبإيليـاء جنداً عـظيماً. فلمّـا بلغ عمر بن الخـطّاب الخبر قـال: قد رمينـا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عمَّ تنفرج[1].

وكان معاويـة قد شغـل أهلَ قيسـاريّة عن عمـرو، وكان عمـرو قد جعـل علقمة بن حَكيم الفـارسيّ ومسروق بن فـلان العكيّ على قتال إيليـاء، فشغلوا من به عنـه، وجعـل أيضاً أبا أيّوب المالكيّ على مَنْ بالرملة من الروم، فشغلهم عنه، وتتابعت الأمداد من عند عمر إلى عمرو، وأقام عمرو على أجنـادَين، لا يقدر من الأرطبـون على شيء، ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه، فدخل عليه كأنّه رسول، ففطن بـه الأرطبون وقـال: لا شكّ أنّ هذا هو الأمير أو من يأخذ الأميرُ برأيه، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقـه ليقتله إذا مرّ بـه، وفطن عمرو لفعله فقال له: قد سمعتَ منّي وسمعتُ منك، وقـد وقع قـولك منّي مـوقعاً، وأنا واحد من عشرة، بعثَنا عمر إلى هذا الوالي لنكانفـه[2]، فأرجـع فآتيـك بهم الآن، فإن رأوا الـذي عـرضتَ عليّ الآن فقـد رآه الأميـر وأهـل العسكـر، وإن لم يـروه رددتَهم إلى مأمنهم. فقال: نعم، وردّ الرجل الذي أمر بقتله. فخـرج عمرو من عنـده، وعلم الروميّ أنّها خدعة اختدعه بها فقال: هذا أدهى الخلق!.

وبلغت خديعته عمرَ بن الخطّاب فقال: لله درّ عمرو! وعـرف عمرو مـأخذه فلقيـه، فاقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم[3].

وانهزم أرطبون إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين، وأفرج المسلمون الـذين يحصرون بيت المَقْدِس لأرطبون، فدخل إيلياء وأزاح المسلمين عنه إلى عمرو.

وقد تقدّم ذكر وقعة أجنادين على قول من يجعلها قبل اليـرموك، وسيـاقها على غيـر هذه السياقة، فلهذا ذكرناها هنالك وهاهنا.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٥، ونهاية الأرب ١٩/١٦٩ وفيهما «تتفرّج».

(٢) لنكانفه: أي لنعاونه. وفي النسخة (ب): «لنكايته».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٥، ٦٠٦.

ذكر فتح بيت المَقْدِس وهو إيلياء[1]

في هذه السنة فُتح بيت المقدس، وقيل: سنة ستّ عشرة في ربيع الأوّل.

وسبب ذلك أنّه لما دخل أرطبون إيلياء، فتح عمرو غزّة، وقيل: كان فتْحها في خلافة أبي بكر، ثمّ فتح سَبَسْطِيَة، وفيها قبر يحيَى بن زكريّاء، عليه السلام، وفتح نابلس بأمان على الجزية، وفتح مدينة لُدّ، ثمّ فتح يُبْنى وعَمَواس وبيت جِبْرين، وفتح يافا، وقيل: فتحها معاوية، وفتح عمرو رَفَح[2].

فلمّا تمّ له ذلك[3] أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلّم بالروميّة وقال له: اسمع ما يقول، وكتب معه كتاباً، فوصل الرسول ودفع الكتاب إلى أرطبون وعنده وزراؤه، فقال أرطبون: لا يفتح، والله، عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين. فقالوا له: من أين علمتَ هذا؟ فقال: صاحبها رجل صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر. فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره الخبر، فكتب إلى عمر بن الخطّاب يقول: إنّي أعالج عدوّاً شديداً وبلاداً، قد ادّخرت لك، فرأيك. فعلم عمر أن عَمراً لم يقلْ ذلك إلاّ بشيء سمعه، فسار عمر عن المدينة[4].

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام أنّ أبا عُبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولّي للعقد عمر بن الخطّاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة[5] واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، فقال له عليّ: أين تخرج بنفسك؟ إنّك تريد عدوّاً كَلِباً. فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العبّاس، إنّكم لو فقدتم العبّاس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض [أول][6] الحبل. فمات العبّاس لستّ سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالنّاس الشرّ.

وسار عمر فقدِم الجابية على فرس، وجميع ما قدِم الشامَ أربع مرّات: الأولى على

---

(١) تاريخ خليفة ١٣٥، فتوح البلدان للبلاذريّ ٢٨٩، تاريخ اليعقوبي ١٤٦/٢، فتوح الشام للأزدي ٢٤٤ وما بعدها، الخراج لقدامة ٢٩٩، المعرفة والتاريخ ٣٠٥/٣، البدء والتاريخ ١٨٥/٥، تاريخ الطبري ٦٠٧/٣، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٧١/١٩، البداية والنهاية ٥٥/٧.

(٢) في طبعة صادر ٤٩٩/٢ «مرج عيون» وقد وضعت «عيون» بين حاصرتين، وهذا وهم. وفي نسخة مكتبة بودليان «رمح»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان، والخبر فيه ١٦٤ رقم ٣٦٩، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٣) إضافة من النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٦/٣، ٦٠٧، نهاية الأرب ١٧١/١٩.

(٥) من أول الفقرة حتى هنا من النسخة (ب).

(٦) إضافة من الطبري ٦٠٨/٣، وانظر فتوح البلدان ١٦٤.

فَرَس، الثانية على بعير، والثالثة على بغل، رجع لأجل الطاعون، والرابعة على حمار[1]. وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سمّاه لهم في المجرّدة، ويستخلفوا على أعمالهم، فلقوه حيث رُفعت لهم الجابية، فكان أوّل مَن لقيه يزيد وأبو عبيدة ثمّ خالد على الخيول، عليهم الديباج والحرير، فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم! إيّاي[2] تستقبلون في هذا الزيّ وإنّما شبعتم، مذ سنتين[3]! وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّها يلامقة[4]، وإنّ علينا السّلاح. قال: فنعم إذَنْ. وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشُرَحْبيل كأنّهما لم يتحرّكا[5].

فلما قدِم عمر الجابيةَ قال له رجل من اليهود: يا أمير المؤمنين، إنّك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، وكانوا قد شجوا عَمراً وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة. فبينما عمر معسكر بالجابية فزع النّاسُ إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى إلى الخيل والسيوف؟ فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف. فقال عمر: مستأمنة فلا تراعوا، فأمنوهم، وإذا أهل إيلياء وحيزها[6]، فصالحهم على الجزية وفتحوها له[7]. وكان الذي صالحه العوّام، لأنّ أرطبون والتّذارِق دخلا مصر لما وصل عمر إلى الشام، وأخذا كتابه على إيلياء وحيِّزها والرملة وحيِّزها، فشهد ذلك اليهوديّ الصلح. فسأله عمر عن الدجّال، وكان كثير السؤآل عنه. فقال له: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ أنتم والله تقتلونه دون باب لُدّ ببضع عشرة ذراعاً[8]. وأرسل عمر إليهم بالأمان، وجعل علقمة بن حَكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة، وجعل علقمة بن مُجَزِّز على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء. وضمّ عَمراً وشُرَحْبيل إليه بالجابية. فلقياه راكباً فقبّلا ركبتيه، وضمّ [عُمَرُ] كلّ واحد منهما محتضنَهما[9].

ثمّ سار إلى بيت المقدس من الجابية، فركب فرسه فرأى به عَرَجاً، فنزل عنه وأُتي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧.
(٢) في النسخة (ب): «ألمن».
(٣) في طبعة صادر ٢/٥٠٠ «سنتان» وهو غلط.
(٤) في نسخة بودليان «بلا معَدَان»، وفي الطبعة الأوربية «بلامعة»، واليلمق: فارسيّ، وهو القباء المحشو.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧، نهاية الأرب ١٩/١٧١، ١٧٢، البداية والنهاية ٧/٥٦.
(٦) في إحدى النسخ «والرملة وحيِّزها».
(٧) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧.
(٨) تاريخ الطبري ٣/٦٠٨.
(٩) تاريخ الطبري ٣/٦١٠، وفي نهاية الأرب ١٩/١٧٢ «محتضناً»، البداية والنهاية ٧/٥٧.

ببِرْذَوْن فركبه، فجعل يتجلجل به[1]، فنزل وضرب وجهه وقال: لا أعلم من علّمك هذه الخيلاء! ثمّ لم يركب بِرْذوناً قبله ولا بعده.

وفُتحت إيلياء وأهلها[2] على يديه. وقيل: كان فتحها سنة ستّ عشرة، ولحِق أرطبون ومَنْ أَبى الصلح من الروم بمصر، فلمّا مَلَك المسلمون مصرَ قُتل، وقيل: بل لحِق بالروم، فكان يكون على صوائفهم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين، ومع المسلمين رجل من قيس يقال له ضُرَيْس، فقطع يد القيسيّ وقتله القيسيّ، فقال فيه:

فإنْ يكنْ أرطبون الرّومِ أفسدَها ... فإنّ فيها بحَمدِ الله مُنتَفَعَا[3]
وإنْ يكنْ أرْطبون الرّوم قطّعها ... فقد تركتُ بها أوْصَالَهُ قِطَعَا[4]

ذِكر فرْض العطاء وعمل الديوان

وفي سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض، ودوّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة، وأعطى صفوان بن أميّة والحارث بن هشام وسُهَيْل بن عمرو في أهل الفتح أقلّ ما أخذ[5] مَنْ قبلهم، فامتنعوا من أخذه وقالوا: لا نعترف أن يكون أحد أكرم منّا. فقال: إنّي إنّما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب. قالوا: فنعم إذاً، وأخذوا، وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام، فلم يزالا مجاهدَين حتى أُصيبا في بعض تلك الدروب، وقيل: ماتا في طاعون عمواس.

ولما أراد عمر وضع الديوان قال له عليّ وعبد الرحمن بن عَوْف: ابدأ بنفسك. قال: لا بل أبدأ بعمّ رسول الله، ﷺ، ثمّ الأقرب فالأقرب؛ ففرض للعبّاس وبدأ به، ثمّ فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد بدر إلى الحُدَيْبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد الحُديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف، ثلاثة آلاف؛ (في ذلك مَنْ شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومَنْ ولي الأيّام قبل القادسيّة، كلّ هؤلاء ثلاثة آلاف، ثلاثة آلاف)[6]، ثمّ فرض لأهل القادسيّة وأهل الشام

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦١٠ «يتخلّج»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٩/١٧٢.
(٢) في تاريخ الطبري «وأرضها كلّها». وهو أصحّ (٣/٦١٠).
(٣) في النسخة (ب): «مرتفعا».
(٤) البيتان في تاريخ الطبري ٣/٦١٢ مع زيادة بيت بينهما، وهما في نهاية الأرب ١٩/١٧٣، والبداية والنهاية ٧/٥٧.
(٥) في نهاية الأرب ١٩/٣٣٤ «مما أعطى»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٦١٣.
(٦) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

ألفَين ألفَين، وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين، وخمسمائة ألفين وخمسمائة[1].

فقيل له: لو ألحقتَ أهلَ القادسيّة بأهل الأيّام، فقال: لم أكن لألحِقهم بدرجة مَنْ لم يدركوا. وقيل له: قد سوّيتَ مَنْ بعُدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فِنائه. فقال: مَنْ قرُبَتْ داره أحقّ بالزيادة لأنّهم كانوا ردْءاً للحتوف[2] وشجىً للعدوّ، فهلّا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نُصرة الأنصار بفِنائهم وهاجر إليهم المهاجرون من بعدُ.

وفرض لمَنْ بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً، ثمّ فرض للروادف المثنّى خمسمائة خمسمائة، ثمّ للروادف الثّلِيث[3] بعدهم ثلاثمائة، سوّى كلّ طبقة في العطاء قويّهم وضعيفهم، عربَهم وعجَمهم، وفرض للروادف الربيع[4] على مائتَين وخمسين، وفرض لمن بعدهم، وهم أهل هَجَر والعِباد، على مائتين، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن والحسين وأبا ذرّ وسلمان. وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً، وقيل: اثني عشر ألفاً، وأعطى نساء النبيّ، ﷺ، عشرة آلاف عشرة آلاف، إلاّ مَنْ جرى عليها الملك. فقال نسوة رسول الله، ﷺ: ما كان رسول الله، ﷺ، يفضّلنا عليهنّ في القِسمة، فسوِّ بيننا؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله، ﷺ، إيّاها، فلم تأخذْ. وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة، ونساء مَنْ بعدهم إلى الحُدَيبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء مَنْ بعد ذلك إلى الأيّام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسيّة مائتَين مائتَين، ثمّ سوّى بين النساء بعد ذلك، وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثمّ جمع ستّين مسكيناً وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتَين[5]، ففرض لكلّ إنسان منهم ولعياله جريبتَين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممتُ أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزوّدها[6] معه، وألفاً يتجهّز بها، وألفاً يترفّق بها. فمات قبل أن يفعل[7].

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٣، والطبقات الكبرى ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٦١٤ «للّحوق»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٩/٣٣٥.

(٣) في الطبعة الأوربية «الليث».

(٤) الربيع هنا: الجزء من أربعة.

(٥) الجريب: مكيال يختلف مقداره باختلاف البلدان: ويأتي للمساحة، فيقال للأرض مساحتها كذا جريباً، والقمح والشعير مكياله كذا جريباً.

(٦) في نهاية الأرب ١٩/٣٣٦ «يتزوّدها»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٦١٥.

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦١٣ ـ ٦١٥، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٤ ـ ٣٣٦.

وقال له قائل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين لو شركتَ[1] في بيوت الأموال عدّة لكون إن كان. فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرّها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعدّ لهم ما أعدّ الله ورسوله طاعة لله ورسوله، هما عدّتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دَيْن أحدكم هلكتم[2].

وقال عمر للمسلمين: إنّي كنت امرأً[3] تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنّه يحلّ لي في[4] هذا المال؟ وعليٌّ ساكت. فأكثر القوم، فقال: ما تقول يا عليّ؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم: القول ما قال عليّ. فأخذ قُوته، واشتدّت حاجة عمر، فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعليّ وطلحة والزّبير فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إيّاه في رزقه. فقال عثمان: هلمّوا فلنستبرىء[5] ما عنده من وراء وراء، فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمرَ. فلقيت عمر في ذلك، فغضب وقال: مَنْ هؤلاء لأسوءهم؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم. قال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله، ﷺ، في بيتك[6] من الملبس؟ قالت: ثوبَين ممشّقَين كان يلبسهما للوفد والجُمَع. قال: فأيّ الطعام ناله عندك أرفَع؟ قالت: حرفاً من خبز[7] شعير فصببنا عليه وهو حارّ أسفل عُكّة لنا، فجعلتُها دسمة حلوة، فأكل منها. قال: وأيّ مُبْسَط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء ثخين كنّا نربّعه[8] في الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثّرنا بنصفه. قال: يا حفصة فأبلغيهم أنّ رسول الله، ﷺ، قدّر فوضع الفُضول مواضعَها وتبلّغ بالتزجية[9]، فوالله لأضعنّ الفُضول مواضعها ولأتبلّغنّ بالتزجية، وإنّما مَثَلي ومَثَل صاحبيَّ كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأوّل وقد تزوّد فبلغ المنزل، ثمّ اتّبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثمّ اتّبعه الثالث فإنْ لزم طريقهما ورضي بزادهما أُلحِق بهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما[10].

---

(١) في تاريخ الطبري «لو تركت»، وفي نهاية الأرب «لو كنت تركت».

(٢) الطبري ٣/٦١٥، نهاية الأرب ١٩/٣٣٦.

(٣) في الأصل «أميراً».

(٤) عند الطبري «من».

(٥) في النسخة (ب) «فليشتري».

(٦) في النسخة (ب): «يدك».

(٧) في تاريخ الطبري ٣/٦١٧، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٧ «خبزنا خبزة».

(٨) في النسخة (ب): «نرفعه».

(٩) في الطبعة الأوربية «بالترجية». والتزجية: الاكتفاء.

(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٦٦، ٦١٧، نهاية الأرب ١٩/٣٣٧، ٣٣٨.

ذكر الحروب إلى آخر السنة
فمن ذلك يوم بُرْس وبابل وكُوثَى

لما فرغ سعد من أمر القادسيّة أقام بها بعد الفتح شهرَين، وكاتب عمرَ فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلّف النساء والعيال بالعتيق[1]، وأن يجعل معهم جنداً كثيفاً، وأن يشركهم في كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم. ففعل ذلك، وسار من القادسيّة لأيّام بقين من شوّال، وكلّ النّاس مؤدٍ مذ[2] نقل الله إليهم ما كان في عسكر الفرس. فلمّا وصلت مقدّمة المسلمين بُرْسَ[3] وعليهم عبدُ الله بن المعتمّ وزُهْرة بن حَويّة وشُرَحْبيل بن السِّمْط لقيهم بها بَصْبُهْرا في جمعٍ من الفرس، فهزمه المسلمون ومَنْ معه إلى بابل، وبها فالّة القادسيّة، وبقايا رؤسائهم النّخير خان[4]، ومِهْران الرازي، والهُرْمزان، وأشباههم، وقد استعملوا عليهم الفيرُزان، وقدم بَصْبُهْرا منهزماً من بُرْس، فوقع في النّهر، ومات من طعنة كان طعنه زُهْرة[5].

ولما هُزم بَصْبُهْرا أقبل بِسْطام دِهقان بُرْس فصالح زُهْرة، وعقد له الجسور، وأخبره بمن اجتمع ببابل، فأرسل زُهْرة إلى سعد يُعَرِّفه ذلك. فقدِم عليه سعد ببُرْس وسيّره في المقدّمة، وأتبعه عبدَ الله وشُرَحْبيلَ وهاشماً المِرْقال، واتّبعهم، فنزلوا على الفَيْرُزان ببابل وقد قالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق، فاقتتلوا فهزمهم المسلمون، فانطلقوا على وجهَين، فسار الهرمزان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، وخرج الفيرُزان نحو نهاوَنْد، فأخذها فأكلها وبها كنوز كسرى، وأكل الماهَين[6]، وسار النخيرخان ومِهران إلى المدائن وقطعا الجسر.

وأقام سعد ببابل، فقدّم زُهْرة بين يديه بُكَيْرَ بن عبد الله اللّيثيّ وكَثيرَ بن شهاب السعديّ حتى عبرا الصَّراة، فلحِقا بأخريات القوم، وفيهم فيومان والفرُّخان، فقتل بُكير الفرُّخان، وقتل كثير فيومان بسوراء، وجاء زُهرة فجاز سوراء[7] ونزل، وجاء سعد وهاشم

---

(١) في البداية والنهاية ٧/ ٦٠ «بالعقيق»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/ ٦١٩ «قد» بدل «مذ»، وفي نهاية الأرب ١٩/ ٢١٩ «وكل الناس فارس قد نقل».

(٣) في تاريخ خليفة ١٣٣ «بنَرْس»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣/ ٦١٩، ونهاية الأرب ١٩/ ٢١٩.

(٤) في النسخة (ب) «اليخرخان»، وفي نسخة بودليان «النجيرجان»، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٦٢٠ ونهاية الأرب ١٩/ ٢٢٠ «النخيرجان»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان ٣٢٢ رقم ٦٤٨.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٦١٩، ٦٢٠، نهاية الأرب ١٩/ ٢١٩، ٢٢٠، تاريخ خليفة ١٣٣، البداية والنهاية ٧/ ٦٠، فتوح البلدان ٣٢٢.

(٦) الماهان: الدِّينَوَر، ونهاوند. إحداهما ماه البصرة والأخرى ماه الكوفة.

(٧) في الطبعة الأوربية «فحاز بسوراء». وسورا: موضع بالعراق من أرض بابل. ويقال موضع إلى جنب بغداد، وقيل هو بغداد نفسها. (معجم البلدان ٣/ ٢٧٨).

والنّاس ونزلوا عليه، وتقدّم زُهرة نحو الفرس، وكانوا قد نزلوا بين الدير وكُوثَى، وقد استخلف النَّخيرخان ومِهران على جنودهما شهريار، فنازلهم زُهرة، فبرزوا إلى قتاله، وخرج شهريار يطلب المبارزة، فأخرج زُهرة إليه أبا نُباتة نائل بن جَشْعم[1] الأعرجيّ، وكان من شجعان بني تميم، وكلاهما وثيق الخَلْق[2]. فلمّا رأى شهريار نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى أبو نُباتة رمحه ليعتنقه أيضاً، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا[3]، ثمّ اعتنقا فسقطا عن دابّتيهما، فوقع شهريار عليه كأنّه جمل[4]، فضغطه بفخذه، وأخذ الخنجر وأراد حلّ أزرار[5] دِرْعه، فوقعت إصبعه في نائل فكسر عظْمها، ورأى منه فُتوراً فبادره وجلد به الأرض، ثمّ قعد على صدره وأخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه، وطعن به بطنه وجنبه حتى مات، وأخذ فرسه وسِوارَيْه وسلبه، وانهزم أصحابُه فذهبوا في البلاد، وأقام زُهرة بكُوثَى حتى قدِم عليه سعد، فقدّم إليه نائلاً وألبسه سلاح شهريار وسِوارَيْه، وأركبه بِرْذونه، وغنّمه الجميع، فكان أوّل أعرجيّ سُوِّر بالعراق، وقام بها سعد أيّاماً وزار مجلس إبراهيم الخليل، عليه السلام[6].

وقيل: كانت هذه الوقعات سنة ستّ عشرة.

(نَائل: بالنون، وبعد الألف ياء تحتها نقطتان، وآخره لام).

ذكر بَهُرَسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب

ثمّ إنّ سعد قدّم زُهرة إلى بَهُرَسِير[7] فمضى في المقدّمات، فتلقّاه شيرازاد دِهقان ساباط بالصُلح، فأرسله إلى سعد، فصالحه على تأدية الجزية[8].

ولقي زُهرة كتيبة بنت كسرى التي تُدْعى بوران، وكانوا يحلفون كلّ يوم أن لا يزول مُلك فارس ما عشنا، فهزمهم وقتل هاشمُ بن عُتبة، وهو ابن أخي سعد، المقرَّطَ[9]، وهو

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦٢١، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٠ «جُعْشُم».

(٢) في الطبعة الأوربية «الجلوة»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «سيفهما فأخلدا».

(٤) في الطبعة الأوربية «حمل».

(٥) في الطبعة الأوربية «أزر».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٢٠ ـ ٦٢٢، نهاية الأرب ١٩/٢٢٠، ٢٢١، البداية والنهاية ٧/٦٠، ٦١.

(٧) بَهُرَسير: مدينة في شقّ الكوفة. (فتوح البلدان ٣٢٢) وفي البداية والنهاية ٧/٦١ «نهرشير»، وفي فتوح العجم والعراق للواقدي.. «نهمشير».

(٨) أنظر: فتوح البلدان ٦٢٢، والأخبار الطول ١٢٦، تاريخ الطبري ٤/٥، نهاية الأرب ١٩/٢٢١، الخراج لقدامة ٣٦٠، البداية والنهاية ٧/٦١.

(٩) في الأصل «المفرط»، وفي الطبعة الأوربية «القرط».

أسد كان لِكسرى قد أَلِفَه، فقبّل سعد رأس هاشم، وقبّل هاشم قدم سعد، وأرسله سعد في المقدّمة إلى بَهُرَسِير، فنزل إلى المُظْلم، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[1]؛ ثمّ ارتحل فنزل على بَهُرَسِير، ووصلها سعد والمسلمون فرأوا الإيوان، فقال ضِرار بن الخطّاب: الله أكبر! أبيض كسرى! هذا ما وعد الله ورسولُه. وكبّر وكبّر النّاسُ معه، فكانوا كلّما وصلت طائفة كبّروا، ثمّ نزلوا على المدينة، وكان نزولهم عليها في ذي الحجّة[2].

* * *

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. وكان عامله فيها على مكّة عتّاب بن أسيد في قول، وعلى الطائف يعلى بن مُنْية، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصن، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقّاص، وعلى البصرة المُغيرة بن شُعْبة[3].

[الوَفَيَات]

وفيها مات سعد بن عُبادة الأنصاريّ، وقيل: توفّي في خلافة أبي بكر[4].

وَنوفل بن الحارث[5] بن عبدالمطّب، وكان أسَنّ مَنْ أسلم من بني هاشم.

---

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٤٤.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، ٦٢٣ و٨/٤، ونهاية الأرب ٢٢١/١٩، والبداية والنهاية ٦١/٧.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٣/٣.

(٤) أنظر سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) تاريخ خليفة ١٣٤، البداية والنهاية ٦٢/٧.

١٦
ثم دخلت سنة ست عشرة

ذكر فتح المدائن الغربيّة وهي بَهُرَسير

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بهرسير، وكان سعد محاصراً لها، وأرسل الخيول فأغارت على مَنْ ليس له عهد[١]، فأصابوا مائة ألف فلّاح، فأصاب كلّ واحد منهم فلّاحاً، لأنّ كلّ المسلمين كان فارساً، فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه، فأجابه: إنّ مَنْ جاءكم من الفلّاحين ممّن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم[٢]، ومَنْ هرب فأدركتموه فشأنكم به. فخلّى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمّة، فتراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى، فلم يبقَ [في] غربيّ دجلة إلى أرض العرب سواديّ إلّا أمِن واغتبط بمُلك الإسلام[٣].

وأقاموا على بَهُرَسِير شهرَين يرمونهم بالمجانيق، ويدبُّون[٤] إليهم بالدبّابات، ويقاتلونهم بكلّ عُدّة، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً فشغلوهم بها، وربّما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم، وكان آخر ما خرجوا متجرّدين للحرب وتبايعوا[٥] على الصبر، فقاتلهم المسلمون. وكان على زُهْرة بن الحَويّة درع مفصومة[٦]، فقيل له: لو أمرتَ بهذا الفَصْم فسُرِد. فقال لهم: إنّي على الله لكريم، أن ترك[٧] سهمُ فارسَ الجندَ كلّهم، ثمّ أتاني[٨] من هذا الفصم حتى يثبت[٩] فيّ! فكان أوّل رجل أصيب من المسلمين يومئذٍ

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/٥ «إلى من له عهد» وهو خطأ، والصحيح ما هو هنا، ويتفق مع نهاية الأرب ١٩/٢٢٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمانة»، وفي النسخة (ب): «أمنهم».

(٣) الطبري ٤/٥، نهاية الأرب ١٩/٢٢٢، البداية والنهاية ٧/٦٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «ويدنون».

(٥) في الطبعة الأوربية «وتبالغوا».

(٦) في الطبعة الأوربية «مفصوم»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٦.

(٧) في الطبعة الأوربية «نزل».

(٨) في الطبعة الأوربية «لم يأمنني».

(٩) في الطبعة الأوربية «ثبت».

هو، بنُشّابة من ذلك القَصْم. فقال بعضهم: انزعوها. فقال: دعوني فإنّ نفسي معي ما دامت فيّ، لعلّي[1] أن أُصيب منهم بطعنة أو ضربة. فمضى نحو العدوّ فضرب بسيفه شهريار[2] من أهل إصطَخْر فقتله، وأُحيط به فقُتل وما انكشفوا[3].

وقيل: إنّ زُهرة عاش إلى أيّام الحجّاج فقتله شبيب الخارجيّ، وسيرِد ذكره.

واشتدّ الحصار بأهل المدائن الغربيّة حتى أكلوا السنانير والكلاب[4]، وصبروا من شدّة الحصار على أمر عظيم، فبينا هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك، فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فقال لهم أبو مُفَزِّر[5] الأسود بن قُطبة، وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه. فرجع الرَّجْل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقيّة التي فيها الإيوان، فقال له مَن معه: يا أبا مُفَزِّر[5] ما قلتَ له؟ قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ ما أدري، وأنا أرجو أن أكون قد نطقتُ بالذي هو خيرٌ. وسأله سعد والنّاس عمّا قال فلم يعلم. فنادى سعد في النّاس، فنهدوا إليهم، فما ظهر على المدينة أحد، ولا خرج رجل إلّا رجل ينادي بالأمان، فآمنوه، فقال لهم: ما بقي بالمدينة مَنْ يمنعكم. فدخلوا فما وجدوا فيها شيئاً ولا أحداً، إلّا أسارى وذلك الرجل، فسألوه لأيّ شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه أنّه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريدون بأترجِّ كُوثَى. فقال الملك: يا ميلتيه[6]! إنّ الملائكة تتكلّم على ألسنتهم تردُّ علينا.

فساروا إلى المدينة القصوى. فلمّا دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل، وأرادوا العبور إلى المدائن، فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن[7] وتكريت.

ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى

وكان فتحها في صفر أيضاً سنة ستّ عشرة، قيل: وأقام سعد ببَهُرَسير أيّاماً من

---

(١) في الطبعة الأوربية «لعلّ».
(٢) في تاريخ الطبري «شهربراز».
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥، ٦.
(٤) تاريخ خليفة ١٣٣.
(٥) في الطبعة الأوربية «مقرّن» وكذلك في البداية والنهاية ٧/٦٣، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٧، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٢.
(٦) عند الطبري «واويله».
(٧) عند الطبري ٤/٨ والنسخة (ب): «البطائح».

صفر، فأتاه عِلجٌ فدلّه على مخاضة تُخاض إلى صُلب الفرْس، فأبَى وتردّد عن ذلك، وقحمهم المدّ، وكانت السنة كثيرة المدود، ودجلة تقذف[1] بالزبد، فأتاه علجٌ فقال: ما يقيمك؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجِرْد بكلّ شيء في المدائن. فهيّجه ذلك على العبور، ورأوا رؤيا: أنّ خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت، فعزم سعد لتأويل الرؤيا، فجمع النّاسَ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه ويخلصون إليكم إذا شاؤوا في سفنهم فيناوشونكم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتَوا منه، قد كفاكم أهل الأيّام وعطّلوا ثغورهم[2]، وقد رأيت من الرأي أن تجاهدوا العدوّ قبل أن تحصدكم[3] الدنيا، ألا إنّي قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم.

فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعلْ: فندب النّاس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمي لنا الفِراض[4] حتى تتلاحق به النّاس لكيلا يمنعوهم من العبور؟ فانتُدب له عاصم بن عمرو ذو البأس، في ستّمائة من أهل النَّجَدات، فاستعمل عليهم عاصماً، فقدمهم عاصم في ستّين فارساً، وجعلهم على خيل ذكور وإناث ليكون أسلس لسباحة الخيل، ثمّ اقتحموا دجلة. فلمّا رآهم الأعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدّمت مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فلقوا عاصماً وقد دنا من الفِراض. فقال عاصم: الرماح الرماح! أشرِعوها وتوخّوا العيون. فالتقوا فاطّعنوا، وتوخّى المسلمون عيونهم فولّوا، ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن، وتلاحق الستّمائة بالستّين غير متعبين[5].

ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها، أذِن للنّاسِ في الاقتحام وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكّل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّهُ، وليُظهرنّ دينه، وليهزمنّ عدوّه، [لا حول] ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وتلاحق النّاسُ في دجلة، وإنّهم يتحدّثون كما يتحدّثون في البرّ، وطبّقوا دجلة حتى ما يُرى من الشاطىء شيء[6]. وكان الذي يساير سعداً سَلْمان الفارسيّ، فعامت بهم خيولهم، وسعد يقول: حسبنا الله ونعمَ الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه وليُظْهرنّ دينه وليهزمنّ عدوّه إن لم يكن في الجيش

---

(١) في الطبعة الأوربية «تقذّفت»؛ وفي الأصل «عدت».

(٢) في الأصل «بغورهم»، وفي النسخة (ب) «بعبورهم».

(٣) في تاريخ الطبري ٤/ ٩ «تحصركم».

(٤) في النسخة (ب) «المقراض».

(٥) في الأصل «مسعين»، وفي تاريخ الطبري ٤/ ١٠ «متقتعين».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/ ١٠، نهاية الأرب ٢٢٥.

بغيٍّ أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلّلت لهم البحور كما ذُلّل لهم البرّ، أمَا والذي نفس سلمان بيده ليخرجُنّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً[1]، إلاّ أنّ مالك بن عامر العنبريّ سقط منْه قدح فذهبت به جرية الماء، فقال له الذي يسايره مُعيّراً له: أصابه القدر فطاح. فقال: والله إنّي لَعَلَى حالة[2] ما كان الله ليسلبني قدَحي من بين العسكرين. فلمّا عبروا ألقته الريح إلى الشاطىء، فتناوله بعضُ النّاس وعرفه صاحبه فأخذه. ولم يغرق منهم أحد، غير أنّ رجلاً من بارق يُدْعى غَرْقدة[3] زال عن ظهر فرس له أشقر، فثنى القعقاع عِنان فرسه إليه، فأخذ بيده فأخرجه سالماً. وخرج النّاس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها[4].

فلمّا رأى الفرس ذلك، وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حُلوان، وكان يزدجِرْد قد قدّم عياله إلى حُلوان قبل ذلك، وخلّف مهران الرازي والنخيرخان، وكان على بيت المال بالنهروان، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذراري، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص[5] والألطاف ما لا يُدرى قيمته، وخلّفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة[6]. وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف[7]، ثلاث مرّات، أخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسيّة النصف وبقي النصف. وكان أوّل من دخل المدائن كتيبة الأهوال[8]، وهي كتيبة عاصم بن عمرو، ثمّ كتيبة الخرساء[9]، وهي كتيبة القعقاع بن عمرو، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً يخشونه إلاّ مَنْ كان في القصر الأبيض، فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمّة، فتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم، ليس في ذلك ما كان لآل كسرى.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١١، ١٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/١٢ «جَديلة».

(٣) في الطبعة الأوربية «عرفدة».

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٢، تاريخ خليفة ١٣٤، نهاية الأرب ١٩/٢٢٥، البداية والنهاية ٧/٦٥، الأخبار الطوال ١٢٦ وفيه أن الذي غرق من طيّء يسمّى سُلَيْك بن عبد الله. وفي فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥١ «سَليل بن يزيد بن مالك السِّنْبسيّ».

(٥) في تاريخ الطبري ٤/١٤ وفي الأصل «الفضول».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٣، ١٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٥، البداية والنهاية ٧/٦٦، والبدء والتاريخ ٥/١٧٧.

(٧) ساقطة من النسخة (ب). وفي نهاية الأرب ١٩/٢٢٥ «ثلاثة آلاف ألف». وانظر البداية والنهاية ٧/٦٦.

(٨) في النسخة (ب) «والأهواز».

(٩) في النسخة (ب) «الحربية»، وفي الطبعة الأوربية «الحرشا».

ونـزل سعد القصـر الأبيض، وسرّح سعـد زُهْرَة في آثـارهـم إلى النَّهروان، ومقـدار ذلك من كلّ جهة[1].

وكان سلمان الفارسيّ رائد المسلمين وداعيتهم، دعا أهل بَهُرَسير ثلاثاً وأهل القصر الأبيض ثلاثاً، واتّخذ سعد إيوان كسرى مصلّى، ولم يغيّر ما فيه[2] من التماثيل[3].

ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء، وكان يُدعَى يوم الجراثيم، لا يبغي أحـد إلّا اشمخرّت[4] له جرثومة من الأرض يستريح عليها، ما يبلغ الماء حـزام فرسـه، ولذلـك يقول أبو بُجَيْد نافع بن الأسود:

وَأَسَلْنـا[5] على المَـدائنِ خَيـلا   بحـرُهـا مثـلُ بـرِّهـنّ أريضَـا[6]

فـانتثلنَـا خـزائنَ المَـرْء كِسـرى   يـوْمَ وَلَّوا وخـاض منهـا[7] جـريضَـا

ولما دخل سعد الإيوان قرأ: ﴿كَمْ تَرَكُـوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُـونٍ وَزُرُوع﴾ إلى قولـه: ﴿قَـوْماً آخَـرِينَ﴾[8]؛ وصلّى فيه صـلاة الفتح ثمـاني ركعات، لا يفصـل بينهنّ ولا يصلّي جماعة، وأتَمَّ الصلاة لأنّه نوى الإقامة، وكانت أوّل جُمعة بالعراق، وجُمّعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة[9].

ولمـا سار المسلمـون وراءهم أدرك رجل من المسلمين فـارسيّـاً يحمي أصحـابـه، فضـرب فرسـه ليقدم على المسلم، فـأحجم وأراد الفرار فتقـاعس، فأدركـه المسلم فقتله وأخذ سَلَبه[10].

وأدرك رجلٌ آخر من المسلمين جماعةً من الفـرس يتلاومـون، وقد نصبـوا لأحدهم كُرَةً[11]، وهو يرميها لا يخطئها، فرجعوا فلقِيهم المسلم، فتقـدّم إليه ذلـك الفارسيّ فـرماه بأقرب ممّا كانت الكُرّة فلم يصبْه، فوصل المسلم إليه فقتله وهرب أصحابه[12].

---

(1) تاريخ الطبري ٤/١٤، نهاية الأرب ١٩/٢٢٥، ٢٢٦.
(2) في الطبعة الأوربية «فيها».
(3) تاريخ الطبري ٤/١٤، ١٥، نهاية الأرب ١٩/٢٢٦.
(4) في الطبعة الأوربية «انشخرت».
(5) في الطبعة الأوربية «وأملنا».
(6) أريضاً: معجبة للعين.
(7) في تاريخ الطبري ٤/١٠ «وحاص منا». وكذلك في البداية والنهاية ٧/٦٨، ٦٩.
(8) سورة الدخان ـ الآيات ٢٥ ـ ٢٨.
(9) تاريخ الطبري ٤/١٦، نهاية الأرب ١٩/٢٢٦، البداية والنهاية ٧/٦٦.
(10) تاريخ الطبري ٤/١٥.
(11) في الطبعة الأوربية «كربة».
(12) تاريخ الطبري ٤/١٥، ١٦.

(أبو بُجَيْد: بضمّ الباء الموحّدة: وفتح الجيم، وبعدها ياء تحتها نقطتان، ودال مهمة).

ذكْر ما جُمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مُقرِّن، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهليّ، فجمع ما في القصر والإيوان والدُّور، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة، وهربوا في كلّ وجه، فما أفلت أحد منهم بشيء إلّا أدركهم الطلب، فأخذوا ما معهم، ورأوا بالمدائن قباباً[1] تركيّة مملوّة سلالاً مختومة برصاص فحسبوها[2] طعاماً، فإذا فيها آنية الذهب والفضّة، وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضّة متماثلين. ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً، فعجنوا به فوجدوه مرّاً[3].

وأدرك الطلب مع زُهْرة جماعة من الفرس على جسر النهروان، فازدحموا عليه، فوقع منهم بغل في الماء، فعجلوا وكبّوا[4] عليه، فقال بعض المسلمين: إنّ لهذا البغل لشأناً، فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه، وفيه حلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة. ولحق الكَلَجُ[5] بغلَين معهما فارسيّان، فقتلهما وأخذ البغلين، فأبلغهما صاحب الأقباض، وهو يكتب ما يأتيه به الرجال، فقال له: قفْ حتى ننظر ما معك. فحطّ عنهما فإذا سَفَطان فيهما تاج كسرى مرصّعاً[6]، وكان لا يحمله إلّا أُسطوانتان[7] وفيه الجوهر، وعلى البغل الآخر سَفَطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً[8].

وأدرك القعقاعُ بن عمرو فارسيّاً فقتله: وأخذ منه عيبتَين في إحداهما خمسة

---

(١) في النسخة (ب) «حبابا».
(٢) في الطبعة الأوربية «فحسبوه».
(٣) الأخبار الطوال ١٢٧، تاريخ خليفة ١٣٣، فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥٢، تاريخ الطبري ٤/١٦، ١٧، نهاية الأرب ١٩/٢٢٧، البداية والنهاية ٧/٦٧.
(٤) في تاريخ الطبري ٤/٣ «كلِبوا».
(٥) في النسخة (ب): «الحكم»، وفي الطبعة الأوربية «الكلخ».
(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٨ «مفسّخا».
(٧) في الطبعة الأوربية «الأسطوانيان»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٨) تاريخ الطبري ٤/١٧، ١٨، نهاية الأرب ١٩/٢٢٧.

أسياف، وفي الأخرى ستّة أسياف وأدراع، منها درع كسرى ومغافره، ودرع هِرَقْل، ودرع خاقان ملك الترك، ودرع داهر ملك الهند، ودرع بهرام جوبين[1]، ودرع سياوُخْش، ودرع النعمان، استلبها[2] الفرس أيّام غزاهم خاقان وهِرَقل وداهر، وأمّا النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى، والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقُباذ وفيروز وهِرَقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوُخْش والنعمان؛ فأحضر القعقاعُ الجميع عند سعد، فخيّره بين الأسياف فاختار سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام، ونفّل سائرها في الخرساء[3]، إلاّ سيف كسرى والنعمان، بعث بهما إلى عمر بن الخطّاب لتسمع العرب بذلك، وحسبوهما[4] في الأخماس، وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه المسلمون[5].

وأدرك عِصْمةُ بن خالد[6] الضبّيْ رجلَين معهما حماران، فقتل أحدهما وهرب الآخر، وأخذ الحمارَين فأتى بهما صاحب الأقباض، فإذا على أحدهما سَفَطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضّة مكلّل بالجوهر، وفي الآخر ناقة من فضّة عليها شليل[7] من ذهب، وبطان من ذهب، ولها زمام من ذهب، وكلّ ذلك منظوم بالياقوت، وعليها رجل من ذهب مكلّل بالجواهر، كان كسرى يضعهما على أسطوانتي التاج[8].

وأقبل رجل بحُقّ إلى صاحب الأقباض، فقال هو والذين معه: ما رأينا مثل هذا [خطُّ]، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذتَ منه شيئاً؟ فقال: والله لولا الله ما أتيتُكم به. فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم فتحمدوني، ولكنّي أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس. وقال سعد: والله إنّ الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلتُ إنّهم[9] على فضل أهل بدر، لقد تتبّعتُ منه هَناتٍ ما أحسبها من هؤلاء[10].

وقال جابر بن عبد الله: والذي لا إله إلاّ هو، ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسيّة

---

(١) في النسخة (ب)، وتاريخ الطبري ٤/١٨ «شوبين».
(٢) في الطبعة الأوربية «أسلبها».
(٣) في الطبعة الأوربية «الحرشا»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٤) في تاريخ الطبري «حبسوهما»، وفي نهاية الأرب ١٩/٢٢٨ «حَسَبَهما»، وفي الطبعة الأوربية «حسبوها».
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٨، نهاية الأرب ١٩/٢٢٨، البداية والنهاية ٧/٦٧.
(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٨ «الحارث»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٩/٢٢٨.
(٧) الشليل: مسح من صوف أو شعر يُجعل على عجز البعير.
(٨) تاريخ الطبري ٤/١٨، ١٩، نهاية الأرب ١٩/٢٢٨.
(٩) في تاريخ الطبري «وايم الله» بدل «انهم».
(١٠) الطبري ٤/١٩.

أنّه يريد الدنيا مع الآخرة، فلقد اتّهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كأمانتهم وزُهدهم، وهم: طُلَيْحة، وعمرو بن معدي كرِب، وقيس بن المكشوح[1].

وقال عمر لما قُدِم عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزْبْرِجه[2]: إنّ قوماً أدّوا هذا لذوو أمانة. فقال عليّ: إنّك عففتَ فعفّت الرعيّة[3].

فلمّا جُمعت الغنائم قسّم سعد الفَيء بين النّاس بعدما خمّسه، وكانوا ستّين ألفاً، فأصاب الفارسَ اثنا عشر ألفاً، وكلّهم كان فارساً ليس فيهم راجل، ونفّل من الأخماس في أهل البلاء، وقسّم المنازل بين النّاس، وأحضر العيالات فأنزلهم الدُّور، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحُلْوان وتكريت والموصل، ثمّ تحوّلوا إلى الكوفة. وأرسل سعد في الخمس كلّ شيء أراد أن يعجب منه العرب، وما كان يُعجبهم أن يقع، وأراد إخراج خمس القِطف[4]، فلم تعتدل قسمته، وهو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه فنبعث[5] به إلى عمر يضعه حيث يشاء، فإنّا لا نراه ينقسم، وهو بيننا قليل، وهو يقع من أهل المدينة موقعاً؟ فقالوا: نعم. فبعثه إلى عمر. والقِطف بساط واحد طوله ستّون[6] ذراعاً، وعرضه ستّون ذراعاً مقدار جريب، كانت الأكاسرة تُعدّه للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه، فكأنّهم في رياض، فيه طُرُق كالصُّوَر، وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهّبة، وخلال ذلك فصوص كالدُّرّ، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المُبْقلة بالنبات في الربيع، والورق من الحرير على قضبان الذهب، وزهره الذهب والفضّة، وثمره الجوهر وأشباه ذلك، وكانت العرب تسمّيه القِطف.

فلمّا قدِمت الأخماس على عمر نفّل منها مَنْ غاب ومن شهد من أهل البلاء، ثمّ قسم الخمس في مواضعه، ثمّ قال: أشيروا عليّ في هذا القِطف: فمن بين مشير بقبضه، وآخر مفوِّض إليه. فقال له عليّ: لم يجعل الله علمك جهلاً ويقينك شكّاً، إنّه ليس لك من الدنيا إلّا ما أعطيتَ فأمضيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، وإنّك إنْ تبقِه على هذا اليومَ لم تعدم في غدٍ من يستحقّ به ما ليس له. فقال: صدقتني

---

(١) الطبري ٤/١٩، ٢٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «بزبرجده» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٠.

(٤) في النسخة (ب) «القطيف».

(٥) في طبعة صادر ٢/٥١٨ «ينبعث»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٢١ ونهاية الأرب ١٩/٢٢٩.

(٦) في النسخة (ب) «سبعون»، والمثبت يتفق مع الطبري، والنويري.

ونصحتني، فقطعه بينهم، فأصاب علياً قطعةً منه، فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع[1].

وكان الذي سار بالأخماس بشير بن الخصاصيّة، وأثنى النّاس على أهل القادسيّة، فقال عمر: أولئك أعيان العرب[2].

ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جُبَير بن مُطعم عن نسب النعمان، فقال جبير: كانت العرب تنسبه إلى أشلاء قَنَص[3]، وكان أحد بني عجم بن قنص[4]، فجهل النّاس عجم فقالوا لَخم، فنفّله سيفه[5].

وولّى عمرُ بن الخطّاب سعدَ بن أبي وقّاص صلاةَ ما غلب عليه وحرْبه، وولّى الخراجَ النعمانَ وسُوَيْداً ابنَيْ مُقرّن، سُوَيْداً على ما سقت الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة، ثمّ استعفيا، فولّى عملهما حُذَيْفة بن أَسِيد وجابر بن عمرو المزنيّ، ثمّ ولّى عملهما بعدُ حُذيفةَ بن اليمان[6] وعثمان بن حُنَيْف[7].

(حُذيفة بن أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السين).

ذِكر وقعة جَلُولاء وفتح حُلْوان

وفي هذه السنة كانت وقعة جَلُولاء.

وسببها أنّ الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جَلُولاء، وافترقت الطرق بأهل أَذْرَبِيْجان والباب وأهل الجبال وفارس قالوا: لو افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرّق بيننا، فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نحبّ، وإن كانت الأخرى كنّا قد قضينا الذي علينا، وأبلينا عذراً. فاحتفروا خندقاً، واجتمعوا فيه على مِهران الرازي، وتقدّم يزدجِرْد إلى حُلوان، وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلّا طُرُقهم. فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر، فكتب إليه عمر: أنْ سرِّحْ هاشم بن عُتْبة إلى جَلُولاء، واجعلْ على مقدّمته القعقاعَ بن عمرو، وإنْ هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢١، ٢٢، نهاية الأرب ١٩/٢٢٩، البداية والنهاية ٧/٦٧.
(٢) الطبري ٤/٢٢.
(٣) في النسخة (ب): «أسلا قيص»، وفي نسخة بودليان «أشلا قبص»، وفي الطبعة الأوربية «أسلا قبص».
(٤) في الطبعة الأوربية «قبص».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٢٣.
(٦) في الطبعة الأوربية «النعمان».
(٧) الطبري ٤/٢٣.

السواد والجبل، وليكن الجند اثني عشر ألفاً.

ففعل سعدُ ذلك، وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممّن كان ارتدّ ومن لم يرتدّ، فسار من المدائن فمرّ ببابل مَهرُوذ، فصالحه دِهقانُها على أن يفرش له جريب الأرض دراهمَ، ففعل وصالحه، ثمّ مضى حتى قدِم جَلُولاء، فحاصرهم في خنادقهم وأحاط بهم، وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون إلّا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً، كلّ ذلك يُنصر المسلمون عليهم، وجعلت الأمداد ترد من يزدجِرْد إلى مِهران، وأمدّ سعد المسلمين، وخرجت الفرس وقد احتفلوا[1]، فاقتتلوا، فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد، فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق، فجعلوا فيه طرقاً ممّا يليهم يصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم. وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا إليهم، وقاتلوهم[2] قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ولا ليلةَ الهرير، إلّا أنّه كان أعجل. وانتهَى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به وأمر منادياً فنادى: يا معاشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق وأُخذ به، فأقبلوا إليه ولا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه من دخوله. وإنّما أمر بذلك ليقوّي المسلمين. فحملوا ولا يشكّون بأنّ هاشماً في الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أُخذ به، فانهزم المشركون عن المجال[3] يمنة ويسرة، فهلكوا فيما أعدّوا من الحَسَك، فعُقرت دوابّهم وعادوا رَجّالة، واتّبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلّا مَنْ لا يُعَدُّ، وقُتل يومئذٍ منهم مائة ألف، فجلَّلت القتلى المجال وما بين يديه[4] وما خلفه، فسُمّيتْ جَلُولاء بما جلّلها من قتلاهم، فهي جَلُولاء الوقيعة. فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين[5].

ولما بلغت الهزيمة يزدجِرْد سار من حُلوان نحو الريّ، وقدِم القعقاعُ حُلوانَ فنزلها في جُند من الأفناء[6] والحمراء[7].

وكان فتح جَلُولاء في ذي القعدة سنة ستّ عشرة.

---

(١) في الطبعة الأوربية «اختلفوا».

(٢) في الطبعة الأوربية «وقاتلهم».

(٣) في النسخة (ب): «المحاربة».

(٤) في النسخة (ب): «أيديهم».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٢٤ ـ ٢٦، نهاية الأرب ١٩/٢٣٠، ٢٣١، الأخبار الطوال ١٢٧، البدء والتاريخ ٥/١٧٨، فتوح البلدان ٣٢٤، البداية والنهاية ٧/٦٩، تاريخ خليفة ١٣٧.

(٦) في الطبعة الأوربية «الأمناء».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٢٨.

ولما سار يزدجِرْد عن حُلوان استخلف عليها خشرشنوم، فلمّا وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خشرشنوم[1] وقدِم إليه الزينبي[2] دِهقان حُلوان، فلقِيه القعقاع، فقُتل الزينبي، وهرب خشرشنوم، واستولى المسلمون على حُلوان، وبقي القعقاع بها إلى أن تحوّل سعد إلى الكوفة، فلحِقه القعقاع، واستخلف على حُلوان قُباذ، وكان أصله خُراسانيّاً.

وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حُلوان، واستأذنوه في اتّباعهم، فأبَى وقال: لوددتُ أنّ بين السواد وبين الجبل سدّاً لا يخلُصُون إلينا ولا نخلُصُ إليهم، حسبنا من الريف[3] السواد، إنّ آثرتُ سلامة المسلمين على الأنفال. وأدرك القعقاع في اتباعه الفرس مِهران بخانقين فقتله، وأدرك الفيرُزان فنزل وتوغّل في الجبل فتحامى[4]، وأصاب القعقاعُ سبايا، فأرسلهنّ إلى هاشم فقسّمهنّ، فاتُّخذن فولدن، وممّنْ يُنسب إلى ذلك السبي أُمُّ الشّعبيّ[5].

وقُسّمت الغنيمة، وأصاب كلّ واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسع من الدوابّ[6].

وقيل: إنّ الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف، فقسّمها سَلمان بن ربيعة، وبعث سعدٌ بالأخماس إلى عمر، وبعث الحساب مع زياد بن أبيه، فكلّم عمرَ فيما جاء له ووصف له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في النّاس بمثل ما كلّمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض أهْيبَ في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في النّاس بما أصابوا وما صنعوا، وبما يستأنفون من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المِصْقع. فقال: إنّ جندنا أطلقوا ألسِنتنا[7].

فلمّا قدِم الخُمْس على عمر قال: والله لا يُجنّه[8] سقف حتى أقسّمه. فبات عبد الرحمن بن عَوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد، فلمّا أصبح جاء في النّاس فكشف عنه، فلمّا نظر إلى ياقوته وزَبَرْجَده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن بن عَوف: ما يُبْكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إنّ هذا لَموطن شُكرٍ. فقال عمر: والله ما ذلك يُبكيني،

---

(١) في النسخة (ب): «حرسوم»، وفي نهاية الأرب ١٩/٢٣١ «خُسْر شنوم».
(٢) في الأصل، والنسخة (ب) وبودليان «الزينتي».
(٣) في النسخة (ب): «الريق».
(٤) في الأصل «فنجا».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٢٨، تاريخ خليفة ١٣٨.
(٦) الطبري ٤/٢٩، نهاية الأرب ١٩/٢٣٢.
(٧) الطبري ٤/٢٩، ٣٠، نهاية الأرب ١٩/٢٣٢.
(٨) في النسخة (ب) «يحويه».

وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلّا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلّا ألقى الله بأسَهم بينهم. ومنع عمرُ من قسمة السواد، لتعذّر ذلك بسبب الآجام والغياض ومغيض[1] المياه، وما كان لبيوت النّار ولسكك[2] البُرُد، وما كان لكسرى ومن جامعه[3]، وما كان لمن قُتل، والأرحاء[4]؛ وخاف أيضاً الفتنة بين المسلمين، فلم يقسّمه، ومنع من بيعه لأنّه لم يُقسم، وأقرّوها حبيساً يولونها مَنْ أجمعوا عليه بالرضا، وكانوا لا يُجمعون إلّا على الأمراء، فلا يحلّ بيع شيء من أرض السواد ما بين حُلوان والقادسيّة، واشترى جرير أرضاً[5] على شاطىء الفرات، فردّ عمر ذلك الشراء وكرهه[6].

ذِكْر تَكْرِيت والمَوْصل

وفي هذه السنة فُتحت تَكْريت في جمادى.

وسبب ذلك أنّ الأنطاق[7] سار من الموصل إلى تَكْريت، وخندق عليه ليحمي أرضه ومعه الروم وإياد وتغلِب والنمِر والشهارجة، فبلَغ ذلك سعداً فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن سَرّحْ إليه عبدَ الله بن المُعْتَمِّ، واستعمل على مقدِّمته رِبْعيّ بن الأفكل، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة. فسار عبد الله إلى تَكْريت ونزل على الأنطاق، فحصره ومَنْ معه أربعين يوماً، فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً، وكانوا أهْوَن شوكة من أهل جَلُولاء، وأرسل عبدُ الله بن المُعتّم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نُصْرته، وكانوا لا يُخْفون عليه شيئاً. ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسلت تغلِب وإياد والنمر إلى عبد الله بالخبر، وسألوه الأمان وأعلموه أنّهم معه، فأرسل إليهم: إنْ كنتم صادقين فأسلموا. فأجابوه وأسلموا. فأرسل إليهم عبدُ الله: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنّا أخذنا[8] أبواب الخندق، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة وكبّروا، واقتلوا مَنْ قدرتم عليه.

ونهد عبدُ الله والمسلمون وكبّروا، وكبّرت تغلِب وإياد والنمِر، وأخذوا الأبواب،

---

(١) في الطبعة الأوربية «تبعيض»، وفي نهاية الأرب ١٩/٢٣٣ «مفيض».
(٢) في النسخة (ب) «سكنات».
(٣) في النسخة (ب) «خازنه».
(٤) في الطبعة الأوربية «الأرجا».
والخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٠، ٣١، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٣.
(٥) في النسخة (ب): «الرحاء».
(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٣، نهاية الأرب ١٩/٢٣٣.
(٧) في النسخة (ب): «لأنطاق».
(٨) في الأصل «على».

فظنّ الروم أنّ المسلمين قد أتوهم من خلفهم ممّا يلي دجلة، فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم[1] سيوف المسلمين وسيوف الربعيّين الذين أسلموا تلك اللّيلة، فلم يُفلت من أهل الخندق إلاّ مَنْ أسلم من تغلِب وإياد والنمِر. وأرسل عبدُ الله بن المعتمّ ربعيّ بنِ الأفكل إلى الحصنين، وهما نينوى والموصل، تسمّى نينوى الحصن الشرقيّ، وتسمّى الموصل الحصن الغربيّ، وقال: اسبقِ الخبر، وسرّح معه تغلِب وإياد والنمِر. فقدمهم ابن الأفكل إلى الحصنين، فسبقوا الخبر، وأظهروا الظفر والغنيمة وبشّروهم ووقفوا بالأبواب، وأقبل ابنُ الأفكل فاقتحم عليهم الحصنَين وكلبوا أبوابهما، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، وصاروا ذمّة. وقسّموا الغنيمة، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف درهم، وبعثوا بالأخماس إلى عمر؛ وولّى حربَ الموصل ربعيَّ بن الأفكل، والخراجَ عَرْفجةَ بن هرثمة[2].

وقيل: إنّ عمر بن الخطّاب استعمل عُتْبة بن فَرْقَد على قصْد الموصلِ، وفتحها سنة عشرين، فأتاها فقاتله أهل نِينَوى، فأخذ حصنها، وهو الشرقيّ، عَنوةً، وعبر دجلة، فصالحه أهل الحصن الغربيّ، وهو الموصل، على الجزية، ثمّ فتح المرج وبانهذرا[3] وباعَذْرا وداسن[4] وجميع معاقل الأكراد[5]. وقَرْدى وبازَبْدى وجميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين[6].

وقيل: إنّ عِياض بن غَنْم لما فتح بَلَداً، على ما نذكره، أتى المَوْصل ففتح أحد الحصنين[7]، وبعث عُتبة بن فرقد إلى الحصن الآخر، ففتحه على الجزية والخراج[8]، والله أعلم.

(المُعْتَمّ: بضمّ الميم، وسكون العين المهملة، وآخره ميم مشدّدة).

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأخذ بهم».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٥ - ٣٧، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٦، ٢٣٧، والبداية والنهاية ٧/٧١، ٧٢.

(٣) في نسخة بودليان «بانهدار»، وفي فتوح البلدان «باهذري».

(٤) في فتوح البلدان «دامير»، وكذا في الخراج ٣٨١.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢٠، والخراج لقدامة ٣٨١.

(٦) نهاية الأرب ١٩/٢٣٧.

(٧) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٩ رقم ٨٢٩.

(٨) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢١، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٧.

ذكر فتح ماسَبَذان

ولما رجع هاشم من جَلُولاء إلى المدائن بلغ سعداً أنّ آذين[1] بن الهُرْمزان قد جمع جمعاً، وخرج بهم إلى السهل، فأرسل إليهم ضرار بن الخطّاب في جيش، فالتقوا بسهل ماسَبَذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضِرار آذينَ[1] أسيراً فضرب رقبته. ثمّ خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيرَوان[2]، فأخذ ماسَبَذان عَنوةً، فهرب أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة، فأرسل إليه فنزل الكوفة، واستخلف على ماسَبَذان بنَ الهُذَيْل الأسديّ، فكانت أحد فروج الكوفة[3].

وقيل: إنّ فتحها كان بعد وقعة نهاوند[4].

ذكر فتح قرقيسيا

ولما رجع هاشم من جَلُولاء إلى المدائن، وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدّوا هِرَقْل على أهل حمص، وبعثوا جُنداً إلى أهل هِيت، أرسل سعد عمرَ بن مالك بن عُتْبة بن نَوفل بن عبد مَناف في جُند، وجعل على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ، فخرج عمر بن مالك في جُنده نحو هيت، فنازل مَنْ بها وقد خندقوا عليهم، فلمّا رأى عمرُ بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الأخبية على حالها، وخلّف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم[5]، وخرج في نصف النّاس، فجاء قَرْقِيسِيا على غِرّة، فأخذها عَنوةً، فأجابوا إلى الجزية، وكتب إلى الحارث بن يزيد: إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخنْدِقْ على خندقهم خندقاً بأبوابه، ممّا يليك، حتى أرى رأيي. فراسلهم الحارثُ، فأجابوا إلى العَوْد إلى بلادهم، فتركهم وسار الحارث إلى عمر بن مالك[6].

* * *

(١) في الأصل «ادمر»، وفي النسخة (ب): «ارس».

(٢) سيرَوَان: بكسر أوله، هي كورة ماسبذان، وقيل بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان. (معجم البلدان ٢٩٧/٣).

(٣) تاريخ الطبري ٣٧/٤، نهاية الأرب ٢٣٨/١٩، البداية والنهاية ٧٢/٧، وأنظر فتوح البلدان ٣٧٧ رقم ٧٧١.

(٤) أنظر فتوح البلدن ٣٧٧.

(٥) في تاريخ الطبري «محاصرهم».

(٦) تاريخ الطبري ٣٧/٤، ٣٨، نهاية الأرب ٢٣٨/١٩، ٢٣٩، البداية والنهاية ٧٣/٧.

وفيها غرّب عمر بن الخطّاب أبا مِحْجن الثقفيّ إلى باضع[1].

وفيها تزوّج ابنُ عمر صفيّة بنت أبي عبيد[2] أخت المختار.

وفيها حمى عمر الرَّبَذة لخيل المسلمين[3].

وفيها ماتت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله، ﷺ، وصلّى عليها عمر ودفنها بالبَقيع في المحرّم[4].

وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة عليّ بن أبي طالب[5].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت. وكان عُماله على البلاد الذين كانوا في السنة قبلها، وكان على حرب الموصل رِبْعيّ بن الأفكل، وعلى خراجها عَرْفجة بن هرثمة، وقيل: كان على الحرب والخراج بها عُتْبة بن فرقد، وقيل: كان ذلك كلّه إلى عبد الله بن المعتّم. وعلى الجزيرة عِياض بن غنم[6].

---

(١) في طبعة صادر ٢/٥٢٦ «ناصع» وهو تحريف، وما أثبتناه يتفق مع الطبري وياقوت في معجم البلدان ١/٣٢٤ حيث قال: باضع: الضاد معجمة، والعين مهملة ـ جزيرة في بحر اليمن. وانظر البداية والنهاية ٧/٧٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٣٨ «عبيدة» وهو وهم، والصحيح ما أثبتناه. أنظر عنها: الطبقات الكبرى ٨/٤٧٢.

(٣) البداية والنهاية ٧/٧٣، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٤) تاريخ خليفة ١٣٥، تاريخ الطبري ٤/٣٨، مرآة الجنان ١/٧٢، البداية والنهاية ٧/٧٤، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٥، نهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٥) الطبري ٤/٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥، البداية والنهاية ٧/٧٣، نهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٣٩ «عياض بن عمرو الأشعري».

١٧
ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر بناء الكوفة والبصرة

في هذه السنة اختُطّت الكوفة[١] وتحوّل سعد إليها من المدائن.

وكان سبب ذلك أنّ سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلمّا رآهم عمر سألهم عن تغيُّر ألوانهم وحالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيّرتنا. فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله النّاس، وكان قد حضر مع الوفد نفر من بني تغلِب، ليعاقدوا عمرَ على قومهم، فقال لهم عمر: أعاقدهم على أنّ مَنْ أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومَنْ أبَى فعليه الجزية. فقالوا: إذَنْ يهربون ويصيرون عجماً، وبذلوا له الصدقة، فأبَى، فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم، فأجابهم على أن لا ينصّروا وليداً، فهاجر هؤلاء التغلبيّون ومَنْ أطاعهم من النمِر وإياد إلى سعد بالمدائن، ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعدُ بالكوفة[٢].

وقيل: بل كتب حُذيفة إلى عمر: إنّ العرب قد رقّت[٣] بطونها، وجفّت[٤] أعضادها[٥]، وتغيّرت ألوانها. وكان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبِرْني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومَهم؟ فكتب إليه سعد: إنّ الذي غيّرهم وخُومة البلاد، وإنّ العرب لا يوافقها إلاّ ما وافق إبلَها من البلدان. فكتب إليه عمر: أن ابعثْ سلمان وحُذَيْفة رائدَين فليرتادا منزلاً بَرّيّاً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جِسر. فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربيّ الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتَى الكوفة، وسار

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، تاريخ الطبري ٤/٤٠، نهاية الأرب ١٩/٣٣٩، البداية والنهاية ٧/٧٤، فتوح البلدان ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٠، نهاية الأرب ١٩/٣٣٩.

(٣) في تاريخ الطبري «أترِفتْ»، وفي نهاية الأرب «نزفت»..

(٤) عند الطبري ٤/٤١ «خفّت»، وكذا عند النويري.

(٥) في نهاية الأرب «أعضاؤها»، والمثبت يتفق مع الطبري.

حُذيفة في شرقيّ الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكلّ رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة(*)، فأتيا عليها وفيها دِيرات ثلاثة: دير حرمة[1]، ودير أمّ عمرو، ودير سِلسلة، وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما، البقعة فنزلا فصلّيا ودعَوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات[2]. فلمّا رجعا إلى سعد بالخبر وقدِم كتاب عمر إليه أيضاً كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتمّ أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا. فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرّم سنة سبع عشرة؛ وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسيّة[3] سنة وشهران، وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر[4].

ولما نزلها سعد كتب إلى عمر: إنّي قد نزلتُ بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برّيّاً وبحريّاً ينبت الحلفاء[5] والنَّصيّ[6]، وخيّرتُ المسلمين بينها وبين المدائن، فمَن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقرّوا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوّتهم، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً[7]، واستقرّ منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها[8].

فكتب إليهم: إنّ العسكر[9] أشدّ[10] لحربكم وأذكر[11] لكم، وما أحبّ أن أخالفكم. فابتنى أهل المصرَين بالقصب.

ثمّ إنّ الحريق وقع في الكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشدّ حريقاً في شوّال، فبعث سعد نفراً منهم إلى عمر يستأذنونه[12] في البنيان باللّبن، فقدِموا عليه بخبر الحريق

(*) فتوح البلدان ٣٣٨ رقم ٦٩٩.
(١) في تاريخ الطبري ٤/٤١ «دير حرقة»، وكذلك في نهاية الأرب ١٩/٣٣٩.
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤١، نهاية الأرب ١٩/٣٣٩، ٣٤٠.
(٣) في تاريخ الطبري «وقعة المدائن».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٢.
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٤٣ «الحِليّ»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب. وانظر فتوح البلدان ٣٤١.
(٦) النصّي: نبت سبط ناعم أبيض من أفضل المرعى.
(٧) الطبري ٤/٤٣.
(٨) نهاية الأرب ١٩/٣٤٠ وانظر في بناء الكوفة، تاريخ خليفة ١٣٨.
(٩) في النسخة (ب): «أما أهل العسكر».
(١٠) عند الطبري ٤/٤٣ «أجدّ».
(١١) عند الطبري «أذكى».
(١٢) في الطبعة الأوربية «يستأذنوه».

واستئذانه أيضاً، فقال: افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تَطاولوا في البنيان، والزموا السنّة تلزمكم الدّولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى البصرة بمثل ذلك.

وكان على تنزيل الكوفة أبو هيّاج بن مالك(*)، وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دُلَف أبو الجرباء[1]، وقدّر المناهج أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقّة سبع أذرع، والقطائع ستّين ذراعاً، وأوّل شيء خُطَّ فيهما وبني مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النّزْع، فرمى في كلّ جهة بسهم، وأمر أن يُبنى ما وراء ذلك، وبنى ظلّة في مقدّمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لئلّا يقتحمه أحد ببنيان، وبنوا لسعد داراً بحياله، وهي قصر الكوفة اليوم، بناه روزبه من آجرّ بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل الأسواق على شبه[2] المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه[3].

وبلغ عمرَ أنّ سعداً قال وقد سمع أصوات النّاس من الأسواق: سكّنوا[4] عنّي الصُّوَيت[5]؛ وأنّ النّاس يسمّونه قصر سعدٍ، فبعث محمّدَ بن مَسْلمة إلى الكوفة، وأمره أن يخرق[6] باب القصر ثمّ يرجع، ففعل، فبلغ سعداً ذلك فقال: هذا رسول أرسِل لهذا، فاستدعاه سعد، فأَبَى أن يدخل إليه، فخرج إليه سعد وعرض عليه نفقة، فلم يأخذ، وأبلغه كتاب عمر إليه: بلغني أنّك اتخذتَ قصراً جعلتَهُ حصناً، ويسمّى قصر سعد، بينك وبين النّاس باب، فليس بقصرك، ولكنّه قصر الخبّال، انزل منه [منزلاً] ممّا يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل[7] على القصر باباً يمنع النّاس من دخوله. فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، فرجع محمّد فأبلغ عمرَ قول سعدٍ، فصدّقه[8].

وكانت ثغور الكوفة أربعة: حُلوان وعليها القعقاع، وماسَبَذان وعليها ضِرار بن

(*) فتوح البلدان ٣٣٩.

(١) في الطبعة الأوربية «أبو الحرباء».

(٢) عند الطبري ٤/٤٥ «سنّة» وكذلك في نهاية الأرب ١٩/٣٤١.

(٣) العبارة في الطبعة الأوربية: «حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه»، والخبر في تاريخ الطبري ٤/٤٣ - ٤٦، ونهاية الأرب ١٩/٣٤٠، ٣٤١، والبداية والنهاية ٧/٧٥، وفتوح البلدان ٣٣٩.

(٤) عند الطبري ٤/٤٧ «سكّن»، وفي النسخة (ب)، ونهاية الأرب ١٩/٣٤١ «سكّتوا».

(٥) في الطبعة الأوربية «السويط»، وفي نهاية الأرب «التصويت». وفي النسخة (ب): «الصوت».

(٦) عند الطبري والنويري «يحرق»، وانظر: فتوح البلدان ٣٤١ رقم ٧٠٤.

(٧) في طبعة صادر ٢/٥٣٠ «وإلّا نجعل»، والتصحيح من الطبري ٤/٧٤، ونهاية الأرب ١٩/٣٤٢.

(٨) الطبري ٤/٤٧، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢، البداية والنهاية ٧/٧٥.

الخطّاب، وقَرْقِيسِيا وعليها عمر بن مالك، أو عمرو بن عُتبة بن نَوفل، والموصل وعليها عبد الله بن المعتّم، وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها[1].

وولي سعد الكوفة بعدما اختُطّت ثلاث سنين ونصفاً، سوى ما كان بالمدائن قبلها[2].

ذكر خبر حِمْص حين قصد هرَقْل مَنْ بها من المسلمين

وفي هذه السنة قصد الروم أبا عُبيدة بن الجرّاح ومَنْ معه من المسلمين بحمص، وكان المهيّجَ للروم أهلُ الجزيرة، فإنّهم أرسلوا إلى ملكهم وبعثوه على إرسال الجنود إلى الشام، ووعدوا من أنفسهم المعاونة، ففعل ذلك. فلمّا سمع المسلمون باجتماعهم ضمّ أبو عُبيدة إليه مسالحهم، وعسكر بفِناء مدينة حِمص، وأقبل خالد من قِنّسرين إليهم، فاستشارهم أبو عُبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغِياث، فأشار خالد بالمناجزة، وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر، فأطاعهم وكتب إلى عمر بذلك، وكان عمر قد اتّخذ في كلّ مِصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عُدّةً لكونٍ إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فَرَس[3]، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهليّ ونفر من أهل الكوفة، وفي كلّ مصر من الأمصار الثمانية على قدره، فإن تأتهم آتية[4] ركبها النّاس وساروا إلى أن يتجهّز النّاس.

فلمّا سمع عمر الخبر كتب إلى سعد: أن اندبِ النّاسَ مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم، فإنّ أبا عُبيدة قد أُحيط به. وكتب إليه أيضاً: سرّحْ سُهَيْل بن عديّ إلى الرَّقّة، فإنّ أهل الجزية هم الذين استثاروا الرومَ على أهل حمص، وأمره أن يسرّح عبد الله بن عتبان إلى نَصيبين، ثمّ ليقصد[5] حرّان والرُّهاء، وأن يسرّح الوليد بن عُقْبَة[6] على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأن يسرّح عِياض بن غَنْم، فإن كان قتالٌ فأمرُهم إلى عِياض.

فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم إلى حمص، وخرج عِياض بن غَنْم

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٤٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢.

(٢) الطبري ٤/٥٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥١، الأخبار الطوال ١٢٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢، البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٣) الطبري ٤/٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٩/١٧٣، البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٤) في النسخة (ب): «نايبة»، وفي نهاية الأرب ١٩/١٧٤ «ثابتة».

(٥) في تاريخ الطبري ٤/٥١ «لينفضا».

(٦) في الأصل «عتبة».

وأمراء الجزيرة، وأخذوا طريق الجزيرة، وتوجّه كلّ أمير إلى الكورة[1] التي أُمِّر عليها، وخرج عمر من المدينة، فأتى الجابية لأبي عُبيدة مغيثاً يريد حمص.

ولما بلغ أهلَ الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص، وهم معهم، خبرُ الجنود الإسلاميّة تفرّقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، فلمّا فارقوهم استشار أبو عُبيدة خالداً في الخروج إلى الروم، فأشار به، فخرج إليهم فقاتلهم، ففتح الله عليه، وقدِم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيّام، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحُكم في ذلك، فكتب إليهم: أن اشرِكوهم فإنّهم نفروا إليكم وانفرق لهم عدوّكم، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيراً، يكفون حَوْزتهم ويُمِدّون أهل الأمصار. فلمّا فرغوا رجعوا[2].

ذكر فتح الجزيرة وأرمينية

وفي هذه السنة فُتحت الجزيرة.

قد ذكرنا إرسال سعد العساكر إلى الجزيرة، فخرج عِياض بن غَنْم ومَنْ معه، فأرسل سُهَيْلَ بن عديّ إلى الرَّقّة وقد ارفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم، حين سمعوا بأهل[3] الكوفة، فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا في ذلك إلى عِياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة، فقبِل منهم وصالحهم، وصاروا ذمّةً، وخرج عبد الله بن عِتبان على الموصل إلى نَصِيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كصنع أهل الرَّقّة، فكتبوا إلى عِياض فقبِل منهم وعقد لهم. وخرج الوليد بن عُقبة فقدِم على عرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم، إلاّ إياد بن نزار، فإنّهم دخلوا أرض الروم، فكتب الوليدُ بذلك إلى عمر[4].

ولما أخذوا الرقّة ونصيبين ضمّ عِياض إليه سُهيلاً وعبد الله، وسار بالنّاس إلى حَرّان، فلمّا وصل أجابه أهلُها إلى الجزية فقبِل منهم. ثمّ إنّ عِياضاً سرّح سُهيلاً وعبد الله إلى الرُّهاء فأجابوهما إلى الجزية، وأجروا كلّ ما أخذوه من الجزيرة عنوةً مجرى الذِّمّة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً[5].

ورجع سُهيل وعبد الله إلى الكوفة. وكتب أبو عُبيدة إلى عمر بعد انصرافه من

---

(١) في الطبعة الأوربية «كورة».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٥١، ٥٢، نهاية الأرب ١٩/١٧٤، البداية والنهاية ٧/٧٥، ٧٦.

(٣) في الأصل «سمعوا به أهل».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٣، ٥٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥، البداية والنهاية ٧/٧٦، وانظر فتوح البلدان ٢٠٥.

(٥) الطبري ٤/٥٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥.

الجابية يسأله أن يضمّ إليه عِياض بن غَنْم إذا أخذ خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه، فاستعمل حَبيب بن مَسلمة على عجم الجزيرة وحربها، والوليد بن عُقبة على عربها[1].

فلمّا قدِم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الرومَ من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: بلغني أنّ حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتُخْرِجنّه إلينا أو لنُخرجنّ النصارى إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرّق بقيّتهم في ما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكلّ إياديّ في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف. وأبَى الوليدُ بنُ عُقْبة أن يقبل من تغلِب إلاّ الإسلام، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنّما ذلك بجزيرة العرب لا يُقبل منهم [فيها] إلاّ الإسلام، فدَعْهم على أن لا ينصّروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام. وكان في تغلِب عزّ وامتناع، فهمّ بهم الوليدُ، فخاف عمرُ أن يسطو عليهم فعزله، وأمّر عليهم فُرات بن حيّان وهند بن عمرو الجمليّ[2].

وقال ابن إسحاق: إنّ فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة، وقال: إنّ عمر كتب إلى سعد بن أبي وقّاص: إذا فتح الله الشام والعراق فابعثْ جنداً إلى الجزيرة وأمّرْ عليه خالد ابن عُرْفُطة أو هاشم بن عُتْبة أو عِياض بن غَنْم. قال سعد: ما[3] أخّر أمير المؤمنين عياضاً إلاّ لأنّ له فيه هوىً وأنا مولّيه؛ فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعريّ، وابنه عمر ابن سعد ليس له من الأمر شيء، فسار عِياض ونزل بجُنده على الرُّهاء، فصالحه أهله مصالحة حرّان، وبعث أبا موسى إلى نَصِيبين فافتتحها، وسار عِياض بنفسه إلى دارا فافتتحها، ووجّه عثمانَ بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان بن المُعطَّل، وصالح أهلَها عثمانَ على الجزية. ثمّ كان فتح قيساريّة من فلسطين وهرب هِرَقل[4].

فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، والأكثر على أنّها من فتوح أهل الشام، فإنّ أبا عُبيدة سيّر عِياضَ بن غَنْم إلى الجزيرة.

وقيل: إنّ أبا عُبيدة لما تُوُفّي استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص وقِنّسرين والجزيرة، فسار إلى الجزيرة سنة ثماني عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ، وعلى ميسرته صفوان بن

---

(١) الطبري ٤/٥٥.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٥، ٥٦، وبعضه في نهاية الأرب ١٧٦/١٩.

(٣) في الطبعة الأوربية «لا».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٣، ونهاية الأرب ١٧٦/١٩، والبداية والنهاية ٧/٧٦.

المعطَّل، وعلى مقدّمته هُبَيرة بن مسروق[1]، فانتهت طليعة عِياض إلى الرَّقَّة، فأغاروا على الفلّاحين وحصروا المدينة، وبثّ عياض السّرايا فأتوه بالأسرى والأطعمة، وكان حصرها ستّة أيّام، فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عِياض: الأرض لنا قد وطئناها وملكناها، فأقرّها في أيديهم على الخراج ووضع الجزيرة. ثمّ سار إلى حرّان فجعل عليها عسكراً يحصرها عليهم صفوان بن المعطَّل وحَبيب بن مَسْلمة، وسار هو إلى الرُّهاء، فقاتله أهلها، ثمّ انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم، فطلب أهلها الصلح فصالحهم، وعاد إلى حرّان فوجد صفوان وحبيباً قد غلبا على حصون وقُرى من أعمال حرّان، فصالحه أهلُها على مثل صلح الرّهاء[2].

وكان عياض يغزو ويعود إلى الرُّهاء، وفتح سُمَيساط، وأتى سَروج ورأس كيفا والأرض البيضاء، فصالحه أهلُها على صلحِ الرُّهاء. ثمّ إنّ أهل سُمَيْساط غدروا، فرجع إليهم عِياض فحاصرهم حتى فتحها، ثمّ أتى قُريّات على الفرات، وهي جسر منبج وما يليها، ففتحها وسار إلى رأس عين، وهي عين الوردة، فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تلّ مَوزن، ففتحها على صلح الرُّهاء سنة تسع عشرة، وسار إلى آمِد فحصرها، فقاتله أهلها، ثمّ صالحوه على صلح الرُّهاء، وفتح مَيّافارقين على مثل ذلك، وكفرتُوثا، فسار إلى نَصِيبين فقاتله أهلُها، ثمّ صالحوه على مثل صلح الرُّهاء، وفتح طور عَبْدين وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد الحصنَين، وقيل: لم يصل إليها، وأتاه بِطريق الزَّوْزان فصالحه، ثمّ سار إلى أرْزَن ففتحها، ودخل الدربَ فأجازه بَدْليس، وبلغ خِلاط فصالحه بِطريقُها، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثمّ عاد إلى الرَّقّة، ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين.

واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حِذْيَم، فلم يلبث إلّا قليلاً حتى مات، فاستعمل عُمَير بن سعد الأنصاريّ، ففتح رأس عين[3] بعد قتال شديد[4].

وقيل: إنّ عِياضاً أرسل عُمَير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتدّ قتاله عليها[5].

---

(١) في فتوح البلدان «وعلى مقدّمته ميسرة بن مسروق العبسي».

(٢) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٥، ٢٠٦، والخراج لقدامة ٣١٣، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.

(٣) في فتوح البلدان «عين الوردة».

(٤) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٨، ٢٠٩، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٢، والخراج لقدامة ٣١٣، ٣١٤، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.

(٥) فتوح البلدان ٢٠٩ رقم ٤٦٥.

وقيل: إنّ عمر أرسل أبا موسى الأشعريّ إلى رأس عين[1] بعد وفاة عِياض[2].

وقيل: إنّ خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عِياض، ودخل حمّاماً بآمِد فاطّلى بشيء فيه خمر فعزله عمر[3].

وقيل: إنّ خالداً لم يسرْ تحت لواء أحد غير أبي عُبيدة. والله أعلم.

ولما فتح عِياض سُمَيْساط بعث حَبيب بن مَسْلمة إلى مَلَطْية ففتحها عَنوةً، ثمّ نقض أهلُها الصلح، فلمّا ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حَبيبَ بن مسلمة أيضاً، ففتحها عنوةً ورتّب فيها جُنداً من المسلمين مع عاملها[4].

ذكر عزل خالد بن الوليد

في هذه السنة، وهي سنة سبع عشرة، عُزل خالد بن الوليد عمّا كان عليه من التقدّم على الجيوش والسرايا.

وسبب ذلك أنّه كان أدرب هو وعِياض بن غَنْم، فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجّها من الجابية مرجعَ عمر إلى المدينة، وعلى حمص أبو عُبيدة، وخالد تحت يده[5] على قِنّسرين، وعلى دمشق يزيد، وعلى الأردنّ معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مُجزِّز، وعلى الساحل عبد الله بن قيس، فبلغ النّاسَ ما أصاب خالد فانتجعه رجال، وكان منهم الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف[6].

ودخل خالد الحمّام، فتدلّك بغسل فيه خمر، فكتب إليه عمر: بلغني أنّك تدلّكتَ بخمر، وإنّ الله قد حرّم ظاهر الخمر وباطنه ومسّه، فلا تُمِسّوها[7] أجسادكم. فكتب إليه خالد: إنّا قتلناها فعادت غَسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إنّ آل المُغيرة ابتُلوا بالجفاء، فلا أماتكم الله عليه[8].

فلمّا فرّق خالد في الذين انتجعوه الأموالَ سمع بذلك عمر بن الخطّاب، وكان لا

(١) في فتوح البلدان «عين الوردة».
(٢) فتوح البلدان ٢١٠، الخراج لقدامة ١٧٨.
(٣) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٦٨.
(٤) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٩٠، الخراج لقدامة ٣١٧.
(٥) في النسخة (ب): «لوايه».
(٦) تاريخ الطبري ٦٦/٤، ٦٧، نهاية الأرب ٣٤٢/١٩، ٣٤٣، البداية والنهاية ٨٠/٧.
(٧) في الطبعة الأوربية «يمسوها».
(٨) تاريخ الطبري ٦٦/٤، نهاية الأرب ٣٤٣/١٩.

يخفى عليه شيء من عمله، فدعا عمرُ البريدَ، فكتب معه إلى أبي عُبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قَلَنسوته حتى يُعلمكم من أين أجاز الأشعث، أمِن ماله أم من مال إصابة أصابها، فإن زعم أنّه فرّقه من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانة، وإن زعم أنّه من ماله فقد أسرف، واعزلْه على كلّ حال واضممْ إليك عمله. فكتب أبو عُبيدة إلى خالد، فقدِم عليه، ثمّ جمع النّاس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالداً من أين أجاز الأشعث، فلم يُجبه، وأبو عُبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال فقال: إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ونزع عمامته، فلم يمنعه سمعاً وطاعة، ووضع قلنسُوته، ثمّ أقامه فعقله بعمامته وقال: بل من مالي؛ فأطلقه وأعاد قلنسوته، ثمّ عمّمه بيده ثمّ قال: نسمع ونُطيع لوُلاتنا، ونفخّم ونخدم موالينا.

قال: وأقام خالد متحيّراً لا يدري أمعزول أم غير معزول، ولا يُعلمه أبو عُبيدة بذلك تكرمة وتفخمة. فلمّا تأخّر قدومه على عمر ظنّ الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه، فرجع إلى قِنَّسرين، فخطب النّاسَ وودّعهم، ورجع إلى حمص، فخطبهم ثمّ سار إلى المدينة، فلمّا قدِم على عمر شكاه وقال: قد شكوتُك إلى المسلمين، فبالله إنّك في أمري لغير مجمِلٍ. فقال له عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهمان، ما زاد على ستّين ألفاً فلك[1]، فقوّم عمر ماله، فزاد عشرين ألفاً، فجعلها في بيت المال، ثمّ قال: يا خالد والله إنّك عليّ لكريم، وإنّك إليّ لحبيب. وكتب إلى الأمصار: إنّي لم أعزل خالداً عن سُخطةٍ ولا خيانة، ولكنّ النّاس فخّموه وفُتنوا به، فخفتُ أن يوكّلوا إليه، فأحببتُ أن يعلموا أنّ الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرَض[2] فتنة. وعوّضه عمّا أخذ منه[3].

ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفيها، أعني سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطّاب، وبنى المسجد الحرام ووسّع فيه، وأقام بمكّة عشرين ليلة، وهدم على قومٍ أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دُورهم في بيت المال حتى أخذوها[4]، وكانت عُمْرَته في رجب، واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مَخْرمةَ بن نوفل والأزهر بن عبد عوف

---

(١) في النسخة (ب): «ذلك».

(٢) في النسخة (ب): «لعرض».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٦٧، ٦٨، نهاية الأرب ١٩/٣٤٣، ٣٤٤، البداية والنهاية ٧/٨٠.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ٢/٦٩، تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٥، شفاء الغرام للقاضي الفاسي (بتحقيقنا) ١/٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٩.

وحُوَيْطب بن عبد العُزّى وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهلُ المياه في أن يبنوا منازل بين مكّة والمدينة، فأذِن لهم، وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء[1].

وفيها تزوّج عمر أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله، ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة[2].

ذكر غزوة فارس من البحرين

قيل: كان عمر يقول لما أُخذت الأهواز وما يليها: وددتُ أنّ بيننا وبين فارس حبلاً[3] من نار لا نصل إليهم منه ولا يصلون إلينا[4].

وقد كان العلاء بن الحضرميّ على البحرين أيّام أبي بكر، فعزله عمر وجعل موضعه قُدامة بن مَظْعون، ثمّ عزل قدامةَ وأعاد العلاء يناوئُ سعد بن أبي وقّاص، ففاز العلاء في قتال أهل الرِّدّة بالفضل، فلمّا ظفر سعد بأهل القادسيّة وأزاح الأكاسرة جاء بأعظم ممّا فعله العلاء، فأراد العلاء أن يصنع في الفرس شيئاً، ولم ينظر في الطاعة والمعصية، وقد كان عمر نهاه عن الغزو في البحر[5]، ونهى غيره أيضاً اتّباعاً لرسول الله، ﷺ، وأبي بكر وخوف الغرر[6]. فندب العلاء النّاسَ إلى فارس فأجابوه، وفرّقهم أجناداً، على أحدها الجارود بن المُعلّى، وعلى الآخر سوّار بن همّام، وعلى الآخر خُلَيْد بن المنذر بن ساوي، وخُليد على جميع النّاس، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا إلى إصطَخْر، وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهِرْبِذ، فجالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خُليد في النّاس فخطبهم ثمّ قال: أمّا بعدُ فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم، وإنّما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فـ ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[7]. فأجابوه إلى ذلك، ثمّ صلّوا الظهر، ثمّ ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤٦٣، تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٧، مرآة الجنان ١/٧٣، البداية والنهاية ٧/٨١.

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٧٩، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٩ «جبلاً».

(٤) وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥ قول لعمر عن الروم يشبه ما هنا: «إذا ذُكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم، لنا ما دونه وللروم ما وراءه».

(٥) في الأصل «عن البحرين».

(٦) في النسخة (ب): «الغزو».

(٧) سورة البقرة ـ الآية ٤٥.

بمكان يُدعى طاووس فقُتل سوّار والجارود[1].

وكان خُليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجّالةً ففعلوا، فقُتل من أهل فارس مقتلة عظيمة، ثمّ خرجوا يريدون البصرة، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، وأخذت الفرسُ منهم طُرُقَهم فعسكروا وامتنعوا.

ولما بلغ عمرَ صنيعُ العلاء أرسل إلى عُتْبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جُندٍ كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: فإنّي قد أُلقي في رُوعي كذا وكذا نحو الذي كان، وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه، تأمير سعد عليه.

فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عُتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعَرْفجة بن هرثمة، والأحنف بن قيس، وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنِبون الخيل، وعليهم أبو سَبْرة بن أبي رُهْم أحد بني عامر بن لُؤيّ، فسار بالنّاس وساحَلَ بهم، لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سَبْرة وخُلَيْد، بحيث أخذ عليهم الطريق عُقَيْب وقعة طاووس، وإنّما كان ولي قتالهم أهل إصطَخْر وحدهم، ومن شذّ من غيرهم، وكان أهل إصطَخْر حيث أخذوا الطريق على المسلمين، فجمعوا أهل فارس عليهم، فجاؤوا من كلّ جهة، فالتقوا هم وأبو سَبْرة بعد طاووس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم، وعلى المشركين سهرك[2]، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة[3] البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثمّ انكفأوا بما أصابوا، وكان عُتبة كتب إليهم بالحثّ وقلّة العُرجة[4]، فرجعوا إلى البصرة سالمين[5].

ولما أحرز عُتبةُ الأهواز وأوطأ فارس استأذن عمرَ في الحجّ فأذِن له، فلمّا قضى حجّه استعفاه، فأبَى أن يُعْفيه، وعزم عليه ليرجعنّ إلى عمله، فدعا الله ثمّ انصرف، فمات في بطن نخلة فدُفن، وبلغ عمرَ موتُه، فمرّ به زائراً لقبره وقال: أنا قتلتُك لولا أنّه أجَلٌ معلوم. وأثنى عليه خيراً ولم يختطّ فيمن اختطّ من المهاجرين، وإنّما ورث ولدُهُ منزلهم من فاختة بنت غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفّان، وكان خُباب مولاه قد لزم شيمته فلم يختطّ، ومات عُتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد، وذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٧٩، ٨٠، نهاية الأرب ١٩/٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٨٢ «شهرك».

(٣) النابتة: النشء الصغار.

(٤) العُرجة: المقام.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٨١، ٨٢، نهاية الأرب ١٩/٢٥٠، البداية والنهاية ٧/٨٤.

بعد أن استنفذ الجُند الذين بفارس ونزولهم البصـرة، واستخلف على النّاس أبـا سَبْرة ابن أبي رُهْم بالبصرة، فأقرّه عمر بقيّة السنة، ثمّ استعمل المُغيرة بن شُعْبة عليها، فلم ينتقض عليه أحد، ولم يُحْدث شيئاً إلاّ ما كان بينه وبين أبي بكْرة. ثمّ استعمـل أبا مـوسى على البصرة، ثمّ صُرف إلى الكوفة، ثمّ استعمـل عمرُ ابنَ سُـراقة، ثمّ صُـرف ابن سُراقـة إلى الكوفة من البصرة، وصُرف أبو موسى من الكوفة إلى البصرة، فعمل عليها ثانية[1].

وقد تقدّم ذكر ولاية عُتبة بن غزوان البصرة، والاختلاف فيها سنة أربع عشرة.

ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

في هذه السنة عزل عمرُ المغيرةَ بن شُعْبة عن البصرة، واستعمل عليهـا أبا مـوسى، وأمره أن يُشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأوّل؛ قاله الواقديّ[2].

وكان سبب عزله أنّه كان بين أبي بَكرة والمغيرة بن شُعبة منـافرة، وكـانا متجـاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتَين[3] في كلّ واحدة منهما كُوَّة مقابلة الأخـرى، فاجتمـع إلى أبي بَكْرة نفر يتحـدّثون في مشـربته[4]، فهبّت الـريح ففتحت بـاب الكُوّة، فقـام أبو بَكـرة ليسدّه، فبصُر بـالمغيرة وقـد فتحت الريـح باب كـوّة مشربتـه وهو بين رِجْلَي امـرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا، وهم أبـو بَكرة ونـافع بن كَلَدة وزيـاد بن أبيه، وهـو أخو أبي بَكرة لأمّه، وشِبْل بن مَعبد البجليّ، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: ومَنْ هذه؟ قال: أمّ جميل بن الأفقم، وكانت من بني عامر بن صَعْصعـة، وكانت تُغشي المغيـرة والأمراء، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانهـا، فلمّا قـامت عرفـوها. فلمّـا خرج المغيـرة إلى الصلاة منعه أبو بَكرة وكتب إلى عمر، فبعث عمر أبا موسى أميراً على البصرة وأمره بلزوم السنّة، فقال: أعِنّي بعدّةٍ من أصحاب رسول الله، ﷺ، فإنهم في هذه الأمّة كالملح. قال له: خُذْ مَنْ أحببتَ. فأخذ معه تسعة وعشـرين رجلاً، منهم: أَنَس بن مـالك وعِمـران بن حُصَين وهشام بن عامر، وخرج معهم فقدِم البصرة، فدفع الكتـاب بإمـارته إلى المغيـرة، وهو أوجز كتاب وأبلغه: أمّا بعد فإنّه بلغني نبأ عظيم، فبعثتُ أبـا موسى أميـراً، فسلّمْ إليه ما في يدك والعجَل. فأهدى إليه المغيرةُ وليدة تسمّى عقيلة.

ورحل المغيرة ومعه أبو بَكرة والشهود، فقـدِموا على عمـر، فقال لـه المغيرة: سـلْ

---

(١) في الطبعة الأوربية «بابنه». والخبر في تاريخ الطبري ٤/٨٢، ٨٣. والبداية والنهاية ٧/٨٥.

(٢) الطبري ٤/٦٩.

(٣) في النسخة (ب) «مشرفتين».

(٤) في النسخة (ب) «مشرفته».

هؤلاء الأعبُد كيف رأوني أمستقبلَهم أم مستدبرَهم، وكيف رأوا المرأة أو عرفوها، فإن كانوا مستقبليّ فكيف لم أستتر، أو مستدبريّ فبأيّ شيء استحلّوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيتُ إلّا امرأتي! وكانت تشبهها. فشهد أبو بَكرة أنّه رآه على أمّ جميل يُدْخِله كالميل في المكحلة، وأنّه رآهما مستدبرَين، وشهد شبل ونافع مثل ذلك. وأمّا زياد فإنّه قال: رأيته جالساً بين رِجْلَي امرأة، فرأيتُ قدمَين مخضوبتَين تخفقان، واسْتَيْن مكشوفتين، وسمعتُ حفزاً[1] شديداً. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا. قال: هل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكنْ أشبّهها. قال: فتنحّ. وأمر بالثلاثة فجُلدوا الحدّ. فقال المغيرة: اشفني من الأعبُد. قال: اسكتْ أسكتَ الله نأمتَك، أمَا والله لو تمّت الشهادة لرجمتُك بأحجارك![2].

ذكر الخبر عن فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى[3]

وفي هذه السنة فُتحت الأهواز ومَناذِر ونهر تِيرى، وقيل: كانت ستّ عشرة[4].

وكان السبب في هذا الفتح أنّه لما انهزم الهُرْمزان يوم القادسيّة، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمّته منهم مِهْرجانقَذَق وكُور الأهواز، فلمّا انهزم قصد خوزستان فملكها وقاتل بها مَنْ أرادهم، فكان الهرمزان يُغير على أهل مَيْسان ودَسْتِمْيسان من مَنَاذر[5] ونهر تيرَى[6]. فاستمدّ عُتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنُعَيْم بن مقرّن ونُعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى مَيْسان ودستِميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تِيرى، ووجّه عتبةُ بن غزوان سُلمى بن القَيْن وحَرْملة بن مُرَيْطَة[7]، وكانا من المهاجرين مع رسول الله، ﷺ، وهما من بني العدويّة من بني حنظلة، فنزلا على حدود مَيْسان ودستِمْيسان بينهم وبين مَنَاذر، ودعوَا بني العم، فخرج إليهم[8] غالب الوائليّ وكُلَيْب بن وائل الكليبي،

---

(١) في تاريخ الطبري ٧٢/٤ «حفزاناً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٩/٤ - ٧٢، ونهاية الأرب ٣٤٥/١٩ - ٣٤٧، والأغاني ٩٥/١٦ - ٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧٢/٤، فتوح البلدان ٤٦٤، تاريخ خليفة ١٣٤ و ١٣٥، نهاية الأرب ٢٣٩/١٩، البداية والنهاية ٨٢/٧، الخراج لقدامة ٣٨٣.

(٤) في طبعة صادر ٥٤٢/٢ «سنة عشرين»، وما أثبتناه بالاعتماد على الطبري ٧٢/٤، وتاريخ خليفة ١٣٤ والنسخة (ب).

(٥) مناذر: بالفتح، والذال معجمة مكسورة. بلدتان بنواحي خوزستان. مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى. (معجم البلدان ١٩٩/٥).

(٦) نهرتيرى: بكسر التاء. بلد من نواحي الأهواز. (معجم البلدان ٣١٩/٥).

(٧) في النسخة (ب): «ريطة».

(٨) في الأصل «إليه».

فتركان نُعيماً [ونُعيماً][1]، وأتيا سُلمى وحرملة وقالا: أنتما من العشيرة وليس لكما منزل، فإذا كان يوم كذا وكذا فانْهدا للهرْمزان، فإنّ أحدنا يثور بمَنَاذر، والآخر بنهر تِيرى، فنقتل المقاتلة، ثمّ يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرْمزان شيء إن شاء الله. ورجعا وقد استجابا، واستجاب قومهما بنو العمِ بن مالك، وكانوا ينزلون خوزستان قبل الإسلام، فأهل البلاد يأمنونهم. فلمّا كان تلك اللّيلة ليلة الموعد بين سُلمى وحرملة وغالب وكُلَيب، وكان الهرمزان يومئذٍ بين نهر تِيرى وبين دُلُث[2]، وخرج سُلمي وحرملة صبيحتهما في تعبئة، وأنهضا نُعيماً ومَنْ معه، فالتقوا هم والهرمزان بين دُلُث[2] ونهر تِيرى، وسُلمى بن القَيْن على أهل البصرة، ونُعيم بن مقرّن على أهل الكوفة، فاقتتلوا.

فبينا هم على ذلك أقبل مدد من قِبَل غالب وكُلَيب، وأتَى الهرمزانَ الخبرُ بأنّ مناذر ونهر تيرى قد أُخذا، فكسر ذلك قلب الهرمزان ومَنْ معه، وهزمه الله وإيّاهم، فقتل المسلمون منهم ما شاؤوا وأصابوا ما شاؤوا، واتّبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دُجَيْل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام، وصار دُجَيل بين الهرمزان والمسلمين. فلمّا رأى الهرمزان ما لا طاقة [له] به طلب الصلح، فاستأمروا عُتبةَ، فأجاب إلى ذلك على الأهواز كلّها ومِهْرجانَقَذَق، ما خلا نهر تِيرى ومَنَاذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنّه لا يُرَدّ عليهم، وجعل سُلمى على مَنَاذر مَسْلَحةً وأمْرَها إلى غالب، وحرملةَ على نهر تِيرى وأمْرَها إلى كُلَيب، فكانا على مَسَالح البصرة. وهاجرت طوائف من بني العمِ فنزلوا البصرة.

ووفّد عُتبة وفداً إلى عمر، منهم: سُلمى وجماعة من أهل البصرة، فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم، فكلّمهم قال: أمّا العامّة فأنت صاحبها، وطلبوا لأنفسهم، [إلّا ما كان من] الأحنف بن قيس، فإنّه قال: يا أمير المؤمنين إنّك كما ذكروا، ولقد يعزب[3] عنك ما يحقّ علينا إنهاؤه إليك ممّا فيه صلاح العامّة، وإنّما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر، ويسمع بآذانهم، فإنّ إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حَدَقة البعير الغاسقة من العيون العِذاب والجِنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم ولم يحصدوا، وإنّا معشرَ أهل البصرة نزلنا سَبَخَةً[4]، زعقة[5] نشّاشة[6]، طَرَفٌ لها في الفلاة وطَرَف لها في البحر

---

(١) أي نُعيم بن مقرّن ونُعيم بن مسعود.

(٢) في النسخة (ب) «ذلت». ودُلُث أو دُلُوث. موضع بنواحي الأهواز. أنظر: معجم البلدان ٢/٤٦٠ دُلُوث.

(٣) في النسخة (ب): «تعرف»، وفي الطبعة الأوربية «تغرّب».

(٤) المَسَبَخَة: أرض ذات ملح.

(٥) في طبعة صادر ٢/٥٤٤ «وعقة»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٧٥.
زعقة: أي ماؤها مُرّ.

(٦) نشّاشة أو نشناشة: لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها.

الأجاج، يجري[1] إليها ما جرى[2] في مثل مَرِيء النعامة، دارنا فَعْمَة، ووظيفتنا ضيِّقة[3]، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، درهمنا كبير، وقفيزنا صغير، وقد وسّع الله علينا وزادنا في أرضنا، فوسِّعْ علينا يا أمير المؤمنين، وزِدْنا وظيفة توظِّف[4] علينا ونعيش بها، فلمّا سمع عمر قوله أحسن إليهم وأقطعهم ممّا كان فَيْئاً لأهل كسرى وزادهم، ثمّ قال: هذا الفتى سيّد أهل البصرة. وكتب إلى عُتبة فيه بأن يسمع منه ويرجع إلى رأيه، وردّهم إلى بلدهم.

وبينا النّاس على ذلك من ذمّتهم مع الهرمزان، وقع بين الهرمزان وغالب وكُلَيب في حدود الأرضين اختلاف، فحضر سُلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وكُلَيباً محقّين والهرمزان مبطلاً، فحالا بينهما وبينه، فكفر الهرمزان ومنع ما قِبَله، واستعان بالأكراد وكفّ جنده، وكتب سُلمى ومَنْ معه إلى عُتبة بذلك، فكتب عُتبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحُرْقوص بن زُهَير السعديّ، كانت له صُحبة من رسول الله، ﷺ، وأمّره على القتال وعلى ما غلب عليه. وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه: إمّا أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم. فقال: اعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر، فاقتتلوا ممّا يلي سوق الأهواز، فانهزم الهرمزان، وسار إلى رامَهُرْمز، وفتح حُرقوص سوق الأهواز، ونزل بها واتّسعتْ[5] له بلادها إلى تُسْتر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر وأرسل إليه الأخماس[6].

ذكر صلح الهرمزان وأهل تُسْتَر مع المسلمين

وفي هذه السنة فُتحت تُسْتر، وقيل: سنة ستّ عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة.

قيل: ولما انهزم الهُرْمزان يوم سوق الأهواز وافتتحها المسلمون بعث حرقوص جَزءَ بن معاوية في أثره[7] بأمر عمر إلى سوق الأهواز، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشَّغَر[8] ويعجزه الهرمزان، فمال جَزء إلى دَوْرق[9]، وهي مدينة سُرَّق، فأخذها

---

(١) في الطبعة الأوربية «يجرّ».
(٢) في الطبعة الأوربية «جرّ».
(٣) في الطبعة الأوربية «وطبقتنا فضيقة».
(٤) في الطبعة الأوربية «طبقة تطوف».
(٥) في النسخة (ب) «اتبعت»، وفي تاريخ الطبري ٧٦/٤ «اتّسقت».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٧٢/٤ ـ ٧٦، ونهاية الأرب ٢٣٩/١٩ ـ ٢٤١.
(٧) في النسخة (ب): «عقبه».
(٨) في طبعة صادر ٥٤٥/٢ «الشعر»، وما أثبتناه عن الطبري ٧٧/٤، ونهاية الأرب ٢٤١/١٩.
(٩) دَوْرق: بفتح أوله، وسكون ثانيه. بلد بخوزستان، وهو قصبة كورة سُرَّق يقال لها دورق الفُرس. (معجم =

صافيةً، ودعا مَنْ هرب إلى الجزية، فأجابوه، وكتب إلى عمر وعُتْبة بذلك، فكتب عمر إلى حُرْقوص وإليه بالمقام فيما غلبا عليه، حتى يأمرهما بأمره، فعمر جزء البلاد، وشقّ الأنهار، وأحيا الموات. وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك، وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، ثمّ اصطلحوا على ذلك، وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه إذا قصده الأكراد ويجيء إليهم. ونزل حُرقوص جبل[1] الأهواز، وكان يشقّ على النّاس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه يأمره بنزول السهل، وأن لا يشقّ على مسلم ولا معاهد، ولا تدركك فترة ولا عجلة، فتكدّر دنياك وتذهب آخرتك. وبقي حُرقوص إلى يوم صِفّين، وصار حَروريّاً، وشهد النهروان مع الخوارج[2].

ذكر فتح رامَهُرْمُز وتُسْتَر وأسْر الهُرْمُزان[3]

قيل: كان فتح رامَهُرْمز وتُسْتر والسُّوس في سنة سبع عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين.

وكان سبب فتحها أنّ يزدجِرْد لم يزل وهو بمرو يُثير[4] أهل فارس أسفاً على ما خرج من مُلكهم، فتحرّكوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز، وتعاقدوا على النُّصرة، فجاءت الأخبارُ حُرقوصَ بن زُهَير وجَزْءاً وسُلمى وحَرْملة، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعثْ إلى الأهواز جُنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرِّن، وعجّلْ فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحقّقوا أمره. وكتب إلى أبي موسى: أن ابعثْ إلى الأهواز جُنداً كثيفاً، وأمّرْ عليهم سهل[5] بن عديّ أخا سُهَيْل، وابعثْ معه البَراء بن مالك ومجزأة بن ثَوْر وعَرفجة بن هَرْثمة وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سَبرة بن أبي رُهْم.

فخرج النُّعمان بن مقرِّن في أهل الكوفة، فسار إلى الأهواز على البغال يجنّبون الخيل، فخلّف حُرقوصاً وسُلمى وحَرْملة، وسار نحو الهرمزان، وهو برامَهُرْمُز. فلمّا سمع الهرْمُزان بمسير النعمان إليه بادره الشدَّة[6] ورجا أن يقتطعه[7] ومعه أهل فارس، فالتقى

= البلدان ٢/٤٨٣).

(١) في النسخة (ب): «قبل».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٧٧ ـ ٧٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤١، ٢٤٢، البداية والنهاية ٧/٨٣.

(٣) الفتوح لابن أعثم ٢/٩، فتوح البلدان ٤٦٧، تاريخ خليفة ١٤٠ و١٤٤، الأخبار الطوال ١٣٠، تاريخ الطبري ٤/٨٣، الخراج لقدامة ٣٨٥، البدء والتاريخ ٥/١٧٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤٢، البداية والنهاية ٧/٨٣.

(٤) في النسخة (ب): «يذكر سيرة».

(٥) في الطبعة الأوربية «سعد».

(٦) في الطبعة الأوربية «بالشدّة».

(٧) في الطبعة الأوربية «والرجاء أن يقتطفه».

النعمان والهرمزان بأرْبُك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ إنّ الله، عزَّ وجلَّ، هزم الهرمزان، فترك رامَهُرْمُز ولحِق بتُستر، وسار النعمان إلى رامَهُرْمُز ونزلها وصعِد إلى إيذَج، فصالحه تيروَيْه على إيذَج، ورجع إلى رامهرمز فأقام بها. ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرْمُز، فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أنّ الهرمزان قد لحِق بتُستر، فساروا نحوه، وسار النعمان أيضاً، وسار حُرقوص وسُلمى وحَرْملة وجَزء، فاجتمعوا على تُستَر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجبال والأهواز في الخنادق، وأمدّهم عمر بأبي موسى، وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سَبْرة، فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل، وقتل البَراءُ بن مالك، وهو أخو أنس بن مالك، في ذلك الحصار إلى الفتح مائةً مبارزةً، سوى مَن قتل في غير ذلك، وقتل مثله مجزأة بن ثَوْر وكعب بن ثَوْر وعدّة من أهل البصرة وأهل الكوفة، وزاحفهم المشركون أيّام تُستر ثمانين زحفاً، يكون لهم مرّة ومرّة عليهم. فلمّا كان في آخر زحفٍ منها واشتدّ القتال قال المسلمون: يا بَراء أقسم على ربّك ليهزمنّهم[1] [لنا]. قال: اللهمّ اهزمهم لنا واستشهِدْني، وكان مُجاب الدعوة، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثمّ اقتحموها عليهم، ثمّ دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون.

فبينما هم على ذلك، وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم، خرج رجل إلى النعمان يستأمنه، على أن يدلّه على مدخلٍ يدخلون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم: إنْ آمنتموني دللتُكم على مكانٍ تأتون المدينة منه. فآمنوه في نشّابة. فرمى إليهم بأخرى وقال: انهدوا من قِبَل مخرج الماء فإنّكم تقتحمونها[2]. فندب النّاس إليه، فانتدب له عامر بن عبد[3] قيس وبشرٌ كثير، ونهدوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلّهم على المدخل إلى المدينة، فانتدب له بشَرٌ كثير، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، فدخلوا في السرب والنّاس من خارج. فلمّا دخلوا المدينة كبّروا فيها، وكبّر المسلمون من خارج، وفُتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها فأناموا كلّ مقاتل، وقصد الهرمزانُ القلعة فتحصّن بها، وأطاف به الذين دخلوا، فنزل إليهم على حكم عمر، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألفاً، وجاء صاحب الرميّة والرجل الذي خرج بنفسه فآمنوهما ومَنْ أغلق بابه معهما.

---

(١) في النسخة (ب) «لنهزمنهم».

(٢) في النسخة (ب): «تستفتحونها»، وفي تاريخ الطبري ٤/٨٥ «ستفتحونها».

(٣) في إحدى النسخ «عبيد».

وقُتل من المسلمين تلك اللّيلة بشَرٌ كثير، وممّن قتل الهرمزانُ بنفسه مَجزأةُ بن ثَوْر والبَراءُ بن مالك. وخرج أبو سَبْرة بنفسه في أثر المنهزمين إلى السوس، ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرّن وأبو موسى، وكتبوا إلى عمر فكتب إلى أبي موسى بردّه إلى البصرة، وهي المرّة الثالثة، فانصرف إليها من على السُّوس.

وسار زِرّ بن عبد الله بن كُلَيْب الفُقَيْميّ إلى جُنْدَيسابور فنزل عليها، وهو من الصحابة، وأمّر عمرُ على جُند البصرة المُقْترب، وهو الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة وهو صحابيّ أيضاً، وكانا مهاجرَين، وكان الأسود قد وفد على رسول الله، ﷺ، وقال: جئتُ لأقترب إلى الله بصحبتك، فسمّاه المقترب.

وأرسل أبو سَبْرة وفداً إلى عمر بن الخطّاب، فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهُرْمُزان، فقدِموا به المدينة، وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه، وكان مكلّلاً بالياقوت، وحليته ليراه عمر والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل: جلس في المسجد لوفد من الكوفة، فوجدوه في المسجد متوسّداً بُرنُسه، وكان قد لبسه للوفد، فلمّا قاموا عنه توسّده ونام، فجلسوا دونه وهو نائم والدِّرّة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هو ذا. فقال: أين حرسه وحجّابه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب. قال: فينبغي أن يكون نبيّاً. قالوا: بل يعمل بعمل الأنبياء. فاستيقظ عمر بَجَلَبَة النّاس، فاستوى جالساً[1]، ثمّ نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فقال: الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وغيره أشباهه! فأمر بنزع ما عليه، فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال له عمر: يا هرمزان، كيف رأيتَ عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنّا وإيّاكم في الجاهليّة كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم، فلمّا كان الآن معكم غلبتمونا. ثمّ قال له: ما حُجّتك وما عذرك في انتقاضك مرّة بعد أخرى؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أُخبرك. قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء فأُتي به في قدح غليظ، فقال: لو متّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا! فأُتي به في إناء يرضاه، فقال: إنّي أخاف أن أُقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش. فقال: لا حاجة لي في الماء، إنّما أردتُ أن أستأمن به. فقال عمر له: إنّي قاتلك. فقال: قد آمنتَني. فقال: كذبتَ. قال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد آمنتَه. قال عمر: يا أنس، أنا أُؤمّن قاتل مَجزأة بن ثَوْر والبراء بن مالك! والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنّك. قال: قلتَ له: لا بأسَ عليك حتى تخبرني ولا بأسَ عليك حتى تشربه. وقال له مَنْ حوله مثل ذلك. فأقبل على

---

(١) في الطبعة الأوربية «جالس».

الهرمزان وقال: خدعتَني، والله لا أنخدع إلّا أن تُسْلم. فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة؛ وكان المترجم بينهما المُغيرة بن شُعْبة، وكان يفقه [شيئاً من] الفارسيّة، إلى أن جاء المترجم.

وقال عمر للوفد: لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمّة، فلهذا ينتقضون بكم؟ قالوا: ما نعلم إلّا وفاء. قال: فكيف هذا؟ فلم يشفه[1] أحد منهم، إلّا أنّ الأحنف قال له: يا أمير المؤمنين إنّك نهَيْتنا عن الانسياح في البلاد، وإنّ ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متّفقان حتى يُخْرج أحدهما صاحبه، وقد رأيتَ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلّا بانبعاثهم وغدرهم، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونُزيل مُلكهم، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال: صدقتَني والله! ونظر في حوائجهم وسرّحهم. وأتى عمرَ الكتاب باجتماع أهل نِهاوند، فأذِن في الانسياح في بلاد الفرس[2].

(وقُتل محمّد بن جعفر[3] بن أبي طالب شهيداً على تُستَر، في قول بعضهم)[4].

(أَرْبُك: بفتح الهمزة، وسكون الراء، وضمّ الباء الموحّدة، وفي آخره كاف: موضع عند الأهواز).

ذكر فتح السوس[5]

قيل: ولما نزل أبو سَبْرة على السُّوس، وبها شهريار أخو الهرمزان، أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرّات، كلّ ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان والقِسّيسون فقالوا: يا معشر العرب إنّ ممّا عهد إلينا علماؤنا أنّه لا يفتح السوس إلّا الدجّال أو قوم فيهم الدجّال، فإن كان فيكم فستفتحونها.

وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس، وصار مكانَه على أهل البصرة بالسوس المقترب بن ربيعة[6]، واجتمع الأعاجم بنهاوند، والنعمان على أهل الكوفة محاصراً أهل

---

(١) في الطبعة الأوربية «أفلك يسفه».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٣ ـ ٨٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤١ ـ ٢٤٦، البداية والنهاية ٧/٨٥ ـ ٨٨.

(٣) أنظر عنه في: الوافي بالوفيات ٢/٢٨٧ رقم ٧٢١، وجمهرة أنساب العرب ٣٨ و٦٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٥) فتوح البلدان ٤٥٩ وما بعدها، الفتوح لابن أعثم ٢/٦، الخراج لقدامة ٣٨٤، تاريخ خليفة ١٤٠، تاريخ الطبري ٤/٨٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤٦، البداية والنهاية ٧/٨٨.

(٦) في النسخة (ب): «فلان».

السوس مع أبي سبرة، وزِرّ محاصراً أهل جُنْدَيْسابور. فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند من وجهه ذلك، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صافي[1] بن صيّاد مع المسلمين في خيل النعمان، فأتى صافي[1] باب السوس، فدقّه برِجْله فقال: انفتح بظار[2]! وهو غضبان، فتقطّعت السلاسل وتكسّرت الأغلاق وتفتّحت الأبواب، ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم ونادوا: الصلح الصلح. فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعدما دخلوها عَنوةً، واقتسموا ما أصابوا.

ثمّ افترقوا، فسار النُّعمان حتى أتى[3] نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على جُنْدَيْسابور مع زِرّ.

وقيل لأبي سَبْرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما عليّ[4] بذلك! فأقرّه في أيديهم.

وكان دانيال قد لزِم نواحي فارس بعد بُخْت نَصّر. فلمّا حضرته الوفاة ولم يرَ أحداً على الإسلام أكرم كتاب الله عمّنْ لم يجبه، فقال لابنه: ائتِ ساحل البحر فاقذفْ بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له: قد فعلتُ. قال: ما صنع البحر؟ قال: ما صنع شيئاً. فغضب وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به! فخرج من عنده وفعل فعلته الأولى. فقال: كيف رأيتَ البحر صنع؟ قال: ماج واصطفق. فغضب أشدّ من الأوّل وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به. فعاد إلى البحر وألقاه فيه، فانفلق البحرُ عن الأرض، وانفجرت له الأرض عن مثل التنّور، فهوى فيها، ثمّ انطبقت عليه واختلط الماء، فلمّا رجع إليه وأخبره بما رأى قال: الآن صدقتَ. ومات دانيال بالسوس، وكان هناك يُستسقى بجسده، فاستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه[5].

وقيل في أمر السُّوس: إنّ يزدجِرْد سار بعد وقعة جَلُولاء فنزل إصطَخْر، ومعه سياه[6] في سبعين من عظماء الفرس، فوجّهه إلى السُّوس والهرمزان إلى تُسْتَر، فنزل سياه الكَلْتانيّة[7]، وبلغ أهلَ السوس أمرُ جَلُولاء ونزول يزدجِرْد إصطَخْر، فسألوا أبا موسى

---

(١) في الطبعة الأوربية «مناف». وفي تاريخ الطبري ٤/٩٢ «صارِف».

(٢) في تاريخ الطبري «فطار».

(٣) في الأصل زيادة «أهل».

(٤) في الأصل «علمي».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٩١ ـ ٩٣، وبعضه في نهاية الأرب ١٩/٢٤٦، ٢٤٧، وانظر كتاب الفتوح لابن أعثم ٢/٧ ـ ٩، والبدء والتاريخ ٥/١٨٧.

(٦) في النسخة (ب): «سباه».

(٧) في فتوح البلدان «الكلبانية».

الصلح، وكان محاصراً لهم، فصالحهم وسار إلى رامَهُرْمُز، ثمّ سار إلى تُستَر، ونزل سياه بين رامُهُرْمز وتُستَر، ودعا مَنْ معه من عظماء الفرس وقال لهم: قد علمتم أنّا كنّا نتحدّث أنّ هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابّهم في إيوانات إصطَخْر، ويشدّون خيولهم في شجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك. قال: أرى أن تدخلوا في دينهم. ووجّهوا شيرَوَيْه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى، فشرط عليهم أن يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب، وإن قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم، وينزلوا حيث شاؤوا، ويلحقوا بأشرف العطاء، ويعقد[1] لهم ذلك عمر على أن يُسلموا، فأعطاهم عمر ما سألوا، فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تُستَر[2]. ومضى سياه إلى حصنٍ قد حاصره المسلمون في زيّ العجم، فألقى نفسه إلى جانب الحصن، ونضح ثيابه بالدم، فرآه أهل الحصن صريعاً، فظنّوه رجلاً منهم، ففتحوا باب الحصن ليُدخلوه إليهم، فوثب وقاتلهم حتى خلّوا عن الحصن وهربوا، فملكه وحده[3].

وقيل: إنّ هذا الفعل كان منه بتُستَر.

ذكر مصالحة جُنْدَيسابور

وفي هذه السنة سار المسلمون عن السُّوس فنزلوا بجُنْدَيْسابور، وزِرّ بن عبد الله محاصرهم، فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرُميَ إلى مَنْ بها من عسكر المسلمين بالأمان، فلم يفجأ المسلمين إلّا وقد فُتحت أبوابها وأخرجوا أسواقهم، وخرج أهلُها، فسألهم المسلمون، فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية. فقالوا: ما فعلنا! وسأل المسلمون فإذا عبد يُدْعَى مكنفاً[4] كان أصله منها فعل هذا، فقالوا: هو عبد. فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحرّ، وقد قبِلْنا الجزية وما بدّلنا[5]، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم، فآمنوهم وانصرفوا عنهم[6].

ذكر مسير المسلمين إلى كرمان وغيرها

قيل: في سنة سبع عشرة أذِن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، وانتهى

---

(١) في النسخة (ب): «يعهد».
(٢) الخبر إلى هنا في فتوح البلدان ٤٦١ رقم ٩٣٠، وانظر الفتوح لابن أعثم ٢/٦، ٧.
(٣) البداية والنهاية ٧/٨٩.
(٤) في النسخة (ب) «مكنف»، وفي تاريخ الطبري، ونهاية الأرب «مكنفاً».
(٥) في النسخة (ب): «بدا لنا».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٧.

في ذلك إلى رأي الأحنف، فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمّة البصرة، فيكون هناك حتى يأتيه أمره، وبعث بألوية مَنْ ولّى مع سهيل بن عديّ، فدفع لواء خُراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير خُرّه وسابور إلى مُجاشع بن مسعود السُّلَميّ، ولواء إصطَخْر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفيّ، ولواء فَسَا ودارابجرد إلى سارية بن زُنَيْم الكنانيّ، ولواء كَرْمان إلى سُهَيْل بن عديّ، ولواء سجِسْتان إلى عاصم بن عمرو، وكان من الصحابة، ولواء مُكران إلى الحَكَم بن عُمَير التغلبيّ، فخرجوا ولم يتهيّأ مسيرهم إلى سنة ثماني عشرة، وأمدّهم عمر بنفر من أهل الكوفة، فأمدّ سهيلَ بن عديّ بعبد الله بن عِتْبان، وأمدّ الأحنفَ بعلقمة بن النضر، وبعبد[1] الله بن أبي عَقِيل، وبِرِبْعيّ بن عامر، وأمدّ عاصمَ بن عمرو بعبد الله بن عُمير الأشجعيّ، وأمدّ الحكمَ بن عُمير بشهاب بن المخارق في جموع[2].

وقيل: كان ذلك سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وسنذكر كيفيّة فتحها هناك وذكر أسبابها إن شاء الله تعالى.

* * *

وكان على مكّة هذه السنة عَتّاب بن أَسِيد في قول، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْيَة[3]، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حُذَيْفَة بن مِحْصَن، وعلى الشام مَنْ ذُكر قبلُ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقّاص، وعلى قضائها أبو قُرّة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى، وعلى القضاء أبو مريم الحنفيّ، وقد ذُكر مَنْ كان على الجزيرة والموصل قبلُ[4].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب[5].

---

(١) في النسخة (ب): «وبعبيد».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٩٤ «يعلى بن أمية» وهو غلط.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٩٤، ٩٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٩٤.

١٨
ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرمادة

في سنة ثماني عشرة أصاب النّاسَ مجاعة شديدة وجدْب وقحْط، وهو عام الرمادة[١]، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد فسُمِّي عام الرمادة، واشتدّ الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قيحها[٢].

وفيه أيضاً كان طاعون عَمَواس[٣].

وفيه ورد كتاب أبي عُبيدة على عمر يذكر فيه أنّ نفراً من المسلمين أصابوا الشراب، منهم: ضِرار وأبو جندل، فسألناهم فتأوّلوا[٤]، وقالوا: خُيِّرنا فاخترنا. قال: فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم، فكتب إليه عمر: إنّما منعناه[٥]، فانتهوا، وقال له: ادعهم على رؤوس النّاس وسلْهم أحلالٌ الخمر أم حرام، فإن قالوا: حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا: بل حرامٌ، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثَنّ فيكم يا أهل الشام حدث، فحدث عام الرمادة[٦].

وأقسم عمر أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيَا النّاس[٧]. فقدِمت السوقَ

---

(١) تاريخ خليفة ١٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، البدء والتاريخ ٥/١٨٦، تاريخ الطبري ٤/٩٦، نهاية الأرب ١٩/٣٥١، البداية والنهاية ٧/٩٠، مآثر الإنافة للقلقشندي ١/٩١، الطبقات الكبرى ٣/٣١٠، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٩٨ «قبحها».

(٣) تاريخ خليفة ١٣٨، البدء والتاريخ ٥/١٨٦، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦، تاريخ دمشق ١/٥٥٥. تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، مرآة الجنان ١/٧٣، تاريخ الطبري ٤/٩٦، مآثر الإنافة ١/٩١، نهاية الأرب ١٩/٣٥٣، البداية والنهاية ٧/٩٠.

(٤) في طبعة صادر ٢/٥٥٥ «فتابوا»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٩٦.

(٥) في نسختي المتحف البريطاني وبودليان «معناه».

(٦) حتى هنا ينقل المؤلّف ـ رحمه الله ـ عن الطبري ٤/٩٦، ٩٧.

(٧) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣١٣.

عُكّةُ سمن ووطْب من لبن، فاشتراها غلام لعمر بأربعين درهماً، ثمّ أتى عمرَ فقال: يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله يمينك وعظّم أجرك، قدِم السوقَ وطْب من لبن وعُكّة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً. فقال عمر: أغليتَ[1] بهما فتصدّقْ بهما فإنّي أكره أن آكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني شأن الرعيّة إذا لم يصبني ما أصابهم![2].

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومَنْ حولها ويستمدّهم، فكان أوّل مَنْ قدِم عليه أبو عُبيدة بن الجرّاح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاّه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسّمها وانصرف إلى عمله، وتتابع النّاس واستغنى أهلُ الحجاز[3].

وأصلح عمرو بن العاص بحر القُلزم، وأرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ولم يرَ أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حُبس عنهم البحر مع مقتل عثمان، فذلّوا وتقاصروا، وكان النّاس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار[4].

فقال أهل بيتٍ من مُزَيْنة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبحْ لنا شاة. قال: ليس فيهنّ شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظْم أحمر، فنادى: يا محمّداه! فأُري في المنام أنّ رسول الله، ﷺ، أتاه فقال: أبشِر بالحيا[5]، إيتِ عمرَ فأقرِئه منّي السلام وقلْ له إنّي عهدتُك وأنت وفيٌّ[6] العهد شديد العقد، فالكَيسَ الكَيْسَ يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله، ﷺ، فأتى عمرَ فأخبره، ففزع وقال: رأيتَ به مسّاً؟ قال: لا، فأدخله، وأخبره الخبر، فخرج فنادى في النّاس وصعِد المنبر فقال: نشدتُكم الله الذي هداكم هل رأيتم [منّي] شيئاً تكرهون؟ قالوا: اللهمّ لا، ولِمَ ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطَن عمر، فقالوا: إنّما استبطأك في الاستسقاء، فاستسقِ بنا. فنادى في النّاس، وخرج معه العبّاس ماشياً، فخطب وأوجز وصلّى ثمّ جثا لركبتَيْه وقال: اللهمّ عجزتْ عنّا وأنصارنا وعجز عنّا حولُنا وقوّتنا وعجزتْ عنّا أنفسنا، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك، اللهمّ فاسقنا وأحْيِ العبادَ والبلادَ[7]! وأخذ بيد العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله، ﷺ، وإنّ دموع العبّاس لَتَتَحادَر على لحيته،

---

(١) في النسخة (ب): «أغلبت»، وفي الطبعة الأوربية «اعيّلتُ».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٩٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٠٠.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٠٠ وانظر الطبقات الكبرى ٣/٣١٠.

(٥) في الطبعة الأوربية «الحياة». والحيا: المطر.

(٦) في الطبعة الأوربية «في».

(٧) النص حتى هنا عند الطبري ٤/٩٩، ١٠٠، والبداية والنهاية ٧/٩١.

فقال: اللهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك[1]، ﷺ، وبقيّة آبائه وكُبْر رجاله، فإنّك تقول وقولك الحقّ: ﴿وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ﴾[2] فحفظتَهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهمّ نبيّك، ﷺ، في عمّه، فقد دَلَوْنا به إليك مستشفعين مستغفرين. ثمّ أقبل على النّاس فقال: استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً[3].

وكان العبّاس قد طال عمره، وعيناه تذرفان، ولحيته تجول على صدره وهو يقول: اللهمّ أنت الراعي فلا تُهمل الضالّة، ولا تدع الكسير بدار مضيعةٍ، فقد صرخ الصغير، ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرّ وأخفى، اللهمّ فأغِنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنّه لا ييأس إلّا القوم الكافرون. فنشأت طريرة من سحاب، فقال النّاس: ترون ترون! ثمّ التأمت ومشت فيها ريح ثمّ هَدَأت ودرّت، فوالله ما تروّحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلّصوا المآزر، فطفق النّاس بالعبّاس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمَين! فقال الفضل بن[4] العبّاس بن عُتبة بن أبي لهب:

بِعَمّي سقَى اللهُ الحِجازَ وَأهلَهُ ... عَشيّةَ يَستَسقي بشَيبَتِهِ عُمَرْ
توَجّه بالعبّاسِ في الجدبِ رَاغباً[5] ... إليه فما[6] إن رَامَ حتى أتى المطَرْ
وَمنّا رَسولُ اللهِ فينا تُراثُهُ ... فهَلْ فوْقَ هذا للمُفاخرِ مُفتَخَرْ[7]

ذكر طاعون عَمَواس

في هذه السنة كان طاعون عَمَواس بالشام، فمات فيه أبو عُبيدة بن الجرّاح، وهو أمير النّاس، ومُعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسُهَيْل بن عمرو، وعُتْبة بن سهيل، وعامر بن غَيلان الثقفيّ، مات وأبوه حيّ، وتفانَى النّاس منه.

قال طارق بن شهاب: أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدّث عنده فقال: لا عليكم أن تخفُّوا[8]، فقد أُصيب في الدار إنسان، ولا عليكم أن تَنزَّهوا من هذه القرية، فتخرجوا في فُسَح[9] بلادكم ونزهها حتى يُرفع هذا الوباء، وسأخبركم بما يُكرَه ويُتّقى،

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ٣/٣٢١، وسير أعلام النبلاء ٢/٩٣.
(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.
(٣) نهاية الأرب ١٩/٣٥١، ٣٥٢.
(٤) القول في سير أعلام النبلاء ٢/٩٤ للعباس بن عتبة.
(٥) في النسخة (ب): «راعياً».
(٦) في الطبعة الأوربية «مما».
(٧) سير أعلام النبلاء ٢/٩٤، نهاية الأرب ١٩/٣٥٣.
(٨) في الطبعة الأوربية «تخفقوا».
(٩) في تاريخ الطبري ٤/٦٠ «فسيح».

من ذلك أن يظنّ مَن خرج أنّه لو أقام مات، ويظنّ مَن أقام فأصابه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظنّ المسلم هذا فلا عليه أن يخرج؛ إنّي كنتُ مع أبي عُبيدة بالشام عام طاعون عَمَواس، فلمّا اشتعل الوجع، وبلغ ذلك عمرَ كتب إلى أبي عُبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أمّا بعد فقد عَرَضَتْ لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمتُ عليك إذا أنت نظرتَ في كتابي هذا ألاّ تضعه من يدك حتى تُقْبل. فعرف أبو عُبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد عرفتُ حاجتك إليّ، وإنّي في جُندٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم، فلستُ أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمرَه وقضاءه، فحلِّلني[1] من عزيمتك. فلمّا قرأ عمر الكتاب بكى، فقال النّاس: يا أمير المؤمنين، أمات أبو عُبيدة؟ فقال: لا، وكأنْ قد.

وكتب إليه عمر ليرفعنّ بالمسلمين من تلك الأرض، فدعا أبا موسى فقال له: ارتدْ للمسلمين منزلاً. قال: فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل، فوجدتُ صاحبتي قد أُصيبت. فرجعتُ إليه فقلتُ له: والله لقد كان في أهلي حَدَثٌ. فقال: لعلّ صاحبتك أُصيبت؟ قلتُ: نعم. قال: فأمر ببعيره فرُحل له. فلمّا وضع رِجْله في غَرْزه طُعِن، فقال: والله لقد أُصِبْتُ! ثمّ سار بالنّاس حتى نزل الجابية.

وكان أبو عُبيدة قد قام في النّاس فقال: أيّها النّاس، إنّ هذا الوجع رحمة ربّكم ودعوة نبيّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنّ أبا عُبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظّه، فطُعن فمات. واستُخلِف على النّاس مُعاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيّها النّاس، إنّ هذا الوجع رحمة ربّكم ودعوة نبيّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنّ مُعاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعاذ حظّهم. فطُعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثمّ قام فدعا به لنفسه فطُعن في راحته، فلقد كان يقبِّلها ثمّ يقول: ما أُحبّ أنّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلمّا مات استُخْلِف على النّاس عمرو بن العاص، فخرج بالنّاس إلى الجبال، ورفعه الله عنهم، فلم يكره عمر ذلك من عمرو[2].

وقد قيل: إنّ عمر بن الخطّاب قدِم الشام، فلمّا كان بسَرْغ[3] لقِيه أمراء الأجناد، فيهم أبو عُبيدة بن الجرّاح، فأخبروه بالوباء وشدّته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين الأوّلين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل:

---

(١) في الطبعة الأوربية «فحليني».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٦٠ ـ ٦٢.

(٣) سَرْغ: بفتح أوله، وسكون ثانيه. أول الحجاز وآخر الشام بين المُغَيثة وتبوك من منازل حاجّ الشام. (معجم البلدان ٣/ ٢١١، ٢١٢).

خرجتَ لوجه الله فلا يصدّك عنه هذا، ومنهم القائل: إنّه بلاء، وفناء، فلا نرى أن تقدَم عليه. فقال لهم: قوموا، ثمّ أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعَوْد، فنادى عمر في النّاس: إنّي مُصَبِّح على ظَهْر. فقال أبو عُبيدة: أفِراراً من قَدَر الله؟ فقال: نعم نفرّ من قَدَر الله إلى قَدَر الله، أرأيتَ لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عُدْوَتان، إحداهما مخصبة والأخرى جدْبة، أليس إنْ رعيتَ الخصِبة رعْيْتَها بقَدَر الله، وإن رعيتَ الجَدْبة رعيتَها بقَدَر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال: إنّ النبيّ، ﷺ، قال: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدَموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه». فانصرف عمر بالنّاس إلى المدينة.

وهذه الرواية أصحّ، فإنّ البخاريّ ومسلماً[1] أخرجاها في صحيحيهما[2]، (ولأنّ أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام، لكن هكذا ذكره وإنّما أوردناه لننبّه عليه)[3].

(عَمَواس: بفتح العين المهملة والميم والواو، وبعد الألف سين مهملة. وسَرْغ[4]: بفتح السين المهملة، وسكون الراء المهملة، وآخره غين معجمة).

ومعنى قوله: دعوة نبيّكم، حين جاءه جبرائيل فقال: فناء أمّتك بالطعن أو الطاعون. فقال رسول الله، ﷺ: «فبالطاعون»[5].

* * *

ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمرُ أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها، واستعمل شُرَحْبيلَ بن حَسَنة على جُند الأردنّ وخراجها. وأصاب النّاس من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ٢١/٧ باب ما يُذكر في الطاعون، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس. ولفظه: «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». وأخرجه مسلم في كتاب السلام ٢٢١٩/٩٨، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. (١٧٤٠/٤) وانظر: البدء والتاريخ ١٨٦/٥، وتاريخ الطبري ٥٧/٤، ٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «صحيحهما».

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٤) في طبعة صادر ٥٦٠/٢ «سرع» بالعين المهملة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨١/٥ عن عبد الله، عن أبيه، عن يزيد، عن مسلم بن عبيد أبي نصير، قال: سمعت أبا عسيب مولى رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام بالحُمّى والطاعون، فأمسكت الحُمّى بالمدينة، وأرسِلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين».

الموت ما لم يروا مثله قطّ، وطمع له العدوّ في المسلمين لطول مكْثه، مكث شهوراً، وأصاب النّاس بالبصرة مثله، وكان عدّة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفاً[1].

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك النّاس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث، فجمع النّاس واستشارهم وقال لهم: قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وفي القوم كعب الأحبار، وفي تلك السنة أسلم، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، بأيّها تريد أن تبدأ؟ قال: بالعراق. قال: فلا تفعلْ فإنّ الشرّ عشرة أجزاء، تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب، والخير عشرة أجزاء، تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق، وبها قرن الشيطان وكلّ داء عُضال. فقال عليّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنّها لقُبَّة الإسلام، ليأتينّها يوم لا يبقى مسلم إلّا وحنّ إليها، لَيُنتصرنّ بأهلها[2] كما انتُصر بالحجارة من قوم لوط. فقال عمر: إنّ مواريث أهل عَمَواس قد ضاعت، أبدأُ بالشام فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثمّ أرجع فأتقلب[3] في البلاد، وأبدي[4] إليهم أمري[5].

فسار عن المدينة، واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، واتّخذ أيْلة طريقاً، فلمّا دنا منها ركب بعيره وعلى رحْله[6] فرو مقلوب، وأعطى غلامَهُ مركبه، فلمّا تلقّاه النّاس قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم، يعني نفسه، فساروا أمامهم، وانتهَى هو إلى أيْلة فنزلها، وقيل للمتلقّين[7]: قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها، فرجعوا [إليه]. وأعطى عمر الأسقُفّ[8] بها قميصه، وقد تخرّق ظهره، ليغسله ويرقَعَه، ففعل، وأخذه ولبسه، وخاط[9] له الأسقفُ قميصاً غيره فلم يأخذه[10]. فلمّا قدِم الشام قسّم الأرزاق، وسمّي الشواتي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، تاريخ الطبري ٤/٦٢، ٦٣ و١٠١.

(٢) في الطبعة الأوربية «لينصرنّ أهلها».

(٣) في الطبعة الأوربية «فأنقلب».

(٤) في الطبعة الأوربية «وأبتدىء». وفي الطبري «أنبذ».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٨، ٥٩.

(٦) في الطبعة الأوربية «رجله» وهو تحريف.

(٧) في الطبعة الأوربية «للملتقين».

(٨) الأسقف عند النصارى: القسّيس، وهو دون المطران.

(٩) في الطبعة الأوربية «وأخاط».

(١٠) روى أغابيوس بن قسطنطين المنبجي أسقف منبج في تاريخه أن بطريرك أورشليم رأى لباس عمر وسخا ـ =

والصوائف، وسدّ فروجَ الشام ومَسالحها، وأخذ يدورها[1]، واستعمل عبدَ الله بن قيس[2] على السواحل من كلّ كورة، واستعمل معاويةَ، وعزل شُرَحْبيلَ بن حَسَنَة وقام بعذره[3] في النّاس وقال: إنّي لم أعزله عن سخطة، ولكنّي أريد رجلاً أقوى من رجل. واستعمل عمرَو بن عُتبة[4] على الأهراء. وقسّم مواريث أهل عَمَواس، فورّث بعضَ الورثة من بعض، وأخرجها إلى الأحياء من ورثةِ كلّ منهم. وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلّا أربعة[5].

ورجع عمر إلى المدينة في ذي القعدة[6].

ولما كان بالشام وحَضَرَت الصلاة قال له النّاس: لو أمرتَ بلالاً فأذّن، فأمره فأذّن، فما بقي أحد أدرك النبيّ، ﷺ، وبلال يؤذّن إلّا وبكى حتى بلّ لحيته، وعمر أشدّهم بكاءً، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذِكرهم رسول الله، ﷺ[7].

قال الواقدي[8]: إنّ الرُّهاء وحرّان والرَّقّة فُتحت هذه السنة على يدِ عِياض بن غَنْم، وإنّ عين الوردة، وهي رأس عين، فُتحت فيها على يد عُمَير بن سعد، وقد تقدّم شرح فتحها.

في هذه السنة في ذي الحجّة حوّل عمر المقام إلى موضعه اليوم، وكان مُلْصقاً بالبيت[9].

= وكان صوفاً ـ فسأله أن يقبل منه كسوة، فأبى عليه، ولجّ البطريرك، فقال له عمر: إفعل بي خلّة. خذ ثيابي هذه فادفعها إلى من يغسلها، وأعِرني هذه الثياب التي جئتني بها لألبسها إلى أن تغسل ثيابي وأردّها إليك. ففعل البطريرك بها ذلك، وأخذ ثياب عمر فدفعها إلى غسّال، فلما فرغ منها أتاه بها، فلبسها وردّ عليه ثيابه. (المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ـ ٥٠) والخبر في تاريخ الطبري ٤/٦٤، ونهاية الأرب ١٩/٣٦١.

(١) في تاريخ الطبري «يدور بها».

(٢) أنظر عنه في: تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٣٠٢/٦، سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٤، وفي نهاية الأرب ١٩/٣٦١ «عبيد الله بن قيس».

(٣) في النسخة (ب): «يعرّفه».

(٤) في تاريخ الطبري ٤/٦٥ «عَبَسَة»، وفي نهاية الأرب ١٩/٣٦٢ «عنبسَة».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٦٤، ٦٥، نهاية الأرب ١٩/٣٦١ ـ ٣٦٣.

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٦٥ «في ذي الحجة». والمثبت يتفق مع النويري ١٩/٣٦٣.

(٧) تاريخ الطبري ٤/٦٦، أسد الغابة ١/٢٤٤، ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١/٣٥٧ و٣٥٨، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣.

(٨) تاريخ الطبري ٤/١٠١، البداية والنهاية ٧/٩٣.

(٩) الطبري ٤/١٠١، البداية والنهاية ٧/٩٣.

وفيها استقضى عمرُ شُرَيْحَ بن الحارث الكِنْديّ على الكوفة، وعلى البصرة كعب بن سُور الأزديّ. وكانت الوُلاة[1] على الأمصار الولاة [الذين كانوا عليها] في السنة قبلها[2].

وحجّ بالنّاس عمر بن الخطّاب[3].

---

(١) في الطبعة الأوربية «ولاة».

(٢) تاريخ الطبري ١٠١/٤، البداية والنهاية ٩٣/٧.

(٣) تاريخ الطبري ١٠١/٤، نهاية الأرب ٣٦٣/١٩، البداية والنهاية ٩٣/٧، مروج الذهب ٣٩٧/٤.

١٩
ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال بعضهم: إنّ فتح جَلولاء والمدائن كان [في] هذه السنة [على يد سعد]، وكذلك فتح الجزيرة[١]، وقد تقدّم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه.

وقيل: فيها كان فتح قَيْساريّة على يد معاوية، وقيل: سنة عشرين، وقد تقدّم أيضاً ذكر ذلك سنة ستّ عشرة[٢].

وفي هذه السنة سالت حَرّة ليلى[٣]، وهي قريب المدينة، ناراً، فأمر عمر بالصدقة، فتصدّق النّاس فانطفأت[٤].

وحجّ بالنّاس هذه السنة عمر[٥]. وكان عُمّاله فيها مَنْ تقدّم ذكرهم.

[الوَفَيَات]

وفيها قُتل صفوان بن المُعطّل السُّلَميّ[٦]، وقيل: بل مات سنة ستّين آخر خلافة معاوية.

وفيها مات أُبيّ بن كعب[٧]، وقيل: بل مات سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل: اثنتين وثلاثين[٨]، والله أعلم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥١.
(٢) الطبري ٤/١٠٢.
(٣) حَرَّة ليلى: لبني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان. قيل هي من وراء وادي القرى من جهة المدينة، فيها نخل وعيون، وقيل هي في بلاد بني كلاب. (معجم البلدان ٢/٢٤٧، ٢٤٨).
(٤) تاريخ الطبري ٤/١٠٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣، البداية والنهاية ٧/٩٦.
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٠٣، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣، مروج الذهب ٤/٣٩٧.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٤٤، ٤٤٥.
(٧) نهاية الأرب ١٩/٣٦٣.
(٨) أنظر الأقوال في تاريخ وفاته، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ١٩١ ـ ١٩٥.

٢٠
ثم دخلت سنة عشرين

ذكر فتح مِصْرَ

قيل: في هذه السنة فُتحت مصر، في قول بعضهم، على يد عمرو بن العاص والإسكندريّة أيضاً.

وقيل: فُتحت الإسكندريّة سنة خمس وعشرين، وقيل: فُتحت مصر سنة ستّ عشرة في ربيع الأوّل[١]، وبالجملة فينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة، لأنّ عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القُلزم من مصر إلى المدينة[٢]، والله أعلم، وقيل غير ذلك.

وأمّا فتْحها، فإنّه لما فتح عمرُ بيتَ المقدس وأقام به أيّاماً، وأمضى عمرَو بن العاص إلى مصر، واتّبعه الزبيرَ بن العوّام، فأخذ المسلمون باب اليون، وساروا إلى مصر، فلَقِيهم هناك أبو مريم، جاثليق[٣] مصر، ومعه الأسقفُ بعثه المُقَوْقس لمنع بلادهم، فلمّا نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجّلونا حتى نُعذِر إليكم، وليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فكفّوا، وخرجا إليه، فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية، وأخبرهما بوصيّة النبيّ، ﷺ، بأهل مصر بسبب هاجر أمّ إسماعيل، عليه السلام، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلاّ[٤] الأنبياء، آمِنّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلي لا يُخدع، ولكنّي أؤجّلكما ثلاثاً لتنظرا. فقالا: زدْنا، فزادهما يوماً، فرجعا إلى المقوقس. فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم. فقال لأهل مصر: أمّا نحن فسنجهد أن ندفع عنكم. فلم يفجأ عَمراً إلاّ البيات وهو على عُدّة[٥]، فلقوه فقُتل أرطبون وكثير ممّن معه وانهزم الباقون، وسار عمرو والزُّبَير إلى عين الشمس وبها جمْعهم، وبعث إلى فَرَما أبرهةَ بن

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٤.

(٢) نهاية الأرب ١٩/٢٨٤.

(٣) الجاثليق: رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

(٤) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٥) في النسخة (ب): «حده».

الصبَّاح، وبعث عوفَ بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل عليها. قيل: وكان الإسكندر وفرما أخوَين، ونزل عمرو بعين الشمس، فقال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى[1] قتال قوم هزموا كِسرى وقَيْصر، وغلبوهم على بلادهم! فلا تَعرض لهم ولا تُعرِّضنا [لهم] - وذلك في اليوم الرابع - [فأبى] وناهدوهم وقاتلوهم[2].

فلمّا التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون، فذمرهم[3] عمرو، فقال له رجل من اليمن: إنّا لم نُخْلَق من حديد. فقال له عمرو: اسكت، إنّما أنت كلب. قال: فأنت أمير الكلاب. فنادى عمرو بأصحاب النبيّ ﷺ، فأجابوه، فقال: تقدّموا فبكم ينصر الله، فتقدّموا وفيهم أبو بُردة وأبو بَرْزة وتبعهم النّاس، وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين، فارتقى الزّبير بن العوّام سورها، فلمّا أحسّوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مُصالحين، فقبل منهم[4].

ونزل الزُّبير عليهم عَنوةً، حتى خرج إلى عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا صلحاً بعدما أشرفوا على الهلكة، فأجْروا ما أخذوا عَنوةً مجرى الصلح، فصاروا ذمّة، وأجروا مَنْ دخل في صلحهم من الروم والنُّوبة مجرى أهل مصر، ومن اختار الذهاب فهو آمنٌ حتى يبلغ مأمنه[5].

واجتمعت خيول المسلمين بمصر، وبنوا الفسطاط ونزلوه، وجاء أبو مريم وأبو مريام إلى عمرو، وطلبا منه السبايا التي أُصيبت بعد المعركة، فطردهما، فقالا: كلّ شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أن رجعنا إليكم ففي ذمّة. فقال عمرو لهما: أتغيرون علينا وتكونون في ذمّة؟ قالا: نعم. فقسم عمرو بن العاص السبيْ على النّاس، وتفرّق في بلدان العرب. وبعث بالأخماس إلى عمر بن الخطّاب ومعها وفد، فأخبروا عمر بن الخطّاب بحالهم كلّه وبما قال أبو مريم، فردّ عمر عليهم سبْي مَنْ لم يقاتلهم في تلك الأيّام الأربعة، وترك سبْي مَنْ قاتلهم فردّوهم.

وحضرت القِبطُ باب عمرو، وبلغ عَمراً أنّهم يقولون: ما أرثّ العرب! ما رأينا مثلنا دان لهم. فخاف أن يطمّعهم ذلك، فأمر بجزُر فطُبخت، ودعا أمراء الأجناد فأعلموا أصحابهم، فحضروا عنده، وأكلوا أكلاً عربيّاً، انتشلوا وحَسَوا[6] وهم في العَباء بغير

---

(١) في الطبعة الأوربية «إلاّ».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١٠٧/٤، ١٠٨.

(٣) في تاريخ الطبري ١١١/٤ «فذمّرهم».

(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ١١٠/٤، ١١١.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٩/٤.

(٦) في الأوربية: «ابشلوا وحشّوا».

سلاح، فازداد طمعهم، وأمر المسلمين [أن] (يحضروا الغدَ في ثياب [أهل] مصر وأحذيتهم[١])، ففعلوا، وأذِن لأهل مصر، فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القُوّام[٢] بألوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، فارتاب القبط، وبعث أيضاً إلى المسلمين: تسلّحوا للعرض غداً، [وغدا على العرض][٣]، وأذِن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم: علمتُ حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب، فخشيتُ أن تهلكوا، فأحببتُ أن أريكم حالهم في أرضهم كيف كانت، ثمّ حالهم في أرضكم، ثمّ حالهم في الحرب، فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم، وقد كلِبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني، فأردتُ أن تعلموا أنّ ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجعٌ إلى عيش اليوم الأوّل.

فتفرّقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برَجْلهم[٤].

وبلغ عمرَ ذلك فقال: والله إنّ حربه لَلَيِّنة[٥] ما لها سطوة ولا سَورة كسورات الحروب من غيره[٦].

ثمّ إنّ عَمراً سار إلى الإسكندريّة، وكان مَن بين الإسكندرية والفسطاط من الروم والقِبط قد تجمّعوا له وقالوا: نغزوه قبل أن يغزونا ويروم الإسكندرية. فالتقوا واقتتلوا، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار حتى بلغ الإسكندريّة، فوجد أهلها مُعِدّين لقتاله. فأرسل المقوقسُ إلى عمرو يسأله الهدنة إلى مدّة، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لقد لقينا ملككم الأكبر هِرَقْل فكان منه ما بلغكم. فقال المقوقس لأصحابه: صدق فنحن أَوْلَى بالإذعان. فأغلظوا له في القول وامتنعوا، فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عمرو عَنوةً، وغنم ما فيها وجعلهم ذمّةً.

وقيل: إنّ المقوقس صالح عَمراً[٧] على اثني عشر ألف دينار، على أن يخرج من الإسكندريّة من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام، وجعل فيها عَمرو جُنداً.

ولما فُتحت مصر غزوا النُّوبة، فرجع المسلمون بالجِراحات وذهاب الحَدَق لجودة

---

(١) في الأوربية: «فحضروا الغد في باب مصر واحديتهم».
(٢) في الأوربية: «العوامّ».
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٤/١١٠.
(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/١٠٩، ١١٠.
(٥) في الطبعة الأوربية «للنيّة».
(٦) تاريخ الطبري ٤/١١٠.
(٧) فتوح البلدان ٢٥٢ رقم ٥٣٥، تاريخ خليفة ١٤٣، ١٤٤.

رميهم، فسمّوهم رُماة الحدق.

فلمّا وُلّي عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر أيّام عثمان صالحهم على هدية عدّة رؤوس في كلّ سنة، ويهدي إليهم المسلمون كلّ سنة طعاماً مسمّى وكُسوة، وأمضى ذلك الصلحَ عثمانُ ومَن بعده من وُلاة الأمور[1].

وقيل: إنّ المسلمين لما انتهوا إلى بَلْهيب[2]، وقد بلغت سباياهم إلى اليمن، أرسل صاحبهم إلى عمرو: إنّني كنتُ أُخرج الجزية إلى مَنْ هو أبغض إليّ منكم: فارس والروم، فإنْ أحببتَ الجزية على أن تردّ ما سبيتم من أرضي فعلتُ. فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك، ورفعوا الحربَ إلى أن يرِد كتاب عمر. فورد الجواب من عمر: لَعَمْري جزية قائمة أحبّ إلينا من غنيمةً تُقسم، ثمّ كأنّها لم تكن، وأمّا السبْي فإنْ أعطاك ملكهم الجزية على أن تخيّروا مَنْ في أيديكم منهم بين الإسلام ودين قومه، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه فضَعْ عليه الجزية، وأمّا مَنْ تفرّق في البلدان فإنّا لا نقدر على ردّهم. فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندريّة، فأجاب إليه، فجمعوا السبْي، واجتمعت النصارى وخيّروهم واحداً واحداً، فمن اختار المسلمين كبّروا، ومن اختار النصارى نخروا[3] وصار عليه جزية، حتى فرغوا[4].

وكان من السبْي أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن، فاختار الإسلام وصار عريف زَبيد[5].

وكان ملوك بني أميّة يقولون: إنّ مصر دُخلت عنوةً وأهلها عبيدنا نزيد[6] عليهم كيف شئنا[7]. ولم يكن كذلك.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة، أعني سنة عشرين، غزا أبو بحريّة عبد الله بن قيس أرضَ الروم،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٢.

(٢) ضبطها في طبعة صادر ٢/٥٦٧ «بِلهيب» بكسر أولها. والصحيح بالفتح كما في معجم البلدان ١/٤٩٢ وهي من قرى مصر.

(٣) في الطبعة الأوربية «تجزّوا».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٠٥، ١٠٦.

(٥) تاريخ الطبري ٤/١٠٦.

(٦) في الطبعة الأوربية «نريد».

(٧) تاريخ الطبري ٤/١٠٦.

وهو أوّل مَن دخلها فيما قيل، وقيل: أوّل مَن دخلها مَيْسرة بن مسروق العبْسيّ فسبَى وغنِم[1].

وقيل: فيها عزل عمر قُدامة بن مَظْعون من البحرين، وحدَّه في الخمر، واستعمل أبا بَكرة[2] على البحرين واليمامة[2].

وفيها تزوّج عمر فاطمة بنت الوليد أمّ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[3].

وفيها عزل عمر سعد بن أبي وقّاص عن الكوفة لشكايتهم إيّاه وقالوا: لا يُحْسن يصلّي[4].

وفيها قسّم عمر خيبر بين المسلمين، وأجلى اليهود عنها، وقسّم وادي القُرى[5].

وفيها أجلى يهود نجران إلى الكوفة[6].

وفيها بعث عمرُ علقمةَ بن مُجزِّز المُدْلجيّ إلى الحبشة، وكانت تطرّقت بلاد الإسلام فأُصيب المسلمون، فجعل عمر على نفسه أن لا يحمل في البحر أحداً أبداً، يعني للغزو، وقيل سنة إحدى وثلاثين[7].

(مُجزِّز: بجيم وزايَين الأولى مكسورة مشدّدة).

[الوَفَيَات]

وفيها مات أُسَيْد بن حُضَير[8]؛ أُسيد: تصغير أسد. وحُضَير: بالحاء المهملة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١١٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٢) في تاريخ الطبري «أبا هريرة»، وفي نهاية الأرب ١٩/٣٦٤ «استعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة، وقيل استعمل أبا بكرة...». وفي فتوح البلدان ١٠٠ رقم ٢٥٥ أن أبا هريرة وُلّي البحرين بعد قدامة.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١١٢، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٦، البداية والنهاية ٧/١٠١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٢.

(٦) تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٨، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، ١٥٦، تاريخ الطبري ٤/١١٢ و١١٣، نهاية الأرب ١٩/٣٦٨، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٨) تاريخ الطبري ٤/١١٣، البداية والنهاية ٧/١٠١، وانظر عنه في: مسند أحمد ٤/٢٢٦ و٣٥١، ٣٥٢، الطبقات الكبرى ٣/٦٠٣، طبقات خليفة ٧٧، تاريخ خليفة ١٤٩، التاريخ الكبير ٢/٤٧، التاريخ الصغير ١/٤٦، الجرح والتعديل ٢/٣١٠، مشاهير علماء الأمصار (الترجمة) ٣٦، الاستبصار ٢١٣ - ٢١٦، الاستيعاب ١/١٧٥ - ١٧٩، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٥٣ - ٦١، أسد الغابة ١/١١١ - ١١٣، تهذيب الكمال ١١٥، العبر ١/٢٤، تاريخ الإسلام ٢٠٦، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٠ - ٣٤٣، مجمع الزوائد ٩/٣١٠، تهذيب التهذيب ١/٣٤٧، الإصابة ١/٧٥، ٧٦، خلاصة تذهيب الكمال ٣٨، كنز العمال=

المضمومة، والضاد المفتوحة، والراء.

وفيها مات هرقل وملك ابنه قسطنطين[1].

وفيها ماتت زَيْنب بنت جَحْش، ونزل في قبرها أُسامة بن زيد وابن أخيها محمّد بن عبد الله بن جحش[2].

وحجّ بالنّاس عمر. وكان عُمّاله على الأمصار مَنْ كان قبل هذه السنة إلاّ مَنْ ذكرتُ أنّه عزله. وكان قُضاته فيها القضاة في السنة قبلها[3].

وفيها مات عِياض بن غَنْم[4]، وهو الذي فتح الجزيرة، وهو أوّل مَن أجاز الدرب إلى الروم.

وفيها مات بلال بن رباح[5] مؤذّن النبيّ، ﷺ، بدمشق، وقيل بحلب.

= ١٣/٢٧٧ ـ ٢٨٠، شذرات الذهب ١/٣١، الوافي بالوفيات ٩/٢٥٨، ٢٥٩ رقم (٤١٧٤)، الإكمال ١/٦٧، المعجم الكبير للطبراني ١/٢٠٣ ـ ٢٠٩ رقم ١٨، مرآة الجنان ١/٧٦.

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٣، مرآة الجنان ١/٧٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/١٠١ ـ ١١٥، تاريخ الطبري ٤/١١٣، البداية والنهاية ٧/١٠١، مرآة الجنان ١/٧٦، الاستيعاب ٤/١٨٤٩ رقم ٣٣٥٥، الوافي بالوفيات ١٥/٦١ رقم ٧٢، شذرات الذهب ١/١٠ و٣١، أسد الغابة ٥/٤٩٣ ـ ٤٩٥، الإصابة ٤/٣١٣، ٣١٤ رقم ٤٧٠. تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١١٣، مروج الذهب ٤/٣٩٧، نهاية الأرب ١٩/٣٧٠، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٤) طبقات خليفة ٢٨ و٣٠٠، تاريخ خليفة ١٤٧، التاريخ الكبير ٧/١٨، ١٩، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٧، المستدرك للحاكم ٣/٢٨٩ ـ ٢٩١، الاستبصار ٢٩٨، الاستيعاب ٣/١٢٣٥، أسد الغابة ٤/٣٢٧، تاريخ الإسلام ٢١٦، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/٣٥٤، ٣٥٥ رقم ٦٩، مجمع الزوائد ٩/٤٠٤، الإصابة ٧/١٨٩، شذرات الذهب ١/٣١، البداية والنهاية ٧/١٠٣، مرآة الجنان ١/٧٦.

(٥) مسند أحمد ٦/١٢ ـ ١٥، الطبقات الكبرى ٣/١٦٥، نسب قريش ٢٠٨، طبقات خليفة ١٩ و٢٩٨، تاريخ خليفة ٩٩ و١٤٩، التاريخ الكبير ٢/١٠٦، التاريخ الصغير ١/٥٣، الجرح والتعديل ٢/٣٩٥، مشاهير علماء الأمصار (الترجمة) ٣٢٣، الأغاني ٣/١٢٠، ١٢١، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦، تايخ الطبري ٤/١١٢، حلية الأولياء ١/١٤٧ ـ ١٥١، الاستيعاب ٢/٢٦، تاريخ دمشق ١٠/٣٥٣، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٣٠٤، ٣١٨، أسد الغابة ١/٢٤٣، تهذيب الأسماء ١/١٣٦، ١٣٧، تهذيب الكمال ٤/٢٨٨ ـ ٢٩١ رقم ٧٨٢، تاريخ واسط ٤٨ و٥٧ و٦٦ و٧٧ و٢٢٣ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٥١ و٢٧٤، الثقات لابن حبّان ٣/٢٨، المعجم الكبير للطبراني ١/٣١٨ ـ ٣٥٣، الجمع بين رجال الصحيحين ١/٦٠، دول الإسلام ١/١٦، تاريخ الإسلام ٢٠١، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٧ ـ ٣٦٠ رقم ٧٦، الكاشف ١/١٦٥، مجم الزوائد ٩/٢٩٩، ٣٠٠، الوافي بالوفيات ١٠/٢٧٦، ٢٧٧ رقم ٤٧٧٦، الوفيات لابن قنفذ ٤٨، المعارف لابن قتيبة ١٧٦ و١٧٧ و١٨٦ و٢٦٤ و٢٩٠، العقد الثمين ٣/٣٧٨ ـ ٣٨٠، مرآة الجنان ١/٧٥، ٧٦، البداية والنهاية ٧/١٠٢، ١٠٣، تهذيب التهذيب ١/٥٠٢، ٥٠٣، الإصابة ١/١٦٥، خلاصة تذهيب الكمال ٥٣، كنز العمال ١٣/٣٠٥ ـ ٣٠٨، شذرات الذهب ١/٣١، =

وفيها مات أُنيس بن مرثد[1] بن أبي مرثد الغنويّ، وله ولأبيه ولجدّه صحبة، وقُتل أبوه في غزوة الرجيع.

وفيها مات سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ[2]، شهد فتح خيبر، وكان فاضلاً، وكان على حِمْص حتى مات، وقيل: مات سنة تسع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين وعمره أربعون سنة.

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب[3].

وفيها ماتت صفيّة بنت عبد المطّلب[4] عمّة النبيّ، ﷺ.

وفيها قُتل المُظَهّر بن رافع الأنصاريّ، قدِم من الشام ومعه من عُلوج الشام، فلمّا كان بخيبر أمرهم قومٌ من اليهود فقتلوهم، فأجلاهم عمر.

(المُظَهّر: بضمّ الميم، وفتح الظاء المعجمة، وتشديد الهاء، وآخره راء مهملة).

* * *

= تحفة الأشراف ١/١٠٤ ـ ١١٤.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/٢٨٧ وفيه «أنس»، المعجم الكبير للطبراني ١/٢٦٥ رقم ٤٦ وفيه «أنس»، أسد الغابة ١/١٣٥، ١٣٦، الوافي بالوفيات ٩/٤٣٤، ٤٣٥، رقم ٤٣٧٠، الاستيعاب رقم ٩٤، البداية والنهاية ٧/١٠٢، تاريخ الإسلام ٢٠٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/٢٨٦، الطبقات الكبرى ٤/١٣، الاستيعاب ٢/٦٢٤ رقم ٩٨٨، الوافي بالوفيات ١٥/٢٣٠ رقم ٣٢٠، تاريخ خليفة ١٣٠ والتاريخ ١/٢٩٣، تهذيب تاريخ دمشق ٦/١٤٧ ـ ١٤٩، تهذيب التهذيب ٤/٥١ رقم ٨٠، الإصابة ٢/٤٨، ٤٩ رقم ٣٢٧٠، تاريخ الإسلام ٢١٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٤/٣٤، طبقات خليفة ٦، الاستيعاب ١١، ٢٨٧، أسد الغابة ٦/١٤٤، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١/٢٠٢ ـ ٢٠٥ رقم ٣٢، مجمع الزوائد ٩/٢٧٤، البداية والنهاية ٧/١٠٣، ١٠٤، العقد الثمين ٧/٢٥٣، الإصابة ١١/١٦٩، المعرفة والتاريخ ١/٣٢٧ و٢/٦٢٩ و٣/٢٦١، تاريخ الإسلام ٢١٧.

(٤) تاريخ خليفة ١٤٧، الطبقات ٣٣١، الطبقات الكبرى ٨/٤١، المعارف ١٢٨ و٢١٩ و٢٢٠، المستدرك ٤/٥٠، ٥١، الاستيعاب ٤/١٨٧٣، أسد الغابة ٧/١٧٣، البداية والنهاية ٧/١٠٤، ١٠٥، مجمع الزوائد ٩/٢٥٥، تاريخ الإسلام ٢٢٠، سير أعلام النبلاء ٢/٢٦٩ ـ ٢٧١ رقم ٤١، كنز العمال ١٣/٦٣١.

٢١
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ذكر وقعة نهاوند[1]

قيل: فيها كانت وقعت نِهَاوَنْد، وقيل: كانت سنة ثماني عشرة، وقيل سنة تسع عشرة.

وكان الذي هيّج أمر نهاوند أنّ المسلمين لما خلصوا جندَ العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرسُ ملكهم وهو بمرْو فحرّكوه، وكاتب الملوك بين الباب والسِّند وخُراسان وحُلوان، فتحرّكوا وتكاتبوا واجتمعوا إلى نهاوند، ولمّا وصلها أوائلهم بلغ سعداً الخبر، فكتب إلى عمر، وثار بسعدٍ قومٌ سعوا به وألّبوا عليه، ولم يشغلهم ما نزل بالناس؛ وكان ممّن تحرّك في أمره الجرّاح بن سِنان الأسديُّ في نفر. فقال لهم عمر: والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم. فبعث عمرُ محمدَ بن مَسلمة والنّاسُ في الاستعداد للفُرس، وكان محمد صاحب العمّال يقتصّ آثار من شكا[2] زمان عمر، فطاف بسعدٍ على أهل الكوفة يسأل عنه، فما سأل عنه جماعةً إلّا أثنوا عليه خيراً سوى مَن مالأ الجرّاحَ الأسديّ، فإنّهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم، حتى انتهى[3] إلى بني

---

(١) أنظر عن وقعة نهاوند في: الأخبار الطوال لابن قتيبة ١٣٣، ١٣٨، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/٣١ - ٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٥٦، وتاريخ خليفة ١٤٧ - ١٤٩، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٧١ - ٣٧٦، وتاريخ الطبري ٤/١١٤ - ١٣٧، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٧٠، ٣٧١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٨٠ - ١٨٢، ومروج الذهب للمسعودي ٢/٣٣١ - ٣٣٣، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١/١٦٤، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٢، ومعجم البلدان ٥/٣١٣، ونهاية الأرب للنويري ١٩/٢٥٠ - ٢٦٠، ودول الإسلام للذهبي ١/١٧، ومرآة الجنان لليافعي ١/٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/١٠٥ - ١١٢، وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٢/١١٥ - ١١٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٢، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ١/٩٠، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري ٢/٢٧٠، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٢٢٤.

(٢) في النسخة (ب): «يبلى».

(٣) في تاريخ الطبري ٤/١٢١، وفي الطبعة الأوربية من الكامل «انتهوا».

عبْس فسألهم، فقال أسامة بن قَتادة: اللّهمّ إنّه لا يقسم بالسويّة، ولا يعدل في القضيّة[١]، ولا يغزو في السريّة. فقال سعد: اللهمّ إن كان قالها رياءً وكذباً[٢] وسمعة فأعْمِ بصره، وأكثِرْ عِيالَه، وعرِّضه لمضلّات الفتن. فعميَ، واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسّها، فإذا عُثر عليه[٣] قال: دعوة سعْد الرجل المبارك. ثمّ دعا سعد على أولئك النفر فقال: اللهمّ إن كانوا خرجوا أشَراً وبطراً ورياء[٤] فاجهدْ بلادهم[٥]. فجُهدوا، وقُطع[٦] الجرّاح بالسيوف يوم بادر[٧] الحسنَ بن عليّ، عليه السّلام، ليغتاله[٨] بساباط، وشُدخ قبيصة بالحجارة، وقُتل أرْبَد بالوَجءِ[٩] ونعال[١٠] السيوف.

وقال سعد: إنّي أوّلُ رجلٍ أهراقَ دماً من المشركين[١١]، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ، أبويه وما جمعهما لأحدٍ قبلي، ولقد رأيتني خُمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أنّي لا أُحسن أصلي وأن الصيد يُلهيني[١٢].

وخرج محمد بسعد وبِهم معه إلى المدينة، فقدموا على عمر فأخبروه الخبر فقال: كيف تصلّي يا سعد؟ قال: أُطيل الأولَيْين وأحذف الأُخْرَيين[١٣]. فقال: هكذا الظنُّ بك يا أبا إسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّناً[١٤]. وقال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟

---

(١) في تاريخ الطبري «الرعيّة».

(٢) في تاريخ الطبري «كاذباً».

(٣) في الطبعة الأوربية «عبر عليها».

(٤) في تاريخ الطبري «كذباً».

(٥) في تاريخ الطبري «بلاءهم».

(٦) في الطبعة الأوربية «فجهد واقتطع».

(٧) في تاريخ الطبري «ثاور».

(٨) في النسخة (ب) «ليقاتله».

(٩) في نسخة باريس «بالوحي» وفي الطبعة الأوربية «وقيل ارتدّ بالوجيء». والمثبت يتّفق مع الطبري ١٢١/٤.

(١٠) في النسخة (ب)، ونسخة باريس: «تقل» و«تعال».

(١١) يشير إلى رمي المشركين له بسهم في بعث عُبيدة بن الحارث. (أنظر: سيرة ابن هشام ١٨/٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢، تاريخ الإسلام (المغازي - بتحقيقنا) ٤٦، عيون الأثر ٢٢٥/١، الروض الأنف ٢٥/٣، ٢٦، وغيره).

(١٢) تاريخ الطبري ١٢١/٤، ١٢٢.

(١٣) في الأصل «الأولتين.. الأخرتين».

(١٤) أنظر نحوه ما أخرجه أحمد في المسند ١٧٥/١، والبخاري (٧٧٠) في الأذان، باب: يطوّل في الأولبين، ويحذف في الأخريين. ومسلم في الصلاة (٤٥٣) باب: تخفيف الأخريين، والنسائي في الافتتاح ١٧٤/٢ باب الركود في الركعتين الأوليين وكلّهم من طريق: شعبة، عن أبي عون، عن جابر. وأخرجه البخاري =

فقال: عبد الله [بن عبد الله] بن عِتْبان. فأقرّه. فكان سبب نهاوند وبعثها[1] زمن سعد.

وأمّا الوقعةُ فهي زمن عبد الله، فنفرت الأعاجم بكتاب يَزْدجِرد، فاجتمعوا بنهاوند على الفيرُزان في خمسين ألفاً ومائة ألف مقاتل، وكان سعد كتب إلى عمر بالخبر ثمّ شافهه به لمّا قدِم عليه وقال له: إنّ أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح وأن يبدؤوهم بالشدّة ليكون أهْيب لهم على عدوّهم[2].

فجمع عمرُ النّاسَ واستشارهم، وقال لهم: هذا يوم له ما بعده، وقد هممتُ أن أسير فيمن قِبَلي[3] ومن قدرت عليه فأنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين ثمّ أستنفرهم وأكون لهم رِدءاً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحبّ، فإنْ فتح اللّهُ عليهم صببتهم في بلدانهم[4].

فقال طلحة بن عُبيد الله: يا أميرَ المؤمنين قد أحكمتك الأمورُ، وعجمتْك[5] البلابلُ[6]، واحتنكتك التجاربُ، وأنت وشأنك ورأيك، لا نَنْبو في يديك ولا نَكِلّ عليك[7]، إليك هذا الأمر، فمُرْنا نُطِعْ، وادعُنا نجبْ، واحملْنا نركبْ، وقُدْنا نَنْقَدْ، فإنّك وليّ هذا الأمر، وقد بلوتَ وجرَّبتَ واحتربت[8] فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلّا عن خيارهم[9]. ثمّ جلس.

فعاد عمر، فقام عثمان فقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يَمَنهم، ثمّ تسير أنت بأهل الحَرَمَين إلى الكوفة والبصرة، فتلقَى جمْعِ المشركين بجَمْع المسلمين، فإنّك إذا سرتَ قلّ عندك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعزّ عزّاً وأكثر. يا أمير المؤمنين، إنّك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية، ولا تَمْتَع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز. إن هذا يوم له ما

= (٧٥٨) ومسلم (٤٥٣) (١٥٩) وأحمد ١/١٧٦ و١٧٩ و١٨٠، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٠) من طرق عن جابر، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٩٤.

(١) في تاريخ الطبري ٤/١٢٢ «بعوثها».

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٢٢ و١٢٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «قبل لي».

(٤) قارن بتاريخ الطبري ٤/١٢٣.

(٥) في النسخة (ب): «عجنتك».

(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٢٤ «البلايا».

(٧) في الطبعة الأوربية: «ولا ينبو في يديك ولا يكلّ عليك».

(٨) في النسخة (ب) وتاريخ الطبري «اختبرت».

(٩) في النسخة (ب): «أخبارهم». وفي تاريخ الطبري «خيار».

بعده من الأيّام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغِب عنه. وجلس[1].

فعاد [عمر]، فقام إليه عليّ بن أبي طالب فقال: أمّا بعدُ يا أميرَ المؤمنين، فإنّك إن أشخصتَ أهل الشام من شامهم سارت الرومُ إلى ذراريّهم، وإن أشخصتَ أهلَ اليمن من يَمنهم سارت الحبشة إلى ذراريّهم، وإنّك إن شخَصتَ من هذه الأرض انتقضتْ عليك العربُ[2] من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تَدع وراءك أهمّ إليك ممّا بين يديك من العَوْرات والعِيالات[3]، أقْرِرْ هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا ثلاث فِرَق: فرقة في حُرَمهم وذراريّهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسِرْ فرقةٌ إلى إخوانهم بالكوفة مَدداً لهم؛ إنّ الأعاجِم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير المؤمنين أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشدّ لكلَبهم عليك. وأمّا ما ذكِرتَ من مسير القوم فإنّ الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأمّا عددهم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر[4].

فقال عمر: هذا هو الرأي، كنت أحبّ أن أُتابَع عليه، فأشيروا عليّ برجل أُولّيه.

وقيل: إنّ طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام. والله أعلم.

فلمّا قال عمر: أشيروا عليّ برجل أُوَلِّيه ذلك الثغر ولْيكُنْ عراقيّاً، قالوا[5]: أنت أعلم بجُنْدك وقد وفدوا عليك. فقال: والله لأُوَلّينّ أمرهم رجلاً يكون أوّل الأسِنّة[6] إذا لقِيَها غداً. فقيل: مَن هو؟ فقال: هو النُّعمان بن مقرِّن المُزَني. فقالوا: هو لها.

وكان النُّعمان يومئذ معه جمعٌ من أهل الكوفة قد اقتحموا جُندَيْسابور والسُّوس. فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماه لتجتمع الجيوش عليه، فإذا اجتمعوا إليه سار بهم إلى الفَيْرُزان ومَن معه. وقيل: بل كان النُّعمان بكَسْكَر[7]. فكتب إلى عمر يسأله أن يعزله ويبعثه إلى جيش من المسلمين. فكتب إليه عمر يأمره بنهاوند، فسار.

فكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ليستنفر الناسَ مع النعمان كذا وكذا

---

(1) قارن بتاريخ الطبري ٤/١٢٤، ١٢٥.
(2) في تاريخ الطبري «الأرض».
(3) في طبعة صادر ٣/٨ «الغيالات»، (بالغين المعجمة) والتصويب من الطبري.
(4) قارن بتاريخ الطبري ٤/١٢٥.
(5) في الطبعة الأوربية «فقالوا».
(6) في الأوربية: ليكوننّ أُولى الأسنة. وفي تاريخ الطبري ٤/١٢٦: «لأول الأسنّة».
(7) كَسْكَر: بالفتح ثم السكون. كورة واسعة يُنسب إليها الفراريج الكسكرية. قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة. (معجم البلدان ٤/٤٦١).

ويجتمعوا عليه بماه. فندب الناس، فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف[1] ليبلُوا في الدّين وليدركوا حظّاً.

فخرج النّاس منها وعليهم حُذيفةُ بن اليَمان ومعه نُعيم بن مقرّن حتى قدِموا على النُّعمان، وتقدّم عمر إلى الجُند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارساً عن المسلمين وعليهم المقترب وحَرْملة وزِرّ، فأقاموا بتُخُوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن أهل نهاوند، واجتمع الناس على النعمان وفيهم حُذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجرير بن عبد الله البجليّ، والمُغيرة بن شُعبة، وغيرهم، فأرسل النعمان طُلَيحة بن خُوَيلد، وعمرو بن معديكرب، وعمرو بن ثُنَيّ[2]، وهو ابن أبي سُلْمَى، ليأتوه بخبرهم. وخرجوا وساروا يوماً إلى الليل؛ فرجع إليه عمرو بن ثُنَيّ[2]، فقالوا: ما رجعك؟ فقال: لم أكن في أرض العجم، وقتلتْ أرضٌ جاهلَها،وقتل أرضاً عالمُها[3]. ومضى طليحة وعمرو بن مَعديكرب. فلمّا كان آخر الليل رجع عمرو، فقال: ما رجعك؟ قال: سِرنا يوماً وليلةً ولم نرَ شيئاً فرجعتُ. ومضى طُليحة حتى انتهى إلى نهاوند. وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً. فقال الناسُ: ارتدّ طُليحة الثانية. فعلم كلامَ[4] القوم ورجع. فلمّا رأوه كبّروا. فقال: ما شأنكم؟ فأعلموه بالذي خافوا عليه. فقال: والله لو لم يكن دين إلّا العربيّ[5] ما كنت لأُجْزِر[6] العُجْم الطماطم هذه العرب العاربة[7]. فأعلم النعمان أنّه ليس بينهم وبين نهاوَند شيء يكرهه ولا أحد.

فرحل النعمان وعبّى أصحابه، وهم ثلاثون ألفاً، فجعل على مقدّمته نُعيم بن مُقرّن، وعلى مُجَنّبَتَيه حُذيفة بن اليمان وسُوَيد بن مُقرّن، وعلى المجرَّدة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود. وقد توافت إليه أمدادُ المدينة فيهم المغيرة بن شُعبة، فانتهوا إلى إسبِيذُهان[8] والفُرس وقوف على تعبيتهم[9]، وأميرهم الفَيْرُزان وعلى

---

(١) في الطبعة الأوربية «الرواذّ».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/١٣٠ «ثُبَيّ» بالباء.

(٣) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «وقلت أرض جاهلها وقيل أرض عالمها». وانظر القول في تاريخ الطبري ٤/١٢٨.

(٤) في الأصل، وتاريخ الطبري ٤/١٢٨ «علم».

(٥) في تاريخ الطبري «العربية».

(٦) في طبعة المنيرية من الكامل «لأحزر»، وكذا في الطبعة الأوربية.

(٧) في نسخة باريس «العربية»، وفي الطبعة الأوربية «العادية».

(٨) إسبيذُهان: موضع قرب نهاوند. (معجم البلدان ١/١٧٣) وإسبيذ: لفظ فارسي بمعنى: نهر.

(٩) في تاريخ الطبري ٤/١٢٨ «وقوف دون واي خُرْد على تعبيتهم». و«وايه خُرْد»: وادٍ قرب نهاوند. (معجم البلدان ٥/٣٥٦).

مُجنّبَتيه الزردُق[1] وبَهْمن جاذَوَيْه الذي جُعل مكان ذي الحاجب. وقد توافى إليهم الأمدادُ بنهاوند كلّ من غاب عن القادسيّة ليسوا بدونهم، فلمّا رآهم النعمان كبّر وكبّر معه النّاس، فتزلزلت الأعاجمُ، وحطّت العرب الأثقالَ، وضُرب فُسطاطُ النعمان، فابتدر أشراف الكوفة فضربوه، منهم: حُذيفة بن اليمان، وعُقبة بن عامر، والمُغيرة بن شُعبة، وبُشير بن الخصاصيّة، وحَنظلة الكاتب[2]، وجرير بن عبد الله البجليّ، والأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حُجر، وغيرهم. فلم يُرَ بُنّاءُ فُسطاط بالعراق كهؤلاء.

وأنشبَ النُّعمان القتالَ بعد حطّ الأثقال، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس، والحرب بينهم سِجالٌ، وإنّهم انجحروا[3] في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله، والفُرس بالخيار لا يخرجون إلّا إذا أرادوا الخروج، فخاف المسلمون أن يطول أمرهم، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجُمع تجمّع[4] أهلُ الرأي من المسلمين وقالوا: نراهم علينا بالخيار. وأتوا النعمان في ذلك فوافوه[5] وهو يُروِّي في الذي رَوَّوْا فيه فأخبروه، فبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي فأحضرهم، فتكلّم النعمان فقال: قد ترَوْن المشركين واعتصامَهم بخنادقهم ومُدُنهم، وأنّهم لا يخرجون إلينا إلّا إذا شاؤوا،ولا يقدر المسلمون على إخراجهم، وقد تَرَون الذي فيه المسلمون من التضايق، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل؟

فتكلّم عمرو بن ثُنَي[6]، وكان أكبر الناس، وكانوا يتكلّمون على الأسنان، فقال: التحصّن عليهم أشدّ من المطاولة عليكم، فدعْهم وقاتل مَن أتاك منهم. فردّوا عليه رأيه.

وتكلّم عمرو بن معديكرب فقال: ناهِدْهم وكابِرْهم[7] ولا تَخَفْهم، فردّوا جميعاً عليه رأيه وقالوا: إنّما يُناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا.

وقال طُليحة: أرى أن نبعث خيلاً لِيُنْشِبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطراداً، فإنّا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا

---

(١) في النسخة (ب) «الزرق».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/١٢٩: «وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، ورِبعيّ بن عامر، وعامر بن مطر، وجرير بن عبد الله الحميريّ، والأقرع بن عبد الله الحميري، وجرير بن عبد الله البجلي».

(٣) في الأوربية: انحجروا.

(٤) في الأوربية: يجتمع.

(٥) في تاريخ الطبري ٤/١٢٩ «فوافقوه».

(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٣٠ «ثبي».

(٧) في تاريخ الطبري «كاثرهم».

فقاتلناهم حتى يقضيَ اللّهُ فيهم وفينا ما أحبّ[1].

فأمر [النعمانُ] القعقاعَ بن عمرو، وكان على المجرَّدة، فأنشب القتال، فأخرجهم من خنادقهم كأنّهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفرّوا، وقد قرن بعضُهم بعضاً كلّ سبعة في قران، وألقوا حسكَ الحديد خلفهم لئلاّ ينهزموا[2]. فلمّا خرجوا نكص ثمّ نكص، واغتنمها الأعاجم ففعلوا كما ظنّ طُليحة وقالوا: هي هي، فلم يبقَ أحد إلاّ مَن يقوم على الأبواب وركبوهم. ولحِق القعقاع بالناس، وانقطع الفُرسُ عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدْر النهار، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا واستتروا بالحَجَف من الرمْي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوْا فيهم الجراح.

وشكا بعض الناس[3] وقالوا للنُّعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم. فقال: رُوَيداً رويداً. وانتظر النعمان بالقتال أحبّ الساعات كانت إلى رسول الله ﷺ، أن يلقى العدوَّ فيها وذلك عند الزوال، فلمّا كان قريباً من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس، ووقف على كل راية يذكّرهم ويحرّضهم ويمنّيهم الظّفَر، وقال لهم: إنّي مكبّر ثلاثاً، فإذا كبّرتُ الثالثة فإنّي حامل فاحملوا، وإن قُتلتُ فالأميرُ بعدي حُذيفة، فإن قُتل ففلان، حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة. ثمّ قال: اللهمَّ أعزز دينك، وانصر عبادَك، واجعل النعمان أوّل شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك[4].

وقيل: بل قال: اللهمّ إنّي أسألك أن تُقرّ عيني اليومَ بفتحٍ يكون فيه عزّ الإسلام واقبضني شهيداً. فبكى الناسُ. ورجع إلى موقفه فكبّر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدّون للقتال، وحمل النعمان والناسُ معه، وانقضّت رايتُه انقضاض العُقاب والنعمان مُعلّم ببياض القَباء والقَلنسوة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمعِ السامعون بوقعة كانت أشدّ منها، وما كان يُسمع إلاّ وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم وقُتل منهم ما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يُزلق الناسَ والدوابّ.

---

(١) قارن بالطبري ٤/١٣٠، وانظر الأخبار الطوال ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أنظر الفتوح لابن أعثم ٢/٤٥، والبدء والتاريخ للمقدسي ١٨١/٥.

(٣) في الطبعة الأوربية «وشكا الناس».

(٤) أنظر خطبته كاملة في تاريخ الطبري ٤/١٣١، ١٣٢، وقارن بمروج الذهب ٢/٣٣٢، وفتوح البلدان ٣٧٢، والأخبار الطوال ١٣٦، والبدء والتاريخ ٥/١٨٢، والفتوح لابن أعثم ٢/٤٦، ٤٧، وتاريخ خليفة، ١٤٨، ونهاية الأرب ١٩/٢٥٦، والبداية والنهاية ٧/١١٠.

فلمّا أقرّ الله عينَ النعمان بالفتح استجاب لـه فقُتل شهيـداً، زَلَق به فـرسه فصُـرع. وقيل: بل رُمي بسهمٍ في خاصرته فقتله، فسجّاه أخوه نُعيم بثوب، وأخـذ الرايـة وناولهـا حُذيفة، فأخذها وتقدّم إلى موضع النعمان وترك نُعيماً مكانـه. وقال لهم المغيـرة: اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنعُ الله فينا وفيهم لئلاّ يَهِن الناسُ. فـاقتتلوا. فلمّا أظلم[1] الليل عليهم انهزم المشـركون وذهبـوا، ولزِمهم المسلمـون وعُمِّيَ عليهم قصدُهم فتـركوه وأخذوا نحو اللِّهْب الذي كانوا دونه بأسبيذهان فوقعوا[2] فيه، فكان الواحد منهم يقع فيقـع عليـه ستة بعضهم على بعضهم في قيـاد واحـد فيُقتلون جميعـاً، وجعـل يعقـرهُم حسـك الحديد، فمات منهم في اللِّهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قُتل في المعركة.

وقيل: قُتل في اللِّهْب ثمانون ألفـاً، وفي المعركـة ثلاثـون ألفاً، سـوى من قُتل في الطَّلب، ولم يفلِت إلاّ الشريـد، ونجا الفيـرُزان من بين الصَّرعى[3] فهـرب نحو همـذان، فاتّبعه نُعيم بن مقرّن، وقدّم القعقاع قُدّامه فأدركه بثَنِيّة همـذان، وهي إذ ذاك مشحونـة من بغال وحمير مُوقَرة عسلاً، فحبسه الدوابّ على أجله. فلمّا لم يجـد طريقـاً نزل عن دابّتـه وصعد في الجبل، فتبِعه القعقاع راجلاً فأدركه فقتله المسلمون على الثَّنِيّـة وقالـوا: إنّ لله جنوداً من عَسَل. واستاقوا العَسَل وما معه من الأحمال. وسُمِّيت الثَّنِيّة ثَنِيَّة العسل[4].

ودخل المشركون همذان والمسلمـون في آثارهم فنـزلوا عليهـا وأخذوا مـا حولهـا. فلمّـا رأى ذلك خُسْـرَوْشُنُوم[5] استأمنهم، ولما تمّ الـظفر للمسلمين جعلوا يسألـون عن أميرهم النعمان بن مقـرّن، فقال لهم أخـوه معقل: هـذا أميركم قـد أقرّ اللَّهُ عينَـه بالفتـح وختم له بالشهادة فاتبعوا حُذيفة.

ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيهـا من الأمتعة وغيـرها وما حولها من الأسلاب والأثاث وجمعوا إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع. وانتـظر مَن بنهاوند ما يأتيهم من إخوانهم الذين على همـذان مع القعقـاع ونُعيم، فأتـاهم الهِرْبـذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حُذيفة، فقال: أتؤمّنني ومن شئتُ على أن أخرجَ لـك ذخيرةً لكسرى تُركت عندي لنوائب الزمان؟ قال: نعم. فأحضر جوهراً نفيساً في سَفَطين، فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر. وكان حُذيفة قد نفّل منها وأرسل الباقي مع السـائب بن

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/١٣٢ «أظلّهم».

(٢) في الأوربيـة: كانوا دونه فوقعوا.

(٣) في الأوربيـة: من الصرعى.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٣٢، ١٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربيـة: «خشرشنوم».

الأقرع الثقفي، وكان كاتباً حاسباً، أرسله عمر إليهم وقال لـه: إنْ فتح اللَّهُ عليكم فاقسم على المسلمين فَيئهم وخُذِ الخمس، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها.

قال السائب: فلمّا فتح اللَّهُ على المسلمين وأحضر الفارسيّ السَّفَطين اللذين أودعهما عنده النَّخيْرَجان[1] فإذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فلمّا فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدِمتُ على عمر، وكان قد قدّر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقّع الأخبار، فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلاً، فمرّ به راكب فسأله: من أين أقبل؟ فقال: من نهاوند، وأخبره بالفتح وقتْل النعمان، فلمّا أصبح الرجل تحدّث بهذا بعد ثلاثٍ من الوقعة، فبلغ الخبر عمر فسأله فأخبره، فقال: ذلك بريد الجنّ[2].

ثمّ قدِم البريد بعد ذلك فأخبره بما يَسُرّه ولم يخبره بقتل النعمان. قال السائب: فخرج عمر من الغد يتوقّع الأخبار. قال: فأتيته فقال: ما وراءك؟ فقلتُ؛ خيراً يا أمير المؤمنين، فتح اللَّهُ عليك وأعظم الفتح، واستُشهد النعمان بن مُقَرِّن. فقال عمر: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثمّ بكى فنشج حتى بانت فروع كتفَيْه فوق كَتِدِه[3]. قال: فلمّا رأيتُ ذلك وما لقي قلتُ: يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يُعرف وجهه. فقال: أولئك المستضعَفون من المسلمين ولكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوهَهم وأنسابهم، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر! ثمّ أخبرته بالسَّفَطين فقال: أدخِلْهما بيتَ المال حتى ننظر في شأنهما والْحَقْ بجُنْدك. قال: ففعلتُ وخرجتُ سريعاً إلى الكوفة.

وبات عمر، فلمّا أصبح بعث في أثري رسولاً، فما أدركني حتى دخلتُ الكوفة فأنختُ بعيري وأناخ بعيرَه على عرقوبَيْ بعيري فقال: الحقْ بأمير المؤمنين، فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك إلاّ الآن. قال: فركبتُ معه فقدمتُ على عمر، فلمّا رآني قال: إليّ وما لي وللسائب! قلت: ولماذا؟ قال: ويْحك والله ما هو إلاّ أن نمتُ[4] الليلةَ التي خرجتَ فيها، فباتت الملائكة تستحبني إلى السَّفَطين يشتعلان ناراً فيقولون: لنكوينّك بهما، فأقول: إنّي سأقسمهما بين المسلمين. فخذهما عنّي فبِعْهما في أعطية المسلمين

---

(١) في نسخة المتحف البريطاني «التخيرجان» و«النخيزجان». وفي الفتوح لابن أعثم ٤٦/٢ «البحيرجان». وفي فتوح البلدان ٣٧٣ «النخيرخان». والمثبت يتفق مع الطبري ١٣٣/٤.

(٢) أنظر تاريخ الطبري ١٣٤/٤.

(٣) في الأوربية: فروع كنفيه فوق كبده. (الكتد: مجتمع الكتفين من الإنسان).

(٤) في نسخة المتحف البريطاني «الان أنمت».

وأرزاقهم. قال: فخرجتُ بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة، فابتاعهما منّي عمرو بن حُريث المخزومي بألفي ألف درهم[1]، ثمّ خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف[2]، فما زال أكثرَ أهل الكوفة مالاً. وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين.

ولما قدِم سبْيُ نهاوند المدينةَ جعل أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شُعبة لا يَلْقَى منهم صغيراً إلّا مسح رأسه وبكى وقال له: أكل عمرُ كبدي! وكان من نهاوند فأسرته الروم وأسره المسلمون من الروم فنُسب إلى حيث سُبي[3].

وكان المسلمون يسمّون فتح نهاوند فتح الفتوح[4] لأنّه لم يكن للفُرس بعده اجتماع. وملك المسلمون بلادهم.

ذكر فتح الدِّينَوَر والصَّيْمَرة وغيرهما

لما انصرف أبو موسى من نهاوند، وكان قد جاء مدداً على بَعْث أهل البصرة، فمرّ بالدِّينَوَر فأقام عليها خمسة أيّام وصالحه أهلُها على الجزية ومضى، فصالحه أهلُ سِيرَوان[5] على مثل صُلحهم، وبعث السائبَ بن الأقرع الثقفيَّ إلى الصَّيْمرة[6] مدينة مِهْرِجان قَذَق[7] ففتحها صلحاً. وقيل: إنّه وجّه السائبَ من الأهواز ففتح ولاية مهرجان قَذَق[8].

ذكر فتح همذان والماهَين وغيرهما

لما انهزم المشركون دخل من سلِم منهم همذان، وحاصرهم نُعَيم بن مقرّن

---

(١) أنظر كتاب الفتوح لابن أعثم ٦١/٢، ٦٢، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٣٥/٤.

(٣) تاريخ الطبري ١٣٦/٤.

(٤) فتوح البلدان ٣٧٤.

(٥) سِيرَوان: بلد بالجبل، وقيل: هي كورة ماسبذان، وقيل: بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان. (معجم البلدان ٢٢/٣).

(٦) الصَّيْمَرة: بالفتح ثم السكون. بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان، وهي للقاصد من همذان إلى بغداد عن يساره. (معجم البلدان ٤٣٩/٣).

(٧) في الطبعة الأوربية «مهرجا نقذف»، وكذا في فتوح البلدان ٣٧٧ وما أثبتناه يتفق مع معجم البلدان ٢٣٣/٥.

(٨) الخبر في فتوح البلدان ٣٧٧ رقم ٧٧١.

والقعقاع بن عمرو. فلمّا رأى ذلك خُسْرَوْشُنُوم[1] استأمنهم وقبل منهم الجزية على أن يضمن منهم همذان ودَسْتَبَى[2] وألّا يؤتى المسلمون منهم، فأجابوه إلى ذلك وآمنوه ومن معه من الفُرس، وأقبل كلّ من كان هرب، وبلغ الخبر الماهَين بفتح همذان ومُلْكها ونزول نُعيم والقعقاع بها، فاقتدوا بخسروشنوم[1] فراسلوا حُذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا وأجمعوا على القبول وأجمعوا على إتيان حُذيفة؛ فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك، وكان أشرفَهم قارن، وقال: لا تَلقوْهم في جَمالكم، ففعلوا، وخالفهم فأتاهم في الديباج والحُليّ فأعطاهم حاجتهم، واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم، ولم يجد الآخرون بُدّاً من متابعته والدخول في أمره، فقيل «ماه دينار» لذلك. وكان النُّعمان بن مقرّن قد عاقد بهراذان[3] على مثل ذلك فنُسب إلى بهراذان[3]، وكان قد وكّل النُّسير بن ثور بقلعة قد لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنُسبت إلى النُّسير وهو تصغير نسر[4].

قيل: دخل دينار الكوفة أيّام معاوية فقال: يا أهل الكوفة إنّكم أوّل ما مررتم بنا كنتم خيار النّاس، فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان، ثمّ تغيّرتم وفشتْ فيكم خصالٌ أربع: بُخل، وخِبّ، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهنّ، وقد رمقتكم فرأيتُ ذلك في مولّديكم، فعلمتُ من أين أُتيتم، فإذا الخبّ من قبل النَّبَط، والبُخل من قِبَل فارس، والغدر من قِبَل خُراسان، والضِّيق من قِبَل الأهواز[5].

ذكر دخول المسلمين بلاد الأعاجم

وفيها أمر عمرُ المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس أين كانوا، وقيل: كان ذلك سنة ثماني عشرة[6]، وقد تقدّم ذكره. وسبب ذلك ما كان من يَزْدَجِرد وبعْثه الجنود مرّةً بعد أخرى، فوجّه الأمراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند، وكان بين عمل سعد وعمل عَمّار أميران، أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عِتبان، وفي زمانه كانت وقعة نهاوند، والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قُصَيّ، وفي زمانه أُمِر بالانسياح وعُزل عبد الله وبُعث في وجه آخر، ووُلّي زياد، وكان من المهاجرين، فعمل

---

(١) في الطبعة الأوربية «خشرشنوم».
(٢) دَسْتَبى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يُسمّى دستبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمّى دستبى همذان وهو عدّة قرى. (معجم البلدان ٢/٤٥٤).
(٣) في الطبعة الأوربية «بهزاذان».
(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٣٣، ١٣٤، وانظر فتوح البلدان ٣٨٠.
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٣٦.
(٦) تاريخ الطبري ٤/١٣٧.

قليلاً وألحّ في الاستعفاء فأعفاه عمر، وولّى عمّار بن ياسر وكتب معه إلى أهل الكوفة: إنّي بعثتُ عمّاراً أميراً وجعلتُ معه ابن مسعود معلّماً. وكان ابن مسعود بحمص فسيّره عمرُ إلى الكوفة، وأمدّ أهلَ البصرة بعبد الله بن عبد الله، وأمدّ أهلَ الكوفة بأبي موسى. وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصّلح، فبعث عمر لواءً إلى نُعيم بن مُقرّن وأمره بقصْد همذان، فإذا فتحها سار إلى ما وراء ذلك إلى خُراسان، وبعث عُتبة بن فرقد وبُكَير بن عبد الله إلى أذْرَبيْجان، يدخل أحدهما من حُلوان والآخر من المَوْصل، وبعث عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان، وأمّر عمرُ سُراقةَ على البصرة[1].

ذكر فتح أصبهان[2]

وفيها بعث عمر إليها عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان، وكان شجاعاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبني الحُبُلي[3]، وأمدّه بأبي موسى، وجعل على مُجَنّبَتَيه عبد الله بن ورقاء الرياحيّ وعصمة بن عبد الله، فساروا إلى نهاوند، ورجع حُذيفة إلى عمله على ما سَقَتْ دجلةُ وما وراءها، وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جُند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها الأسبيدان[4]، وعلى مقدّمته شهريار بن جاذَوَيْه[5]، شيخ كبير، في جمع عظيم، ومقدّمة المشركين بُرُسْتاقٍ لأصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودعا الشيخُ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحيّ فقتله، وانهزم أهل أصبهان، فسُمّي ذلك الرُّستاق رُسْتاق الشيخ إلى اليوم، وصالحهم الأسبيدان[4] على رُستاق الشيخ، وهو أوّل رُستاق أُخذ من أصبهان.

ثمّ سار عبد الله إلى مدينة جَيّ وهي مدينة أصبهان، فانتهى إليها والملك بأصبهان الفاذوسفان[6]، فنزل بالناس على جَيّ وحاصرها وقاتلها، ثمّ صالحه الفاذوسفان على أصبهان وأنّ على من أقام الجزية وأقام على ماله وأن يُجرَى من أُخذت أرضه عَنْوة مجراهم، ومن أبَى وذهب كان لكم أرضه. وقدِم أبو موسى على عبد الله من ناحية

---

(١) تاريخ الطبري ١٣٨/٤.

(٢) أنظر عن فتح أصبهان في: فتوح البلدان ٣٨٣، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٦٨/٢، وتاريخ اليعقوبي ١٥٧/٢ والخراج لقدامة ٣٧٣، وتاريخ الطبري ١٣٩/٤، والبداية والنهاية ١١٢/٧، ونهاية الأرب ٢٦٢/١٩، وتاريخ ابن خلدون ١١٨/٢، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٢.

(٣) الحُبُلي: بضم الحاء المهملة. منسوب إلى حيّ من اليمن من الأنصار. (اللباب ٣٣٧/١).

(٤) ورد في تاريخ الطبري ١٤٠/٤ «الأستَندار». والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٢٦٢/١٩.

(٥) ورد في تاريخ الطبري «شهربراز جاذَوَيْه».

(٦) في كتاب الفتوح لابن أعثم ٧٢/٢ «الفاذوسفان ابن ساسب».

الأهـواز وقد صـالح، فخـرج القومُ من جَيّ ودخلوا في الـذّمّة إلاّ ثـلاثين رجـلاً من أهـل أصبهان لحِقوا بكَرْمان. ودخل عبد الله وأبـو موسى جَيّـاً، وكتب بذلـك إلى عمر. فقـدِم كتاب عمر إلى عبد الله: أن سِرْ حتى تَقْدَم على سُهيل بن عديّ فتكون معه على قتال مَنْ بكَرْمان، فسـار واستخلف على أصبهان السـائبَ بن الأقرع، ولحِق بسُهيـل قبل أن يصـل إلى كرمان[1].

قيل: وقد رُوي عن مَعقِل بن يَسار أنّ الأمير كان على الجُنـد الذين فتحـوا أصبهان النُّعمـان بن مقرِّن، وأنّ عمـر أرسله من المدينـة إلى أصبهان وكتب إلى أهـل الكوفـة أن يمدّوه، فسار إلى أصبهان وبها ملكها ذو الحاجِبَين، فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة وعاد من عنـده فقاتلهم، وقُتِـل النعمان، ووقـع ذو الحـاجبين[2] عن دابّتـه فـانشقّت بـطنـه وانهـزم أصحـابه. قـال معقل: فـأتيت النعمـان وهـو صـريـع فجعلتُ عليـه علَمـاً. فلمّـا انهـزم المشركون أتيته، ومعي إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب فقال: مـا فعل النـاس؟ فقلت: فتح اللَّهُ عليهم. قال: الحمد لله! ومات[3].

هكذا في هذه الرواية، والصحيـح أنّ النُّعمان قُتـل بنهاونـد، وافتتح أبـو موسى قُمّ وقاشان[4].

ذكر ولاية المُغيرة بن شُعْبة على الكوفة

وفيها ولّى عمرُ عمّـارَ بن ياسـر على الكوفـة، وابنَ مسعود على بيت المـال. فشكا أهلُ الكوفة عمّاراً، فاستعفى عمّار عمرَ بن الخطّاب، فولّى عمرُ جبيـر بن مُطعِم الكـوفة، وقال له: لا تذكره لأحد. فسمع المغيرة بن شُعبة أنّ عمر خلا بجبير، فأرسـل امرأتـه إلى امرأة جُبير بن مُطعِم لتعرض عليهـا طعامَ السفـر، ففعلت، فقالت: نعم مـا حييتني به[5]. فلمّا علم المغيرة جاء إلى عمر فقـال له: بـارك الله لك فيمن ولّيت! وأخبره الخبر فعزله وولّى المغيرة بن شُعبة الكوفة، فلم يزل عليها حتى مـات عمر[6]. وقيـل: إنّ عمّاراً عُـزل سنة اثنتين وعشرين ووَلّيَ بعده أبو موسى. وسيرِد ذِكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٣٩ ـ ١٤١، وانظر فتوح البلدان ٣٨٤ رقم ٧٨٤.

(٢) عند المسعودي في مروج الذهب ٢/٣٣٢ «ذو الجناحين». وفي البدء والتاريخ ٥/١٨٢ «ذو الحاجب».

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٤٣، مروج الذهب ٢/٣٣٢، ٣٣٣، البدء والتاريخ ٥/١٨٢.

(٤) فتوح البلدان ٣٨٤ رقم ٧٨٧ وص ٣٨٥.

(٥) في الطبعة الأوربية: نعم حيّتيني به. وفي تاريخ الطبري: فجيئيني به».

(٦) تاريخ الطبري ٤/١٤٤، وانظر تاريخ خليفة ١٤٩.

ذكر عدّة حوادث

قيل: وفيها بعث عمرو بن العاص عُقبةَ بن نافع الفِهريّ، فافتتح زَويلَةَ صلحاً، وما بين بَرْقة وزَويلة سلم للمسلمين[1]. وقيل: سنة عشرين.

كان الأمراء في هذه السنة: عُمَير بن سعد على دمشق وحَوْران وحمص وقِنَّسرين والجزيرة؛ ومعاوية على البلقاء والأردنّ وفلسطين والسواحل وأنطاكية وقِلِقيّة ومَعَرَّة مَصْرين، وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عُتبة بن ربيعة على قِلِقيّة وأنطاكية ومَعَرّة مَصْرِين[2].

وفيها وُلد الحَسَن البَصْريّ والشَّعْبيّ[3].

وحجّ بالناس عمر بن الخطّاب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت. وكان عامله على مكّة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك، وكان على الكوفة عمّار بن ياسر، وشُريح على القضاء[4].

وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدي، فقُتل الجارود بَعَقبة تُعرف بعقبة الجارود[5]. وقيل: بل قتل بنهاوند مع النعمان.

[الوفيات]

وفيها مات حممة[6]، وهو من الصحابة، بأصبهان بعد فتحها. والعلاءُ بن الحضْرميّ وهو على البحرين، فاستعمل عمرُ مكانه أبا هريرة. وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطّاب[7]، وقيل: مات سنة ثلاث وعشرين، وقيل: مات بالمدينة. والأوّل أصحّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٤٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٤٤، ١٤٥.

(٣) تاريخ خليفة ١٤٩، الطبري ٤/١٤٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٤٥.

(٥) تاريخ خليفة ١٤٩، تاريخ الإسلام ٢٢٣.

(٦) أنظر عنه في كتاب الزهد لأحمد (أخبار هرم بن حيّان) ٢٨٢، والاستيعاب لابن عبد البرّ ١/٣٩٢، ٣٩٣، وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ١/٧١، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/٥٣، والوافي بالوفيات للصفدي ١٣/١٩٢، ١٩٣ رقم ٢٢٠، والإصابة لابن حجر ١/٣٥٥ رقم ١٨٣٢.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٧، مسند أحمد ٤/٨٨، ٨٩، السير والمغازي لابن إسحاق ١٩٣ و٣٢٧، المغازي للواقدي (راجع فهرس الأعلام)، سيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢/ تهذيب سيرة ابن هشام ١٥٩ و٢٢١ و٢٤١ و٢٤٢ و٢٦٩ و٢٩٢ و٢٩٣ و٣٢٠ و٣٢١، فتوح الشام للأزدي (راجع فهرس الأعلام ٢٨٩)، فتوح الشام المنسوب للواقدي ١٣ و٤٦ و٥٤ و٦٥ و١١٤ وغيرها، الفتوح لابن أعثم ١/٧ و١٦ و٢٦ =

. . . .

= و ٣١ و٣٨ و٤٠ ـ ٤٣ و٩٠، ٩١ و١٣٢ ـ ١٤٩ و١٥٧ و١٧٥ ـ ١٧٦ و١٩١ ـ ١٩٣ و٢١٥ و٢٣٧ و٢٣٩ ـ ٢٧٠، طبقات ابن سعد ٢٥٢/٤، ٢٥٣ و٣٩٤/٧ ـ ٣٩٨، نسب قريش لمصعب ٤٢ و٢٥١ و٣٢٠ و٣٢٢ و٣٢٤ و٣٣٠ و٣٥٧ و٤٠٩ و٤١٢، المحبَّر لابن حبيب ١٠٨ و١٢٣ و١٢٤ و١٢٥ و١٩٠ و٣١٥ و٣٦١ و٤٠٩ و٤٧٩، الأخبار الموفّقيّات للزبير ٥٨١ و٦٢٩ و٦٣٠، طبقات خليفة ١٩، ٢٠ و٢٩٩، تاريخ خليفة ٨٦ و٨٨ و٩٢ و١٥٠، التاريخ الصغير للبخاري ٢٣/١ و٤٠، والتاريخ الكبير له ١٣٦/٣ رقم ٤٦١، البرصان والعرجان للجاحظ ٣٠٥ و٣٤٤، التاريخ لابن معين ١٤٦/٢، أخبار مكة للأزرقي ١٢٦ و١٣١ و٢٦٧، المعارف لابن قتيبة ٦٦ و١٦٣ و١٦٥ و١٨٢ و٢١٠ و٢٦٧ و٢٨٢ و٢٨٦ و٣٠٣ و٣٣٣ و٤٣٥ و٤٩١ و٥٦٩، تاريخ أبي زرعة ١٧١/١ ـ ١٧٣، مقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد ٩٢ رقم ١٣٣، فتوح البلدان للبلاذري (راجع فهرس الأعلام ٦١٦)، أنساب الأشراف ٢١٠/١ و٢٤٤ و٣٠٢ و٣١٦ و٣١٨ و٣١٩ و٣٢٣ و٣٣٤ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٦١ و٣٨٠ و٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٤ و٤٤٧ وق ٤ ج ١٠٩/١، المعرفة والتاريخ للفسوي (راجع فهرس الأعلام ٥١٧/٣)، العقد الفريد لابن عبد ربه ٢١/١ و٦٣ و١٠٠ و١٢٩ و١٣٩ و١٤٨ و٤٧/٢ و٦٦ و٢٣٥/٣ و٢٦٨/٤ و١٣٣/٦، عيون الأخبار لابن قتيبة ١٢٥/١، ١٢٦ و١٤٢ و١٤٣ و١٦٥ و١٦/٢، تاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ٢٣٧/١٠)، المنتخب من ذيل المذيّل للطبري ٥٥٩، الخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٢٢٤، ٢٢٥ و٢٦٤ و٢٧٠ و٢٧٢ و٢٨٢ ـ ٢٨٨ و٢٩١ ـ ٢٩٣ و٢٩٦ و٣٠٣ و٣٠٩ و٣٥٣ ـ ٣٥٧ و٣٦٤، ٣٦٥، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٥٦/٣ رقم ١٦٠٧، طبقات الشعراء لابن سلام ٤٨ ـ ٥٠، الكنى والأسماء للدولابي ٧١/١، مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ٣١ رقم ١٥٧، ثمار القلوب للثعالبي ٢١ و٢٤ و١٤٠، ربيع الأبرار للزمخشري ٤٦٥/٤، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٤٧، الاستيعاب لابن عبد البر ٤٠٥/١ ـ ٤١٠، المستدرك للحاكم ٢٩٦/٣ ـ ٣٠٠، أمالي المرتضى ٢٦٠/١، ٢٦١، تاريخ ثغر عدن لأبي مخرمة ٦٨/٢ رقم ٩٤، رجال الطوسي ١٨، المنتخب من تاريخ المنبجي ـ بتحقيقنا ـ ٢٩ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٥٠، الأغاني للأصفهاني ١٩٤/١٦، الزيارات للهروي ٨، ٩ و٩٢، تهذيب تاريخ دمشق ٩٥/٥ ـ ١١٧، أسد الغابة لابن الأثير ٩٣/٢ ـ ٩٦، صفة الصفوة لابن الجوزي ٦٥٠/١ ـ ٦٥٥ رقم ٨١، التذكرة الحمدونية لابن حمدون ١٣٩/١ و٤٧٦/٢، ٤٧٧، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ١٧٢/١ ـ ١٧٤ رقم ١٤٢، تهذيب الكمال للمزّي ٣٦٦/١، الجمع بين رجال الصحيحين للقيسراني ١١٨/١ رقم ٤٦٣، دول الإسلام للذهبي ١٦/١، العبر (له) ٢٥/١، سير أعلام النبلاء (له) ٣٦٦/١ ـ ٣٨٤ رقم ٧٨، تلخيص المستدرك (له) ٢٩٦/٣ ـ ٣٠٠، الكاشف (له) ٢٠٩/١ رقم ١٣٧٠، المعين في طبقات المحدّثين (له) ٢٠ رقم ٣٣، تاريخ الإسلام (له) ـ بتحقيقنا ـ ٢٣٠/٣ ـ ٢٣٤، نهاية الأرب للنويري ٣٦٩/١٩، تحفة الأشراف للمزّي ١١١/٣ ـ ١١٣، رقم ١٢٣، البداية والنهاية لابن كثير ١١٣/٧ ـ ١١٨، مرآة الجنان لليافعي ٧٦/١، ٧٧، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٦٤/١٣ رقم ٣٢٥، الوفيات لابن قنفذ ٤٩ رقم ٢١، مآثر الإنافة للقلقشندي ٢٧/١ و٥٦ و٨٥ و٩٠، مجمع الزوائد للهيثمي ٣٤٨/٩ ـ ٣٥٠، العقد الثمين للفاسي ٢٨٩/٤ ـ ٢٩٧، شفاء الغرام (له) ـ بتحقيقنا ـ ٥٤/١ ـ ٥٩ و٦٧ و١٨٤/٢، ١٨٥ و٢١١ و٢١٤ و٢١٨ و٢٢١ ـ ٢٢٣ و٢٣٩ و٤٤٩، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٤٢/٣، تقريب التهذيب (له) ٢١٩/١ رقم ٨٦، الإصابة (له) ٤١٣/١ ـ ٤١٥ رقم ٢٢٠١ و٣٨٥/٤ رقم ٩٤٣، خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ١٠٣، كنز العمال ٣٦٦/١٣ ـ ٣٧٥، شذرات الذهب لابن العماد ٢٣٢/١، تاريخ الخميس للديار بكري ٢٤٧/٢، طبقات المالكية لابن مخلوف ٨٠.

٢٢
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

في هذه السنة افتُتحت أَذْرَبَيْجان، وقيل: سنة ثماني عشرة بعد فتح همذان والريّ وجُرْجان، فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثمّ نذكر أذربيجان بعدها.

ذكر فتح همذان ثانياً

قد تقدّم مسير نُعيم بن مقرّن إلى همذان وفتْحها على يده ويد القعقاع بن عمرو، فلمّا رجعا عنها كفر أهلها مع خُسْرَوْشُنُوم[1]، فلمّا قدُم عهد نُعيم من عند عمر ودّع حُذَيفة وسار يريد همذان، وعاد حُذيفة إلى الكوفة، فخرج نُعيم بن مقرّن على تعبية إلى همذان فاستولى على بلادها جميعاً وحاصرها، فلمّا رأى أهلُها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجِزية. وقد قيل: إنّ فتحها كان سنة أربعٍ وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر. فبينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفاً من الجُند كاتب الدَّيْلم وأهلِ الرّيّ وأَذْرَبَيْجان، إذ خرج مُوتا[2] في الدَّيْلم حتى نزل بواج رُوذ[3]، وأقبل الزينَبي أبو الفَرُّخان في أهل الريّ، وأقبل أسفنْدِيار أخو رستم في أهل أذْرَبيجان، فاجتمعوا وتحصّن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى نُعيم بالخبر، فاستخلف يزيدَ بن قيس الهمدانيَّ وخرج إليهم، فاقتتلوا بواج رُوذ[4] قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة تُعدل بنهاوند، فانهزم الفرس هزيمة قبيحة، وقُتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحصَون، فأرسلوا إلى عمر مبشّراً، فأمر عمر نُعيماً بقصد الريّ وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها. وقيل: إنّ المغيرة بن شُعبةَ، وهو عامل على الكوفة،

---

(١) في الطبعة الأوربية «خشرشنوم».

(٢) في نهاية الأرب ١٩/٢٦١ «مُوتَى»، وفي معجم البلدان ٥/٣٤١ «موثا».

(٣) واج رُوذ: موضع بين همذان وقزوين. (معجم البلدان ٥/٣٤١) وفيه أن الوقعة كانت سنة ٢٩ هـ. وهذا وهم من النسخ. وورد في الأصل «بواج بوذ».

(٤) في الأصل «بواج الرود».

أرسل جريرَ بن عبد الله إلى همذان، فقاتله أهلُها وأصيبت عينُه بسهم، فقال: احتسبتُها عند الله الذي زيَّن بها وجهي ونوَّر لي ما شاء ثمَّ سلبنيها في سبيله[1]. ثمَّ فتحها على مثل صُلح نهاوند وغلب على أرضها قسراً. وقيل: كان فتحها على يد المغيرة بنفسه، وكان جرير على مقدّمته. وقيل: فتحها قَرَظَة بن كعب الأنصاري[2].

ذكر فتح قزوين وزَنْجان

لما سيّر المغيرة جريراً إلى همذان ففتحها سيّر البَراءَ بن عازب في جيش إلى قزوين، وأمره أن يسير إليها، فإنْ فتحها غزا الدَّيلم منها، وإنّما كان مغزاهم قبل من دَسْتَبَى. فسار البَراءُ حتى أتَى أبهر[3]، وهو حصن، فقاتلوه، ثمّ طلبوا الأمان فآمَنهم وصالحهم، ثمّ غزا قزوين، فلمّا بلغ أهلَها الخبر أرسلوا إلى الدَّيلم يطلبون النُّصْرة فوعدوهم، ووصل المسلمون إليهم فخرجوا لقتالهم، والدَّيلم وقوفٌ على الجبل لا يمدّون يداً، فلمّا رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صُلح أبهر؛ وقال بعض المسلمين:

قَدْ عَلِمَ الدَّيلَمُ إذْ تحارِبْ ... حينَ أتَى في جَيشِهِ ابنُ عازِبْ
بأنَّ ظَنَّ المشرِكينَ كاذِبْ ... فكَمْ قطَعنا في دُجى الغَياهِبْ
مِنْ جَبَلٍ وَعْرٍ ومِن سَباسِبْ[4]

وغزا البراءُ الديلمَ حتى أدّوا إليه الإتاوة، وغزا جِيلانَ[5]، والطَّيلسان[6]، وفتح زَنْجان[7] عَنوةً. ولما وُلّي الوليد بن عُقبة الكوفةَ غزا الدَّيْلم، وجِيلان، ومُوقان[8]، والبَبَر[9]،

---

(١) لم أجد هذا الخبر في المصادر التي ترجمت لجرير بن عبد الله. وهو في فتوح البلدان ٣٨٠ رقم ٧٧٦.
(٢) تاريخ الطبري ٤/١٤٨، وفتوح البلدان ٣٨٥.
(٣) أَبْهَر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل. والعجم يسمّونها أَوْهَر. (معجم البلدان ١/٨٢).
(٤) فتوح البلدان ٣٩٥.
(٥) جيلان: بالكسر. اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. (معجم البلدان ٢/٢٠١).
(٦) الطيلسان: بفتح أوله وسكون ثانيه. إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر. (معجم البلدان ٤/٥٦).
(٧) زَنْجان: بفتح أوله وسكون ثانيه. بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين. والعجم يقولون زنكان بالكاف. (معجم البلدان ٣/١٥٢).
(٨) مُوقان: بالضمّ ثم السكون. ولاية فيها قرى ومروج كثيرة، وهي بأذربيجان يمرّ القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال. (معجم البلدان ٥/٢٢٥).
(٩) لم يذكرها ياقوت في معجمه. بل ذكر «بَبُز». (١/٣٣٣).

والطيلسان، ثمَّ انصرف[1].

ذكر فتح الريّ[2]

ثمّ انصرف نُعيم من واج رُوذ حتى قدِم الرّيّ، وخرج الزينبيّ أبو الفرّخان من الريّ فلقي نُعيماً طالباً الصلح ومسالماً له ومخالفاً لملك الريِّ، وهو سِياوَخْش بن مهران بن بَهْرام جوبين[3]، فاستمدّ سِياوَخْش أهل دُنْباوَنْد وطبرستان وقُومِس وجُرجان، فأمدّوه خوفاً من المسلمين، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الرّيّ إلى جنْب مدينتها، فاقتتلوا به، وكان الزَّينبيّ قال لنُعيم: إنّ القوم كثير وأنت في قلّة، فابعثْ معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهِدْهم أنت، فإنّهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك. فبعث معه نُعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزَّينبيّ المدينة، ولا يشعر القومُ، وبيّتهم نُعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا، فقُتلوا مقتلةً عُدُّوا بالقصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالرّيّ نحواً ممّا في المدائن، وصالحه الزَّينبيّ على الرّيّ، ومَرْزَبَهُ[4] عليهم نُعيمٌ، فلم يزل شرف الريّ في أهل الزَّينبيّ، وأخرب نُعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها العتيقة، وأمر الزَّينبيّ فبنى مدينة الريّ الحُدْثَى. وكتب نُعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس، وكان البشير المضارِب العِجْليّ. وراسله المَصْمُغان في الصلح على شيء يفتدي به منه على دُنْبَاوند، فأجابه إلى ذلك[5].

وقد قيل: إنّ فتح الريّ كان على يد قَرْظة بن كعب، وقيل: كان فتحها سنة إحدى وعشرين. وقيل غير ذلك[6]. والله أعلم.

ذكر فتح قُومِس وجُرْجان وطبرستان

لما أرسل نُعيم إلى عمر بالبشارة وأخماس الرّيّ كتب إليه عمر يأمره بإرسال أخيه

---

(١) فتوح البلدان ٣٩٤، ٣٩٥، الخراج لقدامة ٣٧٦، ٣٧٧، نهاية الأرب ٢٦٣/١٩.

(٢) أنظر عن فتح الرّيّ في: تاريخ اليعقوبي ١٥٧/٢، وتاريخ خليفة ١٥١، وفتوح البلدان ٣٨٩، وتاريخ الطبري ١٥٠/٤، والخراج لقدامة ٣٧٤، ونهاية الأرب ٢٦٤/١٩ والبداية والنهاية ١٢١/٧، ١٢٢، وتاريخ ابن خلدون ١١٨/٢، ١١٩.

(٣) في تاريخ الطبري «شوبين».

(٤) مَرْزَبَه عليهم: أي جعله مرزباناً عليهم. والمرزبان: رئيس الفرس.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١٥٠/٤، ١٥١.

(٦) الطبري ١٤٨/٤.

سُوَيد بن مقرّن ومعه هند بن عمرو الجمليّ وغيره إلى قُومس، فسار سُوَيد نحو قُومس، فلم يقم له أحد، فأخذها سلْماً وعسكر بها، وكاتبه الذين لجأوا إلى طَبَرِستان منهم والذين أخذوا المفاوز، فأجابهم إلى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك. ثمّ سار سُوَيد إلى جُرْجان فعسكر بها بِبِسطام وكتب إلى ملك جُرْجان، وهو زُرنان صول[1]، وكاتبه زُرنان صول وصالحه على جُرجان على الجزية وكفاية حرب جُرجان، وأن يُعينه سُوَيد إن غُلب، فأجابه سُوَيد إلى ذلك، وتلقّاه زُرنان صول قبل دخوله جُرجان، فدخل معه وعسكر بها حتى جبَى الخراج وسمّى فروجها، فسدّها بتُرك دِهِسْتان، ورفع الجزية عمّن قام بمنعها[2] وأخذها من الباقين.

وقيل: كان فتحها سنة ثماني عشرة[3]. وقيل: سنة ثلاثين زمن عثمان[4].

قيل: وراسل الإصبَهْبذ صاحبُ طبرستان سُوَيداً في الصلح، على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبِل ذلك منه وكتب له كتاباً[5].

ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة[6]

في هذه السنة سار عمرُو بن العاص من مصر إلى بَرْقة فصالحه أهلُها على الجزية وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه. فلّما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقيَّها، فخرج رجل من بني مُدلج يتصيّد في سبعة نفر، وسلكوا غرب المدينة، فلمّا رجعوا اشتدّ عليهم الحرّ فأخذوا على جانب البحر، ولم يكن السُّور متّصلاً بالبحر، وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم، فرأى المُدْلجيّ وأصحابه مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبّروا، فلم يكن للروم ملجأ إلّا سفنهم، لأنّهم ظنّوا أنّ المسلمين قد دخلوا البلد، ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في

---

(١) وردت في الأصول «رزنان» و«زرنان» و«ررنان» وفي تاريخ الطبري ٤/١٥٢ «رُزبان».
(٢) عبارة الطبري ٤/١٥٢ «فرفع الجِزاء عمّن أقام يمنعها».
(٣) الطبري ٤/١٥٢.
(٤) الطبري ٤/١٥٣.
(٥) الخبر ونصّ الكتاب في تاريخ الطبري ٤/١٥٣.
(٦) أنظر عن فتح طرابلس الغرب وبرقة في: تاريخ خليفة ١٥٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٥٦، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٠ وما بعدها، وفتوح البلدان ٢٦٤ و٢٦٦، والخراج لقدامة ٣٤٢، والوُلاة والقُضاة للكِنْدي ١٠، ووُلاة مصر له ٣٣، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٠، والنجوم الزاهرة ١/٧٦، وتاريخ الخميس ٢/٢٧١، والمختصر في أخبار البشر ١٦٤، وتتمة المختصر ١/١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٢٨، ومرآة الجنان لليافعي ١/٧٧، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ـ بتحقيقنا ـ ٣/٢٤٢.

المدينة وسمعوا الصياح، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد، فلم يفلت الرومُ إلّا بما خفّ معهم في مراكبهم.

وكان أهل حصن سَبْرة[1] قد تحصّنوا لما نزل عمرو على طرابلس، فلمّا امتنعوا عليه بطرابلس أمِنوا واطمأنّوا، فلمّا فُتحت طرابلس جنّد عمرو عسكراً كثيفاً وسيّره إلى سَبْرة، فصبّحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرحَ، لأنّهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس، فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرةً وغنموا ما فيه وعادوا إلى عمرو. ثمّ سار عمرو بن العاص إلى برقة وبها لُواتة، وهم من البربر.

وكان سبب مسير البربر إليها وإلى غيرها من الغرب أنّهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام، وكان ملكهم جالوت، فلمّا قُتل سارت البرابر وطلبوا الغرب، حتى إذا انتهوا إلى لُوبية ومَرَاقية، وهما كورتان من كُوَر مصر الغربيّة، تفرّقوا فسارت زناتة ومغيلة، وهما قبيلتان من البربر، إلى الغرب فسكنوا الجبال، وسكنت لُواتة أرض برقة، وتُعرف قديماً بأنطابُلُس، وانتشروا فيها حتى بلغوا السُّوس، ونزلت هوارة مدينة لَبْدَة[2]، ونزلت نفوسة إلى مدينة سَبْرة، وجلا من كان بها من الروم لذلك، وقام الأفارق، وهم خَدَم الروم، على صُلح يؤدّونه إلى من غلب على بلادهم. وسار عمرو بن العاص، كما ذكرنا، فصالحه أهلُها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدّونها جِزيةً، وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جِزيتهم.

ذكر فتح أذربيجان[3]

قال: فلمّا افتتح نُعيم الرّيّ بعث سِماك بن خَرَشة الأنصاريّ، وليس بأبي دُجانة، مُمِدّاً لبُكير بن عبد الله بأذْرَبيجان، أمره عمر بذلك، فسار سِماك نحو بُكير، وكان بُكير حين بُعث إليها سار حتى إذا طلع بجبال جَرْميذان طلع عليهم اسفنديار[4] بن فرُّخزاذ مهزوماً من واج رُوذ، فكان أوّل قتالٍ لقِيه بأذْرَبيجان، فاقتتلوا، فهُزم الفرس وأخذ بُكير اسفنديار[4] أسيراً. فقال له اسفنديار: الصلح أحبّ إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح.

---

(١) سَبْرَة: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلفظ المرّة الواحدة. (معجم البلدان ٣/١٨٤) وهي صبراته الآن.

(٢) لَبْدة: مدينة بين برقة وإفريقية. (معجم البلدان ٥/١٠).

(٣) أنظر عن فتح أذربيجان في: فتوح البلدان ٤٠٠، وتاريخ الطبري ٤/١٥٣، وتاريخ خليفة ١٥١، والخراج لقدامة ٣٧٨، ونهاية الأرب ١٩/٢٦٦، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٢٤١، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦٤، وتتمة المختصر ١/١٤٩، ومرآة الجنان ١/٧٧، والبداية والنهاية ٧/١٢٢، وتاريخ ابن خلدون ٢/١١٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٥٦.

(٤) في تاريخ الطبري ٤/١٥٤ «إسفندياذ».

قال: أمسِكْني عندك فإنّ أهل أذْرَبيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم لم يقوموا لك، وجَلَوْا إلى الجبال التي حولها، ومن كان على التحصّن تحصّن إلى يوم ما. فأمسكه عنده، وصارت البلاد إليه إلاّ ما كان من حصن. وقدِم عليه سِماك بن خَرَشة مُمِدّاً، واسفنديار في إساره وقد افتتح ما يليه، وافتتح عُتبة بن فرقد ما يليه.

وكتب بُكير إلى عمر يستأذنه في التقدّم، فأذِن له أن يتقدّم نحو الباب، وأن يستخلف على ما افتتحه، فاستخلف عليه عُتبةَ بن فرقد، فأقرّ عُتبةُ سِماكَ بن خَرَشة على عمل بُكَير الذي كان افتتحه، وجمع عمر أذْرَبيجان كلّها لعتبة بن فرقد.

وكان بهرام بن فرُّخزاذ قصد طريق عُتبة، وأقام به في عسكره حتى قدِم عليه عُتبة، فاقتتلوا، فانهزم بهرام، فلمّا بلغ خبره اسفنديار وهو في الأسر عند بُكير قال: الآن تمّ الصلحُ وطفئت الحرب. فصالحه وأجاب إلى ذلك أهلُ أذْرَبيجان كلّهم، وعادت أذْربيجان سلماً. وكتب بذلك بُكير وعُتبة إلى عمر وبعثَا بما خمّسا. ولما جمع عمرُ لعُتبة عمل بُكَير كتب لأهل أذْربيجان كتاباً بالصلح[1].

وفيها قدِم عُتبة على عمر بالخبيص الذي كان أُهدي له. وكان عمر يأخذ عمّاله بموافاة الموسم كلّ سنة، يمنعهم بذلك عن الظلم[2].

ذكر فتح الباب

في هذه السنة كان فتح الباب، وكان عمر ردّ أبا موسى إلى البصرة وبعث سُراقة بن عمرو، وكان يُدعى ذا النور، إلى الباب، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة، وكان أيضاً يدعى ذا النّور، وجعل على إحدى مُجنّبَتَيه حُذيفةَ بن أَسِيد الغِفاريّ، وعلى الأخرى بُكَير بن عبد الله الليثيّ، وكان بُكير سبقه إلى الباب. وجعل على المقاسم سَلمان بن ربيعة الباهليّ. فسار سُراقة، فلما خرج من أذْربَيجان قدِم بُكير إلى الباب، وكان عمر قد أمدّ سُراقة بحبيب بن مَسْلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة. ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الباب، والملك بها يومئذ شهريار، وهو من ولد شهريار[3] الذي أفسد بني إسرائيل وأغزى الشام بهم، فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه، ففعل، فأتاه فقال: إنّي بإزاء عدوّ كَلِب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الحَسَب

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٥٣، ١٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ٤/١٥٥.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/١٥٦ «شهربراز».

والعقـل أن يعينهم[1] على ذي الحسب، ولست من القبـج[2] ولا الأرمن في شيء، وإنّكم قد غلبتم على بلادي وأمّتي، فأنا منكم ويدي مع أيـديكم، وجزيتي إليكم والنصر لكم، والقيام بما تحبّون، فلا تسوموننا الجِزية فتوهنونا بعدوّكم.

قال: فسيّره عبـد الرحمن إلى سُـراقة، فلقِيـه بمثل ذلـك، فقبِل منـه سُراقـةُ ذلك، وقال: لا بدّ من الجِزية ممّن يقيم ولا يحارب العدوّ. فأجابه إلى ذلك. وكتب سُـراقة في ذلك إلى عمر، فأجازه عمر واستحسنه[3].

ذكر فتح مُوقان

لما فرغ سُراقة من الباب أرسل بُكيرَ بن عبد الله، وحبيب بن مَسلمـة، وحُذيفـة بن أَسِيد، وسَلْمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بُكيراً إلى مُوقـان، وحبيباً إلى تَفْلِيس، وحُذَيفة إلى جبال الـلان، وسلمان إلى الـوجه الآخـر. وكتب سُراقـة بالفتح إلى عمر، وبإرسال هؤلاء النفر إلى الجهات المذكورة، فأتَى عمـرَ أمرٌ لم يـظنّ أن يتـمّ لـه بغير مؤونـة، لأنّه فـرْج عظيم وجُنـد عظيم، فلمّـا استوسقـوا واستحلّوا الإسـلام وعدْله مات سُراقة، واستَخْلف عبدَ الـرحمن بن ربيعة. ولم يفتتـح أحد من أولئك القـوّاد إلاّ بُكَير، فإنّه فضّ أهل موقان، ثمّ تراجعوا على الجزية، عن كلّ حالمٍ دينار.

وكـان فتْحها سنـة إحدى وعشـرين. ولما بلغ عمـرَ موتُ سُـراقة واستخـلافـه عبـدَ الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرْج الباب وأمره بغزو الترك[4].

(أَسِيد في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين. والنور في الموضعين بالراء).

ذكر غزو التّرْك

لما أمر عمرُ عبدَ الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع البـاب. فقال له شهريار[5]: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غزو بَلَنْجَر والترك. قال: إنّا لنـرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال عبد الرحمن: لكنّا لا نرضى حتى نغزوهم في ديـارهم، وبالله

---

(1) في نسخة باريس «يعنيهم»، وفي نسخة بودليان «يغنيهم».
(2) في الطبعة الأوربيـة «الفتح».
(3) تاريخ الطبري ٤/١٥٥، ١٥٦.
(4) تاريخ الطبري ٤/١٥٧، ١٥٨.
(5) في تاريخ الطبري «شهربراز».

إنّ معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغتُ بهم الرومَ[1]. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحِبوا رسولَ الله ﷺ، ودخلوا في هذا الأمر بنيّة، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم من يغلبهم، وحتى يُلفَتُوا عن حالهم. فغزا بَلَنْجَرَ غزاة في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلّا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهربوا منه وتحصّنوا، فرجع بالغنيمة والظَّفر، وقد بلغت خيله البيضاءَ على رأس مائتي فرسخ من بَلَنْجر، وعادوا ولم يُقتل منهم أحد.

ثمّ غزاهم أيّام عثمان بن عفّان غزوات، فظفر كما كان يظفر، حتى تبدّل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتدّ استصلاحاً لهم فزادهم فساداً، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك، فتذامرت الترك، واجتمعوا في الغياض، فرمى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غِرَّة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا واشتدّ قتالهم، ونادى منادٍ من الجوّ: صبراً عبد الرحمن وموعدكم الجنّة! فقاتل عبد الرحمن حتى قُتل، وانكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادى منادٍ من الجوّ: صبراً آل سلمان! فقال سلمان: أَوَترى جزَعاً؟ وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدَّوْسيّ على جِيلان، فقطعوها إلى جُرجان، ولم يمنعهم ذلك من إنجاء جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به إلى الآن[2].

ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

في هذه السنة عدَّل عمرُ فتوحَ أهل الكوفة والبصرة بينهم.

وسبب ذلك أنّ عمرَ بن سُراقة كتب إلى عمر بن الخطّاب يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجْز خراجهم عنهم، وسأله أن يزيدهم أحد الماهَيْن أو ماسَبَذان، وبلغ أهلَ الكوفة ذلك، وقالوا لعمّار بن ياسر، وكان على الكوفة أميراً سنة وبعض أخرى: اكتب إلى عمر أنّ رامَهُرمز وإيذَج لنا دونهم، لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما، فلم يفعل عمّار، فقال له عُطارد: أيها العبدُ الأجدع فعلامَ تدع فَيْئنا[3]؟ فقال: لقد سببتَ أحبّ أذني إليّ! فأبغضوه لذلك. واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة، وادّعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان، أيّام أمدّ به عمر بن الخطّاب أهل الكوفة. فقال لهم

---

(١) في تاريخ الطبري «الردْم».
(٢) تاريخ الطبري ٤/١٥٨، ١٥٩.
(٣) في الطبعة الأوربية «فينا».

أهل الكوفة: أتيتمونا مَدَداً، وقد افتتحنا البلاد فأنشبناكم[1] في المغانم، والذمّة ذمّتنا، والأرض أرضنا. فقال عمر: صدقوا. فقال أهل الأيام والقادسيّة ممّن سكن البصرة: فلْتُعطونا نصيبنا ممّا نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم. فأعطاهم عمر مائة دينار برِضا أهل الكوفة، أخذها مَنْ شهد الأيّامَ والقادسيّة.

ولما وليَ معاوية، وكان هو الذي جنَّد قِنّسرين ممّن أتاه من أهل العراقين أيّام عليّ، وإنّما كان قِنَّسرين رُستاقاً من رساتيق حمص، فأخذ لهم معاوية حين وليَ بنصيبهم من فتوح العراق وأذْرَبيجان والمَوْصل والباب، لأنّه من فتوح أهل الكوفة. وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة[2]، انتقل إليها كلّ من نزل بهجرته من أهل البلدين أيّام عليّ، فأعطاهم معاوية من ذلك نصيباً.

وكفر أهل أرمينية أيّام معاوية، وقد أمَّر حبيبَ بن مَسْلمة على الباب، وحبيب يومئذ بجُرْزان، وكاتب أهلَ تَفْلِيس وتلك الجبال من جُرْزان فاستجابوا له[3].

ذكر عزل عمّار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمُغيرة بن شُعْبة

وفيها عزل عمرُ بن الخطّاب عمّارَ بن ياسر عن الكوفة، واستعمل أبا موسى. وسبب ذلك أنّ أهل الكوفة شكَوه وقالوا له: إنّه لا يحتمل ما هو فيه، وإنّه ليس بأمين، ونزا به[4] أهل الكوفة. فدعاه عمر، فخرج معه وفدٌ يريد أنهم معه، فكانوا أشدّ عليه ممّن تخلّف عنه[5]، وقالوا: إنّه غير كافٍ وعالم بالسياسة، ولا يدري على ما استعملته. وكان منهم سعد بن مسعود الثقفيّ، عمّ المختار، وجرير بن عبد الله، فسَعَيا به، فعزله عمر. وقال عمر لعمّار: أساءك العزْلُ؟ قال: ما سرّني حين استُعملتُ ولقد ساءني حين عزُلتُ. فقال له: قد علمتُ ما أنت بصاحب عمل، ولكنّي تأوّلتُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[6].

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/١٦١ «فآسيناكم».

(٢) في الأوربية «نافلة» والناقلة من الناس الذين دأبهم الانتقال من مكان إلى آخر.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٦٠ ـ ١٦٢.

(٤) في الطبعة الأوربية: ويرابه.

(٥) في الطبعة الأوربية: فكانوا أشد عليه من يخلف عنه.

(٦) سورة القصص ـ الآية ٥.

ثمّ أقبل عمر على أهل الكوفة فقال: من تريدون؟ قالوا: أبـا موسى. فـأمّره عليهم بعد عمّار. فأقام عليهم سنة فباع غلامه العَلَف، فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا: إنّ غـلامه يتّجـر في جسرنـا، فعزلـه عنهم وصرفـه إلى البصرة. وصرف عمرُ ابنَ سراقة إلى الجزيرة.

وخلا عمر في ناحية المسجـد فنام، فـأتاه المغيـرة بن شُعبة فحـرسه حتى استيقظ، فقال: ما فعلتُ هذا يا أميرَ المؤمنين إلّا من عظيم. فقال: وأيّ شيء أعظم من مـائة ألف لا يَرضَون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير؟ وأحيطت الكـوفة على مـائة ألف مقـاتل. وأتـاه أصحابه فقالوا: ما شأنك؟ فقال: إنّ أهل الكوفة قد عضَّلوني[1]. واستشارهم فيمن يولّيه. وقال: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم، أو رجل قـويّ مسدّد؟ فقـال المغيرة: أمّـا الضعيف المسلم فإنّ إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأمّا القوي المسدّد[2] فإنّ سداده لنفسه وقوّته للمسلمين. فولّى المغيرةَ الكوفة، فبقي عليها حتى مات عمـر، وذلك نـحـو سنتين وزيادة. وقال له حين بعثه: يـا مغيرة ليـأمنْك الأبـرار، وليخفْك الفُجّـار. ثمّ أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة، فقُتل عمر قبل ذلك فأوصى[3] به[4].

ذكر فتح خُراسان

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خُراسان، في قول بعضهم. وقيل: سنة ثماني عشرة.

وسبب ذلك أنّ يزدجرد لما سـار إلى الريّ بعـد هزيمـة أهل جَلولاء، وانتهى إليهـا وعليها أبان جاذويه وثب عليه فأخذه. فقال يَزْدَجِرد: يـا أبان تغـدرني! قال: لا ولكن قـد تركتَ مُلْكك، فصار في يد غيـرك، فأحببتُ أن أكتتب على مـا كان لي من شيء. وأخـذ خاتمَ يَزْدَجِرد، واكتتب الصّكاك بكل ما أعجبـه، ثمّ ختم عليها وردّ الخـاتم، ثمّ أتى بعدُ سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه[5].

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/١٦٥ «عضّلوا بي». أي ضاق بي أمرهم.
(٢) في تاريخ الطبري ٤/١٦٥ «المشدّد».
(٣) في الطبعة الأوربيـة «فأرضى».
(٤) تاريخ الطبري ٤/١٦٣ ـ ١٦٥.
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٦٦.

وسار يَزْدجِرد من الريّ إلى أصبهان، ثمّ منها إلى كَرْمان والنار معه، ثمّ قصد خراسان فأتى مرو فنزلها، وبنى للنار بيتاً، واطمأنّ وأمِن من أن يؤتى، ودان له من بقي من الأعاجم. وكاتب الهُرْمُزان وأثار أهل فارس، فنكثوا، وأثار أهل الجبال والفيرُزان، فنكثوا، فأذِن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس، فسار الأحنف إلى خُراسان، فدخلها من الطَّبَسَيْن، فافتتح هَراة عنوةً، واستخلف عليها صُحار بن فلان العبديَّ، ثمّ سار نحو مَروَ الشاهجان، فأرسل إلى نيسابور مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخّير، وإلى سَرْخَس الحارث بن حسّان، فلمّا دنا الأحنف من مَرْو الشاهجان خرج منها يَزْدجِرد إلى مَرْو الرُّوذ حتى نزلها، ونزل الأحنف مَرْو الشاهجان، وكتب يَزْدجِرد، وهو بَمْرو الرُّوذ، إلى خاقان وإلى ملك الصُّغد وإلى ملك الصين يستمدّهم. وخرج الأحنف من مَرْو الشاهجان واستخلف عليها حارثَة بن النعمان الباهليَّ بعدما لحِقت به أمداد أهل الكوفة، وسار نحو مَرْو الرُّوذ.

فلمّا سمع يزدجرد سار عنها إلى بلْخ، ونزل الأحنف مَرْو الروذ. وقدِم أهل الكوفة إلى يزدجرد واتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فانهزم يزدجرد وعبر النهر، ولحِق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم؛ فبلْخ من فتوحهم.

وتتابع أهل خُراسان من هرب وشذّ على الصلح فيما بين نَيسابور إلى طُخَارستان، وعاد الأحنف إلى مَرْو الرُّوذ فنزلها، واستخلف على طُخارستان رِبْعيّ بن عامر، وكتب الأحنفُ إلى عمر بالفتح، فقال عمر: وددتُ أنّ بيننا وبينها بحراً من نار. فقال عليّ: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنّ أهلها سينفضُون منها ثلاث مرات فيُجتاحون[1] في الثالثة، فكان ذلك بأهلها أحبّ إليّ من أن يكون بالمسلمين[2].

وكتب عمر إلى الأحنف أن يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه.

ولما عبر يزدجِرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فَرْغانة والصُّغْد، فرجع يزدجِرد وخاقان إلى خُراسان فنزلا بلْخ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمَرْو الرُّوذ، ونزل المشركون عليه بمرو أيضاً.

وكان الأحنف لما بلغه خبر عبور يَزْدجِرد وخاقان النهر إليه خرج ليلاً يتسمّع هل يسمع برأي ينتفع به، فمرّ برجلين ينقّيان عَلَفاً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أَسْنَدَنا الأمير إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدوّنا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا

---

(١) في الأوربية «سينقضون». فيحتاجون. (يجتاحون أي يهلكون).
(٢) تاريخ الطبري ٤/١٦٨.

من خلْفنا، وكان قتالنا من وجهٍ واحدٍ رجوتُ أن ينصرنا الله. فرجع، فلمّا أصبح جمع الناسَ ورحل بهم إلى سفح الجبل، وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحوٌ منهم، وأقبلت الترك ومن معها، فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم، وفي الليل يتنحّون عنهم.

فخرج الأحنف ليلةً طليعةً لأصحابه، حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان وقف، فلمّا كان وجه الصبح خرج فارس [من] الترك بطَوْقه، فضرب بطبله، ثمّ وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا، فطعنه الأحنف فقتله وأخذ طوق التركيّ ووقف، فخرج آخر من الترك ففعل فِعْل صاحبه، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا، فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف، ثمّ خرج الثالث من الترك ففعل فِعْلَ الرجلين، فحمل عليه الأحنف فقتله، ثمّ انصرف الأحنف إلى عسكره.

وكانت عادة الترك أنّهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء، كلّهم يضرب بطبله، ثمّ يخرجون بعد خروج الثالث. فلمّا خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتّلين تشاءم خاقان وتطيّر فقال: قد طال مقامنا وقد أصيب فرساننا، ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير؛ فرجعوا. وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم أحداً، وأتاهم الخبرُ بانصراف خاقان والترك إلى بلْخ، وقد كان يزدجرد ترك خاقانَ مقابل المسلمين بمَرْو الرُّوذ، وانصرف إلى مرو الشاهجان، فتحصّن حارثةُ بن النعمان ومن معه، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها، وخاقان مقيم ببلْخ.

فلمّا جمع يزدجرد خزائنه، وكانت كبيرة عظيمة، وأراد أن يلحق بخاقان قال له أهل فارس: أيّ شيء تريد أن تصنع؟ قال: أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصّين. قالوا له: إنّ هذا رأي سوء، إرجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنّهم أوفياء وهم أهل دِين، وإنّ عدوّاً يلينا في بلادنا أحبّ إلينا مملكةً من عدوٍّ يلينا في بلاده ولا دِين لهم، ولا ندري ما وفاؤهم. فأبَى عليهم. فقالوا: دع خزائننا نردّها إلى بلادنا ومَن يلينا لا تخرجها من بلادنا. فأبَى، فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه وأخذوا الخزائنَ واستولوا عليها، وانهزم منهم ولحِق بخاقان، وعبر النهر من بلْخ إلى فَرغانة، وأقام يزدجرد ببلد الترك، فلم يزل مقيماً زمن عمر كلّه إلى أنْ كفر أهل خُراسان زمن عثمان، وكان يكاتبهم ويكاتبونه. وسيرِد ذِكر ذلك في موضعه.

ثمّ أقبل أهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الأحنف، فصالحوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة، واغتبطوا بملك المسلمين. وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية.

وسار الأحنف إلى بلْخ فنزَلها بعد عبور خاقان النهر منها، ونزل أهل الكوفة في كُورها الأربع. ثمّ رجع إلى مَرْو الرُّوذ فنزلَها، وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر.

ولما عبر خاقان ويزدجرد النهرَ لقِيا رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين، فأخبرهما[1] أنّ ملك الصين قال له: صفْ لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنّي أراك تذكر قلّةً منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم، إلاّ بخيرٍ عندهم وشرٍّ فيكم. فقلت: سَلْني عمّا أحببتَ. فقال: أيُوفُون بالعهد؟ قلتُ: نعم. قال: وما يقولون لكم قبل القتال؟ قال قلت: يدعوننا إلى واحدةٍ من ثلاث: إمّا دِينهم، فإنْ أجبنا أجْرَوْنا مجراهم، أو الجزية والمَنعة، أو المُنابذة. قال: فكيف طاعتم أمراءهم؟ قلت: أطْوَع قوم وأرشدهم. قال: فما يُحلّون وما يُحرّمون؟ فأخبرته. قال: هل يُحلّون ما حُرّم عليهم أو يحرّمون ما حُلّل لهم؟ قلت: لا. قال: فإنّ هؤلاء القوم لا يزالون على ظفرٍ حتى يُحلّوا حرامَهم أو يُحرّموا حلالهم. ثمّ قال: أخبِرْني عن لباسهم؟ فأخبرته، وعن مَطاياهم؟ فقلت: الخيلُ العِراب، ووصفتها له. فقال: نِعْمَت الحصون! ووصفتُ له الإبل وبروكها وقيامها بحملها. فقال: هذه صفة دوابّ طوال الأعناق. وكتبَ معه إلى يزدجرد: إنّه لم يمنعني أن أبعث إليك بجُنْد أوّله بمَرْو وآخره بالصّين الجهالةُ بما يحقّ عليّ، ولكنّ هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدُّوها، ولو خلا لهم سربهم[2] أزالوني ما داموا على [ما] وصف، فسالمْهم وارضَ منهم بالمساكنة[3]، ولا تهيِّجهم ما لم يهيّجوك. فأقام يزدجرد بفَرْغانة ومعه آل كسرى بعهدٍ من خاقان.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر بن الخطّاب جمع الناس، وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح، وحمد الله في خطبته على إنجاز وعده، ثمّ قال: ألا وإنّ ملك المجوسيّة قد هلك، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم. ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فلا تبدِّلوا فيستبدل اللَّهُ بكم غيرَكم، فإنّي لا أخاف على هذه الأمّة أن تؤتى إلاّ من قِبَلكم[4].

وقيل: إنّ فتح خُراسان كان زمن عثمان، وسيرِد هناك.

---

(١) في نسخة الأصل «فأخبرهم».

(٢) في نسخة بودليان «شعرهم».

(٣) في الطبعة الأوربية «بالمسالمة».

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٤/١٦٦ - ١٧٣.

ذكر فتح شَهْرَزور والصامغان

لما استعمل عمرُ عَزْرَةَ بن قيس على حُلوان حاول فتح شَهْرَزُور[1]، فلم يقدر عليها، فغزاها عُتبة بن فرقد، ففتحها بعد قتالٍ على مثل صُلح حُلوان، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت. وصالح أهلَ الصَّامَغان[2] ودارابَاذ[3] على الجِزية والخراج، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد. وكتب إلى عمر: إنّ فتوحي قد بلغت أذْرَبيجان. فولّاه إيّاها وولّي هرثمة بن عَرْفَجة الموصل. ولم تزل شَهْرَزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين.

وفيها وُلد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان.

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب؛ وكان عمّاله على الأمصار فيها عمّاله في السنة قبلها إلّا الكوفة، فإنّ عامله كان عليها المغيرة بن شُعبة، وإلّا البصرة فإنّ عامله عليها صار أبا موسى الأشعريّ[5].

---

(١) شَهْرَزُور: بالفتح ثم السكون، كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زُور بن الضّحّاك، ومعنى شهر بالفارسية: المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٧٥).

(٢) الصَّامَغان: بفتح الميم والغين المعجمة. كورة من كور الجبل في حدود طبرستان. (معجم البلدان ٣/٣٩٠).

(٣) داراباذ: قلعة حصينة في جبال طبرستان. (معجم البلدان ٢/٤١٨).

(٤) الخبر في فتوح البلدان ٤١٠، والخراج لقدامة ٣٨٣.

(٥) تاريخ الطبري ٤/١٧٣.

٢٣
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

قال بعضهم: كان فتح إِصْطَخْر سنة ثلاثٍ وعشرين. وقيل: كان فتحها بعد تَوَّج الآخرة[١].

ذكر الخبر عن فتح تَوَّج

لما خرج أهل البصرة الذين توجّهوا إلى فارس أمراء عليها، وكان معهم[٢] سارية بن زُنَيْم الكِنانيّ، فساروا وأهل فارِس مجتمعون بتَوَّج[٣] فلم يقصدهم المسلمون، بل توجَّه [كلّ] أمير إلى الجهة التي أُمِّر بها. وبلغ ذلك أهلَ فارس، فافترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون، فكانت تلك هزيمتهم وتشتُّت أمورهم. فقصد مُجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُرَّه، فالتقى هو والفرس بتَوَّج، فاقتتلوا ما شاء الله، ثمّ انهزم الفرس، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا كلّ قِتلة، وغنِموا ما في عسكرهم، وحصروا توّج فافتتحوها، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا ما فيها، وهذه تَوّج الآخرة، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء[٤] بن الحضرميّ أيّام طاووس. ثمّ دُعوا إلى الجزية، فرجعوا وأقرّوا بها. وأرسل مجاشع بن مسعود السُّلَمي بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطّاب[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٧٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «معها».

(٣) تَوَّج: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه أيضاً. وهي توّز بالزاي، مدينة بفارس قريبة من كازرون. (معجم البلدان ٢/٥٦).

(٤) العبارة في تاريخ الطبري: «والأولى التي تُنُقِّذ فيها جنود العلاء».

(٥) تاريخ الطبري ٤/١٧٤، ١٧٥.

ذكر فتح إصطَخْر وجُور وغيرهما[1]

وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لإصْطَخـر، فالتقى هـو وأهل إصـطَخْر بجُـور، فاقتتلوا وانهزم الفـرس، وفتح المسلمـون جور[2] ثمّ إصـطخر، وقتلوا مـا شاء الله، ثمّ فـرّ منهم من فرّ، فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمّة، فأجابه الهِرْبِذُ إليها، فتـراجعوا، وكـان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم، فبعث بخُمْسها إلى عمر وقسّم الباقي في الناس.

وفتـح عثمان كـازرون[3] والنُّوبَنْـدجان[4] وغلب على أرضهـا؛ وفتح هـو وأبو مـوسى مدينة شيراز وأرَّجان، وفتحا سِينيز[5] على الجـزية والخـراج. وقصد عثمـان أيضاً جَنّـابا[6] ففتحها، ولقِيه جمْع الفرس بناحية جَهْرم[7] فهزمهم وفتحها.

ثمّ إن شَهْرك خلع في آخر خلافة عمر وأوّل خلافة عثمان. فوُجِّه إليه عثمان بن أبي العاص ثانيةً[8] وأتته الأمداد من البصرة وأميرهم عُبيد الله بن مَعْمَر وَشِبْل بن معبد، فالتقـوا بـأرض فارس. فقـال شهرك لابنـه وهما في المعـركة، وبينهمـا وبين قريـة لهما[9] تـدعى رِيشَهْر[10] ثلاثة فراسخ: يا بنيّ أين يكون غداؤنا ههنا أم بـريشَهْر[10]؟ قـال له: يـا أبه، إن تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بـرِيشَهْر[10]، ولا نكـوننَّ إلاّ في المنزل، [ولكن والله] مـا أراهم يتـركوننـا. فما فـرغا من كـلامهما حتى أنشب المسلمـون الحـرب، فـاقتتلوا قتـالاً

---

(١) أنظر عن فتح إصطخر في: تاريخ خليفة ١٥٢، وفتوح البلدان ٤٧٨ ومـا بعدهـا، والخراج لقـدامة ٣٨٩، وتاريخ الطبري ٤/١٧٥، ونهاية الأرب ١٩/٢٧٧، والبدء والتاريخ ٥/١٨٣، والفتوح لابن أعثم ٢/٧١، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٢٢.

(٢) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. (معجم البلدان ٢/١٨١).

(٣) كازَرُون: بتقديم الزاي. مدينة بفارس بين البحر وشيراز. (معجم البلدان ٤/٤٢٩).

(٤) النُوبَنْدَجان: بالضم ثم السكون، وباء موحّدة مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مفتوحة، مدينـة من أرض فارس من كورة سابور قريبة من شعب بَوّان، وبينها وبين أرّجان ٢٦ فرسخاً، وبينهـا وبين شيراز قـريب من ذلك. (معجم البلدان ٥/٣٠٧) وانظر عنها وعن كازرون في فتوح البلدان ٤٧٨.

(٥) سينيز: بكسر أولـه وسكون ثـانيه. بلد على سـاحل بحـر فارس أقـرب إلى البصرة من سيـراف وتقرب من جنّابة. (معجم البلدان ٣/٣٠٠).

(٦) جنّابة: بالفتح ثم التشديد. بلدة صغيرة من سواحل فارس. (معجم البلدان ٢/١٦٥) وانـظر فتوح البلدان ٤٧٨.

(٧) جَهْرم: بالفتح ثم السكون، وفتـح الراء. مـدينة بفـارس يُعمَل فيهـا بُسُط فاخـرة (معجم البلدان ٢/١٩٤) وانظر عنها في فتوح البلدان ٤٧٨.

(٨) في الطبعة الأوروبيـة «ابنه».

(٩) في نسخة الأصل: «وبينهم لهم، وهم».

(١٠) في الطبعة الأوروبية، شهرك. والصحيـح ما أثبتنـاه كما في الـطبري. وَريشَهْـر: ناحيـة من كورة أرّجـان. (معجم البلدان ٣/١١٢).

شديداً، وقُتل شهرك وابنه وخلق عظيم. والذي قتل شهرك الحَكَم بن أبي العاص أخو عثمان. وقيل: قتله سوّار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله. وحمل ابن شهرك على سوّار فقتله.

وقيل: إنّ إصطَخْر كانت سنة ثمانٍ وعشرين، وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين[1].

وقيل: إنّ عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحَكَم من البحرين في ألفين إلى فارس، ففتح جزيرة بَرْكاوان[2] في طريقه ثمّ سار إلى تَوَّج، وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك، وكان الجارود وأبو صُفرة على مجنبتي المسلمين فهزموهم. فقال الجارود: أيّها الأمير ذهب[3] الجند. فقال: سترى أمرك. قال: فما لبثوا حتى رجعت خيلٌ لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنُثرت الرؤوس فرأى المُكَعْبِرُ[4] رأساً ضخماً فقال: أيّها الأمير هذا رأس الازدهاق، يعني شهرك. وحوصر الفرس بمدينة سابور، فصالح عليها ملكها أرزنبان[5]، فاستعان به الحَكَم على قتال أهلِ إصطَخْر. ومات عمر. وبعث عثمانُ بن عفّان عبيدَ الله بن مَعْمَر مكانه، فبلغ عبيدَ الله أنّ أرزنبان[5] يريد الغدر به، فقال له: أُحبّ أن تتّخذ لأصحابي طعاماً وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فإنّي أُحبّ أن أتمشَّش العظام[6]، ففعل وجعل يأخذ العظْم الذي لا يُكسر إلّا بالفؤوس، فيكسره بيده ويأخذ مُخَّه، وكان من أشدّ الناس، فقام أرزنبان فأخذ برِجْله وقال: هذا مقام العائذ بك! فأعطاه[7] عهداً. وأصاب عبيدَ الله منجنيق فأوصاهم وقال: إنّكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله، فاقتلوهم بي[8] ساعة فيها، ففعلوا، فقتلوا منهم بشراً كثيراً[9]، ومات عُبيد الله بن مَعْمَر.

وقيل: إنّ قتْله كان سنة تسعٍ وعشرين.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٧٦.

(٢) في نسخة المتحف البريطاني «ابن كلوار»، وفي نسخة بودليان «ابن كلوان». وقال ياقوت: ناحية بفارس. (معجم البلدان ١/٣٩٩).

(٣) في الأوربية: فرد.

(٤) هو أحد ملوك الفرس، فارق جيش كسرى والتحق بالعرب.

(٥) في الطبري ٤/١٧٧ آذَرْبيان.

(٦) (تمشش العظم: مصه واستخرج منه المخ).

(٧) في الطبعة الأوربية «وأعطاه».

(٨) في الطبعة الأوربية: لي.

(٩) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٧٥ - ١٧٧.

ذكر فتح فَسَا ودارابْجِرْد

وقصد ساريةُ بن زُنَيْم الدئلي فسا[١] ودارابْجِرْد[٢] حتى انتهَى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثمّ إنهم استمدّوا وتجمّعوا، وتجمّعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمعٌ كثير، وأتاهم الفرس من كلّ جانب، فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان ابن زُنَيْم والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها أحيط بهم، وإن استندوا إلى جبلٍ من خلفهم لم يؤتَوا إلّا من وجهٍ واحد. فقام فقال: يا أيّها الناس، إنّي رأيتُ هذين الجمعين، وأخبر بحالهما، وصاح عمر وهو يخطب: يا سارية بن زُنَيْم، الجبلَ الجبلَ! ثمّ أقبل عليهم وقال: إنّ لله جنوداً، ولعلّ بعضها أن يبلّغهم[٣]. فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤوا إلى الجبل، ثمّ قاتلوهم، فهزمهم الله وأصاب المسلمون مغانمَهم، وأصابوا في الغنائم سَفَطاً فيه جوهر، فاستوهبه منهم[٤] سارية وبعث به وبالفتح مع رجل إلى عمر. فقدم على عمر وهو يُطعم الطعام، فأمره فجلس وأكل، فلمّا انصرف عمر اتّبعه الرسول، فظنّ عمرُ أنّه لم يشبع، فأمره فدخل بيته، فلمّا جلس أُتِيَ عمر بغدائه خبز وزيت وملح جَريش فأكلا. فلمّا فرغا قال الرجل: أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين. قال: مرحباً وأهلاً. ثمّ أدناه حتى مَسَّتْ ركبتُهُ ركبتَهُ[٥] وسأله عن المسلمين، فأخبره بقصة الدُّرْج[٦]، فنظر إليه وصاح به: لا ولا كرامةَ حتى يَقْدَم على ذلك الجُنْد فيقسّمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قد أنضيتُ جملي واستقرضتُ في جائزتي، فأعطِني ما أتبلّغ به. فما زال به حتى أبدَله بعيراً من إبِل الصدقة، وجعل بعيرَه في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً. وسأل أهلُ المدينة الرسولَ هل سمعوا شيئاً يوم الوقعة؟ قال: نعم سمعنا: يا سارية، الجبلَ الجبلَ، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا[٧].

---

(١) فَسَا: بالفتح والقصر. مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل. (معجم البلدان ٤/٢٦٠).

(٢) دارابْجِرْد: ولاية بفارس. وقرية من كورة إصطخر. وموضع بنيسابور. (معجم البلدان ٢/٤١٩).

(٣) في الطبعة الأوربية «تبلغهم».

(٤) إضافة من النسخة (ب).

(٥) في الأوربية: حتى مس ركبته.

(٦) (الدُّرج: سُفيط صغير).

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٧٨، ١٧٩، وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٦ أن قول عمر: يا سارية الجبل الجبل، كان في جيش نهاوند وغزوتها سنة ٢١ هـ. وهذا الخبر أخرجه ابن الجوزي في مناقب عمر ١٧٢، ١٧٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٢/٢٤٤، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٦، وابن=

ذكر فتح كَرْمان[1]

ثمّ قصد سُهَيل بن عدي كَرْمَانَ[2]، ولحِقه أيضاً عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان، وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقُفْص، فاقتتلوا في أداني أرضهم، ففضّ الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق. وقتل النُّسيرُ بن عمرو العِجْليّ مَرْزُبانَها، فدخل سهيل[3] من قِبَل طريق القُرى اليوم إلى جِيرَفت[4]، وعبد الله بن عبد الله من مفازة سِير[5]، فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء، فقوَّموا الإبل والغنم فتحاصُّوها بالأثمان لعِظَم البُخت على العِراب[6]، وكرهوا أن يزيدوا، وكتبوا إلى عمر بذلك، فأجابهم: إذا رأيتم أنّ في البُخت فضلاً فزيدوا[7].

وقيل: إنّ الذي فتح كرمان عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعيّ في خلافة عمر: ثمّ أتى الطَّبَسَين من كرمان، ثمّ قدِم على عمر فقال: أقطِعْني الطَّبَسين، فأراد أن يفعل، فقيل: إنّهما رُستاقان، فامتنع عمر من ذلك[8].

ذكر فتح سِجِستان[9]

وقصد عاصم بن عمرو سِجِستان، ولحِقه عبد الله بن عُمير، فاستقبلهم أهلها، فالتقوا هم وأهل سِجِستان في أداني أرضيهم، فهزمهم المسلمون، ثمّ اتبعوهم حتى

= حجر في الإصابة ٢/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ٣/٢٤٩.

(١) أنظر عنها في: فتوح البلدان ٤٨٢، والخراج لقدامة ٣٩٠، وتاريخ الطبري ٤/١٨٠، ونهاية الأرب ١٩/٢٧٩، وتاريخ ابن خلدون ٢/٢٧٣، والبداية والنهاية ٧/١٣٢، تاريخ الإسلام ٣/٢٥٠.

(٢) كُرمان: بالفتح ثم السكون، ورُبّما كُسِرت والفتح أشهر بالصحة. ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (معجم البلدان ٤/٤٥٤).

(٣) في الأصل: النسير. وهو غلط. والتصحيح من الطبري.

(٤) جِيرَفْت: بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء. مدينة بكرمان، كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان. (معجم البلدان ٢/١٩٨).

(٥) في طبعة صادر ٣/٤٣ «سِير». وما أثبتناه عن النسخة (ب)، والطبري ٤/١٨٠، وهي شِيرجان على الأرجح، ويقال: سيرجان قصبة كرمان. (أنظر معجم البلدان ٣/٣٨١).

(٦) في الأوربية: العرب.

(٧) تاريخ الطبري ٤/١٨٠.

(٨) تاريخ الطبري ٤/١٨٠.

(٩) أنظر عن فتح سجستان: فتوح البلدان ٤٨٤، والخراج لقدامة ٣٩٢، وتاريخ الطبري ٤/١٨٠، ونهاية الأرب ١٩/٢٨٠، والبداية والنهاية ٧/١٣٢، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٢٣ (بقية الجزء الثاني)، وتاريخ الإسلام ـ بتحقيقنا ـ ٣/٢٥٠.

حصروهم بزَرَنْج[1]، ومخروا أرض سِجِستان ماه، ثمّ إنّهم طلبوا الصلح على زَرَنج وما احتازوا من الأرضِين فأعطوا، وكانوا قد اشترطوا في صلحهم أن فدافدها حِمىً، فكان المسلمون يتجنّبونها خشيةَ أن يصيبوا منها شيئاً فيُخفروا، وأقيم[2] أهل سِجِستان على الخراج، وكانت سِجِستان أعظم من خُراسان وأبعد فروجاً، يقاتلون القُنْدُهار والترك وأمماً كثيرة، فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية، فهرب الشاه من أخيه رُتْبِيل[3] إلى بلد فيها يدعى آمُل، ودان لسَلْم بن زياد، وهو يومئذ على سجستان، [ففرح بذلك] وعقد لهم وأنزلهم البلاد، وكتب إلى معاوية بذلك يُري أنّه فُتح عليه. فقال معاوية: إنّ ابن أخي ليفرح بأمرٍ إنّه[4] ليحزنني [وينبغي له أن يحزنه]. قال: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّ آمُل بلدة بينها وبين زَرَنج صعوبة وتضايق، وهؤلاء قوم غُدُر، فإذا اضطرب الحبل غداً[5] فأهون ما يجيء منهم أنهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها. وأقرّهم على عهد سَلْم بن زياد. فلمّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رُتْبيل بمكانه، ولم يُرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زَرَنج فغزاها وحصر من بها، حتى أتتهم الأمداد من البصرة، وصار رُتْبيل والذين معه عُصبة، وكانت تلك البلاد مذلّلة إلى أن مات معاوية[6].

وقيل في فتح سجستان غير هذا، وسيرِد ذِكره إن شاء الله تعالى.

ذكر فتح مُكْران[7]

وقصد الحَكَم بن عمرو التغلبيّ مُكران حتى انتهى إليها، ولحِق به شهاب بن المخارق وسُهيل بن عديّ وعبد الله بن عبد الله بن عِتبان، فانتهوا إلى دُوَيْن النهر، وأهل مُكران على شاطئه، فاستمدّ ملكُهم ملكَ السند، فأمدّه بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين فانهزموا، وقُتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم

---

(١) زَرَنج: بفتح أوله وثانيه، مدينة هي قصبة سجستان. (معجم البلدان ١٣٨/٣).
(٢) في الطبعة الأوروبية «قيّم».
(٣) في النسخة (ب): «رنسل». ووردت مصحّفة إلى: زنبيل ورتبيل.
(٤) في الأوربية: ليفرح بإمارته.
(٥) في الأوربية: الجبل غدراً.
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١٨٠/٤، ١٨١.
(٧) أنظر عن فتح مكران في: فتوح البلدان ٥٣٢، وفيه أن فاتحها هو: حُكيم بن جبلة العبدي، والخراج لقدامة ٤١٤ وفيه أن فاتحها هو: معاوية بن سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، وتاريخ الطبري ١٨١/٤ والفاتح هو الحكم بن عمرو التغلبيّ، كما في نهاية الأرب ٢٨٠/١٩، والبداية والنهاية ١٣٢/٧، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٣، وتاريخ الإسلام ٢٥٠/٣.

أيّاماً حتى انتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون إلى مُكران فأقاموا بها. وكتب الحَكَم إلى عمرَ بالفتح، وبعث إليه بالأخماس مع صُحار العبدي. فلمّا قدِم المدينة سأله عمر عن مُكران، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هي أرضٌ سهلها جبل، وماؤها وشَلٌ، وتمرها دَقَلٌ[1]، وعدوّها بطل؛ وخيرُها قليلٌ، وشرّها طويلٌ، والكثير فيها قليلٌ، والقليل فيها ضائع، وما وراءها شرّ منها. فقال: أسَجّاع أنت أم مخبِر؟ لا والله لا يغزوها جيش لي أبداً. وكتب إلى سهيل والحَكَم بن عمرو: أن لا يجوزنّ مُكران أحد من جنودكما. وأمرهما ببيع الفِيَلة التي غنِمها المسلمون ببلاد الإسلام (وقسْم أثمانها على الغانمين)[2].

(مُكْران بضم الميم وسكون الكاف)[3].

ذكر خبر بَيروذ من الأهواز[4]

ولما فَصَلت الخيولُ إلى الكُوَر، اجتمع ببَيروذ[5] جمعٌ عظيمٌ من الأكراد وغيرهم. وكان عمر قد عهِد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى ذمّة البصرة، حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يُخلَفوا في أعقابهم، فاجتمع الأكراد ببَيْرُوذ، وأبطأ أبو موسى حتى تجمّعوا، ثمّ سار[6] فنزل بهم ببَيْرُوذ، فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر، فقام المهاجر بن زياد وقد تحنّط واستقتل[7]، وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا، وتقدّم المهاجر فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتل. ووهّن الله المشركين حتى تحصّنوا في قلّة وذلّة، واشتدّ جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر، وعَظُم عليه فقْدهُ، فرقّ له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جُند، وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جَيّاً، فلمّا فُتحت رجع أبو موسى إلى البصرة، وفتح الربيع بن زياد الحارثي بَيْروذ من نهر تِيرى وغنِمَ ما معهم.

ووفَّد أبو موسى وفداً معهم الأخماس، فطلب ضَبَّةُ بن مِحْصَن العَنَزيُّ أن يكون في

---

(١) الوشل: الماء القليل. الدقل: أردأ التمر.

(٢) العبارة بين القوسين من النسخة (ب). والخبر في الطبري ٤/١٨١، ١٨٢.

(٣) العبارة بين القوسين من النسخة (ب).

(٤) أنظر عنها في: نهاية الأرب ١٩/٢٨١، والبداية والنهاية ٧/١٣٢ (بعنوان غزوة الأكراد)، وكذلك في تاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٤.

(٥) بَيْروذ: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب. وهي كبيرة بها نخل كثير حتى إنهم يسمّونها البصرة الصغرى. (معجم البلدان ١/٥٢٦).

(٦) في نسخة الأصل «ساروا».

(٧) في الطبعة الأوربية «واستقبل».

الـوفد، فلم يُجِبْـه أبو مـوسى، وكان أبـو موسى قـد اختار من سبي بَيْـروذ ستّين غـلامـاً، فانطلق ضَبّة إلى عمر شاكياً، وكتب أبو موسى إلى عمر يخبره، فلمّـا قدِم ضبّـة على عمر سلّم عليه. فقال: من أنت؟ فأخبره. فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! فقـال: أمّا المـرحب فمن الله، وأمّا الأهل فلا أهل. ثمّ سأله عمر عن حاله فقال: إنّ أبـا موسى انتقى ستّين غـلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تُغذّى جفنـةً وتُعشّى جفنةً تـدعى عَقيلة، وله قفيـزان وله خاتمان، وفوّض إلى زياد بن أبي سفيان أمورَ البصرة، وأجاز الحطيئةَ بألف.

فاستدعى عمر أبا موسى. فلمّا قدِم عليه حجبه أيّاماً، ثمّ استدعـاه فسأل عمـرُ ضَبَّة عمّا قال فقـال: أخذ ستّين غـلاماً لنفسـه. فقال أبـو موسى: دُلِلتُ عليهم وكـان لهم فداء ففديتهم وقسّمته بين المسلمين. فقال ضَبّة: ما كذب ولا كذبتُ. فقال: له قفيزان. فقال أبو موسى: قفيزٌ لأهلي أقوتُهم به، وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم. فقـال ضَبَّة: ما كذب ولا كذبتُ. فلمّا ذكر عَقيلةَ سكت أبو موسى ولم يعتذر. فعلم أنّ ضبّة قد صدقه، قـال: وولّى زياداً. قـال: رأيتُ له رأيـاً ونُبلاً فـأسندتُ إليـه عملي. قال: وأجـاز الحطيئة بألف. قال: سددتُ فمه بمالي أن يشتمني. فردّه عمر وأمره أن يُـرسل إليـه زياداً وعَقِيلة، ففعل. فلمّا قدِم عليه زياد سألـه عن حالـه وعطائـه والفرائض والسّننِ والقـرآن، فرآه فقيهاً، فردّه وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة.

وقال عمر: ألا إنّ ضبّةَ غضبَ على أبي موسى وفارقه مراغِماً أنْ فاته أمر من أمور[1] الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبُه صدْقَه، فإيّاكم والكذِب فإنّه يهدي إلى النار[2].

(بَيْروذ: بفتح البـاء الموحـدة، وسكون اليـاء تحتها نقـطتان، وضم الـراء، وسكون الواو، وآخره ذال معجمة).

ذكر خبر سَلَمَة بن قيس الأشجعيّ والأكراد

كـان عمـر إذا اجتمـع إليـه جيش من المسلمين أمّـر عليهم أميـراً من أهـل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش من المسلمين، فبعث عليهم سَلَمَة بن قيس الأشجعيّ. فقال: سِرْ باسم الله، قاتِلْ في سبيل الله مَن كفَر بالله، فإذا لقيتم عدوّكم فادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وأقامـوا بدارهم فعليهم الزكاة، وليس لهم من الفَيء نصيب، وإن ساروا معكم فلهم مثـل الذي لكم وعليهم مثـل الذي عليكم، وإن أَبَـوا فادعـوهم إلى الجِـزيـة، فـإن أجابوا فاقبلوا منهم، وإنْ أبَوْا فقاتلوهم، وإن تحصّنوا منكم وسألوكم أن ينـزلوا على حكم

(١) في الطبعة الأوربيـة: أمر.
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٨٣ ـ ١٨٥.

الله ورسوله (أو ذمّة الله ورسوله)[1] فلا تجيبوهم، فإنّكم لا تدرون أتصيبون حكم الله ورسوله وذمَّتهما أم لا؛ ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا تمثّلوا.

قال: فساروا حتى لقوا عدوّاً من الأكراد المشركين، فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فلم يجيبوا، فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلةَ وسبوا الذّرّيّة، فقسمه بينهم، ورأى سَلَمة جوهراً في سَفَط، فاسترضى عنه المسلمين وبعث به إلى عمر. فقدِم الرسول بالبشارة وبالسَّفَط على عمر، فسأله عن أمور الناس وهو يخبره، حتى أخبره بالسَّفط، فغضب غضباً شديداً وأمر به فُوجىء به في عُنقه، ثمّ إنّه قال: إن تفرّق الناس قبل أن تَقْدَم عليهم ويقسمه سَلَمة فيهم لأسوءنّك. فسار حتى قدِم على سَلَمة[2] فباعه وقسّمه في الناس. وكان الفَصّ يباع بخمسة دراهم، وقيمته عشرون ألفاً[3].

وحجّ بالناس هذه السنة عمر بن الخطّاب، وحجّ معه أزواج النبيّ ﷺ، وهي آخر حجّة حجّها[4]. وفيها قُتل عمر، رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن مقتل عمر، رضي الله عنه

قال المِسْوَر بن مَخْرَمَة: خرج عمر بن الخطّاب يطوف يوماً في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شُعبة، وكان نصرانيّاً، فقال: يا أمير المؤمنين، أَعْدِني[5] على المغيرة بن شُعبة فإن عليَّ خراجاً كثيراً. قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان كلّ يوم. قال: وأيْش صناعتك؟ قال: نجار، نقّاش، حدّاد. قال: فما أرى خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنّك تقول: لو أردتُ أن أصنع رحى تطحن بالريح[6] لفعلت! قال: نعم. قال: فاعمل لي رحى. قال: لئن سلمتَ لأعملنّ لك رحىً يتحدّث بها من بالمشرق والمغرب! ثمّ انصرف عنه. فقال عمر: لقد أوعدني العبدُ الآن.

ثمّ انصرف عمر إلى منزله، فلمّا كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنّك ميّت في ثلاث ليال. قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب التوراة. قال عمر: [آللَّهَ! إنَّكَ] لتجد عمر بن الخطّاب في التوراة؟ قال: اللهمّ لا ولكنّي

---

(١) العبارة من النسخة (ب).

(٢) في الطبعة الأوربية «السلمة».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٨٦ ـ ١٨٩، ونهاية الأرب ١٩/٢٨٣، ٢٨٤، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٤، والبداية والنهاية ٧/١٣٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٩٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٧، طبقات ابن سعد ٣/٢٨٣.

(٥) أَعْدني: أعِنّي وانصرني.

(٦) في النسخة (ب): بالهوا.

أجد حليتك وصفتك وأنّك قد فني أجلُك. قال: وعمر لا يحسّ وَجَعاً! فلمّا كان الغد جاءه كعب فقال: بقي يومان. فلمّا كان الغد جاءه كعبٌ فقال: مضى يومان وبقي يوم. فلمّا أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكّل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبّر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خِنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمرَ ستّ ضربات إحداهنّ تحت سُرّته وهي التي قتلته، وقتل معه كُلَيب بن أبي البُكَير الليثي وكان خلفه[1]، وقتل جماعة غيره.

فلمّا وجد عمر حَرّ السلاح سقط، وأمر عبدَ الرحمن بن عوف فصلّى بالناس، وعمر طريح، فاحتُمل فأُدخل بيته، ودعا عبدَ الرحمن فقال له: إنّي أريد أن أعهد إليك. قال: أتشير عليّ بذلك؟ قال: اللهمّ لا. قال: والله لا أدخل فيه أبداً. قال: فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين تُوُفّي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض. ثمّ دعا عليّاً، وعثمان، والزبير، وسعداً فقال: انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً، فإن جاء وإلّا فاقضوا أمركم؛ أُنشدك اللَّهَ يا عليّ إنْ وليتَ من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أُنشدك الله يا عثمان إن وليتَ من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس، أُنشدك الله يا سعد إنْ وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا ثمّ اقضوا أمركم ولْيُصلّ بالناس صُهَيب[2].

ثمّ دعا أبا طلحة الأنصاريّ، فقال: قم على بابهم فلا تدع أحداً يدخل إليهم. وأُوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوّأوا الدار والإيمان، أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصي الخليفة بالعرب، فإنّهم مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقّها فتوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة بذمّة رسول الله ﷺ، أن يوفي[3] لهم بعهدهم، اللهمّ هل بلّغتُ؟ لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى[4] من الراحة؛ يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلني.

قال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شُعبة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي بيد رجلٍ سجد لله سجدةً واحدةً! يا عبد الله بن عمر، اذهبْ إلى عائشة فسَلْها أن تأذن لي أن أُدفن مع النبيّ ﷺ، وأبي بكر. يا عبد الله، إنِ اختلف القومُ فكن مع الأكثر، فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، يا

---

(١) في الطبعة الأوروبية: وهو حليفه.
(٢) أنظر التنبيه والإشراف للمسعودي ٢٥٢.
(٣) في الأوربية: أن يوفوا.
(٤) في الأوربية: أبقى.

عبدَ الله، إئذن للناس. فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلّمون عليه ويقول لهم: أهذا عن ملإٍ منكم؟ فيقولون: معاذ الله! قال: ودخل كعب الأحبار مع الناس فلمّا رآه عمر قال:

توعَّدني[1] كعبٌ ثلاثاً أُعدُّها ... ولا شكّ أن القول ما قال لي كعبُ
وما بي حِذارُ الموتِ، إنّي لَمَيِّتٌ، ... ولكنْ حِذارُ الذّنبِ يتبعهُ الذنبُ[2]

ودخل عليه عليّ يعودُه، فقعد عند رأسه، وجاء ابن عبّاس فأثنى عليه، فقال له عمر: أنت لي بهذا يا ابن عبّاس؟ فأومأ إليه[3] عليّ أن قل نعم. فقال ابن عبّاس: نعم. فقال عمر: لاتغرّني أنت وأصحابك. ثمّ قال: يا عبد الله، خُذْ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب[4] لعلّ الله، جلّ ذكره، ينظر إليّ فيرحمني، والله لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المُطّلَع.

ودُعي له طبيب من بني الحارث بن كعب، فسقاه نبيذاً فخرج غير[5] متغيّر، فسقاه لبناً فخرج كذلك أيضاً، فقال له: اعهدْ يا أمير المؤمنين. قال: قد فرغتُ[6].

ولما احتُضر ورأسه في حجْر ولده عبد الله قال:

ظَلومٌ لنَفسي غيرَ أنّيَ مسلمٌ ... أُصلّيَ الصّلاةَ كلّها وأصومُ[7]

ولم يزل يذكر الله تعالى ويُديمُ الشهادة إلى أن تُوُفّي ليلة الأربعاء، لثلاثٍ بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين[8]. وقيل: طُعن يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من ذي الحجّة، ودُفن يوم الأحد هلال محرّم سنة أربع وعشرين[9].

وكانت ولايته عشر سنين وستّة أشهر وثمانية أيّام، وبُويع عثمان لثلاثٍ مَضَيْن من المحرَّم[10]. وقيل: كانت وفاته لأربعٍ بقين من ذي الحجّة، وبويع عثمان لليلة بقيت من

---

(١) في الأوربية: فوعدني. وفي تاريخ الطبري ٤/١٩٢ «فأوعدني».
(٢) في الأوربية: ولكن حذار الذنب يتبعه الذئب. والبيتان في تاريخ الطبري، ونهاية الأرب ١٩/٣٧٤.
(٣) في الأوربية: إلى.
(٤) عن حاشية النسخة (ب).
(٥) من نسخة باريس.
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٩٠ ـ ١٩٣.
(٧) البيت في أسد الغابة ٤/٧٦، والاستيعاب ٢/٤٧٣.
(٨) تاريخ الطبري ٤/١٩٣، طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥.
(٩) تاريخ الطبري ٤/١٩٣، أسد الغابة ٤/٧٧، طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥، المنتخب من ذيل المذيل ٥٠٤.
(١٠) تاريخ الطبري ٤/١٩٣.

ذي الحجّة، واستقبل بخلافته هلال محرَّم سنة أربع وعشرين[1]. وكانت خلافة عمر على هذا القول: عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيّام[2]. وصلّى عليه صُهيب، وحُمل إلى بيت عائشة، ودُفن عند النبيّ ﷺ، وأبي بكر، ونزل في قبره عثمان، وعليّ، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وعبد الله بن عمر[3].

ذكر نسب عمر وصفته وعمره

فأمّا نسبه فهو عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزَاح بن عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، وكنيته أبو حفص، وأمّه حَنْتمة بنت هشام[4] بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهي ابنة عمّ أبي جهل، وقد زعم من لا معرفة له أنّها أخت أبي جهل، وليس بشيء[5].

وسمّاه النبيّ ﷺ، الفاروق، وقيل: بل سمّاه أهلُ الكتاب[6].

وأمّا صفته فكان طويلاً آدَمَ أصلعَ أعسرَ يَسَراً، يعني يعمل بيديه، وكان لطوله كأنّه راكبٌ. وقيل: كان أبيض أبهق، يعني شديد البياض، تعلوه حُمرة، طُوالاً أصلع أشْيَب، وكان يصفّر لحيته ويرجِّل رأسه[7]. وكان مولده قبل الفِجار بأربع سنين[8]، وكان عمره

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٩٤، ابن سعد ٣/٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٩٤، أسد الغابة ٤/٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٩٣، طبقات ابن سعد ٣/٣٦٧، أسد الغابة ٤/٧٧.

(٤) كذا في الأصول، والمطبوع، وفي طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥، وتاريخ الطبري ٤/١٩٥، وأسد الغابة ٤/٥٢، ونسب قريش ٣٠١، وجمهرة أنساب العرب ١٤٤، وغيره «هاشم».

(٥) قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢/٤٥٨، ٤٥٩: «وقالت طائفة في أم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة، ومن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام والحارث بن هشام بن المغيرة، وليس كذلك، وإنّما هي ابنة عمّهما، فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان، فهاشم والد حنتمة أم عمر، وهشام والد الحارث وأبي جهل. وهاشم بن المغيرة هذا جدّ عمر لأمّه كان يقال له ذو الرمحين».
ويقول محقق هذا الكتاب الفقير إلى ربّه تعالى خادم العلم «عمر بن عبد السلام التدمريّ الطرابلسي»: لقد نقل المؤلّف «ابن الأثير» ـ رحمه الله ـ هذا القول لابن عبد البرّ في كتابه «أسد الغابة» (٤/٥٢، ٥٣)، فكيف يذكر هنا أنّ أمّ عمر هي حنتمة بنت هشام؟ وكان الأحرى أن يصحّح ذلك إلى «هاشم»، إلاّ أن يكون وهماً من النُّسّاخ.

(٦) تاريخ الطبري ٤/١٩٥، المنتخب من ذيل المذيّل للطبري ٥٠٤.

(٧) تاريخ الطبري ٤/١٩٦، وانظر المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٨، وطبقات ابن سعد ٣/٣٢٤ و٣٢٧.

(٨) تاريخ الطبري ٤/١٩٧ وفي أسد الغابة للمؤلّف ٤/٥٣: قال: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين.

خمساً وخمسين سنة[١]، وقيل: ابن ستّين سنة[٢]، وقيل: ابن ثلاث وستين وسنة وأشهر، وهو الصحيح، وقيل: ابن إحدى وستّين سنة[٣].

(رِياح: بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان).

ذكر أسماء ولده ونسائه

تزوّج عمر في الجاهليّة: زينبَ بنتَ مظْعُون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، فولدتْ له عبدَ الله، وعبدَ الرحمن الأكبر، وحَفْصة. وتزوّج مُلَيْكَةَ بنت جَرْول الخُزاعيِّ في الجاهليّة، فولدتْ له عُبيدَ الله بن عمر، ففارقها في الهدنة، فخلف عليها أبو جَهْم بن حُذَيْفة، وقُتل عُبيد الله بصِفّين مع معاوية، وقيل: كانت أمّه أم زيد الأصغر أم كُلْثوم بنت جَروْل الخُزاعي، وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر. وتزوّج: قُرَيْبة بنت أبي أُمَيَّة المخزوميّ في الجاهليّة، ففارقها في الهدنة أيضاً، فتزوّجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق، فكانا سلفَيْ رسول الله ﷺ، لأنّ قُرَيْبَة أخت أمّ سَلَمَة زوج النبي ﷺ. وتزوّج: أمَّ حَكيم بنت الحارث بن هشام المخزوميّ في الإسلام، فولدت له فاطمة فطلّقها[٤]، وقيل لم يُطَلِّقها. وتزوّج جميلةَ أخت[٥] عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح[٦] الأوسيّ الأنصاريّ في الإسلام، فولدت له عاصماً فطلّقها. ثمّ تزوّج: أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وأمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأصدقها أربعين ألفاً، فولدت له رُقَيَّة وزيداً. وتزوج: لُهَيَّةَ[٧] امرأة من اليمن، فولدت له عبد الرحمن الأوسط، وقيل الأصغر، وقيل: كانت أمَّ ولد، وكانت عنده فُكَيْهة أمّ ولد فولدت له زينب، وهي أصغر ولد عمر. وتزوّج: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر الصدّيق، فقُتل عنها، فلمّا مات عمر تزوّجها الزُّبَيْر بن العوّام[٨]، فقُتل عنها أيضاً، فخطبها عليّ، فقالت: لا أفعل، إنّي أضنّ[٩] بك عن القتل فإنّك بقيّة الناس. فتركها.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٩٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥ وقال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل عندنا.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٦٥، تاريخ الطبري ٤/١٩٨.

(٤) في الأوربية «فأطلقها».

(٥) في الأوربية «بنت».

(٦) في الأوربية «الأفلح».

(٧) في الأوربية «فكيهة».

(٨) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/١٩٨، ١٩٩.

(٩) في النسخة (ب): «أخشى».

وخطب أمَّ كُلْثوم ابنة أبي بكر الصدّيق إلى عائشة، فقالت أمّ كلثـوم: لا حاجـةَ لي فيه، إنّه خشِنُ العيش شديدٌ على النساء. فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فقـال: أنا أكفيك. فأتى عمرَ فقال: بلغني خبرٌ أعيذك بالله منه. قال: ما هو؟ قال: خطبتَ أمّ كلثوم بنت أبي بكر. قال: نعم، أفرغبتَ بي عنها أم رغبتَ بها عنّي؟ قال: ولا واحـدة، ولكنّها حَدثَةٌ نشأت تحت كنف أمير المؤمنين في لِين ورفْق، وفيك غِلظة، ونحن نهابك وما نقدر أن نـردَّك عن خُلق من أخلاقـك، فكيف بها إن خـالفَتْكَ في شيء فسطوتَ بها كنتَ قـد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك. وقال: فكيف بعائشـة وقد كلَّمتُهـا؟ قال: أنـا لـك بها وأدلّـك على خير منهـا، أمّ كلثـوم بنت عليّ بن أبي طـالب تَعْلَقْ منهـا بسببٍ من رسول الله ﷺ.

وخـطب أمّ أبان بنت عُتْبَـة بن ربيعة، فكـرهتْه وقـالت: يُغلق بابـه، ويمنَع خيـرَه، ويدخل عابساً ويخرج عابساً[1].

ذكر بعض سيرته، رضي الله عنه

قال عمر: إنّما مثلُ العرب مثل جمل أَنِفٍ اتبع قـائده، فلينـظر قائـدُه حيث يقوده، فأمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنَّهم على الطريق[2]! قال نافع العيشي[3]: دخلتُ حَير[4] الصدقة مـع عمر بن الخـطّاب وعليّ بن أبي طالب، قـال: فجلس عثمان في الـظلّ يكتب، وقـام عليّ على رأسه يُملي عليه ما يقول عمـر، وعمر قـائم في الشمس في يوم شـديد الحـرّ، عليـه بُرْدان أسـودان، اتّزر بـأحدهمـا ولفّ الآخر على رأسـه، يعدّ إبِـل الصَّدقـة، يكتب ألـوانها وأسنـانها. فقـال عليّ لعثمـان: في كتـاب الله: ﴿يَـا أَبَتِ ٱسْتَـأْجِـرْهُ إِنَّ خَيْـرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلأَمِينُ﴾[5] ثمّ أشار عليّ بيده إلى عمر وقال: هذا القويّ الأمين[6].

وقال عبد الله بن عـامر بن ربيعـة: رأيتُ عمر أخـذ بتبنة من الأرض فقـال: يا ليتني هذه التِبْنة، يا ليتني لم أكُ شيئاً، يا ليت أمّي لم تلدني، يا ليتني كنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً[7]. وقال

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٩/٤، ٢٠٠.
(٢) الطبري ٢٠١/٤.
(٣) في تاريخ الطبري: (حدّثنا عمر بن نافع، عن أبي بكر العبسيّ) وهو الصحيح. وفي النسخة هنا سقط.
(٤) في نسختي باريس والمتحف البريطاني «خير»، وفي نسخـة بودليـان «جبر» وفي الـطبعة الأوربيـة «سرّ». و«الحَيْر»: شبه الحظيرة.
(٥) سورة القصص، الآية: ٢٦.
(٦) تاريخ الطبري ٢٠١/٤، أسد الغابة ٧٢/٤.
(٧) طبقات ابن سعد ٣٦٠/٣، مناقب عمر لابن الجوزي ١٦٢.

الحسن: قال عمر: لئن عشتُ إن شاء الله لأسيرنّ في الرعيَّة حولاً، فإنّي أعلم أنّ للناس حوائج تُقطع دوني، أمّا عمّالهم فلا يرفعونها إليّ، وأمّا هم فلا يصِلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم شهرين، وبالجزيرة شهرَين، وبمصر شهرَين، وبالبحرين شهرَين، وبالكوفة شهرَين، وبالبصرة شهرَين، والله لنِعْم الحَوْل هذا[1]! وقيل لعمر: إنّ ههنا رجلاً من الأنبار له بَصَر بالديوان لو اتّخذته كاتباً. فقال: لقد اتخذتُ إذن بطانةً من دون المؤمنين[2].

قيل: خطب عمرُ الناسَ فقال: والذي بعث محمداً ﷺ، بالحقّ لو أنّ جملاً هلك ضياعاً بشطّ الفرات لخشيتُ أن يسألني الله عنه[3].

وقال أبو فِراس: خطب عمرُ الناسَ فقال: أيّها الناس، إنّي ما أُرسل إليكم عمّالاً ليضربوا أبشاركم[4] ولا ليأخذوا أموالكم، وإنّما أُرسلهم إليكم ليعلّموكم دِينكم وسنّتكم، فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسُ عمر بيده لأقصّنّه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن كان رجل من [أُمراء] المسلمين على رعيّة، فأدّب بعض رعيّته إنّك لتقصّه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصّنّه منه، وكيف لا أقصّه منه وقد رأيتُ النّبيّ ﷺ، يقصّ من نفسه! ألا لا تضربوا المسلمين فتذلُّوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتُكَفِّروهم، ولا تُنْزِلوهم الغِياض فتضيّعوهم[5].

قال بكر بن عبد الله: جاء عمر بن الخطّاب إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلّي في بيته ليلاً، فقال له عبد الرحمن: ما جاء بك في هذه الساعة؟ قال: رُفقةٌ نزلت في ناحية السوق خشيتُ عليهم سُرّاق المدينة، فانطلِقْ فلْنحرسهم. فأتيا السوقَ فقعدا على نَشَزٍ من الأرض يتحدّثان، فرُفع لهما مصباحٌ فقال عمر: ألم أنهَ عن المصابيحِ بعد النوم؟ فانطلقا فإذا قوم على شرابٍ لهم. قال: انطلقْ فقد عرفتُه. فلمّا أصبح أرسل إليه قال: يا فلان كنتَ وأصحابك البارحةَ على شراب! قال: وما أعلمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته. قال: أوَلم ينهك الله عن التجسّس؟ فتجاوز عنه[6].

وإنّما نهَى عمر عن المصابيح لأنّ الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٠١، ٢٠٢.
(٢) الطبري ٤/٢٠٢.
(٣) الطبري ٤/٢٠٢، ٢٠٣.
(٤) في النسخة (ب): «نساءكم».
(٥) الطبري ٤/٢٠٤.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٠٥.

فتحرقه، وكانت السقوف من جريد[1]، وقد كان رسول الله ﷺ. نهَى عن ذلك قبله.

وقال أسلَمُ: وخرج عمر إلى حَرّة واقم وأنا معه، حتى إذا كنّا بصِرار إذا نـار تسعَّر. فقال: انطلق بنا إليهم. فهرْولنا حتى دَنَوْنا منهم، فإذا بامرأة معها صِبيان لها وقِدْر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغـوْن[2]. فقال عمـر: السلام عليكم يـا أصحاب الضـوء. وكره أن يقول: يا أصحاب النار. قـالت: وعليك السـلام. قال: أَدنـو؟ قالت: ادنُ بخيـرٍ أو دَعْ. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصَّر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصِّبْية يتضاغون؟ قـالت: [من] الجوع. قـال: وأيّ شيء في هذه القِـدْر؟ قالت: مـا لي مـا أُسكتهم حتى يناموا، فأنا أعلّلهم وأوهمهم أنّي أُصلح لهم شيئاً حتى ينامـوا، الله بيننا وبين عمـر! قال: أيْ رحِمكِ الله، ما يُدري بكم عمر؟ قالت: يتولّى أمرنا ويغفـل عنّا. فـأقبل عليّ وقـال: انطلقْ بنا. فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدلاً فيه كبّة شحم فقال: احمله على ظهري. قال أسلم: فقلت: أنا أحمله عنك، مرّتين أو ثلاثـاً. فقال آخـر ذلك: أنتَ تحمل عنّي وِزْري يوم القيامة لا أمّ لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقتُ معه نهرول حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها: ذُرِّي عليّ وأنـا أحرّك[3] لك، وجعل ينفخ تحت القِدر، وكان ذا لحية عظيمـة، فجعلتُ أنظر إلى الـدخانِ من خَلَل لحيتـه، حتى أنضج ثمّ أنـزل القِدر، فـأتته بصحفـة[4] فأفرغها [فيهـا] ثمّ قـال: أطعِميهم وأنا أسطَح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثمّ خلّى عندها فضْلَ ذلـك، وقام وقمتُ معـه، فجعلتْ تقول: جـزاك الله خيراً، أنت أولى بهـذا الأمر من أميـر المؤمنين! فيقول: قولي خيراً، فإنّك إذا جئتِ أميرَ المؤمنين وجدْتِني[5] هناك، إن شاء الله! ثمّ تنحّى نـاحيةً، ثمّ استقبلها وربض لا يكلّمني حتى رأى الصِّبْيَةَ يضحكون ويصطرعون، ثمّ ناموا وهدأوا، فقام وهو يحمد الله، فقال: يـا أسلم، الجوعُ أسهـرهم وأبكاهم، فـأحببتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيتُ منهم[6].

(صِرار: بكسر الصاد المهملة وراءين).

قال سالم بن عبد الله بن عمر: كان عمر إذا نهَى الناس عن شيءٍ جمع أهله فقال: إنّي نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنّ الناس ينـظرون إليكم نظر الـطّير إلى اللحم، وأُقسم

---

(١) الطبري ٤/٢٠٥.

(٢) يتضاغون: يتضوّرون من الجوع.

(٣) في الأوربيـة «أحسن».

(٤) في الأوربيـة «بصحفها».

(٥) في الأوربيـة «وجدتيني».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٠٥، ٢٠٦، مناقب عمر لابن الجوزي ٦٩، ٧٠.

بالله لا أجد أحداً [منكم] فعله إلّا أضعفتُ عليه العقوبة[1]. قال سلام بن مسكين: وكان عمر إذا احتاج أتَى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربّما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه، فيلزمه فيحتال له عمر، وربّما خرج عطاؤه فقضاه[2].

قال: وهو أوّل من دُعي بأمير المؤمنين، وذلك أنّه لما ولي قالوا له: يا خليفةَ خليفةِ رسول الله. فقال عمر: هذا أمر يطول، كلّما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسُمّي أمير المؤمنين[3].

وهو أوّل من كتب التاريخ[4]، وقد تقدّم.

وهو أوّل من اتخذ بيت مال، وأوّل من عسّ الليل[5]، وأوّل من عاقب على الهجاء، وأوّل من نهَى عن بيع أمّهات الأولاد، وأوّل من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات، وكانوا قبل ذلك يصلّون أربعاً وخمساً وستّاً.

قال الواقدي: وهو أوّل من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به إلى البلدان وأمرهم به[6]، وهو أوّل من حمل الدِّرَّة وضرب بها[7]، وأوّل من دوّن في الإسلام[8].

قال زاذان: قال عمر لسلمان: أملِك أنا أم خليفة؟ قال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ووضعته في غير حقّه، فأنت ملك غير خليفة. فبكى عمر[9].

وقال أبو هُرَيْرة: يرحم الله ابن حَنْتمة! لقد رأيته عام الرمادة وإنّه لَيحمل على ظهره جرابين وعُكة زيت في يده، وإنّه لَيَعْتَقِب[10] هو وأسلم، فلّما رآني قال: من أين يا أبا

---

(1) الطبري ٤/٢٠٦، ٢٠٧.
(2) الطبري ٤/٢٠٨.
(3) الطبري ٤/٢٠٨، مناقب عمر لابن الجوزي ٥٩، طبقات ابن سعد ٣/٢٨١.
(4) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٨١، الطبري ٤/٢٠٩.
(5) الطبقات لابن سعد ٣/٢٨٢.
(6) الطبقات لابن سعد ٣/٢٨١.
(7) ابن سعد ٣/٢٨٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٧.
(8) ابن سعد ٣/٢٨٢، الطبري ٤/٢٠٩.
(9) الطبري ٤/٢١١، السيوطي ١٤٠.
(10) في طبعة صادر ٣/٥٩ «ليتعقّب» والتصحيح من نسخة باريس، والطبري ٤/٢١١.

هريرة؟ قلت: قريباً، فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صِرار، فإذا نحوٌ من عشرين بيتاً من محارب، فقال لهم: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، وأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمّة العظام مسحوقة كانو يستفّونها، فرأيتُ عمر طرح رداءه ثمّ اتّزر، فما زال يطبخ حتى أشبعهم، ثمّ أرسل أسلم إلى المدينة فجاءنا بأبعرة، فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبّانة، ثمّ كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك[١].

قال أبو خَيْثمة: رأت الشفاء بنت عبد الله فتياناً يقصدون في المشْي ويتكلّمون رُوَيداً، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نُسّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلّم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقّاً[٢].

قال الحسن: خطب عمرُ الناسَ وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة منها أَدَم[٣]. قال أبو عثمان النَّهدي: رأيتُ عمرَ يرمي الجمرة وعليه إزار مرقّع بقطعة جراب[٤]. وقال عليٌّ: رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة فيها من أَدَم.

وقال الحسن: كان عمر يمرّ بالآية من وِرده[٥] فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض. وقيل: إنّه سمع قارئاً يقرأ ﴿والطُّور﴾، فلمّا انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[٦]، سقط ثمّ تحامل إلى منزله فمرض شهراً من ذلك. قال الشعبي: كان عمر يطوف في الأسواق ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم[٧].

قال موسى بن عُقبة: أتَى رهط إلى عمر فقالوا له: كثُرَ العيالُ واشتدّت المؤونةُ فزدْنا في عطائنا. قال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله، لوددتُ أني وإيّاكم في سفينة[٨] في لُجّة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولّوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبّعوه، وإن جَنَف قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإن تعوّج عزلوه؟ قال: لا، القتل أنكل لمن بعده، احذروا فتَى ابن قريش وابن كريمها

---

(١) الطبري ٢١١/٤، ٢١٢، ابن سعد ٣١٤/٣.

(٢) الطبري ٢١٢/٤ وفيه: «الناسك حقاً».

(٣) طبقات ابن سعد ٣٢٨/٣، مناقب عمر لابن الجوزي ١٢٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٢٨/٣ ولفظه: أخبرني من رأى عمر يرمي الجمرة عليه إزار قطريّ مرقوع برقعة من أدم.

(٥) في الطبعة الأوربية «بالآنية من وردة».

(٦) سورة الطور، الآيتان: ٧ و ٨.

(٧) تاريخ الطبري ٢١٣/٤.

(٨) في الطبعة الأوربية «سفينتين».

الذي لا ينام إلّا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناوَل مَن فوقه ومَن تحته[1].

قال مجالد: ذُكر رجل عند عمر فقيل: يا أمير المؤمنين، فاضل لا يعرف من الشرّ شيئاً. قال: ذاكَ أوقع له فيه[2]. قال صالح بن كَيْسان: قال المغيرة بن شُعبة: لما دُفن عمر أتيتُ عليّاً، وأنا أحبّ أن أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفض رأسَه ولحيتَه، وقد اغتسل وهو مُلتحِف بثوب لا يشكّ أن الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابنَ الخطّاب، لقد صدقت ابنةُ أبي حثمة[3]، ذهب بخيرها ونجا من شرّها، أمَا[4] والله ما قالت ولكن قُوِّلت[5]. وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو في عمر:

فجّعني فيروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ ... بأبيضَ تالٍ للكتابِ نجيبِ
رؤوفٍ على الأدْنَى غليظٍ على العِدا ... أخي ثقةٍ في النائباتِ مُنيبِ[6]
متى ما يَقُلْ لا يُكذِبِ القولَ فِعْلُه ... سريعٍ إلى الخيراتِ غيرِ قَطوبِ[7]

وقالت أيضاً:

عَينِ جُودي بعَبرَةٍ ونَحيبِ ... لا تملّي على الإمَامِ النّجيبِ
فجَعَتني[8] المَنُونُ بالفارِسِ المُعْـ ... ـلِمِ يَوْمَ الهياجِ والتّلبيبِ
عصمةِ النّاسِ والمعينِ على الدّهْـ ... ـرِ وغَيثِ المُنتابِ والمحروبِ
قلْ لأهلِ الثّراء والبؤسِ مُوتوا ... قد سَقَتهُ المَنونُ كأسَ شَعوبِ[9]

قال ابن المسيّب: وحجّ عمر فلمّا كان بضَجْنَان قال: لا إله إلّا الله العظيم العليُّ المُعطي ما شاء من شاء، كنتُ أرعى إبِل الخطّاب في هذا الوادي في مِدْرَعةِ صوفٍ، وكان فظّاً يُتعبني إذا عملتُ، ويضربني إذا قصّرتُ، وقد أمسيتُ وليسَ بيني وبين الله أحد؛ ثمّ تمثّل:

---

(١) تاريخ الطبري ٢١٣/٤.
(٢) تاريخ الطبري ٢١٤/٤.
(٣) في الطبعة الأوربية «حنتمة» وهو غلط.
(٤) في الطبعة الأوربية «أم».
(٥) تاريخ الطبري ٢١٨/٤.
(٦) في تاريخ الطبري «مجيب».
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري ٢١٩/٤، والمستدرك للحاكم ٩٥/٣.
(٨) في البداية والنهاية «فجعتنا».
(٩) في البداية والنهاية ١٤٠/٧ «سغوب»، والأبيات في تاريخ الطبري. وفي أسد الغابة ٣٨/٤ ثلاثة أبيات. وتاريخ الخلفاء باختلاف بعض الألفاظ - ١٤٦، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٩٤/٣، وتلخيص المستدرك للذهبي ٩٤/٣، وفيها اختلاف الألفاظ بالقوافي للأبيات الثلاثة: الصليب، والتأنيب، والمكروب.

لا شيء فيما[1] ترَى تَبقى بَشاشتُه — يبقى الإلهُ ويودي المالُ والوَلَدُ
لم تُغنِ عن هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ — والخلدَ قد حاولتْ عادُ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرّياحُ به — والإنسُ والجنّ فيما بينها يردُ[2]
أينَ الملوكُ التي كانتْ نَوافلُها[3] — من كلّ أوْبٍ إليها راكبٌ[4] يَفِدُ
حوْضاً هنالك مورداً بلا كَذِبٍ — لا بدّ من وِرْدِه يوْماً كما وَرَدوا[5]

قال أسلم: إنّ هند بنت عُتبة استقرضت عمرَ من بيت المال أربعة آلاف تتّجر فيها وتضمنها، فأقرضها، فخرجت فيها إلى بلاد كلْب، فاشترت وباعتْ، فبلغها أنّ أبا سفيان وابنه عَمراً أتيا معاوية، فعدلت إليه، وكان أبو سفيان قد طلّقها، فقال لها معاوية: ما أقدمك أي أمَّه؟ قالت: النظر إليك أي بُنيَّ، إنّه عمر، وإنّما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيتُ أن تُخرج إليه من كلّ شيء وأهل ذلك هو، ولا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنّبوك ويؤنّبك[6] عمر فلا يستقيلها[7] أبداً. فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما، فتسخّطها[8] عمرو، فقال أبو سفيان: لا تسخّطها فإنّ هذا عطاء لم تغبْ عنه هند؛ ورجعوا جميعاً، فقال أبو سفيان لهند: أربحتِ؟ قالت: الله أعلم. فلمّا أتت المدينةَ وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركتُه لك، ولكنّه مال المسلمين. وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ قال: بمائة دينار[9].

قال ابن عبّاس: بينما عمر بن الخطّاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهُم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، من أشعر الشعراء؟ قال: قلت: زهير بن أبي سُلمى. فقال: هلمّ من شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت. فقلتُ: امتدحَ قوماً من غَطَفان فقال:

لوْ كان يقعُدُ فوقَ الشّمس من كرَمٍ — قوْمٌ لأوّلهم يوماً إذا قَعَدوا[10]

---

(١) في الاستيعاب «مما».
(٢) في الاستيعاب، وتاريخ الطبري «ترد».
(٣) في الاستيعاب «لعزتها».
(٤) في الاستيعاب «وافد».
(٥) الأبيات في: الاستيعاب ٢/٤٧٢، ٤٧٣، وتاريخ الطبري ٤/٢١٩، ٢٢٠.
(٦) في النسخة (ب): «فيأتونك ويأتيك».
(٧) في الطبعة الأوربية: «تستقيلهما».
(٨) في الطبعة الأوربية «وحملها فيسخطها»، وفي تاريخ الطبري «فتعظّمها».
(٩) تاريخ الطبري ٤/٢٢١.
(١٠) عند الطبري «قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا».

قـومٌ أبـوهـمْ سِنـانٌ حيـنَ تـنـسُـبُـهـمْ | طـابـوا وطـابَ مـن الأوْلادِ مـا ولَـدُوا
جِـنٌّ إذا فَـزِعـوا إنسٌ إذا أمـنـوا | مُـمـرَّدونَ بَـهـالـيـلُ إذا جَـهَـدوا[1]
مُـحَـسَّـدونَ عـلى مـا كـانَ مـن نِـعَـمٍ | لا يـنـزِعُ اللّهُ مـنهُـمْ مـا لَـهُ حُـسِـدُوا

فقال عمر: أحسن والله، وما أعلم أحداً أَوْلى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم، لفضل رسول الله ﷺ، وقرابتهم منه. فقلت: وُفّقتَ يا أميرَ المؤمنين ولم تزل موفّقا[2]! فقال[3]: يا ابن عبّاس، أتدري ما منع قومكم منهم[4] بعد محمد ﷺ؟ فكرهتُ أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإنّ أميرَ المؤمنين يُدريني! فقال عمر: كَرِهوا أن يجمعوا لكم النبوّةَ والخلافة، فتَبجَحوا على قومكم بَجَحاً بَجَحاً، فاختارت قريشٌ لأنفسها فأصابتْ ووُفّقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتُمِطْ عنّي الغضب تكلّمتُ. قال: تكلّم. قلتُ: أمّا قولك يا أميرَ المؤمنين: اختارت قريشٌ لأنفسها فأصابت ووُفّقتْ، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأمّا قولك: إنّهم أبَوا أن تكون لنا النبوّةُ والخلافةُ، فإنّ[5] الله، عزّ وجلّ، وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[6]. فقال عمر: هيهات والله يا ابن عبّاس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنتُ أكره أن أُقرّك عليها، فتزيل[7] منزلتك منّي. فقلتُ: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنّما صرَفوها عنك حسداً وبغْياً وظُلماً. فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبيّن للجاهل والحليم، وأمّا قولك: حسداً، فإنّ آدم حُسد، ونحن ولده المحسَّدون. فقال عمر: هيهات هيهات! أبتْ والله قلوبكم[8] يا بني هاشم إلّا حسداً لا يزول. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوبَ قوم أذهبَ اللّهُ عنهم الرِّجسَ، وطهّرهم تطهيراً بالحسد[9] والغشّ، فإنّ قلبَ رسول الله ﷺ، من قلوب بني هاشم. فقال عمرُ: إليك عنّي

---

(١) عند الطبري:
«إنسٌ إذا أمنوا، جنٌّ إذا فزعوا | مُرَزَّأون بَهَاليلُ إذا حشدوا»
(٢) في الأوربية «وقعت... موقعاً».
(٣) في حاشية نسخة باريس وردت العبارة التالية: «من قوله: فقال يا ابن عباس إلى آخر الصحيفة الثانية غلط زايد دسّ لم نجده في ساير النسخ، قاتل الله تعالى واضعه».
(٤) في الطبعة الأوربية «منكم»، والتصويب من تاريخ الطبري ٤/٢٢٣.
(٥) في الطبعة الأوربية «قال».
(٦) سورة محمد، الآية: ٩.
(٧) في الطبعة الأوربية «لتزيل».
(٨) في الطبعة الأوربية «قلوبهم».
(٩) في الطبعة الأوربية «عن الحسد».

يـا ابن عبّاس. فقلتُ: أفعـلُ. فلمّا ذهبتُ لأقـومَ[1] استحيـا منّي فقـال: يـا ابنَ عبّـاس، مكانَك! فوالله إنّي لراعٍ لحقّك محبّ لما سرّك. فقلت: يا أميرَ المؤمنهين، إنّ لي عليك حقّاً وعلى كلّ مسلم، فمن حَفِظه فحظَّه أصـاب، ومَن أضـاعـه فحـظَّه أخـطأ. ثمّ قـام فمضى[2].

ذكر قصة الشورى[3]

قال عمر بن ميمون الأودي: إنّ عمر بن الخطّاب لما طُعن قيل له: يا أميرَ المؤمنين لو استخلفتَ. فقال: لو كان أبـو عُبيدة حيّـاً لاستخلفته، وقلتُ لـربّي إن سألني: سمعتُ نبيّك يقول: «إنّه أمين هذه الأمّة»[4]. ولو كان سالم مولى أبي حُذيفة حيّاً لاستخلفته وقلتُ لربّي إن سألني: سمعتُ نبيّك يقول: «إنّ سالماً شديد الحبّ لله تعالى». فقال لـه رجل: أدلّك على عبد الله بن عمـر. فقال: قـاتلك الله، والله ما أردتَ الله بهـذا! ويحك! كيف أستخلف[5] رجلاً عجز عن طلاق امرأته[6]؟ لا أرب لنا في أمـوركم، فما حمـدتها فـأرغب فيها لأحدٍ من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنـا منه، وإن كـان شرّاً فقـد صُرف[7] عنّـا، بحسب آل عمر أن يحاسَب منهم رجلٌ واحد، ويُسأل عن أمر أمّة محمد، أمَا لقد جهدتُ نفسي وحرمتُ أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزْر ولا أجـر إنّي لسعيد؛ وأنـظر فإن أستَخْلِف فقد استَخْلَفَ من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيّع الله دينه.

فخـرجوا ثمّ راحـوا فقالـوا: يا أميـر المؤمنين، لو عهـدتَ عهداً. فقـال: قـد كنتُ

---

(١) في الطبعة الأوربيـة «أقوام».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢٢٢/٤ ـ ٢٢٤.

(٣) أنظر عن الشورى في: طبقات ابن سعد ٦١/٣ و٣٣٨، ٣٣٩ و٣٥٣، وتاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) بتحقيق سكينـة الشهابي ١٨٠ ـ ١٩٢. والبـدء والتاريـخ ١٨٩/٥ ـ ١٩١، وتاريخ الطبري ٢٢٧/٤، ونهاية الأرب ٣٧٨/١٩، والبداية والنهـاية ١٤٤/٧، وتـاريخ ابن خلدون (بقيـة الجزء الثاني) ١٢٤، والتنبيه والإشراف ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) حديث: «إن لكل أمـة أميناً، وأمين هـذه الأمة أبـو عبيدة بن الجـرّاح» أخرجـه أحمد في المسنـد ١٣٣/٣ و ١٨٩ و ٢٤٥ و ٢٨١. والبخاري في فضائـل القرآن (٣٧٤٤) وفي المغـازي (٤٣٨٢) وفي أخبار الآحـاد (٧٢٥٥). ومسلم في الفضـائل (٢٤١٩). والترمـذي في المنـاقب (٣٧٥٩). وابن مـاجه في المقـدّمـة (١٣٥). وابن سعـد في طبقـاتـه ٢٩٩/١/٣، وابن عبـد البـر في الاستيعـاب ٢٩٣/٥، والحـاكم في المستـدرك ٢٦٧/٣، وأبو نعيم الأصبهـاني في حليـة الأوليـاء ١٠١/١، والـذهبي في تلخيص المستـدرك ٢٦٧/٣، وابن حجر في الإصابة ٢٨٥/٥، وغيرهم من طرق.

(٥) في الطبعة الأوربيـة «استخلفت».

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٥.

(٧) في نسخة المتحف البريطاني «ضرب».

أجمعت بعد مقالتي أن أنظر، فأولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ، وأشار إلى عليّ، فرهقتني غَشْية، فرأيتُ رجلاً دخل جنّة، فجعل يقطف كلّ غضة ويانعة، فيضمّه إليه ويصيّره تحته، فعلمتُ أنّ الله غالبٌ [على] أمره، فما أردتُ أن أتحمّلها حيّاً وميتاً، عليكم هؤلاء الرهْط الذين قال رسول الله ﷺ: إنّهم من أهل الجنّة، وهم: عليّ، وعثمان، وعبد الرحمن، وسعد، والزُّبير بن العوّام، وطلحة بن عُبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً فأحسِنوا موازرته وأعينوه.

فخرجوا، فقال العبّاس لعليّ: لا تدخل معهم. قال: إنّي أكره الخلاف. قال: إذن ترى ما تكره. فلمّا أصبح عمر دعا عليّاً، وعثمان، وسعداً، وعبد الرحمن، والزُّبير، فقال لهم: إنّي نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قُبض رسول الله ﷺ، وهو عنكم راضٍ، وإنّي لا أخاف الناسَ عليكم إن استقمتم، ولكنّي أخافكم فيما بينكم، فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجْرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها. ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله! إنّ أميرَ المؤمنين لم يمت بعد. فسمعه عمر فانتبه وقال: [ألا] أعرضوا عن هذا، فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيّام، ولْيُصَلِّ بالناس صُهيب، ولا يأتينّ اليوم الرابع إلاّ وعليكم أمير منكم[1]، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإنْ قدِم في الأيّام الثلاثة فأحضِروه أمركم، وإن مضت الأيّام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم، ومَن لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقّاص: أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله تعالى. فقال عمر: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله، وما أظنّ يلي إلاّ أحد هذين الرجلين: عليّ أو عثمان، فإنْ وُلّي عثمان فرجل فيه لِين، وإن وُليَ عليّ ففيه دُعابة[2]، وأحرى به أن يحملهم على طريق الحقّ، وإن تولّوا سعداً فأهله هو، وإلاّ فليستعن به الوالي، فإنّي لم أعزله عن ضعف ولا خيانة، ونِعْم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، فاسمعوا منه وأطيعوا.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إنّ الله طالما أعزّ بكم الإسلام، فاخترْ خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحثّ هؤلاء الرهْط حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال للمِقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حُفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيتٍ حتى يختاروا رجلاً.

---

(١) «منكم» من نسخة بودليان.

(٢) أنظر تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٣.

وقال لصُهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيّام، وأدخِل هؤلاء الرهْط بيتاً، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحدٌ فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعةٌ وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكّموا عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع فيه الناس.

فخرجوا، فقال عليّ لقومٍ معه من بني هاشم: إن أُطيع فيكم قومُكم لم تؤمّروا أبداً، وتلقّاه عمّه العبّاس فقال: عَدلتْ عنّا! فقال: وما علمك؟ قال: قُرن بني عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمّه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيولّيها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني. فقال له العبّاس: لم أرفعك[1] في شيء إلّا رجعتَ إليّ مستأخراً لِما أكره، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ، أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيتَ، فأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيتَ، وأشرتُ عليك حين سمّاك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت، احفظ عنّي واحدة: كلّما عرض عليك القوم فقل: لا، إلّا أن يولّوك، واحذر هؤلاء الرهْط، فإنّهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتّى يقوم به لنا غيرنا، وايم الله لا يناله إلّا بشرٌّ لا ينفع معه خير! فقال عليّ: أمَا لئن بقي عثمان لأذكرنّه ما أتى، ولئن مات ليتداولُنّها بينهم، ولئن فعلونا لتجدنّي حيث يكرهون؛ ثمّ تمثّل:

حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ[2] عشيّةً ... غَدَون خِفافاً فابتدَرْنَ[3] المُحصَّبا
لَيَختَلِيَنْ رهطُ ابنِ يَعْمَرَ قارناً[4] ... نجيعاً بنو الشُّدّاخ وِرْداً مُصَلَّبا

والتفتَ فرأى أبا طلحة فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لن تُراع[5] أبا الحسن.

فلمّا مات عمر وأُخرجت جنازته صلّى عليه صُهيب، فلمّا دُفن عمر جمع المِقداد أهل الشورى في بيت المِسْوَر بن مَخْرَمة، وقيل: في بيت المال، وقيل: في حجْرة عائشة بإذنها، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شُعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولا: حضرنا وكنّا في

---

(١) في النسخة (ب) «لم أدفعك».
(٢) في الطبعة الأوربية «الرافضات».
(٣) في نسخة المتحف البريطاني «فاينتذرن».
(٤) في النسخة (ب) «قارساً». وفي تاريخ الطبري ٤/٢٣٠ «مارنًا».
(٥) في نسخة بودليان «ندع»، وفي تاريخ الطبري «لم تُرَع».

أهل الشورى! فتنافس القومُ في الأمر، وكثر فيهم الكلام، فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوفَ مني لأن تتنافسوها، والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر، ثمّ أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيُّكم يُخرج منها نفسَه ويتقلّدها على أن يولّيها أفضلكم؟ فلم يُجبه أحدٌ. فقال: فأنا أنخلع منها. فقال عثمان: أنا أوّل من رضي. فقال القوم: قد رضينا. وعليّ ساكت. فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطِني موثقاً لتؤثرنّ الحقّ ولا تتّبع الهوى ولا تخصّ ذا رحِمٍ ولا تألو الأمّة [نُصحاً]. فقال: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغيّر، وأن ترضوا من اخترتُ لكم، وعليَّ ميثاق الله أن لا أخصّ ذا رَحِم لرحِمه، ولا آلُوَ المسلمين، فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعليّ: تقول إنّي أحقّ من حضر بهذا الأمر، لقرابتك وسابقتك وحُسن أثرك في الدِّين ولم تبعد، ولكن أرأيتَ لو صُرف هذا الأمر عنك، فلم تحضر، مَن كنت ترى من هؤلاء الرّهْط أحقّ به؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان فقال: تقول[1] شيخ من بني عبد مَناف، وصهْر رسول الله ﷺ، وابن عمّه، ولي سابقة وفضل، فأين يُصرف هذا الأمر عنّي؟ ولكن لو لم تحضر[2] أيّ هؤلاء الرهط تراه أحقّ به؟ قال: عليّ.

ولقي عليّ سعداً فقال له: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[3]، أسألك برحِم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحِم عمّي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً[4]. ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ، ومَن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم، حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل، أتَى منزل المِسْوَر بن مَخْرَمة، فأيقظه وقال له: لم أذُقْ في هذه الليلة كبيرَ غُمضٍ، انطلقْ فادعُ الزُّبير وسعداً. فدعاهما. فبدأ بالزُّبير فقال له: خلِّ بني عبد مَناف وهذا الأمر. قال: نصيبي لعليّ. وقال لسعد: اجعل نصيبك لي. فقال: إن اخترتَ نفسك فنعم، وإن اخترتَ عثمان فعليٌّ أحبّ إليّ؛ أيّها الرجل، بايع لنفسك وأرِحْنا وارفع رؤوسنا. فقال له: قد خلعتُ نفسي على أن أختار، ولو لم أفعل لم أُردها، إنّي رأيتُ روضة خضراء كثيرة العشب، فدخل فحلٌ ما رأيتُ أكرم منه فمرّ كأنّه سهم، لم يلتفت إلى شيءٍ منها حتى قطعها لم يعرّج، ودخل بعيرٌ يتلوه فاتّبع أثره حتى خرج منها، ثمّ

---

(١) في الطبعة الأوربية «يقول».

(٢) في الطبعة الأوربية «يحضر» والتصحيح من الطبري ٤/٢٣١.

(٣) سورة النساء، الآية ١.

(٤) في نسختي باريس و«ب»: «ظهراً».

دخـل فحلٌ عبقـريّ يجرّ خـطامَه، ومضى قصْـد الأوّلَيْن، ثمّ دخل بعيـرٌ رابع فـرتع[1] في الروضة، ولا والله لا أكـون الرابـع، ولا يقوم مقـام أبي بكر وعمـر بعدهمـا أحد فيـرضى الناس عنه.

قال: وأرسل المِسْوَر فاستدعى عليّاً، فناجاه طويلاً وهو لا يشكّ أنّه صاحب الأمـر، ثمّ نهض، ثمّ أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح.

قال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: من أخبرك أنّه يعلم ما كلّم به عبـدُ الرحمن بن عوف عليّاً وعثمان، فقد قال بغير علم، فوقـع قضاء ربّـك على عثمان. فلمّـا صلّوا الصبح جمع الرهْط، وبعث إلى من حضره من المهـاجرين وأهـل السابقـة والفضل من الأنصـار، وإلى أمراء الأجنـاد، فاجتمعـوا حتى التجّ[2] المسجـد بـأهله، فقـال: أيّهـا الناس، إنّ الناس قد أجمعوا[3] أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم، فأشيروا عليّ. فقال عمّـار: إن أردتَ أن لا يختلف المسلمون فبـايع عليّـاً. فقال المِقْـداد بن الأسود: صـدق عمّار، إن بايعتَ عليّـاً قلنا: سمعنـا وأطعنا. قـال ابن أبي سَرْح: إن أردت أن لا تختلف قريشٌ فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدقتَ إن بـايعتَ عثمان قلنـا: سمعنا وأطعنـا. فشتم[4] عمّارٌ ابنَ أبي سَـرْحٍ وقـال[5]: متى كنتَ تنصـح المسلميـن؟ فتكلّم بنـو هاشم وبنو أميّة، فقال عمّار: أيّها النّاس، إنّ الله أكرمنا بنبيّه وأعزّنا بدينه، فأنّى تصرفـون هـذا الأمر عن أهـل بيت نبيّكم؟ فقال رجـل من بني مخزوم: لقـد عدوتَ طـورَك يـا ابن سُمَيَّة، وما أنتِ وتأمير قريش لأنفسها! فقال سعد بن أبي وقّاص: يا عبـدَ الرحمن، افـرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال عبد الرحمن: إنّي قد نظرتُ وشاورتُ، فلا تجعلُنَّ أيّها الرهْط على أنفسكم سبيـلاً؛ ودعا عليّـاً وقال: عليـك عهدُ الله وميثـاقُه لتعملنّ بكتـاب الله وسنّة رسوله، وسيـرة الخليفتين من بعده. قـال: أرجو أن أفعـل فأعمـل بمبلغ علمي وطاقتي؛ ودعـا عثمان فقـال له مثـل ما قـال لعليّ، فقـال: نعم نعمـل[6]. فـرفـع رأسـه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهمّ اسمع واشهدِ اللهمّ أنّي قد جعلت مـا في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فبايعه.

---

(١) في الأوربيـة «فوقع».
(٢) في الأوربيـة «التحم». وفي النسخة (ب): «ارتج».
(٣) في نسخة باريس «أحبوا».
(٤) في الطبعة الأوربيـة «فشتم».
(٥) في الطبعة الأوربيـة «فقال».
(٦) «نعمل» ساقطة من نسختي المتحف البريطاني وبودليان.

فقال عليّ: ليس هذا أوّل يوم[1] تظاهرتم فيه علينا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[2]، والله ما ولّيتَ عثمان إلاّ ليردّ[3] الأمر إليك، والله كلّ يوم في شأن! فقال عبد الرحمن: يا عليّ، لا تجعل على نفسك حجّة وسبيلاً. فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجلُه. فقال المِقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته وإنّه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مِقداد، والله لقد اجتهدتُ للمسلمين. قال: إن كنتَ أردتَ الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المِقدادُ: ما رأيتُ مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم، إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه، أما والله لو أجد أعواناً عليه! فقال عبد الرحمن: يا مِقْداد اتّقِ الله فإنّي خائفٌ عليك الفتنة. فقال رجل للمِقداد: رحِمك الله، مَن أهل هذا البيت ومَن هذا الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطّلب، والرجل عليّ بن أبي طالب. فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر[4] بينها فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم.

وقدِم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له: بايَعوا لعثمان. فقال: كلّ قريش راضٍ به؟ قالوا: نعم. فأتى عثمان، فقال له عثمانُ: أنت على رأس أمرك وإن أبيت رددتها. قال: أتردُّها؟ قال: نعم. قال: أكلّ الناس بايعوك؟ قال: نعم. قال: قد رضيتُ لا أرغب عمّا أجمعوا عليه. وبايعه.

وقال المغيرة بن شُعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبتَ أن بايعتَ عثمان. وقال لعثمان: ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا. فقال عبد الرحمن: كذبتَ يا أعور، لو بايعتُ غيره لبايعته، ولقلتَ هذه المقالة. قال: وكان المِسْوَر يقول: ما رأيتُ أحداً بذّ قوماً فيما دخلوا فيه بمثل ما بذّهم عبد الرحمن[5].

قلتُ: قوله: إنّ عبد الرحمن صهر عثمان، يعني أنّ عبد الرحمن تزوّج أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، وهي أخت عثمان لأمّه، خلف عليها عُقبة بعد عثمان[6].

وقد ذكر أبو جعفر رواية أخرى في الشورى عن المِسْوَر بن مَخْرَمة، وهي تمام

---

(١) في نسخة باريس (أمر).

(٢) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٣) في نسخة باريس «ليعد».

(٤) في الطبعة الأوربية «تنتظر».

(٥) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٤/٢٢٧ ـ ٢٣٤.

(٦) في نسخة بودليان «عفان».

حديث مقتل عمر، وقد تقدّم، والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدّم آنفاً، غير أنّه قال: لما دُفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم، وأمرهم بالاجتماع وتَرْكِ التفرّق، فتكلّم عثمان فقال: الحمدُ لله الذي اتخذ محمّداً نبيّاً، وبعثه رسولاً، وصَدَقه وعده، ووهب له نصرَه على كلّ مَن بعدُ نَسباً أو قرُبَ رَحِماً، ﷺ، جعلنا الله له تابعين، وبأمره مهتدين، فهو لنا نور، ونحن بأمره نقوم عند تفرّق الأهواء ومجادلة الأعداء، جعلنا الله بفضله أئمة، وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منّا، ولا يدخل علينا غيرُنا، إلّا من سفِهَ الحقّ، ونكَل عن القصد، وأحْرِ بها[1] يا ابنَ عوف أن تترك، وأجدر بها أن تكون[2] إن خولف أمرُك وتُرك دعاؤك، فأنا أوّل مجيب [لك] وداعٍ إليك وكفيل بما أقول زعيم؛ وأستغفر الله لي ولكم.

ثمّ تكلّم الزبير بعده فقال: أمّا بعد فإنّ داعي الله لا يُجهل، ومجيبه لا يُخذل عند تفرّق الأهواء ولَيّ الأعناق، ولن يقصّر عمّا قلت إلّا غويّ، ولن يترك ما دعوت إليه إلّا شقيّ، ولولا حدود لله فُرضت، (وفرائض لله حُدّت، تُراح على أهلها وتحيا ولا تموت)[3]، لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة، ولكن لله علينا إجابة الدعوة وإظهار السُّنّة، لئلاّ نموت موتة عِمِّيَّةً، ولا نعمى عمى الجاهليّة، فأنا مُجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرتَ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، وأستغفر الله لي ولكم.

ثمّ تكلّم سعدٌ فقال بعد حمد الله: وبمحمد ﷺ، أنارت الطُّرق[4] واستقامت السُّبل، وظهر كلّ حقّ، ومات كلّ باطل، إيّاكم أيّها النفر وقول الزُّور، وأمنيّة أهل الغرور، وقد سلبت الأماني قوماً قبلكم، ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم[5] فاتّخذهم الله عدوّاً، ولعنهم لعناً كبيراً. قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[6]، إنّي نكبتُ قَرَني[7] وأخذت سهمي الفالج[8] وأخذت لطلحة بن عُبيد الله ما ارتضيتُ لنفسي، فأنا به كفيل وبما أعطيتُ عنه زعيم، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النُّصْح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم.

---

(١) في الأوربيـة «واحرمها».
(٢) في الأوربيـة «واحذر بها أن يكون».
(٣) في الأوربيـة «وفرائض الله حُدّت تُراح على الله أهلها ويحيا ولا يموت».
(٤) في الأوربيـة «الطريق».
(٥) في النسخة (ب): «وقالوا ما قلتم».
(٦) سورة المائدة، الآيتان ٧٨ و ٧٩.
(٧) في الطبعة الأوربيـة «إنّي مُكتب قربي» (والقَرَن هنا: الجعبة، أي أنّه نثر ما في القَرَن من السّهام).
(٨) في الطبعة الأوربيـة «الفالح».

ثمّ تكلّم عليّ بن أبي طالب فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منّا نبيّاً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوّة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نُعْطَهُ نأخُذْه، وإن نُمْنعه نركبْ أعجاز الإبل ولو طال السُّرى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ، عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصِلة رَحِم، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، اسمعوا كلامي وعوا منطقي، عسى أن تروا (هذا الأمر)[1] بعد هذا المجمع تُنتضى فيه السيوف، وتُخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم[2] أئمّة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، ثمّ قال:

فإن تكُ جاسمٌ[3] هلكتْ فإنّي ... بما فعلتْ بنو عبد بن ضَجْمِ[4]
مطيعٌ في الهواجرِ كلَّ غيٍّ[5] ... بصيرٌ بالنّوَى من كلّ نجْمِ

فقال عبد الرحمن: أيّكم يطيب نفساً أن يُخرج نفسه من هذا الأمر؟ وذكر قريباً ممّا تقدّم[6].

ثمّ جلس عثمان في جانب المسجد بعد بَيعته، ودعا عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان قتل[قاتل] أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جُفَيْنَة[7] رجلاً نصرانيّاً من أهل الحيرة، كان ظهيراً لسعد بن مالك، وقتل الهُرْمُزانَ، فلمّا ضربه بالسيف قال: لا إله إلّا الله! فلمّا قتل هؤلاء أخذه سعدُ بن أبي وقّاص وحبسه في داره، وأخذ سيفَه وأحضره عند عثمان، وكان عُبيد الله يقول: والله لأقتلنّ رجالاً ممّن شرك في دم أبي، يعرّض بالمهاجرين والأنصار، وإنّما قتل هؤلاء النفر لأنّ عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة قُتل عمر: رأيتُ عشيّة أمس الهُرْمُزان وأبا لؤلؤة، وجُفَيْنَةَ[7] وهم يتناجون، فلمّا رأوني ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، وهو الخنجر الذي ضُرب به عمر، فقتلهم عُبيد الله. فلمّا أحضره عثمانُ قال: أشيروا عليّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فقال عليّ: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قُتل عمر أمس ويُقتل ابنه اليوم! فقال

---

(١) في النسخة (ب): «كلامي».
(٢) في الطبعة الأوربية «بعضهم».
(٣) في الطبعة الأوربية «جاشم».
(٤) في تاريخ الطبري ٤/٢٣٧ «ضخم».
(٥) في تاريخ الطبري «عيّ» بالعين المهملة.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٣٥ ـ ٢٣٧.
(٧) في الطبعة الأوربية «حفنية».

عمرو بن العاص: إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الحَدَث ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان: أنا وليّه، وقد جعلتها دِية، وأحتمِلها في مالي. وكان زياد بن لَبِيد البياضيّ الأنصاريّ إذا رأى عُبيد الله يقول:

ألا يا عُبيدَ الله ما لك مَهرَبٌ ... ولا مَلجأٌ من إبنِ أروَى ولا خَفَرْ
أصبتَ دماً والله في غيرِ حِلّهِ ... حراماً وقتلُ الهرمُزانِ له خَطَرْ
على غيرِ شيءٍ غيرَ أن قالَ قائلٌ ... أتتّهمونَ الهُرمزانَ على عمْر
فقال سفيهٌ، والحوادثُ جَمّةٌ: ... نَعَم إتّهِمْهُ قد أشارَ وقد أمَرْ
وكان سِلاحُ العبد في جوْفِ بيته ... يقلّبُها والأمرُ بالأمرِ يُعتَبَرْ

فشكا عُبيدُ الله إلى عثمان زيادَ بن لَبيد، فنهَى عثمانُ زياداً، فقال في عثمان:

أبا عمرو عُبيدُ اللّهِ رَهْنٌ ... فلا تَشكُكْ[1] بقتلِ الهرمْزانِ
فإنّك إن غَفَرْتَ[2] الجرْمَ عنهُ ... وأسبابُ الخَطا فرَسا رِهانِ
أتعفُو إذ عفَوْتَ بغيرِ حقٍّ ... فما لكَ بالذي تحكي يدانِ

فدعا عثمان زياداً فنهاه وشذّبه[3].

وقيل في فِداء عُبيد الله غير ذلك، قال الغماذيان[4] بن الهرمزان: كانت العجم بالمدينة يستروحُ بعضها إلى بعض، (فمرّ فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر)[5] له رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع به؟ قال: أسنّ[6] به. فرآه رجل، فلمّا أصيب عمر قال: رأيتُ الهُرْمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عُبيد الله فقتله، فلمّا ولي عثمان أمكنني منه، فخرجتُ به وما في الأرض أحدٌ إلّا معي، إلّا أنّهم يطلبون إليّ فيه، فقلتُ لهم: ألي[7] قتْله؟ قالوا: نعم، وسبّوا عُبيد الله، قلتُ لهم: أفلكم مَنَعَةٌ؟ قالوا: لا، وسبّوه، فتركته لله ولهم، فحملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلّا على رؤوس الناس.

والأوّل أصحّ في إطلاق عُبيد الله، لأنّ عليّاً لما ولي الخلافة أراد قتْله، فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر وليّ الدم لم يتعرّض له عليّ.

---

(١) في الطبعة الأوربية «تشكل». والبيت في تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤ والطبري.
(٢) في الطبعة الأوربية «عفوت».
(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٣٩، ٢٤٠.
(٤) في نسخة باريس «العمادنان»، وفي نسخة المتحف البريطاني «القماذيان».
(٥) العبارة في الطبعة الأوربية «فمرّ فيروز بأبي لؤلؤة ومعه خنجر».
(٦) في نسخة المتحف البريطاني «أنس»، وفي نسخة بودليان «ايس».
(٧) في نسخة باريس «أبى».

ذكر عدّة حوادث

كان العمال فيها على مكّة نافع بن عبد الحارث الخُزاعيّ، وعلى الطائف سُفيان بن عبد الله الثقفيّ، وعلى صنعاء يَعْلَى بن مُنْيَة، وعلى الجَنَد عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة المغيرة بن شُعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعريّ، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص عُمير بن سعد، وعلى دمشق معاوية، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفيّ[1].

وفيها غزا معاوية الصائفة[2]، ومعه عُبادة بن الصّامت، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وأبو ذرّ، وشدّاد بن أوس.

وفيها فتح معاوية عَسْقلان على صُلح[3]. وكان على قضاء الكوفة شُرَيح، وعلى قضاء البصرة كعب بن سُور، وقيل: إنّ أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض[4].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة توفي قَتادة[5] بن النعمان الأنصاري، وهو الذي ردّ رسول الله ﷺ،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٤١، وانظر تاريخ خليفة ١٥٣، ١٥٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦١.

(٢) حتى بلغ عمّورية. (الطبري ٤/٢٤١)، النجوم الزاهرة ١/٧٧.

(٣) فتوح البلدان ١٦٩ رقم ٣٨٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٧، البدء والتاريخ ٥/١٨٦، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٢، تاريخ الطبري ٤/٢٤١.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٤١، وانظر تاريخ خليفة ١٥٤، والتنبيه والإشراف ٢٥٤.

(٥) انظر عن قتادة في: مسند أحمد ٤/١٥ و٦/٣٨٤، والمغازي للواقدي ٥٠ و١٥٨ و٢٢٤ و٢٤٢ و٢٤٣ و٣٣٤ و٣٤١ و٤٠٥ و٤٩٨ و٥١٦ و٥٨٥ و٨٠٠ و٨٩٦ و١٠٠٩ و١١١٨، وطبقات ابن سعد ١/١٨٧ و٢/١٩٠ و٣/٤٥٢، ٤٥٣، وتاريخ خليفة ١٥٣، وطبقاته ٨١ و٩٦، ومقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد ١٠٠ رقم ٢٣٤، المحبّر ٢٩٨ و٤١٥ و٤٢٩، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٨، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/١٢٩، والتاريخ الكبير ٧/١٨٤، ١٨٥ رقم ٨٢٣، والمعارف ٢٦٨ و٤٦٦ و٥٨٨، والبرصان والعرجان ٣٦٢، والمعرفة والتاريخ ١/٣٢٠، والجرح والتعديل ٧/١٣٢ رقم ٧٥٣، وثمار القلوب ٢٨٨، والمستدرك ٣/٢٩٥، ٢٩٦، والاستبصار ٢٥٤ - ٢٥٧، والاستيعاب ٣/٢٤٨ - ٢٥١، وأنساب الأشراف ١/٢٤١ و٢٢٣ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨٠ و٥٢٣، وتاريخ الطبري ٢/٥١٦ و٤/٢٤١، ومشاهير علماء الأمصار ٢٧ رقم ١٢٦، وجمهرة أنساب العرب ٣٤٣، وأسد الغابة ٤/١٩٥ - ١٩٧، وصفة الصفوة ١/٤٦٣، ٤٦٤ رقم ٣٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٥٨، ٥٩ رقم ٦٧، وتهذيب الكمال ٣/١١٢٣، والعبر ١/٢٧، والكاشف ٢/٣٤١ رقم ٤٦٢٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٥ رقم ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١/٣٣١ - ٣٣٣ رقم ٦٦، وتاريخ الإسلام ٣/٢٥١، ومرآة الجنان ١/٨٢، والوفيات لابن قنفذ ٥٠ رقم ٢٣، ومجمع الزوائد ٩/٢١٨، وتهذيب التهذيب ٨/٣٥٧، ٣٥٨ رقم ٦٣٨، وتقريب التهذيب ٢/١٢٣ رقم ٨٤، والإصابة ٣/٢٢٥، ٢٢٦ رقم ٧٠٧٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣١٥، وكنز العمال ١٣/٥٧٤، وشذرات الذهب ١/٣٤، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/٣ - ١٤.

عينه، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب، وهو بْدريّ، وقيل: تُوفّي سنة أربعٍ وعشرين. وفي خلافة عمر تُوفّي الحُباب[1] بن المنذر بن الجَمُوح الأنصاريّ، وهو بدْريّ. وربيعة بن الحارث[2] بن عبد المطّلب، وهو أسنّ من العبّاس. وعُمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو، وهو بدْريّ. وعُمير بن وهْب[3] بن خَلَف الجُمَحيّ، شهد أُحُداً. (وعُتبة بن مسعود[4] أخو عبد الله بن مسعود، وهو من مهاجرة الحبشة شهد أُحُداً[5]. وعدِيّ بن أبي

---

(١) أنظر عن الحباب في: المغازي للواقدي ٥٣ و٥٤ و٥٨ و٨٣ ـ ٨٥ و١٤٢ و١٥٠ و١٦٩ و٢٠٧ و٢١٥ و٢٣٤ و٢٤٠ و٢٥٦ و٢٥٧ و٣٣٤ و٣٨٧ و٤٠٥ و٤٩٨ و٥١٥ و٥٧٤ و٦٤٣ و٦٤٩ و٦٥٩ و٦٦٢ و٦٦٣ و٦٦٧ و٧١٠ و٨٩٥ و٩٢٥ و٩٢٦ و٩٨٥ و٩٩٦، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا)، وطبقات ابن سعد ٣/٥٦٧، ٥٦٨، والتاريخ الكبير ٣/١٠٩ رقم ٣٦٨، وأنساب الأشراف ٩/١٣٨ و١٩١ و٢٩٣ و٢٩٩ و٣٠٣ و٣١٧ و٣١٨ و٥٨٠ و٥٨١ ـ ٥٨٤، والجرح والتعديل ٣/٣٠١ رقم ١٣٤٠، والعقد الفريد ٤/١٨٦ و٤/٢٥٧، وجمهرة أنساب العرب ٣٥٩ والاستيعاب ١/٣٥٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١١٢، وتاريخ الطبري ٢/٤٤٠ و٣/٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٣، وثمار القلوب ٢٨٨، والمستدرك على الصحيحين ٣/٤٢٦، ٤٢٧، وأسد الغابة ١/٣٦٤، ٣٦٥، وتلخيص المستدرك ٣/٤٢٦ ـ ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٢٨٦، والبداية والنهاية ٧/١٤٢، والوافي بالوفيات ١١/٢٨٢، ٢٨٣ رقم ٤١٣، والإكمال ٢/١٤٠، والإصابة ١/٣٠٢، ٣٠٣ رقم ١٥٥٢.

(٢) في نسخة باريس «حرب»، وانظر عن ربيعة في: المغازي للواقدي ٥٠٦ و٦٩٤ و٦٩٦ و٩٠٠، وطبقات ابن سعد ٤/٤٧، ٤٨، وتاريخ خليفة ١٥٣ و٣٤٨، وطبقات خليفة ٥، والسير والمغازي ١٠٨، والمحبّر ٦٤ و٤٤٥، والتاريخ الكبير ٣/٢٨٣، ٢٨٤ رقم ٩٧٢، والمعارف ١٢٠ و١٢٦ ـ ١٢٨ و١٦٤، وأنساب الأشراف ١/٧٩، وق ٣/٢٠ و٢٥ و٢٩٥ و٢٩٦ و٣٠١، وق ٤ ج ١/٥٢٨، وتاريخ الطبري ٣/٧٤ و١٣٩ و١٥٠ و٤/٤٠٤، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥٠، والاستيعاب ١/٥٠٥، ٥٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٦٣، وجمهرة أنساب العرب ٧٠، وأسد الغابة ٢/١٦٦، ١٦٧، وتهذيب الكمال ١/٤٠٩، والكاشف ١/٢٣٧ رقم ١٥٥٦، وسير أعلام النبلاء ١/٢٥٧ ـ ٢٥٩ رقم ٤٦، وتاريخ الإسلام ٣/٢٨٧، والمعجم الكبير للطبراني ٥/٤٧ ـ ٥٠ رقم ٤٤٤، والبداية والنهاية ٧/١٤٢، والوافي بالوفيات ١٤/٨٧، ٨٨ رقم ١٠٦ وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/١٥٦، وتهذيب التهذيب ٣/٢٥٣، ٢٥٤ رقم ٤٨٣، وتقريب التهذيب ١/٢٤٦ رقم ٥٢، والإصابة ١/٥٠٦ رقم ٢٥٩٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١١٧.

(٣) أسد الغابة ٤/١٤٨ ـ ١٥٠.

(٤) أنظر عن عتبة في السير والمغازي ٢٢٥ و٢٢٨ والمغازي للواقدي ٢٣٣ و٣٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، وطبقات ابن سعد ٤/١٢٦، ١٢٧، والمحبّر ٢٩٨، والتاريخ الكبير ٦/٥٢٢ رقم ٣١٨٨، وتاريخ أبي زرعة ١/٤١٩، والمعارف ٢٥٠، ٢٥١، وعيون الأخبار ٣/٥٧، والمعرفة والتاريخ ٢/٥٥١، وأنساب الأشراف ١/٢٠٤ و٣٢٢ و٣٢٩، والجرح والتعديل ٦/٣٧٣ رقم ٢٠٦٣، وجمهرة أنساب العرب ١٩٧، ومشاهير علماء الأمصار ٤٨ رقم ٣٠٧، والتاريخ الصغير ١/٤٧ و٢١٣، والاستيعاب ٣/١٢٠، ١٢١، والمستدرك ٣/٢٥٧ ـ ٢٥٩، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٣١٩، ٣٢٠ رقم ٣٨٩، والزيارات للهروي ٥١، وأسد الغابة ٣/٥٦٩، وتاريخ الإسلام ٣/٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ١/٥٠٠ رقم ٨٨، ومجمع الزوائد ٩/٢٩١، والعقد الثمين ٦/١٣، ١٤، وتلخيص المستدرك ٣/٢٥٧ ـ ٢٥٩، والإصابة ٢/٤٥٦ رقم ٥٤١٤.

(٥) «أحداً» ساقطة من (ب).

الزَّغباء الجُهنيّ، وهو عين رسول الله ﷺ، يوم بدر وشهد غيرها أيضاً.

وفيها مات عُوَيم [1] بن ساعدة الأنصاري، وهو عَقَبيٌّ [2] بْدريّ، وقيل: إنّه من بَليّ، وله حلف في الأنصار. وفيها مات سُهيل بن رافع الأنصاريّ، شهِد بدراً. ومسعود بن أوس بن زيد الأنصاريّ، وقيل: بل عاش بعد ذلك وشهد صِفّين مع عليّ. وفيها تُوُفّي واقد[3] بن عبد الله التميميّ حليف الخطّاب، وهو أوّل من قاتل في سبيل الله في الإسلام وقتل عمروَ بن الحضْرميّ، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ، دار الأرقم. وفيها مات أبو جندل[4] بن سُهيل بن عمرو، وأخوه عبد الله، وكان عبد الله بدريّاً، ولم يشهدها أبو جندل، لأنّ أباه سجنه بمكّة ومنعه من الهجرة إلى يوم الحُدَيبية، وقد تقدّم كيف خُلِّص. وفيها مات أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد، وكان أصابه جرح

---

(١) أنظر عن عويم في: مسند أحمد ٤٢٢/٣، والمغازي للواقدي ١٠٢ و ١٥٩ و ١٧٨ و ٣٠٥ و ٤٠٥ و ٤٩٨ و ٥١٦ و ١٠٤٨ و ١٠٧٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧ و ٣٤٧ وطبقات ابن سعد ٤٥٩/٣، ٤٦٠، والأخبار الموفّقيّات ٥٨٧ و ٥٨٩، والتاريخ الصغير ٤٤/١ و ٧٤، والمحبّر ٨٣، و ٤١٩، ومقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد ١٠٠ رقم ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٣٥٦/٢ و ٢٠٦/٣ و ٢١٩، وأنساب الأشراف ٢٣٩/١ و ٢٤١ و ٢٥٣ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٣٣٣ و ٣٨١ و ٤٤٨، والعقد الفريد ٢٥٧/٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٤ رقم ١٠٧، وحلية الأولياء ١١/٢، ١٢ رقم ١٠٠، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٤، والاستيعاب ١٧١/٣ ـ ١٧٣، وأسد الغابة ١٥٨/٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٤١/٢ رقم ٣٩، وتهذيب الكمال ١٠٦٨/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٠٣/١، ٥٠٤ رقم ٩٠، والكاشف ٣٠٨/٢ رقم ٤٣٨٩، وتاريخ الإسلام ٢٩١/٣، والبداية والنهاية ١٤٣/٧، والمستدرك ٦٣١/٣، ٦٣٢، وتلخيصه ٦٣١/٣، ٦٣٢. والإصابة ٤٤/٣، ٤٥ رقم ٦١١٢، وتهذيب التهذيب ١٧٤/٨، ١٧٥ رقم ٢١٣، وتقريب التهذيب ٩٠/٢ رقم ٨٠٤، وخلاصة التذهيب ٣٠٦.

(٢) في نسخة باريس «عيسي».

(٣) أنظر عن واقد: طبقات خليفة ٢٣، والمغازي للواقدي ١٤ و ١٦ و ١٩ و ١٤٠ و ١٥٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و ١٣٤، والمحبّر ٧٣، وتاريخ الطبري ٤١٢/٢ و ٤١٤ و ٤٢٠ و ٤٢١، وأنساب الأشراف ٣٠٢/١ و ٣٧٢، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٤، والاستيعاب ٦٣٨/٣، ٦٣٩، وأسد الغابة ٨٠/٥، وتاريخ الإسلام ١٣٦/٣ و ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٤٣/٧، ١٤٤، والإصابة ٦٢٨/٣ رقم ٩٠٩٧، وتعجيل المنفعة ٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) أنظر عن أبي جندل: طبقات ابن سعد ٤٠٥/٧، والمغازي للواقدي ٦٠٧ ـ ٦٠٩ و ٦٣٠، وطبقات خليفة ٢٦ و ٣٠٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٢٧، ٢٢٨، والروض الأنف ٣٩/٤، وتاريخ الطبري ٦٣٥/٢ و ٦٣٦ و ٦٣٩ و ٤٠٣/٣ و ٩٦/٤، ٩٧، والتاريخ الصغير ٥٠/١، وتاريخ خليفة ١١٣، والاستيعاب ٣٣/٤ ـ ٣٥، وجمهرة أنساب العرب ١٧١، وأسد الغابة ١٦٠/٥ ـ ١٦٢، والمستدرك ٢٧٧/٣، وصفة الصفوة ٦٦٧/١ و ٦٦٨ رقم ٨٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٠٥/٢، ٢٠٦ رقم ٣١٢، والعبر ٢٢/١، وسير أعلام النبلاء ١٩٢/١، ١٩٣ رقم ٢٣، وتلخيص المستدرك ٢٧٧/٣، وتاريخ الإسلام ١٨٤/٣، ومرآة الجنان ٧٤/١، والبداية والنهاية ٩٦/٧، والعقد الثمين ٣٣/٨، ٣٤، وتهذيب تاريخ دمشق ١٣٤/٧ ـ ١٣٧، والإصابة ٣٤/٤ رقم ٢٠٣، شذرات الذهب ٣٠/١.

باليَمامة فاندمل، ثمّ انتقض عليه فمات منـه، وهو عَقَبيّ بـدْريّ.

وفيها مات أبو خِراش [1] الهُذَليّ الشاعر، وخبر موته مشهور.

وفيها تُوُفّي غيلان [2] بن سَلِمة الثقفيّ، وهو الذي أسلم وتحته عشر نِسْوة.

وفيها في آخرها مات الصَّعْب [3] بن جَثّامة [4] بن قيس الليثيّ.

---

(١) أنظر عن أبي خراش: طبقات خليفة ٥٢، والأخبار الموفّقيّات ١٦٢ و ٣٨٦، والبرصان والعرجان ١٣٩ و ٢٢٤، والمعارف ٦١٨، والشعر والشعراء ٥٥٤، ٥٥٥، والكامل في الأدب للمبرّد ٢/ ٥٠ و ١٨٢، وأمالي القالي ١/ ٢٧١، وتاريخ الطبري ١/ ٦١٧، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٥، وشرح أشعار هُذَيل للسكري ٣/ ١١٨٩ ـ ١٢٤٥، وديوان الهذليين ٢/ ١١٦ ـ ١٧٢، طبعة دار الكتب، وجمهرة أنساب العرب ١٩٨، والاستيعاب ٤/ ٥٦ ـ ٥٨، وثمار القلوب ٣٧٣ و ٤٢٤، وزهر الآداب ٢/ ٧٣٩ ـ ٧٤١، وشعر الهذليين ٣٦١ ـ ٣٨٠، والأغاني ٢١/ ٢٠٥ ـ ٢٢٨، وأمالي المرتضى ١/ ١٩٨، ١٩٩، وأسد الغابة ٥/ ١٧٨، ١٧٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ٢٩٩، ٣٠٠، والبداية والنهاية ٧/ ١٤٤، وسمط اللآلي ١/ ٦٠١، والوافي بالوفيات ١٣/ ٤٣٩، ٤٤٠ رقم ٥٣٣، والإصابة ١/ ٤٦٤، ٤٦٥ رقم ٢٣٤٥، وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٢١١ ـ ٢١٣.

(٢) أنظر عن غيلان في: المغازي للواقدي ٩٢٤ و ٩٣١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٧١، والمحبّر ٣٥ و ٣٥٧ و ٤٧٥، وتاريخ الطبري ٣/ ٨١ و ٦/ ١٠٧، وفتوح البلدان ٥٧٩، والعقد الفريد ٢/ ٣٧٧ و ٣٧٩، ٣٨٠ و ٣/ ٤١٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨، والمعجم الكبير ١٨/ ٢٦٣، ٢٦٤، والاستيعاب ٣/ ١٨٩ ـ ١٩٢، وربيع الأبرار ٤/ ٢٩٥، وثمار القلوب ١٣٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/ ٤٩، والبداية والنهاية ٧/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام ٣/ ٢٩٣، والإصابة ٣/ ١٨٩ ـ ١٩٢ رقم ٦٩٢٤.

(٣) أنظر عن الصعب في: طبقات خليفة ٢٩، والمعرفة والتاريخ ١/ ٣٢٥ و ٣/ ٣٠٩، وأنساب الأشراف ١/ ٣٨٦، وجمهرة أنساب العرب ١٨١، والاستيعاب ٢/ ١٩٨، ومشاهير علماء الأمصار ٥٧ رقم ٣٩٨، والتاريخ الكبير ٤/ ٣٢٣، والجرح والتعديل ٤/ ٤٥٠، والمعجم الكبير ٨/ ٩٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٢٦، وأسد الغابة ٣/ ١٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ٧٦، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/ ٢٤٩، والوافي بالوفيات ١٦/ ٣١٠، ٣١١ رقم ٣٣٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٢١، والإصابة ٢/ ١٨٤ رقم ٤٠٦٥.

(٤) في النسخة (ب): «وسهام».

٢٤
ثم دخلت سنة أربع وعشرين[١]

ذكر بيعة عثمان بن عفّان بالخلافة

في المحرّم منها لثلاثٍ مَضَيْن منه بـويع عثمـان بن عفّان، وقيـل غير ذلـك على ما تقدّم، وكان هذا العام يسمّى عام الرُّعاف لكثرته فيه بالناس. واجتمع أهل الشورى عليه، وقد دخل وقت العصر، فأذّن مؤذّن صُهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامـة، فخرج فصلّى بالناس وزادهم مائة مائة، ووفّد[٢] أهلَ الأمصار، وهو أوّل من صنع ذلك[٣]، وقصـد المنبر وهو أشدّهم كآبة، فخطب الناس ووعظهم وأقبلوا يبايعونه[٤].

ذكر عزل المُغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقّاص

وفيها عزل عثمانُ المغيرةَ بن شُعبة عن الكوفة، واستعملِ سعد بن أبي وقّاص عليها بوصيّة عمر، فإنّه قال: أوصي الخليفة بعدي أن يستعمل سعداً، فـإنّي لم أعزلْـه عن سوءٍ ولا خيانة[٥]، فكان أوّل عامل بعثه عثمان، فعمل عليها سعدٌ سنةً وبعض أخرى[٦]. وقيل: بل أقرّ عثمان عمّال عمر جميعهم سنة، لأنّ عمر أوصى بذلك، ثمّ عزل المغيرة بعد سنـة واستعمل سعداً؛ فعلى هذا القول تكون إمارة سعد سنة خمسٍ وعشرين[٧].

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، وقيل: عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان[٨].

---

(١) العنوان ليس في نسخة (س).
(٢) في نسختي باريس و (ب): «ووفد إليه».
(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٤٢.
(٤) الخطبة في تاريخ الطبري ٤/٢٤٣.
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم ٣٢٠.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٤٤.
(٧) تاريخ الطبري ٤/٢٤٤.
(٨) تاريخ الطبري ٤/٢٤٩، وانظر: تاريخ خليفة ١٥٧، وتاريخ الإسلام ـ بتحقيقنا ـ ٣/٣٠٧.

وقد تقدّم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء أنّها كانت زمن عثمان وذكرُت الخلاف هنالك.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الأنصاري، وهو بدْريّ، وهو أحد البكّائين في غزوة تبوك.

وسُراقة[1] بن مالك بن جُعْشُم المُدلجي، وقيل: مات بعد ذلك، وهو الذي أدرك النبيّ ﷺ، في هجرته.

---

(١) أنظر عن سُراقة في: المغازي للواقدي ٣١ و٣٨ و٣٩ و٧١ و٧٥ و١٣٥ و٩٤١، وتهذيب سيرة ابن هشام ١١٦، ١١٧ و١٣٨، وطبقات خليفة ٣٤، وتاريخ خليفة ١٥٧، والبرصان والعرجان ٧٧، ٧٨، وتاريخ الطبري ٤٣١/٢، والمعرفة والتاريخ ٢٤٠/١ و٣٩٥ و٦٢٧/٢، والكنى والأسماء ٧١/١ و٧٣، والتاريخ الكبير ٢٠٨/٣، ٢٠٩ رقم ٢٥٢٣، وأنساب الأشراف ٢٦٣/١ و٢٩٥، ومقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد ٩١ رقم ١٣٠، والجرح والتعديل ٣٠٨/٤ رقم ١٣٤٢، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٧٠، والاستيعاب ١١٩/٢ ـ ١٢١، وثمار القلوب ٦٦ و١٣٠، وجمهرة أنساب العرب ١٨٧، والمستدرك على الصحيحين ٦١٩/٣، ٦٢٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٠٩/١، ٢١٠، وتحفة الأشراف ٢٦٨/١ ـ ٢٧٠ رقم ١٧٩، وتهذيب الكمال ٤٦٦/١، والكاشف ٢٧٥/١ رقم ١٨٢٥، وتلخيص المستدرك ٦١٩/٣، ٦٢٠، وتاريخ الإسلام ٣٠٨/٣، ٣٠٩ و٦٦١، ومرآة الجنان ٨٢/١، والوافي بالوفيات ١٣٠/١٥، ١٣١ رقم ١٨٥، والأسامي والكنى للحاكم (مخطوط دار الكتب المصرية) ٢٥٥/١، ٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٤٥٦/٣ رقم ٨٥٤، وتقريب التهذيب ٢٨٤/١ رقم ٦٠، والإصابة ١٩/٢ رقم ٣١١٦.

٢٥
ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر خلاف أهل الإسكندريّة[١]

في هذه السنة خالف أهل الإسكندرية ونقضوا صلحهم.

وكان سبب ذلك أنّ الروم عظُم عليهم فتح المسلمين الإسكندرية، وظنّوا أنّهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الإسكندرية عن ملكهم، فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم إلى نقْض الصلح، فأجابوهم إلى ذلك. فسار إليهم من القسطنطينيّة جيش كثير، وعليهم مَنويل الخصيّ، فأرسوا بها، واتّفق معهم من بها من الروم، ولم يوافقهم المُقَوْقس بل ثبت على صلحه. فلمّا بلغ الخبرُ إلى عمرو بن العاص سار إليهم، وسار الروم إليه، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الروم وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية، وقتلوا منهم في البلد مقتلةً عظيمة، منهم مَنويل الخصيّ. وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى مَنْ وافقهم ومن خالفهم. فلمّا ظفر بهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص إنّ الروم أخذوا دوّابنا وأموالنا، ولم نخالف نحن عليكم وكنّا على الطاعة. فردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البيّنة. وهدم عمرو سور الإسكندرية وتركها بغير سور[٢].

وفيها بلغ سعدَ بن أبي وقّاص عن أهل الرّيّ عزْمٌ على نقض الهدنة والغدر، فأرسل إليهم وأصلحهم، وغزا الدَّيلم، ثمّ انصرف[٣].

---

(١) أنظر عن الإسكندرية: تاريخ خليفة ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤، وفتوح البلدان ٢٥٩، والخراج لقدامة ٣٤٠، والبدء والتاريخ ١٩٨/٥، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٥، وتاريخ الطبري ٢٥٠/٤، ونهاية الأرب ٤٠٧/١٩، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٥، ١٧٦، والولاة والقضاة للكِنْدي ١١، وخطط المقريزي ١٩٩/١، وولاة مصر ٣٥، ودول الإسلام للذهبي ٢٠/١، والبداية والنهاية ١٥١/٧، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٧، وتاريخ الإسلام ٣١٢/٣.

(٢) فتوح البلدان ٢٦٠.

(٣) الخبر في فتوح البلدان ٣٩١.

ذكر عزْل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عُقْبَة

في هذه السنة[1] عزل عثمانُ بن عفّان سعدَ بن أبي وقّاص عن الكوفة في قول بعضهم، واستعمل الوليدَ بن عُقبة بن أبي مُعيط، واسم أبي مُعيط أبان بن أبي عمرو، واسمه ذكوان بن أميّة بن عبد شمس، وهو أخو عثمان لأمّه، (أمّهما أروى بنت كُريز، وأمّها البيضاء بنت عبد المطّلب)[2].

وسبب ذلك أنّ سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً، فلمّا تقاضاه ابن مسعود لم يتيسّر له قضاؤه، فارتفع بينهما الكلام، فقال له سعد: ما أراك إلاّ ستلقى شرّاً، هل أنت إلاّ ابن مسعود، عبدٌ من هُذَيل؟ فقال: أجل والله إنّي لابن مسعود، وإنّك لابن حُمَينة. وكان هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص حاضراً فقال: إنّكما لصاحبا رسول الله ﷺ، يُنظر إليكما. فرفع سعدٌ يده ليدعو على ابن مسعود، وكان فيه حدّة، فقال: اللهمّ ربّ السموات والأرض. فقال ابن مسعود: ويلك قل خيراً ولا تلعن. فقال سعد عند ذلك: أمَا[3] والله لولا اتّقاء الله لَدَعَوْت عليك دعوة لا تخطئك. فولّى عبد الله سريعاً حتى خرج[4]، ثمّ استعان عبدُالله بأناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس على إنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً، وهؤلاء عبدَ الله، فكان أوّل ما نُزغَ به بين أهل الكوفة، وأول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة. وبلغ الخبرُ عثمان، فغضب عليهما، فعزل سعداً وأقرّ عبد الله، واستعمل الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط مكان سعد، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطّاب، وعثمان بن عفّان بعده، فقدِم الكوفة والياً عليها، (وأقام عليها خمس سنين، وهو من أحبّ الناس إلى أهلها)[5]. فلمّا قدِم قال له سعد: أكِستَ بعدنا أم حمُقْنا بعدك؟ فقال: لا تجزعَنَّ يا أبا إسحق، كلّ ذلك لم يكن، وإنّما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون. فقال سعد: أراكم جعلتموها ملكاً[6]! وقال له ابن مسعود: ما أدري أصَلحتَ بعدنا أم فسد الناس!.

---

(١) ذكر الطبري هذا الخبر في حوادث سنة ٢٦ هـ. (٤/٢٥١) وكذلك فعل اليعقوبي في تاريخه ١٦٥، بينما ذكره خليفة في سنة ٢٥ هـ. (ص ١٥٧) وهكذا فعل الذهبي في دول الإسلام ١/ ٢٠.

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).

(٣) في الطبعة الأوروبية «أم».

(٤) حتى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة باريس. والخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٢.

(٦) الأغاني ٥/ ١٢٤، تاريخ الإسلام ٣/ ٣١١.

ذكر صُلْح أهل أرمينية وأذربيجان[1]

لما استعمل عثمانُ الوليدَ على الكوفة عزل عُتْبَةَ بن فرقد عن أذْرَبِيْجان، فنقضوا، فغزاهم الوليدُ سنة خمس وعشرين، وعلى مقدّمته عبدُ الله بن شُبَيل الأحمسيّ، فأغار على أهل مُوقان والبَبَر والطَّيلسان ففتح وغنِم وسبَى، فطلب أهلُ كُوَر أذْرَبيجان الصُّلح، فصالحهم على صُلح حُذيفة[2]، وهو ثمانمائة ألف درهم، وقبض المال[3]. ثم بثّ سراياه، وبعث سَلمانَ بن ربيعة الباهليَّ إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً، فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، ثمّ انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليدَ، فعاد الوليدُ وقد ظفر وغنِم، وجعل طريقه على الموصل، ثمّ أتى الحَديثة فنزلها، فأتاه بها كتاب عثمان فيه أنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أنّ الروم قد أجلبت على المسلمين في جموعٍ كثيرة[4]، وقد رأيتُ أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فابعث إليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام.

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال، وندبهم مع سلمانَ بن ربيعة الباهليّ، فانتدب معه ثمانية آلاف، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، فشنّوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاؤوا، وافتتحوا حصوناً كثيرة[5].

وقيل: إنّ الذي أمدّ حبيب بن مَسْلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وكان سبب ذلك أنّ عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يُغزيَ حبيبَ بن مسلمة في أهل الشام أرمينية، فوجّهه إليها، فأتَى قاليقلا فحصرها وضيّق على من بها، فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية، فجلا كثير منهم فلحِقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً[6].

وإنّما سُمّيت قاليقلا لأنّ امرأة بَطريق أَرميناقس كان اسمها قالي بنَتْ هذه المدينة، فسمَّتْها قالي قَلَه، تعني إحسان قالي، فعرّبتها العرب فقالت: قاليقلا[7].

ثمّ بلغه أنّ بَطْريق أرْميناقس[8] ـ وهي البلاد التي هي الآن بيد أولاد السلطان قَلْج

---

(١) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري.
(٢) الخبر في فتوح البلدان ٤٠١، ٤٠٢.
(٣) فتوح البلدان ٤٠٠ رقم ٨١١ و٤٠٢ رقم ٨١٦.
(٤) فتوح البلدان ٢٣٥ رقم ٥٠٨.
(٥) فتوح البلدان ٢٣٥ رقم ٥٠٨.
(٦) الخبر في فتوح البلدان ٢٣٤ رقم ٥٠٧.
(٧) فتوح البلدان ٢٣٤ رقم ٥٠٦.
(٨) في فتوح البلدان «أرمَنْياقُس».

رسلان[1] ـ وهي مَلَطْية وسيواس وأقصرا[2] وقونية، وما والاها من البلاد إلى خليج لقسطنطينيّة، واسمه المَوْريان، قد توجّه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم. فكتب حبيب لى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب، فأمدّه بسَلمان في ستة آلاف، وأجمع حبيب على تبييت الروم، فسمعته مرأته أمّ عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت: أين موعدك؟ فقال: سُرادق المَوْرِيان[3]. ثمّ يّتهم فقتل مَنْ وقف له، ثمّ أتَى السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه، فكانت أوّل امرأة من العرب ضُرب عليها حجاب سُرادق. ومات عنها حبيب، فخَلَف عليها الضَّحَّاك بن قيس، فهي أم ولده.

ولما انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقَلا، ثمّ سار منها فنزل مربالا[4]، فأتاه بطْريق خلاط بكتاب عِياض بن غَنْم بأمانه، فأجراه عليه، وحمل إليه البطْريقُ ما عليه من المال، ونزل حبيب خلاط، ثمّ سار منها فلقِيه صاحب مُكْس[5]، وهي من البُسْفُرْجان[6]، فقاطعه على بلاده، ثمّ سار منها إلى أَزْدِشاط[7]، وهي القرية التي يكون بها القِرمِز الذي يُصبغ به، فنزل على نهر[8] دَبِيل، وسرّح[9] الخيول إليها فحصرها، فتحصّن أهلها، فنصب عليهم منجنيقاً، فطلبوا الأمان، فأجابهم إليه وبثّ السرايا، فبلغت خيلُه ذاتَ اللُّجُم؛ وإنّما سُمِّيت ذات اللُّجُم لأنّ المسلمين أخذوا لُجُمَ خيولهم، فكبسهم الروم قبل أن يُلجموها، ثمّ ألجموها وقاتلوهم فظفروا بهم؛ ووجّه سريّةً إلى سِراج طَيْر[10] وبَغْرَوَنْد[11]، فصالحه بطْريقُها على إتاوة. وقدم عليه بطريق البُسْفُرْجان فصالحه على جميع بلاده[12].

وأتى السِّيسَجان[13] فحاربه أهلُها، فهزمهم وغلب على حصونهم، وسار إلى

---

(١) هذا في الوقت الذي كتب المؤلّف ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب.

(٢) من النسخة (س).

(٣) فتوح البلدان ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) مربالا: ناحية قرب خلاط. (معجم البلدان ٥/٩٧).

(٥) مُكْس: موضع بأرمينية من ناحية البُسْفُرْجان قرب قاليقلا. (معجم البلدان ٥/١٨٠).

(٦) بُسْفُرْجان: بضم الفاء وسكون الراء. كورة بأرض أرّان، ومدينتها النَّشْوى، وهي نقجوان. (معجم البلدان ١/٤٢٢).

(٧) لم يذكرها ياقوت في معجمه. وفي فتوح البلدان ٢٣٧ رقم ٥١٢، «أزدساط». بالسين المهملة.

(٨) في فتوح البلدان «مرج دبيل».

(٩) في فتوح البلدان «سرّب».

(١٠) سِراج طير: كورة في أرمينية الثالثة. (معجم البلدان ٣/٢٠٣).

(١١) بَغْرَوَنْد: بفتح الواو وسكون النون. بلد في أرمينية الثالثة (معجم البلدان ١/٤٦٧).

(١٢) فتوح البلدان ٢٣٧ وفيه كتاب الصلح، والخراج لقدامة ٣٢٧.

(١٣) سِيسَجان: بكسر أوله ويُفتح. بلدة بعد أرّان. (معجم البلدان ٣/٢٩٧).

جُرْزان[1]، فأتاه رسولُ بطريقها يطلب الصلح فصالحه. وسار إلى تفليس فصالحه أهلُها، وهي من جُرْزان[1]، وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها صلحاً. وسار سَلمان بن ربيعة الباهليّ إلى أرّان[2]، ففتح البَيْلَقان صلحاً على أن آمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم، واشترط عليهم الجزية والخَراج[3].

ثمّ أتى سلمان مدينة بَرْذَعَة، فعسكر على الثُّرثور، نهر بينه وبينها نحو فرسخ، فقاتله أهلها أيّاما[4]، وشنّ الغارات في قراها، فصالحوه على مثل صلح البَيْلَقان ودخلها؛ ووجّه خيله ففتحت رساتيق الولاية، ودعا أكرادَ البلاشجان[5] إلى الإسلام، فقاتلوه فظفر بهم، فأقرّ بعضهم على الجزية، وأدّى بعضهم الصدقة، وهم قليل. ووجّه سرية إلى شَمْكور[6] ففتحوها، وهي مدينة قديمة، ولم تزل معمورة حتى أخربها السَّناوردية[7]، وهم قوم تجمّعوا لما انصرف يزيد بن أُسَيد عن أرمينية، فعظُم أمرهم، فعمرها بُغا سنة أربعين ومائتين، وسمّاها المتوكّلية نسبة إلى المتوكّل.

وسار سَلْمان إلى مجمع أرس والكُرّ ففتح قَبَلَة[8]، وصالحه صاحب سكر[9] وغيرها على الإتاوة، وصالحه ملك شَرْوان وسائر ملوك الجبال، وأهل مَسْقط والشّابَران ومدينة الباب. ثمّ امتنعت بعده[10].

ذكر غزوة معاوية الروم

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عَمّورية، فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطَرَسُوس خالية، فجعل عندها جماعةً كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته، ثمّ

---

(١) في النسختين (ب) و(س): «خزران»، وهو تحريف، والتصويب من نسختي باريس وبودليان. و«جُرزان»: بالضم ثم السكون. اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس. (معجم البلدان ٢/١٢٥).

(٢) أرّان: بالفتح وتشديد الراء. اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها جنزة، وهي التي تسمّيها العامة كَنْجَة، وبرذعة، وشَمْكور، وبيلقان. (معجم البلدان ١/١٣٦).

(٣) فتوح البلدان ٢٣٧ و٢٣٨ وفيه كتاب الصلح.

(٤) في النسخة (ب): «زماناً».

(٥) في فتوح البلدان «البلاسجان» بالسين المهملة.

(٦) شَمْكُور: بفتح أوله وسكون ثانيه. قلعة بنواحي أرّان. (معجم البلدان ٣/٣٦٤).

(٧) في النسختين (ب) وبودليان «الشناوردية»، وفي فتوح البلدان ٢٤٠ الساورديّة. والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٣/٣٦٤.

(٨) في النسخة (س): «فيلة».

(٩) في فتوح البلدان «شَكّن».

(١٠) الخبر في فتوح البلدان ٢٤٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٨.

أغزى بعد ذلك يزيدَ بن الحُرّ العبْسيّ الصائفة، وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية[1].

ذكر غزوة إفريقية

في هذه السنة سيّر عمرو بن العاص عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر عثمان، وكان عبد الله من جند مصر، فلمّا سار إليها أمدّه عمرو بالجنود فغنم هو وجنده، فلمّا عاد عبد الله كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية، فأذن له في ذلك[2].

ذكر عدّة حوادث

وفيها أرسل عثمانُ عبدَ الله بن عامر إلى كابُل، وهي عمالة سِجِسْتان، فبلغها في قولٍ، فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلُها[3].

وفيها وُلد يزيد بن معاوية[4].

وفيها كانت [غزوة] سابور الأولى، وقيل: سنة ست وعشرين، وقد تقدّم ذلك.

وحجّ بالناس عثمان.

---

(١) فتوح البلدان ١٩٥ رقم ٤٣٣، وانظر تاريخ الطبري ٤/٢٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٥٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٥ وفيه أن غزو إفريقية سنة ٢٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٥، والبدء والتاريخ ٥/٦٩٩، وتاريخ الإسلام ٣/٣١٢.

(٣) انظر فتوح البلدان ٤٨٨.

(٤) هذا الخبر وبعده في تاريخ الطبري ٤/٢٥٠.

٢٦
ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر الزيادة في الحرم

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم[١]. وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم، فأَبَى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال. فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحُبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيّحوا به. فكلّمه فيهم[٢] عبدُ الله بن خالد بن أَسِيد فأطلقهم[٣].

(أَسِيد: بفتح الهمزة وكسر السين).

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٥١ وانظر شفاء الغرام للقاضي الفاسي (بتحقيقنا) ١/٨٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «فيه».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٥١، تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤، ١٦٥ و١٦٦، شفاء الغرام ١/٤٦، تاريخ خليفة ١٥٩، تاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٣١٥.

٢٧
[ثم دخلت سنة سبع وعشرين](١)

ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر وفتح إفريقية(٢)

في هذه السنة عُزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستُعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاعة، فتباغيا(٣)، فكتب عبد الله إلى عثمان يقول: إن عَمراً كسر على الخراج. وكتب عمرو يقول: إنّ عبد الله قد كسر على مكيدة الحرب. فعزل عثمانُ عَمراً واستقدمه، واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها، فقدِم عمرو مُغضباً، فدخل على عثمان وعليه جبّة محشُوَّة [قُطناً]، فقال له: ما حشوُ جبّتك؟ قال: عمرو. قال: قد علمت [أنّ حشوها عمرو] ولم أرد هذا، [إنّما سألتُ أقطنٌ هو أم غيره؟].

وكان عبد الله من جُند مصر، وكان قد أمره عثمان بغزو إفريقية سنة خمس وعشرين، وقال له عثمان: إن فتح الله عليك فلك من الفَيْء خُمس الخُمْس نَفْلاً. وأمَّر عبَد الله بن نافع بن عبد القيس وعبدَ الله بن نافع بن الحارث على جُند، وسرّحهما [إلى الأندلس]، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، ثمّ يقيم

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس في الأصول.

(٢) أنظر عن فتح إفريقية في: تاريخ خليفة ١٥٩، ١٦٠، وتاريخ اليعقوبي ١٦٥/٢، وفتوح البلدان ٢٦٥، وتاريخ الطبري ٢٥٣/٤، والخراج لقدامة ٣٤٣، والولاة والقضاة ١٢، والبدء والتاريخ ١٩٩/٥، ودول الإسلام ٢٠/١، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٢٨، والمختصر في أخبار البشر ١٦٧/١، ومرآة الجنان ٨٣/١، ونهاية الأرب ٤١٢/١٩، وولاة مصر ٣٥، وتاريخ الخلفاء ١٥٥، وتاريخ الإسلام ٣١٨/٣، وانظر: نهاية الأرب ١٣/٢٤ ـ ١٧، والبيان المغرب ١٠/١ ـ ١٢، والتذكرة الحمدونية ٤١٦/٢، ٤١٧ رقم ١٠٧٤، والعقد الثمين ١٥٤/٥، ١٥٥.

(٣) في النسخة (ب): «فشاغبا».

عبد الله في عمله. فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطِئوا أرض إفريقية، وكانوا في جيش كثير عدّتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين، فصالحهم أهلُها على مال يؤدّونه، ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغّل فيها لكثرة أهلها.

ثمّ إنّ عبد الله بن سعد لما وُلّي أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية، والاستكثار من الجموع عليها وفتْحها، فاستشار عثمانُ مَن عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بذلك، فجهّز إليه العساكر من المدينة، وفيهم جماعة من أعيان الصحابة، منهم عبد الله بن عبّاس وغيره، فسار بهم عبد الله بن سعد إلى إفريقية. فلمّا وصلوا إلى بَرْقة لقيهم عُقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين، وكانوا بها، وساروا إلى طرابلس الغرب، فنهبوا مَن عندها من الروم. وسار[1] نحو إفريقية وبثّ السرايا في كلّ ناحية، وكان ملكهم اسمه جُرجير، وملْكه من طرابلس إلى طنْجة، وكان هِرَقْل ملك الروم قد ولّاه إفريقية، فهو يحمل إليه الخراج كلّ سنة. فلمّا بلغه خبر المسلمين تجهّز وجمع العساكر وأهل البلاد، فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس، والتقى هو والمسلمون بمكانٍ بينه وبين مدينة سُبَيْطلة يوم وليلة، وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك، فأقاموا هناك يقتتلون كلّ يوم، وراسله عبد الله بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجِزية، فامتنع منهما وتكبّر عن قبول أحدهما.

وانقطع خبر المسلمين عن عثمان، فسيّر عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم، فسار مُجِدّاً ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر، ففتّ ذلك في عضُده. ورأى عبد الله بن الزُّبير قتال المسلمين كلّ يوم من بكرة إلى الظهر، فإذا أُذِّن بالظهر عاد كلّ فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم يرَ ابن أبي سَرْح معهم، فسأل عنه، فقيل إنّه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوّجه ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني برأس جُرجير نفلتُه مائة ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده. ففعل ذلك، فصار جُرجير يخاف أشدّ من عبد الله.

ثمّ إنّ عبد الله بن الزُّبير قال لعبد الله بن سعد: إنّ أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متّصلة وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيتُ أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهّبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان

---

(١) في النسختين (ب) وباريس «فساروا».

في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غِرّة، فلعلّ الله ينصرنا عليهم[1] فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم، فوافقوه على ذلك.

فلمّا كان الغد فعل عبد الله ما اتّفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخيولهم عندهم مُسْرَجة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً. فلمّا أُذِّن بالظهر همّ الروم بالانصراف على العادة، فلم يمكّنْهم ابنُ الزُّبير، وألحّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثمّ عاد عنهم هو والمسلمون، فكلٌّ من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجلٍ واحد وكبّروا، فلم يتمكّن الروم من لبس سلاحهم، حتى غشِيهم المسلمون وقُتل جُرجير، قتله ابنُ الزبير، وانهزم الروم، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأُخذت ابنة الملك جُرجير سبيَّة. ونازل عبدُ الله بن سعد المدينة، فحصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار.

ولما فتح عبد الله مدينة سُبَيْطِلة[2] بثّ جيوشه في البلاد فبلغت قَفْصَة[3]، فسبَوا وغنموا، وسيّر عسكراً إلى حصن الأَجَم[4]، وقد احتمى به أهلُ تلك البلاد، فحصره وفتحه بالأمان، فصالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار، ونفّل عبد الله بن الزبير ابنة الملك، وأرسله إلى عثمان بالبشارة بفتح إفريقية. وقيل: إن ابنة الملك وقعتْ لرجل من الأنصار فأركبها بعيراً وارتجز بها يقول:

يا ابنةَ جُرجيرٍ تمشّيْ عُقْبتِكْ   إنّ عليك بالحجاز ربّتِكْ
لتحملنَّ من قَباء قربتِكْ

ثمّ إنّ عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر، وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر، ولم يفقد من المسلمين إلاّ ثلاثة نفر، قُتل منهم أبو ذُؤَيب الهُذَليّ الشاعر، فدُفن هناك، وحُمل خمس إفريقية إلى المدينة، فاشتراه مروان بن الحَكَم بخمسمائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أُخذ عليه.

---

(١) في النسخة (ب) «عليهم ينصرنا».

(٢) سُبَيطِلة: بضم أوله وفتح ثانيه. مدينة من مدن إفريقية. بينها وبين القيروان سبعون ميلاً. (معجم البلدان ١٨٧/٣).

(٣) قَفْصَة: بالفتح ثم السكون. بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير. (معجم البلدان ٣٨٢/٤).

(٤) في النسخة (ب) «الأعاجم».

وهـذا أحسن ما قيـل في خمس إفريقيـة، فإنّ بعض النـاس يقول: أعـطى عثمـانُ خمس إفريقية عبدَ الله بن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروانَ بن الحَكَم. وظهر بهذا أنّه أعـطى عبدَ الله خمس الغـزوة الأولى، وأعطى مـروانَ خمس الغزوة الثـانية التي افتُتِحت فيها جميع إفريقية، والله أعلم.

ذكر انتقاض إفريقية وفتحها ثانية

كان هِرَقل ملك القسطنطينيّة يؤدي إليـه كلُّ ملك من ملوك النصـارى الخراج، فهم من مصر وإفريقية والأندلس وغير ذلك، فلمّا صالح أهل إفريقية عبـدَ الله بن سعد أرسـل هرقل إلى أهلها بَطْريقاً له، وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون، فنزل البَطْريق في قَرْطاجنّة، وجمع أهل إفريقية وأخبرهم بما أمره الملك، فأبَوْا عليه، وقالوا: نحن نؤدّي ما كان يؤخذ منّا، وقد كان ينبغي له أن يسامحنا لِما نالـه المسلمون منّـا. وكان قـد قام بـأمر إفريقية بعد قتل جرجير رجـل آخر من الـروم، فطرده البَـطْريق بعد فِتَن كثيـرة[1] فسار إلى الشام وبه معاوية، وقد استقرّ له الأمر بعد قتل عليّ، فوصف له إفـريقية وطلب أن يـرسل معه جيشاً، فسيّر معه معاويةُ بن أبي سفيان معاويةَ بن حُدَيـج السَّكوني. فلمّـا وصلوا إلى الإسكندريّة هلك الروميُّ، ومضى ابن حُديج فوصل إلى إفريقية وهي نار تضـطّرم، وكان معه عسكر عظيم، فنزل عند قَمونية[2]، وأرسل البَطريق إليه ثلاثين ألف مقاتل. فلمّا سمع بهم معاوية سيَّر إليهم جيشاً من المسلمين، فقـاتلوهم، فانهـزمت الروم، وحصـر حصن جَلولاء، فلم يقدر عليه، فـانهدم سـور الحصن، فملكه المسلمـون وغنِموا مـا فيه، وبثّ السرايا، فسكن الناس وأطاعوا، وعاد إلى مصر.

(حُدَيج: بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم).

ثمّ لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم، إلى زمـان هشام بن عبـد الملك، حتى دبّ إليهم أهـلُ العراق واستثـاروهم، فشقّـوا[3] العصا، وفـرّقـوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمّة بما تجني العمال. فقالـوا لهم: إنّما يعمـل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتى نخبرهم، فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً، فقدِمـوا على هشام فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش فقالـوا: أبلغ أمير المؤمنين أنّ أميـرنا يغـزو بنا

(١) كثيرة ساقطة من النسخة (س).
(٢) قمونية: مـدينة كـانت موضـع القيروان قبـل أن تمصَّر القيـروان. وقيل: هي المعـروفة بسـوس المغرب. (معجم البلدان ٤/٣٩٩).
(٣) في النسخة (ب): «فشقّوا عليه العصا».

وبجنده، فإذا غنمنا نفَّلهم، ويقول: هذا أخلص لجهادنا، وإذا حاصرنا مدينةً قدّمنا وأخرَّهم، ويقول: هذا ازدياد في الأجر، ومثلُنا كفى إخوانه؛ ثمّ إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلونا يبقرون بطونها عن سِخالها، يطلبون الفِراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فاحتملنا ذلك، ثمّ إنّهم ساموا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟ فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم، فكتبوا أسماءهم ودفعوها إلى وزرائه وقالوا: إن سأل عنّا أمير المؤمنين فأخبروه. ثمّ رجعوا إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه واستولوا على إفريقية، وبلغ الخبر هشاماً، فسأل عن النفر، فعُرِّف أسماءهم، فإذا هم الذين صنعوا ذلك[1].

ذكر غزوة الأندلس

لما افتُتحت إفريقية أمر عثمانُ عبدَ الله بن نافع بن الحصين وعبدَ الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرا إلى الأندلس، فأتياها من قِبَل البحر، وكتب عثمان إلى مَن انتدب معهما: أمّا بعد فإنّ القسطنطينيّة إنّما تُفتح من قِبَل الأندلس.

فخرجوا ومعهم البربر[2]، ففتح الله على المسلمين، وزاد في سلطان المسلمين مثل إفريقية. ولما عزل عثمانُ عبدَ الله بن سعد عن إفريقية ترك في عمله عبدَ الله بن نافع بن عبد القيس، فكان عليها، ورجع عبد الله إلى مصر[3]. وبعث عبدُ الله إلى عثمان مالاً قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان فقال له: يا عمرو هل تعلم أن تلك اللِّقاح درّت بعدك؟ قال عمرو: إنّ فصالها قد هلكت[4].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عثمان[5]. وفيها كان فتح إصطَخْر الثاني، على يد عثمان بن أبي العاص[6]. وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان قِنّسرين[7].

---

(١) تاريخ الطبري ٢٥٤/٤، ٢٥٥.
(٢) في نسختي: باريس و(ب): «البريد».
(٣) تاريخ الطبري ٢٥٥/٤.
(٤) الطبري ٢٥٧/٤.
(٥) تاريخ الطبري ٢٥٧/٤، تاريخ الإسلام ٣٢٢/٣.
(٦) الطبري ٢٥٧/٤.
(٧) الطبري ٢٥٧/٤.

[الوَفيات]

وفيها مات أبو ذؤيب[1] الهُذَليّ الشاعر بمصر منصرفاً من إفريقية، وقيل: بل مات بطريق مكّة في البادية، وقيل: مات ببلاد الروم، وكلّهم قالوا: مات في خلافة عثمان.

وفيها مات أبو رِمثة البَلَويّ بإفريقية، له صُحبة.

وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطّاب زوج النبيّ ﷺ، وقيل: ماتت سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة خمس وأربعين[2].

---

(١) أنظر عن أبي ذؤيب في: البرصان والعرجان ٢٣٢، والشعر والشعراء ٢/٥٤٧ ـ ٥٥١ رقم ١٣٢، وعيون الأخبار ١/١٨٠ و٢/١٩١ و٣/١٨٥ و٤/١٠٩، والتعليقات والنوادر لأبي علي هارون الهجري ٢/٢٦٥ رقم ١٠٦٢، والمفضّليّات ٢/١٩، وديوان الهذليين ١/١ (الملاحق ٩٣)، والزاهر للأنباري ١/١١٤ و١٥٦ و٢٤١ و٢٩٦ و٣٠٧ و٣٧٦، و٤٠٧ و٤٤١ و٤٥٩ و٤٦٩ و٥٣٠ و٥٧٥ و٥٨٣ و٦٠٥ و٦٠٧ و٢/٣٥ و٥٣ و٨٧ و١٦٢ و١٧٤ و٢٣٨ و٢٦٨ و٣٤٤، والأغاني ٦/٢٦٤ ـ ٢٧٩، وثمار القلوب ٥٦ و٥٦١، والأمالي للقالي ١/٧٦ و١٠٣ و١٦٨ و٢٣٣ و٢/٢٣ و١١٤ و١٨٦ و٢١٧ و٢٥٥ و٣١٠ و٣٢٠، وذيل الأمالي ٨ و١٢٩، وأمالي المرتضى ١/٢١٧ و٢٥٩ و٢٩٣ و٤٩٢ و٦١٦ ولباب الآداب ٢٠٠ و٤٢٥، والمنازل والديار ٢/٢٤١ و٢٦٨ و٢٧٠، وأسد الغابة ٥/١٨٨ ـ ١٩٠، ومعجم الأدباء ١١/٨٣ ـ ٨٩ رقم ٢٠، ووفيات الأعيان ٦/١٥٥، ١٥٦، والاستيعاب ٤/٦٥ ـ ٦٧، وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٠، وحياة الحيوان للدميري ٢/٤٧، والمؤتلف والمختلف للآمدي ١١٩، وسمط اللآلي ٩٨، وشرح الشواهد للعيني ١/٩٥ ـ ٢٩٨، وشرح شواهد المغني ٢/١٦٥، ومعاهد التنصيص ٢/١٦٥ ـ ١٧٠، وشرح المفضّليّات رقم ١٢٦، والإصابة ٤/٦٥ ـ ٦٧ رقم ٣٨٨، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٢٠٣ و٢/٣٢٠ و٣/٥٩٧، والبداية والنهاية ٧/٢٢٢، ومعجم الشعراء في لسان العرب ١٦٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ـ بتحقيقنا ـ ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) ورد في حاشية نسخة باريس: «إهمال سنة سبع وعشرين وحوادثها ويحرّر العرفي حالها».

٢٨
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر فتح قُبْرُس[1]

قيل: في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: إنّما غُزيت سنة ثلاثٍ وثلاثين، لأنّ أهلها غدروا، على ما نذكره، فغزاها المسلمون. ولما غزاها معاوية هذه السنة، غزا معه جماعة من الصحابة فيهم أبو ذَرّ، وعُبادة بن الصامت ومعه زوجته أمّ حَرام، وأبو الدرداء وشدّاد بن أوس، وكان معاوية قد لجّ على عمرٍ في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إنّ قرية من قرى حمص لَيَسمع أهلُها نُباح كلابهم وصياح دجاجهم. فكتب عمرُ إلى عمرو بن العاص: صِف لي البحر وراكبه. فكتب إليه عمرو بن العاص: إنّي رأيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، ليس إلاّ السماء والماء، إن ركد خرّق القلوب، وإن تحرّك أزاغ العقول، يزداد[2] فيه اليقين قلّة، والشكّ كثرة، هم فيه كَدود على عود، إن مال غَرِقَ، وإن نجا بَرِقَ. فلمّا قرأه كتب إلى معاوية: والذي بعث محمداً ﷺ بالحقّ لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وقد بلغني أنّ بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن اللّهَ في كلّ يوم وليلة في أن يُغرِّق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا

---

(١) أنظر عن فتح قبرس في: فتوح البلدان ١٨١، وتاريخ خليفة ١٦٠، والفتوح لابن أعثم ٢/١١٧ وما بعدها، والخراج القدامة ٣٠٦، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٥، وتاريخ الطبري ٤/٢٥٩، ودول الإسلام ١/٢٠، ونهاية الأرب ١٩/٤١٤، وتاريخ الخلفاء ١٥٥، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦٧، ومرآة الجنان ١/٨٣، والنجوم الزاهرة ١/٨٥، وتاريخ الخميس ٢/٢٨٥، والبداية والنهاية ٧/١٥٣، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٣٠، تاريخ أبي زرعة ١/١٨٤، تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦، وكتاب الأموال لابن سلام ٢٥٣، ٢٥٤، وشرح كتاب السير الكبير ٥/٢١٦٦، تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٣٦/١٩٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٠٧، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (الطبعة الثانية) ٩٧ ـ ٩٩، والأخبار الطوال ١٣٩، وتاريخ الإسلام ٣/٣١٧ و ٣٢٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «يزاد».

الكافر! وبالله لَمُسلم أحبّ إليّ ممّا حوَتِ الروم. وإيّاك أن تَعرَّض إليّ، فقد علمتَ ما لقي العلاء منّي.

قال: وترك ملكُ الروم الغزوَ وكاتب عمرَ وقاربه[1]. وبعثت أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، زوج عمر بن الخطّاب، إلى امرأة ملك الروم بطِيب وشيء يصلح للنساء مع البريد، فأبلغه إليها، فأهدت امرأة الملك إليها هديّة، منها عِقْد فاخر. فلمّا رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، وأعلمهم الخبر، فقال القائلون: هو لها بالذي كان لها، وليست امرأة الملك بذمّة فتصانعك. وقال آخرون: قد كنّا نُهدى لنستثيب[2]. فقال عمر: لكنّ الرسولَ رسولُ المسلمين والبريدَ بريدهُم، والمسلمون عظّموها في صدرها، فأمر بردّها إلى بيت المال، وأعطاها بقدر نفقتها[3].

فلمّا كان زمن عثمان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مراراً، فأجابه عثمان بأخَرة إلى ذلك، وقال له: لا تنتخب الناس ولا تُقرع بينهم، خيّرهم، فمن اختار الغزوَ طائعاً فاحملْه وأعِنْه. ففعل، واستعمل عبدَ الله بن قيس الجاسيّ حليف بني فَزارة، وسار المسلمون من الشام إلى قُبْرُس، وسار إليها عبد الله بن سعد من مصر، فاجتمعوا عليها، فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كلّ سنة، يؤدّون إلى الروم مثلها، لا يمنعهم المسلمون عن ذلك، وليس على المسلمين منعهم ممّن أرادهم ممّن وراءهم، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم، ويكون طريق المسلمين إلى العدوّ عليهم[4].

قال جبير بن نُفَير: ولما فُتحت قبرس ونُهب منها السَّبْي، نظرتُ إلى أبي الدرداء يبكي فقلت: ما يُبكيك في يومٍ أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: فضرب مَنْكِبي بيده وقال: ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما[5] هي أمّة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذا تركوا أمرَ الله، فصاروا إلى ما ترى، فسلّط عليهم السباء، وإذا سلّط[6] السباء على قوم فليس له فيهم حاجة[7].

---

(١) في النسخة (ب): «فاواه».
(٢) في نسخة باريس «لنستثبت»، وفي نسخة بودليان «لتسبيب».
(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد، بنحوه، والطبري في تاريخه ٤/٢٦٠.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٦٢ والعبارة فيه: «على أن يبطرِق إمام المسلمين عليهم منهم».
(٥) في النسخة (ب) «بيسما».
(٦) في نسخة باريس «أظهر».
(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب الجهاد ـ ج ٢ من المجلد ٣/٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٢٦٦٠، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ١/٢٠٨، والطبري في تاريخه ٤/٢٦٢.

وفي هذه الغزاة ماتت أمّ حَرام بنت مِلحان الأنصارية، ألقتها بغلتُها بجزيرة قبرس[1] فاندقت عنقُها فماتت، تصديقاً للنبيّ ﷺ، حيث أخبرها أنّها في أوّل من يغزو في البحر[2].

وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البرّ[3] والبحر، لم يغرق أحد ولم يُنكب، فكان يدعو الله أن يعافيه في جُنده، فأجابه، فلمّا أراد الله أن يصيبه في جسده خرج في قاربٍ طليعةً، فانتهَى إلى المرفإ[4] من أرض الروم وعليه مساكين يسألون، فتصدّق عليهم، فرجعت امرأةٌ منهم إلى قريتها فقالت للرجال: هذا عبد الله بن قيس في المرفإ[4]؛ فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه[5] بعد أن قاتلهم، فأصيب وحده، ونجا الملّاح حتى أتَى أصحابَه، فأعلمهم فجاؤوا حتى أرسوا بالمرفإ[4]، والخليفة عليهم سُفيان بن عَوف الأزْديّ، فخرج إليهم فقاتلهم فضجِر، فجعل يشتم أصحابه. فقالت جارية عبد الله: ما هكذا[6] كان يقول حين يقاتل! فقال سفيان: فكيف كان يقول؟ قالت:

«الغمرات ثمّ ينجلينا»[7]

فلزمها بقولها، وأصيب في المسلمين يومئذ. وقيل لتلك المرأة بعد[8]: بأي شيء عرفته[9]؟ قالت: كان كالتاجر، فلمّا سألته أعطاني كالملك، فعرفته بهذا[10].

وفي هذه السنة غزا حبيب بن مَسْلمة سورية من أرض الروم[11].

---

(١) ينفرد «صالح بن يحيى» في تاريخ بيروت - ص ١٤ بقوله إن أم حرام ماتت في بيروت بعد عودتها من قبرس. والصحيح ما ذكره المؤلف، وخليفة بن خياط في تاريخه ١٦٠، والزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ٢٤٠، وابن سعد في الطبقات ٨/ ٣١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تراجم النساء) - تحقيق سكينة الشهابي، دمشق ١٤٠٣ هـ. / ١٩٨٢ م. - ص ٤٨٦ - ٤٩٦، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٧.

(٢) حديث أن أم حرام أول من يغزو في البحر، أخرجه البخاري في كتاب التعبير ١٢/ ٣٤٥، ٣٤٦ باب رؤيا النهار، ومسلم في الإمارة (١٩١٢) باب فضل الغزو في البحر، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥)، والنسائي ٦/ ٤٠، وابن ماجه (٢٧٧٦)، والدارمي ٢/ ٢١٠، وابن سعد ٨/ ٤٣٥.

(٣) البر. ساقطة من نسخة باريس.

(٤) في تاريخ الطبري ٤/ ٢٦١ «المرْقَى».

(٥) في طبعة صادر ٣/ ٩٧ «فقتلوه»، وهذا غلط، والتصويب من الطبري.

(٦) في الطبعة الأوربية «هذا».

(٧) القول للأغلب العجلي. أنظر مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٥٨.

(٨) «بعد» ساقطة من النسخة (س).

(٩) في الطبعة الأوربية «عرفتيه».

(١٠) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٠، ٢٦١.

(١١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٣، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٢٤ (حوادث سنة ٢٨ هـ).

وفيها تزوّج عثمان نائلة بنت الفَرافصة[1]، وكانت نصرانيةً فأسلمت[2] قبل أن يدخل بها.

وفيها بنى عثمان الزَّوْراء[3].

وحجّ بالناس عثمان هذه السنة[4].

(حَرام: بالحاء المهملة والراء. والجاسيّ: بالجيم والسين المهملة. والفَرافصة: بفتح الفاء، إلّا الفرافصة بن الأحوص الكلبي الذي من ولده نائلة زوج عثمان)[5].

---

(١) تاريخ خليفة ١٦٠، طبقات ابن سعد ٨/٤٨٣، المحبّر ٢٩٤، ٣٩٦، نسب قريش ١٠٥، تاريخ الطبري ٤/٢٦٣، الإكمال ٧/٦٤، بلاغات النساء ٧٠ (لابن طيفور) القاهرة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م، الأغاني ١٦/٣٢٢، أنساب الأشراف ٥/٦٩، تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٠٧، تاريخ الإسلام ٣/٣٢٤.

(٢) في تاريخ الطبري «فتحنّث».

(٣) هي داره كما في معجم البلدان ٣/١٥٦، والخبر في تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٦٣.

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسختين (ب) و(س). والعبارة مضطربة، والصحيح ما جاء في التاج: (كلّ ما في العرب فُرافصة، مضموم الفاء، إلّا الفَرافصة بن الأحوص الكلبي فإنّه مفتوح الفاء).

٢٩
ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر عزْل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها

قيل: في هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الأشعريّ عن البصرة، واستعمل عبدَ الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، (وهو ابن خال عثمان)[١]، وقيل: كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان[٢].

وكان سبب عزله أنّ أهل إيذَج والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان، فنادى أبو موسى في الناس وحضّهم[٣] على الجهاد، وذكر من فضْل الجهاد ماشياً، فحمل نفر على دوابّهم وأجمعوا على أن يخرجوا رَجّالة. وقال آخرون: لا نعجل بشيء حتى ننظر ما يصنع، فإن أشبه قولُه فِعلَه فعلنا كما يفعل.

فلمّا خرج أخرج ثَقَله من قصره على أربعين بغلاً، فتعلّقوا بعِنانه وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب في المشي كما رغّبتنا. فضرب القومَ بسوطه، فتركوا دابّته، فمضى. وأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا: ما كلّ ما نعلم نحبّ[٤] أن تسألنا عنه، فأبدِلْنا به[٥]. فقال: من تحبّون؟ فقال[٦] غيلان بن خَرَشَة: في كلّ أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا! أمَا منكم خسيس فترفعوه؟ أما منكم فقير فتجبروه[٧]؟ يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعريّ هذه البلاد؟ فانتبه لها عثمان، فعزل أبا موسى وولّى عبدَ الله بن عامر بن كُرَيز[٨]. فلمّا سمع أبو موسى قال: يأتيكم غلام خرّاج

---

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة (س).
(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٦٤، تاريخ الإسلام ٣/٣٢٥.
(٣) في نسخة باريس «فخطبهم»، وفي النسخة (ر) «فحرضهم».
(٤) في النسخة (ب): «يجب»، وفي نسخة بودليان «تجيب».
(٥) في نسخة باريس «سواه».
(٦) في الطبعة الأوربية «فقالوا».
(٧) في الطبعة الأوربية: فترفعونه... فتجبرونه
(٨) في النسخة (س) زيادة «وهو ابن خال عثمان». (أنظر الأخبار الطوال ١٣٩).

ولّاج، كريم الجدّات والخالات والعمّات، يُجمع له[1] الجُنْدان[2]. (وكان عُمر ابن عامر خمساً وعشرين سنة)[3]، وجُمع له جُند أبي موسى وجُند عثمان بن أبي العاص الثقفيّ من عُمان والبحرين[4]، واستعمل على خراسان عُمَير بن عثمان بن سعد؛ وعلى سِجِسْتان عبد الله بن عُمَير الليثيّ، وهو من ثعلبة، فأثخن فيها إلى كابُل، وأثخن عُمير في خُراسان، حتى بلغ فرغانة، لم يدع دونها كورة إلّا أصلحها؛ وبعث إلى مُكران عُبيدَ الله بن مَعْمَر، فأثخن فيها حتى بلغ النهر؛ وبعث على كَرْمان عبد الرحمن بن عُبَيس؛ وبعث إلى الأهواز وفارس نفراً؛ ثمّ عزل عبدَ الله بن عُمير، واستعمل عبدَ الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثمّ عزله؛ واستعمل عاصمَ بن عمرو وعزل عبدَ الرحمن بن عُبَيس؛ وأعاد عديَّ بن سُهيل بن عديّ، وصرف عُبيد الله بن مَعْمَر إلى فارس، واستعمل مكانه عُمير بن عثمان؛ واستعمل على خُراسان أُمَير بن أحمر[5] اليَشْكُريّ؛ واستعمل على سِجِسْتان سنة أربعٍ عِمران بن الفُضَيل البُرْجُميّ. ومات عاصم بن عمرو بكرمان[6].

(عُبَيس: بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثمّ الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة. وأُمَير بضم الهمزة [وفتح الميم وآخره راء. وكُرَيز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء][7].

ذكر انتقاض أهل فارس

ثمّ إنّ أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعُبَيد الله بن مَعْمَر، فسار إليهم، فالتقوا على باب إصطَخْر، فقُتل عُبيد الله وانهزم المسلمون، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن عامر، فاستنفر أهلَ البصرة وسار بالناس إلى فارس، فالتقوا بإصْطَخْر، وكان على ميمنته أبو بَرْزة[8] الأسلمي، وعلى مَيْسرته مَعْقِل بن يَسار، وعلى الخيل عِمران بن الحُصَين، ولكُلّهم صُحبة، واشتدّ القتال، فانهزم الفرس وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وفُتحت إصطخر عَنْوة، وأتى دارابجرد وقد غدر أهلها ففتحها، وسار إلى مدينة جُور، وهي أردشير خُرَّه،

---

(١) في النسخة (ب): «بها».
(٢) في الطبعة الأوربية «الجندين»، والتصحيح من الطبري وخليفة.
(٣) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٦٤ - ٢٦٦، وانظر تاريخ خليفة ١٦١، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦.
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٢٦٦ «أُمَيْن بن أحمد» وما أثبتناه يتفق مع تاريخ خليفة ١٦٤ و ١٨٠ وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٧ «أمير بن أحمد». وكذا في فتوح البلدان ٤٨٦ و ٤٩٩ و ٥٠٤ و ٥٠٦.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٦٦، تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٧.
(٧) ما بين الحاصرتين ليس في النسخة (س).
(٨) في النسخة (ب) «بريرة».

فـانتقضت إصطَخْـر فلم يرجـع، وتمّم السيرَ إلى جُـور وحاصـرها، وكـان هَـرم بن حيّـان محاصِراً لها، وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون إصطَخْر ويغزون نـواحي كانت تنتقض عليهم، فلمّا نزل ابن عامر عليها فتحها.

وكان سبب فتْحها أنّ بعض المسلمين قام يصلّي ذات ليلة، وإلى جانبـه جراب لـه فيه خبز ولحم، فجاء كلب فجرّه وعـدا به حتى دخـل المدينـة من مدخـل لها خفيّ، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة.

فلمّا فرغ منها ابن عامر عاد إلى إصطَخْر ففتحها عَنوة بعد أن حاصرها واشتدّ القتال عليها، ورُميت بالمجانيق، وقتل بهـا خلقاً كثيـراً من الأعاجم، وأفنى أكثـر أهل البيـوتات ووجوه الأساورة، وكانوا قد لجأوا إليها[1]. وقيل: إن أهل إصطَخْر لما نكثوا عاد إليهـا ابن عامر قبل وصوله إلى جُور، فملكها عنوةً، وعاد إلى جُور فـأتَى دارابجرد فملكهـا، وكانت منتقضةً أيضاً، ووطىء أهلَ فارس وطأة لم يزالوا منها في ذُلّ، وكتب إلى عثمان بالخبـر، فكتب إليه أن يستعمل على بلاد فارس هَرِمَ بن حيّان اليشكري، وهَرِمَ بن حيّـان العبديّ، والخرِّيت بن راشد، والمِنْجـاب بن راشد، والتّـرجُمـان الهُجَيمي، وأمـره أن يفـرّق كُـوَر خُـراسان على جمـاعة، فيجعـل الأحنف على المروَيْن، وحبيب بن قُـرَّة اليـربـوعيّ على بَلْخ، وخـالد بن عبـد الله بن زُهير على هَـراة، وأَمير بن أحمـر[2] على طُـوس، وقيس بن هُبَيـرة السُّلَميّ على نَيْسابـور، وبه تخـرّج عبد الله بن خـازم، وهو ابن عمّـه، ثمّ جمعهـا عثمـان قبـل مـوتـه لقيس، واستعمـل أميـرَ بن أحمـر[2] على سِجِستـان، ثمّ جعـل عليهـا عبـدَ الرحمن بن سَمُـرة، وهو من آل حبيب بن عبـد شمس، فمات عثمـان وهـو عليهـا، ومات وعمران على مُكران[3]، وعُمير بن عثمان بن سعد على فارس، وابن كِنْدير القُشَيري على كَرْمان[4].

ثمّ وفَد قيسُ بن الهيثم[5] عبدَ الله بن خازم إلى ابن عامر في زمن عثمان، وكان ابن عامر يكرمه، فقال لابن عامر: اكتب لي على خُراسان عهداً إن خرج عنها قيس. ففعـل، فـرجع إلى خُـراسان، فلمّـا قُتل عثمـان وجاش العـدوّ قـال ابن خـازم لقيس: الـرأي أن تخلفني وتمضي حتى تنـظر فيما ينظرون فيـه، ففعـل، فـأخـرج ابن خـازم بعـده عهـداً

---

(١) أنظر: تاريخ خليفة ١٦١، ١٦٢، وفتوح البلدان ٣٨٧ و ٤٧٨، والبدء والتاريخ ١٩٤/٥، ١٩٥.
(٢) في تاريخ الطبري ٢٦٦/٤ «أمين بن أحمد»، وفي صفحة ٢٦٥ «أحمر».
(٣) في تاريخ الطبري ٢٦٦/٤ «كرمان».
(٤) في نسختي باريس و(ب)، وتاريخ الطبري «مُكْران».
(٥) في طبعة صادر ١٠٢/٣ «هبيرة». والتصويب من فتوح البلدان ٥٠٥ وتاريخ خليفة ١٦٦.

بخلافته، وثبت على خُراسان إلى أن قام عليّ بن أبي طالب. وغضب قيس من صنيع ابن خازم[1].

(الخِرّيت: بكسر الخاء المعجمة والراء المشدّدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)[2].

ذكر الزيادة في مسجد النبيّ ﷺ

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبيّ ﷺ، في ربيع الأوّل، وكان ينقل الجصّ من بطنِ نخْل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عُمُدَه من حجارةٍ فيها رصاص، وجعل طوله ستّين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه على ما كانت أيّام عمر ستة أبواب[3].

ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمعٍ وأول ما تكلّم الناس فيه

حجّ بالناس هذه السنة عثمان، وضرب فسطاطه بمنًى، وكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتمّ الصلاة بها وبعَرَفة، فكان أوّل ما تكلّم به الناسُ في عثمان ظاهراً حين أتمّ الصلاة بمِنَى، فعاب ذلك غيرُ واحد من الصحابة، وقال له عليّ: ما حَدَث أمرٌ ولا قدُم عهد، ولقد عهدتَ النبيّ ﷺ، وأبا بكر وعمر يصلّون ركعتين وأنت صدراً من خلافتك، فما أدري ما ترجع[4] إليه. فقال: رأي رأيتُه. وبلغ الخبرُ عبدَ الرحمن بنَ عوف وكان معه، فجاءه وقال له: ألم تصلّ في هذا المكانِ مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر ركعتين، وصلّيتها أنت ركعتين؟ قال: بلى ولكنّي أُخبرت أنّ بعض من حجّ من اليمن وجُفاة الناس قالوا: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجّوا بصلاتي، وقد اتخذتُ بمكّة أهلاً، ولي بالطائف مال. فقال عبد الرحمن: ما في هذا عُذر، أمّا قولك: اتّخذتَ بها أهلاً، فإنّ زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وإنّما تسكن بسكناك، وأمّا مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال، وأمّا قولك عن حاجّ اليمن وغيرهم، فقد كان رسول الله ﷺ، ينزل عليه الوحي والإسلام قليل، ثمّ أبو بكر وعمر، فصلّوا ركعتين وقد ضرب الإسلام بجِرانه. فقال عثمان: هذا رأي رأيتُه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٦٧، تاريخ خليفة ١٦٣، تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦، تاريخ الإسلام ٣/٣٢٧.

(٤) في الطبعة الأوربية «يرجع».

فخرج عبد الرحمن فلقي ابنَ مسعود فقال: أبا محمد، غُيِّرَ ما تعلم. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل بما ترى وتعلم. فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ وقد صلّيت بأصحابي أربعاً. فقال عبد الرحمن: قد صلّيتُ بأصحابي ركعتين وأمّا الآن فسوف أصلّي أربعاً[1].

وقيل: كان ذلك سنة ثلاثين.

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٦٧، ٢٦٨، تاريخ الإسلام ٣/٣٢٨.

٣٠
ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر عزْل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد

في هذه السنة عزل عثمانُ الوليدَ بن عُقبة عن الكوفة وولّاها سعيدَ بن العاص، وقد تقدّم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان، وأنّه كان محبوباً إلى الناس، فبقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب، ثمّ إنّ شباباً من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحَيْسُمان الخُزاعيّ وكاثروه، فنذِر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ، فأشرف عليهم أبو شُرَيح الخُزاعيّ، وكان قد انتقل من المدينة إلى الكوفة للقُرب من الجهاد، فصاح بهم أبو شُرَيح، فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحَيْسُمان، وأخذهم الناس وفيهم زُهير بن جُندب الأزديّ، ومُورِّع بن أبي مُورِّع الأسديّ، وشُبَيل بن أُبَيٍّ الأزديّ، وغيرهم، فشهد عليهم أبو شُرَيح وابنه، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان، فكتب عثمان بقتلهم، فقتلهم على باب القصر، ولهذا السبب أخذ في القَسَامة بقول وليِّ المقتول عن ملإٍ من الناس ليفطم[1] الناس عن القتل[2].

وكان أبو زُبَيد الشاعر في الجاهليّة والإسلام في بني تَغْلِب، وكانوا أخواله، فظلموه دَيْناً له، فأخذ له الوليد حقّه إذ كان عاملاً عليهم، فشكر أبو زُبَيد ذلك له، وانقطع إليه وغشِيه بالمدينة والكوفة، وكان نصرانياً، فأسلم عند الوليد وحَسُن إسلامه، فبينما هو عنده أتى آتٍ أبا زينب وأبا مُورِّع وجُنْدباً، وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون، فقال لهم: إنّ الوليد وأبا زُبَيد يشربان الخمر، فثاروا وأخذوا معهم نفراً من أهل الكوفة، فاقتحموا عليه فلم يروا، فأقبلوا يتلاومون وسبّهم الناس، وكتم الوليد ذلك عن عثمان.

وجاء جُندبٌ ورهْط معه إلى ابن مسعود فقالوا له: إنّ الوليد يعتكف على الخمر،

---

(١) في النسخة (ب): «ليفصم».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٢٧١، ٢٧٢.

وأذاعوا ذلك. فقال ابن مسعود: من استتر عنّا لم نتبع عورته. فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا. ثمّ أُتي الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه، واعترف الساحر عند ابن مسْعود، وكان يخيّل إلى الناس أنّه يدخل في دُبُر الحمار ويخرج من فيه، فأمره ابن مسعود بقتله. فلمّا أراد الوليد قتله أقبل الناس ومعهم جندبٌ، فضرب الساحرَ فقتله، فحبسه الوليد وكتب إلى عثمان فيه، وأمره بإطلاقه وتأديبه، فغضب لجُنْدب أصحابه، وخرجوا إلى عثمان يستعفون من الوليد، فردّهم خائبين. فلمّا رجعوا أتاهم كلّ موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم، ودخل أبو زينب وأبو مُوَرِّع وغيرهما على الوليد فتحدّثوا عنده، فنام فأخذا خاتمه وسارا إلى المدينة، واستيقظ الوليدُ فلم يَرَ خاتمه، فسأل نساءه عن ذلك، فأخبرنه أنّ آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا. فاتّهمهما وقال: هما أبو زينب، وأبو مُوَرِّع، وأرسل يطلبهما، فلم يوجدا.

فقدِما على عثمان ومعهما غيرهما، وأخبراه أنّه شرب الخمر، فأرسل إلى الوليد، فقدِم المدينة، ودعا بهما عثمان فقال: أتشهدان أنّكما رأيتماه يشرب؟ فقالا: لا. قال: فكيف؟ قالا: اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر. فأمر سعيدَ بن العاص فجلده، فأورث ذلك عداوة بين أهليهما، فكان على الوليد خميصة، فأمر عليّ بن أبي طالب بنزْعها لما جُلد.

هكذا في هذه الرواية[1]، والصحيح أنّ الذي جلده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، لأنّ عليّاً أمر ابنَه الحسن أن يجلده، فقال الحسن: ولِّ حارّها من تولّى قارّها! فأمر عبدَ الله بن جعفر فجلده أربعين. فقال عليٌّ: أمسِك، جَلَد رسول الله ﷺ، وأبو بكر أربعين، وجَلَد عثمانُ ثمانين، وكُلٌّ سُنَّة، وهذا أحبَّ إليّ[2].

وقيل: إنّ الوليد سكرَ وصلّى الصبح بأهل الكوفة أربعاً، ثمّ التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم، وشهدوا عليه عند عثمان، فأمر عليّاً بجلده، فأمر عليّ عبدَ الله بن جعفر فجلده، وقال الحُطَيئة:

شهِدَ الحُطيئَةُ يومَ يَلقَى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعُذرِ
نادَى وقد تَمّتْ صلاتهمُ: ... أأزيدُكم؟ - سُكْراً - وما يدري
فأبَوْا أبا وهْب ولو أذِنوا ... لَقَرَنْتَ بينَ الشفْعِ والوِترِ
كَفُّوا عِنانَكَ إذ جرَيتَ ولوْ ... تركوا عِنانَكَ لم تزَلْ تَجري[3]

---

(١) رواها الطبري مطوّلة في تاريخه ٤/٢٧١ ـ ٢٧٧ عن السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة. وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٥/١٢٩، ١٣٠.

(٢) الأغاني ٥/١٣٢، ١٣٣.

(٣) الأبيات والخبر في الأغاني ٥/١٢٥ و١٢٦ و١٢٧، ومروج الذهب ٢/٣٤٤ وفيه اختلاف بالألفاظ.

فلمّا علم عثمان من الوليد شُربَ الخمر عزله، وولّى سعيدَ بن العاص بن أُميّة، وكان سعيد قد رُبّي في حجْر عمر، فلمّا فتح الشام قدّمه، فأقام مع معاوية، فذكر عمر يوماً قريشاً، فسأل عنه، فأُخبر أنّه بالشام، فاستقدمه، فقدِم عليه، فقال له: قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازْدَدْ يَزِدْكَ اللّهُ خيراً. وقال له: هل لك من زوجة؟ قال: لا. وجاء عمرَ بناتُ سفيان بن عُوَيف ومعهنّ أمّهنّ، فقالت أمّهنّ: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهنّ في أكفائهنّ. فزوّج سعيداً إحداهنّ، وزوّج عبد الرحمن بن عوف أُخرى. وأتاه بناتُ مسعود بن نُعَيم النهشليّ فقلن له: قد هلك رجالُنا وبقي الصبيان، فضعنا في أكفائنا؛ فزوّج سعيداً إحداهنّ، وجُبير بن مُطعِم الأخرى. وكان عمومته ذوي بلاء في الإسلام وسابقة، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش. فلمّا استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميراً، ورجع معه الأشتر، وأبو خشّة الغِفاريّ، وجُندَب بن عبدالله، [وجَثّامة]بن صعب[1] بن جَثّامة، وكانوا ممّن شخص مع الوليد يعينونه[2] فصاروا عليه، فقال بعض شعراء الكوفة:

فررَتُ منَ الوليدِ إلى سعيدٍ كأهلِ الحِجرِ إذ جزِعوا فباروا[3]
يَلينا[4] من قريشٍ كلَّ عامٍ أميرٌ مُحدَثٌ أوْ مُستَشارُ
لنا نارٌ نُخَوِّفُها[5] فنَخشَى وليسَ لهم، فلا يخشون، نارُ[6]

فلمّا وصل سعيدُ الكوفة صعِد المنبر، فحمدَ الله وأثنى عليه ثمّ قال: واللهِ لقد بُعثتُ إليكم وإنّي لكارهٌ، ولكنّي لم أجدْ بُدّاً إذا أُمرتُ أن أتَّمِر، ألا إنّ الفتنة قد أطلعتْ خَطمَها وعينيها، ووالله لأضربنّ وجهها حتى أقمعها أو تُعْيِيني[7]، وإنّي لرائد نفسي اليوم[8].

ثمّ نزلَ وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها، فكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطّرب أمرهم، وغُلب أهلُ الشرف منهم والبيوتات والسابقة، والغالب على تلك البلاد روادف قدِمتْ، وأعرابٌ لحِقتْ، حتى لا يُنظر إلى ذي شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها.

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/ ٢٧٩ «أبو مصعب بن جثامة»، وفي نسخة باريس: «أبو صعب بن مصعب».
(٢) في تاريخ الطبري «يعيبونه».
(٣) في نسخة بودليان «فثاروا».
(٤) في الطبعة الأوربية «بُلينا».
(٥) في الأغاني «تحرّقنا».
(٦) الأبيات في الأغاني ٥/ ١٤٥.
(٧) في الطبعة الأوربية «تغنيني»، وفي تاريخ الطبري «تعييني».
(٨) تاريخ الطبري ٤/ ٢٧٩.

فكتب إليه عثمان: أمّا بعد ففضِّل أهلَ السابقة والقُدْمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم، إلاّ أن يكونوا تثاقلوا عن الحقّ وتركوا القيامَ به وقام به هؤلاء، واحفظْ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحقّ، فإنّ المعرفة بالناس بها يصاب العدل.

فأرسل سعيد إلى أهل الأيّام والقادسيّة فقال: أنتم وجوه الناس، والوجه يُنبىء عن الجسد، فأبلِغونا حاجة ذي الحاجة. وأدخل معهم مَن يحتمل من اللواحق والرّوادف. وجعل القرّاء في سَمَره، ففشت القالة في أهل الكوفة، فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه. فقالوا له: أصبتَ، لا تُطمعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنّه إذا نهض في الأمور مَن ليس بأهلٍ لها لم يحتملها وأفسدها. فقال عثمان: يا أهلَ المدينة استعدّوا واستمسكوا، فقد دبّت إليكم الفِتن، وإنّي والله لأتخلّصنّ لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم، حتى يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه، فيقيم معه في بلاده. فقالوا: كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرَضين؟ فقال: يبيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد. ففرحوا وفتح الله لهم أمراً لم يكن في حسابهم، وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كلّ قبيلة، وجاز لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق[1].

ذكر غزو سعيد بن العاص طَبَرِسْتان

في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طَبَرِسْتان، فإنّها لم يغزُها أحد إلى هذه السنة. وقد تقدّم في أيّام عمر الخلاف في ذلك، وأنّ إصبَهْبَذَها صالَح[2] سُوَيَد بن مُقرِّن أيّام عمر على مالٍ بذله. وأمّا على هذا القول فإنّ سعيداً غزاها من الكوفة سنة ثلاثين، ومعه الحَسَن والحسين وابن عبّاس وابن عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحُذيفة بن اليَمان وابن الزُّبير وناس من أصحاب النبيّ ﷺ، وخرج ابن عامر من البصرة يريد خُراسان، فسبق سعيداً ونزل نيسابور، ونزل سعيد قُومِس، وهي صلح، صالحهم حُذيفة بعد نِهاوند، فأتى جُرْجان فصالحوه على مائتي ألف، ثمّ أتى طَميسة، وهي كلّها من طبرستان متاخمة جُرْجان، على البحر، فقاتله أهلها، فصلّى صلاة الخوف، أعلمه حُذيفة كيفيّتها، وهم يقتتلون. وضرب سعيد يومئذ رجلاً بالسيف على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مِرْفقه، وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) في نسختي باريس و (ب): «صالح بن».

رجلاً واحداً، (ففتحوا الحصن فقُتلوا جميعاً إلّا رجلاً واحداً)[١]؛ وحوى ما في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سَفطاً عليه قفل، فظنّ أنّ فيه جوهراً، وبلغ سعيداً فبعث إلى النَّهديّ فأتاه بالسَّفط، فكسروا قفله فوجدوا فيه سَفَطاً، ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد. فقال شاعر يهجو بني نهد:

آبَ الكِرامُ بالسّبايا غنيمةً[٢] ... وآبَ بنو نَهدٍ بأَيْرَيْنِ في سَفَطْ

كُمَيتٍ ووَرْدٍ وافِرَيـنِ[٣] كلاهما ... فظَنّوهما غُنماً فناهيك من غَلَطْ

وفتح سعيدٌ نامية[٤]، وليست بمدينة، هي صحارى[٥].

ومات مع سعيد محمد بن الحَكَم بن أبي عَقيل جَدّ يوسف بن عمر. ثمّ رجع سعيد، فمدحه كعب بن جُعَيل فقال:

فِنعمَ الفتى إذا حالَ[٦] جِيلانُ دونَه ... وإذْ هَبَطوا من دَستَبَى ثمّ أبهَرَا[٧]

في أبيات. ولما صالح سعيد أهلَ جُرْجان، كانوا يجبون أحياناً مائة ألف، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف، ويقولون: هذا صلح صلحنا، وربّما منعوه، ثمّ امتنعوا وكفروا، فانقطع طريق خُراسان من ناحية قُومِس، إلّا على خوف شديد منهم. كان الطريق إلى خُراسان من فارس إلى كَرْمان إلى خُراسان، وأوّل من صَيّر الطريق من قُومِس قُتيبة بن مسلم حين وُلّي خُراسان. وقدِمها يزيد بن المهلّب فصالح صُولاً[٨]، وفتح البُحيرة ودِهِستان، وصالح أهل جُرْجان على صلح سعيد[٩].

ذكر غزو حُذَيْفة الباب وأمر المصاحف

وفيها صُرف حُذيفة عن غزو الرّيّ إلى غزو الباب مَدَداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذْرَبيجان، وكانوا يجعلون الناس رِدْءاً، فأقام حتى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س). والخبر في تاريخ خليفة ١٦٥، وتاريخ الإسلام ٣/٣٢٩.

(٢) في الطبعة الأوربية: وغنمه.

(٣) في نسخة باريس «نافرين».

(٤) في الطبعة الأوربية: نامنة.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٢٦٩، ٢٧٠.

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٢٧٠ «جال».

(٧) في الطبعة الأوربية: وادٍ هبطوا من دستبى وأبهرا. والقصيدة من أربعة أبيات في تاريخ الطبري.

(٨) صُول: بالضم ثم السكون، مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند. (معجم البلدان ٣/٤٣٥).

(٩) تاريخ الطبري ٤/٢٧١.

عاد[1] حُذيفة ثمّ رجعا[2]. فلمّا عاد حُذيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمراً، لئن ترك الناس ليختلفُنّ في القرآن، ثمّ لا يقومون عليه أبداً. قال: وما ذاك؟ قال: رأيتُ أناساً من أهل حمص يزعمون أنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنّهم أخذوا القرآن عن المِقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وإنّهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وإنّهم قرأوا على أبي موسى، ويسمُّون مصحفه لُباب القلوب. فلمّا وصلوا إلى الكوفة أخبر حُذيفة الناس بذلك وحذّرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ، وكثير من التابعين. وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تُنْكِر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حُذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنّما أنتم أعراب، فاسكتوا فإنّكم على خطإ. وقال حُذيفة: والله لئن عشتُ لآتينّ أمير المؤمنين، ولأشيرنّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرّق الناس، وغضب حُذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العُريان فأدركوا الأمّة. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حُذيفة.

فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر: أن أرسِلي إلينا بالصُّحف ننسخها. وكانت هذه الصحف هي التي كُتبت في أيّام أبي بكر، فإنّ القتل لما كثُر في الصحابة يومَ اليمامة قال عمر لأبي بكر: إنّ القتل قد كثُر واستحرّ بقرّاء القرآن يوم اليمامة، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء فيذهب من القرآن كثير، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن؛ فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرِّقاع والعُسُب وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر ثمّ عند عمر، فلمّا تُوُفّي عمر أخذتها حفصة فكانت عندها.

فأرسل عثمان إليها [مَنْ] أخذها منها، وأمر زيدَ بن ثابت وعبد الله بن الزُّبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. فلمّا نسخوا الصحف ردّها عثمان إلى حفصة، وأرسل إلى كلّ أُفق بمصحف، وحرّق ما سوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويدَعوا ما سوى ذلك. فكلّ الناس عرف فضلَ هذا الفعل، إلاّ ما كان من أهل الكوفة، فإنّ المصحف لما قدِم عليهم فرح به أصحاب النبيّ ﷺ، وإنّ أصحاب عبد الله ومَن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس، فقام فيهم ابن مسعود وقال: ولا كلّ ذلك، فإنّكم والله قد سُبقتم سبقاً بيّناً، فاربعوا على ظَلْعِكم[3]. ولما قدِم عليٌّ

---

(١) في نسختي باريس و(ب): «أتى».

(٢) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/٢٨١.

(٣) اربعوا على ظلعكم: أي ارفقوا على أنفسكم في أمركم.

الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمانَ بجمع الناس على المصحف، فصاح به وقال: اسكتْ فعن ملإٍ منّا فعل ذلك، فلو وَلِّيتُ منه ما وُلِّي عثمان لَسَلكتُ سبيله[1].

ذكر سقوط خاتم النبيّ ﷺ في بئر أريس

وفيها وقع خاتم النبي ﷺ، من يد عثمان في بئر أَريس، وهي على ميلين من المدينة، وكانت قليلة الماء، فما أُدرك قعرها بعد.

وكان رسول الله ﷺ، اتّخذه لما أراد أن يكاتب الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى، فقيل له: إنّهم لا يقبلون كتاباً إلّا مختوماً، فأمر رسول الله ﷺ، أن يُعمل له خاتم من حديد، فلمّا عُمل جعله في إصبعه، فأتاه جبرائيل فنهاه عنه، فنبذه، وأمر فعُمل له خاتم من نحاس وجعله في إصبعه، فقال [له] جبرائيل: انبذه، فنبذه، وأمر رسولُ الله ﷺ بخاتم من فضة، فصُنع له، فجعله في إصبعه، فأمره جبرائيل أن يُقرّه، فأقرّه. وكان نقشه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر؛ فتختّم به رسول الله ﷺ، حتى تُوُفّي، ثمّ تختم به أبو بكر حتى توفي، ثمّ عمر حتى تُوُفّي، ثمّ تختّم به عثمان ستّ سنين. فحفروا بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين، فقعد على رأس البئر، فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر، فطلبوه فيها، ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً. فلمّا يئس منه صنع خاتماً آخر على مثاله ونقشه، فبقي في إصبعه حتى هلك، فلمّا قُتل ذهب الخاتم فلم يُدْرَ من أخذه[2].

ذكر تسيير أبي ذَرّ إلى الرَّبَذَة

وفي هذه السنة كان ما ذُكر في أمر أبي ذرّ، وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذُكر في سبب ذلك أمور كثيرة، من سبّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل، وحمْله إلى المدينة من الشام بغير وطاء، ونفْيه من المدينة على الوجه الشنيع، لا يصحّ النقل به، ولو صحّ لكان ينبغي أن يُعتذر عن عثمان، فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيته، وغير ذلك من

= والخبر في: التمهيد والبيان في مقتل الشيد عثمان، لمحمد بن يحيى - تحقيق الدكتور محمود يوسف زايد - ص ٥٠ - طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤، وكتاب المصاحف لابن أبي داود - طبعة المطبعة الرحمانية - ص ١٣ - مصر ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة عثمان بن عفان) - تحقيق سكينة الشهابي - ص ٢٣٤ - ٢٣٦ بشيء من الاختلاف.

(١) أخرج ابن عساكر نحوه في تاريخ دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) - ص ٢٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٨١ - ٢٨٣ - طبقات ابن سعد ١/٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية - بتحقيقنا) ٥٠٦.

الأعذار، لا أن يُجعل ذلك سبباً للطعن عليه، كرهتُ ذكرها.

وأمّا العاذرون فإنّهم قالوا: لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذرّ فقال: يا أبا ذرّ ألا تعجب من معاوية يقول: المال مال الله! ألاَ إنّ كلّ شيء لله، كأنّه يريد أن يحتجنه دون الناس، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين مال الله الساعة؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذرّ! ألسنا عِبادَ الله والمال ماله؟ قال: فلا تقله. قال: سأقول مال المسلمين. وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك. فقال: أظنّك [والله] يهوديّاً! فأتى عُبادة بن الصّامت، فتعلّق به عُبادةُ وأتَى به معاويةَ فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ.

وكان أبو ذرّ يذهب إلى أنّ المسلم لا ينبغي له أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته، أو شيء ينفقه في سبيل الله، أو يُعدّه لكريم[1]، ويأخذ بظاهر القرآن: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]. فكان يقوم بالشام ويقول: يا معشرَ الأغنياء واسُوا الفقراء، بُشّرَ الذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فما زال حتى وَلِعَ الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء، وشكا الأغنياء ما يلقون منهم[3]. فأرسل معاوية إليه بألف دينار في جُنح الليل فأنفقها. فلمّا صلّى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه فقال: اذهب إلى أبي ذرّ فقل له: أنقِذ جسدي من عذاب معاوية، فإنّه أرسلني إلى غيرك وإنّي أخطأت بك. ففعل ذلك. فقال له أبو ذرّ: يا بنيَّ قل له: والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينار، ولكن أخّرنا ثلاثة أيّام حتى نجمعها. فلمّا رأى معاوية أن فِعله يصدّق قولَه كتب إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ قد ضيّق عليّ، وقد كان كذا وكذا، للذي يقوله الفقراء. فكتب إليه عثمان: إنّ الفتنة قد أخرجت خَطمَها وعينيها[4]، ولم يبقَ إلاّ أن تثب، فلا تنكإ القَرح[5]، وجهّز أبا ذرّ إليّ، وابعث معه دليلاً وكفكِفِ الناس ونفسك ما استطعتَ. وبعث إليه بأبي ذرّ.

فلمّا قدِم المدينة، ورأى المجالس في أصل جبل سَلْع قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مِذكار. ودخل على عثمان فقال له: ما لأهل الشام يشكون ذَرَب لسانك؟

---

(١) في نسختي باريس و(ب): «لغريم».
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٣٤.
(٣) تاريخ الطبري ٢٨٣/٤.
(٤) في نسخة باريس «عقبها».
(٥) في نسخة (س): «القوح».

فأخبره. فقال: يا أبا ذرّ، عليّ أن أقضي ما عليّ، وأن أدعو الرعيّة إلى الاجتهاد والاقتصاد، وما عليّ أن أجبرهم على الزُّهد. فقال أبو ذرّ: لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف، ويحسنوا إلى الجيران والإخوان، ويَصِلوا القرابات. فقال كعب الأحبار، وكان حاضراً: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فضربه أبو ذرّ فشجَّه، وقال له: يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا؟ فاستوهب عثمانُ كعباً شجَّته، فوهبه. فقال أبو ذرّ لعثمان: تأذن لي في الخروج من المدينة؛ فإنّ رسول الله ﷺ، أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سَلْعاً. فأذِن له، فنزل الرَّبَذة[1] وبنى بها مسجداً، وأقطعه عثمان صِرمةً من الإبل، وأعطاه مملوكين[2] وأجرى عليه كلّ يوم عطاء، وكذلك على رافع بن خَدِيج، وكان قد خرج أيضاً عن المدينة لشيءٍ سمعه.

وكان أبو ذرّ يتعاهد المدينة مخافة أن يعود أعرابيّاً، وأخرج معاوية إليه أهله، فخرجوا ومعهم جراب مثقلٌ يدَ الرجل، فقال: انظروا إلى هذا الذي يزهِّد في الدنيا ما عنده؟ فقالت امرأته: والله ما هو دينار ولا درهم، ولكنّها فلوس، كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا. ولما نزل الرَّبَذة أُقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة، فقال: تقدّم يا أبا ذرّ. فقال: لا، تقدّم أنتَ، فإنّ رسول الله ﷺ، قال لي: اسمعْ وأطعْ، وإن كان عليك عبد مجدَّع، فأنتَ عبد ولست بأجدع؛ وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوْراء[4].

[الوَفيات]

وفيها مات حاطب[5] بن أبي بلتعة اللخميّ وهو من أهل بدر.

---

(١) الرَّبَذَة: بفتح أوله وثانيه. من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة. (معجم البلدان ٣/٢٤).

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٨٤، ٢٨٥، وقد روى هشام، عن ابن سيرين: إن رسول الله ﷺ قال لأبي ذرّ: «إذا بلغ البناء سَلْعاً فاخرج منها، ـ ونحا بيده نحو الشام ـ ولا أرى أمراءك يدَعُونك»! قال: أوَلا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك؟ قال: «لا». قال: فما تأمرني؟ قال: «اسمعْ وأطِعْ، ولو لعبدٍ حبشيّ». (سير أعلام النبلاء ٢/٦٣).

(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٨٧.

(٥) أنظر عن حاطب في: المغازي للواقدي ١٠٥ و ١٤٠ و ١٥٤ و٢٤٣ و ٤٢٥ و٦٠٣ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٩٠٩، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣٢٨، والطبقات لابن سعد ٣/١١٤، ١١٥، والطبقات لخليفة ٧٠، وتاريخ خليفة ٧٩ و ٨٦ و ٩٨ و ١٤٣ و ١٦٦، والمعارف ٣١٧ و ٣١٨، وتاريخ أبي زرعة =

(حاطب: بالحاء المهملة. وبَلْتَعة: بالباء الموحدة، ثمّ التاء المثنّاة من فوق، بوزن مَقْرعة).

وفيها مات عمرو بن أبي سَرح[1] الفِهْريّ، وكان بدْريّاً. وفيها مات مسعود[2] بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة بن عمرو القاري، من القارة، أسلم قبل دخول النبيّ ﷺ، دار الأرقم، وشهد بدراً، وكان عمره قد جاوز السّتين. وفيها مات عبد الله بن كعب[3] بن عمرو الأنصاريّ، شهد بدراً، وكان على غنائم النبيّ ﷺ، فيها وفي غيرها. وفيها مات عبد الله بن مظعون[4] أخو عثمان، وكان بدرياً. وجبّار[5] بن صخر[6]، وهو بدري أيضاً.

= ١/٥٧٥، والمحبّر ٧٢ و٧٦ و٢٧٦ و٢٨٨، وتاريخ الطبري ٢/٦٤٤ و٦٤٥ و٣/٢١ و٤٨ و٤٩، وأنساب الأشراف ١/٢٠٢ و٣٠٢ و٣٢٣ و٣٢٨ و٣٥٤ و٣٦٠ و٤٣١ و٤٤٨ و٤٤٩ و٤٧٩ و٥٣١، والجرح والتعديل ٣/٣٠٣ رقم ١٣٥٢، وجمهرة أنساب العرب ١٤ و٩٤ و٤٢٣، والمعجم الكبير ٣/٢٠٥، ٢٠٦ رقم ٢٤١، والاستيعاب ١/٣٤٨ - ٣٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٢١ رقم ٨٢، والمستدرك على الصحيحين ٣/٣٠٠ - ٣٠٢، وأسد الغابة ١/٣٦٠ - ٣٦٢، وجامع الأصول ٩/٧٩، والزيارات للهروي ٩٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٥١، ١٥٢ رقم ١١٠، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٣ - ٤٥ رقم ٩، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٣، ٣٣٤، وتلخيص المستدرك ٣/٣٠٠ - ٣٠٢، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، ومعجم البلدان ٢/٣٨٥، والوافي بالوفيات ١١/٢٧٢، ٢٧٣ رقم ٤٠٢، ومرآة الجنان ١/٨٤، ومجمع الزوائد ٩/٣٠٣، وتهذيب التهذيب ٢/١٦٨، والإصابة ١/٣٠٠ رقم ١٥٣٨، وشفاء الغرام ١/١٣٨ و٢/١٧٩ و١٨٠ و٢٠٠ و٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٢٧ و٢٣٢، والنجوم الزاهرة ١/٨٧، وحسن المحاضرة ١/١٨٩، وشذرات الذهب ١/٣٧، وتاج العروس ٢/٢٩٢.

(١) وهو: مَعْمر بن أبي سرح. أنظر عنه في: المغازي للواقدي ١٥٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤١٧، وأنساب الأشراف ١/٢٢٦، والاستيعاب ٣/٤٤٠، وأسد الغابة ٤/٤٠٠، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٥، ٣٣٦، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والإصابة ٣/٤٤٨ رقم ٨١٤٩.

(٥) أنظر عن مسعود في: المغازي للواقدي ٢٤ و١٥٥، وطبقات ابن سعد ٣/١٦٨، ١٦٩، والمحبّر ٧٢، وجمهرة أنساب العرب ١٩٠، والاستيعاب ٣/٤٤٨، وأسد الغابة ٤/٣٥٧، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٦، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والإصابة ٣/٤١٠ رقم ٧٩٤٢.

(٣) أنظر عن ابن كعب في: السير والمغازي لابن إسحاق ٣٣٠، والمغازي للواقدي ٢٤ و٥٠ و١٠٠ و١١٢ و١٦٤ و٢٥١ و٢٧٠، وطبقات ابن سعد ٣/٥١٨، والمحبّر ٢٨٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٠١ و١٤٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٥٢ والاستيعاب ٢/٣١٤، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٥، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والوافي بالوفيات ١٧/٤١٢ رقم ٣٥٠، والإصاب ٢/٣٦٢ رقم ٤٩١٥.

(٤) أنظر عن ابن مظعون في: طبقات ابن سعد ٣/٤٠٠، والمحبّر ٧٤ و٢٧٨، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦، وطبقات خليفة ٢٥، وأنساب الأشراف ١/٢١٣، والاستيعاب ٣/٩٩٥، والمغازي للواقدي ٢٤ و١٥٦، والسير والمغازي ١٤٣، ونسب قريش ٣٩٣، وأسد الغابة ٣/٢٦٢، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٥، وسير أعلام النبلاء ١/١١٧ رقم ١٣، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والوافي بالوفيات ١٧/٦٢٢ رقم ٥٢٦، والإصابة ٢/٣٧١ رقم ٤٩٦٤.

(٥) أنظر عن جبّار في: مسند أحمد ٣/٤٢١، والمغازي للواقدي ٩١ و٩٢ و١٣٨ و١٧٠ و٢٣٤ و٣٧٥ =

(جبّار: بالجيم وآخره راء).

= و ٦٩١ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٩٨٥، و ٩٩٣، وطبقات خليفة ١٠٢، وطبقات ابن سعد ٥٧٦/٣، وتاريخ الطبري ٢٠/٣، والمحبّر ٧٣، وأنساب الأشراف ٢٠٥/١ و ٢٤٦ و ٣٠١، والجرح والتعديل ٥٤٢/٣، ٥٤٣ رقم ٢٢٥٣، والمعجم الكبير ٢٧٠/٢ رقم ٢٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١٠٩، والاستيعاب ٢٢٧/١، ٢٢٨، والمستدرك ٢٢٢/٣، ٢٢٣، والإكمال ٣٧/٢، وأسد الغابة ٢٦٥/١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١٤٣/١ رقم ١٠١، وتاريخ الإسلام ٣٣٣/٣، وتلخيص المستدرك ٢٢٢/٣، ٢٢٣، والبداية والنهاية ١٥٦/٧، والوافي بالوفيات ٤٢/١١ رقم ٧٩، والإصابة ٢٢٠/١ رقم ١٠٥٦، وتعجيل المنفعة ٦٦ رقم ١٢٤.

(٦) في نسخة (ب) «صخرة».

٣١
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر غزوة الصّواري[1]

قيل: وفي هذه السنة كانت غزوة الصَّواري، وقيل: كانت سنة أربع وثلاثين، وقيل: في سنة إحدى وثلاثين كانت غزوة الأساورة، وقيل: كانتا معاً سنة إحدى وثلاثين، وكان على المسلمين معاوية، وكان قد جُمع الشام له أيّام عثمان.

وسبب جمعه له أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح لما حُضِرَ استخلف على عمله عِياضَ بن غَنْم، وكان خاله وابن عمّه، وكان جواداً مشهوراً، وقيل: استخلف مُعاذ بن جبل، على ما تقدّم، فمات عِياض، واستخلف عمرُ بعدَه سعيدَ بن حِذْيَم الجُمَحي، ومات سعيد وأمَّر عمرُ مكانه عُمير بن سعد الأنصاريّ، ومات عمر وعُمير على حمص وقِنَّسرينٍ، ومات يزيد بن أبي سفيان، فجعل عمرُ مكانه أخاه معاوية، فاجتمعت لمعاوية الأردنّ ودمشق، ومرض عُمير بن سعد فاستعفى عثمانَ واستأذنه في الرجوع إلى أهله، فأذِن له، وضَم عثمانُ حمص وقِنَّسرين إلى معاوية، ومات عبد الرحمن بن علقمة، وكان على فلسطين، فضمّ عثمان عمله إلى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان، فهذا كان سبب اجتماع الشام له[2].

وأمّا سبب هذه الغزوة، فإنّ المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبوهم، خرج قسطنطين بن هرقل في جمْع له لم تجمع الروم مثله مُذ كان الإسلام، فخرجوا في

---

(١) أنظر عن غزوة الصواري في: كتاب الفتوح لابن أعثم ١٢٨/٢، وتاريخ خليفة ١٦٨، والتنبيه والإشراف ١٣٥، وفتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ١٩٢، وولاة مصر للكنْدي ٣٦ و٣٧، وفتوح البلدان ١٨١، وتاريخ الطبري ٢٨٨/٤، وأنساب الأشراف ٥٠/٥، وفتوح الشام ومصر للواقدي (المكتبة الصقلّية) ١٩٨ و١٩٩، والولاة والقضاء ١٣، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٩ - ٦١، ونهاية الأرب ٤١٩/١٩، والبداية والنهاية ١٥٧/٧، ودول الإسلام ٢٤/١، والنجوم الزاهرة ٨٠/١، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري - الطبعة الثانية ١٠٠/١ - ١٠٧ وتاريخ الإسلام - بتحقيقنا - ٤٢٠/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢٨٩/٤.

خمسمائة مركب أو ستمائة[1]، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحر عبد الله بن سعد بنَ أبي سرح، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم؛ فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلّون ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرّبوا من الغد سفنهم، وقرّب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها مع بعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وقُتل من المسلمين بشرٌ كثير، وقُتل من الروم ما لا يُحصى، وصبروا يومئذٍ صبراً لم يصبروا في موطن قطّ مثله، ثمّ أنزل الله نصره على المسلمين، فانهزم قسطنطين جريحاً، ولم ينجُ من الروم إلّا الشريد. وأقام عبد الله بن سعد بذات الصّواري[2] بعد الهزيمة أيّاماً ورجع. فكان أوّل ما تكلّم به محمد بن أبي حُذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة، وأظهرا عيبه، وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر، ويقولان استعمل عبدَ الله بن سعد رجلاً كان رسول الله ﷺ، قد أباحَ دمَه، ونزل القرآن بكُفره، وأخرج رسول الله ﷺ، قوماً أدخلهم، ونزع[3] أصحابَ رسول الله ﷺ، واستعمل سعيدَ بن العاص وابن عامر. فبلغ ذلك عبدَ الله بن سعد فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركبٍ ما معهما إلّا القبْط، فلقوا العدوّ، فكانا أقلّ المسلمين نكايةً وقتالاً، فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد؟ استعمله عثمان، وعثمان فعل كذا وكذا. فأرسل إليهما عبدُ الله ينهاهما ويتهدّدهما، ففسد الناس بقولهما، وتكلّموا ما لم يكونوا ينطقون به[4].

وأمّا قسطنطين، فإنّه سار في مركبه إلى صِقِلّية، فسأله أهلُها عن حاله، فأخبرهم. فقالوا: أهلكتَ النصرانيّة وأفنيت رجالها! لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم. ثمّ

---

(١) يجعلها المسعودي والكِنْدي (١٠٠٠ سفينة) وقيل (٧٠٠ سفينة) أنظر: التنبيه والإشراف ١٣٥، وولاة مصر ٣٦.

(٢) اشتهرت هذه الموقعة باسم «ذات الصواري»، و«ذات السواري»، وقيل إنها سُمّيت كذلك لكثرة صواري السفن التي ظهرت فيها وهي الأدقال: (التنبيه والإشراف للمسعودي ١٣٥)، كما سُمّيت «ذا الصواري» (بحذف التاء). واستدلّ بعضهم من هذه التسمية على أنها نسبة إلى المكان الذي جرت الموقعة عنده لأنه كان مكتظّاً بأشجار السرو. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المصادر العربية القديمة لم تحدّد المكان الذي دارت عنده الموقعة، مع أن المؤرّخ «ابن عبد الحكم» انفرد بالقول إن جيش المسلمين انقسم إلى قسمين، حيث نزل قسم منه إلى البر، وبقي قسم آخر في السفن. (فتوح مصر وأخبارها ١٩٢)، ولاة مصر ٣٦ و٣٧، وانظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين د. فيليب حتي ٢/ ٢٦، والبحرية الإسلامية في مصر والشام للدكتورين أحمد مختار العبادي، وسيد عبد العزيز سالم ـ ص ٣٠، بيروت ١٩٧٢.

(٣) في النسخة (ب) «وترك».

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

أدخلوه الحمَّام وقتلوه[1]، وتركوا من كان معه في المركب (وأذِنوا لهم في المسير إلى القسطنطينيّة)[2].

(وقيل: في هذه السنة فُتحت أرمينية على يد حبيب بن مَسْلَمة، وقد تقدّم ذكر ذلك)[3].

ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار[4]

في هذه السنة هرب يَزْدَجِرد من فارس إلى خُراسان، في قول بعضهم، وقد تقدّم الخلاف فيه، وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها إلى فارس فافتتحها، وهرب يزدجرد من جُور، وهي أردشير خُرَّه، في سنة ثلاثين، فوجّه ابنُ عامر في أثره مجاشعَ بن مسعود، وقيل: هَرِم بن حيّان العبديّ، وقيل: هَرِم بن حيّان اليَشْكُريّ، فاتّبعه إلى كَرْمان، فهرب يزدجرد إلى خُراسان. وأصاب مُجاشعَ بن مسعود ومن معه الثلجُ والدَّمَقُ[5] واشتدّ البردُ، وكان الثلج قيد[6] رمح، فهلك الجُند، وسلِم مُجاشع ورجل معه جارية، فشقّ بطن بعير فأدخلها فيه وهرب. فلمّا كان الغد جاء فوجدها حيّة فحملها. فسُمِّي ذلك القصر قصر مجاشع، لأنّ جيشه هلكوا فيه، وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السِّيرجان من أعمال كَرْمان.

هذا على قول من يقول: إنّ هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة.

وأمّا سبب قتله، على ما تقدّم ذكره من (فتح فارس وخراسان)[7]، فقد اختلف الناس في سبب قتله، فقيل: إنّه هرب من كرمان في جماعة إلى مَرْو، ومعه خُرَّزاد أخو رُستم، فرجع عنه إلى العراق، ووصّى به ماهويه مرزُبان مرو، فسأله يزدجرد مالاً فمنعه،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٤١، والتنبيه والإشراف ١٣٥، وفتوح مصر وأخبارها ١٩٠ و ١٩١، والمكتبة الصقلية ١٩٨ و ١٩٩، والفتوح لابن أعثم ١٣١، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٦١.

(٢) ما بين القوسين ليس في النسخة (س).

(٣) ما بين القوسين ليس في النسخة (س).

(٤) أنظر عن مقتل يزدجرد في: فتوح البلدان ٣٨٨، والأخبار الطوال ١٣٩، ١٤٠، والبدء والتاريخ ٥/١٩٦، ١٩٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٧، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٤، وتاريخ الطبري ٤/٢٩٣، ونهاية الأرب ١٩/٤٢٠، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦٨، ودول الإسلام ١/٢٢، والبداية والنهاية ٧/١٥٨، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٣٦، ١٣٧.

(٥) الدَّمَق: الريح الشديدة يصحبها ثلج، وهي فارسية.

(٦) في نسختي باريس و (ب): «قدر».

(٧) ما بين القوسين ورد في نسختي باريس و (ب): من أن فارس وخراسان كان فتحهما متقدماً.

فخافه أهل مرو على أنفسهم، فأرسلوا إلى التُرك يستنصرونهم عليه، فأتوه فبيّتوه، فقتلوا أصحابه، فهرب يزدجرد ماشياً إلى شطّ المَرْغاب، فأوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء، فلمّا نام قتله[1]. وقيل: بل بيّته أهلُ مرو، ولم يستنصروا بالترك، فقتلوا أصحابه وهرب منهم، فقتله النقّار، وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء، فأخذوه وضربوه، فأقرّ بقتله فقتلوه وأهله.

وكان يزدجرد قد وطىء امرأة بها، فولدت له غلاماً ذاهب الشقّ، ولدته بعد قتله، فسُمِّي المُخْدَج، فوُلد له أولاد بخُراسان، فوجد قُتَيْبَةُ بن مسلم حين افتتح الصُّغد وغيرها جاريتين من ولد المخدَج، فبعث بهما أو بإحداهما إلى الحجّاج، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص. وأخرج يزدجرد من النهر، وجُعل في تابوت وحُمل إلى إصْطَخْر، فوُضع في ناووس هناك[2].

وقيل: إنّ يزدجرد هرب بعد وقعة نِهاوند إلى أرض أصبهان، وبها رجل يقال له مطيار[3] كان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً، فصار له بها محلّ كبير، فأتَى مطيار يزدجردَ ذات يوم، فحجبه بوّابه ليستأذن له، فضربه وشجَّه، فدخل البواب على يزدجرد مُدمًّى، فرحل عن أصبهان من ساعته فأتَى الريّ، فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها، فلم يجبه[4].

وقيل: مضى من فوره ذلك إلى سجستان، ثمّ سار إلى مرو في ألف[5] فارس، وقيل: بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين، ثمّ أتَى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثاً، فطلب إليه دهقانه شيئاً، فلم يجبه، فجرّه برِجْله وطرده عن بلاده، فسار إلى سِجِسْتان فأقام بها نحواً من خمسين سنة، ثمّ عزم على قصد خُراسان ليجمع الجموع ويسير بهم إلى العرب، فسار إلى مرو ومعه الرُّهُن من أولاد الدهاقين ومعه فرّخزاد. فلمّا قدِم مَرو كاتب ملوك الصّين وملك فَرْغانة وملك كابُل وملك الخزر[6] يستمدّهم، وكان الدّهقان يومئذٍ بمرو ماهويه أبو بَراز[7]، فوكّل ماهويه بمرو ابنه بَراز ليحفظها، ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره، فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة، وأراد دخولها من بعض أبوابها، فمنعه براز، فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل، وأومأ إليه أبوه أن لا يفعل، ففطن له

---

(١) تاريخ الطبري ٢٩٣/٤.

(٢) الطبري ٢٩٣/٤.

(٣) في نسخة باريس «الميطار» وكتب على الهامش بحذائها «بطيارصح».

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٥/٤.

(٥) في النسخة (ب) «ألفي».

(٦) في نسخة باريس «الجزيرة».

(٧) ورد في الأصول: «بزاز، براز، بران، ونزار».

رجل من أصحاب يزدجرد، فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله، فلم يأذن له[1].

وقيل: أراد يزدجرد صرف الدِّهقنة عن ماهويه إلى سَنجان[2] ابن أخيه، فبلغ ذلك ماهويه، فعمل في هلاك يزدجرد؛ فكتب إلى نيزك طَرخان يدعوه إلى القدوم عليه، ليتّفقا على قتله ومصالحة العرب عليه، وضمن له إن فعل أن يعطيه كلّ يوم ألف درهم. فكتب نيزك إلى يزدجرد يعِده المساعدةَ على العرب، وأنّه يقدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه. فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان: لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرُّخزاد. وقال أبو براز: أرى أن تتألّف نيزك وتجيبه إلى ما سأل. فقبل رأيه وفرّق عنه جنده، فصاح فرُّخزاد وشقّ جيبه وقال: أظنّكم قاتلي هذا! ولم يبرح فرُّخزاد حتى كتب له يزدجرد بخطّ يده أنّه آمِن، وأنّه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه، وأشهد بذلك. وأقبل نيزك فلقِيه يزدجرد بالمزامير والملاهي، أشار عليه بذلك أبو براز، فلمّا لقيه تأخّر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشياً، فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه، فركبها، فلمّا توسّط عسكره تواقفا، فقال له نيزك فيما يقول: زوّجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوّك. فسبَّه يزدجرد، فضربه نيزك بمقرعته، وصاح يزدجرد، وركض منهزماً. وقتل أصحابُ نيزك أصحابَ يزدجرد، وانتهَى يزدجرد إلى بيت طحّان، فمكث فيه ثلاثة أيّام لم يأكل طعاماً. فقال له الطّحّان: اخرج أيّها الشقيّ فكل طعاماً فقد جعتَ! فقال: لست أصل إلى ذلك إلاّ بزمزمة، وكان عند الطّحّان رجل يزمزم، فكلّمه الطّحّان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل. فلمّا رجع المزمزم سمع بذِكر يزدجرد، فسأل عن حليته فوصفوه له، فأخبرهم به وبحليته، فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة، وأمره بخنقه وإلقائه في النهر، وأتَى الطّحّانَ فضربه ليدلّه عليه، فلم يفعل وجحده. فلمّا أراد الانصراف عنه قال له بعضُ أصحابه: إنّي لأجد ريح مِسْك؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فجذبه فإذا هو يزدجرد، فسأله أن لا يقتله ولا يدلّ عليه، وجعل له خاتمه ومنطقته وسِواره. فقال له: أعطني أربعة دراهم وأُخلّي عنك؛ فلم يكن معه وقال: إنّ خاتمي لا يُحصى ثمنه فخُذْه، فأبَى عليه، فقال له يزدجرد: قد كنتُ أُخْبَرُ أنّي سأحتاج إلى أربعة دراهم فقد رأيتُ ذلك، ثمّ نزع أحد قرطيه، فأعطاه الطّحّانَ ليستر عليه، وأرادوا قتله، فقال: ويحكم! إنّا نجد في كُتبنا أنّه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا، فلا تقتلوني واحملوني إلى الدّهقان أو إلى العرب، فإنّهم يستبقون[3] مثلي! فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس وألقوه في الماء، فأخذه أسقفُّ مرو وجعله في تابوت ودفنه. وسأل أبو

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) ورد في الأصول: «صبجان، سبحان، سنجان، سنحان، وفسنجان».

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٢٩٨ «يستحيون».

براز عن أحد القرطين، وأخذ الذي دلّ عليه فضربه حتى أتى على نفسه[١].

وقيل: بل سار يزدجرد من كَرْمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطَّبَسَين وقُوهِسْتان في أربعة آلاف، فلمّا قارب مرو لقيه قائدان، يقال لأحدهما بَراز، وللآخر سَنجان[٢] وكانا متباغضين، فسعى براز بسَنجان حتى همَّ يزدجرد بقتله، وأفشى ذلك إلى امرأة من نسائه، ففشا الحديث، فجمع سَنجان أصحابه، وقصد قصر يزدجرد، فهرب براز وخاف يزدجرد، فهرب أيضاً إلى رحى على فرسخين من مرو، فدخل بيت نقّار الرَّحَى، فأطعمه الطّحّان، فطلب منه شيئاً فأعطاه منطقته، فقال: إنّما يكفيني أربعة دراهم، فلم يكن معه، ثمّ نام يزدجرد فقتله الطّحّان بفأس كانت معه، وأخذ ما عليه وألقى جثّته[٣] في الماء وشقّ بطنه وثقّله.

وسمع بقتله مطران كان بمرو، فجمع النصارى وقال: قُتل ابن شهريار، وإنّما شهريار ابن شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقّها وإحسانها إلى أهل ملّتنا، مع ما نال النصارى في ملك جَدِّه أنوشِروان من الشرف، فينبغي أن نحزن لقتله ونبني له ناووساً، فأجابوه إلى ذلك وبنَوا له ناووساً وأخرجوا جثّته وكفّنوها ودفنوها في الناووس.

وكان ملكه عشرين سنة، منها أربع سنين في دَعَة، وستّ عشرة سنة في تعبٍ من محاربة العرب إيّاه وغِلْظتهم عليه، وكان آخر من ملك من آل أردشير بن بابك، وصفا الملك بعده للعرب[٤].

ذكر مسير ابن عامر إلى خُراسان وفتحها

لما قُتل عمرُ بن الخطّاب نقض أهلُ خراسان وغدروا. فلمّا افتتح ابن عامر فارس قام[٥] إليه حبيب بن أوسٍ التميميّ فقال له: أيّها الأمير إنّ الأرض بين يديك، ولم يُفتح منها إلاّ القليل، فسِرْ فإنّ الله ناصرُك. قال: أوَلم نأمر بالمسير؟ وكرِه أن يُظهر أنه قبِل رأيه. وقيل: إنّ ابن عامر لما فتح فارس عاد إلى البصرة، واستخلف على إصْطَخْر شريكَ بن الأعور الحارثيّ، فبنى شريك مسجد إصطَخْر. فلمّا دخل البصرة أتاه الأحنف بن قيس، وقيل غيره، فقال له: إنّ عدوّك منك هارب، ولك هائب، والبلاد

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٨.
(٢) في نسخة باريس «صنجان».
(٣) في الطبعة الأوربية «جيفته».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٩٩، ٣٠٠.
(٥) في نسخة (ب): «قدم».

واسعة، فسِرْ فإنّ الله ناصرُك ومعزُّ دِينه. فتجهّز وسار، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كَرْمان، فاستعمل عليها مُجاشعَ بن مسعود السُّلَميّ، وله صُحبة، وأمره بمحاربة أهلها، وكانوا قد نكثوا أيضاً، واستعمل على سِجِسْتان الربيع بن زياد الحارثيّ، وكانوا أيضاً قد غدروا ونقضوا الصلح. وسار ابن عامر إلى نَيْسابور، وجعل على مقدّمته الأحنف بن قيس، فأتى الطَّبَسَين، وهما حصنان، وهما بابا خُراسان، فصالحه أهلهما، وسار إلى قُوهِسْتان فلقِيه أهلها، وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم، وقدم عليها ابن عامر، فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم[1]. وقيل: كان المتوجّه إلى قُوهِسْتان أُمَير[2] بن أحمر اليَشْكُريّ، وهي بلاد بكر بن وائل؛ وبعث ابن عامر سريَّةً إلى رُستاق زام[3] من أعمال نَيْسابور، ففتحه عنوةً، وفتح باخَرْز من أعمال نَيسابور أيضاً، وفتح جُوين من أعمال نيسابور أيضاً[4].

ووجَّه ابنُ عامر الأسودَ بن كلثوم العدويّ من عدِيّ الرِّباب، وكان ناسكاً، إلى بَيْهق، من أعمالهما أيضاً، فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثُلمة كانت فيه، ودخلت معه طائفة من المسلمين، فأخذ العدوّ عليهم تلك الثُّلْمة، فقاتل الأسودُ حتى قُتل هو وطائفة ممّن معه، وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كُلثوم، فظفر وفتح بَيْهق، وكان الأسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطير، فلم يواره أخوه، ودفن من استُشهد من أصحابه. وفتح ابنُ عامر بُشْتَ من نيسابور[5].

(وهذه بُشْت: بالشين المعجمة، وليست بُسْت التي بالسين المهملة، تلك من بلاد الداوُن، وهذه من خُراسان من نيسابور).

وافتتح خَوَاف وأسفرايين وأَرْغيان، ثمّ قصد نيسابور بعدما استولى على أعمالها وافتتحها، فحصر أهلها أشهراً، وكان على كلّ ربع منها مَرزُبان للفرس يحفظه، فطلب صاحب ربعٍ من تلك الأرباع الأمان على أن يُدخل المسلمين المدينة، فأجيب إلى ذلك، فأدخلهم ليلاً ففتحوا الباب، وتحصّن مرزبانها الأكبر في حصنها، ومعه جماعة، وطلب الأمان والصلح على جميع نيسابور، فصالحه على ألف ألف درهم، وولّى نَيسابور قيسَ بن الهيثم السُّلَميّ، وسيّر جيشاً إلى نَسا وأبِيوَرْد، فافتتحوها صلحاً؛ وسيّر سريّة

---

(١) فتوح البلدان ٤٩٩ رقم ٩٨٢.
(٢) في تاريخ الطبري «أُمَين».
(٣) في النسختين (س) و(ب) «رام»، وفي نسخة باريس «تارم».
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٧.
(٥) فتوح البلدان ٤٩٩، ٥٠٠.

أخرى إلى سَرْخَس (مع عبد الله بن خازم السُّلَمي)[1]، فقاتلوا أهلها ثمّ طلبوا الأمان والصلح على أمان مائة رجل، فأجيبوا إلى ذلك، فصالحهم مرزُبانها على ذلك، وسمّى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله، ودخل سَرْخَس عنوةً[2].

وأتى مرزُبان طوس إلى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم؛ وسيّر جيشاً إلى هَراة عليهم عبد الله بن خازم، وقيل غيره، فبلغ مرزُبان هَراة ذلك، فسار إلى ابن عامر فصالحه عن هَراة وباذَغيس وبُوشَنْج[3]. وقيل: بل سار ابن عامر في الجيش إلى هَراة، فقاتله أهلُها، ثمّ صالحه مرزُبانها على ألف ألف درهم، ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل إليه مرزبانُ مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم، وقيل غير ذلك[4]؛ وأرسل ابنُ عامر حاتمَ بن النُّعمان الباهلي إلى مرزُبانها، وكانت مرو كلّها صلحاً إلاّ قرية منها يقال لها سِنْج، فإنّها أُخذت عَنْوة. (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم). ووجّه ابنُ عامر الأحنفَ بن قيس إلى طَخارستان، فمرّ برُستاقٍ يُعرف برُستاق الأحنف، ويدعى سوانجرد[5]، فحصر أهلَها، فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم، فقال الأحنف: أصالحكم على أن يدخل رجل منّا القصر فيُؤذّن فيه، ويقيم فيكم حتى ينصرف[6]. فرضوا بذلك، ومضى الأحنف إلى مَرْو الرُّوذ، فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم، وكان مرزُبانها من أقارب باذان صاحب اليمن، فكتب إلى الأحنف: إنّه دعاني إلى الصلح إسلام باذان[7]، فصالحه على ستمائة ألف[8]، وسيَّر الأحنفُ سريّةً، فاستولت على رُستاق بَغ[9] واستاقت منه مواشي، ثمّ صالحوا أهله[10]. وجمع له أهل طَخارستان، فاجتمع أهل الجُوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير، فالتقوا واقتتلوا، وحمل ملك الصغانيان على الأحنف، فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً كيف شاؤوا، وعاد إلى مَرْو الرُّوذ، ولحِق بعض العدوّ بالجُوزجان، فوجَّه إليهم الأحنفُ الأقرعَ بن حابس التميميّ في

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٢) فتوح البلدان ٥٠٠، ٥٠١.

(٣) فتوح البلدان ٥٠١ وفيه كتاب الصلح.

(٤) أنظر فتوح البلدان ٥٠١، ٥٠٢، تاريخ اليعقوبي ١٦٧/٢، الطبري ٣٠٢/٤، ٣٠٣.

(٥) في فتوح البلدان ٥٠٢ «شقّ الجُرَذ».

(٦) في فتوح البلدان ٥٠٢ «أنصرف».

(٧) في فتوح البلدان «باذام».

(٨) وقيل: ستين ألفاً. (فتوح البلدان).

(٩) في نسختي (ب) وباريس «سنج».

(١٠) فتوح البلدان ٥٠٢.

خيلٍ وقال: يا بني تميم تحابّوا وتباذلوا تعدلْ أُموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلُحْ لكم دينكم، ولا تغلُوا يسلمْ لكم جهادكم.

فسار الأقرع فلقي العدوّ بالجُوزجان فكانت بالمسلمين جولة، ثمّ عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عَنوة، فقال ابن الغريزة النهشليّ:

سقى صَوْبُ السَّحابِ إذا استهلّتْ مصارعَ[1] فتيَةٍ بالجُوزجانِ
إلى القصرين مِن رُستاق خُوتٍ[2] أقادهمُ هناكَ الأقرَعانِ

وفتح الأحنف الطالِقان صلحاً، وفتح الفارياب، وقيل: بل فتحها أُمَير بن أحمر، ثمّ سار الأحنف إلى بلْخ، وهي مدينة طَخارستان، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف، وقيل: سبعمائة ألف؛ واستعمل على بَلْخٍ أَسِيد بن المتشمِّس، ثمّ سار إلى خوارزم[3]، وهي على نهر جيحون، فلم يقدر عليها، فاستشار أصحابه، فقال له حُضَين بن المنذر: قال عمرو بن معديكرب:

إذا لم تَستَطِعْ أمراً فدَعْه وجاوِزْهُ إلى ما تَستَطيعُ

فعاد إلى بَلْخ وقد قبض أَسيد صلحها، ووافق وهو يجبيهم المهرجان، فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودوابّ وأوانٍ وثياب وغير ذلك[4]، فقال لهم: ما صالحناهم على هذا! فقالوا: لا، ولكن هذا شيء نفعله في هذا اليوم بأمرائنا. فقال: ما أدري ما هذا ولعلّه من حقّي، ولكن أقبضه حتى أنظر، فقبضه حتى قدِم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا ما قالوا لأسيد، فحمله إلى ابن عامر وأخبره عنه، فقال: خذه يا أبا بحر. قال: لا حاجة لي فيه. فأخذه ابن عامر. قال الحسن البصْريّ: فضمّه القُرشيّ، وكان مضمّاً.

ولما تمّ لابن عامر هذا الفتح قال له الناس: ما فُتِح لأحد ما فُتح عليك، فارس وكَرْمان وسِجِسْتان وخُراسان. فقال: لا جَرَم لأجعلنّ شكري لله على ذلك، أن أخرج مُحرِماً من موقفي هذا. فأحرم بعُمرة من نيسابور[5]، وقدِم على عثمان واستخلف على خُراسان قيسَ بن الهيثم، فسار قيسٌ بعد شخوصه في أرض طَخارستان، فلم يأتِ بلداً

---

(١) في نسخة باريس «مصالح».
(٢) في النسخة (ب) «خوف»، وفي فتوح البلدان «حُوف».
(٣) في فتوح البلدان «خارزم».
(٤) فتوح البلدان ٥٠٣، ٥٠٤.
(٥) تاريخ خليفة ١٦٦، فتوح البلدان ٥٠٤ رقم ٩٨٨، تاريخ الإسلام ٣/٣٦٤، البدء والتاريخ ١٩٨/٥.

منها إلاّ صالحه أهلُه وأذعنوا له، حتى أتى سِمِنْجان فامتنعوا عليه، فحصرهم حتى فتحها عَنوة.

(أَسِيد: بفتح الهمزة وكسر السين. وحُضَين بن المنذر: بالضاد المعجمة).

ذكر فتح كَرْمان

لما سار ابن عامر عن كرمان إلى خُراسان واستعمل مجاشعَ بن مسعود السُّلَمي على كَرْمان، على ما ذكرناه قبل، أمره أن يفتحها، وكان أهلها قد نكثوا وغدروا، ففتح هَمِيد عنوةً واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً، وبنى بها قصراً يُعرف بقصر مجاشع، وأتى السِّيرجان، وهي مدينة كرمان، فأقام عليها أيّاماً يسيرة وأهلها متحصّنون، فقاتلهم وفتحها عَنوةً، فجلا كثير من أهلها عنها، وفتح جِيرَفْت عنوةً، وسار في كرمان فدوّخ أهلها، وأتى القُفص وقد تجمّع له خلق كثير من الأعاجم الذين جلوا، فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم، وهرب كثيرٌ من أهل كرمان فركبوا البحر، ولحِق بعضهم بمُكران وبعضهم بسِجستان، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها، واحتفروا لها القنيَّ في مواضع منها، وأدّوا العشر منها[1].

ذكر فتح سِجِستان وكابُل وغيرهما

قد تقدّم ذكر فتح سِجستان أيّام عمر بن الخطّاب، ثمّ إنّ أهلها نقضوا بعده. فلمّا توجّه ابن عامر إلى خُراسان سيّر إليها من كرمان الربيعَ بن زياد الحارثيّ، فقطع المفازة حتى أتى حصن زالِق، فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدِّهقان، فافتدى نفسه بأن غرز عَنَزة وغمرها ذَهَباً وفضّة، وصالحه على صلح فارس. ثمّ أتى بلدة يقال لها كَرْكُويَه، فصالحه أهلها، وسار إلى زَرَنْج فنزل على مدينة رُوشت بقرب زَرَنْج، فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين. ثمّ انهزم المشركون وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأتى الربيعُ ناشِرُوذ ففتحها، ثمّ أتى شَرْواذ فغلب عليها، وسار منها إلى زَرَنْج فنازلها وقاتله أهلها، فهزمهم وحصرهم، فأرسل إليه مرزُبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه، وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتّكأ على آخر، وأمر أصحابه ففعلوا مثله، فلمّا رآهم المرزُبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كلّ وصيف جامٌ من ذهب، ودخل المسلمون المدينة. ثمّ سار منها إلى سَناروذ، وهي واد، فعبره وأتى القرية التي بها

---

(١) فتوح البلدان ٤٨٢.

مربط فرس رُستم الشديد، فقاتله أهلها، فظفر بهم ثمّ عاد إلى زَرَنْج وأقام بها نحو سنة[1]؛ وعاد إلى ابن عامر، واستخلف عليها عاملاً، فأخرج أهلُها العامل وامتنعوا.

فكانت ولاية الربيع سنة[2] ونصفاً. وسبَى فيها أربعين ألف رأس. وكان كاتبه الحَسَن البصْريّ. فاستعمل ابنُ عامر عبدَ الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان، فسار إليها فحصر زَرَنْج، فصالحه مرزُبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف. وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكَشّ من ناحية الهند، وغلب من ناحية الرُّخَّج على ما بينه وبين الدّاوَر[3]. فلمّا انتهى إلى بلد الداوَر[3] حصرهم في جبل الزُّور[4]، ثمّ صالحهم ودخل على الزور[4]، وهو صنم من ذهب، عيناه ياقوتتان، فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثمّ قال للمرزُبان: دونك الذهب والجوهر، وإنّما أردتُ أن أعلمك أنّه لا يضرّ ولا ينفع. وفتح كابُل وزابُلِستان، وهي ولاية غزنة[5]، ثمّ عاد إلى زَرَنْج فأقام بها حتى اضطّرب أمرُ عثمان، فاستخلف عليها أُمَيرَ بن أحمر اليَشْكُريّ وانصرف، فأخرج أهلُها أُمَير بن أحمر وامتنعوا. ولأُمَير يقول زياد بن[6] الأعجم:

لـوْلا أُمَـيـرٌ هـلكَـتْ يَـشـكُـرٌ ... ويشكُـرُ هَلْكى على كـلّ حـالْ[7]

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عثمان.[8]

[الوَفَيَات]

وفيها مات أبو الدَّرْداء[9] الأنصاريّ، وهو بـدْريّ، وقيل: سنة اثنتن وثلاثين: وفيها

---

(١) في فتوح البلدان ٤٨٥ «فأقام بها سنتين».

(٢) في فتوح البلدان «سنتين ونصفاً».

(٣) في طبعة صادر ١٢٩/٣ «الداوُن»، وهو غلط، والتصحيح من فتوح البلدان ٤٨٦ ومعجم البلدان ٤٣٤/٢ قال ياقوت: وأهلِ تلك الناحية يسمّونها زِمِنْداوَر ومعناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رُخَّج وبُست والغور. وقال الإصطخريّ: الداور اسم إقليم خصيب وهو ثغر الغور من ناحية سجستان ومدينة الداورتل ودرغور.

(٤) في طبعة صادر ١٢٩/٣ «الزوز»، والصحيح من معجم البلدان ١٥٧/٣ حيث قال: والزُّور صنم كان في بلاد الداوَر من أرض السند من ذهب مرصّع بالجواهر.
وقد حُرّف في نسخة باريس إلى «الرور»، وفي نسخة المتحف البريطاني إلى «الروذ».

(٥) في نسختي باريس و(ب) زيادة «بعهد».

(٦) «بن» ساقطة من (س) وفتوح البلدان.

(٧) الخبر بطوله في فتوح البلدان ٤٨٤ ـ ٤٨٦.

(٨) تاريخ الطبري ٣٠٣/٤.

(٩) أنظر عن أبي الدرداء في: المغازي للواقدي ٢٥٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧، والتاريخ لابن معين =

مات أبو طلحة الأنصاريّ[1]، وهو بدْريّ، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين)[2]، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

= ٢/٧٠٣، وطبقات خليفة ٩٥ و٣٠٣، والزهد لأحمد بن حنبل ١٦٧ - ١٧٨، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٢١، ومسند أحمد ٥/١٩٤ و٦/٤٤٠ و٤٤٥، وأنساب الأشراف ١/٢٧١ و٤٤٨، وفتوح البلدان ١٤٤ و١٦٦ و١٦٧ و١٨٢، وتاريخ أبي زرعة ١/١٩٨ - ٢٠٠ و٦٤٧ - ٦٤٩، والمعرفة والتاريخ ٢/٣٢٧ - ٣٣٠، والخراج وصناعة الكتابة ٢٩١ و٣٠٠، والمعارف ٢٥٩ و٢٦٨، والمحبّر لابن حبيب ٧٥ و٢٨٦ و٣٩٧، وعيون الأخبار (راجع فهرس الأعلام ٤/١٨٥)، وتاريخ الطبري ٣/٣٩٧ و٤/٢٥٨ و٢٦٢ و٢٨٣ و٤٢١ و٥/٨٩، والكنى والأسماء للدولابي ١/٢٧ و٦٩، والعقد الفريد (راجع فهرس الأعلام ٧/٩٢)، والاستيعاب ٤/٥٩، ٦٠، والتاريخ الكبير ٧/٧٦ رقم ٣٤٨، والجرح والتعديل ٧/٢٦ - ٢٨ رقم ١٤٦، وحلية الأولياء ١/٢٠٨ - ٢٢٧ رقم ٣٥، وطبقات ابن سعد ٧/٣٩١ - ٣٩٣، والمستدرك ٣/٣٣٦، ٣٣٧، والاستبصار ١٢٥ و١٢٧، ومشاهير علماء الأمصار ٥٠ رقم ٣٢٢، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٢، والزهد لابن المبارك (أنظر فهرس الأعلام - ص ٤)، وفتوح الشام للأزدي ٢٧٤، ٢٧٥، والزاهر للأنباري ٢/٦٩ و٣٣٢، وتهذيب الكمال ٢/١٠٦٨، وتحفة الأشراف ٨/٢١٨ - ٢٤٧ رقم ٤٢٦، والتذكرة الحمدونية ١/١٣٠ و١٣٩ و١٤٥ و١٨٧، ولباب الآداب ١٦ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٨ و٣٠٠ و٣٠٣ و٣١٧ و٣٣١، وصفة الصفوة ١/٦٢٧ - ٦٤٣ رقم ٧٧، والزيارات للهروي ٩ و١٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٢٨، ٢٢٩ رقم ٣٤٠، والعبر ١/٣٣، وتذكرة الحفّاظ ١/٢٤، ٢٥ رقم ١١، والكاشف ٢/٣٠٨ رقم ٤٣٩١، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٥ رقم ١٠١، ودول الإسلام ١/٢٥، وتاريخ الإسلام ٣/٣٩٨ - ٤٠٤، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥ - ٣٥٣ رقم ٦٨، ومعرفة القراء الكبار ١/٤٠ - ٤٢ رقم ٧، والثقات لابن حبّان ٣/٢٨٥، ٢٨٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٤٧، وتلخيص المستدرك ٣/٣٣٦، ٣٣٧، ومرآة الجنان ١/٨٨، ومجمع الزوائد ٩/٢٦٧، وغاية النهاية ١/٦٠٦، ٦٠٧، وشفاء الغرام ١/١٢٦ و١٢٨ و١٢٩، والإصابة ٣/٤٥، ٤٦ رقم ٦١١٧، والنكت الظراف ٨/٢١٩، ٢٤٠، وتهذيب التهذيب ٨/١٧٥ - ١٧٧ رقم ٣١٥، وتقريب التهذيب ٢/٩١ رقم ٨٠٦، والنجوم الزاهرة ١/٨٩، وحسن المحاضرة ١/٢٤٤، ٢٤٥، وطبقات الحفّاظ ٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٩٨، ٢٩٩، وكنز العمال ١٣/٥٥٠ - ٥٥٣، وشذرات الذهب ١/٣٩، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ١٨٥/١).

(١) أنظر عن أبي طلحة في: مسند أحمد ٤/٢٨، ٣١، وطبقات ابن سعد ٣/٥٠٤ - ٥٠٧، والمغازي للواقدي ١٦٣ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٦٤ و٢٩٦ و٧٢١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٠ و٢٦٧ و٣٥٠، وتاريخ خليفة ١٦٦، وطبقات خليفة ٨٨، والزهد لابن المبارك ١٨٥، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٩ رقم ١٠٦، والتاريخ لابن معين ٢/١٨٣، وأنساب الأشراف ١/٢٤٢، و٢٧١، ق ٤ ج ١/٥٠٤ و٥٠٦ و٥٠٧، والمعرفة والتاريخ ١/٣٠٠، والمعارف ١٦٦ و٣٠٨، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٧٦ و٥٦٢، وتاريخ الطبري ٢/٦١٩ و٣/١٢٤ و١٨١ و٢١٣ و٤/١٩٢ و٢٣٠ و٣٠٨، والكنى والأسماء للدولابي ١/٤٠، والاستيعاب ٤/١١٣ - ١١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٥ رقم ٤٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٤٧، والمحبّر لابن حبيب ٧٣، وأنساب الأشراف ٥/١٨ و٢٠ و٢١، والبدء والتاريخ ٥/١١٦، ١١٧، والعقد الفريد ٤/٢٧٥، ٢٧٦، والمستدرك ٣/٣٥١ - ٣٥٤، والمعجم الكبير ٥/٩١ - ١١١ رقم ٤٨٠، والاستبصار ٥٠، والأسامي والكنى للحاكم ١ (ورقة ٢٩٣، ٢٩٤)، وأسد الغابة ٢/٢٨٩، وجامع الأصول ٩/٧٣ - ٧٧، ولباب الآداب ١٧٥ و٣٠٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١/ج ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦، رقم=

وفيها مات أبو أُسيد الساعديّ[1]، وقيل: مات سنة ستين، وهو على هذا القول آخر من مات من البدْريّين.

(أُسيد: بضم الهمزة).

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث[2] بن عبد المطّلب بن هاشم، (وأخوه

٣٦٩، وتهذيب الكمال ١/٤٥٧، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٤٤، وتلخيص المستدرك ٣/٣٥١ - ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٧ - ٣٤ رقم ٥، والعبر ١/٣٥، وتاريخ الإسلام ٣/٤٢٥ - ٤٢٧، ومجمع الزوائد ٩/٣١٢، ومرآة الجنان ١/٨٩، والوفيات لابن قنفذ ٦٥ رقم ٥١، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٤ - ١٢، والوافي بالوفيات ١٥/٣١، ٣٢ رقم ٣٤، والإصابة ١/٥٦٦، ٥٦٧ رقم ٢٩٠٥، وتهذيب التهذيب ٣/٤١٤، ٤١٥، وتقريب التهذيب ١/٢٧٥ رقم ١٨٤، والنكت الظراف ٣/٢٤٦، ٢٤٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٢٨، وشذرات الذهب ١/٤٠.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (س).

(١) أنظر عن أبي أسيد في: المغازي للواقدي ٧٦ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٦٨ و ٢٧٤ و ٢٩٥ و ٤٢٦ و ٨٠٠ و ٨٧٧ و ٨٩٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، وطبقات ابن سعد ٣/٥٥٧، ٥٥٨، وتاريخ خليفة ١٦٦، وطبقات خليفة ٩٧، والمحبّر لابن حبيب ٩٥ و ٢٩٨، والتاريخ لابن معين ٢/٥٤٧، والبرصان والعرجان ٣٦٢، وترتيب الثقات للعجلي ٤٨٩ رقم ١٨٩٣، ومقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد ٨٩ رقم ١٠٠، والمعارف ٢٧٢ و ٥٨٨، ومسند أحمد ٣/٤٩٦ - ٤٩٨، والمعرفة والتاريخ ١/٣٤٤ و ٤٤٢ و ٢/٤٦٧ و ٣/٢٥، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٩١، وتاريخ الطبري ٣/١٦٧ و ٤/٣٣٧ و ٣٥٩، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١/٥٤٩ و ٥٥١ و ٥٨٥ و ٥٨٩ و ٥/٦٠، ٦١ ومشاهير علماء الأمصار ٢٢ رقم ٩٤، والمستدرك ٣/٥١٥، ٥١٦، والاستبصار ١٠٦، والاستيعاب ٤/٨، ٩، والعقد الفريد ٢/٤٠٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٦، وأسد الغابة ٤/٢٧٩ و ٥/١٣٧، وتحفة الأشراف ٨/٣٤٠ - ٣٤٥ رقم ٤٧٦، وتهذيب الكمال ٣/١٢٩٨، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٦ رقم ١١٦، والكاشف ٣/١٠٠ رقم ٥٣٤٣، وتلخيص المستدرك ٣/٥١٥، ٥١٦، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٣٨ - ٥٤٠ رقم ١١٠، والعبر ١/٤٦، وتاريخ الإسلام ٣/٦٥٥ - ٦٥٧، ومرآة الجنان ١/١٠٧، وتهذيب التهذيب ١٠/١٥، ١٦ رقم ٦٦، وتقريب التهذيب ٢/٣٩٢ رقم ٦٠، والنكت الظراف ٨/٣٤٠ - ٣٤٣، والإصابة ٣/٣٤٤ رقم ٧٦٢٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٧، والكنى والأسماء للدولابي ١/١١٥، والأسامي والكنى للحاكم (مخطوط) الورقة ٥٢.

(٢) أنظر عن أبي سفيان بن الحارث في: المغازي للواقدي ٣٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٥٠ و ٢٦٧، وطبقات ابن سعد ٤/٤٩ - ٥٤، وطبقات خليفة ٦، وتاريخ خليفة ٧٠ و ٨٤، والتاريخ لابن معين ٢/٧٠٧، والمحبّر ٤٦ و ٦٤ و ١٧٧ و ٤٣٩ و ٤٧٣، والمعارف ١٢٦ و ١٦٤ و ٥٨٧، وتاريخ أبي زرعة ١/٦٤٥، وفتوح البلدان ٢٠، والمعرفة والتاريخ ١/٣٢٧ و ٢/٦٢٩، و ٣/٢٦١، وتاريخ الطبري ٢/٤٦٢ و ٣/٥٠ و ٧٤ و ٧٥ و ٧/٦٢٢، ومشاهير علماء ٢٢ رقم ٩١، والاستيعاب ٤/٨٣ - ٨٥، والمستدرك ٣/٢٥٤ - ٢٥٧، والزيارات للهروي ٩٤، وأسد الغابة ٥/٢١٥، وصفة الصفوة ١/٥١٩ - ٥٢١ رقم ٥٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٣٩ رقم ٣٥٧، والعبر ١/٢٤، وتاريخ الإسلام ٣/٢١٧ - ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١/٢٠٢ - ٢٠٥ رقم ٣٢، وتلخيص المستدرك ٣/٢٥٤ - ٢٥٦، ومرآة الجنان ١/٧٦، والبداية والنهاية ٧/١٠٣، ١٠٤، ومجمع الزوائد ٩/٢٧٤، والعقد الثمين ٧/٢٥٣، والإصابة ٤/٩٠، ٩١ رقم ٥٣٨.

الطفيل[1])[2]. (وأبو سفيان بن حرب[3] بن أميّة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة)[4].

---

(1) أنظر عن الطفيل في: السير والمغازي ٢٥٨، والمغازي للواقدي ٢٤ و١٥٣، وطبقات ابن سعد ٣/٥٢، ونسب قريش ٩٣ و ٩٥، وطبقات خليفة ١١٥ و١٣٨، والمحبّر ٧١ و٨٣ و١٠٨ و ٤٥٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٤٥ و٣/١٦٧، وأنساب الأشراف ١/٢٨٩ و٣٠٨ و ٤٢٩ و٤٤٧، وحذف من نسب قريش ١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٢، والاستيعاب ٢/٢٢٨، والجرح والتعديل ٤/٤٨٨، ٤٨٩ رقم ٢١٤٧، وتاريخ الإسلام ٣٣٤ و ٣٧١، وأسد الغابة ٣/٥٢، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والوافي بالوفيات ١٦/٤٥٨، ٤٥٩ رقم ٤٩٥، والعقد الثمين ٥/٦٦، والإصابة ٢/٢٢٤ رقم ٤٢٤٧، وتعجيل المنفعة ١٩٧، ١٩٨ رقم ٤٨٨.

(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(3) أنظر عن أبي سفيان بن حرب في: السير والمغازي لابن إسحاق ١١٨ و ١٤٤ و ١٨٩ و ١٩٠ و١٩٧ و٢٣٣ و ٢٣٤ و ٣٢٢ و٣٢٣ و ٣٣٢ - ٣٣٤، والمغازي للواقدي (انظر فهرس الأعلام ٣/١١٧٨)، وتهذيب سيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام ٣٧٨)، وفتوح الشام للأزدي ٢١٩، ٢٢٠، والأخبار الموفّقيّات للزبير بن بكار ٣٣٣ و ٣٨٨ و٥٧٧ و٥٧٨ و ٥٨٤، ونسب قريش لمصعب ١٢١ و ١٢٢ و١٢٦، ١٢٧ و١٥٣ و ٢٤٤ و٣٢٣، وحذف من نسب قريش ٣٠، والمحبّر لابن حبيب ٨٩ و ١١١ و١١٢ و ١١٩ و ١٢٦ و١٣٢ و ١٦١ و ١٧٥ و ٢٤٦ و ٢٦١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٩٦ و٣٠٢ و ٣١٥ و٣٣٨ و ٤١٠ و٤٣٤ و٤٣٧ و ٤٤٩ و٤٧٣، والبرصان والعرجان للجاحظ ٥٣ و٧٨ و ١٠٢ و٢٦٢، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ١٤١ رقم ٦٧٠، والمعرفة والتاريخ ٣/١٦٧، وتاريخ أبي زرعة ١/٢١٨ و٥٩٣، والتاريخ لابن معين ٢/٢٦٨، وطبقات خليفة ١٠، وتاريخ خليفة ١٦٦، والتاريخ الكبير ٤/٣١٠ رقم ٢٩٤٢، والمعارف ٣ و ٧٤ و ١٢٥ و ٣٤٤ و٥٥٣ و ٥٧٥ و ٥٨٦ و٥٨٨، وعيون الأخبار ١/٨٣ و٤/١٠١، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦٩، والجرح والتعديل ٤/٤٢٦ رقم ١٨٦٩، وفتوح البلدان ٤٢ و٤٣ و٤٥ و٦٦ و ٧١ و٧٨ و٨٣ و١٢٣ و١٥٣ و١٦٠، وأنساب الأشراف ٣/١٩ و٢١، ق ٤ ج ١/٤ - ١٤ و١٣٦ - ١٣٩، و٥/٢ و٩١، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ١٠/٢٦٨)، والكنى والأسماء للدولابي ١/٣٣، والزاهر للأنباري ١/٢٩٣، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم ١٦٩، والمعجم الكبير للطبراني ٨/٥ - ٢٨ رقم ٧١١، والعقد الفريد (راجع فهرس الأعلام ٧/٩٣)، والاستيعاب ٤/٨٥ - ٨٨، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٠٧، ١٠٨، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ١/٢٥٥)، وثمار القلوب للثعالبي ١٢٠، ١٢١، و٣٩٥ و٥١٩ و ٦٧٠، وأمالي المرتضى ١/٢٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٧٠ و٨٠ و ١١١ و ٢٧٤ و٣٨٦ و ٤٢٩، والخراج لقُدامة ٢٦٢ - ٢٦٥ و ٢٦٩ و ٢٧٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٩٠ - ٤٠٩، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ٣٤٤ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٩٩ و ٣٩٣،وأسد الغابة ٥/٢١٦، ووفيات الأعيان ٢/٢٥٥ و ٢٦٦ و ٣٦٤ و٦/٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٨ - ٣٦١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٣٥٨، وتحفة الأشراف ٤/١٥٧ - ١٥٩ رقم ٢٣٣، ونهاية الأرب ١٩/٤٤٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٨ رقم ١٤٦، والكاشف ٢/٢٤ رقم ٢٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢/١٠٥ - ١٠٧ رقم ١٣، والعبر ١/٣١، وتجريد أسماء الصحابة ٢/١٦، وتاريخ الإسلام ٣/٣٦٨ - ٣٧٠ و ٤٢٥، ودول الإسلام ١/٢٥، ومرآة الجنان ١/٨٤، ٨٥، والوافي بالوفيات ١٦/٢٨٤ - ٢٨٦ رقم ٣١٤، ونكت الهميان ١٧٢، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٢٢٤، والوفيات لابن قنفذ ٥٣، وشفاء الغرام - بتحقيقنا - (أنظر فهرس الأعلام ٢/٥١٠)، والعقد الثمين ٥/٣٢، والنكت الظراف ٤/١٥٨، وتهذيب التهذيب ٤/٤١١، ٤١٢ رقم ٧٠٨، وتقريب التهذيب ١/٣٦٥ رقم ٧٥، والإصابة =

. . . .

= ٢/١٧٨ ـ ١٨٠ رقم ٤٠٤٦، وأمالي القالي ١/٢٢٢ و٢/١٠٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٧٢، وكنز العمال ١٣/٦١٢، وشذرات الذهب ١/٣٠ و٣٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

٣٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

(قيل: في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينيّة ومعه زوجته عاتكة بنت قَرَظَة، وقيل فاختة[1])[2].

ذكر ظفر الترْك وقتْل عبد الرحمن بن ربيعة

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين.

وسببه أنّ الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا: كنّا [أُمّة] لا يُقْرِن[3] بنا أحد، حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها. فقال بعضهم: إنّ هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم أحد في غزوهم. وقد كان المسلمون غَزَوْهم قبل ذلك فلم يُقتل منهم أحد، فلهذا ظنّوا أنّهم لا يموتون. فقال بعضهم: أفلا تجرّبون؟ فكمّنوا لهم في الغياض، فمرّ بالكمين نفرٌ من الجند فرموهم منها فقتلوهم، فتواعد رؤوسهم إلى حربهم ثمّ اتّعدوا يوماً. وكان عثمان قد كتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إنّ الرعيّة قد أبطرها البِطنةُ، فلا تقتحم بالمسلمين فإنّي أخشى أن يُقتلوا. فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده، فغزا نحو بَلَنْجر[4]، وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وقُتل عبد الرحمن، وكان يقال له ذو النور[5]، وهو اسم سيفه، فأخذ أهل بَلَنْجَر جسدَه وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به، فلمّا قُتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين: فرقة نحو الباب، فلقوا سَلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن، كان قد سيّره سعيد بن العاص مَدَداً

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٠٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦٩، وتاريخ خليفة ١٦٧، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٥٩، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٣٧١، ودول الإسلام ١/٢٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) في نسخة (ب) «يقوم»، وفي نسخة باريس «يقر».

(٤) بلنجر: بفتحتين: وسكون النون. مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب (١/٤٨٩).

(٥) في الطبعة الأوربية «ذو النون».

للمسلمين بأمر عثمان، فلمّا لقوه نجَوا معه، وفرقة نحو جيلان وجُرجان، فيهم سلمان الفارسي وأبو هُريرة، وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النَّخَعيّ، وعلقمة بن قيس، ومِعْضَد الشيبانيّ، وأبو مفرز التميميّ في خباء واحد، وعمرو بن عُتبة، وخالد بن ربيعة، والحلحال[1] بن ذري والقَرْثَع[2] في خباء، فكانوا متجاورين في ذلك العسكر، وكان القرثع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب! وكان عمرو بن عُتبة يقول لقبَاء عليه: ما أحسن حُمرة الدماء على بياضك!

ورأى يزيد بن معاوية أنّ غزالاً جيء به لم يُرَ أحسن منه فلُفّ في ملحفة، ثمّ دُفن في قبرٍ لم يُرَ أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود، فلمّا استيقظ واقتتل الناس رُمي بحجر فهشم رأسه فمات، فكأنّما زيّن ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ، فدُفن في قبر على الصورة التي رأى.

وقال مِعْضَد لعَلْقَمة: أعِرْني بُردك أعصب به رأسي، ففعل، فأتى برج بَلَنْجر الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم، وأتاه حجر عرّادة ففضخ هامته، فأخذه أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأخذ علقمة البُرْد، فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه، وكان يشهد فيه الجمعة ويقول: يحملني على هذا أنّ دم مِعْضَد فيه. وأصاب عمرَو بن عُتبة جراحة فرأى قَباءه كما اشتهى ثمّ قُتل. وأمّا القرثع فإنّه قاتل حتى خُرق بالحراب، فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال: إنّا لله، انتكث[3] أهل الكوفة، اللهمّ تب عليهم وأَقبِل بهم![4].

وكان عثمان قد كتب إلى سعيد بن العاص أن يُنفذ سلمان إلى الباب للغزو، فسيّره فلقي المهزومين، على ما تقدّم، فنجّاهم اللّهُ به. فلمّا أصيب عبد الرحمن استعمل سعيدٌ سلمانَ بن ربيعة على الباب، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حُذيفة بن اليمان، وأمدّهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مَسْلَمة، فتأمّر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان. فقال الكوفيّون: إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه، وإن أبيتم كثُرت القتلى فينا وفيكم؛ وقال أوس بن مغراء في ذلك:

إن تضربوا سلمانَ نضربْ حبيبَكمْ	وإنْ ترحَلوا نحوَ ابن عفّانَ نرحَلُ
وإن تُقسطوا فالثغرُ ثغرُ أميرنا	وهذا أميرٌ في الكتائبِ مُقبِلُ

---

(١) في نسختي باريس و (ب) «الخلخال».

(٢) في (ب) «القريع».

(٣) في نسخة باريس «ينكث» وفي نسختي (ب) والمتحف البريطاني «اسكت»، وفي الحاشية «اينكب».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٠٤ - ٣٠٦.

ونحنُ ولاةُ الأمرِ[1] كُنّا حُماتَه ... ليالِيَ نرمي كلَّ ثغرٍ ونَعْكِلُ[2]

وأراد حبيب أن يتأمّر على صاحب الباب كما يتأمّر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فكان ذلك أوّل اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام. وغزا حُذَيفة ثلاث غزوات، فقُتل عثمان في الثالثة، ولقيهم[3] مقتل عثمان، فقال حُذيفة بن اليمان: اللهمّ العن قَتَلَته وشُتّامه! اللهمّ إنّا كنّا نعاتبه ويعاتبنا، فاتّخذوا ذلك سُلَّماً إلى الفتنة! اللهمّ لا تُمِتهم إلاّ بالسيوف![4].

ذكر وفاة أبي ذَرّ

وفيها مات أبو ذرّ[5]، وكان قد قال لابنته: استشرفي يا بنيّة هل ترين أحداً؟ قالت:

---

(١) في تاريخ الطبري: «الثغر».

(٢) في تاريخ الطبري «نُنْكِل».

(٣) في النسخة (ب): «وأغمهم».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٠٧.

(٥) أنظر عن أبي ذر في: السير والمغازي لابن إسحاق ١٣٨ و ١٤١، والمغازي للواقدي ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٨ و ٥٧١ و ٦٣٧ و ٨١٩ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٩٦ و ١٠٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٢٧ و ١٨٤ و ٢٩١، والتاريخ لابن معين ٢/٧٠٤، وطبقات خليفة ٣١، وتاريخ خليفة ١٦٦، ومسند أحمد ٥/١٤٤، وطبقات ابن سعد ٤/٢١٩ ـ ٢٣٧، والتاريخ الكبير ٢/٢٢١ رقم ٢٢٦٥، والزهد لابن حنبل ١٨٢ ـ ١٨٥، والبرصان والعرجان للجاحظ ٦٥، والأخبار الموفّقيّات ٤١، والمحبّر لابن حبيب ١٣٩ و ٢٣٧، والمعارف ٢ و ٦٧ و ١٥٢ و ١٩٥ و ٢٥٢ و ٢٥٣، وعيون الأخبار ١/١٥٤ و ٢١١ و ٢/٣٥٦ و ٣/١٥٨ و ١٨٠، وأنساب الأشراف ١/٢٧٢ و ٣٥٣ و ٣٦٢ وق ٤ ج ١/٥١٢ و ٥١٣ و ٥٤١ ـ ٥٤٦ و ٥٥٧ و ٥/٢٦ و ٥٢ ـ ٥٦ و ٥٧ و ٦٨، وتاريخ الطبري ٤/٢٨٣، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٣٣، والجرح والتعديل ٢/٥١٠ رقم ٢١٠١، والزاهر للأنباري ١/٤٤٥، وثمار القلوب ٤ و ٨٥ و ٨٧ و ١٤٥، والخراج وصناعة الكتابة ٢٣٥، والمعرفة والتاريخ (أنظر فهرس الأعلام ٣/٥٢٤)، وحلية الأولياء ١/١٥٦ ـ ١٧٠ رقم ٢٦، وأمالي المرتضى ٢/٣٩٦، والكنى والأسماء للدولابي ١/٢٨، والعقد الفريد ١/٢٢٨ و ٢/٢٧٦ و ٤/١٥٧ و ٢٨٣ و ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٣٠٦، والمعجم الكبير للطبراني ٢/١٤٧ ـ ١٥٨ رقم ١٨٢، ربيع الأبرار للزمخشري ٧ و ١٢٤ و ١٣٥ و ١٧٩ و ٢٢٦ و ٣٧٠ و ٣٨١، ومشاهير علماء الأمصار ١١، ١٢ رقم ٢٨، الزهد لابن المبارك ١٥ و ٢١ و ٨٨ و ١٠٨ و ١٩٥ و ٢٠٨ و ٢٢٨ و ٤٢٦ و ٤٤٠، وجمهرة أنساب العرب ١٨٦، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨١ رقم ١٥، والمستدرك ٣/٣٣٧ ـ ٣٤٦، والاستبصار ١٢٥، والاستيعاب ١/٢١٣ ـ ٢١٧، وأسد الغابة ١/٣٠١ ـ ٣٠٣ و ٥/١٨٦ ـ ١٨٨، وجامع الأصول ٩/٥٠ ـ ٥٩، والبدء والتاريخ ٥/٩٣ ـ ٩٥، ولباب الآداب ٢٦٠ و ٢٧١ و ٣٠٥، والزيارات للهروي ٩ و ٨٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٢٩، ٢٣٠ رقم ٣٤١، وصفة الصفوة ١/٥٨٤ ـ ٦٠٠ رقم ٦٤، وتهذيب الكمال ٣/١٦٠٢، وتحفة الأشراف ٩/١٥٤ ـ ١٩٨ رقم ٦١٦، والكاشف ٣/٢٩٣ رقم ١٤٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠ رقم ٢٦، ودول الإسلام ١/٢٧، وتذكرة الحفّاظ ١/١٧ ـ ١٩ رقم ٧، وتاريخ الإسلام ٣/٤٠٥ ـ ٤١٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٦ ـ ٧٨ رقم ١٠، والعبر ١/٣٣، وتلخيص =

لا. قال: فما جاءت ساعتي بعدُ. ثمّ أمرَها فذبحت شاةً ثمّ طبختها ثمّ قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فإنّه سيشهدني قوم صالحون فقولي لهم: يقسم عليكم أبو ذرّ أن لا تركبوا حتى تأكلوا. فلمّا نضجت قدرها قال لها: انظري هل تَرَينَ أحداً؟ قالت: نعم هؤلاء ركْب. قال: استقبلي بي الكعبة، ففعلت. فقال: بسم الله وبالله وعلى مِلّة رسول الله ﷺ، ثمّ مات، فخرجت ابنتُه فتلقّتهم وقالت: رحِمكم الله، اشهدوا أبا ذرّ. قالوا: وأين هو؟ فأشارت إليه، قالوا: نعم ونعمة عين! لقد أكرمنا الله بذلك. وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال: صدق رسول الله ﷺ، يموت وحده ويُبعث وحده[1]. فغسّلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه. وقالت لهم ابنته: إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام، وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا؛ ففعلوا وحملوا أهله معهم حتى أقدموهم مكّة ونَعَوه إلى عثمان، فضمّ ابنتَه إلى عياله وقال: يرحم الله أبا ذرّ ويغفر له نزوله الرَّبَذة[2].

ولما حضروا شمُّوا من الخباء ريح مسْك، فسألوها عنه فقالت: إنّه لما حُضر قال: إنّ الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون، فدوفي لهم مسْكاً بماء ورُشّي به الخباء.

وكان النفر الذين شهدوه: ابن مسعود، وأبا مفرز[3] وبكر بن عبد الله التميميّين، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، (ومالك الأشتر)[4] النَّخعيين، والحلحال[5] الضبّي، والحارث بن سُوَيد التميميّ، وعمرو بن عُتبة السُّلَميّ، وابن ربيعة السُّلَميّ، وأبا رافع المُزَني، وسُوَيد بن شُعبة التميميّ، وزياد بن معاوية النَّخعيّ، وأخا القَرثع الضبّيّ، وأخا مِعْضَد الشيبانيّ[6]. وقيل: كان موته سنة إحدى وثلاثين.

= المستدرك ٣/٣٣٧ ـ ٣٤٦، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٧، والوفيات لابن قنفذ ٥١ رقم ٣١، والوافي بالوفيات ١١/١٩٣ رقم ٢٨٥، والإكمال ٣/٣٣٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٧٥، وطبقات المعتزلة ٩، ومرآة الجنان ١/٨٨، والأسامي والكنى للحاكم ١ (ورقة ١٨٨)، وتهذيب التهذيب ١٢/٩٠، ٩١ رقم ٤٠١، وتقريب التهذيب ٢/٤٢٠ رقم ٢، والإصابة ٤/٦٢ ـ ٦٤ رقم ٣٨٤، والنكت الظراف ٩/١٥٥ ـ ١٩٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩، وكنز العمال ١٣/٣١١، والنجوم الزاهرة ١/٨٩، وحسن المحاضرة ١/٢٤٥ و ٣٤٥، وشذرات الذهب ١/٢٤ و ٥٦ و ٦٣، والبداية والنهاية ٧/١٦٤، ١٦٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٧١ ـ ١٧٣.

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٥٧، الإصابة ٤/٦٣، أسد الغابة ٥/١٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٣٠٨، ٣٠٩، تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٣٠٩ «أبو مفزر». وهو تحريف، وما أثبتناه يتفق مع الإصابة ٤/١٩١ رقم ١١٢١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (ب).

(٥) في نسختي (ب) وباريس «الخلخال».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٠٩.

وقيل: إنّ ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذرّ معه إنّما تـركهم حتى قدِم على عثمـان بمكّة فأعلمه بموته، فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه.

ذكر خروج قارِن

ثمّ جمع قارِن جمعـاً كثيراً من نـاحية الـطَّبَسَين[1] وأهل بـاذَغِيس وهَراة وقـوهستان، وأقبـل في أربعين ألفاً[2]، فقـال قيس لابن خازم: مـا ترى؟ قـال: أرى أن تُخْلي البـلاد، فإنّي أميرُها ومعي عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخُراسان فأنا أميـرها؛ وأخـرج كتابـاً كان قد افتعله عمْداً، فكره قيس منازعته وخلاّه والبلاد، وأقبـل إلى ابن عامـر، فلامـه ابنُ عامر وقال: قد تركتَ البلادَ خراباً وأقبَلتَ! قال: جاءني بعهد منك. قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف، وأمر الناس فحملوا الوَدَك، فلمّا قـرب من قارن أمـر الناس أن يُدرج كلّ رجل منهم على زُجّ رمحه خِرقةً أو قطناً، ثمّ يكثروا دهنه، ثمّ سار حتى أمسى، فقدّم مقدّمته ستمائة، ثمّ اتّبعهم وأمر الناس، فأشعلوا النيران في أطراف الرماح، فـانتهت مقدّمته إلى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم، وهاج الناس على دَهَش وكانوا آمنين من البَيـات، ودنا ابن خـازم منهم فرأوا النيـران يمنةً ويسـرةً تتقدّم وتتـأخّر وتنخفض وتـرتفع، فهالهم ذلك، ومقدّمة ابن خازم يقاتلونهم، ثمّ غشِيهم ابن خـازم بالمسلمين فقُتـل قارِن، فانهزم المشـركون واتّبعـوهم يقتلوهم كيف شاؤوا، وأصـابو سبْيـاً كثيراً. وكتب ابن خـازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي وأقرّه على خُراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمرُ الجمـل، وأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضْرميّ، وكان معه في دار سنبيل.

وقيل: لما جمع قارن استشار قيسُ بن الهيثم عبدَ الله بن خازم فيما يصنـع، فقال: أرى أنّك لا تطيق كثرة من قد أتانا، فـاخرج بنفسـك إلى ابن عامـر فتخبره بكثـرة العدوّ، ونقيم نحن في الحصـون ونطاولهم ويـأتينا مـددكم. فخـرج قيس، فلمّـا أمعن أظهـر ابن خازم عهداً وقال: قد ولاّني ابن عامر خُراسان، وسـار إلى قارن فـظفر بـه، وكتب بالفتـح إلى ابن عامر فـأقّره على خُـراسان؛ ولم يـزل أهل البصـرة يغزون من لم يكن صـالَحَ من أهل خُراسان، فإذا عادوا تركوا أربعة آلاف نجدة[3].

---

(١) الـطَّبَسَان: بفتـح أوله وثـانيه. قصبـة ناحيـة بين نيسابـور وأصبهـان تسمّى قُهستـان قـاين. (معجم البلدان ٤/٢٠).

(٢) تاريخ خليفة ١٦٧.

(٣) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري، ولا في المصادر المتداولة، وقد ورد أوله فقط في تاريخ خليفة.

ذكر عدّة حوادث

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات العباس[1] عمّ النبيّ ﷺ، وكان عمره يوم مات ثمانياً وثمانين

---

(1) أنظر عن العباس في: السير والمغازي لابن إسحاق ٣٢ و٣٤ و٦٨ و٧٩ و١٣٨ و١٤٦، والمغازي للواقدي (أنظر فهرس الأعلام ٣/١١٩٣)، ونسب قريش ١٨ و٢٢٠ و٢٤٠ و٢٦٦، ومسند أحمد ١/٢٠٦ - ٢١٠، والتاريخ لابن معين ٢/٢٩٤، والمحبّر لابن حبيب ١٦ و٤٦ و٦٣ و٦٤ و٩١ و١٠٦ و١٠٨ و١٦٢، وطبقات ابن سعد ٤/٥ - ٣٣، والبرصان والعرجان ٢٠٣ و٢١٩ و٣٠٩ و٣٦٢، وفتوح الشام للأزدي ٢٥٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٠ و٥٥ و٩٥ و١٠٤ و١٠٥ و٣٦ و١٣٧ و١٤٧ و٢٣٧ و٢٤٣ و٢٥٠ و٢٥٣ و٢٦٦ و٣١٦ و٣٢٦ و٣٣٤ و٣٣٨ و٣٤٩ و٣٥٠، وتاريخ خليفة ٨٦ و١٣٨ و١٦٨، وطبقات خليفة ٣، والأخبار الموفّقيّات للزبير ٢٨٥ و٥٦٧ و٥٧٨، وأخبار مكة للأزرقي ١/١١١ و١١٤ و١٢٢ و٢/٤٧ و٥٨ و١٠٦ و٢٣٣، والتاريخ الكبير ٧/٢ رقم ١، والمعارف ١١٨ و١١٩ و١٢١ و١٢٧ و١٣٧ و١٤٥ و١٥٤ - ١٥٦، و١٦٤ و١٦٦ و٢٠٣ و٢١١ و٢٦٧ و٣٢٧ و٤٦٧ و٥٦٣ و٥٨٩ و٥٩٠ و٥٩٢، وعيون الأخبار ١/٥ و٦ و١٨٦ و٢١٥ و٢٦٩ و٣٤٢ و٢/١٥٠ و١٦٨ و٢٧٩ و٣/٩٢، والمعرفة والتاريخ ١/٤٩٩ - ٥٠٣ و٥٠٧ - ٥١١، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٧ رقم ٨٧، وتاريخ أبي زرعة ١/١٥٧ و٥٨٦ و٥٩٣، وأنساب الأشراف ١/٥٣ و٥٧ و٦٦ و٧٢ و٨٨ و٨٩ و٩١ و١٠٠ و١٢٦ و٢٣٥ و٢٤٠ و٢٥٣ و٢٥٤ و٣٠١ و٣١٢ و٣١٤ و٣٥٥ و٣٦١ و٣٦٥ و٤٠٢ و٤٠٣ و٤١٤ و٤٢٩ و٤٤٥ - ٤٤٧ و٤٥١ و٤٦٢ و٤٦٣ و٤٧٧ و٥١٩ و٥٢٠ و٥٢٥ و٥٤٥ و٥٤٦ و٥٦٩ و٥٧٠ و٥٧٣ و٥٨١ - ٥٨٣ و٥٨٦، ق ٣/١ - ٢٢ و٢٤ و٢٥ و٥١ و٥٦ و٦٥ و٦٧ و٦٨ و١٤٥ و١٦٠ و١٨٥ و٢٠٢ و٢٨٢ و٢٨٤ و٢٩٤ - ٢٩٦ و٣٠١ و٣١٢ ق ٤ ج ١/٣٣٠ و٤٩٨ و٤٩٩ و٥٠٥ و٥٠٨، وفتوح البلدان ٣١ و٤٣ و٤٨ و٦٦ و٩٨ و٣١٣، وتاريخ الطبري (أنظر فهرس الأعلام ١٠/٣٠٢)، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٤٨، والخراج وصناعة الكتابة ٢٦٤ و٢٦٧، والزاهر للأنباري ١/١٥٦، وثمار القلوب ٨٩ و٦٧٧، والجرح والتعديل ٦/٢١٠ رقم ١٦٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٩ رقم ٦٦، وجمهرة أنساب العرب ١٧ - ٣٧، وأنساب الأشراف ٥/١٣ و١٤ و١٩ و٢٣ و١٩٩، والعقد الفريد ١/٨٢ و٢/٢٨٩ و٤١٢ و٤٢٤ و٣/١٦٢ و١٨٢ و٤/٧ و٥٧ و٦٤ و٢٥٧ - ٢٥٩، و٢٧٥ و٢٧٦ و٤٨٥ و٥/١١ و٨٤ و٨٥ و٩٨ و٢٨٢ و٦/٢٦٧ و٣٦٧، والكنى والأسماء للدولابي ١/٤٨، وأمالي المرتضى ١/٢٩٣، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٠٤، ١٠٥، وربيع الأبرار ٤/١٩٥ و٣٣٣، والاستيعاب ٢/٨١٠، والمستدرك ٣/٣٢٠ - ٣٣٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/٢٢٩ - ٢٥٣، ولباب الآداب ١٥ و٢٧٠، والزيارات ٨٧ و٩٢، ٩٣، ومعجم الشعراء للمرزباني ١٠١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٣٦٠، وصفة الصفوة ١/٢٠٣، وأسد الغابة ٣/١٠٩، والاستبصار ١٦٤، والتذكرة الحمدونية ١/١٠٣ و٢/١٠٧ و٢٤١ و٤١١، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٢٥٧ - ٢٥٩ رقم ٢٨١، وتحفة الأشراف ٤/٢٦٤ - ٢٧١ رقم ٢٦٧، وتهذيب الكمال ٢/٦٥٨، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٣ رقم ٦٨، والكاشف ٢/٥٩، ٦٠ رقم ٢٦٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٧٨ - ١٠٣ رقم ١١، وتاريخ الإسلام ٣/٣٧٣ - ٣٧٨، والعبر ١/٣٣، وتلخيص المستدرك ٣/٣٢٠ - ٣٣٤، ووفيات الأعيان ١/٢٢٥ و٣٥٣ و٢/٤٦٧ و٣/٦٤ و٢٦٩ - ٢٧١ و٢٧٧ و٤/١٧٤ و١٨٧ و٥/١٥١ و١٥٢ و٣٤٠ و٣٦٩ و٣٩٤ و٦/٣٠ و٦٠ و١٠٦ و١٢٦ و٣٦٧، ودول الإسلام ١/٢٦، ونهاية الأرب ١٩/٤٤٩، ومرآة الجنان ١/٨٥، ٨٦، والوافي بالوفيات ١٦/٦٢٩ - ٦٣٣ رقم ٦٧٩، والوفيات لابن قنفذ ٥٢ رقم ٣٢، ونكت الهميان ١٧٥، والبداية والنهاية ٧/١٦١ - ١٦٢، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) (أنظر فهرس =

سنة، كان أسنّ من رسول الله ﷺ، بثلاث سنين. وفيها مات عبد الرحمن بن عوف[1] وعمره خمس وسبعون سنة. وعبد الله بن مسعود[2] وصلّى عليه عمّار بن ياسر، وقيل

= الأعلام ٢/ ٥٣٥)، والعقد الثمين ٥/ ٩٣، ومجمع الرجال ٣/ ٢٤٧، ومجمع الزوائد ٩/ ٢٦٨ ـ ٢٧١، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٢٢، ١٢٣ رقم ٢١٤، وتقريب التهذيب ١/ ٣٩٧، ٣٩٨ رقم ١٤٩، والنكت الظراف ٤/ ٢٦٥ ـ ٢٧٠، والأمالي للقالي ٢/ ١١٥، والإصابة ٢/ ٢٧١ رقم ٤٥٠٧، وأخبار العباس وولده (في مواضع كثيرة)، وشذرات الذهب ١/ ٣٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٨٩، وتاريخ الخميس للديار بكري ١/ ١٦٥، وكنز العمال ١٣/ ٥٠٢.

(١) انظر عن عبد الرحمن بن عوف في: السير والمغازي ١٤٠ و ١٧٦ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٧٠، والمغازي للواقدي (انظر فهرس الأعلام ٣/ ١٢٠٢)، ونسب قريش ٢٦٥ و ٤٤٨، والأخبار الموفّقيّات ٥٧٨، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و ١٢٧ و ١٣٨ و ٢١٣ و ٢٢٨ و ٣٤٤، والمحبّر لابن حبيب ١٣ و ١٥ و ٦٥ و ٦٧ و ٧١ و ٧٢ و ١٠١ و ١٠٣ و ١١٠ و ١٢٠ و ١٥٠ و ١٧٥ و ٣٥٦ و ٤٠٨ و ٤٤٦ و ٤٥٣ و ٤٧٤، والمعرفة والتاريخ (انظر فهرس الأعلام ٣/ ٦١٩)، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٤ رقم ٥٣، وعيون الأخبار ١/ ١٢ و ٢٥٧، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٢٤ ـ ١٣٧، ومسند أحمد ١/ ١٩٠ ـ ١٩٥، وطبقات خليفة ٦٥، وتاريخ خليفة ١٦٦، والتاريخ الكبير ٥/ ٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٧٩٠، والتاريخ الصغير ١/ ٥٠، ٥١ و ٦٠ و ٦١، والمعارف ٢٣٥ ـ ٢٤٠، والجرح والتعديل ٢٤٧٧٥ رقم ١١٧٩، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥٦، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام ١٠/ ٣٢١)، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٤٧ و ١٦٥، وأنساب الأشراف (انظر فهرس الأعلام ١/ ٦٦٢) وق ٣/ ٢٨٦ و ٣١٠ وق ٤ ج ١/ ٤٨٣ و ٥٠٠ ـ ٥١٠ و ٥١٥ و ٥٢١ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥/ ٢ و ١٥ ـ ١٩ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٤ و ٣٩، وفتوح البلدان ٨ و ١٨ و ٣٢٧، والزهد لابن المبارك ١/ ١٨٢ و ٢/ ١٨٣ و ٤٤٣، وحلية الأولياء ١/ ٩٨ ـ ١٠٠ رقم ٩، ومشاهير علماء الأمصار ٨ رقم ١٢، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٠ و ٥٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٩، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام ٧/ ١٢٤)، وترتيب الثقات للعجلي ٢٩٧ رقم ٩٧٢، وجمهرة أنساب العرب ١٣١، ١٣٢، والبدء والتاريخ ٥/ ٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ١/ ٨٨ ـ ٩٩، والمستدرك ٣/ ٣٠٦ ـ ٣١٢، والاستيعاب ٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٨، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٨١، وصفة الصفوة ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٥ رقم ٨، وجامع الأصول ٩/ ١٩، وأسد الغابة ٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢ رقم ٣٥٧، ولباب الآداب ٩٥ و ٣٠٥، والزيارات للهروي ٣٧ و ٩٣، ٩٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ١١٨ و ١٢٤ و ١٣٧ و ٤٠١، ونهاية الأرب ١٩/ ٤٤٩، والرياض النضرة ٢/ ٢٨١، وتحفة الأشراف ٧/ ٢٠٥ ـ ٢١٦ رقم ٣٣٩، وتهذيب الكمال ٢/ ٨١٠، ودول الإسلام ١/ ١٦، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/ ٣٩٠ ـ ٣٩٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٨ ـ ٩٢ رقم ٤، وتلخيص المستدرك ٣/ ٣٠٦ ـ ٣١٢، والعبر ١/ ٣٣، والكاشف ٢/ ١٥٩ رقم ٣٣٢٦، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٥، ومرآة الجنان ١/ ٨٦، والبداية والنهاية ٧/ ١٦٣، ١٦٤، والوفيات لابن قنفذ ٣٠ رقم ٣٢، وربيع الأبرار ٤/ ٣٩ و ٥١ و ٢٩٧ و ٣٨١، والعقد الثمين ٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/ ٢٤١ و ٢/ ١٠٤ و ٢١٧ و ٣٣٨، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ رقم ٤٩٠، وتقريب التهذيب ١/ ٤٩٤ رقم ١٠٧٠، والنكت الظراف ٧/ ٢٠٦ ـ ٢١٦، والإصابة ٢/ ٤١٦، ٤١٧ رقم ٥١٧٩، وخلاصة التذهيب ٢٣٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٢٥٧، وكنز العمال ١٣/ ٢٢٠ ـ ٢٣٠، وشذرات الذهب ١٥/ ٣٨.

(٢) انظر عن ابن مسعود في: السير والمغازي ١٤٣ و ١٧٦ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢١١ و ٢٢٥ و ٢٩٩، والمغازي للواقدي ٢٤ و ٥٤ و ٥٥ و ٨٠ و ٩٠ و ٩١ و ١٠٠ و ١١٠ و ١٥٠ و ١٥٥ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٤٧٣ و ٩٤٩ و ١٠٠١ و ١٠١٤ و ١١٠٧، ومسند أحمد ١/ ٣٧٤ ـ ٤٦٦، والتاريخ لابن معين ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢، والزهد=

عثمان. وتُوُفّي عبد الله بن زيد بن عبد ربّه الذي أُرِيَ الأذان.

= لابن المبارك ٣٦ و ١٨٥ و٣٥٣ و ٣٦٤ و٣٦٨ و ٤٢٤ و٤٧٨ و ٥١٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٥٠ ـ ١٦١، وطبقات خليفة ١٦ و١٢٦ و١٢٨، وتاريخ خليفة ١٠١ و١٢٢ و ١٤٩ و١٦٦ و ٢٦٤، وتهذيب سيرة ابن هشام ٥٦ و٧٧ و٩٠ و١٤٨ و ٢٩١ و٢٩٢، والمحبّر ٧١ و٧٢ و ١٦١ و٢٧٨، والأخبار الموفّقيّات ١١٤، وأخبار مكة للأزرقي ١١٧ و١٣٦، وترتيب الثقات للعجلي ٢٧٨ و ٢٧٩ رقم ٨٨٦، وعيون الأخبار ١/٣ و ١٤١ و ١٥٩ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و٣٠٣ و٣٠٧ و٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و٢/٣٠ و١٢٥ و١٣٢ و١٣٣ و ١٤٠ و ١٧٩ و ٣٣٠ و٣/٢١، والمعارف ٦٥ و١٥٧ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و٤٢٧ و٤٣١ و ٤٩٤ و ٥٢٩ و٥٨٣ و٥٩٣، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٠ رقم ٨، والمعرفة والتاريخ ١/٤٣٩ ـ ٤٤١ و٢/٥٤٠ ـ ٥٥٩، وفتوح البلدان ١٠٥ و١١٣ و ٣٣٥ و ٣٧٥ و٥٥٢ و٥٦٥ و٥٧٦، وأنساب الأشراف ١/١١٦ و١٣٨ و١٦٢ و ١٦٤ و ١٦٥ و١٦٨ و ٢٠٤ و ٢٢٥ و٢٣٨ و ٢٧٠ و ٢٧١ و٢٩٩، ق ٣/٣٠، ق ٤ ج ١/١٣٠ و ٢٣٥ و ٣٨٠ و٥٠٩ و ٥١٠ و٥١٢ و٥١٨ و٥٢٤ ـ ٥٢٦ و٥٣٩ و٥٤٥ و٥٥٧، ق ٥/٢٣ و ٢٦ و ٣٠ و٣١ و٣٦ ـ ٣٨ و ٤٩ و ٥٦ و٦٨ و٢٦٦، وتاريخ أبي زرعة ٢/ ٦٤٧ ـ ٦٥٢، وأخبار القضاة لوكيع ١/٥ و ١٩ و ٣٥ و ٤٠ و ٥٠ ـ ٥٣ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٥ و٢/١٨٤ ـ ١٨٦ و١٨٨ و١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٤ و٢٧٥ و٣٠٦ و٤٠٢ و٣/٤٢ و٤٣ و ٥٥ و٧١ و١٤٤ و١٨٣، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ١٠/٣١٤، ٣١٥)، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٥٨، والخراج وصناعة الكتابة ٢٨٢ و٣٦٧، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام ٧/١٢٧، ١٢٨)، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٧٠، ١٧١، والكنى والأسماء للدولابي ١/٧٩، والاستيعاب ٢/٣١٦ ـ ٣٢٤، والمعجم الكبير للطبراني ٩/٥٦ ـ ٤٢١ و١٠/٥ ـ ٢٨٦ رقم ٧٧٢، ومشاهير علماء الأمصار ١٠ رقم ٢١، والثقات لابن حبّان ٣/٢٠٨، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/٩٧، ٩٨، وجمهرة أنساب العرب ١٩٧، وأمالي المرتضى ١/٣٤٢ و ٣٥٤ و٢/٧٥ و١٨٢، وتاريخ بغداد ١/١٤٧ ـ ١٥٠ رقم ٥، وحلية الأولياء ١/١٢٤ ـ ١٣٩ رقم ٢١ وصفحة ٣٧٥، وصفة الصفوة ١/٣٩٥ ـ ٤٢٢ رقم ١٩، والمستدرك ٣/٣١٢ ـ ٣٢١، ولباب الآداب ١٦٤ و ٢٥٤ و ٢٦١ و٢٧٣ و٢٨٢ و٢٩٢ و٣٣٢ و٣٣٣، والزيارات للهروي ١٤ و ٩٤، وأسد الغابة ٣/٣٨٤، والتاريخ الكبير ٥/٢ رقم ٣، والتاريخ الصغير ٦٠، والجرح والتعديل ٥/١٤٩ رقم ٦٨٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٤٣، ٤٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٨٨ ـ ٢٩٠ رقم ٣٣٣، وتحفة الأشراف ٧/٣ ـ ١٧٠ رقم ٣١٨، وتهذيب الكمال ٢/٧٤٠، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٣٧٩ ـ ٣٨٩، وتذكرة الحفّاظ ١/١٣ ـ ١٦ رقم ٥، وسير أعلام النبلاء ١/٤٦١ ـ ٥٠٠ رقم ٨٧، والعبر ١/٣٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٤ رقم ٨٢، والكاشف ٢/١١٦ رقم ٣٠١٧، ودول الإسلام ١/٢٦، ٢٧، وتلخيص المستدرك ٣/٣١٢ ـ ٣٢٠، ووفيات الأعيان ٢/٣٧١ و٤٧٦ و٣/١١٥ و٤/٣١٧، والتذكرة الحمدونية ١/١٣١ و ١٣٥ و١٣٧ و ٢٣٦ و ٢٥١ و٢/١٧٥ و ١٨٥ و ٢٢٦، ونهاية الأرب ١٩/٤٤٩، ومرآة الجنان ١/٨٧، ٨٨، والبداية والنهاية ٧/١٦٢، ١٦٣، والوافي بالوفيات ١٧/٦٠٤ ـ ٦٠٦ رقم ٥١٥، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٢ ـ ٣٦ رقم ٤، ومجمع الزوائد ٩/٢٨٦ ـ ٢٩١، وحياة الحيوان للدميري ١/١٦٢، والوفيات لابن قنفذ ٥٢، والعقد الثمين ٥/٢٨٣، ٢٨٤، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/١٠٩ و ١١٠ و ١٢٦ و٢٩٧ و٤٤٢ و٤٤٥ و٤٥٢ ـ ٤٥٤ و٢/١٧ و ١٩، وتهذيب التهذيب ٦/٢٧، ٢٨ رقم ٤٢، وتقريب التهذيب ١/٤٥٠ رقم ٦٣٠، والنكت الظراف ٧/٤ ـ ١٦٧، والإصابة ٢/٣٦٨ ـ ٣٧٠ رقم ٤٩٥٤، والنجوم الزاهرة ١/٨٩، والتحفة اللطيفة ٣/٤٨، ٤٩، وطبقات الحفّاظ ٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢١٤، وغاية النهاية ١/٤٥٨، ٤٥٩ رقم ١٩١٤، وطبقات الشعراني ١/٢٢، وكنز العمال ١٣/٤٦٠ ـ ٤٦٩، وشذرات الذهب ١/٣٨.

٣٣
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية مَلَطْية[١]. وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد إفريقية الثانية حتى نقض أهلها العهد[٢]. وفيها كان مسير الأحنف إلى خُراسان وفتح المَرْوَين، ومسير ابن عامر إلى[٣] نيسابور وفتحها[٤]، في قول بعضهم، وقد تقدّم ذكر ذلك. وفيها كانت غزوة قبرس، في قول بعضهم[٥]، وقد تقدّم ذكرها مُستوفًى، وقيل إن فتحها كان سنة ثمانٍ وعشرين، فلمّا كان سنة اثنتين وثلاثين أعان أهلها الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إيّاها، فغزاهم معاوية سنة ثلاثٍ وثلاثين ففتحها عَنوة فقتل وسبَى، ثمّ أقرّهم على صلحهم وبعث إليهم اثني عشر ألفاً، فبنوا المساجد وبنى مدينة. وقيل: كانت غزوته الثانية سنة خمسٍ وثلاثين.

ذكر تسيير مَن سُيّر من أهل الكوفة إلى الشام

وفي هذه السنة سيّر عثمان نفراً من أهل الكوفة إلى الشام. وكان السبب في ذلك أنّ سعيد بن العاص لما ولّاه عثمان الكوفة حين شُهد على الوليد بشرب الخمر، أمره أن يسيّر الوليد إليه، فقدِم سعيد الكوفةَ وسيّر الوليد وغسل المنبر، فنهاه رجالٌ من بني أميّة كانوا قد خرجوا معه عن ذلك، فلم يُجبهم، واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسيّة وقرّاء أهل الكوفة، فكان هؤلاء دَخْلته إذا خلا[٦]، وأمّا إذا خرج فكلّ الناس يدخل عليه،

---

(١) تاريخ خليفة ١٦٧، تاريخ الطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.
(٢) تاريخ خليفة ١٦٨، تاريخ الطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.
(٣) في نسختي باريس و(ب) زيادة «أطراف».
(٤) تاريخ الطبري ٣١٧/٤.
(٥) تاريخ الطبري ٣١٧/٤، تاريخ الإسلام ٤١٥/٣.
(٦) في الطبعة الأوربية «داخلاً».

فدخلوا عليه يوماً، فبينا هم[1] يتحدّثون قال حُبيش[2] بن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عُبيد الله! فقال سعيد: إنّ من له مثل النشاسْتَج[3] لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أنّ لي مثله لأعاشكم[4] الله به عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن حُبيش، وهو حدَث: والله لوددتُ أن هذا المِلْطاط لك، يعني لسعيد، وهو ما كان للأكاسرة على جانب الفرات[5] الذي يلي الكوفة. قالوا: فضّ الله فاك! والله لقد هممنا بك! فقال أبوه: غلام فلا تجازوه. فقالوا: يتمنّى له سوادَنا. قال: ويتمنّى لكم أضعافه. فثار به الأشتر، وجُندَب، وابن ذي الحنكة[6]، وصعصعة، وابن الكوّاء، وكُمَيْل، وعُمير بن ضابىء فأخذوه، فثار أبوه ليمنع عنه، فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً. فسمعتْ بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم طليحة، فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل فعاذوا بسعيد، فخرج سعيد إلى الناس فقال: أيّها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية، فردّهم فتراجعوا. وأفاق الرجلان فقالا: قاتلَنا غاشيتك[7]. فقال: لا يغشوني أبداً، فكُفّا ألسنتكما ولا تحزّبا[8] الناس. ففعلا[9]، وقعد أولئك النفر في بيوتهم وأقبلوا يقعون في عثمان.

وقيل: بل كان السبب في ذلك أنّه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة، منهم: مالك بن كعب الأرحبيّ، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس النَّخَعيّان، ومالك الأشتر، وغيرهم، فقال سعيد: إنّما هذا السواد بستان قريش. فقال الأشتر: أتزعم أنّ السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ وتكلّم القوم معه، فقال عبد الرحمن الأسديّ، وكان على شرطة سعيد: أتردُّون على الأمير مقالته؟ وأغلظ لهم. فقال الأشتر: مَن ههنا؟ لا يفوتنّكم الرجل! فوثبوا عليه فوطئوه وطأً شديداً حتى غُشي عليه، ثمّ جُرَّ[10] برجله، فنُضح بماء فأفاق فقال: قتلني من انتخبت[11]. فقال: والله لا يسمر عندي

---

(١) في الطبعة الأوربية «فبينهم».
(٢) في تاريخ الطبري ٣١٨/٤ «خُنَيس» وقال المحقق في الحاشية: هو: خنيس بن حبيش.
(٣) ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي وكانت عظيمة الدخل.
(٤) في الطبعة الأوربية «لأعشاكم».
(٥) في النسخة (س): «الفراة».
(٦) في تاريخ الطبري ٣١٨/٤ «الحبكة».
(٧) في النسخة (ب) «حاشيتك». وفي تاريخ الطبري «قتلتنا غاشيتك».
(٨) في نسختي باريس و (ب): «تخزيا». وفي تاريخ الطبري «تجرّئا عليّ الناس»
(٩) الخبر في تاريخ الطبري ٣١٧/٤، ٣١٨.
(١٠) في الطبعة الأوربية «جرّوا».
(١١) في الطبعة الأوربية «انتجيت».

أحد أبداً. فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيداً، واجتمع إليهم الناس حتى كثروا، فكتب سعيد وأشراف أهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم، فكتب إليهم أن يُلحقوهم بمعاوية، وكتب إلى معاوية: إنّ نفراً قد خُلقوا للفتنة فأقِمْ عليهم وانْههم، فإن آنستَ منهم رَشَداً فاقبل، وإن أعيوك فارْدُدهم عليّ.

فلمّا قدِموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم، وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان، وكان يتغدّى ويتعشّى معهم، فقال لهم يوماً:

إنّكم قوم من العرب لكم أسنان وألسِنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً، وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنّكم نقمتم قريشاً، ولو لم تكن قريش كنتم أذلّة، إنّ أئمّتكم لكم جُنّة فلا تفترقوا عن جُنّتكم، وإنّ أئمّتكم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهُنّ أو ليبتلينّكم اللّهُ بمن[1] يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر، ثمّ تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعيّة[2] في حياتكم وبعد وفاتكم.

فقال رجل منهم، وهو صعصعة: أمّا ما ذكرتَ من قريش فإنّها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهليّة فتخوّفنا، وأمّا ما ذكرتَ من الجُنّة، فإنّ الجُنّة إذا اخترقت[3] خُلص إلينا.

فقال معاوية: عرفتكم الآن وعلمتُ أنّ الذي أغراكم على هذا قلّة العقول، وأنتَ خطيبهم ولا أرى لك عقلاً، أُعظِّم عليك أمر الإسلام وتذكِّرني بالجاهليّة! أخزى الله قوماً عظَّموا أمركم! افقهوا عنّي، ولا أظنّكم[4] تفقهون، أنّ قريشاً لم تعزّ في جاهليّة ولا إسلام إلّا بالله تعالى، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّهم، ولكنّهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمحضهم أنساباً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهليّة، والناس يأكل بعضهم بعضاً، إلّا بالله، فبوّأهم حَرَماً آمناً يُتخطّف الناسُ من حولهم! هل تعرفون عربيّاً أو عجميّاً أو أسود أو أحمر إلّا وقد أصابه الدهرُ في بلده وحُرمته إلّا ما كان من قريش، فإنّهم لم يُردهم أحدٌ من الناس بكيد إلّا جعل الله خدّه الأسفل، حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم واتّبع دِينه من هوان الدنيا وسوء مردّ الآخرة، فارتضى لذلك خيرَ خلقه، ثمّ ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً، ثمّ بنى هذا الملك عليهم، ونجعل هذه الخلافة فيهم، فلا

---

(١) في النسخة (س) «من».

(٢) في نسخة (ب) زيادة «أسار».

(٣) في الطبعة الأوربية «احترقت».

(٤) في نسخة باريس «أراكم».

يصلح ذلك إلاّ عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهليّة وهم على كفرهم، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه؟ أفّ لك ولأصحابك!

أمّا أنت يا صعصعة فإنّ قريتك شرّ القرى! أنتنها بيتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشرّ، وألأمها جيراناً! لم يسكنها شريف قطّ ولا وضيع إلاّ سُبّ بها، ثم كانوا ألأم العرب ألقاباً وأصهاراً، نُزّاع[1] الأمم، وأنتم جيران الخط، وفَعَلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبيّ ﷺ، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبيّ ﷺ، فأنت شرّ قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلتَ تبغي دين الله عِوَجاً، وتنزع إلى الذلّة، ولا يضرّ ذلك قريشاً ولا يضعهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنّ الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشرّ فأغرى بكم الناس، وهو صارعُكم، ولا تدركون بالشرّ أمراً أبداً إلاّ فتح الله عليكم شرّاً منه وأخزى.

ثمّ قام وتركهم فتقاصرت إليهم أنفسهم، فلمّا كان بعد ذلك أتاهم فقال: إنّي قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفعُ اللَّهُ بكم أحداً أبداً ولا يضرّه، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرّة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطرنّكم الإنعام، فإنّ البطر لا يعتري الخيار، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلمّا خرجوا دعاهم وقال لهم: إنّي معيد عليكم أنّ رسول الله ﷺ، كان معصوماً فولاّني وأدخلني في أمره، ثمّ استُخلف أبو بكر فولاّني، ثمّ استُخلف عمر فولاّني، ثمّ استُخلف عثمان فولاّني، ولم يولّني أحدٌ إلاّ وهو عنّي راضٍ، وإنّما طلب رسول الله ﷺ، للأعمال أهل الجزاء عن[2] المسلمين والغَناء، وإنّ الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تُظهرون، فإنّ الله غير تارككم حتى يختبركم ويُبدي للناس سرائركم.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنّه قدِم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلّمون بحجّة، إنّما همُّهم الفتنة وأموال أهل الذّمة، والله مبتليهم ومختبرهم ثمّ فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين ينكون[3] أحداً إلاّ مع غيرهم، فانْهَ سعيداً ومن عنده عنهم، فإنّهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير.

فخرجوا من دمشق فقالوا: لا ترجعوا بنا إلى الكوفة فإنّهم يشمتون بنا، ولكن ميلوا

---

(١) نُزّاع: جمع نزيع، وهو الغريب.
(٢) في الطبعة الأوربية «من».
(٣) في النسخة (ب) «يبلون».

إلى الجزيرة، فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان على حمص، فدعاهم فقال: يا آلة الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نِشاط، خسَّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم، يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم، لا تقولوا لي ما بلغني أنّكم قلتم لمعاوية؛ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقىء[1] الردّة! والله لئن بلغني يا صعصعة أنّ أحداً ممّن معي دقّ أنفك ثمّ أَمصَّك[2] لأطيرنّ بك طَيرة بعيدة المهوى! فأقامهم شهراً كلّما ركب أمشاهم، فإذا مرّ به صعصعة قال: يا ابن الحطيئة، أعلمت أنّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشرّ؟ ما لك لا تقول كما بلغني أنك قلت لسعيد ومعاوية؟ فيقولون: نتوب إلى الله، أقِلنا أقالك الله. فما زالوا به حتى قال: تاب اللّهُ عليكم. وسرَّح الأشترَ إلى عثمان، فقدِم إليه ثانياً، فقال له عثمان: احلل حيث شئت. فقال: مع عبد الرحمن بن خالد. فقال: ذلك إليك، فرجع إليه[3].

قيل: وقد روي أيضاً نحو ما تقدّم، وزادوا فيه أنّ معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكّرهم كان ممّا قال لهم: وإنّي والله لا آمركم بشيء إلّا وقد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي، وقد عرفت قريش أنّ أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلّا ما جعل الله لنبيّه ﷺ، فإنّه انتخبه وأكرمه، وإنّي لأظنّ أنّ أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلّا حازماً. قال صعصعة: قد كذبتَ! قد ولدهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، وكان فيهم البرّ والفاجر، والأحمق والكيِّس. فخرج تلك الليلة من عندهم، ثمّ أتاهم القابلة فتحدّث عندهم طويلاً، ثمّ قال: أيّها القوم ردّوا خيراً أو اسكتو وتفكّروا، وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهاليكم والمسلمين فاطلبوه. فقال صعصعة: لستَ بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. فقال: أليس أوّل من ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيّه، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تَفرّقوا؟ قالوا: بل أمرتَ بالفُرقة وخلاف ما جاء به النبيّ ﷺ. فقال: إنّي آمركم الآن إن كنتُ فعلتُ[4] فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيّه ﷺ، ولزوم الجماعة وأن توقّروا أئمّتكم وتدلّوهم على أحسن ما قدرتم عليه. فقال صعصعة: فإنّا نأمرك أن تعتزل عملك، فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك، من كان أبوه أحسن قَدَماً في الاسلام من أبيك وهو أحسن في الاسلام قدماً منك. فقال: والله إن لي في الاسلام قدماً، ولَغيري كان أحسن قَدَماً

---

(١) في نسخة باريس «عافي».

(٢) في النسخة (ب) «مضك»، وفي الطبعة الأوربية «مصّك».

(٣) تاريخ الطبري ٣١٩/٤ ـ ٣٢٢.

(٤) في النسخة (ب) زيادة «فتوبوا».

منّي، ولكنه[1] ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه منّي، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطّاب، فلو كان غيري أقوى منّي لم تكن عند عمر هوادة لي ولا لغيري، ولم أُحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ فاعتزلتُ عمله، فمهلاً فإنّ في ذلك وأشباهه ما يتمنّى[2] الشيطان ويأمر، ولَعَمري لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم وأمانيّكم[3] ما استقامت لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، فعاودوا الخير وقولوه، وإنّ لله لَسَطوات، وإنّي لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن، فيُحِلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل. فوثبوا عليه وأخذوا رأسه ولحيته، فقال: مه إنّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلَعمري إنّ صنيعكم لَيُشبه بعضه بعضاً!

ثمّ قام من عندهم، وكتب إلى عثمان نحو الكتاب المتقدّم، فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم فأطلقوا ألسنتهم، فضجّ سعيد منهم إلى عثمان، فكتب إليه عثمان أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بحمص، فسيّرهم إليها، فأنزلهم عبد الرحمن وأجرى عليهم رزقاً، وكانوا: الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني، وكُمَيْل بن زياد، وزيد بن صُوحان، وأخاه صعصعة، وجُندَب بن زهير الغامديّ، وجُنـدَب بن كعب الأزديّ، وعُروة بن الجعد، وعمرو بن الحَمِق الخزاعيّ، وابن الكوّاء[4].

قيل: سأل معاويةُ ابنَ الكوَاء عن نفسه قال: أنت بعيد الثرى كثير المرعى طيّب البديهة بعيد الغور، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان الإسلام، سُدَّت بك فرجة مخوفة. قال: فأخبرني عن أهل الأحداث من الأمصار فإنّك أعقل أصحابك. قال: أمّا أهل المدينة فهم أحرص الأمّة على الشرّ وأعجزهم عنه، وأمّا أهل الكوفة فإنّهم يردون جميعاً ويصدرون شتّى، وأمّا أهل مصر فهم أوفى الناس بشرّ وأسرعهم ندامة، وأمّا أهل الشام فهم أطوع الناس لمرشدهم وأعصاهم لمغويهم.

ذكر تسيير مَن سُيّر من أهل البصرة إلى الشام

ولما مضت ثلاث سنين من إمارة عبد الله بن عامر بلغه أنّ [في عبد القيس] رجلاً

---

(١) في النسخة (ب) «ولكني».
(٢) في الطبعة الأوربية «ينهى».
(٣) في الطبعة الأوربية «وأمانتكم».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٢٦ وليس فيه «ابن الكواء».

نازلاً على حُكَيم بن جَبَلة العبدي، وكان عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء، هو الرجل النازل عليه، واجتمع إليه نفر فطرح إليهم ابن السوداء ولم يصرِّح[1]، فقبلوا منه. فأرسل إليه ابن عامر فسأله: من أنت؟ فقال: رجل من أهل الكتاب رغبتُ في الإسلام وفي جوارك. فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عنّي. فخرج حتى أتى الكوفة فأُخرج منها، فقصد مصر فاستقرّ بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم[2].

وكان حُمران بن أبان قد تزوّج امرأة في عدَّتها، ففرّق عثمان بينهما وضربه وسيَّره إلى البصرة، فلزم ابنَ عامر، فتذاكروا يوماً المرور بعامر بن عبد القيس، فقال حُمران: ألا أسبقكم فأخبِره؟ فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال: الأمير يريد المرور بك فأحببتُ أن أُعلمك؛ فلم يقطع قراءته، فقام من عنده، فلمّا انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر فقال: [جئتك من عند امرىءٍ] لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً؛ ودخل عليه ابن عامر فأطبق المصحف وحدّثه، فقال له ابن عامر: ألا تغشانا؟ فقال: سعد بن أبي القرحاء[3] يحبّ الشرف. فقال: ألا نستعملك؟ فقال: حُصين بن الحُرّ يحبّ العمل. فقال: ألا نزوّجك؟ فقال: ربيعة بن عِسْل يعجبه النساء. فقال: إنّ هذا يزعم أنّك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً! فتصفّح المصحف، فكان أوّل ما وقع عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4].

فسعى[5] به حُمران، وأقام حُمران بالبصرة ما شاء الله، وأذِن له عثمان فقدِم المدينة ومعه قوم، فسعوا بعامر بن عبد القيس أنّه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة، فألحقه بمعاوية، فلمّا قدِم عليه رأى عنده ثريداً، فأكل أكلاً عربيّاً، فعرف أنّ الرجل مكذوب عليه، فعرَّفه معاوية سبب إخراجه، فقال: أما الجمعة فإنّي أشهدها في مؤخّر[6] المجلس ثمّ أرجع في أوائل الناس، وأمّا التزويج فإنّي خرجتُ وأنا يُخطب عليّ، وأمّا اللحم فقد رأيتَ ولكنّي لا آكل ذبائح القصّابين منذ رأيت قصّاباً يجرّ شاة إلى مذبحها، ثمّ وضع السكّين على حلقها فما زال يقول: النَّفاق النَّفاق، حتى ذبحها. قال: فارجع. قال: لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله منّي ما استحلّوا؛ (فكان يكون)[7] في السواحل، فكان يلقى معاوية فيكثر معاوية أن يقول: ما حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي. فلمّا أكثر

---

(١) في النسخة (ب) «يسرح».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٣٢٦، ٣٢٧.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/٣٢٧ «العرجاء».
(٤) سورة آل عمران، الآية ٣٣.
(٥) في النسخة (س) «فشقي».
(٦) في نسخة باريس «أواخر».
(٧) العبارة في نسخة باريس «فأقام».

عليه قال: تردُّ عليّ من حرّ البصرة شيئاً لعلّ الصوم أن يشتدّ عليّ فإنّه يخفّ عليّ في بلادكم.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس عثمان[1].

[الوَفَيات]

وفيها مات المِقْداد[2] بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود صاحب رسول الله ﷺ، وأوصى أن يصلّي عليه الزبير. وفيها توفي الطُّفيل[3] والحُصَين[4] ابنا الحارث بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مَناف، وشهدا بدْراً وأُحُداً، (وقيل: ماتا سنة إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين)[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٢٩.

(٢) انظر عن المقداد في: السير والمغازي لابن إسحاق ١٧٦ و ٢٢٥، والمغازي للواقدي ٥٣٨ ـ ٥٤٩، وتاريخ خليفة ١٦٨، وأنساب الأشراف ١/١٤٣ و ٢٠٥ وق ٤ ج ١/٣٤٣، والمحبّر لابن حبيب ٦٤ و ٧٣، والأخبار الموفّقيّات ٣٢١، والمعارف ١٢٠ و ٢٦٢ و ٣٤١، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٠٦، ومسند أحمد ٤/٧٩ و ٦/٢ و ٨، والمعرفة والتاريخ ٢/١٦١ و ٤٠١ و ٣/١٦٧ و ٣٦٨، ومشاهير علماء الأمصار ٢٤ رقم ١٠٥، والعقد الفريد ٤/٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٤/٢٨٠ و ٥/٢٧٤ و ٦/١٣٠ و ١٣٦، والمستدرك ٣/٣٤٨ ـ ٣٥١، والاستيعاب ٣/٤٧٢ ـ ٤٧٦، وحلية الأولياء ١/١٧٢ ـ ١٧٦ رقم ٢٨، والتاريخ الكبير ٨/٥٤ رقم ٢١٢٦، وتاريخ الطبري (راجع فهرس الأعلام ١٠/٤٢٣، ٤٢٤)، وترتيب الثقات للعجلي ٤٣٨ رقم ١٦٢٦، والجرح والتعديل ٨/٤٢٦ رقم ١٩٤٢، وطبقات ابن سعد ٣/١٦١ ـ ١٦٣، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٦ رقم ٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٤١، والتاريخ الصغير ٦٠، ٦١، وأسد الغابة ٤/٤٠٩، ٤١٠، ولباب الآداب ٢٦٣ و ٢٨٤، والزيارات للهروي ٤٧ و ٦٣ و ٩٤، وصفة الصفوة ١/٤٢٣ ـ ٤٢٦ رقم ٢٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/١١١، ١١٢ رقم ١٦٣، وتحفة الأشراف ٨/٤٩٩ ـ ٥٠٥ رقم ٥٣٩، ونهاية الأرب ١٩/٤٦١، والكاشف ٣/١٥٢ رقم ٥٧١٤، وتاريخ الإسلام ٣/٤١٧ ـ ٤١٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٧ رقم ١٣٥، ودول الإسلام ١/٢٧، وسير أعلام النبلاء ١/٣٨٥ ـ ٣٨٩ رقم ٨١، وتلخيص المستدرك ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠، ومعالم الإيمان ١/٧١ ـ ٧٦، وتهذيب الكمال ٣/١٣٦٧، والعقد الثمين ٧/٢٦٨ ـ ٢٧٢، وشفاء الغرام ٢/٢٠٣، ٢٠٤، والنكت الظراف ٨/٥٠٠ ـ ٥٠٥، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٨٥، وتقريب التهذيب ٢/٢٨٢ رقم ١٣٤٨، والإصابة ٣/٤٥٤، ٤٥٥ رقم ٨١٨٣، ومرآة الجنان ١/٨٩، وشذرات الذهب ١/٣٩، والمختصر في أخبار البشر ١/١٦٩، والتتمة ١/١٥٣.

(٣) انظر عن الطفيل في: السير والمغازي ٢٥٨، والمغازي للواقدي ٢٤ و ١٥٣، وطبقات ابن سعد ٣/٥٢، ونسب قريش ٩٣ و ٩٥، وطبقات خليفة ١١٥ و ١٣٨، والمحبّر ٧١ و ٨٣ و ١٠٨ و ٤٥٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٤٥ و ٣/١٦٧، وأنساب الأشراف ١/٢٨٩ و ٣٠٨ و ٤٢٩ و ٤٤٧، وحذف من نسب قريش ١٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٢، والجرح والتعديل ٤/٤٨٨، ٤٨٩ رقم ٢١٤٧، والاستيعاب ٢/٢٢٨، وتاريخ الإسلام ٣/٣٣٤ و ٣٧١، والبداية والنهاية ٧/١٥٦، والوافي بالوفيات ١٦/٤٥٨، ٤٥٩ رقم ٤٩٥ وأسد الغابة ٣/٥٢ والعقد الثمين ٥/٦٦، والإصابة ٢/٢٢٤ رقم ٤٢٤٧، وتعجيل المنفعة ١٩٧، ١٩٨ رقم ٤٨٨.

(٤) انظر عن الحصين في مصادر ترجمة أخيه الطفيل.

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسخة (س).

٣٤
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قيل: فيها كانت غزوة الصَّواري، في قول بعضهم، وقد تقدّم ذكرها[١].

وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنّهم نقموا عليه[٢].

ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجَرَعة

قد ذكرنا خبر المسيَّرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان سنة إحدى عشرة من خلافة عثمان، وكان سعيد قد ولّى قبل مخرجه إلى عثمان بسنة وبعض أخرى الأشعثَ بن قيس أذربيجانَ، وسعيدَ بن قيس الريَّ، والنُّسيرَ العِجْليَّ همذانَ، والسائبَ بن الأقرع أصبهانَ، ومالكَ بن حبيب ماهَ، وحكيمَ بن سلام[٣] الحِزاميَّ[٤] الموصلَ، وجريرَ بن عبد الله قَرْقِيسيا، وسلمانَ بن ربيعةَ البابَ، وجعل القعقاعَ بن عمرو على الحرب، وعلى حُلوان عُتيبة بن النَّهّاس، وخَلَت الكوفة من الرؤساء. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، فأخذه القعقاع بن عمرو فقال: إنّما نستعفي من سعيد. فقال: أمّا هذا فنعم، فتركه وكاتب يزيد المسيَّرين في القدوم عليه، فسار الأشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد، فسبقهم الأشتر، فلم يفجإ الناس يوم الجمعة إلّا والأشتر على باب المسجد يقول: جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركتُ سعيداً يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم، وردّ أولي البلاء منكم إلى ألفين، ويزعم أنّ فيئكم بستان قريش. فاستخفّ الناس وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يُسمع منهم.

---

(١) أنظر حوادث سنة ٣١ هـ.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٣٠.

(٣) في نسختي (ب) وباريس: «سلامة».

(٤) في نسخة (ب) «الخزامي».

فخرج يزيد وأمر منادياً ينادي: من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل، فبقي أشراف الناس وحلماؤهم في المسجد. وعمرو بن حُريث[1] يومئذ خليفة سعيد، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمرهم بالاجتماع والطاعة، فقال له القعقاع: أتردُّ السيل عن أدراجه؟ هيهات لا والله لا يسكّن الغوغاء إلّا المشرفيّة، ويوشك أن تُنتضى ويعجّون عجيج العدّان[2]، ويتمنّون ما هم فيه اليوم فلا يردّه الله عليهم أبداً، فاصبر. قال: أصبر. وتحوّل إلى منزله، وخرج يزيد بن قيس فنزل الجَرَعَة، وهي قريب من القادسية، ومعه الأشتر، فوصل إليهم سعيد بن العاص، فقالوا: لا حاجة لنا بك. قال: إنّما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وإليّ رجلاً، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل واحد؟ ثمّ انصرف عنهم، وتحسَّوْا[3] بمولًى له على بعير قد حُسِر فقال: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع. فقتله الأشتر. ومضى سعيد حتى قدِم على عثمان، فأخبره بما فعلوا وأنّهم يريدون البَدَل وأنّهم يختارون أبا موسى[4]، فجعل أبا موسى الأشعريّ أميراً، وكتب إليهم:

أمّا بعد فقد أمّرْتُ عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأقرضنّكم عرضيَ ولأبذلنّ لكم[5] صبري ولأستصلحنّكم بجهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يُعصى الله فيه إلّا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلّا ما استعفيتم منه، أنْزِل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على الله حُجّة[6]، ولنصبرنّ كما أمرنا حتى تبلَغوا ما تريدون. ورجع من الأمراء مَن قرب من الكوفة، فرجع جرير من قَرْقِيسيا، وعُتَيبة بن النَّهّاس من حُلوان، وخطبهم أبو موسى وأمرهم بلزوم الجماعة (وطاعة عثمان)[7]، فأجابوا إلى ذلك وقالوا: صلّ بنا. فقال: لا إلّا على السمع والطاعة لعثمان. قالوا: نعم. فصلّى بهم وأتاه ولايته فوليهم[8].

وقيل: سبب يوم الجَرَعة أنّه كان قد اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان فأجمع رأيهم، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميميّ ثمّ العنبريّ، وهو الذي

---

(١) في نسخة باريس «خريت».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٣٣٢ «العِتْدان». والعتود: الجدي الذي استكرش. وقيل: الحولي من أولاد المعز، وجمعه عتدان.

(٣) في النسخة (ب) «وتجسسوا».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٣٠ ـ ٣٣٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «ولأبذلنكم».

(٦) حتى هنا تنتهي الخطبة في تاريخ الطبري ٤/٣٣٦.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٨) تاريخ الطبري ٤/٣٣٢.

يُدعى عامر بن عبد القيس، فأتاه فدخل عليه فقال له: إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبتَ أموراً عظاماً، فاتّقِ الله وتُبْ إليه. فقال عثمان: انظروا إلى هذا فإنّ الناس يزعمون أنّه قارىء، ثمّ هو يجيء يكلّمني في المحقّرات، ووالله ما يدري أين الله! فقال عامر: بلى والله إنّي لأدري أنّ الله لبِالمرصاد!

فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن سعد وإلى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم: إنّ لكلّ امرىء وزراء ونُصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليّ أن أعزل عمّالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهِدوا رأيكم. فقال له ابن عامر: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجِهاد عنك حتى يذلّوا لك ولا يكون همّة أحدهم إلاّ في نفسه وما هو فيه من دبر دابّته وقمل فروته. وقال سعيد: احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف، إنّ لكلّ قوم قاعدة متى تهلك يتفرّقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إنّ هذا هو الرأي لولا ما فيه. وقال معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كلُّ رجل منهم ما قِبَله وأكفيك أنا أهل الشام. وقال عبد الله بن سعد: إنّ الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف[1] عليك قلوبهم. ثمّ قام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنّك قد ركبتَ الناس بمثل بني أميّة، فقلتَ وقالوا وزغتَ وزاغوا، فاعتدلْ أو اعتزلْ، فإن أبيتَ فاعتزم عزماً واقدم[2] قُدُماً. فقال له عثمان: ما لك قَمِل فَرْوُك؟ أهذا الجِدّ منك؟ فسكت عمرو حتى تفرّقوا فقال: والله يا أمير المؤمنين لأنتَ أكرم عليّ من ذلك، ولكنّي علمتُ أنّ بالباب من يُبلغ الناس قول كلّ رجل منّا، فأردتُ أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً وأدفع عنك شرّاً.

فردّ عثمان عمالَه إلى أعمالهم، وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه[3]، وردّ سعيداً إلى الكوفة، فلقيه الناس من الجَرَعة وردُّوه، كما سبق ذكره. قال أبو ثور الحدّاني[4]: جلستُ إلى حُذيفة، وأبي مسعود الأنصاريّ بمسجد الكوفة يوم الجَرَعَة، فقال أبو مسعود: ما أرى أن تُرَدَّ على عقبيها حتى يكون فيها دماء. فقال حُذيفة: والله لتُرَدَّنّ على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم، وما أرى اليوم شيئاً إلاّ وقد علمته والنبيّ ﷺ، حيّ. فرجع سعيد إلى عثمان ولم يُسفك دم، وجاء أبو موسى

(١) في النسخة (ب) «لتنعطف».
(٢) في النسخة (س) «وامض».
(٣) في النسخة (ب) «ليقطعوه».
(٤) في تاريخ الطبري ٤/٣٣٥ «الحدائي».

أميراً، وأمر عثمان حُذيفة بن اليمان أن يغزو الباب فسار نحوه[1].

ذكر ابتداء قتل عثمان

في هذه السنة تكاتب نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، وغيرهم[2] بعضهم إلى بعض: أن اقدموا فإنّ الجهاد عندنا، وعظّم الناسُ على عثمان ونالوا منه، وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذبُّ إلاّ نفرٌ، منهم: زيد بن ثابت، وأبو أُسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسّان بن ثابت، فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبي طالب، فدخل على عثمان فقال له: الناسُ ورائي وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمرٍ لا تعرفه، إنّك لتعلم ما أعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنُبلغَكَه، وما خُصصنا بأمرٍ دونك، وقد رأيتَ وصحبتَ رسول الله ﷺ، وسمعت منه ونلتَ صهره، وما ابن أبي قُحافة بأولى بعمل الحقّ منك[3]، ولا ابن الخطّاب بأولى بشيءٍ منِ الخير منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ، رحِماً، ولقد نلتَ من صهر رسول الله ﷺ، ما لم ينالاه، وما سبقاك إلى شيء، فاللَّهَ اللَّهَ في نفسك، فإنّك والله ما تبصَّر من عمًى، ولا تعلَّم من جهالة، وإنّ الطريق لواضح بيّن، وإنّ أعلام الدّين لقائمة. اعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله إمامٌ عادل هُدي وهَدَى، فأقام سُنّةً معلومةً وأمات بدعةً متروكة، فوالله إنّ كُلاًّ لَبيّن، وإنّ السُّنن لقائمة لها أعلام، وإنّ البِدَع لقائمة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وأضلّ، فأمات سنّةً معلومة وأحيا بدعة متروكةً، وإنّي أحذِّرك الله وسطواته ونَقِماته، فإنّ عذابه شديد أليم، وأحذّرك أن تكون إمام هذه الأمة الذي يُقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبِّس أمورها عليها ويتركها شِيَعاً لا يبصرون الحقّ لعلوّ الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرَجون فيها مرجاً.

فقال عثمان: قد علمت والله ليقولُنَّ الذي قلت، أما[4] والله لو كنتَ مكاني ما عنّفتُك ولا أسلمتُك ولا عِبتُ عليك ولا جئتُ مُنْكِراً، أن وصلتَ رحِماً وسددتَ خَلَّةً وآويتَ ضائعاً، ووليّتَ شبيهاً بمن كان عمر يولّي. أنشدك الله يا عليّ هل تعلم أنّ المغيرة بن شُعبة ليس هناك؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنّ عمر ولاّه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تلومني أن ولّيتُ ابنَ عامر في رحِمه وقرابته؟ قال عليّ: إنّ عمر كان يطأ على صِماخ مَن ولّى إن

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٣٣ ـ ٣٣٦.
(٢) «وغيرهم» ساقط من النسخة (س).
(٣) في الأوربية: بأولى بالعمل منك بالحق.
(٤) في الأوربية: أم.

بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى العقوبة وأنتَ لا تفعل، ضعفتَ[1] ورققتَ على أقربائك. قال عثمان: وهم أقرباؤك أيضاً! قال: أجل، إنّ رحِمهم منّي لقريبة، ولكنّ الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولّى معاويةَ؟ فقد ولّيته. فقال عليّ: أنشدك الله، هل تعلم أنّ معاوية كان أخْوف لعمر من يرفأ، غلام عمر، له؟ قال: نعم. قال عليّ: فإنّ معاوية يقتطع الأمور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه.

ثمّ خرج عليّ من عنده، وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثمّ قال: أمّا بعدُ فإنّ لكلّ شيء آفة ولكلّ أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيّابون[2] طعّانون يُرونكم ما تحبّون ويسترون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النّعام يتبعون أول ناعق، أحبّ مواردهم إليهم البعيد، لا يشربون إلاّ نَغَصاً ولا يَرِدون إلاّ عَكَراً، [لا] يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور[3]، ألا فقد والله عبتم عليّ ما أقررتم لابن الخطّاب بمثله، ولكنّه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه، فدِنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولِنتُ لكم وأوطأتكم كتفي وكففتُ يدي ولساني عنكم، فاجترأتم عليّ. أمَا[4] والله لأنا أعزّ نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأحرى، إن قلتُ هلمّ أُتِيَ إليّ، ولقد عددتُ لكم أقراناً، وأفضلتُ عليكم فضولاً، وكشرتُ لكم عن نابي، وأخرجتم منّي خُلقاً لم أكن أُحسنه ومنطقاً لم أنطق به، فكفّوا عنّي ألسنتكم وعيبكم وطعنكم على وُلاتكم، فإنّي كففتُ عنكم من لو كان هو الذي يكلّمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقّكم؟ والله ما قصّرت عن بلوغ ما بلغ مَن كان قبلي، ولم تكونوا تختلفون عليه.

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حكّمنا والله ما بيننا وبينكم السيف، نحن وأنتم والله كما قال الشاعر:

فرَشنا لكم أعراضَنا فنَبَتْ بكم　　　معارسكم[5] تبنون في دِمَن الثّرَى

فقال عثمان: اسكت لا سَكَتَّ، دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا! ألم أتقدّم إليك أن لا تنطق؟ فسكت مروان ونزل عثمان (عن المنبر، فاشتدّ قوله على الناس وعظم وزاد تألّبهم عليه)[6].

---

(١) «ضعفت» ساقطة من (س).

(٢) في نسخة باريس «عتابون».

(٣) «الأمور» ساقطة من نسخة باريس.

(٤) في الطبعة الأوربية «أم».

(٥) في الأوربية: مغارسكم.

(٦) ما بين القوسين من النسخة (س) والخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٣٦ - ٣٣٩.

ذكر عدّة حوادث

[الوَفَيَات]

وحجّ هذه السنة بالناس عثمان[1]. وفي هذه السنة تُوُفّي كعب الأحبار[2]، وهو كعب بن ماتع، وأسلم أيّام عمر. وفيها مات أبو عبس[3] عبد الرحمن بن جبر الأنصاريّ، شهد بدراً. وفيها مات مِسطح[4] بن أُثاثة المطِّلِبي، وهو ابن ستٍّ وخمسين سنة، وقيل:

---

(1) تاريخ الطبري ٤/٣٣٩.

(2) أنظر عن كعب الأحبار في: السير والمغازي ٦٦ و ٩٥ و ١٤١، والمغازي للواقدي ١٠٨٢، ١٠٨٣، والزهد لابن المبارك (انظر فهرس الأعلام ـ ص: ش)، والتاريخ لابن معين ٢/٤٩٦، وطبقات ابن سعد ٧/٤٤٥، ٤٤٦، وأخبار مكة للأزرقي ١/٣١ و٢/٤ و٥٢، والتاريخ الكبير ٧/٢٢٣، ٢٢٤ رقم ٩٦٢، والتاريخ الصغير ١/٦٢، وطبقات خليفة ٣٠٨، والمحبّر لابن حبيب ١٣١، والمعارف ٤٣٠ و ٤٣٩، وعيون الأخبار ١/١٤٦ و٢/١١٧ و٢٧٧، والمعرفة والتاريخ ١/٧٥١، وفتوح البلدان ١٨٢، وأنساب الأشراف ق ٣/٧ و١٧ و٣٨ و٤٣ و٨٦، وق ٤ ج ١/٤٩٥ و٥٤٢، وق ٥/١١ و٥٢، وتاريخ أبي زرعة ١/٣٧٣، ٣٧٤، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام ١٠/٣٧٩)، والكنى والأسماء للدولابي ١/٩٩، والجرح والتعديل ٦/١٦١ رقم ٩٠٦، والزاهر للأنباري ١/٢٠٢ و٣٩٢ و٦١٠ و٢/١٢٧ و ٢٥٤، وثمار القلوب للثعالبي ٤٧٠، والعقد الفريد ١/٨ و٤/٤٠٦ و٥/٢٧٤ و٢٧٦ و٦/٢٣٩، وربيع الأبرار ٤/٣٦٠، ومشاهير علماء الأمصار ١١٨ رقم ٩١١، وجمهرة أنساب العرب ٤٣٤، وأسد الغابة ٤/٤٨٧، ولباب الآداب ١٥ و٢٣٣ و ٤٢٤، والزيارات للهروي ٩ و ١٤ وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٦٨، ٦٩ رقم ٩١، والتذكرة الحمدونية ١/١٠٥ و٢/١٣٧، وتهذيب الكمال ٣/١١٤٦، وتذكرة الحفّاظ ١/٤٩، وتاريخ الإسلام ٣/٣٩٧، ٣٩٨، والعبر ١/٣٥، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٨٩ ـ ٤٩٤ رقم ١١١، وشفاء الغرام ١/٣٢٠ و ٤٠٠ و٢/١٧ و ١٩، والإصابة ٣/٣١٥، ٣١٦ رقم ٧٤٩٦، وتهذيب التهذيب ٨/٤٣٨، وتقريب التهذيب ٢/١٣٥ رقم ٥٣، والنجوم الزاهرة ١/٩٠، وشذرات الذهب ١/٤٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٧٣.

(3) في النسخة (ب): «عبيس».

وانظر عن أبي عبس: تاريخ الطبري ٤/٣٣٩، ومسند أحمد ٣/٤٧٩، والمغازي للواقدي ١٥٨ و ١٨٧ و ٣٤١ و ٣٧٥ و ٤٠٥ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٧٢١، والتاريخ لابن معين ٢/٧١٤، وطبقات ابن سعد ٣/٤٥٠، ٤٥١، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و ٢٨٢ و ٤١٢، وطبقات خليفة ٧٩، والمعارف ٣٢٦، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ١٠٦ رقم ٣٠٠، وأنساب الأشراف ١/٢٧١، والكنى والأسماء للدولابي ١/٤٣، والجرح والتعديل ٥/٢٢٠ رقم ١٠٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ٢٥ رقم ١١٥، والاستيعاب ٤/١٢٢، ١٢٣، وأسد الغابة ٥/٢٤٧، ٢٤٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٥ و ٣٤١، والكاشف ٣/٣١٤ رقم ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٣/٤٢٨، وتهذيب الكمال ٣/١٦٢١، والإصابة ٤/١٣٠ رقم ٧٣٤، وتهذيب التهذيب ١٢/١٥٦، ١٥٧ رقم ٧٤٥، وتقريب التهذيب ٢/٤٤٧ رقم ٧٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٥٤.

(4) انظر عن مسطح في: المغازي للواقدي ٢٤ و١٥٣ و ٤٢٩ و ٤٣٤ و ٦٩٤، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢١٦ و٢٤٨ و ٢٤٩، وطبقات ابن سعد ٣/٥٣، وطبقات خليفة ٩، ونسب قريش ٩٥، وأنساب الأشراف ١/٢٨٩ و٣٤٣، وتاريخ الطبري ٤/٣٣٩ وانظر ٢/٤٠٢ و٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٧، والمعارف ٣٢٨، والجرح والتعديل ٨/٤٢٥ رقم ١٩٣٦، وجمهرة أنساب العرب ٧٣، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٣٣، والاستيعاب ٣/٤٩٤، ٤٩٥، وأسد الغابة ٤/٣٥٤، ٣٥٥، وحلية الأولياء ٢/٢٠، ٢١ رقم ١١٧، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ٢/٨٩ رقم ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١/١٨٧، ١٨٨ رقم ٢٠، والعبر ١/٣٥، =

بل عاش وشهد صِفّين مع عليّ، وهو الأكثر، وكان بدريّاً.

وفيها تُوفّي عُبادة بن[1] الصّامت الأنصاريّ، وهو ممّن شهد العَقَبة، وكان نقيباً بدريّاً.

(وعـاقل بن[2] البُكَير، وهو بدْريّ أيضاً)[3].

= وتـاريـخ الإسـلام ٣/٤٢٤، ٤٢٥، ومـرآة الجنـان ١/٨٩، والعقـد الثمين ٦/٤٤٣ - ٤٤٥، و٧/١٧٩، والإصابة ٣/٤٠٨، ٤٠٩ رقم ٧٩٣٥.

(١) انـظر عن عُبادة في: المغـازي للواقـدي ٩ و٩٩ و١٦٧ و١٧٩ و٣١٨ و٤٠٨ و٤١٦ و٤٢٠ و٤٢٣ و٨٦١ و١٠٥٩، والمحبّـر لابن حبيب ٧١ و٢٧٠ و٢٧٢ و٤٢٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٠٣ و١٠٨ و١٥٥ و٢١٠، ومقدّمة مُسْنَـد بقيّ بن مَخْلَد ٨١ رقم ١٩، وطبقات ابن سعـد ٣/٥٤٦، والمعارف ٢٥٥ و٣٢٧، والتـاريخ الكبير ٦/٩٢ رقم ١٨٠٩، والزهـد لابن المبارك ١٩٢ و٤٠٩، وتـاريـخ خليفـة ١٥٥ و١٦٠ و١٦٨، وطبقـات خليفة ٩٩ و٣٠٢، وأنسـاب الأشـراف ١/٢٣٩ و٢٥١ و٢٥٢ و٢٧٠، وفتـوح البلدان ١٥٦ - ١٥٨، و١٦١ و١٦٦ و١٦٧ و١٨١ و١٨٢، وتـاريخ الـطبـري ١/٣٢ و٢/٣٥٥ و٣٥٦ و٣٦٨ و٤٥٨ و٤٨١ و٦٠٤ و٣/٤٠١ و٤/٢٤١ و٢٥٨ و٢٨٣ و٣٥٦، ومـسـنـد أحـمـد ٤/٢٠١ و٥/٣١٣، وفتوح الشام ٢٧٤ و٢٨١، والمعرفة والتاريخ ٢/٣٢٣ - ٣٢٥ و٣٦٠ - ٣٦٢، والعقد الفريـد ٤/٣٤٥، وتـاريخ أبي زرعـة ١/٢٢٤ - ٢٢٦، والجـرح والتعـديـل ٦/٩٥ رقم ٤٩٢، ومشـاهيـر علمـاء الأمصـار ٥١ رقم ٣٣٤، والبدء والتـاريخ ٥/١١٥، ١١٦، والكنى والأسمـاء للدولابي ١/٩١، وجمهـرة أنساب العرب ٣١٨ و٣٥١ و٣٥٤، والخـراج وصناعـة الكتابـة ٢٩٧ و٢٩٨ و٣٠٠ و٣٠٦، والمستدرك ٣/٣٥٤ - ٣٥٧، والاستيعـاب ٢/٤٤٩ - ٤٥١، وأسـد الغـابـة ٣/١٦٠، ولبـاب الآداب ١٧٥ و٣٠٠، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ١/٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٨١، وتهذيب الكمال ٢/٦٥٥، وتحفة الأشراف ٤/٢٣٩ - ٢٦٤ رقم ٢٦٦، والمعين في طبقـات المحدّثين ٢٣ رقم ٦٧، ودول الإسـلام ١/٢٧، وتـاريـخ الإسـلام ٣/٤٢٢ - ٤٢٤، والكـاشف ٢/٥٧ رقم ٢٦٠٩، والعبر ١/٣٥، وسيـر أعلام النبـلاء ٢/٥ - ١١ رقم ١، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٠، وتلخيص المستدرك ٣/٣٥٤ - ٣٥٧، ومـرآة الجنان ١/٨٩، والـوافي بالـوفيات ١٦/٦١٨، ٦١٩ رقم ٦٧٠، والجمـع بين رجال الصحيحين ١/٣٣٤، وتهـذيب تاريـخ دمشق ٧/٢٠٩، والـزيارات للهـروي ٣٣، وتهـذيب التهـذيب ٥/١١١، ١١٢ رقم ١٨٩، وتقـريب التهـذيب ١/٣٩٥ رقم ١٢٣، والإصابة ٢/٢٦٨، ٢٦٩ رقم ٤٤٩٧، والنكت الظراف ٤/٢٤١ - ٢٦٤، والوفيـات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٤، وحسن المحـاضرة ١/٨٩، وخـلاصة تـذهيب التهـذيب ١٥٩، وشـذرات الذهـب ١/٤٠، وكنـز العمال ١٣/٥٥٤.

(٢) انظر عن عاقل في: السير والمغازي ١٤٤، والمغازي للواقدي ١٥٦، والبرصـان والعرجـان ٩٢، وطبقات ابن سعـد ٣/٣٨٩، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و٣٩٩ و٤٠٠ و٤٥٩، وطبقـات خليفـة ٢٣، والاستيعـاب ١/١٠١ - ١٠٣، وأنساب الأشراف ١/٢٤٣ و٢٩٦، وأسـد الغابـة ١/١٥٣، وتاريخ الإسلام ٣/٤٢١، ٤٢٢، والـوافي بالـوفيـات ٩/٤٦١ رقم ٤٤١٧، والعقـد الثمين ٣/٣٣٩، والإصـابـة ١/٨٩ رقم ٣٧٣، وتاريخ الطبري ٤/٣٣٩ وفيه عاقل بن أبي البكير.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

٣٥
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان

قيل: في هذه السنة كان مسير من سار من أهل مصر إلى ذي خُشُب، ومسير من سار من أهل العراق إلى ذي المروة.

وكان سبب ذلك أنّ عبد الله بن سبأ كان يهوديّاً، وأسلم أيّام عثمان، ثمّ تنقّل في الحجاز ثمّ بالبصرة ثمّ بالكوفة ثمّ بالشام يريد إضلال الناس، فلم يقدر منهم على ذلك، فأخرجه أهل الشام، فأتى فأقام فيهم وقال لهم: العجبُ ممّن يصدّق أنّ عيسى يرجع، ويكذّب أنّ محمداً يرجع، فوضع لهم الرجعة، فقُبلت منه، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان لكلّ نبيّ وصيّ، وعليّ وصيّ محمد، فمن أظلمُ ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله ﷺ، ووثب على وصيّه، وإنّ عثمان أخذها بغير حقّ، فانهضوا في هذا الأمر وابتدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهِروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس.

وبثّ دُعاته، وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السرّ إلى ما هو عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلى الأمصار بكُتُب يضعونها في عيب وُلاتهم، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، حتى تناولوا[1] بذلك المدينة وأوسعوا بذلك الأرض إذاعة، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية ممّا ابتُلي به هؤلاء، إلاّ أهل المدينة فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس. فأتوا عثمان فقالوا: يا أميرَ المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ فقال: ما جاءني إلاّ السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممّن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمدَ بن مَسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أُسامة بن زيد إلى البصرة،

---

(١) في نسخة باريس «ملوا».

وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا: ما أنكرنا شيئاً أيّها الناس ولا أنكره[1] أعلام المسلمين ولا عوامُّهم. وتأخر عمّار حتى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر أنّ عمّاراً قد استماله قومٌ وانقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلْجَم[2]، وسودان بن حُمران، وكِنانة بن بِشْر.

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار: [أمّا بعدُ] فإنّي آخذ عمالي بموافاتي كلّ موسم، وقد رفع إليَّ أهلُ المدينة أنّ أقواماً يُشتَمون ويُضرَبون، فمن ادّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم يأخذ حقّه حيث كان منّي أو من عمالي، أو تَصدّقوا فإنّ الله يجزي المتصدّقين. فلمّا قُرِىء في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان. وبعث إلى عمّال الأمصار فقدِموا عليه في الموسم: عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد، ومعاوية، وأدخل معهم سعيد بن العاص وعَمراً، فقال: ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة؟ إنّي والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصَب[3] هذا إلاّ بي! فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك الخبر عن العوامّ؟ ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشيء؟ والله ما صدقوا ولا برّوا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، ولا يحلّ الأخذ بهذه الإذاعة! فقال: أشيروا عليَّ. فقال سعيد: هذا أمر مصنوع يُلقى في السرّ فيتحدّث به الناس، ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذي يخرج هذا من عنده. وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتم الذي لهم فإنّه خير من أن تَدَعهم. وقال معاوية: قد ولّيتني فولّيتُ قوماً لا يأتيك عنهم إلاّ الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما، والرأي حُسن الأدب. وقال عمرو: أرى أنّك قد لِنتَ لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتدّ في موضع الشدّة، وتلين في موضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعتُ كلّ ما أشرتم به عليّ، ولكلّ أمر باب يؤتَى منه، إنّ هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمّة كائن، وإنّ بابه الذي يُغلق عليه ليفتحنّ، فنكفكفه باللين والمؤآتاة إلاّ في حدود الله، فإن فُتح فلا يكون لأحد عليَّ حُجّة حقٍّ، وقد علم الله أنّي لم آلُ الناس خيراً، وإنّ رحى الفتنة لدائرة، فطوبَى لعثمان إن مات ولم يحرّكها. سكّنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم، فإذا تُعُوطِيَتْ حقوق الله فلا تُدْهنوا فيها. فلمّا نفر عثمان وشخص معاوية والأمراء معه واستقلّ[4] على الطريق رجز به الحادي فقال:

---

(١) في نسخة باريس «أنكرنا».

(٢) «ملجم» كتبت بهامش (س).

(٣) في نسخة باريس «تعصب»، وفي نسخة (ب) «يقتضه»، وفي نسخة بودليان «يقضب».

(٤) في النسخة (ب) «واستقبل».

قَـد علمتْ ضَـوامـرُ المـطِيِّ وضُـمَّـراتُ[1] عُـوَّجِ القِـسـيِّ
أنّ الأمـيـرَ بـعـدَهُ عـليُّ وفـي الـزّبـيـر خَـلَفٌ[2] رضـيُّ
[وطَلْحَـةُ الحـامي لهـا ولـيُّ][3]

فقال كعب: كذبت بل يلي بعده صاحب البغلة الشهباء، يعني معاوية؛ فطمع فيها من يومئذٍ.

فلمّا قدِم عثمان المدينة دعا عليّاً وطلحة والزُّبير وعنده معاوية، فحمد الله معاوية ثمّ قال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ، وخيرته من خَلَفه ووُلاة أمر هذه الأمَّـة، لا يطمع فيه أحد غيركم، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع، وقد كبر وولّى عمره، ولـو انتظرتم به الهرم لكان قريباً، مع أنّي أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة خفتهـا عليكم[4] فما عتبتم[5] فيـه من شيء، فهذه يـدي لكم به، ولا تُـطمعـوا النـاسَ في أمركم، فوالله إن طمعوا فيه لا رأيتم منها أبداً إلّا إدباراً.

قال علي: ما لك ولذلك لا أمّ لك؟ قـال: دع أمّي فإنّهـا ليست بشرّ أمهـاتكم، قد أسلمت وبـايعت النبيّ ﷺ، وأجبني عمّا أقـولُ لك. فقـال عثمان: صـدق ابن أخي، أنا أخبـركم عنّي وعمّا وليت، إنّ صـاحبيّ اللذين كانـا قبلي ظلما أنفسهمـا ومن كـان منهمـا بسبيـل احتسابـاً، وإنّ رسول الله ﷺ، كـان يعطي قـرابتـه، وأنـا في رهط أهـل عَيْلة وقلّة معـاش، فبسطت يـدي في شيء من ذلك لمـا أقوم بـه فيه، فإن رأيتم ذلك خـطأ فـردُّوه فأمري لأمركم تبع. فقالوا: قد أصبتَ وأحسنتَ، قد أعـطيتَ عبد الله بن خـالد بن أسِيد خمسين ألفـاً، وأعطيت مـروان خمسة عشـر ألفاً. فـأخذ منهمـا ذلك، فـرضوا وخـرجـوا راضين.

وقال معاوية لعثمان: اخرج معي إلى الشام فإنّهم على الطاعـة قبل أن يهجم عليـك من لا قِبَل لك به. فقال: لا أبيع جوار رسول الله ﷺ، بشيء، وإن كان فيـه خيط عنقي. قال: فإن بعثتُ إليـك جنداً منهم يقيم معـك لنائبـة إن نابت؟ قـال: لا أضيّق على جيران رسول الله ﷺ. فقال: والله لتُغتالنّ ولتُغزَيَنّ! فقال: حسبيَ الله ونعم الوكيل!

ثـمّ خرج معاوية فمرّ على نفر من المهاجرين فيهم عليّ وطلحة والـزُّبير وعليـه ثياب

---

(١) في تاريخ الطبري «وضامرات».
(٢) في نسختي باريس و (ب) «خلق»، وهو تحريف.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٣٤٣/٤، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٠٤.
(٤) في النسخة (ب) «خفيتها عنكم».
(٥) في النسخة (ب) «غيبتم».

السفر، فقام عليهم وقال: إنّكم قد علمتم أنّ هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى[1] بعث الله نبيّه ﷺ، وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقُدمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سُلبوا ذلك وردَّه الله إلى غيرهم، وإنّ الله على البدل لقادر، وإنّي قد خلّفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك. ثمّ ودّعهم ومضى. فقال عليٌّ: [ما] كنت أرى في هذا خيراً. فقال الزبير: والله ما كان قطّ أعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم[2].

واتّعد المنحرفون عن عثمان يوماً يخرجون فيه بالأمصار جميعاً إذا سار عنها الأمراء، فلم يتهيّأ لهم ذلك، ولما رجع الأمراء ولم يتمّ لهم الوثوب [صاروا] يكاتبون في القدوم إلى المدينة، لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن أشياء لتطير في الناس. وكان بمصر محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حُذيفة يحرّضان على عثمان.

فلمّا خرج المصريّون خرج فيهم عبد الرحمن بن عُدَيس البَلَويّ في خمسمائة، وقيل: في ألف، وفيهم كِنانة بن بِشر الليثيّ، وسودان بن حُمران السَّكوني، وقُتَيرة بن فلان السَّكوني، وعليهم جميعاً الغافقيّ بن حرب العَكّي؛ وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صُوحان العبديّ، والأشتر النَّخَعيّ، وزياد بن النضر الحارثيّ، وعبد الله بن الأصمّ العامريّ، وهم في عداد أهل مصر؛ وخرج أهل البصرة فيهم حُكَيم بن جَبَلة العبديّ، وذريح[3] بن عبّاد، وبِشر بن شُرَيح القيسيّ، وابن المحترش[4]، وهم بعداد أهل مصر، وأميرهم حُرقوص بن زهير السعديّ؛ فخرجوا جميعاً في شوّال، وأظهروا أنّهم يريدون الحجّ، فلمّا كانوا من المدينة على ثلاثٍ، تقدّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب، وكان هواهم في طلحة، وتقدّم ناس من أهل الكوفة، وكان هواهم في الزُّبير، وتركوا[5] الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وكان هواهم في عليّ، ونزلوا عامّتهم بذي المروة، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر، وعبد الله بن الأصمّ وقالا لهم: لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم، فقد بَلَغَنا أنّهم عسكروا لنا، فوالله إن كان هذا حقّاً واستحلّوا قتالنا بعد علم حالنا إنّ أمرنا لباطل، وإن كان الذي بَلَغَنا باطلاً رجعنا إليكم بالخبر. قالوا: اذهبا. فذهبا فدخلا المدينة فلقيا أزواج النبيّ ﷺ، وعليّاً وطلحة والزُّبير، فقالا: إنّما نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمّالنا، واستأذناهم في الدخول،

---

(١) في نسخة باريس «حين».
(٢) تاريخ دمشق (عثمان) ٣٠٥.
(٣) في نسخة باريس «دريح»، وفي الطبعة الأوربية «وزُرَيح».
(٤) في نسخة باريس «المحرش»، وفي نسخة (ب) «المحسن».
(٥) في الطبعة الأوربية «ونزلوا».

فكلّمهما أُبَيّ ونهاهما، فرجعا إلى أصحابهما. فاجتمع نفر من أهل مصر فأتوا عليّـاً، ونفر من أهل البصرة فأتوا طلحة، ونفر من أهل الكوفة فأتوا الزبيـر، وقال كـلّ فريق منهم: إن بـايعنا صـاحبنا وإلاّ كـذبناهم وفـرّقنا جمـاعتهم، ثمّ رجعنـا عليهم حتى نبغتهم[1]. فـأتى المصريون عليّاً وهو في عسكـر عند أحجـار الزيت متقلّداً سيفـه، وقد أرسـل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فسلّموا عليه وعرضوا عليه، فصاح بهم وطردهم وقـال: لقد علم الصـالحون أنّ جيش ذي المـروة وجيش ذي خُشُب والأعوص ملعـونـون على لسـان محمد ﷺ، فانصرفوا عنه. وأتَى البصريّـون طلحة فقـال لهم مثل ذلـك، وكان قـد أرسل ابنيه إلى عثمان؛ وأتى الكوفيّون الزُّبير فقال لهم مثل ذلك، وكان قـد أرسل ابنَـه عبد الله إلى عثمان[2].

فرجعوا وتفـرّقوا عن ذي خُشُب وذي المـروة والأعوص إلى عسكـرهم ليتفرّق أهـل المدينة ثمّ يـرجعوا إليهم. فلمّـا بلغوا عسكـرهم تفرّق أهـل المدينـة، فرجعـوا بهم، فلم يشعر أهل المدينة إلاّ والتكبير في نواحيها، ونزلوها وأحاطوا بعثمـان وقالـوا: مَن كفّ يده فهو آمن. وصلّى عثمان بالناس أيّاماً، ولزم الناس بيـوتهم ولم يمنعوا النـاس من كلامـه، وأتاهم أهل المدينة وفيهم عليّ فقال لهم: ما رَدَّكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: أخذنا مـع بريـد كتـاباً بقتْلنـا. وأتَى طلحةُ الكـوفيّين فسألهم عن عـودهم، فقالـوا مثل ذلـك. وأتَى الزُّبيـر البصريّين فقالوا مثل ذلك، وكلّ منهم يقول: نحن نمنع إخـواننا وننصـرهم، كأنّمـا كانـوا على ميعاد. فقال لهم عليّ: كيف علمتم يـا أهل الكـوفة ويـا أهل البصـرة بما لقي أهـل مصر وقد سرتم مراحـل حتى رجعتم علينا؟ هـذا والله أمر أُبـرم بليل[3]! فقـالوا: ضعـوه[4] كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الـرجل، ليعتـزل عنّا. وعثمـان يصلّي بهم وهم يصلّون خلفه، وهم أدقّ في عينه من التراب، وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع[5].

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم ويأمرهم بالحثّ للمنع عنه، ويعرِّفهم مـا النّاس فيه. فخـرج أهل الأمصـار على الصَّعْب والذَّلـول، فبعث معاويـةُ حبيبَ بن مسلمة الفِهريّ، وبعث عبدُ الله بن سعد معاويةَ بن حُدَيج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو، وقام بالكوفة نفر يحضّون على إعانة أهل المدينة، منهم: عُقبة بن عامر، وعبد الله بن أبي أوفى، وحنـظلة الكـاتب، وغيـرهم من أصحـاب النبيّ ﷺ، ومن التـابعين: مسـروق،

---

(١) في نسخة المتحف البريطاني «نبعثهم».

(٢) تاريخ دمشق (عثمان) ٣١٥ ـ ٣١٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٣٥١/٤ «أبرم بالمدينة». وكذلك في تاريخ دمشق (عثمان) ٣١٨.

(٤) في النسخة (ب) «ضيعوه».

(٥) تاريخ دمشق ٣١٨.

والأسـود، وشُريـح، وعبد الله بن حكيم، وغيـرهـم، وقام بـالبصرة: عِمـران بن حُصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، وغيرهم من الصحـابة، ومن التـابعين: كعب بن سور، وهَرِم بن حيّان، وغيرهما، وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين[١] وكذلك بمصر[٢].

ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة، خرج عثمان فصلّى بالنـاس ثمّ قام على المنبر فقال: يا هؤلاء، اللّهَ اللّهَ! فوالله إنّ أهل المـدينة ليعلمـون أنّكم ملعونـون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب. فقام محمـد بن مَسْلَمة فقـال: أنا أشهـد بذلك، فأقعدَه حكيم بن جبَلة، وقـام زيد بن ثـابت، فأقعـده محمد بن أبي قُتيـرة[٣]، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجـد، وحصبوا عثمـان حتى صُرع عن المنبر مغشياً عليه، فأُدخل داره. واستقتل[٤] نفـر من أهل المـدينة مـع عثمان، منهم: سعد بن أبي وقّاص، والحسين بن عليّ، وزيد بن ثابت، وأبو هُريرة. فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وأقبـل عليّ، وطلحة، والـزُّبير، فـدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته، ويشكون إليه ما يجدون[٥]، وكـان عند عثمـان نفر من بني أميّة فيهم مـروان بن الحَكَم، فقـالـوا كلّهم لعليّ: أهلكْتَنـا وصنعتَ هـذا الصنيـع؛ والله لئن بلغتَ الـذي تريـد لتمرَّن عليـك الدنيـا! فقام مغضبـاً وعاد هـو والجماعـة إلى منازلهم. وصلّى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يـوماً، ثمّ منعـوه الصلاة، وصلّى بـالناس أميـرهم الغافقيّ، وتفـرّق أهل المـدينة في حيطانهم، ولزمـوا بيوتهم لا يجلس أحـد ولا يخرج إلّا بسيفه ليتمنّـع[٦] به، وكـان الحصار أربعين يـوماً، ومن تعـرّض لهم وضعوا فيـه السلاح[٧].

وقد قيل: إنّ محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حُذَيفة كانـا بمصر يحـرّضان على عثمان، وسار محمـد بن أبي بكر مـع من سار إلى عثمـان، وأقام ابن أبي حُـذيفة بمصـر وغلب عليها لما سار عنها عبـد الله بن سعد، على مـا يأتي. فلمّـا خرج المصـريّون إلى قصْد عثمان أظهروا أنّهم يريدون العُمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عُدَيس

---

(١) من الصحابة: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبـو أمامـة، وغيرهم، ومن التـابعين: شريـك بن خباشة النميري، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم، وغيرهم.

(٢) منهم: خارجة بن زيد. (تاريخ دمشق ٣١٩ و ٣٢٠).

(٣) في نسخة (ب) «بسرة».

(٤) في الطبعة الأوربيـة «واستقبل».

(٥) تاريخ دمشق ٣٢٠.

(٦) في تاريخ الطبري «يمتنع».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٣٤٠ ـ ٣٥٤.

البَلَوِيُّ، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً إلى عثمان يخبره بحالهم، وأنّهم قد أظهروا العُمرة وقصْدهم خلعه أو قتْله، فخطب عثمان الناس وأعلمهم حالهم، وقال لهم: إنّهم قد أسرعوا إلى الفتنة واستطالوا عمري، والله لئن فارقتهم ليتمنّون أنّ عمري كان عليهم مكان كلّ يوم سنة ممّا يرون من الدماء المسفوكة والإحَن والأثَرَة الظاهرة والأحكام المغيَّرة.

وكان عبد الله بن سعد قد خرج إلى عثمان في آثار المصريّين بإذنه له، فلمّا كان بأيلة[1] بلغه أنّ المصريّين رجعوا إلى عثمان فحصروه، وأنّ محمد بن أبي حُذيفة غلب على مصر واستجابوا له، فعاد عبد الله إلى مصر فمُنع عنها، فأتى فلسطين فأقام بها حتى قُتل عثمان.

فلمّا نزل القوم ذا خُشُب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عمّا يكرهون، ولما رأى عثمان ذلك جاء إلى عليّ فدخل عليه بيته فقال له: يا ابن عم، إنّ قرابتي قريبة، ولي عليك حقّ عظيم، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبّحيّ، ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنّي، فإنّ في دخولهم عليّ توهيناً لأمري وجرأة عليّ! فقال عليّ: على أيّ شيء أردُّهم عنك؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي. فقال عليّ: إنّي قد كلّمتك مرّة بعد أخرى، فكلّ ذلك نخرج ونقول ثمّ ترجع عنه، وهذا من فعل مروان، وابن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، فإنّك أطعتهم وعصيتني. قال عثمان: فأنا أعصيهم وأطيعك.

فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً فيهم سعيد بن زيد، وأبو جهم العدويّ، وجُبير بن مُطعم، وحكيم بن حِزام، ومروان وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أُسيد، ومن الأنصار أبو أُسيد الساعديّ، وأبو حُميد، وزيد بن ثابت، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومن العرب نيار[2] بن مِكْرز، فأتوا المصريين فكلّموهم، وكان الذي يكلّمهم عليّ ومحمد بن مَسْلمة، فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر. فقال ابن عُديس لمحمد بن مَسلمة: أتوصينا بحاجة؟ قال: نعم، تتّقي الله وتردّ مَنْ قِبَلك عن إمامهم، فإنّه قد وعدنا أن يرجع وينزع. قال بن عُديس: أفعل إن شاء الله. ورجع عليّ ومن معه إلى المدينة، فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم وكلّمه بما في نفسه، ثمّ خرج من عنده، فمكث عثمان ذلك اليوم، وجاءه مروان بُكرة الغد فقال له:

---

(١) أَيْلَة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ١/٢٩٢).

(٢) في نسخة (ب) «قباد».

تكلّم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه. ففعل عثمان، فلمّا خطب الناسَ قال له عمرو بن العاص: اتّقِ الله يا عثمان، فإنّك قد ركبتَ أموراً وركبناها معك، فتُبْ إلى الله نتبْ. فناداه عثمان: وإنّك هنالك يا ابن النابغة! قمِلَتْ والله جُبّتُك منذ عزلتك عن العمل! فنودي من ناحية أخرى: تُبْ إلى الله. فرفع يديه وقال: اللهمّ إنّي أوّل تائب!.

وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إنّي كنتُ لألقى الراعي فأحرّضه على عثمان. وأتى عليّاً وطلحة والزبير فحرّضهم على عثمان[1]، (فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه محمد وعبد الله[2]، وسلامة بن رَوْح الجِذاميّ إذ مرّ به راكب من المدينة، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضرط العير والمكواة في النار[3]. ثمّ مرّ راكب آخر فسأله فقال: قُتل عثمان. فقال عمرو: أنا أبو عبد الله، إذا حككتُ قرحةً نكأتُها[4]. فقال له سلامة بن رَوْح: يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه! فقال: أردنا أن نُخرج الحقّ من خاصرة الباطل ليكون الناس في الحقّ شَرَعاً سواء)[5].

وقيل: إنّ عليّاً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم إلى عثمان قال له: تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن أن يجيء ركبٌ آخر من الكوفة والبصرة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعتُ رحِمك واستخففتُ بحقّك. فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناسَ من نفسه التوبة وقال: أنا أوّل من اتّعظ، أستغفرُ اللَّهَ ممّا فعلتُ وأتوبُ إليه، فمثلي نزع وتاب[6]، فإذا نزلتُ فليأتني أشرافكم فليروا فيّ رأيهم، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستنَّنَّ بسنّة العبد ولأذلنّ ذلّ العبد، وما عن الله مذهب إلّا إليه، فوالله لأعطينّكم الرّضا، ولأنحينّ مروان وذويه، ولا أحتجب عنكم! فرقّ الناس وبكوا حتى أخضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً.

فلمّا نزل عثمان وجد مروان وسعيداً ونفراً من بني أميّة في منزله لم يكونوا شهدوا

(١) تاريخ الطبري ٤/٣٥٧ ـ ٣٦٠.
(٢) في الطبعة الأوربية «ومحمد بن عبد الله» وهو وهم.
(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢/٢٤٨.
(٤) مجمع الأمثال ١/٤٣.
(٥) العبارة من «فبينما هو في قصره» إلى هنا، ليست في تاريخ الطبري.
(٦) في النسخة (ب) «يرتاع يرتاب».

خطبته، فلمّا جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: لا بل اصمُت فإنّهم والله قاتلوه ومؤثّموه، إنّه قد قال مقالةً لا ينبغي له أن ينزع عنها. فقال لها مروان: ما أنتِ وذاك! فوالله قد مات أبوك وما يحسن يتوضّأ! فقالت: مهلاً يا مروان عن ذكر (الآباء! تخبر)[1] عن أبي وهو غائب تكذب عليه. وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه؟ أمَا[2] والله لولا أنّه عمه (وأنّه يناله غمّه[3])[4] لأخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه. قالت: فأعرض عنها مروان، فقال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت؟ قال: تكلّم. فقال مروان: بأبي أنت وأمّي، والله لوددتُ[5] أنّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع فكنتُ أوّل من رضي بها وأعان عليها، ولكنّك قلت ما قلتَ وقد بلغ الحزامُ الطّبْيَين[6] وخلّف السيلُ الزُّبَى[7]، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليلُ؛ والله لإقامة على خطيئة يُستغفر منها أجمل من توبة يخوّف عليها، وأنت إن شئتَ تقرّبتَ بالتوبة ولم تقرّ بالخطيئة؛ وقد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحيي أن أكلّمهم. فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم قد جئتم لنهبٍ؟ شاهتِ الوجوه! ألاَ[8] من أريدَ؟ جئتم تريدون أن تنزعوا مُلكنا من أيدينا! اخرجوا عنّا، واللّهِ لئن رمتمونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم فإنّا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا. فرجع الناس وأتى بعضهم علياً فأخبره الخبر.

فأقبل عليّ على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فقال: أحَضرتَ خطبة عثمان؟ قال: نعم. قال: أفحضرتَ مقالةَ مروان للناس؟ قال: نعم. فقال عليّ: أي عباد الله! يا للمسلمين! إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمتُ فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سَيِّقَةً له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ. وقام مغضَباً حتى دخل على عثمان فقال له: أما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيثُ يُسار به[9]؟

---

(١) في النسخة (ب) «إلا بالخير».

(٢) في الطبعة الأوروبية «أم».

(٣) في الطبعة الأوروبية «عمّه».

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (ب).

(٥) في الطبعة الأوروبية «لو أردت».

(٦) مجمع الأمثال ٢٩٣/١ والطبي: موضع الثدي من الخيل.

(٧) مجمع الأمثال ١٥١/١.

(٨) في الطبعة الأوروبية «إلى».

(٩) في الطبعة الأوروبية «يشاء ربّه».

والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه! وايمُ الله إنّي لأراه يوردك ولا يصدرك! وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذْهبتَ شرفك وغُلبتَ على رأيك[1].

(فلمّا خرج عليّ دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفَرافصة فقالت: قد سمعتُ قول عليّ لك وليس يعاودك، وقد أطعتَ مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتّقي الله وتتبع سنّة صاحبَيك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكانه، فأرسلْ إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابة وهو لا يُعصى. فأرسل عثمان إلى عليّ فلم يأته وقال: قد أعلمته أنّي غير عائد. فبلغ مروانَ مقالةُ نائلة فيه، فجلس بين يدي عثمان فقال: يا ابنة الفَرافصة! فقال عثمان: لا تذكرنها بحرف[2] فأسوِّد وجهك، فهي والله أنصح[3] لي! فكفَّ مروان)[4].

وأتى عثمان إلى عليّ بمنزله ليلاً وقال له: إنّي غير عائد، وإنّي فاعل. فقال له عليّ: بعدما تكلّمت على منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم. فخرج عثمان من عنده وهو يقول: خذلتني وجرّأت الناس عليّ. فقال عليّ: والله إنّي لأكثر الناس ذبّاً عنك، ولكنّي كلّما جئتُ بشيء أظنّه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعتَ قوله وتركتَ قولي.

ولم يعد عليّ يعمل ما كان يعمل إلى أن مُنع عثمان الماء. فقال عليّ لطلحة: (أريد أن)[5] تُدخل عليه الروايا، وغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان[6].

قال: وقد قيل إنّ عليّاً كان عند حصر عثمان بخيبر، فقدِم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة، وكان ممّن له فيه أثر، فلمّا قدِم عليّ أتاه عثمان وقال له: أمّا بعد فإنّ لي حقّ الإسلام وحقّ الإخاء والقرابة والصِّهر، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنّا في الجاهليّة لكان عاراً على بني عبد مَناف أن ينتزع أخو بني تيم[7]، يعني طلحة، أمرهم. فقال له عليّ: سيأتيك الخبر، ثمّ خرج إلى المسجد فرأى أسامة فتوكّأ على يده حتى دخل دار طلحة، وهو [في] خلوة من الناس، فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعتَ فيه؟ فقال: يا أبا

---

(١) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٦٠ - ٣٦٤.
(٢) في نسخة (ب) «بسوء».
(٣) في نسخة باريس «اصلح صح».
(٤) الفقرة بين القوسين ليست في الطبري.
(٥) في الطبعة الأوربية «في أن».
(٦) تاريخ الطبري ٣٦٤/٤.
(٧) في الطبعة الأوربية «بني تميم».

الحسن بعدما مسّ الحزامُ الطِّبيَين. فانصرف عليّ حتى أتى بيت المال فقال: افتحوه، فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب وأعطى الناس، فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، وسُرّ بذلك عثمان، وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه! فقال عثمان: والله ما جئتَ تائباً، ولكن جئتَ مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة[1]!.

ذكر مقتل عثمان[2]

قد ذكرنا سبب مسير الناس إلى قتل عثمان. وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لِعَلل دعت إلى ذلك، ونذكر الآن كيف قُتل، وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله.

فكان من ذلك أنّ إبلاً من إبل الصدقة قُدم بها على عثمان، فوهبَها لبعض بني الحَكَم، فبلغ ذلك عبدَ الرحمن بن عوف، فأخذها وقسّمها بين الناس وعثمان في الدار.

قيل: وكان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق[3] جَبَلَة بن عمرو الساعديّ، مرّ به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة، فسلّم فردّ القوم، فقال جَبَلة: لِمَ تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثمّ قال لعثمان: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك، أو لتتركنّ بطانتك هذه الخبيثة: مروان وابن عامر وابن سعد، منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله ﷺ، دمه. فاجترأ الناسُ عليه[4]، وقد تقدّم قول عمرو بن العاص له في خطبته.

قيل: وخطب يوماً وبيده عصا كان النبيّ ﷺ، وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاه الغفاريّ من يده وكسرها على ركبته، فرُمي في ذلك المكان بأكِلَة[5].

---

(١) الخبر ليس في تاريخ الطبري.

(٢) انظر: تاريخ خليفة ١٦٨ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ١٧٣/٢ وما بعدها وطبقات ابن سعد ٧٢/٣ وما بعدها، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٢١١/٢ وما بعدها، والمعرفة والتاريخ ٣١٠/٣، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٣٣٧ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣٦٥/٤ وما بعدها، ومروج الذهب ٣٥٢/٢ وما بعدها، والبدء والتاريخ ١٩٩/٥، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٠٤، ١٠٥، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٦٢، ونهاية الأرب ٤٨٥/١٩ وما بعدها، ومرآة الجنان ٩٠/١، ٩١، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٤٢٩/٣ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١٦٩/١، ١٧٠، وتتمة المختصر ١٥٤/١، والبداية والنهاية ١٧٦/٧ وما بعدها، وتاريخ ابن خلدون (بقية الجزء الثاني) ١٤٣ وتاريخ الخميس ٢٨٨/٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٣٦٥/٤ «بالمنطق السّيء».

(٤) تاريخ الطبري ٣٦٥/٤، ٣٦٦.

(٥) تاريخ الطبري ٣٦٦/٤، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٣٣٢ و٣٣٣، تاريخ الإسلام ٤٤٤/٣.

وقيل: كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بـالآفاق منهم: إن أردتم الجهـاد فهلمّوا إليـه فإنّ دين محمـد ﷺ قد أفسـده خليفتكم[1] فأقيمـوه. فـاختلفت قلوب الناس، على ما تقدّم ذكره، وجـاء المصريّـون، كما ذكـرنا، إلى المـدينة، فخـرج إليهم عليّ ومحمد بن مَسلمة، كما تقدّم، فكلّماهم فعادوا ثمّ رجعوا، فلمّا رجعـوا انطلق إليهم محمد بن مَسلمة فسألهم عن سبب عودهم، فـأخرجـوا صحيفة في أنبـوبة رصـاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالبُوَيب على بعير من إبل الصدقة، ففتّشنا متاعـه فوجـدنا فيـه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عُدَيس، وعمرو بن الحَمِق، وعُروة بن الحَمِق، وعُـروة بن البيّـاع[2] وحبْسهم وحلْق رؤوسهم ولحـاهم وصلْب بعضهم. وقيـل: إنّ الـذي أخـذت منه الصحيفـة أبو الأعـور السُّلمي. فلمّا رأوه سـألوه عن مسيـره وهل معـه كتـاب فقال: لا. فسألوه في أيّ شيء هو، فتغيّر كلامه، فأنكـروه وفتّشوه وأخـذوا الكتاب منـه، وعادوا وعاد الكوفيّون والبصْريّون. فلمّـا عاد أهـل مصر أخبـروا بذلـك محمد بن مَسلمـة وقالوا له: قد كلّمنـا عليّاً ووعـدَنا أن يكلّمـه، وكلّمنا سعـد بن أبي وقّاص،وسعيـد بن زيد فقالا: لا ندخل في أمركم. وقـالوا لمحمـد بن مَسلمة ليحضـر مع عليّ عنـد عثمان بعـد الظهر، فوعدهم بذلك، فدخل عليّ ومحمـد بن مَسلمة على عثمـان فاستـأذنا للمصـريين عليه، وعنده مروان، فقال: دعني أكلّمهم. فقـال عثمان: اسكت فضّ اللَّهُ فـاك! ما أنت وهذا الأمر؟ اخرج عنّي! فخرج مـروان. وقال عليّ ومحمـد لعثمان مـا قال المصـريون، فأقسم بالله: ما كتبته ولا عِلْم [لي] به. فقال محمد: صدق، هذا من عمل مروان.

ودخل عليه المصريّون فلم يسلّموا عليه بالخلافة، فعرفوا الشرّ فيهم،وتكلّموا فـذكر ابن عُدَيس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذّمة، والاستئثار في الغنـائم، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين. وذكروا شيئاً ممّا أحدث بالمـدينة، وقـالوا له: وخرجنا من مصر ونحن نريد قتْلك، فردّنا عليّ ومحمد بن مَسلمة، وضَمِنَا لنا النـزوع عن كلّ ما تكلّمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلْدنا والمُثلة بنا وطول الحبس.

فحلف عثمان أنّه ما كتب ولا أمر ولا علِم. فقال عليّ ومحمد: صدق عثمان. قـال المصريّون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قـالوا: فيُجتـرأ عليك ويُبعث غـلامك وجمـلاً من الصدقة، ويُنقش على خاتمك، ويُبعث إلى عاملك بهذه الأمـور العظيمـة وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا: ما أنتَ إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبـاً فقد استحققتَ الخلع لمـا

---

(١) في الطبعة الأوربيـة «أفسد خلفكم».

(٢) هكذا في الأصول، وتاريخ دمشق ٣٢١، وفي تاريخ الطبري ٤/ ٣٧٣ و ٣٨٩ «النّباع».

أمرتَ به من قتلنا بغير حقّ، وإن كنت صادقاً فقد استحققتَ أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر، وغفلتك وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تُقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه كما خلعك الله! فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله، ولكنّي أتوب وأنزع. قالوا: لو كان هذا أوّل ذنب تبتَ منه قبِلْنا، ولكنّا رأيناك تتوب ثمّ تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك، أو تُلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص[1] إليك. فقال: أمّا أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحبّ إليّ من ذلك، وأمّا قولكم تقاتلون مَن منعني فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل، ولو أردتُ قتالكم لكتبتُ إلى الأجناد فقدِموا عليّ، أو لحقتُ ببعض أطرافي. وكثرت الأصوات واللغط[2].

فقام عليّ فخرج وأخرج المصريّين ومضى عليّ إلى منزله، وحصر المصريون عثمان، وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم، ويأمرهم بالعَجَل وإرسال الجنود إليه. فتربّص به معاوية، فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القَسْريّ[3] جدّ خالد بن عبد الله القَسْريّ[3]، فتبِعه خلق كثير، فسار بهم إلى عثمان، فلمّا كانوا بوادي القُرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل: بل سار من الشام حبيب بن مَسلمة الفِهْريّ، وسار من البصرة مُجاشع بن مسعود السُّلَميّ، فلمّا وصلوا الرَّبَذة ونزلت مقدّمتهم صِراراً بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا.

وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره، فأشاروا عليه أن يُرسل إلى عليّ يطلب إليه أن يردَّهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه إمداده. فقال: إنّهم لا يقبلون التعلّل، وقد كان منّي في المرّة الأولى ما كان. فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك، فإنّهم قوم بَغَوا عليك ولا عهد لهم. فدعا عليّاً فقال له: قد ترى ما كان من الناس ولستُ آمنهم على دمي، فارددهم عنّي فإنّي أعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي وغيري. فقال عليّ: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، ولا يرضون إلّا بالرضا، وقد كنتَ أعطيتهم أوّلاً عهداً فلم تَفِ به فلا تغرَّني[4] هذه المرّة، فإنّي معطيهم عليك الحقّ. فقال: أعطهم فوالله لأفينّ لهم. فخرج عليّ إلى الناس فقال لهم: إنّما طلبتم الحقّ وقد أُعطيتموه، وقد زعم أنّه منصفكم من نفسه. فقال الناس: قبلنا فاستوثِقْ منه لنا، فإنّا لا نرضى بقولٍ دون فعل. فدخل عليه عليّ فأعلمه فقال: اضرب بيني

(١) في نسخة (ب) «يخلعوك».
(٢) في الطبعة الأوربية «واللفظ».
(٣) في نسخة (ب) «القشيري».
(٤) في الطبعة الأوربية «تعزرني».

وبينهم أجَلاً، فإنّي لا أقدر على أن أردّ ما كرهوا في يوم واحد. فقال عليّ: أمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، فأجّلني فيما في المدينة ثلاثة أيّام. فأجابه إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً على رد كلّ مظلمة وعزل كلّ عامل كرهوه.

فكفّ الناس عنه، فجعل يتأهّب للقتال ويستعد بالسلاح واتّخذ جُنداً، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاريّ إلى المصريين فأعلمهم الحال، وهم بذي خُشُب، فقدِموا المدينة، وطلبوا منه عزل عمّاله وردّ مظالمهم. فقال: إن كنتُ مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلستُ في شيء والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلنّ أو لتُخلعنّ أو لتُقتلنّ. فأبَى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربلنيه الله[1]. فحصروه واشتدّ الحصار عليه، فأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا، فأشرف عليهم فقال: يا أيّها الناس اجلسوا. فجلسوا المحارب والمسالم. فقال لهم: يا أهل المدينة أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم؟ أتقولون إنّ الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقّه؟ أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبالِ من ولي والدين لم يتفرّق أهله يومئذ؟ أم تقولون: لم يكن أخذٌ عن مشورة، إنّما كان مكابرة، فوكّل الله الأمّة إذا عصته ولم يشاوروا في الإمامة؟ أم تقولون: إنّ الله لم يعلم عاقبة أمري! وأنشدكم بالله أتعلمون لي من سابقة خير وقدم خير قدّمه الله لي ما يوجب[2] على كلّ من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها! فمهلاً لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إيمانه، أو قتل نفساً بغير حقّ، فإنّكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم، ثمّ لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً[3].

قالوا: أمّا ما ذكرتَ من استخارة الناس بعد عمر ثمّ ولوك، فإنّ كلّ ما صنع الله خيرة، ولكنّ الله جعلك بليّة ابتلى بها عباده، وأمّا ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله ﷺ، فقد كنتَ كذلك وكنتَ أهلاً للولاية، ولكن أحدثت ما علمتَه، ولا نترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً، وأمّا قولك: إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة، فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيتَ، قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من

---

(١) تاريخ خليفة ١٧٠، تاريخ الإسلام ٤٤٦/٣.
(٢) في الطبعة الأوروبية: ما يوجد.
(٣) تاريخ الطبري ٣٩٥/٤.

بغى ثمّ قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه وقاتل دونه، وقد تمسّكتَ بالإمارة علينا، فإن زعمتَ أنّك لم تكابرنا عليه فإنّ الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة، فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك[1]!.

فسكت عثمان ولزم الدار، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلاّ الحسن بن علي، وابن عباس[2]، ومحمد بن طلحة، وعبد الله بن الزُّبير، وأشباهاً لهم، واجتمع إليه ناس كثير، فكانت مدّة الحصار أربعين يوماً، فلمّا مضت ثماني عشرة ليلة قدِم ركبان من الأمصار، فأخبروا بخبر من تهيّأ إليهم من الجنود وشجّعوا الناس، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان، ومنعوه كلّ شيء حتى الماء. فأرسل عثمان إلى عليّ سرّاً وإلى طلحة والزبير وأزواج النبيّ ﷺ أنّهم قد منعوني الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا. فكان أوّلهم إجابة عليّ، وأمّ حبيبة زوج النبيّ ﷺ، فجاء عليّ في الغَلَس فقال: يا أيّها الناس إنّ الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادّة، فإنّ الروم وفارس لتأسر فتُطعِم وتسقي! فقالوا: لا والله ولا نعمة عين! فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت ورجعت، وجاءت أمّ حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة، فضربوا وجه بغلتها فقالت: إنّ وصايا بني أميّة عند هذا الرجل، فأحببتُ أن أسأله عنها لئلاّ تهلك أموال الأيتام والأرامل. فقالوا: كاذبة؛ وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فنفرت وكادت تسقط عنها، فتلقّاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها.

فأشرف عثمان يوماً فسلّم عليهم ثمّ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّي اشتريت بئر رومة بمالي ليُستعذب بها، فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: فلِم تمنعوني أن أشرب منها حتى أُفطر على ماء البحر؟ ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّي اشتريتُ أرض كذا فزدتها في المسجد؟ قيل: نعم. قال: فهل علمتم أنّ أحداً مُنع أن يصلّي فيه قبلي؟ ثمّ قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنّ النبيّ ﷺ، قال عنّي كذا وكذا؟ أشياء في شأنه. ففشا النهي في الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين. فقام الأشتر فقال: لعلّه مكر به وبكم. وخرجت عائشةُ إلى الحجّ واستتبعت أخاها محمّداً فأبى، فقالت[3]: والله لئن استطعتُ أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ. فقال له حنظلة الكاتب: تستتبعك أمّ المؤمنين فلا تتبعها، وتتبع ذؤبان العرب إلى ما [لا] يحلّ؟ وإنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مَناف. ثمّ رجع حنظلة إلى الكوفة وهو يقول:

---

(١) تاريخ الطبري ٣٩٦/٤.
(٢) «وابن عباس» ساقطة من نسخة باريس.
(٣) في الطبعة الأوربية «فقال».

عجبتُ لما يخوضُ النّاسُ فيه ... يرومونَ الخلافةَ أنْ تزُولا
ولوْ زالَتْ لزالَ الخَيرُ عَنهمْ ... ولاقَوْا بَعدَها ذُلّاً ذَليلا
وكانوا كاليَهودِ وكالنّصارَى ... سواء كلّهم ضَلّوا السّبيلا[1]

وبلغ طلحةَ والزبيرَ ما لقي عليّ وأمّ حبيبة، فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغَفَلات. فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عبّاس، فأمره أن يحجّ بالناس، وكان ممّن لزم الباب، فقال: جهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحجّ. فأقسم عليه فانطلق.

قال عبد الله بن عبّاس بن أبي ربيعة: دخلتُ على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على بابه، فمنهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع. قال: فبينما نحن واقفون إذ مرّ طلحة فقال: أين ابن عُدَيس؟ فقام إليه فناجاه، ثمّ رجع ابن عُدَيس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده. فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة، اللهمّ اكفني طلحة فإنّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم عليّ! والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفك دمه! قال: فأردتُ أن أخرج فمنعوني حتى أمرهم محمد بن أبي بكر فتركوني أخرج. وقيل: إنّ الزبير خرج من المدينة قبل أن يُقتل عثمان، وقيل: أدرك قتله.

ولما رأى المصريّون أنّ أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن يجمعوا ذلك إلى حجّهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا: لا يخرجنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه إلّا قتل هذا الرجل، فيشتغل الناس عنّا بذلك. فراموا الباب فمنعهم الحسنُ، وابن الزبير ومحمد بن طلحة، ومروان وسعيد بن العاص، ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا، فزجرهم عثمان وقال: أنتم في حلٍّ من نُصرتي، فأبوا، ففتح الباب لمنعهم، فلمّا خرج ورآه المصريّون رجعوا، فركبهم هؤلاء، وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلُنّ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريّين، فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض، وكان من الصحابة، فنادى عثمان، فبينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكِنْديّ بسهمٍ فقتله.

فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتله لنقتله به. قال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي. فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى الباب، فلم يمنعهم أحد منه، والباب مغلق لا يقدرون على الدخول منه، فجاؤوا بنار فأحرقوه والسقيفة التي على الباب، وثار أهل

(١) تاريخ الطبري ٣٨٦/٤، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤٤٠.

الدار، وعثمان يصلّي قد افتتح ﴿طه﴾ فما شغله ما سمع، ما يخطيء وما يتتعتع، حتى أتى عليها، فلمّا فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه، وقرأ: ﴿**الَّـذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّـاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَـزَادَهُمْ إِيمَانـاً وَقَالُـوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الـوَكِيلُ**﴾[1] فقـال لمن عنده بالدار: إنّ رسول الله ﷺ، قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه، ولم يحرقوا البـاب إلاّ وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأُحَرِّجُ[2] على رجـل أن يستقتل أو يقـاتل، وقـال للحسن: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم من أمرك، فأقسمت عليك لمـا خرجت إليـه. فتقدّمـوا فقاتلوا ولم يسمعـوا قولـه، فبرز المغيـرة بن الأخنس بن شريق، وكـان قد تعجَّـل من الحجّ، في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار، وارتجز يقول:

قـد علمتْ ذاتُ القـرونِ الميـلِ والـحَلْي والأنـامـل الـطُّفـولِ
لـتـصـدُقَنّ[3] بَـيْعتـي خَـليـلي بـصـارِمٍ ذي رونقٍ مـصـقـولِ[4]
لا أستَقـيـلُ إذْ أَقَـلْتُ قـيـلي[5]

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول:

لا دينُـهُـم ديـنـي ولا أنـا مـنـهُـمُ حتى أسِيـرَ إلى طَـمـارِ شَـمـامِ[6]

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنـا ابـنُ مَن حـامَى عليـه بـأُحُـدْ وردَّ أحـزابـاً عـلى رغـم مَـعَـدّ[7]

وخرج[8] سعيد بن العاص وهو يقول:

صبـرنـا غـداةَ الـدّار والمـوتُ واقبٌ[9] بـأسيـافنـا دونَ ابـنِ أروى نـضـاربُ
وكنّـا غـداةَ الـرَّوعِ في الـدّارِ نُصـرَةً[10] نشـافههم بـالضّـرْبِ والمـوتُ نـائبُ[11]

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.
(٢) في الطبعة الأوربيـة «فأخرج».
(٣) في الطبعة الأوربيـة «لتصدفن».
(٤) هذا الشطر من الرجز ليس في نسخة (ب).
(٥) تاريخ الطبري ٤/٣٨٩، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤٤٣.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٨٨، تاريخ دمشق ٤٤٢ وفيه «حتى يصير إلى الطِمرّ».
(٧) المصـدران السابقـان. وفي الطبعـة الأوربية «سعـد». وفي نسخـة (ب) وردت زيـادة: «وقيـل فقـال هـذا الشعر».
(٨) ساقطة من (ب).
(٩) كذا في تاريخ الطبري ٤/٣٨٩، وفي تاريخ دمشق ٤٤٣، والتمهيد والبيـان في مقتل الشهيـد عثمان ١٣٢ «واقف» كما في الطبعة الأوربيـة.
(١٠) في نسخة باريس، وتاريخ دمشق ٤٤٣ «قُصْرة».
(١١) كذا في تاريخ دمشق، وفي التمهيد «ثابت»، وفي تاريخ الطبري «ثاقب».

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، فكان يحدّث عن عثمان بآخر ما كان عليه، وأقبل أبو هُريرة والناس محجمون فقال: هذا يوم طاب فيه الضرب! ونادى: **﴿يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾**[1] وبرز مروان وهو يقول:

قد علمتْ ذاتُ القرونِ المِيلِ والكفِّ والأناملِ الطُّفولِ
أنّي أروعُ أوّلَ الرّعيلِ بغارَةٍ مثلِ القَطا الشّليلِ[2]

فبرز إليه رجل من بني ليث يدعى البياع[3]، فضربه مروان وضرب هو مروان على رقبته فأثبته وقطع إحدى عِلباويه، فعاش مروان بعد ذلك أوقص، وقام إليه عُبيد بن رِفاعة الزُّرقيّ ليدفف عليه، فقامت فاطمة أم إبراهيم بن عديّ، وكانت أرضعت مروان وأرضعت له، فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قُتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح! فتركه وأدخلته بيتها، فعرف لها بنوه ذلك، واستعملوا ابنها إبراهيم بعدُ. ونزل إلى المغيرة بن الأخنس بن شريق رجلٌ فقتل المغيرة، قال: فلمّا سمع الناس يذكرونه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فقال له عبد الرحمن بن عُديس: ما لك؟ فقال: رأيتُ فيما يرى النائم هاتفاً[4] يهتف، فقال: بشّر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتُليت به.

واقتحم الناسُ الدار من الدور التي حولها، ودخلوها من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان حتى ملؤوها ولا يشعر من بالباب، وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلاً يقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت فقال: اخلعها وندعك. فقال: ويحك! واللهِ ما كشفتُ امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنّيتُ[5] ولا تمنيتُ[6] ولا وضعتُ يميني على عورتي منذ بايعتُ رسول[7] الله ﷺ، ولستُ خالعاً قميصاً كسانيه اللّهُ تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة! فخرج عنه، فقالوا: ما صنعتَ؟ فقال: والله لا ينجينا[8] من الناس إلّا قتله ولا يحلّ لنا قتله. فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال له: لست بصاحبي لأنّ النبيّ ﷺ، دعا لك أن تُحفَظ يوم كذا وكذا ولن تضيع. فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إنّ رسول الله ﷺ، استغفر لك يوم كذا وكذا

---

(١) سورة غافر، الآية ٤١.
(٢) الطبري ٤/ ٣٨٠ وفيه «بفارِهٍ».
(٣) عند الطبري «انباع».
(٤) في الطبعة الأوربية «هاتف».
(٥) في نسخة باريس «تعنيت» وفي (ب) «نغيت».
(٦) في (ب) «مهنت».
(٧) هنا تنتهي العبارة في (س).
(٨) في الطبعة الأوربية «ينجيها».

فلن تقارف دماً حراماً. فرجع وفارق أصحابه. وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال: يا قوم لا تسلّوا سيف الله فيكم، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه! ويلكم! إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدِّرّة، فإن قتلتموه لا يقوم إلاّ بالسيف. ويلكم! إنّ مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه ليتركُنَّها. فقالوا: يا ابنَ اليهودية ما أنتَ وهذا! فرجع عنهم. وكان آخر من دخل عليه ممّن رجع محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جرم إلاّ حقّه أخذته منك؟

فأخذ محمد لحيته وقال: قد أخزاك الله يا نَعثَل! فقال: لستُ بنعثل ولكنّي عثمان وأمير المؤمنين، وكانوا يلقّبون به عثمان. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يا ابن أخي فما كان أبوك ليقبض عليها. فقال محمد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، والذي أريد بك أشدّ من قبضي عليها! فقال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به! فتركه وخرج.

وقيل: بل طعن جبينه بمِشْقَصٍ كان في يده[1]. والأوّل أصحّ.

قال: فلمّا خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قُتيرةُ[2]، وسودان بن حمران، والغافقيّ، فضربه الغافقيّ بحديدة[3] معه وضرب المصحف برجله، فاستدار المصحف واستقرّ بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان ليضربه، فأكبّت عليه امرأته واتّقت السيف بيدها، فنفح أصابعها فأطنّ[4] أصابع يدها وولّت، فغمز أوراكها وقال: إنّها لكبيرة العجز! وضرب عثمانَ فقتله.

وقيل: الذي قتله كِنانة بن بِشر التُّجيبيّ[5]. وكان عثمان رأى النبيّ ﷺ، تلك الليلة يقول له: إنّك تفطر الليلة عندنا. فلمّا قُتل سقط من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[6]. ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه، وكان عثمان قد أعتق من كفّ يده منهم، فلمّا ضربه سودان ضرب بعضُ الغلمان رقبة سودان فقتله، ووثب قُتيرة[7] على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت وخرجوا، ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلمّا خرجوا

---

(١) تاريخ خليفة ١٧٤، تاريخ دمشق ٤٠٩، تاريخ الإسلام ٣/٤٥٤، وانظر: طبقات ابن سعد ٣/٧٣، وتاريخ الطبري ٤/٣٩٣، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١/٥٧٤، ٥٧٥ رقم ١٤٧٠.

(٢) في النسخة (ب): «قنبرة».

(٣) في الطبعة الأوربية «بجريدة».

(٤) أطنّ: قطع.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٣٩٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٣٧.

(٧) في نسخة (ب) «قنبرة».

وثب غلام لعثمان على قُتيرة فقتله، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء، وأخذ كلثوم التُّجيبيّ ملاءةً من على نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وتنادَوا: أدرِكوا بيتَ المال ولا تُسبقوا إليه، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلّا غرارتان، فقالوا: النجاءَ فإنّ القوم إنّما يحاولون الدنيا! فهربوا، وأتَوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس.

وقيل: إنّهم ندموا على قتله. وأمّا عمرو بن الحَمِق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، قال: فأمّا ثلاث منها فإنّي طعنتهنّ إيّاه لله تعالى، وأمّا ستّ فلِما كان في صدري عليه[1]. وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلة عليه وأمّ البنين، فصاحتا وضربتا[2] الوجوه. فقال ابن عُدَيس: اتركوه. وأقبل عُمير بن ضابىء فوثب عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال: سجنتَ أبي حتى مات في السجن.

وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمسٍ وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلّا اثني عشر يوماً[3]، وقيل: إلّا ثمانية أيّام، وقيل: بل كان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجّة سنة ستٍّ وثلاثين[4]، وقيل: بل قُتل أيّام التشريق[5] وكان عمره اثنتين وثمانين سنة[6] وقيل: ثمانياً وثمانين سنة[7]، وقيل: تسعين سنة، وقيل: خمساً وسبعين سنة[8]، وقيل: ستّاً وثمانين سنة[9].

ذكر الموضع الذي دُفن فيه ومَنْ صلّى عليه

قيل: بقي عثمان ثلاثة أيّام لا يُدفن، ثمّ إنّ حكيم بن حِزام القُرشيّ، وجُبير بن مُطعِم كلّما عليّاً في أن يأذن في دفنه، ففعل، فلمّا سمع من قصده بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم، وفيهم الزبير، والحسن، وأبو جهم بن حُذيفة ومروان، بين المغرب والعشاء، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يسمّى

---

(١) طبقات ابن سعد ٧٣/٣، الطبري ٣٩٤/٤، تاريخ دمشق ٤١٣، أنساب الأشراف ق ٤ ج ٥٧٤/١، ٥٧٥ رقم ١٤٧، تاريخ الإسلام ٤٥٦/٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «فصحن وضربن».

(٣) تاريخ دمشق ٥٢٥ و ٥٣٠.

(٤) تاريخ دمشق ٥٢٨.

(٥) تاريخ دمشق ٥٢٦، تاريخ خليفة ١٧٦.

(٦) تاريخ دمشق ٥٢٨، تاريخ خليفة ١٧٧.

(٧) تاريخ دمشق ٥٣٦، التنبيه والإشراف ٢٥٥، تاريخ الطبري ٤١٨/٤.

(٨) تاريخ الطبري ٤١٨/٤ طبقات ابن سعد ٧٧/٣.

(٩) تاريخ خليفة ١٧٧، تاريخ اليعقوبي ١٧٦/٢.

حَشّ كَوْكَب[١]، وهو خارج البقيع، فصلّى عليه جُبير بن مطعِم، وقيل: حكيم بن حِزام، وقيل: مروان، وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه، ثمّ تركوهم خوفاً من الفتنة. وأرسل عليّ إلى من أراد أن يرجم سريره ممّن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه، ودُفن في حَشّ كوكب. فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط، فهُدم. وأدخل في البقيع، وأمر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتّصل الدفن بمقابر المسلمين[٢]. وقيل: إنّما دُفن بالبقيع ممّا يلي حشّ كوكب[٣]. وقيل: شهد جنازته عليّ وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامّة من ثَمّ من أصحابه[٤]. قال: وقيل لم يُغسّل، وكُفّن في ثيابه[٥].

ذكر بعض سيرة عثمان

قال الحسن البصري: دخلتُ المسجد، فإذا أنا بعثمان متّكئاً على ردائه، فأتاه سقّاءان يختصمان إليه، فقضى بينهما[٦]. وقال الشعبيّ: لم يمت عمر بن الخطّاب حتى ملّته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإن كان الرجل منهم ليستأذنه في الغزو فيقول: قد كان لك في غزوك مع رسول الله ﷺ، ما يبلّغك، وخير لك من غزوك اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك. وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكّة. فلمّا ولي عثمان خلّى عنهم فانتشروا في البلاد وانقطع إليهم الناس، وكان أحبَّ إليهم من عمر[٧]. قيل: وحجّ عثمان بالناس سنوات خلافته كلّها، وحجّ بأزواج النبيّ ﷺ، كما كان يصنع عمر. وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في الموسم ومن يشكو منهم، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأنّه مع الضعيف على القويّ ما دام مظلوماً[٨].

وقيل: كان أوّل منكَر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا[٩] طيران الحمام والرمي على

---

(١) حشّ كوكب: بفتح أوله وتشديد ثانيه. وهو مخرج عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وزاده في البقيع. (معجم البلدان ٢/٢٦٢).

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤١٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤١٤، طبقات ابن سعد ٣/٧٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤١٤.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤١٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ١٥ من طريق البغوي، عن زياد بن أيوب، عن هُشيم، عن أبي المقدام، عن الحسن بن أبي الحسن، والطبري في تاريخه ٤/٣٩٦.

(٧) تاريخ الطبري ٤/٣٩٧.

(٨) تاريخ الطبري ٤/٣٩٧.

(٩) في نسخة باريس «صح الدماء».

الجُلاهِقات، وهي قوس البندق، واستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمانٍ من خلافته، فقصّ الطيور[1] وكسر الجُلاهقات[2].

قيل: وسأل رجل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حُذيفة ما دعاه إلى الخروج على عثمان، فقال: كان يتيماً في حِجْر عثمان، وكان والي أيتام أهل بيته ومحتملاً كَلَّهم، فسأل عثمانَ العملَ، فقال: يا بني لو كنت رضاً لاستعملتك. قال: فأذَنْ لي فأخرج فأطلب الرزق. قال: اذهبْ حيث شئت، وجهّزه من عنده وحمله وأعطاه، فلمّا وقع إلى مصر كان فيمن أعان عليه حين منعه الإمارة. قال: وعمّار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عبّاس بن عُتبة بن أبي لهب كلام، فضربهما عثمان فأورث ذلك تعادياً بين أهل عمّار وأهل عبّاس، وكانا تقاذفا[3].

قيل: سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر ما دعاه إلى ركوب عثمان. قال: الغضب والطمع، كان من الإسلام بمكان فغرّه أقوام فطمع، وكانت له دالّة فلزِمه حقّ، فأخذه عثمان من ظهره، فاجتمع هذا إلى ذلك فصار مذمَّماً بعد أن كان محمّداً[4]. قيل: واستخفّ رجل بالعباس بن عبد المطّلب، فضربه عثمان فاستُحسن منه ذلك، فقال: أيفخِّم رسولُ الله ﷺ، عمَّه وأرخِّص في الاستخفاف به! لقد خالف رسولَ الله ﷺ، من فعل ذلك ورضي به[5]. قيل: وكان كعب بن ذي الحبَكة[6] النَّهْديّ يلعب بالنارنجيات، فبلغ عثمانَ، فكتب إلى الوليد أن يوجعه ضرباً، فعزَّره وأخبر الناسَ خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان، وفيه: إنّه قد جُدَّ بكم فجدُّوا وإيّاكم والهزل. فغضب كعب وكان في الذين خرجوا عليه، وكان سيّره إلى دُنباوند، فقال في ذلك للوليد[7]:

لعمري لئن طردّتني ما إلى التي ... طمِعتَ بها من سقْطتي لَسبيلُ[8]

رجوْتُ رجوعي يا ابن أروَى ورجْعتي ... إلى الحقّ دهراً، غالَ ذلك غُولُ

فإنّ اغترابي في البلاد وجَفْوَتي ... وشتميَ في ذاتِ الإلَهِ قليلُ

---

(١) ساقطة من (س).

(٢) تاريخ الطبري ٤/٣٩٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٣٩٩.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٠٠.

(٦) في الطبعة الأوربية «الحنكة».

(٧) في الطبعة الأوربية «الوليد».

(٨) في الطبعة الأوربية «سبيل».

وإنّ دعائي كلَّ يومٍ وليلةٍ عليكَ بدُنْباوَنْدِكُمْ لَطَويلُ[1]

قال: وأمّا ضابىء بن الحارث البرجميّ فإنّه استعار في زمن الوليد بن عُقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان[2] يصيد الظباء فحبسه عنهم، فانتزعه الأنصاريّون منه[3] قهراً، فهجاهم وقال:

تجشّمَ دوني وفدُ قرحانَ خطّةً | تضلّ لها الوَجناءُ[4] وهيَ حَسيرُ
فباتوا شِباعاً طاعمين[5] كأنّما | حباهم[6] ببيت المرزُبانِ أميرُ[7]
فكلبَكُمُ لا تتركوا فهو أمُّكم | فإنّ عُقوقَ الأمّهاتِ كبيرُ

فاستعدَوا عليه عثمان، فعزَّره وحبسه، فما زال في السجن حتى مات فيه. وقال في الفتك[8] معتذراً إلى أصحابه:

هممتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتَني | تركتُ على عثمانَ تَبكي حَلائلُهْ[9]
وقائلةٍ قد ماتَ في السجن ضابىءٌ | ألا مَن لخصمٍ لم يجدْ من يجادلُهْ[10]

فلذاك صار ابنه عُمير سبئيّاً[11]. قال: وأمّا كُميل بن زياد وعمير بن ضابىء فإنّهما سارا إلى المدينة لقتل عثمان، فأمّا عمير فإنّه نكل عنه، وأمّا كُميل فإنّه جسر وثاوره[12]، فوجأ عثمانُ وجهه فوقع على استه فقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين! قال: أوَلَستَ بفاتك؟ قال: لا والله. فقال عثمان: فاستقدْ منّي، وقال: دونك، فعفا عنه، وبقيا إلى أيّام الحجّاج فقتلهما، وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى[13].

وقيل: وكان لعثمان على طلحة بن عُبيد الله خمسون ألفاً، فقال له يوماً: قد تهيّأ

---

(1) تاريخ الطبري ٤/٤٠٢.
(2) في نسخة باريس «مرجان».
(3) في الطبعة الأوربية «منهم».
(4) في خزانة الأدب للبغدادي ٤/٨٠.
(5) في تاريخ الطبري «ناعمين».
(6) في الطبعة الأوربية «خباهم».
(7) في النسخة (ب) «مسير».
(8) في نسخة (ب) «القتل».
(9) في تاريخ الطبري ٤/٤٠٢، وخزانة الأدب ٤/٧٩: «فعلت وولّيت البكاء حلائله».
(10) في الطبعة الأوربية «يحاوله». وفي تاريخ الطبري زيادة بيت ثالث.
(11) في نسخة باريس «سعياً»، وفي الطبعة الأوربية «سبائياً».
(12) في نسخة (ب) «وبادره».
(13) تاريخ الطبري ٤/٤٠٣.

مالك فاقبضه. قال: هو لك معونة على مروءتك. قيل: فلمّا حُصر عثمان قال عليّ لطلحة: أنشدك الله ألاّ رددت الناس عن عثمان! قال: لا والله حتى تعطيني[1] بنو أمية الحقّ من أنفسها[2].

وكان عثمان يلقَّب ذا النُّورين لأنّه جمع بين ابنتي النبيّ ﷺ.

قال الأصمعيّ: استعمل عبدُ الله بن عامر قطنَ بن عبد عوف على كَرمان، فأقبل جيش للمسلمين، فمنعهم سيل في وادٍ من العبور، وخشي قطن الفوتَ فقال: مَن عبر له ألف درهم. فحملوا أنفسهم وعبروا، وكانوا أربعة آلاف، فأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فأبَى ابن عامر أن يُجري ذلك له وكتب إلى عثمان، فكتب عثمان: أن احسبها له فإنّه إنّما أعان بها في سبيل الله، فلذلك سُمِّيت الجوائز لإجازة الوادي.

وقال حسّان بن زيد: سمعتُ علياً وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته: يا أيّها الناس إنكم تكثرون فيَّ وفي عثمان، فإنّ مَثَلي ومَثَله كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[3]. وقال أبو حُميد الساعديّ، وهو بدْريّ وكان مجانباً لعثمان، فلمّا قُتل عثمان قال: والله ما أردنا قتله، اللهم لك عَليّ أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك.

ذكر نسبه وصفته وكنيته

أمّا نسبه فهو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، وأمّه أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّها أمّ حكيم بنت عبد المطّلب[4].

وأمّا صفته فإنّه كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، رقيق البشرة[5]، بوجهه أثر جُدَرِيّ، كبير[6] اللحية عظيمها، أسمر اللون، أصلع، عظيم الكراديس، عظيم ما بين المنكبين، يصفّر لحيته. وقيل: كان كثير شعر الرأس، أروح الرجلين.

---

(١) في نسخة (س) «تعطي».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٠٥.
(٣) سورة الحجر، الآية ٤٧.
(٤) طبقات ابن سعد ٣/٥٣، تاريخ الطبري ٤/٤٢٠، تاريخ الإسلام ٣/٤٦٧ و٤٦٨، جمهرة أنساب العرب ٧٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/٥٨، تاريخ الإسلام ٣/٤٦٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٦.
(٦) في الطبعة الأوربية «كثير».

وأمّا كنيته فإنّه كان يُكَنَّى أبا عبد الله بولد جاءه من رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ، اسمه عبد الله، تُوُفّي وعمره ستّ سنين، نقره ديك في عينه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربعٍ من الهجرة، وقيل: كان يُكنى أبا عمرو[1].

ذكر وقت إسلامه وهجرته

قيل: كان إسلامه قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ، دار الأرقم، وكان ممّن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية ومعه فيهما امرأته رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ[2].

ذكر أزواجه وأولاده

تزوّج رُقيّة وأمّ كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، فولدت له رقيّةُ عبدَ الله، وتزوّج فاختة بنت غزوان، فولدت له عبد الله الأصغر، هلك، وتزوّج أمّ عمرو بنت جندب بن عمرو بن حُمَمَة[3] الدَّوْسية، ولدت له عَمراً وخالداً وأباناً وعمر ومريم؛ وتزوّج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية، ولدت له الوليدَ وسعيداً وأم سعيد؛ وتزوّج أمَّ البنين بنت عُيَيْنة بن حصن الفَزاريّة، ولدت له عبد الملك، هلك؛ وتزوّج رملة بنت شيبة بن ربيعة، ولدت له عائشة وأمَّ أبان وأمَّ عمرو؛ وتزوّج نائلة بنت الفَرافصة الكلبية، ولدت له مريم بنت عثمان، وقيل: ولدت له أمُّ البنين بنت عُيينة عبدَ الملك وعتبةَ، وولدت له نائلةُ عنبسةَ، وكان له منها أيضاً ابنةٌ تدعى أمّ البنين، وكانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان؛ وقُتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وأمّ البنين ابنة عُيينة وفاختة بنت غزوان، غير أنّه طلّق أمّ البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه في الجاهليّة والإسلام وأولاده[4].

ذكر أسماء عُمّاله في هذه السنة

كان عماله هذه السنة على مكّة: عبد الله بن الحضْرميّ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفيّ، وعلى صنعاء يعلى بن مُنْية، وعلى الجَنَد عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، خرج منها ولم يولّ عثمانُ عليها أحداً، وعلى الشام معاوية بن أبي

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤١٩، ٤٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/٥٥، الطبري ٤/٤١٩.

(٣) في نسخة باريس «جمثة».

(٤) طبقات ابن سعد ٤/٥٣، ٥٤، تاريخ الطبري ٤/٤٢٠، ٤٢١.

سفيان، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد، وعلى قِنَّسرين حبيب بن مَسْلمة الفهريّ، وعلى الأردنّ أبو الأعور السُّلَمي، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكِنانيّ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفَزاريّ، وعلى القضاء أبو الدرداء في قول بعضهم، والصحيح أنّه كان قد تُوفي قبل أن قُتل عثمان، وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة، وعلى خراج السواد جابر بن فلان المُزَنيّ، وهو صاحب المسنّاة إلى جانب الكوفة، وسماك الأنصاريّ، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قَرْقِيسيا جرير بن عبد الله، وعلى أَذْربيجان الأشعث بن قيس الكِنْديّ، وعلى حُلوان عُتيبة بن النَّهّاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى همذان النُّسير، وعلى الريّ سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى مَاسَبَذان خُنَيْس[1]، وعلى بيت المال عُقبة بن عامر، وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت[2].

(عُتيبة بن النَّهّاس: بالتاء فوقها نقطتان، وبعدها ياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة. وعُيَينة بن حصن: بالياء تحتها نقطتان، وياء ثانية، وآخره نون، تصغير عين. والنُّسير: بالنون، والسين المهملة، تصغير نسر)[3].

ذكر الخبر عمّن كان يصلّي في مسجد النبيّ ﷺ حين حُصر عثمان

قيل: وجاء ذلك اليوم الذي مُنع فيه عثمانُ الصلاةَ سعدُ القَرَظ، وهو المؤذّن، إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: من يصلّي بالناس؟ فقال: ادعُ خالد بن زيد، فدعاه، فصلّى بالناس، فهو أوّل يوم عُرف أنّ اسم أبي أيّوب الأنصاريّ خالد بن زيد، فصلّى أيّاماً ثمّ صلّى بعد ذلك بالناس، وقيل: بل أمر عليٌّ سهلَ بن حُنَيف فصلّى بالناس من أوّل ذي الحجّة إلى يوم العيد، ثمّ صلّى عليّ بالناس العيد، ثمّ صلّى بهم حتى قُتل عثمان[4]. وقد تقدّم غير ذلك في ذكر قتله.

---

(١) في الطبري: حُبيش.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٢١، ٤٢٢، وانظر تاريخ خليفة ١٧٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٧٦.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٢٣.

ذكر ما قيل فيه من الشعر

قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ[1]:

أتركتُم غزوَ الدّروبِ وراءكمْ ... وغَزَوْتمونا عندَ قبرِ محمّدِ
فلبِئسَ هَدْيُ المسلمينَ هديتمُ ... ولَبِئسَ أمرُ الفاجرِ المتعَمِّدِ[2]
إن تَقدموا نجعلْ قِرى سَرَواتكمْ ... حولَ المدينةِ كلَّ لَيْنٍ[3] مِذْوَدِ
أو تُدبروا فلبِئسَ ما سافرتُمُ ... ولَمِثْلُ أمرِ أميركم لم يَرْشَدِ
وكأنّ أصحابَ النبيّ عشيّةً ... بُدنٌ تُذَبَّحُ[4] عند باب المسجدِ
أبكي أبا عمروٍ لحُسْنِ بلائه ... أمسَى ضَجيعاً[5] في بقيع الغَرْقَدِ

وقال أيضاً[6]:

إن تُمْسِ دارُ ابنِ أروَى اليوْمَ[7] خاويةً ... بابٌ صريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فقد يصادفُ باغي الخير حاجتَهُ ... فيها ويهوِي إليها الذِّكرُ والحسبُ
يا أيّها النّاسُ أبدوا ذاتَ أنفُسِكمْ ... لا يَستوي الصّدقُ عند الله والكذبُ
قوموا بحقّ مليكِ الناسِ تَعترفوا ... بغارةٍ عُصَبٍ من خَلْفِها عُصَبُ
فيهم حبيبٌ[8] شهابُ الموت يَقْدُمُهمْ ... مستلئماً[9] قد بدا في وجهه الغضبُ

وقال أيضاً[10]:

من سَرَّهُ الموْتُ صِرْفاً لا مِزاجَ لهُ ... فليأتِ مأسدَةً[11] في دارِ عُثمانَا
مستشعري حَلَقِ الماذيّ[12] قد شَفِعتْ ... قبلَ المَخاطِمِ[13] بَيْضٌ زانَ أبدانَا

---

(١) في ديوانه ١٠١، وتاريخ دمشق ٥٤٤.
(٢) في الطبعة الأوربية «المعتمد».
(٣) في الديوان «كلّ لَدْنٍ».
(٤) في الديوان «تنحر».
(٥) في الطبعة الأوربية «مقيلاً»، وفي تاريخ الطبري ٤/٤٢٤ «مقيماً».
(٦) في ديوانه ٢٢.
(٧) في تاريخ الطبري ٤/٤٢٤ «أروى منه».
(٨) هو حبيب بن مسلمة الفهري.
(٩) في نسخة باريس «مسيليماً».
(١٠) في ديوانه ٤٠٩، ٤١٠.
(١١) في الاستيعاب ٣/٨١ «مأدبة».
(١٢) الماذيّ: خالص الحديد.
(١٣) المخاطم: الأنوف.

صبـراً فِـدًى لـكـمُ أمّـي ومـا وَلَـدَتْ　　قـد ينفَـعُ الصّبـرُ في المكروهِ أحيـانَـا
فقـد رَضِينـا بـأهـلِ الشـام نـافـرَةً　　وبـالأمـيـرِ وبـالإخـوانِ إخـوانَـا
إنّي لَمِنْهُمْ وإنْ غـابـوا وإن شَهِـدوا　　مـا دُمتُ حيّـاً ومـا سُمّيتُ حسّانَـا
لتَسْمَعَنّ وشيكـاً في ديـارهـمُ:　　الـلّهُ أكـبـرُ يـا ثـاراتِ عُثـمـانَـا
ضَحّـوا بـأشمطَ عنوانُ السُّجـود بـهِ　　يُقَطِّعُ اللّيـلَ تَسبيحـاً وقـرآنَـا[1]

قال أبو عمر بن عبد البرّ[2]، وقد ذكر بعض هذه الأبيات فقال: وقد زاد فيها أهل الشام، ولم أرَ لذكره وجهاً، يعني ما فيها من ذكر عليّ، وهو:

يـا ليتَ شعري وليتَ الطيرَ تخبرني　　مـا كـانَ بيـنَ[3] علـيٍّ وابنِ عَفّـانَـا

وقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط يحرِّض أخاه عُمارة:

ألا إنّ خيـرَ النـاسِ بَعـدَ ثـلاثَـةٍ　　قتيـلُ التّجيبيِّ الـذي جـاء من مصـرِ
فـإنْ يَـكُ ظَنّي بـابـنِ أمّيَ صـادِقـاً　　عُـمـارةَ لا يُطلبْ بـذَحْـلٍ ولا وِتـرِ
يَبيـتُ وأوتـار ابـن عفّـان عنـدهُ　　مخيّمـةٌ بيـنَ الخـوَرنَقِ والقَصـرِ[4]

فأجابه الفضل بن العبّاس:

أتـطلُبُ ثـأراً لسـتَ منـهُ ولا لَـهُ　　وأين ابنُ ذكـوان الصَّفـوريّ من عمـرِو
كـمـا اتّصلت بنتُ الحمـارِ بـأُمّهـا　　وتَنسَى أبـاهـا إذ تُسـامي أولي الفخـرِ
ألا إنّ خيـرَ النّـاسِ بَعـد ثَـلاثَـةٍ　　وصيُّ النبيّ المصطفى عند ذي الـذكـرِ
وأوّلُ مَـن صَـلّى وصِنْـوُ نَبِيّـهِ　　وأوّلُ مَـن أردى الغُـواةَ[5] لـدى بـدرِ
فـلوْ رَأتِ الأنصـارُ ظـلمَ ابـنِ أمّـكم　　بزَعمكمُ كـانـوا لـه حـاضري النصرِ
كـفَى[6] ذاكَ عيبـاً أن يُشيـروا بقتـلهِ　　وأن يُسلمـوهُ لـلأحـابيشِ من مصـرِ

قوله: وأين ابن ذكوان، فإنّ الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو اسمه ذَكْوان بن أميّة بن عبد شمس، ويذكر جماعة من النّسّابين أنّ ذكوان مولى لأميّة، فتبنّاه

---

(١) هذا البيت لم يذكره الطبري ٤/٤٢٥، وذكر المسعودي بيتين في مروج الذهب ٢/٣٥٦ وكذلك المقدسي في البدء والتاريخ ٥/٢٠٧ باختلاف في اللفظ.
(٢) في الاستيعاب ٣/٨١ قال: وهذا البيت يختلف فيه ينسب إلى غيره، وقال بعضهم هو لعمران بن حطّان.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/٤٢٥ «ما كان شأن».
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري ٤/٤٢٦، وفي مروج الذهب ٢/٣٥٥ ورد البيت الأول وورد بيت ثان هو:
ومـا لـي لا أبـكي وتـبكي قـرابتـي　　وقـد غيّبـوا عنّي فضـول أبي عمـرو
(٥) في نسخة (ب) «الغزاة».
(٦) في نسخة باريس «لقي».

وكنّاه أبا عمرو، ويعني: إنّك مولى لستَ من بني أميّة حتى تكون ممّن يطلب بثأر عثمان.

وقال غيرهم من الشعراء أيضاً بعد مقتله فمن بين مادح وهاجٍ، ومن ناع وباك، ومن سارّ فرح، فممّن مدحه حسّان، كما تقدّم، وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك.

ذكر بيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب[1]

وفي هذه السنة بويع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وقد اختلفوا في كيفية بيعته، فقيل: إنّه لما قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا له: إنّه لا بدّ للناس من إمام. قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيتُ به. فقالوا: ما نختار غيرَك، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب[2] قرابةً من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً. فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايِعَكَ. قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفيةً ولا تكون إلّا في المسجد. وكان في بيته، وقيل: في حائط[3] لبني عمرو بن مبذول، فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق[4] وعِمامة خزّ ونعلاه في يده متوكّئاً على قوس، فبايعه الناس؛ وكان أوّل من بايعه من الناس طلحة بن عُبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذُؤَيب فقال: إنّا لله! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء، لا يتم هذا الأمر! وبايعه الزبير. وقال لهما عليّ: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما. فقالا: بل نبايعك. وقالا بعد ذلك: إنّما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا، وعرفنا أنّه لا يبايعنا. وهربا إلى مكّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر. وبايعه الناس، وجاؤوا بسعد بن أبي وقّاص، فقال عليّ: بايع. فقال: لا، حتى يبايع الناس، والله ما عليك منّي بأس. فقال: خلّوا سبيله. وجاؤوا بابن عمر فقالوا:

---

(١) انظر في بيعة علي: تاريخ خليفة ١٨٠، وتاريخ اليعقوبي ١٧٨/٢، والبدء والتاريخ ٢٠٨/٥، ومروج الذهب ٣٥٨/٢، والتنبيه والإشراف ٢٥٥، والفتوح لابن أعثم ٢٥٠/٢، والأخبار الطوال ١٤٠، وتاريخ الطبري ٤٢٧، ونهاية الأرب ١٠/٢٠، وتاريخ مختصر الدول ١٠٥، ودول الإسلام ٢٨/١، والمختصر في أخبار البشر ١٧٠/١، وتتمة المختصر ١٥٥/١، وتاريخ الخميس ٣٠٨/٢، والبداية والنهاية ٢٢٣/٧.

(٢) في نسخة باريس «أقدم».

(٣) حائط: بستان.

(٤) في نسختي باريس و(ب) «وقميص».

بايعْ. قال: لا، حتى يبايع الناس. قال: ائتني بكفيل. قال: لا أرى كفيلاً. قال الأشتر: دَعْني أضربْ عنقَه! قال عليٌّ: دعوه أنا كفيله، إنك ما علمتُ لَسيّء الخُلق صغيراً وكبيراً[1].

وبايعت الأنصار إلّا نُفيراً يسيراً، منهم: حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومَسلمة بن مُخَلّد، وأبو سعيد الخُدْريّ، ومحمد بن مَسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خَدِيج، وفَضالة بن عُبيد، وكعب بن عُجْرَة[2]، وكانوا عثمانية؛ فأمّا حسّان فكان شاعراً لا يبالي ما صنع، وأمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلمّا حُصر عثمان قال: يا معشرَ الأنصار كونوا أنصاراً لله، مرّتين، فقال له أبو أيّوب: ما تنصره إلّا لأنّه أكثر لك من العبدان. وأمّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مُزينة وترك له ما أخذ منهم؛ ولم يبايعه عبد الله بن سلّام، وصُهيب بن سنان، وسلمة بن سلامة بن وَقْش، وأسامة بن زيد، وقُدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة[3].

فأمّا النعمان بن بشير فإنّه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قُطعت وقميص عثمان الذي قُتل فيه، وهرب به فلحِق بالشام، فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدّاً في أمرهم، ثمّ رفعه، فإذا أحسّ منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرّك لها حُوارها تحنّ[4]، فيعلّقها.

وقد قيل: إنّ طلحة والزبير إنّما بايعا عليّاً كرهاً، (وقيل: لم يبايعه الزبير، ولا صُهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد.

فأمّا على قول من قال: إن طلحة والزبير بايعا كرهاً فقال)[5]: إنّ عثمان لما قُتل بقيت المدينةُ خمسة أيّام وأميرها الغافقيّ بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة، ووجدوا بني أميّة قد هربوا إلّا من لم يطق الهرب، وهرب سعيد والوليد ومروان إلى مكّة، وتبِعهم غيرهم، فأتَى المصريون عليّاً فباعدهم، وأتى الكوفيون الزبيرَ فباعدهم، وأتَى البصريون طلحةَ فباعدهم، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن[6] يلي

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) في نسخة باريس «لحر»، وفي نسخة (ب) «عجرد».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٢٩، ٤٣٠.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١/٣٤٠.

(٥) ما بين القوسين ليس في (س)، وجاء بدله «فزعم قائل هذا».

(٦) في نسخة (ر): «على من».

الخلافة. فأرسلوا إلى سعد يطلبونه، فقال: إنّي وابن عمر لا حاجة لنا فيها، فأتوا ابن عمر فلم يُجبهم، فبقوا حيارى. وقال بعضهم لبعض: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة. فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم: يا أهلَ المدينة أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وحكمكم جائز على الأمّة، فانظروا رجلاً تنصّبونه ونحن لكم تبَعٌ، وقد أجّلناكم[1] يومكم، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنّ غداً عليّاً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً! فغشي الناسُ عليّاً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتُلينا به من بين القرى. فقال عليّ: دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم به[2] القلوب ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم، واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، إلاّ أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه. ثمّ افترقوا على ذلك واتّعدوا الغد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريّون إلى الزبير حُكَيم بن جَبَلة وقالوا: احذر لا تُحابِه، ومعه نفر، فجاؤوا به يحدُّونه بالسيف، فبايع، وبعثوا إلى طلحة الأشترَ ومعه نفر، فأتَى طلحةَ، فقال: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه، فجاء به يتلّه تلاً عنيفاً، وصعد المنبرَ فبايع. وكان الزبير يقول: جاءني لصّ من لصوص عبد القيس فبايعتُ والسيف على عنقي، وأهل مصر فرحون بما[3] اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهلَ الكوفة والبصرة أن صاروا[4] أتباعاً لأهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.

ولما أصبحوا يوم البيعة، وهو يوم الجمعة، حضر الناس المسجد، وجاء عليّ فصعد المنبر وقال: أيّها الناس، عن ملإٍ وإذن، إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقّ إلاّ من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي دونكم إلاّ مفاتيح ما لكم معي، وليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم وإلاّ فلا أجِدُ[5] على أحد[6]. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.

---

(١) في نسخة (ر) «أخليناكم».
(٢) في نسخة باريس «له».
(٣) في الطبعة الأوربية «فلما».
(٤) في الطبعة الأوربية «كانوا».
(٥) في الطبعة الأوربية: «أحد».
(٦) في نسخة (ر) «فقالوا الحق».

فقال: اللهمّ اشهد. ولما جاؤوا بطلحة ليبايع قال: إنّما أبايع كُرهاً. فبايع، وكان به شلل، فقال رجل يعتاف: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أوّل يد بايعت يد شلاّء، لا يتم هذا الأمر! ثمّ جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع، وفي الزبير اختلاف، ثمّ جيء بعده بقوم كانوا قد تخلّفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل، فبايعهم، ثمّ قام العامّةُ فبايعوا، وصار الأمر أمر أهل المدينة وكأنّهم كما كانوا فيه وتفرّقوا إلى منازلهم.

وبويع يومَ الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحجّة، والناس يحسبون بيعته من [يوم] قُتِلَ[1] عثمان.

وأوّل خطبة خطبها عليّ حين استُخلف حَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ الله أنزل كتاباً هادياً يبيّن فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ، الفرائضَ الفرائضَ أدّوها إلى الله تعالى يؤدّكم إلى الجنة. إنّ الله حرّم حُرُماتٍ غير مجهولة، وفضّل حرمةَ المسلم على الحُرَم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحقّ، لا يحلّ دم امرىءٍ مسلم إلاّ بما يجب. بادروا أمرَ العامة، وخاصّة أحدكم[2] الموت، فإنّ الناس أمامكم وإنّ ما [من] خلفكم الساعة تحدوكم. تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر الناس آخراهم. اتّقوا الله عبادَ الله في بلاده وعباده، إنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله فلا تَعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشرّ فدعوه، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[3]. ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئيّة:

خُذْهـا إليـكَ واحـذرنْ أبـا حسنْ	إنّـا[4] نُـمِـرّ الأمـرَ إمـرارَ الـرَّسَنْ
صـولـةَ أقـوامٍ كـأشـداد[5] السُّفُـنْ	بـمشـرفـيّـاتٍ كـغُـدرانِ الـلّـبَـنْ
ونـطعـنُ[6] المـلْكَ بِلَيْـنٍ كـالشّـطَنْ	حتـى يُـمَـرَّنَّ[7] عـلى غـيـرِ عَـنَـنْ

فقال عليّ:

إنّـي عـجـزتُ عـجـزَةً لا أعـتَـذِرْ	سـوفَ أكيسُ بـعـدَهـا وأسـتـمِـرّ

---

(١) في الطبعة الأوربيـة «قبل».
(٢) في النسخة (ر): «إذا أخذكم».
(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٦.
(٤) في الطبعة الأوربيـة «إنما».
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٤٣٧ «كأسداد».
(٦) في النسخة (ر): «يتقطع».
(٧) في الطبعة الأوربيـة «يمرّرن».

إن لم يُشاغبني العَجولُ المنتصرْ إن تَتركوني والسّلاحَ يَبتَدِرْ

ورجع عليّ إلى بيته، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا: يا علي إنّا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم. فقال: يا إخوتاه إنّي لستُ أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خِلاطكم[1] يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترَون موضعاً لقدرة على شيء ممّا تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا والله لا أرى إلّا رأياً ترَونه أبداً إلّا أن يشاء الله. إنّ هذا الأمر أمر جاهلية، وإنّ لهؤلاء القوم مادّة، وذلك أنّ الشيطان لم يشرع شريعة قطّ، فيبرح الأرض [مَنْ] أخذ بها أبداً. إنّ الناس من هذا الأمر إن حُرّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدأوا عنّي، وانظروا ماذا يأتيكم ثمّ عودوا. واشتدّ على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها، وإنّما هيّجه على ذلك هربُ بني أميّة وتفرّق القوم، فبعضهم يقول ما قال عليّ، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخّره، والله إنّ عليّاً لمستغنٍ برأيه وليكوننّ أشدّ على قريش من غيره.

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنّه ليس له من سلطانهم (إلّا ذاك)[2] والأجر من الله عليه، ونادى: برئت الذمّة من عبد لا يرجع إلى مولاه. فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء. وقال: أيّها الناس أخرجوا عنكم الأعرابَ فليلحقوا بدياههم، فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب. فدخل عليٌّ بيته، ودخل عليه طلحةُ والزبير وعدّةٌ من أصحاب النبيّ ﷺ، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه. فقالوا: (عشوا[3] عن ذلك)[4]. فقال: هم والله بعد اليوم أعشى[5]! وقال:

ولَوْ أنّ قومي طاوعَتني سراتهُم أمرتُهُمُ أمراً يديخُ الأعاديا[6]

وقال طلحة: دعني آتِ البصرة فلا يفجأك إلّا وأنا في خيل. وقال الزبير: دعني آتِ الكوفة فلا يفجأك إلّا وأنا في خيل. فقال: حتى أنظر في ذلك.

---

(١) في نسخة باريس «جلابكم».
(٢) في نسخة (ر) «الأول».
(٣) في الطبعة الأوربية «عسوا».
(٤) في نسخة (ر) «عتوا عتوا».
(٥) في نسخة (ر) «اعتنى»، وفي الطبعة الأوربية «أعسى».
(٦) في الطبعة الأوربية «وبذبح الأعدايا». والبيت في تاريخ الطبري ٤/٤٣٨.

قيـل: وقال ابن عبّـاس: أتيتُ عليّاً بعـد قتل عثمـان عند عـودي من مكّة فـوجدتُ المغيرةَ بن شعبة مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرّته هذه: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وأنت بقية الناس، وإنّ الـرأي اليوم تُحـرز به ما في غد، وإنّ الضَّياع اليـوم يضيِّع بـه ما في غـد، أقرر[1] معـاوية وابنَ عـامر وعمّـال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بَيْعتهم ويسكنَ الناسُ، ثمّ اعزل من شئتَ، فـأبيتُ عليه ذلـك وقلت: لا أداهن في ديني ولا أعطي الـدنيَّة في أمـري. قال: فـإن كنتَ أبيتَ عليّ فانزع مَن شئتَ واترك معاوية، فإنّ في معاوية جرأة، وهو في أهل الشام يُستمع منه، ولك حُجَّة في إثباته، كان عمر بن الخطّاب قد ولّاه الشام. فقلت: لا والله لا أستعمـل معاويـة يومين! ثمّ انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنّه يودّ أنّي مخطىء، ثمّ عاد إليّ الآن فقال: إنّي أشرتُ عليك أوّل مرّة بالذي أشرتُ وخالفتني فيه، ثمّ رأيتُ بعد ذلك أن تصنع الذي رأيتَ فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقـد كفى اللَّهُ وهم أهونُ شـوكة ممّـا كان. قـال ابن عبّاس: فقلتُ لعليّ: أمّا المرّة الأولى فقد نصحك، وأمّا المرّة الثانيـة فقد غشّـك. قال: ولمَ نصحني؟ قلتُ: لأنّ معـاوية وأصحـابه أهـل دنيا فمتى تثبّتهم لا يبـالوا مَن وليَ هـذا الأمـر، ومتى تعزلهم يقـولوا[2]: أخـذ هذا الأمـر بغير شـورى وهو قتـل صاحبنـا؛ ويؤلّبون عليك، فتنتقض عليك الشامُ وأهلُ العراق، مع أنّي لا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعليَّ أن أقلعه من منزله، وقال علي: والله لا أعطيه إلّا السيف! ثمّ تمثّل:

ومـا ميتـةٌ إن متُّهـا غيـر عـاجـز   بعـارٍ إذا مـا غـالتِ النفسَ غُـولُهـا[3]

فقلت: يـا أميـر المؤمنين أنتَ رجـلٌ شجـاع لستَ صـاحب رأيٍ في الحـرب، أمـا سمعتَ رسـولَ الله ﷺ، يقـول: الحـرب خـدعـة؟ فقـال: بلى. فقلتُ: أمَـا[4] والله لئن أطعتني لأصدرنّهم بعد وِرد[5]، ولأتركنّهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجههـا في غير نقصان عليـك ولا إثم لك. فقـال: يا ابن عبـاس لستُ من هناتـك ولا من هنات معـاوية في شيء. قـال ابن عباس: فقلت لـه: أطعني والحق بما لـك بِيَنْبُع وأغلق بـابك عليـك، فإنّ العـرب تجول جـولة وتضـطّرب ولا تجد غيـرك، فإنّـك والله لئن نهضتَ مع هؤلاء اليـوم ليحمِّلنّك النـاسُ دمَ عثمـان غـداً. فـأبَى عليٌّ فقـال: تشيـر عليَّ وأرى فـإذا

---

(١) في نسخة (ر) «أقم».
(٢) في الأوربيـة: فمتى ثبّتهم لا يبالون من وليَ هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولون.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤١.
(٤) في الطبعة الأوربيـة: «أم».
(٥) في نسختي باريس و(ر): «الورود».

عصيتك فأطعني. قال: فقلت: أفعلُ، إنّ أيسر ما لك عندي الطاعة. فقال له عليّ: تسير إلى الشام فقد ولّيتكها[1]. فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية رجل من بني أميّة، وهو ابن عمّ عثمان وعامله، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، وإنّ أدنى ما هو صانعٌ أن يحبسني فيتحكّم[2] عليَّ لقرابتي منك، وإنّ كلّ ما حُمل عليك حُمل عليّ، ولكن اكتبْ إلى معاوية فمنّه وعِدْه. فقال: لا والله، لا كان هذا أبداً[3]!

وكان المغيرة يقول: نصحته فلمّا لم يقبل غَشَشْتُه. وخرج فلحق بمكّة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، أعني سنة خمسٍ وثلاثين، سار قسطنطين بن هِرَقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين (قبل قتل عثمان)[4]، فسلّط الله عليهم ريحاً عاصفاً فغرّقهم، ونجا قسطنطين فأتَى صِقِلّية، فصنعوا له حمّاماً، فدخله فقتلوه فيه وقالوا: قتلتَ رجالنا. هكذا قال أبو جعفر[5].

وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصّواري سنة إحدى وثلاثين، وقتله أهل صِقِلّية في الحمّام، وإن كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الوقعة فيها، فلولا قوله: إنّ المراكب غرقت، لكانت هذه الحادثة هي تلك، فإنّها في قول بعضهم: كانت سنة خمسٍ وثلاثين.

[الوَفَيات]

وفي خلافة عثمان مات أَوس بن خَوليّ[6] الأنصاريّ. وفي خلافة عثمان أيضاً مات الجُلاس بن سُويد الأنصاريّ، وكان من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، وحَسُنَت توبتُه، وفيها مات الحارث بن نوفل[7] بن الحارث بن عبد المطّلب، والد الملقّب ببَبَّة.

---

(١) في النسخة (ر): «أعطيتكها».

(٢) في النسخة (ر) «فيستحكم».

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤٠.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (س).

(٥) في تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٤١، وفي النسخة (س) زيادة «قيل».

(٦) انظر عن أوس في: المغازي للواقدي ٩ و١٦٦ و٣٣٤ و٤١٧ و٤٢٠ و٥٨٨ و٥٨٩ و٦٠٢ و٦١٠ و٧٣٥ و١٠٥٩، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٤٩، وطبقات ابن سعد ٣/٥٤٢، ٥٤٣، والمحبّر ٧٢ و٤٢٤، وتاريخ الطبري ٣/٢١١ ـ ٢١٣، وأنساب الأشراف ١/٤٤٥ و٥٦٩ و٥٧٧، والمعجم الكبير ١/٢٢٩، ٢٣٠ رقم ٣٤، وأسد الغابة ١/١٤٤، ١٤٥، والاستيعاب ١/٧٧، ٧٨، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) ٣/٣٣٨، والوافي بالوفيات ٩/٤٤٦ رقم ٤٣٩٣، والإصابة ١/٨٤ رقم ٣٣٤، والبداية والنهاية ٧/٢٢٠.

(٧) انظر عن الحارث بن نوفل في: طبقات ابن سعد ٤/٥٦، ٥٧، و٧/١٤، والمحبّر ١٠٤، والتاريخ الكبير=

وفي آخرها مات الحَكَم بن أبي العاص[1]، وهو والد مروان وعمّ عثمان. وفيها مات حبّان بن مُنْقذ الأنصاريّ، وهو والد يحيَى بن حَبّان، بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة؛ وفيها مات عبد الله بن قيس[2] بن خالد الأنصاريّ، وقيل: بل قُتل بأُحُد شهيداً. وفي خلافته مات قُطْبة[3] بن عامر الأنصاريّ، وهو عَقَبي بدْريّ. وفي خلافته مات زيد بن خارجة[4] بن زيد الأنصاريّ، وهو الذي تكلّم بعد موته؛ وفيها قُتل مَعْبَد[5] بن

= ٢٦٤/٢ رقم ٢٤٠٢ و٢/٢٨٣ رقم ٢٤٧٧، وتاريخ خليفة ١٩٥ و٤٠١، وأنساب الأشراف ١/٤٤٠، ق ٣/٢٩٧، ق ٤ ج ٦/١ و١٦، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ١٤٧ رقم ٧٤٣، والمعجم الكبير ٣/٢٦٨، ٢٦٩ رقم ٢٦٨، والعقد الفريد ١٣٣/٤، والاستيعاب ٢٩٧/١، ومشاهير علماء الأمصار ٣٥ رقم ٢٠٠، والجرح والتعديل ٩١/٣ رقم ٤٢٣، وجمهرة أنساب العرب ٧٠، وأسد الغابة ٣٥٠/١، ٣٥١، والزيارات للهروي ٨١، وتهذيب الكمال ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٤ رقم ١٠٤٩، وتلقيح فهوم الأثر ١٧٨ و٣٧٩، والكاشف ١٤١/١ رقم ٨٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٩٩/١ رقم ٢٨، وتاريخ الإسلام ٣٣٨/٣، ٣٣٩، وتجريد أسماء الصحابة، رقم ١٠٣٩، والوافي بالوفيات ٢٤٢/١١، ٢٤٣ رقم ٣٤٨، والعقد الثمين ٢٩/٤، وتهذيب التهذيب ١٦٠/٢، ١٦١ رقم ٢٧٩، وتقريب التهذيب ١٤٤/١ رقم ٧٢، والإصابة ٢٩٢/١، ٢٩٣ رقم ١٥٠٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ٦٩.

(١) انظر عن الحكم في: المغازي للواقدي ٥٩٤ و٨٤٦، وتهذيب سيرة ابن هشام ٨٥، والسير والمغازي ١٤٤، والأخبار الموفّقيّات ٢٥٧ و٤٠٣، والبرصان والعرجان ٦٩ و٢٧٥ و٢٧٦ و٣٦٢، والمحبّر لابن حبيب ٤٥١، والتاريخ لابن معين ١٢٤/٢، وطبقات ابن سعد ٤٤٧/٣ و٥٠٩، وطبقات خليفة ١٩٧، وتاريخ خليفة ١٣٤ و١٤١ و١٤٢، والتاريخ الكبير ٣٣١/٢ رقم ٢٦٥١، والمعارف ٧٣ و١٩٤ و٣٥٣ و٥٧٦، وفتوح البلدان ٤٣٣، وأنساب الأشراف ١٢٤/١ و١٥١، ق ٣٠٤/٣، ق ٤ ج ٥٨/١ و١١٧ و٤٧٩ و٤٨٢ و٥١٣ ـ ٥١٥، و٥٢٧، ق ٢/٥ و٢٧ و٢٨ و٣٨ و١٢٥ و١٢٦ و١٦٠ و٢٠٤، وتاريخ الطبري ١٨٨/٣، و١٧٦/٤ و٣٤٧ و٣٩٩، و٥٨/١٠، والجرح والتعديل ١٢٠/٣ رقم ٥٥٦، والاستيعاب ٣١٦/١، ٣١٧، وجمهرة أنساب العرب ٧٩ و٨٠ و٨٢ و٨٧ ـ ٨٩، والعقد الفريد ٣٦٤/٢ و٣٩٤ و٣٤/٤ و٢٨٣، ومروج الذهب ٣٣٤/٢ و١٨٠/٣، والخراج وصناعة الكتابة ٣٨٦، ٣٨٧، وأسد الغابة ٣٥/٢، والتذكرة الحمدونية ٧٦/٢، والعبر ٣٢/١، وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٢، ١٠٨ رقم ١٤، وتاريخ الإسلام ٣٦٥/٣ ـ ٣٦٨، ونكت الهميان ١٤٦، والوافي بالوفيات ١١٢/١٣ رقم ١٢٠، ومرآة الجنان ٨٥/١، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢٠٧/١ و٢٤٦/٢، والإصابة ٣٤٥/١، ٣٤٦ رقم ١٧٨١، ووفيات الأعيان ٢٢٦/٢، وشذرات الذهب ٣٨/١.

(٢) انظر عن عبد الله بن قيس في: طبقات ابن سعد ٤٩٤/٣، ٤٩٥، والمحبّر ٢٨٠، والمغازي للواقدي ١٦٢ و٩١٦، وأنساب الأشراف ٣٣٣/١، والاستيعاب ٣٧٠/٢، وتاريخ الإسلام ٣٤٤/٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والإصابة ٣٥٩/٢ رقم ٤٨٩٦.

(٣) انظر عن قطبة في: المغازي ٧ و٩ و٢٤ و١٤٠ و١٧٠ و٢٤٣ و٣٣٥ و٤٩٨ و٧٥٤ و٧٥٥ و٧٦٣ و٨٠٠ و٩٨١، وطبقات ابن سعد ٥٧٨/٣، ٥٧٩، وأنساب الأشراف ٢٣٩/١ و٢٤٧ و٣٠٢ و٣٢٣ و٣٨٠، وتاريخ الطبري ٣٥٥/٢، ٣٥٦، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ٢٠٣/١)، والجرح والتعديل ١٤١/٧ رقم ٧٨٨، والاستيعاب ٢٥٦/٣، ٢٥٧، والمستدرك ٢٢٥/٣، وأسد الغابة ٢٠٥/٤، ٢٠٦، وتاريخ الإسلام ٣٤٧/٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والإصابة ٢٣٧/٣ رقم ٧١١٨.

(٤) انظر عن زيد بن خارجة في: مسند أحمد ١٩٩/١، والتاريخ الكبير ٣٨٣/٣، ٣٨٤ رقم ١٢٨١، والأخبار =

العباس بن عبد المطّلب بإفريقية في آخر خلافة عثمان؛ وفيها مات مُعَيْقِيب[1] بن أبي فاطمة[2]، وكان من مهاجرة الحبشة، وكان على خاتم رسول الله ﷺ وقيل: بل مات سنة أربعين في خلافة عليّ؛ وفيها مات مطيع بن الأسود العدويّ، وكان إسلامه يوم الفتح. وفي خلافته مات نُعَيم[3] بن مسعود الأشجعيّ، وقيل: بل قُتل في وقعة الجمل مع

= الموفّقيّات ٤٨٥ و٤٨٧ و٤٨٨، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ١٤٩ رقم ٧٦٧، والمعارف ١٧٣، والمعرفة والتاريخ ١/٣٠١ و٣/٣٨٣، وأنساب الأشراف ١/٢٤٤، والجرح والتعديل ٣/٥٦٢ رقم ٢٥٤١، والمعجم الكبير ٥/٢٤٨ - ٢٥٠ رقم ٤٨٧، ومشاهير علماء الأمصار ١٧ رقم ٥٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٤، وأسد الغابة ٢/٢٢٧، والاستيعاب ١/٥٦١ - ٥٦٣، وتحفة الأشراف ١/٢٢٩ رقم ٦٦٦، وتهذيب الكمال ١/٤٥٢، ٤٥٣، والكاشف ١/٢٦٥ رقم ١٧٥٠، وتاريخ الإسلام ٣/٣٤٠، ٣٤١، والوافي بالوفيات ١٥/٤٢، ٤٣ رقم ٤٥، وتجريد أسماء الصحابة ١/١٩٨، وتهذيب التهذيب ٣/٤٠٩، ٤١٠ رقم ٧٤٧، وتقريب التهذيب ١/٢٧٤ رقم ١٧٩، والإصابة ١/٥٦٥ رقم ٢٨٩٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٢٧، ١٢٨.

(٥) انظر عن معبد في: طبقات خليفة ٢٣٠ و٢٩١، والمحبّر ١٠٧ و٤٠٩ و٤٥٥، والمعارف ١٢١ و١٢٢، وأنساب الأشراف ١/٤٤٧، ق ٣/٢٢ و٢٣ و٦٦ و١٤٣، وفتوح البلدان ٢٦٧ و٢٦٩، والخراج وصناعة الكتابة ٣٤٣ و٣٥٦، والاستيعاب ٣/٤٥٦، ٤٥٧، ومقاتل الطالبيين ٢٠، وجمهرة أنساب الأشراف ١٨ و٤٣٥، وأسد الغابة ٤/٣٩٢، وتاريخ الإسلام ٣/٣٥٦، والبداية والنهاية ٧/٢٢٢، والإصابة ٣/٤٧٩ رقم ٨٣٢٨.

---

(١) في نسخة باريس «معتب».

(٢) انظر عن معيقيب في: مسند أحمد ٣/٤٢٦ و٥/٤٢٥، ٤٢٦، والسير والمغازي ٢٢٧، والمغازي للواقدي ٧٢١، وطبقات ابن سعد ٤/١١٦ - ١١٨، والتاريخ لابن معين ٢/٥٧٨، وتاريخ خليفة ٩٩ و١٥٦ و١٩٩ و٢٠٢، وطبقات خليفة ١٣ و١٢٣، والمحبّر لابن حبيب ١٢٧، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٢٣٨، والمعارف ٣١٦ و٥٨٤، والتاريخ الكبير ٨/٥٢، ٥٣ رقم ٢١٢٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٦، والمعرفة والتاريخ ٢/٤٦٧، وأنساب الأشراف ١/٢٠٠ وق ٤ ج ١/٤٥٥ و٥٤٨ و٥/٥٨، والجرح والتعديل ٨/٤٢٦ رقم ١٩٣٨، وفتوح البلدان ٦ و٤٣١، والاستيعاب ٣/٤٧٦، ٤٧٧، والمعجم الكبير ٢٠/٣٤٩ - ٣٥٢، ومشاهير علماء الأمصار ٢٨ رقم ١٣٥، والعقد الفريد ٤/١٦١ و٢٧٣، وأسد الغابة ٤/٤٠٢، ٤٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/١٠٨ رقم ١٥٧، والتذكرة الحمدونية ١/١٤١، وتهذيب الكمال ٣/١٣٥٨، وتحفة الأشراف ٨/٤٦٨، ٤٦٩ رقم ٥٣٧، والكاشف ٣/١٤٧ رقم ٥٦٧٩، والعبر ١/٤٧، وتاريخ الإسلام ٣/٣٥٦، ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩١ - ٤٩٣ رقم ١٠٢، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٥٤ رقم ٤٥٦، وتقريب التهذيب ٢/٢٦٨ رقم ١٣٠٢، والبداية والنهاية ٧/٢٢٢، والإصابة ٣/٤٥١ رقم ٨١٦٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩٧، وشذرات الذهب ١/٤٨.

(٣) انظر عن نعيم في: المغازي للواقدي ١٩٨ و٣٢٧ و٣٧٥ و٣٨٦ و٣٨٧ و٣٨٩ و٤٨٠ و٤٨٢ و٤٨٣ و٤٨٤ و٤٨٦ و٤٨٧ و٥٣٠ و٧٩٩ و٨٢٠ و٩٩٠، وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٤ - ١٩٦ و٣٢٥، وطبقات ابن سعد ٤/٢٧٧ - ٢٧٩، وتاريخ خليفة ١٨٢، وطبقات خليفة ٤٧ و٣٢٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٦٠ و٥٧٨ و٥٧٩ و٣/١٤٦ و١٨٧ و٤/٧٢ - ٧٤، والجرح والتعديل ٨/٤٥٩ رقم ٢١٠٣، والاستيعاب ٣/٥٥٧، ٥٥٨، وأنساب الأشراف ١/٣٤٠ و٣٤٥ و٥٣٠، والتاريخ الكبير ٨/٩٢ رقم =

مُجاشع بن مسعود؛ وفي خلافته مات عبد الله بن حُذافة[1] السهميّ، وهو بدْريّ، وكان فيه دُعابة؛ وفيها مات عبد الله بن أبي ربيعة[2] المخزوميّ والد عمر الشاعر، وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حُصر فسقط عن راحلته فمات؛ وأبو رافع[3] مولى

= ٢٣٠٦، وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠، وأسد الغابة ٣٣/٥، ٣٤، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ٢/١٣١ رقم ١٩٨، وتهذيب الكمال ١٤٢٢/٣، والكاشف ١٨٣/٣ رقم ٥٩٦٧، وتاريخ الإسلام ٣٥٨/٣، والبداية والنهاية ٢٢٢/٧، والإصابة ٥٦٨/٣ رقم ٨٧٧٩، وتهذيب التهذيب ٤٦٦/١٠ رقم ٨٣٩، وتقريب التهذيب ٣٠٥/٢ رقم ١٣٣.

(١) انظر عن عبد الله بن حذافة في: مسند أحمد ٤٢٠/٣، ٤٥١، والمغازي للواقدي ٦٠٣ و٩٨٣ و١١٠٩، وطبقات ابن سعد ٧١٩/٤، ١٩٠، وطبقات خليفة ٢٦، وتاريخ خليفة ٧٩ و٩٨ و١٤٢، والمحبّر ٧٧، وتهذيب سيرة ابن هشام ٣٢٨، والأسامي والكنى للحاكم (الورقة ١٦٣/١)، وأنساب الأشراف ٢١٥/١ و٥٣١، والمعرفة والتاريخ ٢٥٢/١، والمعارف ١٣٥، وفتوح البلدان ٢٥٣ و٢٦٠ و٣٥٨، وتاريخ الطبري ٦٤٤/٢ و٦٥٤ و٦٨/٣، والمستدرك ٣٦٠/٣، ٣٦١، والخراج وصناعة الكتابة ١٦٨ و٣٢٨، وأسد الغابة ١٤٢/٣ - ١٤٤، ومشاهير علماء الأمصار ٣٦ رقم ٢٠٥، وجمهرة أنساب العرب ١٦٥، وتحفة الأشراف ٣١٠/٤ - ٣١٢ رقم ٢٨٣، وتهذيب الكمال ٦٧٤/٢، وتلخيص المستدرك ٦٣٠/٣، ٦٣١، وسير أعلام النبلاء ١١/٢ - ١٦ رقم ٢، وتاريخ الإسلام ٣٤٢/٣، ٣٤٣، والبداية والنهاية ٢٢١/٧، والوافي بالوفيات ١٢٥/١٧، ١٢٦ رقم ١٠٩، وتهذيب التهذيب ١٨٥/٥ رقم ٣١٩، وتقريب التهذيب ٤٠٩/١ رقم ٢٥٢، والنكت الظراف ٣١١/٤، ٣٨٢، والإصابة ٢١٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٩٤.

(٢) انظر عن ابن أبي ربيعة في: المغازي للواقدي ٣٣ و٨٩ و١٣٠ و١٤٠ و١٩٨ و١٩٩ و٢٢٠ و٧٣٠ و٧٨٥ و٨٢٩ و٨٦٣ و٥٩٥، والسير والمغازي ١٥٩ و١٦٩ و٢١٣ و٢١٤ و٢١٥ و٣٢٢، والمحبّر ٦٦ و٦٧، وتهذيب سيرة ابن هشام ٧٣ - ٧٦ و٧٧ و١٥٦، وتاريخ خليفة ١٥٤، وطبقات خليفة ٢١، والتاريخ الكبير ٩/٥، ١٠ رقم ١٦، والمعرفة والتاريخ ٢٤٨/١، وأنساب الأشراف ٢٣٢/١ - ٢٣٤ و٢٩٨ و٣٠٢ و٣١٢ و٣١٦ و٣٦٣، ق ٤ ج ٥٠٤/١ و٥٧٨، والجرح والتعديل ٥١/٥ رقم ٢٣٣، وتاريخ الطبري ٣٣٥/٢ و٥٠٠ و٢١٤/٤، و٢٤١ و٤٢١، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٦١، وأسد الغابة ١٥٥/٣، وتحفة الأشراف ٣١٨/٤ رقم ٢٩٠، وتهذيب الكمال ٦٨٠/٢، والكاشف ٧٦/٢ رقم ٢٧٤٢، والعبر ٣٦/١، وتاريخ الإسلام ٤٦٥/٣ - ٤٦٧، ومرآة الجنان ٨٩/١، ٩٠، ونسب قريش ٣١٧، وطبقات ابن سعد ٤٤٤/٥، وتهذيب التهذيب ٢٠٨/٥ رقم ٣٦١، وتقريب التهذيب ٤١٤/١ رقم ٢٩٤، والإصابة ٣٠٥/٢ رقم ٤٦٧١، وشذرات الذهب ٤٠/١.

(٣) انظر عن أبي رافع في: المغازي للواقدي ٢١٤ و٣٧٨ و٧٤٠ و٨٢٨ و٨٢٩ و٨٨٢ و١٠٧٩ و١٠٨٠ و١٠٨١ و١١١٣، وتهذيب سيرة ابن هشام ٢٣٨، ومسند أحمد ٨/٦ - ١٠ و٣٩٠ - ٣٩٣، وطبقات ابن سعد ٧٣/٤ - ٧٥، والتاريخ لابن معين ٧٠٤/٢، وتاريخ خليفة ٢٢، والمحبّر لابن حبيب ٩٢، و١٢٨ و٤٠٦، والمعارف ١٤٥، ١٤٦، ومقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد ٨٤ رقم ٤٩، والمعرفة والتاريخ ٥١١/١، ٥١٢، وأنساب الأشراف ٢٦٩/١ و٤١٤ و٤٤٥ و٤٤٦، و٤٤٩، و٤٧٧، و٤٧٨ و٤٨٣ و٥٤٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢٨/١ و٧٠، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥١، وتاريخ الطبري ٤٠٠/٢ و٤٦١ و٤٦٢، و١٣/٣ و٢٥ و٩٥ و١٧٠ و١٥٦/٤ و١٨٠/٦، ومشاهير علماء الأمصار ٢٩ رقم ١٤٣، والجرح والتعديل ١٤٩/٢، والمعجم الكبير ٢٨٦/١، والمستدرك ٥٩٧/٣، ٥٩٨، والأسامي =

رسول الله ﷺ، وقيل: مات في خلافة عليّ، وهو أصحّ.

وفي خلافته تُوُفّي أبو سَبرة [1] بن أبي رُهْم العامريّ من عامر بن لُوَيّ، وهو بدْريّ.

وفيها مات هاشم بن عُتبة [2] بن ربيعة خال معاوية، أسلم يوم الفتح وكان صالحاً؛ وفيها مات أبو الدرداء [3]، وقيل: عاش بعدَه، والأوّل أصحّ.

= والكنى للحاكم (ورقة ١/١٩٦)، والاستيعاب ٤/٦٨، وأسد الغابة ٥/١٩١، وتهذيب الأسماء ق ١ ج ٢/٢٣٠ رقم ٣٤٢، وتحفة الأشراف ٩/١٩٨ - ٢٠٦ رقم ٦١٧، وتهذيب الكمال ٣/١٦٠٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٨ رقم ١٤٤، والكاشف ٣/٢٩٤ رقم ١٤٩، وتاريخ الإسلام ٣/٦٦٨، وتلخيص المستدرك ٣/٥٩٧، ٥٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢/١٦، ١٧ رقم ٣، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٥، وتهذيب التهذيب ١٢/٩٢، ٩٣ رقم ٤٠٧، وتقريب التهذيب ٢/٤٢١ رقم ٥، والنكت الظراف ٩/٢٠٠ و٢٠٤ و٢٠٥، والإصابة ٤/٦٧ رقم ٣٩١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩.

(١) انظر عن أبي سبرة في: طبقات ابن سعد ٣/٤٠٣، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و١٧٣، والسير والمغازي ٢٢٤، ٢٢٥، والمغازي للواقدي ١٥٦ و٣٤١، وتهذيب سيرة ابن هشام ٧٢، وطبقات خليفة ٢٦، والمعارف ١٢٨ و١٣٧، وأنساب الأشراف ق ٣/٣١٢، والكنى والأسماء للدولابي ١/٣٦، وتاريخ الطبري ٢/٣٣٠، ٣٣١، و٤/٥٠ و٨١ و٨٢ و٨٤ و٨٦ و٩١ - ٩٣، والاستيعاب ٤/٨٢، ٨٣، والأسامي والكنى للحاكم (ورقة ١/٢٦٣)، وجمهرة أنساب العرب ١٦٩، وأسد الغابة ٥/٢٠٧، وتاريخ الإسلام ٣/٣٦٠، والبداية والنهاية ٧/٢٢٣، والإصابة ٤/٨٤ رقم ٥٠٠.

(٢) انظر عن هاشم بن عتبة في: المحبّر لابن حبيب ٦٩ و٢٦١ و٢٩١ و٣٠٢، وفتوح الشام للأزدي ٢٧ و٣٣ و٩٦ و١٢٣ و١٨٩ و٢١٧، وتاريخ خليفة ١٣٧ و١٤٠ و١٩٣، ١٩٤، وطبقات خليفة ١٢٦، ونسب قريش ٢٦٣، ٢٦٤، والأخبار الطوال ١٢٠ و١٢١ و١٤٤ و١٧١ و١٧٢ و١٧٤، وفتوح البلدان ١٦٠ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٧٠، وتاريخ الطبري ٣/٣٩٦ و٤٠٠ و٤٩٧ و٥٤٣ و٥٤٩ و٥٥١ و٥٥٤ و٥٧٨ و٦١٩ و٦٢٠ و٦٢٢ و٤/٢٤ و٢٥ و٢٨ و٣٣ و٣٤ و٣٧ و٥٣ و٢٥٢ و٤٩٩ و٥٩٧ و٥/١١ و١٢ و٤٠ و٤٢ و٤٤ و١١٠، والمنتخب من ذيل المذيل ٥١١، ٥١٢، والخراج وصناعة الكتابة ٣٦٠، ٣٦١ و٣٧٠، ومشاهير علماء الأمصار ١٤ رقم ٤٠، والتذكرة الحمدونية ٢/٤٥١ و٤٧٨، ولباب الآداب ١٧٩، وأسد الغابة ٥/٤٩، ٥٠، ومروج الذهب ٣/١٣٠، والاستيعاب ٣/٦١٩ - ٦٢٢، والمستدرك ٣/٣٩٥، ٣٩٦، وتاريخ بغداد ١/١٩٦ رقم ٣٤، والعبر ١/٣٩، وتاريخ الإسلام ٣/٥٨٤، ٥٨٥، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٨٦ رقم ١٠٨، وتلخيص المستدرك ٣/٣٩٥، ٣٩٦، والعقد الثمين ٧/٣٥٩، ومرآة الجنان ١/١٠١، والإصابة ٣/٥٩٣ رقم ٨٩١٢، وشذرات الذهب ١/٤٦.

(٣) مرّ في حوادث ووَفَيات سنة ٣١ هـ.

٣٦
ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين

ذكر تفريق[1] عليّ عُمّالَه وخِلاف معاوية

وفي هذه السنة فرّق عليّ عمّاله على الأمصار، فبعث عثمانَ بن حُنيف على البصرة، وعُمارةَ بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعُبيد الله بن عبّاس على اليمن، وقَيس بن سعد على مصر، وسهل بن حُنيف على الشام.

فأمّا سهل فإنّه خرج حتى إذا كان بتَبُوك لَقِيَتْهُ خيلٌ، فقالوا: مَن أنت؟ قال: أمير. قالوا: على أيّ شيء؟ قال: على الشام. قالوا: إنْ كان بعثك عثمانُ فحيَّ هلاً بك[2]، وإنْ كان بعثك غيرُه فارجع. قال: أوَما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى. فرجع إلى عليّ.

وأمّا قيس بن سعد فإنّه لما انتهى إلى أُيلة لقِيَتْه خيلٌ، فقالوا له: مَن أنت؟ قال: من فالّة عثمان، فأنا أطلب من آوي إليه فأنتصر به لله. قالوا: مَن أنت؟ قال: قيس بن سعد. قالوا: امضِ. فمضى حتى دخلَ مصر. فافترق أهلُ مصر فِرَقاً، فرقةً دخلت في الجماعة فكانوا معه، وفرقة اعتزلت بخَرْنبا[3] وقالوا: إنْ قُتل قَتَلَة عثمان فنحن معكم، وإلّا فنحن على جديلتنا حتى نُحرّك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع عليّ ما لم يُقِد من إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة. وكتب قيس إلى عليّ بذلك.

---

(١) في النسخة (ر): «استعمال».

(٢) في النسخة (ي): «فجيت أهلاً بك».

(٣) خَرْنَباء: موضع من أرض مصر، قال ياقوت: وقد سألت عنه أهل مصر فلم يعرفوا إلّا خربتا. (معجم البلدان ٢/٣٦٢) وخَرِبْتا: هكذا ضُبط في كتاب ابن عبد الحكم. وقد ضبطه الحازمي خرنبا بالنون ثم الباء، وهو خطأ. قال القُضاعي: وهو يعدّ كُوَر مصر ثم كور الحوف الغربي، وهو حوالي الإسكندرية: وخربتا، سألت عنه كُتّاب مصر فمنهم من قال بفتح الخاء، ومنهم من قال بكسرها. . وهو الآن خراب لا يُعرف. (معجم البلدان ٢/٣٥٥).
وقد أثبتها في تاريخ الطبري ٤/٤٤٢: «خَرِبْتا».

وأمّا عثمان بن حُنيف فسار ولم يردّه أحد عن دخول البصرة، ولم يجد لابن عامر في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب، وافترق الناسُ بها، فاتّبعت فرقةٌ القوم، ودخلت فرقةٌ في الجماعة، وقالت فرقة: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا.

وأمّا عُمارة بن شهاب، فلمّا بلغ زُبالة[1] لقيه طُليحة بن خُوَيلد، وكان خرج يطلب بثأر عثمان وهو يقول: لَهفي على أمرٍ لم يسبقني ولم أُدْرِكْه! وكان خروجه عند عَود القعقاع من إغاثة عثمان، فلمّا لقي عُمارة قال له: ارجع، فإنّ القومَ لا يريدون بأميرهم بَدَلاً، فإنْ أبيتَ ضَربتُ عنقَك. فرجع عمارة إلى عليّ بالخبر.

وانطلق عُبيد الله بن عباس إلى اليمن، فجمع يَعْلَى بن مُنْيَة كلّ شيء من الجباية وخرج به إلى مكّة، فقَدِمها بالمال، ودخل عُبيد الله اليمن.

ولما رجع سهل بن حُنيف من الشام، وأتت عليّاً الأخبارُ دعا طلحة والزُّبير فقال: إنّ الأمر الذي كنتُ أحذّركم قد وقع، وإنّ الذي قد وقع لا يُدرَك إلّا بإماتته[2]، وإنّها فتنة كالنار، كلّما سُعِّرت ازدادت واستثارت. فقالا له: ائذن لنا نخرج من المدينة، فإمّا أن نكاثر وإمّا أنْ تدعنا. فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدّاء الكَيّ[3].

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى. فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبيَّن الكارهَ منهم للذي كان، والراضي، ومَن بينِ ذلك، حتّى كان عليّ كأنّه يشاهدهم. وكان رسولَ عليّ إلى أبي موسى معبدُ الأسلمي، وكان رسوله إلى معاوية سَبرة الجُهَني، فقدِم عليه، فلم يُجبْه معاوية بشيء، كلّما تنجّز[4] جوابه لم يَزِدْ على قوله:

أَدِمْ إدامةَ حِصن[5] أو خُذا[6] بِيدي	حرباً ضَرُوساً تَشُبُّ الجَزْل والضَّرَما
في جارِكم وابنِكم إذْ كانَ مَقْتلهُ	شَنعاءَ شَيَّبتِ الأصداغَ واللِّمَمَا
أعيا المَسودُ بها والسيِّدون فلمْ	يُوجَد[7] غيرُنا مولًى ولا حَكَمَا

---

(١) زُبالة: بضم أوّله، منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. وقال أبو عبيد السَّكوني: زُبَالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق. (معجم البلدان ٣/١٢٩).

(٢) في الطبعة الأوربية «بأمانته»، وفي النسخة (ي): «بأمانيه».

(٣) الفتوح لابن أعثم - ج ٢/٢٧٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «يتّجز».

(٥) في النسخة (ي): «حصر».

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٤٤٣ «خُدا».

(٧) في طبعة صادر ٣/٢٠٣ «لنا»، وما أثبتناه عن الأصل، والنسخة (ي) وتاريخ الطبري ٤/٤٤٣.

حتى إذا كـان الشهر الثـالث من مقتل عثمـان في صفر، دعـا معاويـةُ رجلاً من بني عبْس، يُدعى قَبِيصة، فدفع إليه طُوماراً مختوماً عنوانه[1]: من معاوية إلى عليّ، وقال لـه: إذا دخلتَ المدينة فاقبض على أسفل الـطومار، ثمّ أوصـاه بما يقـول، وأعاد رسـولَ عليّ معه. فخرجا فقدِما المدينة في ربيعِ الأوّل، فـدخلها العبْسيُّ كمـا أمره قـد رفع الـطومار، فتبعه الناس ينظرون إليه، وعلِموا أنّ معاوية معترض، ودخل الرسول على عليّ فدفـع إليه الطومار، ففضّ ختمه فلم يجد فيه كتاباً، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمِنٌ أنا؟ قـال: نعم، إنّ الرسول لا يُقتل. قال: ورائي أنّي تركتُ قوماً لا يرضَون إلاّ بالقَوَد. قال: ممّن؟ قال: من خَيطِ رقبتك. وتركت ستّين ألف شيخ تبكي تحت قميصِ عثمان، وهـو منصـوب لهم قد ألبسوه منبـر دمشق. قال: أَمِنّي يـطلبون دم عثمـان، ألستُ موتـوراً كتِرَةِ عثمـان؟ اللهمّ إنّي أبـرأ إليك من دم عثمـان! نجا واللَّهِ قَتَلَهُ عثمـان إلاّ أن يشاء الله، فـإنّه إذا أراد أمراً أصابه، اخرجْ. قال: وأنا آمنٌ؟ قال: وأنت آمن.

فخـرج العبْسيّ، وصاحت السبئيّـة[2] وقالت: هـذا الكلب رسول الكـلاب، اقتلوه! فنـادى: يا آل مُضـر! يا آل قيس! الخيـل والنَّبْل! أُقسم بـالله ليردُنَّهـا عليكم أربعـة آلاف خَصِيّ، فانظروا كم[3] الفُحُول والركاب! وتعاونوا عليه، فمَنَعْته مُضَر، فجعلوا يقولون له: اسكت، فيقـول: لا والله لا يفلح هؤلاء أبـداً، أتـاهم مـا يـوعـدون، لقـد حَـلَّ بهم مـا يحذرون[4]، انتهت واللَّهِ أعمالُهم وذهبت ريحهم، فَوَاللَّهِ ما أمسوا حتى عُرف الذلّ فيهم.

وأحبّ أهـل المدينـة أن يعلموا رأيَ عليٍّ في معـاوية وقتـاله[5] أهـل القبلة، أيجسر عليـه أم ينكل عنـه؟ وقد بلغهم أنّ ابنـه الحسن دعاه إلى القعـود وتـرك النـاس، فـدسّـوا زياد بن حنظلة التميميّ، وكان منقطعـاً إلى عليّ، فجلس إليه سـاعة، فقال له عليّ: يـا زيـاد تيسّر[6]، فقـال: لأيّ شيء؟ فقال: لغـزو الشام. فقـال زياد: الأنـاةُ والـرِّفْقُ أمثـل، وقال:

ومَن لم يُصـانِـعْ في أُمــورٍ كثيــرةٍ يُضـرَّس بـأنيـابٍ ويُـوطـأ بمنْسِمِ[7]

فتمثّل عليّ وكأنّه لا يريده:

---

(١) في النسخة (ر): «غير أنه».
(٢) في الطبعة الأوربيـة «السبائية».
(٣) في النسخة (ي): «كم تركوا».
(٤) في النسخة الأوربيـة «يجدون»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٤٤٤.
(٥) في النسخة (ي): «وقالت».
(٦) في الأصل «نسير» وفي النسخة (ي): «تسير» والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٤٤٥.
(٧) البيت لزهير بن أبي سُلمى في ديوانه ٢٩.

متى تجمع القلبَ الزكيّ[1] وصارماً وأنفاً حَمِيّاً تجتنبْكَ[2] المظالِمُ[3]

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم. فعرفوا ما هو فاعل. واستأذنه طلحة والزُّبير في العُمْرة، فأذِن لهما، فلحِقا بمكّة؛ ودعا عليّ محمد بن الحنفيَّة فدفع إليه اللواء، وولّى عبدَ الله بن عباس ميمنَته، وعمرَ بنَ أبي سَلِمة أو عمرَو بن سُفيان بن عبد الأسد ولّاه مَيْسرته، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجرّاح ابن أخي أبي عُبيدة بن الجراح فجعله على مقدِّمته، واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس، ولم يولِ ممّن خرج على عثمان أحداً.

وكتب إلى قيس بن سعد، وإلى عثمان بن حُنيف، وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى أهل الشام، ودعا أهلَ المدينة إلى قتالهم، وقال لهم: إنّ في سلطان الله عصمة أمرِكم فأعطوه طاعتكم غير مَلْوِيَّةٍ ولا مُسْتَكْرَه بها، واللّهِ لتفعلُنَّ أو لينقلنَّ الله عنكم سلطان الإسلام، ثمّ لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمرُ إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعلّ الله يُصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم[4].

(خَرْنَبا بفتح الخاء المعجمة، وسكون الراء، وفتح النون، والباء الموحّدة، وآخره ألف)[5].

ذكر ابتداء وقعة الجمل[6]

فبينما هم كذلك على التجهّز لأهل الشام أتاهم الخبر عن طلحة والزُّبير وعائشة

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/٤٤٥: «الذكيّ».

(٢) في النسخة (ي): «يتقيك».

(٣) البيت لابن براقة الهمداني، وهو في الكامل في الأدب للمبرّد ١/٢٧ وقبله هذا البيت:

وكنتُ إذا قومٌ رموني رمَيْتُهُمْ فهل أنا في ذا يال هَمْدانَ ظالمُ

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٤/٤٤٢ - ٤٤٦.

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر). وقد تقدّم التعريف بهذا الموضع قبل قليل.

(٦) انظر عن وقعة الجمل في:

كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/٢٦٩ وما بعدها، وتاريخ خليفة ١٨١ وما بعدها، والأخبار الطوال ١٤٤ وما بعدها، ومروج الذهب ٢/٣٦٦ وما بعدها، وأنساب الأشراف (الجزء الذي حقّقه الشيخ محمد باقر المحمودي) - ٢٢١ وما بعدها، والعقد الفريد (انظر فهرس الأيام) ٨٥، ١٨٦، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٨٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٤/٤٥٦ وما بعدها، وعيون الأخبار ١/١٠٨ و٣/٨٨ و٤/١٣٧، والبدء والتاريخ ٥/٢١١ وما بعدها، والتنبيه والإشراف ٢٥٥، والمعارف ٢٠١ و٣٤٥ و٥٣٥، والمعرفة والتاريخ =

وأهل (مكّة بنحو آخر)[1] وأنّهم على الخلاف، فأعلم عليّ الناس ذلك، وأنّ عائشة، وطلحة، والزُّبَير، قد سخِطوا إمارته، ودعوا الناس إلى الإصلاح، وقال لهم: سأصبر ما لم أخَفْ على جماعتكم، وأكفُّ إن كفُّوا، وأقتصر على ما بلغني.

ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصرة، فسرّه ذلك وقال: إنّ الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم. فقال له ابن عباس: إنّ الذي سَرّك من ذلك ليسوءني، إنّ الكوفة فسطاطٌ فيه [أعلامٌ] من أعلام العرب، ولا يحملهم عدّة القوم، ولا يزال فيها من يسمو إلى أمرٍ لا يناله، فإذا كان كذلك شغب عليٍّ الذي قد نال ما يريد حتى تُكسر حدّته.

فقال عليٌّ: إنّ الأمر لَيُشْبه ما تقول، وتهيّأ للخروج إليهم، فندب أهل المدينة للمسير معهم فتثاقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُمَيلاً النَّخَعي، فجاء به، فدعاه إلى الخروج معه، فقال: إنّما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلتُ معهم، فإن يخرجوا أخرجْ معهم، وإنْ يقعدوا أقعد. قال: فأعطني كفيلاً[2]. قال: لا أفعل. فقال له عليّ: لولا ما أعرف من سوء خُلُقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني[3]، دعوه فأنا كفيله. فرجع ابن عمر إلى المدينة وهم يقولون: والله ما ندري كيف نصنع، إنّ الأمر لَمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء[4] لنا.

فخرج من تحت ليلته وأخبر أمَّ كلثوم ابنةَ علي، وهي زوجة عمر، بالذي سمع، وأنّه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة عليّ ما خلا النهوض. فأصبح عليّ فقيل له: حدث الليلة حَدَثٌ هو أشدّ من طلحة، والزُّبير، وعائشة، ومعاوية. قال: وما ذاك؟ قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام فأتى السُّوقَ وأَعَدَّ الظَّهر والرجالَ، وأخذ لكل طريق طُلّاباً، وماج الناس. فسمعت أمّ كلثوم، فأتت عليّاً فأخبرته الخبر، فطابت نفسه وقال: انصرفوا، واللّهِ ما كذبتْ ولا كذَب، واللّهِ إنّه عندي ثقة. فانصرفوا[5].

وكان سبب اجتماعهم بمكّة أنّ عائشة كانت خرجت إليها، وعثمان محصور، ثمّ

= ٣/٣١١ ـ ٣١٣، وتاريخ بغداد ٨/٤٤٠ في ترجمة (زيد بن صوحان)، ونهاية الأرب ٢٠/٢٦ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١/١٧٣ ـ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ـ بتحقيقنا ـ ٤٨٣ ـ ٤٩٠، والبداية والنهاية ٧/٢٣٠ وما بعدها، ومرآة الجنان ١/٩٥ ـ ١٠٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٥٣ (بقية الجزء الثاني)، ومآثر الإنافة ١/١٠١، ١٠٢.

(١) في النسخة (ي): «بخروجهم» بدل المثبت بين القوسين.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٤٦ «فأعطني زعيماً».

(٣) في النسخة (ي): «لا تكذبني».

(٤) في النسخة (ي): «يقضي».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٤٦، ٤٤٧.

خرجت من مكّة تريد المدينة. فلمّا كانت بسَرِف لقيها رجلٌ من أخوالها من بني ليث يقال له عُبيد بن أبي سَلِمة، وهو ابن[1] أمّ كلاب، فقالت له: مَهْيَمْ؟ قال: قُتل عثمان وبقوا ثمانياً. قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعة عليّ. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إنْ تمّ الأمر لصاحبك! رُدُّوني رُدُّوني! فانصرفت إلى مكّة وهي تقول: قُتل واللّهِ عثمانُ مظلوماً، واللّهِ لأطلُبنّ بدمه! فقال لها: ولِمَ؟ واللّهِ إنّ أوّل من أمال حَرْفه لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين: اقتلوا نَعْثلاً فقد كفر. قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقَوْلي الأخير خيرٌ من قَوْلي الأول. فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنكِ البَداءُ ومنكِ الغِيَرْ	ومنكِ الرّياحُ ومنكِ المطَرْ
وأنتِ أمرْتِ بقتلِ الإمامِ	وقُلتِ لنا إنّهُ قد كَفَرْ
فهَبْنا[2] أطَعناكِ في قَتلِهِ	وقاتِلُهُ[3] عندنَا مَنْ أمَرْ
ولم يسقُطِ السَّقْفُ من فوقنا	ولم ينكسِفْ شمسُنا والقمَرْ
وقد بايعَ النّاسُ ذا تُدْرَإٍ[4]	يُزيلُ الشَّبا ويُقيمُ الصّعَرْ[5]
ويلبَسُ للحَرْبِ أثوابَها	وما مَن وَفى مثلُ من قد غدَرْ[6]

فانصرفت إلى مكّة فقصدت الحِجر فستّرت فيه، فاجتمع الناسُ حولها[7]. فقالت: أيُّها الناس، إنّ الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبِيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حدَثت سِنّه، وقد استعمل أمثالهم قبله، ومواضع من الحِمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلمّا لم يجدوا حُجّة ولا عُذْراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدمَ الحرامَ واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبعٌ من عثمان خير من طِباق الأرض أمثالهم! وواللّهِ، لو أنّ الذي اعتدُّوا به عليه كان ذنباً لخَلَص منه كما يخلُص الذهب من خَبَثه أو الثّوبُ من درنَه إذ ماصُوه[8] كما يماصُ الثوب بالماء، أي يُغسل.

---

(١) في الأصل، والنسخة(ي): «عم»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤٥٨/٤.

(٢) في الأصل «فنحن» والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري.

(٣) في النسخة (ي): «وعامله».

(٤) في النسخة (ب): «بدرة»، وذو تُدرأ: أي ذو عدّة وقوّة.

(٥) في الطبعة الأوربية «الصغر».

(٦) أورد المسعودي منها بيتين في مروج الذهب ٣٧١/٢ باختلاف ألفاظ. وراجع الأبيات في كتاب: الفتوح، لابن أعثم الكوفي ٢٤٩/٢ باختلاف بعض الألفاظ، وزاد في أولها:

إذا زرتماها فقولا لها وحطّ القضاء بذاك القدر

(٧) إلى هنا في تاريخ الطبري ٤٥٨/٤، ٤٥٩ وفي نهاية الأرب ٢٦/٢٠: «فقصدت الحجْر، فسمرت فيه».

(٨) في النهاية في غريب الحديث: «في حديث عائشة قالت عن عثمان: مصمّوه كما يُماص الثوب ثم عدوتم =

فقال عبد الله بن عمرو بن[1] الحضْرميّ، وكان عامل عثمان على مكّة: ها أنا أوّل طالب! فكان أوّل مجيب، وتبعه بنو أميّة على ذلك، وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكّة ورفعوا رؤوسهم، وكان أوّل ما تكلّموا بالحجاز وتبِعهم سعيدُ بن العاص، والوليد بن عُقبة، وسائر بني أميّة، وقدِم عليهم عبد الله بن عامر[2] من البصرة بمال كثير، ويَعْلى بن أمية، وهو ابن مُنْية، من اليمن ومعه ستّمائة بعير وستّمائة ألف درهم، فأناخ بالأبطح.

وقدِم طلحة، والزُّبير من المدينة، فلقِيا عائشة، فقالت: ما وراءكما؟ فقال: إنّا تحمّلنا هُرّاباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقْنا قوماً حَيارى لا يعرفون حقّاً ولا يُنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم. فقالت: انهضوا إلى هذه الغوغاء. فقالوا: نأتي الشام. فقال ابن عامر: قد كفاكم الشامَ معاويةُ، فأْتُوا البصرةَ فإنّ لي بها صنائع، ولهم في طلحة هوًى. قالوا: قبّحك اللّهُ! فواللّهِ ما كنتَ بالمسالم ولا بالمحارب، فهلّا أقمتَ كما أقام معاوية فنُكفى بك، ثمّ نأتي الكوفةَ فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهبَ؟ فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً، فاستقام الرأي على البصرة، وقالوا لها: نترك المدينة فإنّا[3] خرجنا فكان معنا مَن لا يطيق مَن بها من الغوغاء ونأتي بلداً مُضيَّعاً سيحتجون عينا ببيعة عليّ فتنهضينهم كما أنهضتِ أهل مكّة، فإن أصلح اللّهُ الأمر كان الذي أردنا، وإلّا دفعنا بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد[4].

فأجابتهم إلى ذلك. ودعوا عبدَ الله بن عمر ليسير معهم، فأبَى وقال: أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون. فتركوه.

وكان أزواج النبيّ ﷺ معها على قصْد المدينة، فلمّا تغيّر رأيها إلى البصرة تركْن ذلك، وأجابتهم حفصة إلى المسير معهم، فمنعها أخوها عبد الله بن عمر. وجهّزهم يعلى بن مُنْية بستّمائة بعير وستّمائة ألف دِرْهم، وجهّزهم ابن عامر بمال كثير، ونادى

= عليه فقتلتموه. الموص: الغسل بالأصابع يقال: مصته أموصه موصاً، أرادت أنهم استتابوه عمّا نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه». وانظر: العقد الفريد ٤/٣١٩.

(١) في طبعة صادر ٣/٢٠٧ «عبد الله بن عامر»، وهو وَهْم، والصواب ما أثبتناه اعتماداً على ما ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/٣٥١ في أسماء عمّال عثمان. وهو غير عبد الله بن عامر بن كريز القرشي والي البصرة. وهو في تاريخ الطبري ٤/٤٤٩ ابن عامر خطأ.

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز عامل عثمان على البصرة.

(٣) في الطبعة الأوربية «فإن».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٤٩ - ٤٥١، نهاية الأرب ٢٠/٢٦ - ٢٩.

مُناديها: إنّ أمّ المؤمنين، وطلحة، والزُّبير شاخصون إلى البصرة، فمن أراد إعزازَ الإسلام وقتالَ المُحِلِّين[١] والطلبَ بثأر عثمان، وليس له مركب وجِهازٌ فلْيأتِ! فحملوا ستمائة على ستمائة بعير، وساروا في ألف[٢]. وقيل: في تسعمائةٍ من أهل المدينة ومكّة، ولحِقَهم الناس، فكانوا في ثلاثة آلاف رجل[٣]. وبعثت أمُّ الفضل بنت الحارث أمّ عبد الله بن عبّاس رجلاً من جُهينة يُدعى ظَفَراً[٤]، فاستأجرته على أن يأتي عليّاً بالخبر، فقدِم على عليّ بكتابها[٥].

وخرجت عائشة ومن معها من مكّة، فلمّا خرجوا منها أذّن مروانُ بنُ الحَكَم، ثمّ جاء حتى وقف على طلحة والزُّبير فقال: على أيكما أسلِّم بالإمرة وأؤذّن بالصلاة؟ فقال عبدالله بن الزبير: على أبي عبدالله، يعني أباه الزُّبير. وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد، يعني أباه طلحة. فأرسلت عائشة إلى مروان وقالت له: أتريد أن تفرّق أمرَنا! لِيُصَلِّ بالناس ابن أختي، تعني عبدَالله بنَ الزُّبير. وقيل: بل صلّى بالناس عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد حتى قُتل، فكان مُعاذ بن عُبيد يقول: واللّهِ لو ظفرْنا لاقتتلنا، ما كان الزُّبير يترك طلحة والأمرَ، ولا كان طلحة يترك الزُّبيرَ والأمرَ.

وتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عِرْق، فبكوا على الإسلام، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكياً وباكيةً من ذلك اليوم، فكان يسمّى يوم النَّحيب[٦]. فلمّا بلغوا ذات عِرْق[٧] لقي سعيد بن العاص مروانَ بنَ الحكم وأصحابه بها فقال: أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم؟ يعني عائشة، وطلحة، والزُّبير، اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى منازلكم. فقالوا: نسير[٨] فلعلّنا نقتل قَتَلَةَ عثمان جميعاً. فخلا سعيد بطلحة والزُّبير فقال: إنْ ظفرتما لِمَنْ تجعلان الأمر؟ أصْدِقاني. قالا: نجعله لأحدنا أيّنا اختارَه الناس. قال: بل تجعلونه لولد عثمان، فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه. فقالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأيتام[٩]! قال: فلا أراني أسعى إلّا لإخراجها من بني عبد مناف. فرجع ورجع عبد الله بن

---

(١) في النسخة (ي): «المستحلين».
ويراد بالمحلّين: الذين أحلّوا ما حرّم الله وانتهكوا حُرُماته.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٥١، وانظر مروج الذهب ٢/٣٦٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٥٢.

(٤) في النسخة (ي): «خفراً».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٥١.

(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٦٠.

(٧) ذات عِرْق: لم يُفرد لها ياقوت ولا البكري مادة في معجميهما، وهي بالقرب من الرَّبَذَة على طريق الحجاز. (انظر: معجم البلدان ٣/٢٤ ـ الربذة).

(٨) في النسخة (ي): «أبشر».

(٩) في الأصل «لولدهم»، وفي النسخة (ي) وتاريخ الطبري ٤/٤٥٣ «لأبنائهم»، والمثبت عن بقيّة النسخ، =

خالد بن أسيد، وقال المغيرة بن شُعبة: الرأي ما قال سعيد، من كان ههنا من ثقيف فلْيرجع. فرجع، ومضى القوم ومعهم أبان، والوليد ابنا عثمان[١]. وأعطى يعلى بن مُنْية[٢] عائشةَ جملاً اسمه عسكر اشتراه بثمانين ديناراً، فركبته. وقيل: بل كان جملها لرجل من عُرَينة[٣].

قال العُرَني: بينما أنا أسير على جَمَل إذ عَرَض لي راكب فقال: أتبيع جَمَلَك؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بألف درهم. قال: أمجنون أنت؟ قلت: ولِمَ؟ واللَّهِ، ما طلبتُ عليه أحداً إلّا أدركته، ولا طلبني وأنا عليه أحدٌ إلّا فُتُّه. قال: لو تعلم لمن نريده! إنّما نريده لأمّ المؤمنين عائشة! فقلت: خُذْه بغير ثمن. قال: بل ترجع معنا إلى الرَّحْل فنعطيك ناقة ودراهم. قال: فرجعت معه، فأعطوني ناقة مَهريّة وأربعمائة درهم أو ستّمائة، وقالوا لي: يا أخا عُرَينة هل لك دلّالة بالطريق؟ قلتُ: أنا من أدلّ الناس. قالوا: فسِرْ معنا. فسرتُ معهم، فلا أمرّ على وادٍ إلّا سألوني عنه، حتى طرقنا الحَوأب، وهو ماء، فنَبَحَتْنا كلابُه، فقالوا: أيّ ماء هذا؟ فقلت: هذا ماء الحَوْأب. فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لهِيَهْ، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شِعري، أيّتكُنَّ تَنبَحُها كلابُ الحَوْأب!»[٤] ثمّ ضربت عضُدَ بعيرها فأناخته وقالت: رُدُّوني، أنا واللَّهِ صاحبةُ ماء الحَوْأب. فأناخوا حولها يوماً وليلة، فقال لها عبد الله بن الزُّبير: إنّه كذِب، ولم يزل بها وهي تمتنع، فقال لها: النَّجاءَ النَّجاءَ! قد أدرككم عليّ بن أبي طالب[٥]. فارتحلوا نحو البصرة، فلمّا كانوا بفِنائها لقِيَهم عُمَير بن عبد الله التميميّ وقال: يا أمّ المؤمنين أنشدكِ اللَّهَ أن تَقدَمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحداً، فعجِّلي ابن عامر، فإنّ له بها صنائع، فلْيذهب إليهم ليلْقوا الناسَ إلى أنْ تقدَمي ويسمعوا ما جئتم به. فأرسلته، فاندسّ إلى البصرة، فأتى القومَ، وكتبت عائشة[٦]

= وطبعة صادر ٣/٢٠٩.

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٥٣، نهاية الأرب ٢٠/٣١.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٥٢ «يعلى بن أُميّة».

(٣) الطبري ٤/٤٥٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق: يحيى القطان، عن اسماعيل، عن قيس، قال: لما أقبلت عائشة، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً، نَبَحَت الكلاب، فقالت: أيّ ماءٍ هذا؟ قالوا: ماء الحوْأب. قالت: ما أظنّني إلّا أنني راجعة. قال بعض من كان معها. بل تقدَمينَ فيراكِ المسلمون، فيُصلح اللّه ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «كيف بإحداكنّ تَنْبَحُ عليها كلابُ الحوْأب». (المُسْند ٦/٥٢ و٩٧، وصحيح ابن حبّان، رقم ١٨٣١، والمستدرك للحاكم ٣/١٢٠، وقد وافقه الذهبي في تلخيصه للمستدرك ٣/١٢٠، والبداية والنهاية ٦/٢١٢ وقال ابن كثير: وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه. وهو في المصنّف لعبد الرزاق (٢٠٧٥٣).

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٥٦، ٤٥٧ وأنساب الأشراف ٢٢٤.

(٦) في النسخة (ي): «وكتبت عائشة عنها وعن أبيها».

إلى رجال من أهل البصرة، وإلى الأحنف بن قيس، وصَبْرة بن شَيْمان، وأمثالهم، وأقامت بالحُفَيْر تنتظر الجواب.

ولما بلغ ذلك أهلَ البصرة دعا عثمانُ بن حُنَيف عِمرانَ بن حُصين وكان رجل عامّة، وألزَّهُ[1] بأبي الأسود الدُّؤلي[2]، وكان رجل خاصّة، وقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة فاعْلَما عِلْمها وعِلْم مَن معها. فخرجا فانتهيا إليها بالحُفَيْر، فأذِنَت لهما، فدخلا وسلّما وقالا: إنّ أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك، فهل أنتِ مُخْبِرتنا؟ فقالت: واللّهِ ما مثلي يُعْطي لبنيه الخبر، إنّ الغوغاء ونُزّاع القبائل غزوا حَرَمَ رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه وآووا المُحْدِثين، فاستوجبوا لعنةَ الله ولعنةَ رسول الله ﷺ، مع ما نالوا من قتْل إمام المسلمين بلا تِرَةٍ ولا عُذْر، فاستحلّوا الدم الحرام وسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلّوا البلد الحرام، والشهرَ الحرام، فخرجتُ في المسلمين أُعْلِمهُم ما أتى هؤلاء، وما الناس فيه وراءنا، وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصة، وقرأتْ: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ**﴾[3] الآية، فهذا شأننا إلى معروفٍ نأمركم به ومُنْكَرٍ نَنهاكم عنه.

فخرج عِمران وأبو الأسود من عندها فأتيا طلحةَ وقالا: ما أقدَمَك؟ فقال: الطلب بدم عثمان. فقالا: ألم تبايع عليّاً؟ فقال: بلى والسيف على عنقي، وما أستقيل عليّاً البيعةَ إنْ هو لم يَحُلْ بيننا وبين قَتَلَة عثمان. ثمّ أتيا الزُّبيرَ فقالا له مثل قولهما لطلحة، وقال لهما مثل قول طلحة، فرجعا إلى عثمان بن حُنيف، ونادى مناديها بالرحيل، فدخلا على عثمان، فبادر أبو الأسود عِمرانَ فقال:

يا ابنَ حُنيفٍ قد أُتيتَ فانفِرِ ... وطاعِنِ القومَ وجالِدْ واصبِرِ[4]
وابرُزْ لهمْ مُستَلئِماً وشَمِّرِ[5]

فقال عثمان: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، دارت رحى الإسلام وربِّ الكعبة فانظروا بأيّ زَيَفان[6] تَزِيف[7]. فقال عمران: إيْ واللّهِ لَتعركنّكم عرْكاً طويلاً. قال: فأشِر عليّ يا عِمران. قال: اعتزل فإنّي قاعد. قال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين.

---

(١) في الأصل «ألزمه». وألزّه: ألصقه.
(٢) في طبعة صادر ٣/٢١١ «الدئلي».
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٤) في الطبعة الأوربية «واصطبر».
(٥) أنساب الأشراف ٢٢٦.
(٦) في الطبعة الأوربية «رَيْعان».
(٧) في الأصل «شريف» وفي نسختي المتحف البريطاني ومكتبة بودليان «ننزف».

فانصرف عِمران إلى بيته وقام عثمان في أمره، فأتاه هشام بن عامر فقال: إنّ هذا الأمر الذي تريده يُسلم إلى شرّ ممّا تكره، إنّ هذا فَتْقٌ لا يُرتَق، وصَدْعٌ لا يُجبر، فارفُقْ بهم وسامِحْهم حتى يأتي أمر عليّ. فأبَى ونادى عثمانُ في الناس وأمرهم بلبس السلاح، فاجتمعوا إلى المسجد، وأمرهم بالتجهّز، وأمر رجلاً دسّه إلى الناس خَدِعاً كوفيّاً قيسيّاً، فقام فقال: أيّها الناس أنا قيس بن العَقَدِيَّة الحُمَيْسيّ، إنّ هؤلاء القوم إنْ كانوا جاؤوا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطّير، وإنْ كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان، فما نحن بقَتَلَة عثمان، فأطيعوني ورُدُّوهم من حيث جاؤوا. فقام الأسود بن سريع السعديّ فقال: أوَزعموا أنّا قتلة عثمان؟ إنّما أتوا يستعينون بنا على قَتَلَة عثمان منّا ومن غيرنا. فحصبه الناس، فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصراً، فكسره ذلك[1].

فأقبلت عائشةُ فيمن معها حتى انتهوا إلى المِربَد، فدخلوا من أعلاه، ووقفوا حتى خرج عثمانُ فيمن معه، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، فاجتمع القوم بالمِربَد، فتكلّم طلحةُ وهو في مَيمنة المربد، وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له، فحمِد الله وأثنى عليه وذكر عثمانَ وفضله وما استُحِلَّ منه، ودعا إلى الطَّلب بدمه وحثّهم عليه، وكذلك الزبير. فقال من في ميمنة المِربَد: صَدَقا وبَرّا. وقال من في ميسرته: فَجَرا وغَدَرا وأمَرا بالباطل، فقد بايعا عليّاً ثمّ جاءا يقولان، وتحاثَى[2] الناسُ وتحاصبوا وأرهجوا.

فتكلّمت عائشة، وكانت جَهْوَريَّة الصوت، فحمِدت الله وقالت: كان الناس يتجنّون على عثمان ويُزْرُون على عمّاله، ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقيّاً وفيّاً، ونجدهم فَجَرة غَدَرة كَذَبة، وهم يحاولون غير ما يُظهرون، فلمّا قوُوا كاثروه، واقتحموا عليه داره، واستحلّوا الدمَ الحرامَ، والشهرَ الحرام، والبلدَ الحرام، بلا تِرَةٍ ولا عُذر، ألا إنّ ممّا ينبغي لا ينبغي لكم غيره، أخْذ قَتَلَة عثمان وإقامة كتاب الله، وقرأتْ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتَابِ اللَّهِ**﴾[3] الآية؛ فافترق أصحاب عثمان فرقتين، فرقة قالت: صدقت وبرّت، وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به! فتحاثَوا وتحاصبوا. فلمّا رأت عائشة ذلك انحدرت، وانحدر أهل الميمنة مفارِقين لعثمان بن حُنيف حتى وقفوا في المِربَد في موضع الدبّاغين، وبقي أصحاب عثمان على حالهم، ومال بعضهم إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٦١ - ٤٦٣.

(٢) في النسخة (ي): «تحامى». وتحاثى الناس: أي كانوا يحثون التراب في وجوه بعضهم.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

وأقبل جارية بن قُدامة السعديّ وقال: يا أمّ المؤمنين، واللَّهِ، لَقتلُ عثمان أهْوَن من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عُرْضة للسلاح! إنّه قد كان لك من الله سِتْرٌ وحُرمة، فهتكْتِ سِتْرك وأبحْتِ حُرْمَتك! إنّه من رأى قتالك يرى قتْلَكِ! لئن كنتِ أتيتِنا طائعةً فارْجعي إلى منزلك، وإنْ كنتِ أتيتِنا مُكْرَهةً فاستعيني بالناس.

وخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزُّبير فقال: أمّا أنت يا زبير فَحَواريُّ رسول الله ﷺ، وأمّا أنت يا طلحة فوقَيْتَ رسول الله ﷺ بيدك، وأرى أُمَّكُمَا معكما، فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا. قال: فما أنا منكم في شيء؛ واعتزل وقال في ذلك:

صُنتم حلائلَكُم وقُدتُم أُمَّكُم ... هذا لَعمرُك قِلّةُ الإنصافِ
أُمِرَتْ بجَرّ ذيولها في بَيتِها ... فهوَتْ تشُقُّ البِيدَ بالإيجافِ[1]
غَرضاً يقاتِل[2] دونَها أبناؤها ... بالنَّبل والخَطِّيِّ والأسيافِ
هُتِكَتْ بطلحةَ والزُّبير سُتورُها ... هذا المُخَبَّرُ عنهُمُ والكافي[3]

وأقبل حُكيم بن جَبَلة العبْديّ وهو على الخيل، فأنشب القتال، وأشرعَ أصحابُ عائشةَ رماحهم، وأمسكوا ليمسك حُكيم وأصحابه، فلم ينته، وقاتلهم وأصحابُ عائشة كافُّون يدفعون عن أنفسهم، وحُكيم يذمُر خَيله ويركبهم بها، فاقتتلوا على فم السكّة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا إلى مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، ورجع عثمان إلى القصر، وأَتَى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهّبون، وبات الناس يأتونهم، واجتمعوا بساحة دار الرزق. فغاداهم حُكَيم بن جبلة وهو يسبّ وبيده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: من هذا الذي تسبّه؟ قال: عائشة. قال: يا ابن الخبيثة ألأمّ المؤمنين تقول هذا؟ فطعنه حُكَيم فقتله. ثمّ مرّ بامرأة وهو يسبّها أيضاً، فقالت له: ألأمّ المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة؟ فطعنها فقتلها. ثمّ سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً إلى أن زال النهارَ وكثُر القتلُ في أصحاب عثمان بن حُنيف وكثُر الجراح في الفريقين. فلمّا عضّتهم الحرب تنادَوْا إلى الصُّلح وتوادعوا، فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها، فإنْ كان طلحة والزُّبير أُكرها خرج عثمان بن حُنيف عن البصرة وأخلاها لهما، وإنْ لم يكونا أُكرها خرج طلحة والزُّبير، وكتبوا بينهم كتاباً بذلك[4]. وسار كعب بن سُور إلى أهل المدينة يسألهم. فلمّا قدِمَها اجتمع الناس إليه، وكان يوم جمعة،

---

(١) في الطبعة الأوربية «الإيحاف».
(٢) في الطبعة الأوربية «يقابل».
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٦٥.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٦٦، ٤٦٧.

فقام وقال: يا أهل المدينة، أنا رسول أهل البصرة، نسألكم هل أُكره طلحة والزُّبير على بيعة عليّ أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد إلّا أُسامة بن زيد، فإنّه قام وقال: إنّهما بايعا وهما مُكْرَهان. فأمر به تمّام بن العباس، فواثَبه سهلُ بن حُنيف والناس، وثار صُهيب[1] وأبو أيوب[2] في عدّة من أصحاب النبيّ ﷺ فيهم محمد بن مَسْلمة حين خافوا أن يُقتل أسامة فقالوا: اللهم نعم. فتركوه، وأخذ صُهيب أُسامةَ بيده إلى منزله وقال له: أما وَسِعَك ما وَسِعَنا من السُّكوت؟ قال: ما كنت أظنّ أنّ الأمر كما أرى. فرجع كعب وبلغ عليّاً الخبر، فكتب إلى عثمان يعجّزه وقال: والله ما أُكرِها على فُرقة ولقد أُكرِها على جماعة وفضل، فإن كانا يريدان الخلع فلا عُذْر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا.

فقدِم الكتابُ على عثمان، وقدِم كعب بن سُور، فأرسلوا إلى عثمان ليخرج، فاحتجّ بالكتاب وقال: هذا أمر آخر غير ما كنّا فيه. فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر، ثمّ قصدا المسجد فوافقا صلاة العِشاء، وكانوا يؤخّرونها، فأبطأ عثمان، فقدَّما عبد الرحمن بن عتّاب، فشهر الزُّطّ والسيَّابجةُ[3] السلاح ثمّ وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقُتلوا، وهم أربعون رجلاً، فأدخلا الرجال على عثمان فأخرجوه إليهما. فلمّا وصل إليهما [توطّؤوه] وما بقيت[4] في وجهه شعرة، فاستعظما ذلك وأرسلا إلى عائشة يُعلمانها الخبر، فأرسلت إليهما أن خلّوا سبيله[5].

وقيل: لما أُخذ عثمان أرسلوا يستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه. فقالت لها امرأة: نَشدتُكِ اللّهَ في عثمان وصُحبته لرسول الله ﷺ! فقالت لهم: احبسوه. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه. فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه ثمّ أطلقوه[6]. وجعلوا على بيت المال عبدَ الرحمن بنَ أبي بكر الصِّدِّيق[7].

وقد قيل في إخراج عثمان غير ما تقدّم، وذلك أنّ عائشة، وطلحة، والزُّبير لما

---

(١) هو صُهيب بن سنان.

(٢) هو أبو أيوب بن زيد.

(٣) في الأصل «السيابيه». وقد مرّ التعريف بالسيابجة وما يلحق هذا الاسم من تحريف. أما الزُّطّ فهم من الهنود. (التنبيه والإشراف، للمسعودي ٣٠٧، ٣٠٨).

(٤) في الطبعة الأوروبية «وقد بقي».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٦٦ ـ ٤٦٨، وانظر: مروج الذهب ٢/٣٦٧، وقال ابن أعثم الكوفي في الفتوح ٢/٢٩٠: «فلم يقتلوه ولكن أخذوه فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحلقوا رأسه».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٦٩، الفتوح لابن أعثم ٢/٢٩٠.

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤.

قـدِمـوا البصـرةَ كتبت عـائشـة إلى زيـد بن صُـوحـان: من عـائشـة أمّ المؤمنين حبيبـة رسول الله ﷺ، إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان، أمّا بعد، فإذا أتاك كتـابي هذا فـاقدم فانصُرْنا، فإنْ لم تفعل فخذِّل الناسَ عن عليّ.

فكتب إليها: أمّا بعد فأنا ابنك الخالص، لئن اعتزلتِ ورجعتِ إلى بيتك، وإلاّ فأنا أوّل من نابذك.

وقال زيد: رحِم اللّهُ أمَّ المؤمنين! أُمِرَت أن تلزم بيتها، وأُمرنا أن نقاتل، فتـركتْ ما أُمرتْ به وأمرتْنا به، وصنعتْ ما أُمرنا به ونهتْنا عنه[1].

وكـان على البصرة عنـد قـدومهـا عثمـان بن حُنيف فقـال لهم: مـا نقمتم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منّا وقد صنع ما صنع. قال: فإنّ الرجل أمّـرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم به، على أن أصلّي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه.

فوقفوا عنه، فكتب، فلم يلبث إلاّ يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينـة الـرزق، فظفـروا به وأرادوا قتله، ثمّ خشـوا غضب الأنصـار، فنتفـوا شعـر رأسـه ولحيتـه وحـاجبيه وضـربوه وحبسـوه. وقام طلحـة والزُّبيـر خطيبين فقـالا: يا أهـل البصـرة تـوبـة لحوْبة[2]، إنّمـا أردنا أن نستعتب[3] أميرَ المؤمنين عثمانَ، فغلب السفهـاءُ الحلماءَ فقتلوه! فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد قد كانت كُتُبك تأتينا بغير هذا. فقال الزبير: هل جـاءكم منّي كتـاب في شأنـه؟ ثمّ ذكر قتلَ عثمان، وأظهـر عيبَ عليّ، فقام إليـه رجـل من عبـد القيس فقـال: أيّهـا الـرجـل انصت حتى نتكلّم. فـأنصت. فقـال العبـديُّ: يـا معشـر المهاجرين أنتم أوّل من أجاب رسول الله ﷺ، فكـان لكم بذلـك فضل، ثمّ دخـل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلمّا تُوُفّي رسول الله ﷺ، بايعتم رجلاً منكم[4] فرضينـا وسلّمنا، ولم تستأمـرونـا في شيءٍ من ذلـك، فجعـل الله للمسلمين في إمـارتـه بـركـة، ثم مـات واستخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا في ذلك فـرضينا وسلّمنـا، فلمّا تـوُفّي جعل أمـركم إلى ستّة نفر، فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورتنا، ثمّ أنكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منّا، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورتنا، فما الذي نقَمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفَيْءٍ، أو عمل بغير الحقّ، أو أتى شيئاً تُنكرونه فنكون معكم عليه، وإلاّ فما هذا؟ فهمُّوا

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧٦، ٤٧٧.

(٢) في تاريخ الطبري «بحوبة». وانظر الكتابين في العقد الفريد ٤/٣١٧، ٣١٨.

(٣) في النسخة (ي): «نستغيث».

(٤) في الأصل زيادة: «فرضيتم».

بقتل ذلك الرجل، فمنعته عشيرته، فلمّا كان الغد وثبوا عليه[1] وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين. وبقي طلحة والزُّبير بعد أخْذ عثمان بالبصرة ومعهما بيت المال والحرس والناس، ومن لم يكن معهما استتر[2].

وبلغ حُكَيمَ بنَ جَبَلَة ما صُنع بعثمان بن حُنيف فقال: لستُ أخاف الله إن لم أنصره! فجاء في جماعة من عبد القيس ومَن تبعه من ربيعة، وتوجّه نحو دار الرزق، وبها طعامٌ أراد عبدُ الله بنُ الزُّبير أن يرزقه أصحابَه، فقال له عبد الله: ما لك يا حُكَيْم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلّوا عثمان، فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدَم عليّ، وايْم اللّهِ لو أجد أعواناً عليكم ما رضيتُ بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحَلال بمن قتلتم، أما تخافون الله؟ بمَ تستحلّون الدم الحرام؟ قال: بدم عثمان. قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان، أما تخافون مقْتَ الله؟ فقال له عبد الله: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نُخلّي سبيلَ عثمان حتى تخلع عليّاً. فقال حُكَيم: اللهم إنّك حَكَمٌ عَدْلٌ فاشهد، وقال لأصحابه: لستُ في شكٍّ من قتال هؤلاء القوم، فمن كان في شكٍّ فلْينصرف. وتقدّم فقاتلهم[3]. فقال طلحة[4] والزُّبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرَنا من أهل البصرة، اللهمّ لا تُبْقِ منهم أحداً! فاقتتلوا قتالاً شديداً، ومع حُكيم أربعة قواد، فكان حُكَيم بحيال طلحة، وذَرِيح بحيال الزُّبير، وابن المُحْترِش[5] بحيال عبد الرحمن بن عتّاب، وحُرْقُوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فزحف طلحة لحُكَيْم وهو في ثلثمائة، وجعل حُكَيم يضرب بالسيف ويقول:

أضـرِبـهُـم بـالـيـابِسِ ضـرْبَ غـلامٍ عـابسِ
مِـنَ الـحَـيـاةِ آيسِ[6] فـي الغـرُفـاتِ نـافِسِ

فضرب رجل رِجْلَه فقطعها، (فحبا حتى)[7] أخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثمّ اتّكأ عليه وقال:

---

(١) في الأصل، ونسخة (ي): «على عثمان».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٦٩، ٤٧٠.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤، ٤٧٥.
(٤) «طلحة» ساقطة من النسخة (ي).
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٤٧١ «المحرّش».
(٦) حتى هنا في أنساب الأشراف (تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي) ـ ص ٢٢٨.
(٧) ما بين القوسين في الأصل «فاحتنى».

يـا سـاقي[1] لن تُـراعي إنّ مَـعـي ذراعـي
أحـمـي بـهـا كُـراعـي

وقال أيضاً:

لَـيسَ عـلـيّ أن أمـوتَ عـارُ والعـارُ في الـنّـاسِ هـوَ الفِـرارُ
والـمجـدُ لا يـفضحُـه الـدّمـارُ

فـأتى عليه رجـل وهو رثيث[2]، رأسـه على آخر، فقـال: ما لـك يـا حُكيم؟ قـال: قُتلتُ. قال: مَن قتلك؟ قال: وِسـادتي. فاحتمله وضمّـه في سبعين من أصحابـه، وتكلّم يومئذ حُكَيم وإنّه لَقائم على رِجْلٍ واحدة، وإنّ السيوف لَتأخذهم وما يتتعتـع ويقول: إنّـا خلَّفْنا هذين[3]، وقـد بايعـا عليّاً وأعـطياه الـطاعة ثمّ أقبـلا مخالِفَين محـاربين يطلبـان بدم عثمان، ففرَّقا بيننا، ونحنٍ أهلُ دار وجوار، اللهمّ إنّهما لم يريـدا عثمان! فنـاداه مُنادٍ: يـا خبيث! جـزعت حين عضّك نَكـال الله إلى كلامٍ من نصبـك وأصحـابـك بمـا ركبتم من الإمام المظلوم وفرّقتم [من] الجماعة وأصبتم من الدماء، فذُقْ وبالَ الله وانتقامه[4]. وقُتلوا وقُتل معهم، قتله يزيد بن الأسحم الحُدانيُّ، فوُجد حُكيم قتيلاً بين يزيد وأخيه كعب[5].

وقيل: قتله رجل يقال له ضُخَيم[6]، وقُتل معه ابنه الأشرف وأخوه الرِّعـل بن جبلة. ولمـا قُتل حكيم أرادوا قتـل عثمان بن حُنيف فقـال لهم: أمـا إنّ سهـلاً بـالمـدينـة، فـإنْ قتلتموني انتصر، فخلّوا سبيله[7]، فقصد عليّاً. وقُتل ذَريح ومن معـه، وأفلت حُرْقـوص بن زهير في نفر من أصحابه، فلجأوا إلى قومهم، فنادى منادي طلحة والزُّبيـر: من كان فيهم أحـد ممّن غزا المـدينة فليـأتنا بهم، فجيء بهم فقُتلوا، ولم ينجُ منهم إلاّ حُـرْقـوص بن زهير، فإنّ عشيرته بني سعد منعوه، وكان منهم، فنالهم من ذلك أمر شديد، وضـربوا فيـه أجـلاً وخشّنوا صُـدور بني سعد، وكـانوا عثمـانيّة، فـاعتزلـوا، وغضبت عبـد القيس حين غضبت سعـد لمن قُتل منهم بعـد الوقعـة ومن كان هـرب إليهم إلى ما هم عليـه من لُزوم

(١) في أنساب الأشراف «يا نفس» وفي تاريخ الطبري ٤/٤٧١ «يا فخْذِ».
(٢) في النسخة (ي) «ترتبت».
(٣) في الطبعة الأوربيـة «هذان» وهو غلط.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٧٠، ٤٧١.
(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤، أنساب الأشراف ٢٢٩.
(٦) الطبري ٤/٤٧٤، تاريخ خليفة ١٨٣.
(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤، أنساب الأشراف ٢٣٠.

الطاعة لعليّ، فأمر طلحة والزُّبير للناس بأعطياتهم وأرزاقهم، وفضّلا أهلَ السمع والطاعة، فخرجت عبد القيس وكثيرٌ من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول، فبادروهم إلى بيت المال، وأكَبَّ عليهم الناس، فأصابوا منهم، وخرجوا حتى نزلوا على طريق عليّ. وأقام طلحة والزُّبير وليس معهما ثأر إلاّ حُرْقوص بن زهير، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه[1]. وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم، وتأمرهم أن يثبِّطوا الناسَ عن عليّ، وتحثّهم على طلب قَتَلَة عثمان، وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً، وسيّرت الكتب[2].

وكانت هذه الوقعة لخمس ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وثلاثين[3].

وبايع أهل البصرة طلحةَ والزُّبَير، فلمّا بايعوهما قال الزُّبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، أقتله بَياتاً أو صباحاً قبل أن يصل إلينا! فلم يُجبْه أحد، فقال: إنّ هذه لَلْفتنة التي كنّا نُحدَّث عنها. فقال له مولاه: أتُسَمّيها فتنة وتُقاتل فيها؟ قال: ويلك! إنّا نُبَصَّر ولا نُبْصِر[4]، ما كان أمر قطّ إلاّ وأنا أعلم موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإنّي لا أدري أمُقْبلٌ أنا فيه أم مُدْبر[5]! وقال علقمة بن وقّاص اللَّيْثيّ: لما خرج طلحة، والزُّبير، وعائشة، رأيتُ طلحة وأحبُّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلِحْيته على صدره، فقلت: يا أبا محمد، أرى أحبَّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلِحْيتك على صدرك، إنْ كرهتَ شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا إذ صرْنا جبلين من حديد يطلب بعضُنا بعضاً، إنّه كان منّي في عثمان شيء ليس توبتي إلاّ أن يُسفَك دمي في طلب دمه. قال: فقلت: فرُدّ ابنَك محمداً، فإنّ لك ضيعة وعيالاً، فإنْ يكُ شيء يَخْلُفْك. قال: فامنعه. قال: فأتيت محمداً ابنه فقلت له: لو أقمتَ فإنْ حدث به حَدَثٌ كنتَ تخلُفُه في عِياله وضَيعته. قال: ما أحبّ أن أسأل عنه الرُّكبان[6].

(يعلى بن مُنْية بضم الميم، وسكون النون، والياء المعجَمة باثنتين من تحتها، وهي

---

(١) الطبري ٤/٤٧١، ٤٧٢.
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٧٢.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٤.
(٤) الكلمتان في الأصل «نصبر».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٧٥، ٤٧٦.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٧٦ وفيه «الرجال» بدل «الركبان».

أمّة، واسم أبيه أميّة. عبد الله بن خالد بن أَسيد: بفتح همزة أَسيد. جارية بن قُدامة: بالجيم. حُكَيم بن جَبَلَة بضمّ الحاء، وفتْح الكاف، وقيل بفتح الحاء، وكسْر الكاف. وصُوحان بضمّ الصّاد، وآخره نون).

ذكر مسير عليّ إلى البصرة والوقعة

قد ذكرنا فيما تقدّم تجهُّزَ عليّ إلى الشام، فبينما هو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة والزُّبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه، فلمّا بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخَطَبَهم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ آخر هذا الأمر لا يصلُح إلاّ بما صلَح [به] أوّله، فانصروا الله ينصركم ويُصْلحْ لكم أمركَم. فتثاقلوا، فلمّا رأى زيادُ بنُ حنظلة تثاقُلَ الناس انتدب إلى عليّ وقال له: من تثاقل عنك فإنّا نخفّ معك فنقاتل دونك. وقام رجلان صالحان من أعلام الأنصار، أحدهما أبو الهيثم بن التَّيِّهان، وهو بدْريّ، والثاني خُزَيمة بن ثابت، قيل: [هو ذو الشهادتين]، وقال الحَكَم: ليس بذي الشهادتين[1]، مات ذو الشهادتين أيّام عثمان، فأجابه إلى نصرته.

قال الشَّعْبيُّ: ما نهض في تلك الفتنة إلاّ ستّة نفر بدْريّون ما لَهم سابع. وقال سعيد بن زيد: ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ لخير يعملونه إلاّ وعليّ أحدهم. قيل: وقال أبو قَتَادة الأنصاريّ لعليّ: يا أمير المؤمنين إنّ رسول الله ﷺ قلّدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً، وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين [لا] يألون[2] الأمّةَ غشّاً، وقد أحببتُ أن تقدّمني فقدِّمْني. وقالت أم سَلِمة: يا أمير المؤمنين، لولا أن أعصي اللَّهَ وأنّك لا تقبله منّي لخرجت معك، وهذا ابن عمّي، وهو والله أعز عليّ من نفسي، يخرج معك ويشهد مشاهدك. فخرج معه وهو لم[3] يزل معه، واستعمله عليٌّ على البحرين، ثمّ عزله، واستعمل النعمانَ بنَ عَجْلان الزُّرَقي[4]. فلمّا أراد عليّ المسيرَ إلى البصرة، وكان يرجو أن يدرك طلحةَ والزُّبيرَ فيردّهما قبل وصولهما إلى البصرة، أو يُوقِع بهما، فلمّا سار استخلف على المدينة تمّام بن العباس[5]، وعلى مكّة قُثَم بن العباس[6].

---

(١) في الأصل زيادة «لأنه»، وانظر مروج الذهب ٢/٣٦٧.
(٢) في الطبعة الأوربية «يألوا».
(٣) في النسخة (ر) «وهو» مكررة، وبعدها «فلم».
(٤) تاريخ خليفة ٢٠٠.
(٥) تاريخ خليفة ٢٠١.
(٦) تاريخ خليفة ٢٠١.

وقيل: أمّر على المدينة سهل بن حُنيف[1]. وسار عليّ من المدينة في تعبيته التي تعبّاها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وثلاثين، فقالت أخت عليّ بن عديّ من بني عبد شمس:

لا هُمّ فاعقِرْ بعَليٍّ جملَهْ ولا تُبارك في بَعيرٍ حَمَلَهْ
ألَا عليّ بنُ عديّ ليس لَهْ[2]

وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريين[3] متخفِّفين في تسعمائة، وهو يرجو أن يدركهم فيَحُول بينهم وبين الخروج أو يأخذهم، فلقِيه عبدُ الله بن سلّام فأخذ بعنانه وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها، فوالله إن خرجتَ منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً! فسبّوه. فقال: دعوا الرجل من أصحاب محمد ﷺ[4].

وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذة، فلمّا انتهى إليها أتاه خبر سبقهم، فأقام بها يأتمر ما يفعل، وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له: لقد أمرتك فعصيتني فتُقتل غداً بمَضِيعة[5] لا ناصر لك. فقال له عليّ: إنّك لا تزال تخنّ خنين الجارية[6]، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أُحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيُقتل ولستَ بها، ثمّ أمرتُك يوم قُتل أن لا تُبايع حتى تأتيَك وفودُ العرب وبيعة أهلِ كلِّ مصر، فإنّهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيتَ عليّ، وأمرتُك حين خرجَتْ هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كلّه.

فقال: أي بني! أما قولك: لو خرجتَ من المدينة حين أُحيط بعثمان، فواللّهِ لقد أُحيط بنا كما أُحيط به، وأمّا قولك: لا تبايع حتى يبايع أهل الأمصار، فإنّ الأمر أمر أهل المدينة. (وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، ولقد مات رسول الله ﷺ، وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس أبا بكر الصِّدّيق فبايعتهُ ثمّ إنّ أبا بكر (انتقل إلى رحمة الله)[7] وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناسُ عمر فبايعتُه، ثمّ إنّ عمر (انتقل إلى رحمة

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠١.
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.
(٣) في الأصل، والنسخة (ي): «المصريين».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٥٥.
(٥) في الطبعة الأوروبية: «بمعصية».
(٦) في تاريخ الطبري ٤/٤٥٦ «تحنّ حنين».
(٧) في النسخة (ر): «هلك» بدل «انتقل إلى رحمة الله».

الله) وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فجعلني سهماً من ستّة أسهُم، فبايع الناسُ عثمان فبايعتُه، ثمّ سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مُكْرهين، فأنا مُقاتِل مَن خالفني بمن أطاعني حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين)[1]. وأمّا قولك أن أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزُّبير، فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون كالضَّبُع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحَل عرقوباها حتى تخرج! وإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟ فكفّ عنك يا بُنَيَّ[2].

ولما قدِم عليٌّ الرَّبَذة وسمع بها خبرَ القول أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق، ومحمد بن جعفر، وكتب إليهم: إنّي اخترتكم على الأمصار وفزعتُ إليكم لِما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا، فالإصلاحَ نريد لتعود هذه الأمّة إخواناً[3]. فمضيا وبقي عليٌّ بالرَّبَذة، وأرسل إلى المدينة، فأتاه ما يريده من دابّة وسلاح، وأمِرَ أمرُه، وقام في الناس فخَطَبَهم وقال: إنّ الله تبارك وتعالى أعزّنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة وتباغُض وتباعُد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحقّ فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين (هذه الأمّة)[4]! ألا إنّ هذه الأمّة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شرّ ما هو كائن؛ (ثمّ عاد ثانية وقال: إنّه لا بدّ ممّا هو كائن)[5] أن يكون، ألا وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، شرّها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم[6]، فالزموا دينكم، واهدوا بهديي، فإنّه هديُ نبيّكم، واتّبعوا سُنَّته، وأعرضوا عمّا أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فرُدُّوه، وارضوا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، ومحمّدٍ نبيّاً، وبالقرآن حَكَماً وإماماً[7].

فلمّا أراد المسير من الرَّبَذة إلى البصرة قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أيَّ شيء تريد وأين تذهب بنا؟ فقال: أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح إنْ قبِلوا

---

(١) ما بين القوسين من قوله: وكرهنا، حتى هنا، من حاشية الأصل.
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٥٦.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.
(٤) في نسخة باريس: «بين الناس».
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٦) في الطبعة الأوربية: «أدركتهم ورأيتهم».
(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.

منّا وأجابونا إليه. قال: فإنْ لم يُجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعُذْرهم ونُعطيهم الحقَّ ونَصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإنْ لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنِعْم إذاً[1]. وقام الحَجَّاج بن غزية[2] الأنصاريّ فقال: لأُرْضِيَنّك بالفعل كما أرضيتني بالقول؛ وقال:

دَراكِها دَراكِها قبلَ الفَوْتْ ... فانفرْ بنا واسْمُ بنا نحوَ الصَّوْتْ
لا وَأَلَتْ[3] نفسي إنْ كَرِهْتُ المَوْتْ

والله لننصرنّ اللَّهُ كما سمّانا أنصاراً[4]! ثمّ أتاه جماعة من طيّء وهو بالرَّبَذة، فقيل لعليّ: هذه جماعة قد أتتك؛ منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يريد التسليم عليك. قال: جزى الله كليهما[5] خيراً، وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما شهِدتُمونا به؟ قالوا: شهِدْناك بكلّ ما تحبّ. فقال: جزاكم اللَّهُ خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدِّين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين. فنهض سعيد بن عُبيد الطائي فقال: يا أمير المؤمنين إنّ من الناس من يعبِّر لسانه عمّا في قلبه، وإنّي واللَّهِ ما أجد لساني يعبّر عمّا في قلبي، وسأجهد وبالله التوفيق، أمّا أنا فسأنصح لك في السرّ والعلانية، وأقاتل عدوّك في كلّ موطن، وأرى من الحقّ لك ما لا أراه لأحد غيرك[6] من أهل زمانك لفضلك وقرابتك. فقال: رحِمَك الله! قد أدّى لسانك عمّا يُجنّ ضميرك. فقُتل معه بصفِّين[7].

وسار عليّ من الرَّبَذة وعلى مقدّمته أبو ليلى بن عمر بن الجرّاح، والراية مع محمد بن الحنفيّة، وعليّ على ناقة حمراء يقود فَرَساً كُميتاً[8].

فلمّا نزل بفَيد أتته أسد وطيّء، فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية. وأتاه رجل بفَيد من الكوفة، فقال له: مَن الرجل؟ قال: عامر بن مطر

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.
(٢) في النسخة (ي): «عونة».
(٣) في النسخة (ي): «راكب». وفي نسخة المتحف البريطاني «رالت».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩.
(٥) في الطبعة الأوربية «كلاهما»، وفي النسخة (ر): «كلا».
(٦) ساقطة من النسخة (ر).
(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٧٨.
(٨) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.

الشيباني. قال: أخبِرْ عمّا وراءك. فأخبره، فسأله عن أبي موسى، فقال: إن أردتَ الصلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردتَ القتال فليس بصاحبه. فقال عليّ: والله ما أريد إلّا الصلح حتى يُرَدَّ علينا[1].

ولما نزل عليّ الثعلبية أتاه الذي لقي عثمانُ بن حُنَيْف وحَرَسه، فأخبر أصحابَه الخبرَ فقال: اللهمّ عافِني ممّا ابتليتَ به طلحة والزُّبير. فلمّا انتهى إلى الإساد أتاه ما لقي حُكَيم بن جَبَلة وقَتَلة عثمان فقال: الله أكبر! ما يُنجيني من طلحة والزُّبير إن أصابا ثأرهما! وقال:

دعا حُكَيْمٌ دعوة الزِّماعِ حلّ بها منزلة النّزاعِ

فلمّا انتهى إلى ذي قار، أتاه فيها عثمان بن حُنيف، وليس في وجهه شعرة[2]. وقيل: أتاه بالرَّبَذة، وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته، على ما ذكرناه، فقال: يا أمير المؤمنين بعثْتَني ذا لحية وقد جئتُكَ أمرد. فقال: أصبتَ أجراً وخيراً، إنّ الناس وليهم قبلي رجلان، فعملا بالكتاب والسُّنّة[3]، ثمّ وليهم ثالث فقالوا وفعلوا، ثمّ بايعوني وبايعني طلحة والزُّبير، ثمّ نكثا بيعتي وألّبا الناس عليّ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان[4]، وخِلافهما عليّ، والله إنّهما لَيعلمان أنّي لست بدون رجل ممّن تقدّم[5]، اللهمّ فاحْلُلْ ما عقدا ولا تُبرِم ما أحكما في أنفسهما، وأرِهما المُساءة فيما قد عملا[6]! وأقام بذي قار ينتظر محمداً ومحمداً، فأتاه الخبر بما لقِيتْ ربيعة وخروج عبد القيس، فقال: عبد القيس خيرُ ربيعة، وفي كلّ ربيعة خير، وقال:

يا لهفَ نَفسي[7] على ربيعهْ ربيعةَ السّامعةِ المُطيعَهْ
قد سبَقتني فيهم الوَقيعَهْ دعا عليٌّ[8] دعوَةً سميعَهْ
حَلّوا[9] بها المنزلةَ الرّفيعَهْ[10]

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٨١.
(٣) «السّنة» ساقطة من النسخة (ر).
(٤) «وعثمان» ساقط من النسختين (ي) و (ر).
(٥) في الأصل «يقدمني».
(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠.
(٧) في أنساب الأشراف «أمّاه».
(٨) في أنساب الأشراف «حكيم».
(٩) في أنساب الأشراف «نال».
(١٠) أنساب الأشراف ٢٣٤، تاريخ الطبري ٤/٤٨١، وأوله في مروج الذهب ٢/٣٧٨.

وعُرِضت عليه بَكرُ بنُ وائل، فقال لها ما قال لطيّء وأسد. وأمّا محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر فأتيا أبا موسى بكتاب عليّ، وقاما في الناس بأمره، فلم يُجابا إلى شيء. فلمّا أمسوا دخل ناس من أهل الحِجَى [1] على أبي موسى فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: كان الرأي بالأمس ليس اليوم، إنّ الذي تهاونتم [به] فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترَون، إنّما هو أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروج سبيل الدنيا، فاختاروا. فلم ينفر إليه أحد، فغضب محمد ومحمد، وأغلظا لأبي موسى. فقال لهما: والله إنّ بَيعة عثمان لَفي عُنقي وعُنق صاحبكما، فإنْ لم يكن بُدٌّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى نَفرُغ[2] من قَتَلة عثمان حيث كانوا.

فانطلقا إلى عليّ فأخبراه الخبرَ وهو بذي قار، فقال للأشتر، وكان معه: أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كلّ شيء، اذهب أنت وابن عباس فأصلِحْ ما أفسدْتَ. فخرجا فقدِما الكوفة، فكلّما أبا موسى، واستعانا عليه بنفرٍ من أهل الكوفة، فقام[3] لهم أبو موسى وخطَبَهم وقال: أيّها الناس إنّ أصحاب النبيّ ﷺ الذين صحِبوه أعلم بالله وبرسوله ممّن لم يَصْحَبْه، وإنّ لكم علينا لَحَقّاً، وأنا مؤدٍّ إليكم نصيحة، كان الرأي أن لا تستخفّوا بسلطان الله، وأن لا تجترئوا على الله، وأن تأخذوا مَن قدِم عليكم من المدينة فتردُّوهم إليها حتى يجتمعوا، فهم أعلم بمن تصلُح له الإمامة، وهذه فتنة صمّاء، النائم فيها خيرٌ من اليَقْظان، واليَقْظان خيرٌ من القاعد، والقاعد خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الراكب، والراكب خيرٌ من السّاعي، فكونوا جُرْثومة من جراثيم العرب، فأغمِدوا السيوف، وانْصِلُوا الأسِنّة، واقطعوا الأوتار، وآووا[4] المظلوم والمضطهد، حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة[5].

فرجع ابن عبّاس والأشتر إلى عليّ فأخبراه الخبر، فأرسل ابنه الحسنَ وعمّارَ بن ياسر، وقال لعمّار: انطلِق فأصلِحْ ما أفسدتَ. فأقبلا حتى دخلا المسجد، وكان أوّل من أتاهما المسروق بن الأجدع فسلّم عليهما، وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان عَلام قتلتم عثمان؟ قال: على شتمْ أعراضنا وضرْب أبشارنا. قال: فواللّهِ ما عاقبتم بمثل ما عُوقبتم به، ولئِنْ صبرتم لكان خيراً للصابرين. فخرجَ أبو موسى فلقي الحسنَ فضمّه إليه، وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان أعَدَوت على أمير المؤمنين فيمن عدا،

---

(١) في النسخة (ي): «الحجاز».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٢ «يُفرغ».

(٣) في الطبعة الأوربية «فقال».

(٤) في النسخة (ي): «وأوفوا».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٨٢.

فأحللت نفسك مع الفُجّار؟ فقال: لم أفعل ولم يَسُؤْني. فقطع الحسنُ عليهما الكلام، وأقبل على أبي موسى فقال له: لِمَ تُثَبِّطَ الناسَ عنّا؟ فواللّهِ ما أردنا إلاّ الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمّي، ولكنّ المستشار مؤتَمن، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّها ستكون فتنة»، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب»[1]. وقد جَعَلنا الله إخواناً، وقد حرّم علينا دماءنا وأموالنا. فغضب عمّار وسبّه وقام وقال: يا أيّها الناس، إنّما قال له وحده: أنتَ فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً. فقام رجل من بني تميم فسبّ عماراً وقال: أنت أمس مع الغَوغاء واليوم تُسافه أميرَنا! وثار زيد بن صُوحان وطبقته، وثار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب إليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نُصْرتها، وكتاب إلى أهل الكوفة بمعناه، فأخرجهما فقرأهما على الناس، فلمّا فرغ منهما قال: أُمرتْ أن تَقَرَّ في بيتها، وأُمرنا أن نُقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أُمِرت به، وركبتْ ما أُمرنا به. فقال له شَبَث بن رِبْعيّ: يا عُمانيُّ ـ لأنّه من عبد القيس وهم يسكنون عُمان ـ سرقتَ بجَلُولاء فقُطعت يدك، وعصيتَ أُمَّ المؤمنين! وتهاوى الناس[2].

وقام أبو موسى وقال: أيّها الناس أطيعوني وكونوا جُرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف، إنّ الفتنة إذا أقبلت شبَّهت[3] فإذا أدبرت بيَّنت[4]، وإنّ هذه الفتنة فاقرة[5] كَدَاء البَطَن تجري بها الشمال والجنوب والصَّبا والدَّبور، تذَرُ الحليم وهو حيران كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصّدوا رماحكم، وقطِّعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم، خلُّوا قريشاً إذا أبوا إلاّ الخروج من دار الهجرة وفراق أهل علم بالأمراء[6]، استنصحوني ولا تستغِشُّوني، أطيعوني يسلم لكم دينكُم ودُنياكم، ويشقى بِحَرّ هذه الفتنة مَن جناها.

فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال: يا عبدَ الله بن قيس ردّ الفرات على أدراجه، ارْدُدْه من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٨/١ من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن رجل، عن عمرو بن وابصة الأسدي، عن أبيه.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٢/٤، ٤٨٣، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٢٩٠/٢، ٢٩١.

(٣) في النسخة (ي): «شبت».

(٤) في النسخة (ي): «متعت».

(٥) في تاريخ الطبري ٤٨٤/٤ «باقرة».

(٦) في تاريخ الطبري «وفراق أهل العلم بالإمرة».

فدعْ عنك ما لست مُدْركه! سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، انفروا إليه أجمعين تُصيبوا الحقّ.

فقام القعقاع بن عمرو فقال: إنّي لكم ناصح وعليكم شفيق، أُحبّ لكم أن ترشدوا، ولأقولنّ لكم قولاً هو[1] الحقّ، (أما ما قال الأمير فهو الحقّ)[2] لو أنّ إليه سبيلاً، وأمّا ما قال زيد، فزيد عدوّ هذا الأمر، فلا تستنصحوه، والقول الذي هو الحقّ أنّه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس وتزع[3] الظالم وتعزّ المظلوم، وهذا أمير المؤمنين وليَ بما وليَ وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا، وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع[4].

وقال عبد الخير الخَيْواني[5]: يا أبا موسى، هل بايع طلحة والزبير؟ قال: نعم. قال: هل أحدث عليّ ما يحلّ به نقْضُ بيعته؟ قال: لا أدري. قال: لا دريتَ، نحن نتركك حتى تدري، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة إنّما الناس أربع فرق: عليّ بظهر الكوفة، وطلحة والزُّبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة بالحجاز، لا غَناء بها، ولا يقاتَل بها عدوّ. فقال أبو موسى: أولئك خير الناس، وهي فتنة. فقال عبد الخير: غلب عليك غشُّك يا أبا موسى[6]! فقال سَيْحان بن صوحان: أيّها الناس، لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم ويعزّ المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمّة، الفقيهُ في الدِّين، فمن نهض إليه فإنّا سائرون معه. فلمّا فرغ سَيْحان قال عمّار: هذا ابنُ عمّ رسول الله ﷺ يستنفركم إلى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزُّبير، وإنّي أشهد أنّها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثمّ انظروا في الحقّ فقاتلوا معه. فقال له رجل: أنا مع من شهدت له بالجنّة على من لم تشهد له. فقال له الحسن: اكففْ عنّا فإنّ للإصلاح أهلاً. وقام الحسن بن عليّ فقال: أيّها الناس أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنّه سيوجد لهذا[7] الأمر من ينفر إليه، ووالله لأن[8] يليه أولو النُّهى أمثل في العاجل والآجل وخيرٌ في العاقبة[9]،

---

(١) في الطبعة الأوروبية «وهو».

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في الطبعة الأوربية «وتنزع».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٨٣، ٤٨٤.

(٥) في طبعة صادر ٣/٢٢٩ الخيراني.

(٦) من أول الفقرة: «وقال عبد الخير الخيواني، حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/٤٨٦.

(٧) في الطبعة الأوربية «إلى هذا».

(٨) في الطبعة الأوربية «لئن».

(٩) في الطبعة الأوربية «العافية».

فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتُلينا به وابتُليتم، وإنّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإنّي أذكر الله رجلاً رعى حقَّ الله إلاّ نفر، فإنْ كنت مظلوماً أعانني، وإن كنتُ ظالماً أخذ منّي، والله إنّ طلحة والزُّبير لأول من بايعني وأوّل من غدر، فهل استأثرتُ بمالٍ أو بدَّلْتُ حُكماً؟ فانفروا، فمُروا بالمعروف وانْهَوْا عن المُنْكَر. فسامح[1] الناس، وأجابوا ورضوا. وأتى قوم من طيّء عديَّ بن حاتم فقالوا: ماذا ترى وما تأمر؟ فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحَدَث العظيم لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون. فقام هند بن عَمرو فقال: إنّ أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رُسُلَه حتى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، وأعينوه برأيكم.

وقام حُجْر بن عدِيّ فقال: أيّها الناس أجيبوا أميرَ المؤمنين، وانفروا خُفافاً وثِقالاً، مُرّوا وأنا أوّلكم. فأذعن الناس للمسير، فقال الحَسَن: أيّها الناس إنّي غادٍ، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظَّهْر، ومن شاء في الماء. فنفر معه قريب [من] تسعة آلاف، أخذ في البرّ ستة آلاف ومائتان، وأخذ في الماء ألفان وأربعمائة[2].

وقيل: إنّ عليّاً أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمَّارَ إلى الكوفة، فدخلها والناس في المسجد، وأبو موسى يخطبهم ويثبّطهم، والحسن (وعمّار معه في منازعة، وكذلك سائر الناس، كما تقدّم، فجعل الأشتر لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة إلاّ دعاهم، ويقول: اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة الناس، فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبّطهم والحَسَن)[3] يقول له: اعتزل عملَنا، لا أمّ لك! وتَنَحّ عن منبرنا! وعمّار ينازعه، فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر، فخرجوا يَعْدُون وينادون: يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربَنا وأخرَجَنا. فنزل أبو موسى فدخل القصر، فصاح به الأشتر: اخرج لا أمّ لك، أخرج الله نفسَك! فقال: أجِّلني هذه العشيّة. فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة. ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وقال: أنا له جار. فكَفّوا عنه. فنفر الناس في العدد المذكور[4].

وقيل: إنّ عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل. قال أبو الطُّفيل: سمعتُ عليّاً يقول ذلك قبل وصولهم، فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا

---

(١) في النسخة (ي): «فتسامح».

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٥ «ألفان وثمانمائة» وفي موضع آخر ٤/٤٨٧ كما هنا.

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ي).

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٨٧، وانظر: أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٣٤.

رجلاً[1]. وكان على كِنانة، وأسد، وتميم، والرِّباب، ومُزَيْنة، مَعْقِل بن يسار الرياحي، وكان على سُبع قيس[2] سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار، وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج[3] الذُهْلِيّ، وكان على مَذْحِج والأشعرين حُجْر بن عدِيّ، وعلى بجيلة وأنمار وخثْعم والأزد مِخْنَف بن سُلَيم الأزدي، فقدِموا على أمير المؤمنين بذي قار، فلقيَهم في ناس معه، فيهم ابن عباس، فرحّب بهم وقال: يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم[4] ملوكَ العجم وفضضتم جُموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم، فمنعتم[5] حَوزتكم، وأعنتم[6] الناس على عدوّهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك الذي نريد، وإن يلجُّوا[7] داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلّا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله. واجتمعوا عنده بذي قار، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين عليّ [وأهل] البصرة ينتظرونه وهم أُلوف[8].

وكان رؤساء الجماعة من الكوفيّين: القعقاع بن عمرو، وسعد[9] بن مالك، وهند بن عَمرو، والهيثم بن شهاب، وكان رؤساء النُّفّار[10]: زيد بن صُوحان، والأشتر، وعدِيّ بن حاتم، والمسيّب بن نَجَبَة، ويزيد بن قيس، وأمثال لهم ليسوا دونهم، إلّا أنّهم لم يؤمَّروا، منهم حُجْر بن عدِيّ. فلمّا نزلوا بذي قار دعا عليّ القعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال: الْقَ هذين الرجلين، وكان القعقاع من أصحاب النبيّ ﷺ فادعُهما إلى الألفة والجماعة، وعظّمْ عليهما الفُرقة، وقال له: كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة[11] [منّي]؟ قال: نلقاهم بالذي أمرتَ به. فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا وكلّمناهم كما نسمع، ونرى أنّه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قدِم البصرة، فبدأ بعائشة فسلّم عليها وقال: أي أُمَّهْ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بُنيّ، الإصلاح بين الناس. قال: فابعثي إلى طلحة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٠٠.
(٢) في النسخة (ي): «اتبع».
(٣) في النسخة (ي): «مجذوع».
(٤) في الطبعة الأوربية «وليتم».
(٥) في الطبعة الأوربية «فأغنيتم».
(٦) في الأصل «فاغنيتم».
(٧) في النسخة (ر): «يلحقوا»، وفي الأصل «يلحوا».
(٨) تاريخ الطبري ٤/٤٨٧.
(٩) في تاريخ الطبري ٤/٤٨٨ «سعْر» بالراء، وأحال المحقّق في الحاشية رقم (٢) إلى الفهرس.
(١٠) في النسخة (ي): «النقادة».
(١١) في النسخة (ي): «قضاة».

والزُّبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما، فجاءا، فقال لهما: إنّي سألتُ أمّ المؤمنين ما أقدَمَها، فقالت: الإصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما، أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فواللّهِ لئنْ عرفناه لنُصلحنّ، ولئِن أنكرناه لا نُصلح[1]. قالا: قَتلة عثمان، فإنّ هذا إنْ ترك كان تَرْكاً للقرآن. قال: قد قتلتما قَتَلَةَ عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتْلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستّمائة رجل، فغضب لهم ستّةُ آلاف واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهرُكم، وطلبتم حُرْقوص بن زُهير، فمنعه ستّة آلاف، فإنْ تركتموهم[2] كنتم تاركين لِما تقولون، وإنْ قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأُديلوا عليكم، فالذي حذِرتم وقويتم[3] به هذا الأمر أعظم ممّا أراكم تكرهون، وإنْ أنتم منعتم مُضَر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذْلانكم نُصرة لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحَدَث العظيم والذّنْب الكبير.

قالت عائشة: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول: إنّ هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن اختُلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامةُ خيرٍ، وتباشيرُ رحمة، ودرْكٌ بثأر، وإنْ أنتم أبيتم إلّا مكابرةَ هذا الأمر واعتسافَه، كانت علامة شرّ، وذهابُ هذا المال، فآثِرُوا العافيةَ تُرزَقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم، ولا تعرِّضونا للبلاء فتعرَّضوا له، فيصرعنا وإيّاكم. وايْمُ اللّهِ إنّي لأقول هذا القول وأدعوكم إليه! وإنّي لخائف أن لا يتمّ حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يُقدَّر، وليس[4] كقتل الرجلِ الرجلَ، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل. قالوا: قد أصبتَ وأحسنتَ فارجع، فإنْ قدِم عليّ وهو على مثل رأيك صلَح هذا الأمر.

فرجع إلى عليّ فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرِهه، ورضيَه من رضِيه. وأقبلت وُفودُ العرب من أهل البصرة نحو عليّ بذي قار قبل رجوع القعقاع، لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أيّ حال نهضوا إليهم، وليُعْلِمُوهم أنّ الذي عليه رأيُهم الإصلاحَ، ولا يخطر لهم قتالُهم على بال.

فلمّا لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيّون مثل مقالتهم، وأدخلوهم على عليّ، فأخبروه بخبرهم، وسأل عليٌّ جريرَ بنَ شَرِس[5] عن طلحة والزُّبير، فأخبره بدقيق

---

(١) في الطبعة الأوربية «لا يصلح».
(٢) في تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٩ «تركتموه».
(٣) في تاريخ الطبري «وقربتم».
(٤) في تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٩: «وليس كالأمور، ولا كقتل الرجل».
(٥) في الأصل «سوس».

أمرهما وجليله وقال له: أمّا الزُّبير فيقول: بايَعْنا كرْهاً، وأمّا طلحة فيتمثّل[1] الأشعار، ويقول:

ألا أبلغْ بَني بكرٍ رسُولاً ... فليس إلى بني كعبٍ سبيلُ
سَيرجعُ ظلمَكمْ منكمْ عليكم ... طويلُ الساعدينِ له فُضولُ

فتمثل عليٌّ عندها:

ألمْ تعْلَمْ أبا سِمْعانَ أنّا ... نردُّ الشيخَ مثلكَ ذا الصُّداعِ
ويَذْهلُ عقلُهُ بالحربِ حتّى ... يقومَ فيستجيبَ لغيرِ داعِ
فدافَعَ عن خُزاعةَ جمعُ بكْرٍ ... وما بكَ يا سُراقةُ من دفاعِ[2]

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة، ورجع القعقاع من البصرة، فقام عليّ خطيباً فحمد الله، وذكر الجاهليّة وشقاءَها، والإسلام والسعادة، وإنعامَ الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه، ثمّ حَدَث هذا الحَدَث الذي جرَّه على هذه الأمة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا، وحسدوا من أفاءها اللّهُ عليه وعلى الفضيلة، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها، واللّهُ بالغُ أمرَه. ألا وإنّي راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلنّ أحدٌ أعان على عثمان بشيء من أمور الناس، وليُغْنِ السُّفهاءُ عنّي أنفسهم. فاجتمع نفر، منهم: عِلباء بن الهيثم، وعديّ بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسيّ، وشُرَيح بن أوفى، والأشتر، في عدّة ممّن سار إلى عثمان ورضي بسَيْر من سار، وجاء معهم المُضَريُّون، وابن السوداء، وخالد بن مُلْجم، فتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا عليّ وهو واللّهِ أبصر بكتاب الله ممّن يطلب قَتَلَةَ عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفرْ إليه سواهم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شامَّ القومَ وشامُّوه، ورأوا قلّتنا في كثرتهم، وأنتم والله ترادُون وما أنتم بالحيّ[3] من شيء!

فقال الأشتر: قد عرفنا رأيَ طلحة والزُّبير فينا، وأمّا عليّ فلم نعرف رأيه إلى اليوم، ورأي الناس فينا واحد، فإنْ يصطلحوا مع عليّ فعلى دمائنا، فهلُمُّوا بنا نثِبْ على عليّ فنُلْحقه[4] بعثمان فتعود فتنة يُرضى منا فيها بالسكون. فقال عبد الله بنِ السوداء: بئس الرأي رأيت، أنتم يا قَتَلَة عثمان بذي قار ألفان وخمسمائة، أو نحو من ستّمائة، وهذا ابن الحنظليّة، يعني طلحة، وأصحابه في نحوٍ من خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى

---

(١) في الطبعة الأوربية «يتمثل».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٩٠ و٤٩٢.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/٤٩٣ «وما أنتم بانجى».
(٤) في الأصل: «وطلحة ونلحقهما».

قتـالكم سبيلاً. فقـال عِلباء بن الهيثم: انصـرفوا بنـا عنهم ودعوهـم، فـإن قلّوا كان أقـوى لعدوّهم عليهم، وإنْ كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا فتعلّقوا ببلدٍ من البلدان حتى يأتيكم فيه من تقوون به وامتنِعوا من الناس. فقال ابن السوداء: بئس مـا رأيت، ودّ واللّهِ الناسُ أنكم انفردتم[1] ولم تكونوا مع أقـوامٍ بُرَآء، ولو انفردتم لَتخـطّفكم النـاس[2] كلّ شيء. فقـال عدِيُّ بنُ حـاتم: والله ما رضيت ولا كـرهت، ولقد عجبت مِنْ تردُّد مَنْ تردَّد عن قتْله في خوض الحديث، فـأمّا إذا وقـع ما وقـع ونزل من النـاس[3] بهذه المنزلة، فإنّ لنا عتاداً[4] من خيول وسلاح، فإنْ أقدمتم أقدمْنا، وإنْ أمسكتم أمسكنا. فقال ابن السوداء: أحسنت. وقال سـالم بن ثعلبة: من كـان أراد بما أتى الـدنيا، فـإنّي لم أُرِد ذلـك، واللّهِ لئِنْ لقيتُهم غداً لا أرجـع إلى شيء، وأحلف بالله إنّكم لَتفْـرَقُنَّ السيفَ فَـرَقَ قومٍ لا تصير أمورهم إلاّ إلى السيف. فقال ابن السوداء: قد قـال قولاً. وقـال شُريـح بن أوفي: أبرِموا أموركم قبل أن تُخرَجوا، ولا تؤخّـروا أمراً ينبغي لكم تعجيله[5]، ولا تعجّلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره، فإنّا عند الناس بشرِّ المنازل، وما أدري ما الناس صـانعون إذا مـا هم التقوا. وقال ابن السوداء: يا قـوم إنّ عزّكم في خُلْطة النـاس، فإذا التقى النـاس غداً فأنشِبوا القتالَ، ولا تَفرَّغـوهم للنظر[6]، فمن أنتم معـه لا يجد بُـدّاً من أن يمتنع، ويشغـل الله عليّاً، وطلحة، والزُّبير، ومن رأى رأيهم عمّا تكرهـون. فأبصَـروا الرأي وتفـرّقوا عليـه والناس لا يشعرون.

وأصبـح عليّ على ظَهْرٍ ومضى، ومضى معـه النـاس حتى نـزل على عبـد القيس، فانضمّوا إليه، وسار من هناك فنزل الزاوية، وسار من الزاوية يريد البصرة[7]. وسار طلحة، والزُّبير، وعائشة من الفُرْضة، فالتقوا عند موضع قصر عُبيد الله بن زياد. فلمّا نزل النـاس أرسل شقيقُ بن ثور إلى عَمرو بن مرحوم العبديّ أن اخـرج، فإذا خـرجت[8] فملْ بنـا إلى عسكر عليّ. فخرجا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر عليّ، فقال النـاس: من كان هؤلاء معه غلب. وأقاموا ثلاثة أيّـام لم يكن بينهم قتال، فكـان يرسـل عليّ إليهم يكلّمهم ويدعوهم، وكان نزولهم في النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين. ونـزل

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/٤٩٤ «أنكم على جديلة».

(٢) «الناس» ساقطة من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ي): «السماء».

(٤) في النسخة (ي): «عثاراً».

(٥) في الأصل «تقدمه».

(٦) في النسخة (ي): «توعدهم للنصر».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٩٣، ٤٩٤.

(٨) في الأصل «خرج الناس».

بهم عليّ وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به. فلمّا نزل قال أبو الجرباء للزّبير: إنّ الرأي أن تبعث ألف فارس إلى عليّ قبل أن يوافي إليه أصحابه. فقال: إنّا لَنعرف أمورَ الحرب، ولكنّهم أهل دعوتنا، وهذا أمر حدثٌ لم يكن قبل اليوم، من لم يلْق اللّهَ فيه بُعذْر انقطع عُذْره يوم القيامة، وقد فارقَنا وفدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتمّ لنا الصلح، فأبشِروا واصبروا. وأقبل صَبْرة بن شَيْمان فقال لطلحة والزُّبير: انتهزا بنا هذا الرجل، فإنّ الرأي في الحرب خير من الشدّة. فقالا: إنّ هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن، أو يكون فيه سُنّة من رسول الله ﷺ وقد زعم قوم أنّه لا يجوز تحريكه، وهم عليّ ومن معه، وقلنا نحن: إنّه لا ينبغي لنا أن نتركه ولا نؤخّره، وقد قال عليّ: ترْك هؤلاء القوم شرٌّ وهو خيرٌ من شرّ منه، وقد كان يتبيّن لنا، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بأعمِّها منفعة. وقال كعب بن سور: يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم، فأجابوه بنحو ما تقدّم. وقام عليّ فخطب الناس، فقام إليه الأعور بن بُنان[1] المنْقري، فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة، فقال له عليّ: على الإصلاح وإطفاء النائرة[2] لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمّة بنا ويضع حربهم. قال؛ فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم؟ قال: نعم.

وقام إليه أبو سلامة[3] الدألاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حُجَّة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك؟ قال: نعم. قال: أفترى لك حُجَّة بتأخير ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرَك فإنّ[4] الحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً. قال: فما حالنا وحالهم إن ابتُلينا غداً؟ قال: إنّي لأرجو أن لا يُقتل منّا ومنهم أحد نقّى قلبَه لله إلاّ أدخله الله الجنّة[5].

وقال في خُطبته: أيّها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديَكم وألسنتَكم، وإيّاكم أن تسبقونا، فإنّ المخصوم غداً مَنْ خُصم اليوم. وبعث إليهم حَكيم بن سلامة[6]، ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع، فكُفّوا حتى ننزل وننظر في هذا الأمر. وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمِّرين قد منعوا حُرقوص بن زُهير وهم معتزلون، وكان الأحنف قد بايع عليّاً بالمدينة بعد قتْل عثمان لأنّه كان قد حجّ وعاد من الحجّ

---

(١) في النسخة (ي): «سنان».

(٢) النائرة: العداوة والشحناء.

(٣) في الأصل والنسخة (ي): «سلام».

(٤) في الطبعة الأوربية «إن».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٩٥، ٤٩٦.

(٦) في الأصل والنسخة (ي): «سلام».

فبايعه. قال الأحنف: ولم أبايع علياً حتى لقيتُ طلحة، والزُّبير، وعائشةَ بالمدينة، وأنا أريد الحجّ وعثمان محصور، فقلتُ لكلٍ منهم: إنّ الرجل مقتول، فمن تأمرونني أُبايع؟ فكلّهم قال: بايع علياً. فقلت: أَتَرْضَوْنَه لي؟ فقالوا: نعم. فلمّا قضيتُ حجّي ورجعتُ إلى المدينة رأيتُ عثمان قد قُتل، فبايعتُ عليّاً ورجعتُ إلى أهلي، ورأيتُ الأمر قد استقام. فبينما أنا كذلك إذ أتاني آتٍ فقال: هذه عائشة وطلحة والزُّبير بالخُريبة يدعونك. فقلت: ما جاء بهم؟ قال: يستنصرونك على قتال عليّ في دم عثمان، فأتاني أفظع أمر، فقلت: إنّ خِذلاني أمّ المؤمنين وحَواريّ رسول الله ﷺ لشديدٌ، وإنّ قتال ابن عمّ رسول الله ﷺ وقد أمروني ببيعته أشدّ[1]، فلمّا أتيتهم قالوا: جئنا لكذا وكذا. قال: فقلتُ: يا أمّ المؤمنين ويا زُبير ويا طلحة، نشدتكم الله أقلتُ لكم: مَن تأمرونني أبايع؟ فقلتم: بايع علياً. فقالوا: نعم ولكنّه بدّل وغيّر. فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أمّ المؤمنين، ولا أقاتل ابنَ عمّ رسول الله ﷺ وقد أمرتموني ببَيْعته، ولكنّي أعتزل. فأذِنوا له في ذلك، فاعتزل بالجلحاء[2] ومعه زُهاء ستّة آلاف، وهي من البصرة على فرسَخين. فلمّا قدِم عليّ أتاه الأحنفُ فقال له: إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنّك إن ظهرت عليهم غداً قتلتَ رجالهم وسبيتَ نساءهم. قال: ما مثلي يُخاف هذا منه، وهل يحلّ هذا إلاّ لمن تولّى وكفر وهم قوم مسلمون؟ قال: اختر منّي واحدةً من اثنتين، إمّا أن أقاتل معك، وإمّا أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف. قال: فكيف بما أعطيتَ أصحابك من الاعتزال؟ قال: إنّ من الوفاء لله قتالهم. قال: فاكفف عنّا عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى: يا آل خِنْدَف! فأجابه ناس، ونادى: يا آل تميم! فأجابه ناس، ثمّ نادى: يا آل سعد! فلم يبقَ سعديّ إلاّ أجابه، فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس، فلمّا كان القتال وظفر عليّ دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين[3].

فلمّا تراءى الجمعان خرج الزُّبير على فَرَسٍ عليه سلاح، فقيل لعليّ: هذا الزُّبير. فقال: أما إنّه أحرى الرجلين إن ذُكِّر بالله تعالى أن يذكر[4].

وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ حتى اختلفت أعناق دوابّهم، فقال عليّ: لَعَمْري[5] قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عُذْراً، فاتّقيا الله ولا تكونا

---

(١) في النسختين (ي) و(ر): «لشديد».
(٢) في النسخة (ي): بالحلجاء».
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٩٦، ٤٩٧.
(٤) في الأصل «يتذكر». والخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٠١.
(٥) في النسخة (ي): «لهما».

﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾[١]، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرّم دمكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألّبت على عثمان. قال علي: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾[٢]. يا طلحة، تطلب بدم عثمان، فلعن الله قتلة عثمان! يا طلحة، أجئتَ بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبأتَ عِرسَك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي. فقال عليّ للزبير: يا زُبير ما أخرجك؟ قال: أنتَ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أَوْلى به منّا[٣]. فقال له عليّ: ألستُ له أهلاً بعد[٤] عثمان؟ قد كنّا نعدُّك من بني عبد المطّلب حتى بلغ ابنُك ابن السوء ففرّق بيننا. وذكّره أشياء، وقال له: تذكر يوم مررتَ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم، فنظر إليّ فضحك وضحكتُ إليه، فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهْوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «ليس (به زهو)[٥]، لَتُقاتلنّه وأنت ظالم له». قال: اللهم نعم، ولو ذكرتُ ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً. فانصرف عليّ إلى أصحابه فقال: أمّا الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم. ورجع الزُّبير إلى عائشة فقال لها: ما كنتُ في موطن منذ عقلتُ إلّا وأنا أعرف فيه أمري، غير موطني هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب. قال له ابنه عبد الله: جمعتَ بين هذين الغارين[٦] حتى إذا حدّد بعضهم لبعض[٧] أردتَ أن تتركهم وتذهب، لكنّك خشيتَ رايات ابن أبي طالب، وعلمتَ أنّها تحملها فتيةٌ أنجادٌ، وأنّ تحتها الموت الأحمر فجبنتَ. فأحْفَظَه ذلك، وقال: إنّي حلفتُ أن لا أقاتله. قال: كفّرْ عن يمينك وقاتِلْهُ. فأعتق غلامه مكحولاً، وقيل سرجس. فقال عبد الرحمن بن سليمان التميميّ:

لم أرَ كاليومِ أخا إخوانِ[٨] أعجبَ مِنْ مُكَفِّرِ[٩] الأيمانِ

الأبيات[١٠]. وقيل: إنّما عاد الزُّبير عن القتال لما سمع أنّ عمّار بن ياسر مع عليّ، فخاف أن يقتل عمّاراً، وقد قال النبيّ ﷺ: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية»[١١]، فردّه ابنه

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٣) في النسخة (ي): «مني».

(٤) في الطبعة الأوربية «لستُ له أهل أبعد».

(٥) في الطبعة الأوربية «بمزه».

(٦) في الطبعة الأوربية «العارين».

(٧) في الطبعة الأوربية «لبعضهم».

(٨) في الأصل «الإخوان».

(٩) في الطبعة الأوربية «مَن يكفر».

(١٠) تاريخ الطبري ٤/٥٠٢.

(١١) الحديث مشهور، أخرجه مسلم في الفتن (٢٩١٦) باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل =

عبد الله، كما ذكرناه. وافترق أهلُ البصرة ثلاث فِرَق: فِرقة مع طلحة والزُّبير، وفِرقة مع عليّ، وفِرقة لا ترى القتال، منهم الأحنف، وعِمران بن حُصَين وغيرهما. وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحُدّان في الأزد، ورأس الأزد يومئذ صَبرة بن شَيْمان، فقال له كعب بن سُور: إنّ الجموع إذا تراءت لم تستطع، إنّما هي بُحُور تَدَفّق، فأطِعْني ولا تشهدْهم، واعتزل بقومك، فإنّي أخاف أن لا يكون صُلح، ودع مُضَرَ وربيعة فهما أَخَوان، فإن اصطلحا فالصُّلْح أرَدْنا، وإن اقتتلا كنّا حُكّاماً عليهم غداً.

وكان كعب في الجاهليّة نصرانيّاً، فقال له صَبرة: أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانيّة! أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس وأن أخذل أمَّ المؤمنين، وطلحةَ والزُّبير، إنْ[1] ردُّوا عليهم الصلح، وأدع الطلبَ بدم عثمان؟ واللَّهِ لا أفعلُ هذا أبداً! فأطبق أهلُ اليمن على الحضور، وحضر مع عائشة المِنْجاب بن راشد في الرِّباب، وهم: تَيْم، وعديّ، وثور، وعُكل بنو عبد مَناف بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر، وضبّة بن أُدّ بن طابخة، وحضر أيضاً أبو الجرباء في بني عَمرو بن تميم، وهلال بن وكيع في بني حنظلة، وصَبرة بن شَيْمان على الأزد، ومُجاشع بن مسعود السُّلَمي على سُلَيم، وزُفر بن الحارث في بني عامر وغَطَفان، ومالك بن مِسْمَع على بكر، والخرِّيت[2] بن راشد على بني ناجية، وعلى اليمن ذو الآجرة الحِمْيري.

= فيتمنّى أن يكون مكان الميت من البلاء. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية». وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعمّار: «أبشِر عمّار تقتلك الفئة الباغية». رواه الترمذي في المناقب (٣٨٠٢) باب مناقب عمّار بن ياسر، وهو حديث صحيح. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وفي الباب: عن أم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وأبي اليسر، وحذيفة، وقال ابن حجر: روى حديث «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» جماعة من الصحابة، منهم: قتادة بن النعمان، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحُذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمّار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طُرُقها صحيحة أو حسنة وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم. (جامع الأصول ٤٣/٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩٨/٤ رقم ٣٧٢٠ و ٢٠٠/٤ رقم ٤٠٣٠ و ٣٠٠/١ رقم ٩٥٤ والمعجم الصغير ١٨٧/١، وابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ ٢٨٣ رقم ٢٤٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٥/٩، وتهذيبه ١٥٠/٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣ من طريق يحيى بن حمّاد، قال: أخبرنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، وعبد الرزاق في المصنّف (٢٠٤٢٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٧ و ٢٩٥/٩ وقال: أبو يعلى، والطبراني بنحوه، ورواه البزّار باختصار، وإسناده حسن، و ٢٩٧/٩، والذهبي في تاريخ الإسلام ـ بتحقيقنا ـ ٥٧١ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩.

(١) في النسخة (ي): «إذ».

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «الحارث».

ولما خرج طلحة والزُّبير نزلت مُضَر جميعاً وهم لا يشكُّون في الصُلْح، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكَّون في الصُلْح، ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكّون في الصُلْح، وعائشة في الحُدّان، والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء، وهم ثلاثون ألفاً، وردُّوا حكيماً ومالكاً إلى عليّ إنّنا على ما فارقنا عليه القعقاع، ونزل عليّ بحيالهم، فنزلت مُضَر إلى مُضَر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلاّ الصلح، وكان أصحاب عليّ عشرين ألفاً، وخرج عليّ، وطلحة، والزُّبَير فتواقفوا[1] فلم يروا أمراً أمثل من الصُلْح ووضْع الحرب، فافترقوا على ذلك. وبعث عليّ من العِشيّ عبدَ الله بن عباس إلى طلحة، والزُّبير، وبعثا هما محمد بن أبي طلحة إلى عليّ، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه، وطلحة والزُّبير إلى رؤساء أصحابهما بذلك، فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصُّلْح، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة، وقد أشرفوا على الهلكة، وباتوا يتشاورون، فاجتمعوا على إنشاب الحرب، فغَدَوا مع الغَلَس وما يُشعَر بهم، فخرجوا متسلّلين وعليهم ظُلْمة، فقصد مُضَرُهم إلى مُضَرهم، وربيعتهم إلى ربيعتهم، ويمنهم إلى يمنهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهلُ البصرة وثار كلّ قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم، وبعث طلحة والزُّبير إلى الميمنة، وهم ربيعة، أميراً عليها عبد الرحمن بن الحارث، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتّاب، وثبتا في القلب وقالا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقَنا أهلُ الكوفة ليلاً. فقالا: قد علمنا أنّ عليّاً غير مُنْتهٍ حتى يسفك الدماء وأنّه لن يطاوعنا. فردّ أهل البصرة أولئك الكوفيّين إلى عسكرهم.

فسمع عليّ وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية[2] رجلاً قريباً منه يخبره بما يريد، فلمّا قال علي: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلاّ وقوم منهم قد بيّتونا فردَدْناهم فوجدنا القوم على رِجْل، فركِبونا وثار الناس. فأرسل عليّ صاحب الميمنة إلى الميمنة وصاحب الميسرة إلى الميسرة وقال: لقد علمتُ أن طلحة والزُّبير غير منتهَيَيْن حتى يسفكا الدماء، وأنّهما لن يطاوعانا والسبئية[2] لا تفتر[3] [إنشاباً]، ونادى عليّ في الناس: كُفُّوا فلا شيء، وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يبدأوا، يطلبون بذلك الحُجَّة، وأن لا يقتلوا مُدبراً ولا يُجهزوا على جريح، ولا يستحِلّوا سلباً، ولا يرزأوا بالبصرة سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً. وأقبل كعب بن سُور حتى أتَى عائشة فقال: أدرِكي فقد أبَى القوم إلاّ القتال، لعلّ الله أن يُصْلح بكِ.

---

(١) في الطبعة الأوربية: «فتوافقوا».

(٢) في النسخة (ي): «الشيبانية». وفي الطبعة الأوربية «السبائية».

(٣) في النسخة (ي): «تغير».

فركبتْ وألبسوا هَـوْدجَها الأدراع، فلمّـا برزت من البيـوت وهي على الجمل بحيث تسمع[1] الغوغاء وقفت، واقتتل الناس. وقاتَلَ الزُّبيـر، فحمل عليـه عمّارُ بن يـاسر فجعـل يحوزه بالرمح والزُّبير كافٌّ عنه ويقول: أتقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبـا عبد الله. وإنّما كفّ الزُّبيرُ عنه لقول رسول الله ﷺ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»[2]، ولولا ذلك لقتله. وبينمـا عائشـة واقفة إذ سمعت ضجـةً شديـدةً فقالت: مـا هذا؟ قـالوا: ضجّـة العسكر. قالت: بخير أو بشرّ؟ قالوا: بشرّ، فما فجأها[3] إلاّ الهزيمـة، فمضى الزبيـر من وجهه إلى وادي السباع، وإنّما فارق المعركة لأنّه قاتل تعذيراً لما ذكر له عليّ.

وأمّا طلحة فأتاه سهمُ غَرْبٍ[4] فأصابه، فشكّ رجله بصفحة الفَرَس وهو ينـادي: إليّ إليّ عبادَ الله! الصبرَ الصبرَ! فقال له القعقاع بن عمرو: يا أبا محمد إنّك لجريـح، وإنّك عمّا تريد لعليل، فادخل البيوت. فدخـل ودمه يسيـل وهو يقـول: اللهم خذ لعثمـان منّي حتّى ترضى[5]، فلمّا امتـلأ خفّه دماً وثقُلَ قـال لغلامـه: أردِفني وأمسكني وأبلغِني مكانـاً أنزل فيه. فدخل البصرة، فأنزله في دارٍ خَرِبة فمات فيها[6].

وقيـل: إنّه اجتـاز بـه رجـل من أصحـاب عليّ فقـال لـه: أنت من أصحـاب أميـر المؤمنين؟ قال: نعم. قال: امـدد يدك أبـايعك لـه؛ فبايعـه، فخاف أن يمـوت وليس في عُنقه بيعة. ولما قضى دُفن في بني سعد. وقال: لم أرَ شيخاً أضيع دماً منّي. وتمثّـل عند دخول البصرة مَثَله ومَثَل الزُّبير:

فـإنْ تكُنِ[7] الحـوادِثُ أقصـدَتْني ... وأخـطأهـنّ سهـمي حيـنَ أرْمـي
فقـد ضُيّعتُ حينَ تَـبِعـتُ سهْـمـاً ... سَفـاهاً[8] مـا سَفِهْتُ وضلَّ[9] حلمي
نـدِمتُ نـدامَـةَ الكُسَعيِّ[10] لمّـا ... شَرَيْتُ[11] رضا بني سَهمٍ[12] برغمي[13]

---

(١) في الطبعة الأوربيـة «يُسْمِع».
(٢) تقديم تخريج الحديث قبل قليل.
(٣) في النسخة (ي): تحتها».
(٤) السهم الغَرْب: الذي لا يُدرَى راميه.
(٥) أنساب الأشراف ٢٤٧، طبقات ابن سعد ٢٢٣/٣، العقد الفريد ١٠٠/٣.
(٦) تاريخ الطبري ٥٠٣/٤ ـ ٥٠٨.
(٧) في نسخة المتحف البريطاني «تكره».
(٨) في الطبعة الأوربيـة «سفاهة».
(٩) في النسخة (ي): «ظل».
(١٠) الكُسَعيّ: رجل كانت له قوس، فرمى عليها من الليـل حُمراً من الـوحش، فظنّ أنـه قد أخـطأ، وكان قـد أصاب، فغضب أنه قد أخطأها، فكسر قوسه، فلما أصبح رأى الحُمْر وفيها سهامه وقـد مرقت، فنـدم على كسر قوسه.
=

أطعتهم بفرقة آلِ لأيٍ ... فألقوا للسّباع دَمي ولحمي[1]

وكان الذي رمى طلحةَ مروانُ بن الحَكَم[2]، وقيل غيره. وأمّا الزبير فإنّه مرّ بعسكر الأحنف بن قيس فقال: واللّهِ ما هذا انحياز، جمع بين المسلمين حتى ضُرب بعضهم بعضاً لحِق ثم ببيته. وقال الأحنف للناس: من يأتيني بخبره؟ فقال عَمرو بن جُرْموز لأصحابه: أنا، فاتّبعه، فلمّا لحِقه نظر إليه الزُّبير قال: ما وراءك؟ قال: إنّما أريد أن أسألك. فقال غلام للزُّبير اسمه عطيّة: إنّه مُعد. قال: ما يَهُولك من رجل! وحضرت الصلاة، فقال ابن جُرموز: الصلاةَ. فقال الزُّبير: الصلاةَ، فلمّا نزلا استدبره ابن جُرموز فطعنه في جربّان درعه فقتله، وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه، وخلّى عن الغلام، فدفنه بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر. وقال الأحنف لابن جُرموز: والله ما أدري، أحسنتَ أم أسأتَ.

فأتى ابنُ جرموز عليّاً فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزُّبير. فقال عليّ: ائذن له وبشّره بالنار. وأحضر سيف الزُّبير عند عليّ فأخذه فنظر إليه وقال؛ طالما جلّى به الكُرَب عن وجه رسول الله ﷺ! وبعث به إلى عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة، فلمّا رأوا الخيلَ أطافت بالجمل عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد، ووقفت ربيعة بالبصرة مَيمنة وبعضهم مَيسرة، وقالت عائشة (لما انجلت الوقعة وانهزم الناس)[3] لكعب بن سُور: خلّ عن الجمل وتقدّم بالمُصْحف فادعُهم إليه. وناولَتْه مُصْحَفاً. فاستقبل القوم والسبئية أمامهم، فرموه رشقاً واحداً فقتلوه، ورموا أمَّ المؤمنين في هودجها، فجعلتْ تنادي: البقيةَ البقيةَ يَا بُنيّ! ويعلو صوتُها كثرة: الله الله! اذكروا الله والحساب! فيأبون إلاّ إقداماً، فكان أوّل شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيّها الناس العنوا قَتَلة عثمان وأشياعهم. وأقبلت تدعو، وضجّ الناس بالدعاء. فسمع عليّ فقال: ما

=(١١) شَرَيت: بمعنى بعت. يقول: بعت رضاعهم برغم منّي.

(١٢) في تاريخ خليفة ١٨٥ «بني جَرْم»، وفي العقد الفريد ٤/٣٢١ «حزم».

(١٣) البيت في: مروج الذهب ٢/٣٧٤

طلبت رضا بني جَرْم بزعمي

وانظر العقد الفريد ٤/٣٢١.

وفي المروج بيت قبله:

ندامة ما ندمت وضلّ حلمي ... ولهفي ثم لهف أبي وأمّي

(١) الأبيات في ديوان الحطيئة ٣٤٧، وتاريخ الطبري ٤/٥٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٥٠٩.

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

هذه الضجّة؟ قالوا: عائشة تدعو على قَتَلة عثمان وأشياعهم. فقال علي: اللهمّ العن قَتَلة عثمان! فأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتّاب، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن اثْبُتا مكانَكما، وحرّضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفّون، فحملت مُضر البصرة حتى قصفت مُضرَ الكوفة حتى زحُم عليّ، فنخس قفا ابنه محمد، وكانت الراية معه، وقال له: احمل! فتقدّم حتى لم يجد متقدّماً إلّا على سنان رمح، فأخذ عليّ الراية من يده وقال: يا بُنيّ بين يديّ[1].

وحملت مُضَر الكوفة، فاجتلدوا قدّام الجمل حتى ضرِسوا، المجنِّبتان على حالهما[2] لا تصنع شيئاً، ومع عليّ قوم من غير مُضَر، منهم زيد بن صُوحان، طلبوا ذلك منه، فقال له رجل: تنحّ إلى قومك، ما لك ولهذا الموقف؟ ألستَ تعلم أنّ مُضر بحيالك، والجمل بين يديك، وأنّ الموت دونه؟ فقال: الموت خيرٌ من الحياة، الموت أريد، فأصيب هو وأخوه سَيْحان، وارتُثَّ صعصعة أخوهما، واشتدّت الحرب، فلمّا رأى عليّ ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن أن اجمعوا من يليكم[3]. فقام رجل من عبد القيس من أصحاب عليّ فقال: ندعوكم إلى كتاب الله. فقالوا: وكيف يدعونا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله، وقد قتل كعب بن سُور داعي الله! ورمته ربيعة رِشقاً واحداً فقتلوه، فقام مسلم بن عبد الله العِجْليّ مكانه، فرشقوه رِشْقاً واحداً فقتلوه، ودعت يمنُ الكوفة يمنَ البصرة فرشقوهم[4]. وأبى أهل الكوفة إلّا القتال، ولم يريدوا إلّا عائشة، فذكّرت أصحابها فاقتتلوا[5] حتى تنادوا، فتحاجزوا ثمّ رجعوا، فاقتتلوا، وتزاحف الناس، وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم، وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم، ثمّ عاد يمن الكوفة فقُتل على رايتهم عشرة، خمسة من همْدان، وخمسة من سائر اليمن. فلمّا رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده وهو يقول:

قد عِشْتِ يا نفسي وقد غَنِيتِ[6] دهراً فقَدْكِ[7] اليومَ ما بقيتُ[8]
أطلبُ طولَ العُمرِ ما حَييتُ[9]

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥١٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٥١٤ «والمُجنّبات على حالها».

(٣) في تاريخ الطبري «اجتمعوا على من يليكم».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٥١٣، ٥١٤.

(٥) في النسخة (ي): «فأقبلوا».

(٦) في طبعة صادر ٣/٢٤٦ «عشيتُ» والمثبت عن الطبري، والفتوح لابن أعثم.

(٧) في النسخة (ي): «نهيك»، وفي تاريخ الطبري «فقطْكِ».

(٨) قيّدها في تاريخ الطبري بالكسر «بقيتِ».

(٩) تاريخ الطبري ٤/٥١٥ وقد قيّدها بالكسر. وانظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/٣١٨.

وإنّما تمثلها، وقال ابن أبي نِمْران الهمْدانيّ:

جـرّدتُ سيفـي فـي رجـال الأزدِ   أضـربُ فـي كُهـولـهـمْ والـمُـرْدِ
كـلَّ طـويـلِ السّـاعـدين نَهْدِ[1]

ورجعت ربيعة الكوفة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل على رايتهم، وهم في الميسرة: زيد، وعبد الله بن رَقَبَة، وأبو عُبيدة بن راشد بن سُلْمى وهو يقول: اللهمّ أنتَ هـديتَنا من الضلالة، واستنقذتنا من الجهالة، وابتليتنـا بالفتنـة، فكنّا في شُبهـة وعلى ريبة، وقُتـل[2]. واشتدّ الأمر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم وإن كانوا إلى جَنبهم، وفعل مثل ذلك ميسـرة أهل الكـوفة بميمنة أهل البصرة، فلمّا رأى الشجعان من مُضَر الكوفة والبصـرة الصبر تنـادوا: طرِّفـوا[3] إذا فرغ الصبر، فجعلوا يقصدون الأطراف الأيديَ والأرجُلِ، فمـا رؤي وقعة كـانت أعظم منهـا قبلها ولا بعـدها، ولا أكثـر ذراعاً مقـطوعـة ولا رِجـلاً مقـطوعـة، وأصيبت يـد عبْـد الرحمن بن عتّاب قبل قتْله. فنظرت عائشة من يسارها فقالت: من القوم عن يساري؟ قال صَبْرة بن شَيْمان: بَنُوك الأزد. فقالت: يا آل غسّان حافظوا اليومَ [على] جلادكم الذي كنّا نسمع به؛ وتمثّلت:

وجـالَـدَ من غسّـانَ أهـلُ حِفـاظِهـا   وهِنْبٌ[4] وأوسٌ جـالـدتْ وشبيبُ[5]

فكـان الأزد يأخـذون بَعَر الجمـل يشُمُّونـه ويقولـون: بَعْرُ جَمَـلِ أُمّنـا ريحُـه ريـحُ المسك[6]. وقالت لمن عن يمينها: مَن القوم عن يميني؟ قـالوا[7]: بكـر بن وائل. قـالت: لكم يقول القائل:

وجـاؤوا إلينـا في الحـديـدِ كـأنّهمْ   من العزّة[8] القَعْساء بكـرُ بن وائلِ[9]

إنّما بإزائكم عبد القيس. فاقتتلوا أشدّ من قتالهم قبل ذلك. وأقبلت على كتيبـة بين

---

(١) الطبري ٤/٥١٥.
(٢) الطبري ٤/٥١٥.
(٣) في الأصل والنسخة (ي): «أطرقوا».
(٤) في النسخة (ي): «وكعب».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٥١٦.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٥٢٣.
(٧) في طبعة صادر ٣/٢٤٧ «قال»، والمثبت عن الطبري، وهو الصواب.
(٨) ساقطة من النسخة (ر)، وفي الطبعة الأوربيـة «الغرة».
(٩) تاريخ الطبري ٤/٥١٦.

يديها فقالت: من القوم؟ قالوا: بنو ناجية. قالت: بَخٍ بَخٍ، سيوفُ أبطحيّة قُرشية! فجالدوا جلاداً يُتفادى منه. ثمّ أطافت بها بنو ضبّة فقالت: ويهاً جمْرة الجمرات! فلمّا رقُّوا خالَطهم بنو عدِيّ بن عبد مَناة، وكثروا حولها، فقالت: من أنتم؟ قالوا: بنو عدِيّ خالَطْنا إخوتنا[1]، فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير، ولا يعدلون بالتطريف، حتى إذا كثُر ذلك، وظهر في العسكرين جميعاً راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يُصرع الجمل، وصار مجنبتا عليّ إلى القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً. وأخذ عَمِيرة بن يثربي برأس الجمل، وكان قاضي البصرة، قبل كعب بن سُور، فشهِد الجملَ هو وأخوه (عبد الله)[2]، فقال عليّ: من يحمل على الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو الجَمَليّ المُراديّ، فاعترضه ابن يثربيّ، فاختلفا ضربتَين فقتله ابن يثربيّ، ثمّ حمل عِلْباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربيّ فقتله، وقتل سَيْحان بن صُوحان، وارتُثّ صعصعة. وقال ابن يثربيّ:

أنا لِمن يُنكرُني ابنُ يثربي قاتل عِلْباء وهِنْدِ الجملي
وابْنٍ لصُوحانَ على دينِ علي[3]

وقال ابن يثربيّ أيضاً:

أضربُهُمْ ولا أرى أبا حسَنْ كفى بهذا حَزَناً مَن الحَزَنْ
إنّا نُمِرّ الأمرَ إمرارَ الرّسَنْ[4]

فناداه عمّار: لقد عُذت[5] بحريز، وما إليك من سبيل[6]، فإن كنتَ صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليّ. فترك الزمامَ في يد رجل من بني عدِيّ، حتى إذا كان بين الصفّين تقدّم عمّار، وهو ابن تسعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، عليه فَرْوٌ قد شدّ وسطه بحبل ليف[7]، وهو أضعف من مبارزه[8]، واسترجع الناس وقالوا: هذا لاحقٌ بأصحابه، وضربه ابن يثربيّ فاتّقاه عمّار بدرَقته، فنشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، وأسفّ عمّار

---

(١) في تاريخ الطبري «إخواننا».
(٢) إضافة من النسخة (ر).
(٣) تاريخ الطبري ٤/٥١٧، وهو في العقد الفريد ٤/٣٢٧ باختلاف عما هنا و٣/٣٤٣، وفي الطبري أيضاً ٤/٥٣٠.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٥١٩.
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٥١٧ «لُذت».
(٦) في تاريخ الطبري: «وما إليك سبيل».
(٧) تاريخ الطبري ٤/٥١٩.
(٨) في طبعة صادر ٣/٢٤٨ «بارزه» وهون غلط.

لِرِجْليه فضربه[1] فقطعهما، فوقع على اسْته، وأُخذ أسيراً، فأُتي به إلى عليّ، فقال: استبقِني. فقال: أَبَعْدَ ثلاثةٍ تقتُلُهم! وأمر به فقُتل[2]. وقيل: إنّ المقتول عمرو بن يثربيّ، وإنّ عَمِيرة بقي حتى ولي قضاءَ البصرة مع معاوية. ولما قُتل ابن يثربيّ تولّى ذلك العدويّ الزمام، فتركه بيد رجل من بني عدِيّ وبرز، فخرج إليه ربيعة العُقَيلي يرتجز ويقول:

يا أُمَّتا أعقَّ أُمٍّ نعلمُ والأُمُّ تغذو ولداً وترحمُ
ألا تَرَيْنَ كم شجاعٍ يُكلَمُ وتُخْتَلى منه يدٌ ومِعصَمُ[3]
(كذِّب فهي من أبرِّ أُمٍّ نعلم)[4]

ثمّ اقتتلا، فأثخن كلّ واحد منهما صاحبه، فماتا جميعاً، وقام مقام العدويّ الحارث الضبّي، فما رُؤي أشدّ منه، وجعل يقول:

نحنُ بنو[5] ضبّةَ أصحابُ الجملْ نبارزُ القِرْنَ إذا القِرْنُ نزَلْ[6]
نَنعى ابنَ عفّانٍ بأطرافِ الأسلْ الموْتُ أحلى[7] عندَنا من العَسَلْ
رُدّوا علَينا شَيخنا ثمّ بَجَلْ[8]

---

(1) «ضربه» ليست عند الطبري.

(2) تاريخ الطبري ٥١٧/٤ و ٥١٩.

(3) تاريخ الطبري ٥١٧/٤.

وقال ابن قتيبة: وخرج فارس أهل البصرة عمرو بن الأشرف، لا يخرج إليه أحد من أصحاب عليّ إلّا قتله، وهو يرتجز، ويقول:

يا أُمَّنا يا خيرَ أمٍّ نَعْلَمُ والأمّ تَغْذو وُلْدَها وترحَمُ
ألا تَرَيْنَ كم جوادٍ يُكْلَمُ وتُخْتَلَى هامتُهُ والمِعْصَمُ

(الأخبار الطوال ١٤٩، ١٥٠).

وفي أنساب الأشراف ٢٤٥ البيت الأول الذي عند الطبري.

(4) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ي)، وهو ليس في تاريخ الطبري، والأرجح أنها زيادة من الناسخ رَدّاً على ربيعة العقيليّ.

(5) في تاريخ الطبري: «بني».

(6) ورد الشعر الثاني بروايتين الأولى:

نَنْعَى آبنَ عفّانَ بأطراف الأسلْ

والثانية:

نُنازل الموتَ إذا الموتُ نزلْ

(7) وفي رواية «أشهى».

(8) أنظر تاريخ الطبري ٥١٨/٤ ففيه اختلاف في ترتيب أنصاف الأبيات. وراجع: تاريخ خليفة ١٩٠، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٣٤١ و ٣٤٢، ومروج الذهب ٣٧٥/٢، والعقد الفريد ٣٢٧/٤، =

وقيل: إن هذه الأبيات لوسيم بن عَمرو الضبّي. وكان عمرو يحرّض أصحابه يوم الجمل، وقد أخذ الخطام، ويقول:

نحنُ بنو[1] ضبّةَ لا نَفِرُّ حتى نَرَى جَمَاجماً تخِرُّ
يَخِرُّ منها العَلَقُ المُحْمَرُّ

ويقول:

يا أُمَّتا يا عَيْشُ لن تُراعي كلُّ بَنيكِ بَطَلٌ شجاعُ

ويقول:

يا أُمَّتا يا زوجةَ النبيِّ يا زوجةَ المُبارَكِ المهديِّ[2]

ولم يزل الأمر كذلك حتى قُتل على الخطام أربعون رجلاً. قالت عائشة: ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصوات بني ضبَّة. قال: وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش كلّهم يُقتل وهو آخذ بخطام الجمل، وكان ممّن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة، وقال: يا أمَّتاه مُريني بأمرك. قالت: آمرك أن تكون[3] خير بني آدم إن تركت[4]، فجعل[5] لا يحمل عليه أحد إلّا حمل [عليه]، وقال: حاميم[6] لا يُنصرون، واجتمع عليه نفر كلّهم ادَّعى قتْلَه، المكعبر الأسَديّ، والمكعبر الضبّيّ، ومعاوية بن شدّاد العبْسيّ، وعفّان[7] السعديّ[8] النَّصْريّ، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول[9]:

وأشعَثَ قوّامٍ بآياتِ رَبّهِ قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ

= والإصابة لابن حجر ٣/١١٩، والفتوح لابن أعثم ٢/٣١٩، ٣٢٠، ونهاية الأرب ٢٠/٧٤، والطبري أيضاً ٤/٥٣١، والبدء والتاريخ ٥/٢١٣.

(١) في تاريخ الطبري «بني» وكذلك في نهاية الأرب ٢٠/٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٥١٨.

(٣) في الأصل زيادة «من خيار»، وفي تاريخ الطبري ٤/٥٢٦ «أن تكون كخير».

(٤) في النسخة (ي): «نزلت».

(٥) في تاريخ الطبري «فحمل فجعل».

(٦) قيّدها الطبري «حَمّ».

(٧) في طبعة صادر ٣/٢٥٠ «عفار».

(٨) في تاريخ الطبري ٤/٥٢٦ «عفان بن الأشقر النصري».

(٩) في تاريخ الطبري: «ففي ذلك يقول قاتله منهم». وقيل إن النفر هم: كعب بن مدلج الأسدي، وابن المكعبر الضبّي، وشداد بن معاوية العبسي، وعصام بن المقشعر، وشريح بن أوفى أو ابن أبي أوفى، والأشتر النخعي، وذكر الزبير أن الذي قتله هو عصام بن مقشعر على الأكثر، وهو الذي قال فيه الشعر، وقد رجّح ذلك أيضاً المرزباني في موضعين من (معجم الشعراء ـ ص ٢٦٩ و ٣٤٥).

هَتَكْتُ لـه بـالـرّمـح جَيبَ قميصِـهِ ... فخـرّ صَـريعـاً لـليَـدينِ ولـلفَمِ
يـذكرني حـاميمَ[1] والرّمحُ شـاجِرٌ ... فهـلّا تـلا حـاميمَ[1] قبـلَ التّقـدّمِ
على غيـر شيءٍ غيرَ أنْ ليس تـابعـاً ... عليّـاً ومَن لا يتبَـعِ الحقّ ينـدمِ[2]

وأخذ الخطام عمرو[3] بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلّا خبطه بالسيف، فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزديّ وهو يقول:

يـا أُمَّـتـا يـا خـيـرَ أمٍّ نـعـلَمُ ... أمـا تَـريـن كم شـجـاعٍ يُـكـلمُ
وتُـخـتـلى هـامَـتُـهُ والـمِـعـصَـمُ[4]

فاختلفا ضربتين، فقتل كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، وأحدق أهل النَّجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الخطام أحد إلّا قُتل، وكان لا يأخذه والراية إلّا معروف عند المُطيفين بالجمل فينتسب: أنا فلان بن فلان، فواللّهِ إن كان لَيقاتلون عليه، وإنّه للموت لا يوصل إليه إلّا بطِلْبة وعَنَتٍ، وما رامه أحد من أصحاب عليّ إلّا قُتل أو أفلت ثمّ لم يَعُد، وحمل عـديّ بن حاتم الطّائيّ عليهم، ففُقِئَتْ عينُه، وجاء عبد الله بن الزُّبير ولم يتكلّم فقالت: من أنت؟ فقال: ابنك ابن أختك[5]. قالت: واثُكْل أسماء! وانتهى إليه الأشتر، فاقتتلا، فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً، وضربه عبد الله ضربةً خفيفة، واعتنق كلّ رجل منهما صاحبه، وسقطا إلى الأرض يعتركان، فقال ابن الزُّبير:

اقـتـلونـي ومـالـكـاً[6] ... واقـتـلوا مـالـكـاً مَعي[7]

فلو يعلمون من مالك لَقَتَلُوه، إنّما كان يُعرف بالأشتر، فحمل أصحاب عليّ وعائشة فخلَّصوهما[8]. قال الأشتر: لقِيت عبد الرحمن بن عتّاب، فلقيت أشدّ الناس وأخرقه ما لبثت[9] أن قتلته، ولقيت الأسود بن عوف فلقيتُ أشدّ الناس وأشجعه، فما كدتُ أنجو

(١) قيّدها الطبري «حَم»، وهذا مأخوذ من حديث النبيّ ﷺ: «إن بيِّتّم فلْيكُن شعاركم حَم لا يُنْصَرون».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٥٢٦، نهاية الأرب ٢٠/٧٥، طبقات ابن سعد ٥/٥٥، أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٤٣، ٢٤٤ وفيه اختلاف بالألفاظ، ومروج الذهب ٢/٣٧٤، ٣٧٥ باختلاف أيضاً.
(٣) في الأصل «على».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٢٠، ٥٢١، نهاية الأرب ٢٠/٧٦.
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٥٢٥ «أنا ابن أختك».
(٦) حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/٥٢٥.
(٧) زيادة من النسختين (ر) و (ي) ومروج الذهب ٤/٣٧٦.
(٨) قال ابن قتيبة: «فلما خاف الأشتر على نفسه قام عن عبد الله بن الزبير، وقاتل حتى خلُص إلى أصحابه، وقد عار فرسه، فقال لهم: «ما أنجاني إلّا قول ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً، فلم يدر القومُ مَن مالك، ولو قال: اقتلوني والأشتر لقتلوني». (الأخبار الطوال ١٥٠).
(٩) في الطبعة الأوروبية «لبثه»، وفي نسخة المتحف البريطاني «لقيته».

منه، فتمنّيتُ أنّي لم أكن لقيته، ولحقني جُندب بن زُهير الغامديّ، فضربته فقتلته[1]، قال: ورأيتُ عبد الله بن حَكِيم بن حزام، وعنده راية قريش، وهو يقاتل عدِيَّ بنَ حاتم، وهما يتصاولان تصاوُلَ الفَحْلَين، فتعاورناه فقتلناه. قال: وأخذ الخطامَ الأسودُ بنُ أبي البَخْتَرِيّ، فقُتل، وهو قُرَشيٌّ أيضاً، وأخذه عَمرو بن الأشرف فقُتل، وقُتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته[2]، وهو أزْدِيّ، وجُرح مروان بن الحكم، وجُرح عبد الله بن الزبير سبعاً وثلاثين جراحة من طعنة ورمية، قال: وما رأيتُ مثل يوم الجمل، ما ينهزم منّا أحد، وما نحن إلّا كالجبل الأسود، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلّا قُتل حتى ضاع الخطام، ونادى عليّ: اعقروا الجمل، فإنّه إنْ عُقر تفرّقوا، فضربه رجل فسقط، فما سمعتُ صوتاً قطّ أشدّ من عجيج الجمل[3]. وكانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مِخْنَف[4] بن سُلَيم فقُتل وأخذها الصّقعب[5]، وأخوه عبد الله بن سُلَيم فقُتل، وأخذها العلاء بن عُروة، فكان الفتح وهي بيده. وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سُلَيم فقُتل، وقُتل معه زيد وسَيْحان ابنا صُوحان، وأخذها عدّة نفر فقُتلوا، منهم عبد الله بن رَقَبَة، ثمّ أخذها مُنْقذ بن النُّعمان، فدفعها إلى ابنه مُرّة بن منقذ، فانقضت الحرب وهي في يده. وكانت راية بكر بن وائل في بني ذُهل، مع الحارث بن حسّان الذُّهْليّ، فأقدم وقال: يا معشَرَ بكرٍ لم يكن أحد له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم [فانصروه]، فتقدّم وقاتلهم، فقُتل ابنه وخمسة من بني أهله، وقُتل الحارث، فقيل فيه:

أَنْعَى الرئيسَ الحارثَ بنَ حسّانْ لآلِ ذُهْلٍ ولآلِ شَيبانْ

وقال رجل من بني ذُهْل:

تَنْعَى لنا خيرَ امرىءٍ من عدنانْ عند الطِّعانِ ونِزالِ الأقرانْ[6]

وقال أخوه بِشْر بن حسّان:

أنا ابن حسّان بن خُوطٍ وأبي رسولُ بكرٍ كلّها إلى النبيّ[7]

وقُتل رجال من بني محدوج، وقُتل من بني ذُهْل خمسة وثلاثون رجلاً، وقال رجل

(١) في النسخة (ر): «فضربه فقتله».
(٢) الطبري ٤/٥٢٢.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٥١٩.
(٤) في الطبعة الأوربية «محنف» وهو تحريف.
(٥) في الطبعة الأوربية «الصعقب»، وهو تصحيف.
(٦) في الطبعة الأوربية: «عند النزال والطعان الأقران».
(٧) تاريخ الطبري ٤/٥٢١، ٥٢٢.

لأخيه وهو يقاتل: يـا أخي ما أحسن قتـالنا إن كنّـا على الحقّ! قال: فـإنّا على الحقّ، إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وإنّا[1] تمسَّكنا بأهل بيت نبيّنا؛ فقاتلا حتى قُتلا. وجُرح يومئذ عُميـر بن الأهلب الضبّيّ، فمـرّ بـه رجـل من أصحـاب عليّ وهـو في الجـرحى يفحص برِجْليه[2] ويقول:

لقـد أوْرَدتْنـا حـومـةَ المـوتِ أُمُّنـا ... فـلم نَـنـصـرفْ إلّا ونـحـنُ رِواءُ

لقد كان في[3] نصر[4] ابن ضبّة أمّـهُ ... وشـيـعـتَـهَـا مـنـدوحـةٌ وغَـنـاءُ

أطَعنـا قريشـاً (ضِلّةً من)[5] حُلومنـا ... ونُصـرَتُنـا أهـلَ الحجـاز عَنـاءُ

أطَعنـا بـني تـيمَ بـن مُـرّةَ شِقْـوةً ... وهـل تَـيْمُ إلّا أعـبُـدٌ وإمـاءُ!؟[6]

فقـال له الـرجل: قـل لا إله إلّا الله. قـال: ادنُ منّي فلقِّنّي فبي صمم. فدنـا منـه الرجل، فوثب عليه فعضّ أذنه فقطعها[7].

وقيل في عقْر الجمل: إنّ القعقاع لقي الأشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال: هل[8] لك في العَود؟ فلم يُجِبْه. فقال: يا أشتـر، بعضنا أعلم بقتـال بعض منك، وحمـل القعقاع والزمام مع زُفر بن الحارث، وكـان آخر من أخـذ الخطام، فلم يبقَ شيـخ من بني عامر إلّا أصيب قُدّام الجمل، وزُفَر بن الحارث يرتجز ويقول:

يـا أُمَّـتـا مـثـلُك[9] لا يُـراعْ[10] ... كـلُّ بـنـيـكِ بـطلٌ شـجـاعْ

لـيس بِـوهـواءٍ[11] ولا بِـراعْ

وقال القعقاع:

---

(1) في تاريخ الطبري ٥٢٢/٤ «وإنما».

(2) في تاريخ الطبري «برجله».

(3) في تاريخ الطبري «عن» بدل «في».

(4) في الأصل «قصر» وهو تصحيف.

(5) في النسخة (ي): «من سفاه»، وفي نسخة مكتبة بودليان «صلة من».

(6) تاريخ الطبري ٥٢٤/٤، أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٦٦، ٢٦٧، وفي مروج الذهب ٣٧٩/٢ بيتان: الأول والأخير، وفيه:

«أطعنـا بني تَيْمٍ لـشقـوةَ جـدّنـا»

(7) تاريخ الطبري ٥٢٤/٤.

(8) في النسخة (ي): «هل رأيت لك».

(9) في تاريخ الطبري «يا عيش».

(10) في تاريخ الطبري «لن تراعي».

(11) في تاريخ الطبري «بوهّام».

إذا وَرَدنا آجِناً[1] جَهَرْناهْ ولا يُطاقُ وِرْدُ ما مَنَعناهْ[2]

وزحف إلى زُفَر بن الحارث الكلائيُّ، وتسرَّعَتْ عامر إلى حربه فأصيبوا، فقال القعقاع لبُجَير[3] بن دُلجة، وهو من أصحاب عليّ: يا بُجَير بن دُلجة صِحْ بقومك فلْيعقروا الجمل قبل أن تُصابوا وتصابَ أمّ المؤمنين. فقال بُجَير: يا آل ضبّة! يا عَمرو بن دُلجة! ادعُ بي إليك، فدعاه، فقال: أنا آمن حتى أرجع عنكم؟ قال: نعم. فاجتثّ ساق البعير، فرمى نفسه على شِقّه وجرجر البعير، فقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون. واجتمع هو وزُفر على قطْع بِطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه، (وإنّه كالقنفذ لما فيه من السهام)[4]، ثمّ أطافا به، وفرّ[5] مَن وراء ذلك من الناس. فلمّا انهزموا أمر عليّ منادياً فنادى: ألا لا تتبعوا مُدبراً، ولا تُجْهزوا على جريح، ولا تدخلوا الدُّورَ. وأمر عليّ نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قُبَّة، وقال: انظر هل وصل إليها شيء من جراحة؟ فأدخل رأسه في هودجها، فقالت: مَن أنت؟ فقال: أبغضُ أهلك إليك. قالت: ابن الخثعمية؟ قال: نعم. قالت: يا بأبي، الحمد لله الذي عافاك[6]!.

وقيل: لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمّار، فاحتملا الهودج فنحّياه، فأدخل محمدٌ يده فيه، فقالت: مَن هذا؟ فقال: أخوك البَرّ. قالت: عُقَق[7]! قال: يا أُخيّة هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت وذاك؟ قال: فمن إذاً! الضُّلّال؟ قالت: بل الهُداة. وقال لها عمّار: كيف رأيتِ ضرْبَ بنيك اليوم يا أُمّاه؟ قالت: لستُ لك بأم. قال: بلى، وإنْ كرهْتِ. قالت: فخرتم أنْ ظفرتم، وأتيتم مثل الذي نَقمتم، هيهات، والله لن يظفر من كان هذا دأبه!

فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قُربها أحد[8]. وأتاها عليّ فقال: كيف أنت يا أُمّهْ؟ قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك[9]. وجاء أَعْيَنُ بنُ ضُبَيعة (ابن أعين)[10]

---

(١) في نسخة المتحف البريطاني: «إذا أردنا أمراً».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٥٢٦، ٥٢٧، وانظر أنساب الأشراف ٢٤٨.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/٥٢٦، ٥٢٧، «بُحير» بالحاء المهملة. والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٢٠/٧٨.
(٤) ما بين القوسين زيادة من المؤلّف نقلها بتصرُّفٍ عن الطبري. (انظر ٤/٥٢٧ و ٥٣٣).
(٥) في تاريخ الطبري ٤/٥٢٧ «وتغارّ».
(٦) انظر تاريخ الطبري ٤/٥٣٤.
(٧) في تاريخ الطبري ٤/٥٣٣ «عقوق».
(٨) تاريخ الطبري ٤/٥٣٣.
(٩) تاريخ الطبري ٤/٥١٩.
(١٠) زيادة من نسختي (ر) و (ي).

المُجَاشعيّ حتى اطّلع في الهودج، فقالت: إليكَ لعنك الله! فقال: والله ما أرى إلاّ حُمَيراء! فقالت له: هتك اللَّهُ سترك، وقطع يدك، وأبدى عورَتَك. فقُتل بالبصرة، وسُلب، وقُطعت يده[1] ورُمي عُرياناً في خَرِبة من خَرِبات الأزد[2]. ثمّ أتى وجوه الناس عائشةَ، وفيهم القعقاع بن عمرو، فسلّم عليها فقالت: إنّي رأيتُ بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا، فهل تعرف كوفيَّك[3]؟ قال: نعم، ذاك الذي قال: أعق أُمٍّ نعلم، وكذِب، إنّك لأبرُّ أُمٍّ نعلم، ولكن لم تُطاعي. قالت: والله لَوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة[4].

وخرج من عندها فأتى عليّاً، فقال له عليّ: والله لوددتُ أنّي متّ من قبل اليوم بعشرين سنة)[5]. وكان عليّ يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال:

إليكَ أشكو عُجَري وبُجَري ... ومَعْشَراً أغشَوا[6] عليّ بَصَري

قتلتُ منهُم مُضَراً بمُضَري ... شَفَيتُ نَفسي وقتلتُ مَعشَري[7]

فلمّا كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخُزاعيّ على صفيّة بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خَلَف، وتسلّل الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة، فأقام عليّ بظاهر البصرة ثلاثاً، وأذِنَ للناس في دفْن موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم، وطاف عليّ في القتلى، فلمّا أتى على كعب بن سُور قال: أزعمتم[8] أنّه خرج معهم السفهاء، وهذا الحَبْر قد ترون! وأتَى على عبد الرحمن بن عتّاب فقال: هذا يَعْسُوب القوم، يعني أنّهم كانوا يُطيفون به، واجتمعوا على الرِّضا به[9]

---

(١) في النسخة (ي) زيادة: «ورِجله».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٥٣٣، ٥٣٤.

(٣) في النسخة (ي): «ذينك».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٣٧.

(٥) ما بين القوسين زيادة على الأصل. وهو في تاريخ الطبري ٤/٥٣٧.

(٦) في تاريخ الطبري «غشّوا» وفي نهاية الأرب «أعْشوا».

(٧) تاريخ الطبري ٤/٥٢٧، نهاية الأرب ٢٠/٨٠.
وقال ابن الأثير في النهاية، وابن منظور في لسان العرب: «حديث عليّ: أشكو إلى الله عُجَري وبُجَري، أي همومي وأحزاني، وأصل العجرة: نفخة في الظهر، فإذا كانت في البطن فهي بجرة. وقيل العُجَر: العروق المنعقدة في الظَهْر. والبُجَر: العُروق المنعقدة في البطن. ثم نقلا إلى الهموم والأحزان، أراد أنه يشكو إلى الله أموره كلها ما ظهر منها وما بَطَن.

(٨) في تاريخ الطبري ٤/٥٣٨: «فلما أُتي بكعب بن سور قال: زعمتم».

(٩) في النسخة (ي): «على الرصافه»، وفي نسخة مكتبة بودليان: «على الصنايه». وفي تاريخ الطبري: =

لصلاتهم[1]. ومرّ على طلحة بن عُبيد الله وهو صريع فقال: لهفي عليك يا أبا محمد! إنّا لله وإنّا إليه راجعون، واللّهِ لقد كنتُ أكره أن أرى قُريشاً صرعى، أنتَ والله كما قال الشاعر:

فتًى كان يُدنيهِ الغِنى من صديقِهِ   إذا ماهوَ استَغنى ويُبعِدُهُ الفَقرُ[2]

وجعل كلّما مرّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنّه لم يخرج إلينا إلاّ الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم. وصلّى عليّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة، وصلّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، وأمر فدُفنت الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال: مَن عرف شيئاً فليأخذه، إلاّ سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان[3]. وكان جميع القتلى عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب عليّ، ونصفهم من أصحاب عائشة[4] وقيل غير ذلك. وقُتل من ضبّة ألف رجل، وقُتل من بني عدِيّ حول الجمل سبعون رجلاً، كلّهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ[5]. ولما فرغ عليّ من الوقعة أتاه الأحنف بن قيس في بني سعد، وكانوا قد اعتزلوا القتال، فقال له عليّ: تربّصتَ؟ فقال: ما كنت أراني إلاّ وقد أحسنتُ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، فارفق، فإنّ طريقك الذي سلكتَ بعيد، وأنت إليّ غداً أحوج منك أمس، فاعْرِفْ إحساني، واستصفِ مودّتي لغدٍ، ولا تقل مثل هذا، فإنّي لم أزل لك ناصحاً.

ثمّ دخل عليّ البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكرة في المستأمنين أيضاً فبايعه، فقال له عليّ: و[ما] عمل[6] المتربص المتقاعد[7] بي أيضاً؟ يعني أباه أبا بكرة! فقال: والله إنّه لمريض،

= «واجتمعوا عليه ورضوا به».

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٣٨.

(٢) البيت في مروج الذهب ٢/٣٧٣، والعقد الفريد ٤/٣٢٢ وفيهما زيادة بيت:

كأنَّ الثريّا عُلِّقَت في يمينه   وفي خدّه الشِعْرَى وفي الآخَر البدر

والبيت ليس في تاريخ الطبري، وهو في نهاية الأرب ٢٠/٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٥٣٨.

(٤) الطبري ٤/٥٣٩.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٥٣٩.

(٦) في الأصل «نعمة»، وفي تاريخ الطبري ٤/٥٤٣ «وعمُّك».

(٧) في تاريخ الطبري «المقاعد».

وإنّه على مَسَرَّتك لحريص. فقال عليّ: امشِ أمامي! فمشى معه إلى أبيه، فلمّا دخل عليه عليّ قال له: تقاعدت بي[1] وتربّصتَ؟ ووضع يده على صدره وقال: هذا وجع بيّن، واعتذر اليه، فقبل عذره، وأراده على البصرة، فامتنع وقال: رجل من أهلك[2] يسكن[3] إليه الناس وسأشير عليه[4]. فافترقا على ابن عباس[5]. وولّى زياداً على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عبّاس أن يسمع منه[6] ويطيع، وكان زياد معتزلاً. ثمّ راح إلى عائشة، وهي في دار عبد الله بن خَلَف، وهي أعظم دار بالبصرة، فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خَلَف، وكان عبد الله قُتل مع عائشة، وعثمان قُتل مع عليّ، وكانت صفيّة زوجة عبد الله مُخْتَمِرة تبكي، فلمّا رأته قالت له: يا عليّ! يا قاتل الأحبّة! يا مفرّق الجمع! أيتم الله منك بنيك كما أيتمتَ وَلَد عبد الله منه! فلم يردّ عليها شيئاً. ودخل على عائشة فسلّم عليها وقعد عندها، ثمّ قال: جَبَهَتْنا صفيّة، أما إنّي لم أرها منذ كانت جارية.

فلمّا خرج عليّ أعادت عليه القول، فكفّ بغلته وقال: لقد هممتُ أن أفتح هذا الباب، وأشار إلى بابٍ في الدار، وأقتل من فيه، وكان فيه ناس من الجرحى، فأُخبر عليّ بمكانهم، فتغافل عنهم، فسكت[7]، وكان مذهبه أن لا يقتل مُدبراً، ولا يُذفّف على جريح، ولا يكشف سِتْراً، ولا يأخذ مالاً.

ولما خرج عليّ من عند عائشة قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة! فغضب وقال: مه[8]! لا تهتكُنَّ ستراً، ولا تدخلُنّ داراً، ولا تَهيِّجُنّ امرأةً بأذى، وإن شَتَمْن أعراضكم، وسَفّهنَ أمراءكم وصُلَحاءكم، فإنّ النساء ضعيفات، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ[9] مشركات، (فكيف إذا هنّ مسلمات)؟[10].

ومضى عليّ، فلحِقَه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو أمضّ شتيمةً لك من صفيّة. قال: ويْحك لعلّها عائشة! قال: نعم. قال أحدهما:

(١) في تاريخ الطبري «عني».
(٢) في تاريخ الطبري «من أهل بيتك».
(٣) في الطبعة الأوربية «يسكر».
(٤) في تاريخ الطبري «وسأكفيكه وأشير عليه».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٥٤٣.
(٦) الطبري ٤/٥٤٣.
(٧) العبارة عند الطبري ٤/٥٤٠ «فأخبر عليّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم، فسكتت».
(٨) عند الطبري «صه».
(٩) عند الطبري «وإنهن لمشركات».
(١٠) ما بين القوسين ليس عند الطبري ٤/٥٤٠، وهو من عند المؤلّف.

جُزيتِ[1] عنّا أُمَّنا عُقوقاً. وقال الآخر: يا أمّي[2] توبي فقد أخطأتِ. فبعث القعقاعَ بن عَمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه[3]، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة، وهما: عَجْلان[4] وسعد ابنا عبد الله، فضربهما مائة سَوْط وأخرجهما من ثيابهما[5].

وسألت عائشة يومئذ عمّن قُتل من الناس منهم معها ومنهم عليها، والناس عندها، فكلّما نُعي واحد من الجميع قالت: يرحمه الله. فقيل لها: كيف ذلك قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ، فلان في الجنة، وفلان في الجنة، وقال عليّ: إنّي لأرجو أن لا يكون أحد نقّى قلبه لله من هؤلاء إلّا أدخله الله الجنّة[6].

ثمّ جهز عليّ عائشة بكلّ ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وبعث معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلّا من أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها عليّ فوقف لها، وحضر الناس، فخرجت وودّعتهم وقالت: يا بَنيَّ لا يعتب[7] بعضُنا على بعض، إنّه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلّا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها، وإنّه على[8] معتبتي لَمِن الأخيار. وقال عليّ: صدقتْ، والله ما كان بيني وبينها إلّا ذاك، وإنّها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة[9].

وخرجتْ يوم السبت غرّة رجَب، وشيّعها أميالاً وسرّح بنيه[10] معها يوماً[11]، فكان وجهُها إلى مكّة، فأقامت إلى الحجّ ثمّ رجعت إلى المدينة، وقال لها عمّار حين ودّعها: ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليكِ! قالت: والله إنّك ما علمتُ لقوّال[12] بالحقّ. قال: الحمد لله الذي قضى على لسانك لي[13].

---

(١) في نسخة مكتبة بودليان «حزنت».
(٢) عند الطبري «يا أمّنا».
(٣) في الطبعة الأوروبية «له».
(٤) عند الطبري «عِجْل».
(٥) تاريخ الطبري ٤/٥٤٠.
(٦) تاريخ الطبري ٤/٥٣٧.
(٧) عند الطبري «تعتّب».
(٨) في تاريخ الطبري «وإنه عندي على».
(٩) تاريخ الطبري ٤/٥٤٤.
(١٠) في النسخة (ي): «بنته».
(١١) الطبري ٤/٥٤٤.
(١٢) في الأصل «لقواك». وفي النسخة (ي): «أقول» وفي تاريخ الطبري «قوّال».
(١٣) الطبري ٤/٥٤٥، ٥٤٦ وفيه: «قضى لي على لسانك».

وأمّا المنهزمون فقد ذكرنا حالهم، وكان منهم: عُتبة بن أبي سفيان، فخرج هو وعبد الرحمن، ويحيَى ابنا الحَكَم، فساروا في البلاد، فلقِيهم عصمة بن أُبَيْر[1] التيميّ، فقال لهم: هل لكم في الجوار؟ فقالوا[2]: نعم. فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيَّرهم نحو الشام في أربعمائة راكب، فلمّا وصلوا إلى دُومة الجندل[3] قالوا: قد وفيتَ ذمَّتك، وقضيتَ ما عليك، فرجع[4]. وأمّا ابن عامر فإنّه خرج أيضاً، فلقِيَه رجلٌ من بني حُرْقوص يدعى مُرّي، فأجاره وسيّره إلى الشام[5]. وأمّا مروان بن الحَكَم، فاستجار بمالك بن مِسْمَع، فأجاره ووفَى له، وحفِظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم، وانتفع بهم، وشرّفوه بذلك[6]. وقيل: إنّ مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خَلَف، وصحِبَها إلى الحجاز، فلمّا سارت إلى مكّة سار إلى المدينة[7]. وأمّا عبد الله بن الزبير، فإنّه نزل بدار رجل من الأزد يدعى وزيراً، فقال له: ائتِ أمّ المؤمنين فأعلِمْها بمكاني، ولا يعلمْ محمد بن أبي بكر. فأتَى عائشةَ فأخبرها، فقالت: عليّ بمحمد. فقال لها: إنّه قد نهاني أن يعلم محمد. فلم تسمعْ قوله، وأرسلتْ إلى محمد وقالت: اذهبْ مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك. فانطلق معه، وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا إلى دار عائشة في دار عبد الله بن خَلَف[8].

ولما فرغ عليّ من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال، فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسّمها على من شهد معه، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة، فقال لهم: إن أظفركم الله بالشام فلكم مثلُها إلى أُعطياتكم. فخاض في ذلك السبئيّة، وطعنوا على عليّ من وراء وراء[9]. وطعنوا فيه أيضاً حين نهاهم عن أخذ أموالهم، فقالوا: ما [له] يُحلّ لنا دماءهم ويحرِّم علينا أموالهم؟ فقال لهم عليّ: القوم أمثالكم، من صفح عنّا فهو منّا، ومَن لجّ حتى يصاب فقتاله منّي على الصَّدْر والنَّحْر.

وقال القعقاع: ما رأيتُ شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صِفّين، لقد رأيتُنا ندافعهم بأسنّتنا، ونتّكىء على أزجّتنا وهم مثل ذلك، حتى لو أنّ الرجال مشت

---

(١) في النسخة (ي): «أثير».
(٢) في الطبعة الأوربية «فقال».
(٣) دومة الجندل، زيادة من النسخة (ر).
(٤) الطبري ٤/٥٣٥، ٥٣٦.
(٥) الطبري ٤/٥٣٦.
(٦) الخبر مفصّلاً عند الطبري ٤/٥٣٦.
(٧) الطبري ٤/٥٤٢.
(٨) الطبري ٤/٥٣٦.
(٩) الطبري ٤/٥٤١.

عليها لاستقلّت بهم[1]. وقال عبد الله بن سِنان الكاهليّ: لما كان يوم الجمل ترامينا بالنَّبل حتى فنِيتْ، وتطاعنّا بالرماح حتى تكسّرت، وتشبّكَتْ في صدورنا وصدورهم، حتى لو سُيِّرت عليها الخيلُ لسارت[2]. ثمّ قال عليّ: السيوفَ يا بني المهاجرين! فما شبّهت أصواتها إلّا بضرب القصّارين[3].

وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل أن تغرب الشمس من نسر مرّ بماء حول المدينة، ومعه شيء معلّق، فسقط منه، فإذا كفٌّ فيه خاتم نَقْشُه: عبد الرحمن بن عتّاب. وعلم من بين مكّة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام[4].

وأراد عليّ المقام بالبصرة لإصلاح حالها، فأعْجَلَتْه السبئيّة عن المُقام، فإنّهم ارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه.

[رواية أُخرى في وقعة الجمل]

وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدّم، مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة، والوقعة الأولى مع عثمان بن حُنيف وحُكيم.

وأمّا مسير عليّ وعزل أبي موسى فقيل[5] فيه: إنّ عليّاً لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى، وجرى له ما تقدّم سار هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص إلى علي بالرَّبَذة، فأعلمه الحال، فأعاده عليّ إلى أبي موسى يقول له: أرسِل الناس، فإنّي لم أولّك إلّا لتكون من أعواني على الحقّ. فامتنع أبو موسى، فكتب هاشم إلى عليّ: إنّي قدمتُ على رجلٍ غالٍ مشاقق[6] ظاهر الشّنآن، وأرسل الكتاب مع المُحِل بن خليفة الطائي، فبعث عليٌّ: الحسنَ ابنَه، وعمّارَ بنَ ياسر يستنفران الناس، وبعث قَرَظة بن كعب الأنصاريّ أميراً، وكتب معه إلى أبي موسى: إنّي قد بعثتُ الحَسَن وعمّاراً يستنفران الناس، وبعثتُ قَرَظَةَ بن كعب والياً على الكوفة، فاعتزلْ عَمَلَنا مذموماً مدحوراً، وإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن يُنابذَك، فإنْ نابذْتَه فظفر بك يقطّعك إرْباً إرْباً. فلمّا قدِم الكتابُ على أبي موسى اعتزل[7]، واستنفر الحَسَنُ الناسَ، فنفروا نحو ما تقدّم. وسار عليّ نحو

---

(١) الطبري ٤/٥٣٢.

(٢ ـ ٣) الطبري ٤/٥٣٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٤٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «فقال».

(٦) في النسخة (ي) «منافق».

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٤٩٩، ٥٠٠.

البصرة، فقال جَوْن بن قتادة: كنتُ مع الزبير فجاء فارس يسير فقال: السلام عليك أيّها الأمير، فردّ عليه، فقال: إنّ هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أرَ أرثَّ سلاحاً، ولا أقلَّ عدداً، ولا أرعَبَ قلوباً منهم. ثمّ انصرف عنه، وجاء فارس آخر فقال له: إنّ القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع اللّهُ لكم من العدد والعُدَّة[1]، فخافوا فولّوا مُدْبرين. فقال الزبير: إيهاً عنك! فواللّهِ لو لم يجد عليّ بن أبي طالب إلّا العَرْفَجَ لدبّ إلينا فيه. فانصرف.

وجاء فارس، وقد كادت الخيل تخرج من الرَّهَج[2]، فقال: هؤلاء القوم قد أتوك، فلقيتُ عمّاراً فقلتُ له وقال لي. فقال الزبير: إنّه ليس فيهم! فقال الرجل: بلى واللّهِ إنّه لَفِيهم. فقال الزُّبير: واللّهِ ما جعله الله فيهم. فقال الرجل: بلى والله. فلمّا كرّر عليه أرسل الزُّبير رجلين ينظران، فانطلقا ثمّ رجعا فقالا: صدق الرجل. فقال الزُّبير: يا جَدْعَ أنفاه! يا قَطْعَ ظَهْراه! ثمّ أخذته رِعدة[3] فجعل السلاح ينتفض. قال جَون: فقلتُ ثكلتني أمّي! هذا الذي كنتُ أريد أن أموت معه أو أعيش، ما أخذه هذا الأمر[4] إلّا لشيءٍ سمعه من رسول الله ﷺ. وانصرف جَون فاعتزل، وجاء عليّ، فلمّا تواقف الناس دعا الزبيرَ وطلحةَ فتواقفوا، وذكر من أمر الزُّبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدّم[5]. فلمّا أبوا إلّا القتال قال عليّ: أيُّكم يأخذ هذا المُصْحَف يدعوهم إلى ما فيه، فإن قُطعت يده أخذه بيده الأخرى، فإنْ قُطعت أخذه بأسنانه وهو مقتول؟ فقال شابٌّ: أنا. فطاف به على أصحابه، فلم يُجبْه إلّا ذلك الشابّ، ثلاث مرّات، فسلّمه إليه، فدعاهم، فقُطعت يده اليمنى، فأخذه باليسرى فقُطعت، فأخذه بصدره والدماء تسيل على قَبائه، فقُتل، فقال عليّ: الآن حَلّ قتالهم. فقالت أمّ الفتى:

لا هُمّ إنّ مُسلِماً دَعاهُمُ يَتلو كتابَ اللّهِ لا يخشاهُمُ
وأمّهُمْ قائمَةٌ تَراهُمُ تأمرُهمْ بالقَتلِ لا تنهاهُمُ[6]
قد خُضِبَتْ من عَلَقٍ لِحاهُمُ[7]

---

(١) في تاريخ الطبري زيادة «والحدّ».
(٢) الرهج: الغبار.
(٣) عند الطبري «أخذه أفكل» وهو بمعنى الرعدة.
(٤) «الأمر» إضافة من النسخة (ر).
(٥) الطبري ٤/٥١٠، ٥١١.
(٦) في تاريخ الطبري:
«يأتمرون الغيَّ لا تَنْهاهُمُ»
(٧) في مروج الذهب: ٢/٣٧٠
يا ربّ إن مسلماً أتاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وحملت ميمنة عليّ على ميسرتهم، فاقتتلوا، فلاذ الناسُ بعائشة، وكان أكثرهم من ضبّة والأزد، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ثمّ انهزموا، ونادى رجلٌ من الأزد: كرّوا، فضربه محمد بن عليّ فقطع يده، فقال: يا معشر الأزد فرّوا، واستحرّ القتل في الأزد فنادَوا: نحن على دين عليّ. فقال رجل من بني ليث:

سائلْ بنا حينَ لَقينا الأزْدا والخيلُ تَعدو أشقراً ووَرْدَا
لمّا قَطعنا[1] كِبدَهم والزَّنْدا سُحقاً لهم في رأيهم وبُعْدا[2]

وحمل عمّار بن ياسر على الزّبير، فجعل يحُوزه بالرُّمْح، فقال: أتريد أن تقتلني يا أبا اليقظان؟ فقال: لا يا أبا عبد الله، انصرفْ، فانصرف[3]. وجُرح عبدُ الله بن الزُّبير، فألقى نفسه في الجرحى ثمّ برأ. وعُقر الجمل. واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة فأنزلها، وضرب عليها قبّة، فوقف عليّ عليها وقال لها: استنفرتِ الناس وقد فرّوا، وألَّبتِ بينهم حتى قتل بعضُهم بعضاً، في كلام كثير. فقالت عائشة: ملكْتَ فأسجِحْ[4]، نِعْمَ ما ابتليت قومك اليوم! فسرّحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهّزها بما تحتاج.

لم أذكر في وقعة الجمل إلّا ما ذكره أبو جعفر، إذ كان أوثق من نقل التاريخ، فإنّ الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم.

وممّن قُتل يوم الجمل: عبدُ الرحمن بن عُبيد الله أخو طلحة، له صُحبة. وعَمرو بن عبد[5] الله بن أبي قيس بن عامر بن لُؤَيّ، له صحبة. وفيها قُتل المُحرز بن حارثة[6] بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس، له صُحبة، واستعمله عمر على مكّة ثمّ عزله. وفيها قُتل مُعرِّض بن عِلاط السُّلَمي أخو الحَجّاج بن عِلاط، قُتل مع عليّ[7]. وفيها قُتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السُّلَميّان مع عائشة، لهما صُحبة، فأمّا مجاشع فلا شكّ أنّه قُتل في الجمل. وقُتل عبد الله بن حكيم بن حزام[8] الأسدي القُرشي مع عائشة، وكان

= فخضّبوا من دمه لحاهم وأمّه قائمة تراهم

وانظر أنساب الأشراف ٢٤١، والفتوح لابن أعثم ٣١٦/٢ في المتن والحاشية وفيه أكثر مما هنا. وانظر تاريخ الطبري ٥٢٩/٢ باختلاف الأبيات والألفاظ.

(١) في الطبعة الأوربية «قطعوا».
(٢) الطبري ٥١٢/٤.
(٣) الطبري ٥١٢/٤.
(٤) في النسخة (ي): «فاسمح»، وفي تاريخ اليعقوبي ١٨٣/٢ «قدرت فأسجح».
(٥) في النسخة (ب): «عبيد»، والمثبت يتفق مع تاريخ خليفة ١٨٨.
(٦) في تاريخ الطبري ٢٦٩/٥ «جارية».
(٧) تاريخ خليفة ١٨٩، تاريخ الطبري ٥٤٥/٤.
(٨) تاريخ خليفة ١٨٧، تاريخ الطبري ٥٢١/٤ و ٥٢٥.

إسلامه يوم الفتح، وفيها قُتل هند بن أبي هالة الأُسَيِّدي، أمّه خديجة بنت خويلد زوج النبيّ ﷺ مع عليّ، وقيل: مات بالبصرة، والأوّل أصحّ.

(الأُسَيِّدي بضم الهمزة، منسوب إلى أُسَيِّد بتشديد الياء، وهم بطن من تميم).

وقُتل هلال بن وكيع[1] بن بشر التميميّ مع عائشة، له صُحبة. وفيها قُتل مُعاذ بن عفراء أخو معوِّذ[2]، وهما ابنا الحارث بن رفاعة الأنصاريان، وشهدا بدراً، وقُتل مع عليّ، وقيل: عاش وقُتل في وقعة الحَرَّة.

(التَّيهان: بفتح التاء فوقها نقطتان، وتشديد الياء تحتها نقطتان، وآخره نون. وشَبَث: بفتح الشين المعجمة، والباء الموحَّدة، وآخره ثاء مثلَّثة. وسَيْحان: بفتح السين المهملة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وفتح الحاء المهملة، وآخره نون. ونَجَبة: بفتح النون والجيم، والباء الموحَّدة. وعَمِيرة: بفتح العين، وكسر الميم. وأُبَير بضمّ الهمزة، وفتح الباء الموحَّدة. والخِرِّيت: بكسر الخاء المعجمة، والراء المشدَّدة، وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان، وفي آخره تاء فوقها نقطتان[3]).

ذكر قصد الخوارج سِجِسْتان

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حَسَكة[4] بن عتّاب الحَبَطي، وعِمران بن الفُضَيل البرجميّ في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سِجِستان، وقد نكث أهلُها، فأصابوا منها مالاً، ثمّ أتوا زَرَنْج وقد خافهم مرزبانُها فصالحهم ودخلوها[5]، فقال الراجز:

بَشِّرْ سِجِستانَ بجوعٍ وحَرَبْ ... بابنِ الفُضَيل[6] وصَعاليكِ العَرَبْ
لا فضَّةٌ تُغنيهمُ ولا ذَهَبْ

فبعث عليّ عبدَ الرحمن بن جزء[7] الطائيّ، فقتله حَسَكةُ، فكتب عليّ إلى عبد الله بن العبّاس يأمره أن يولّي سِجِسْتانَ رجلاً ويسيّره إليها في أربعة آلاف، فوجَّه

---

(١) تاريخ خليفة ١٨٩.
(٢) في الأصل والنسخة (ي): «مسعود».
(٣) هنا ينتهي الجزء الثاني من الأصل المخطوط.
(٤) في النسخة (ي): «جبلة».
(٥) الخبر في تاريخ خليفة ١٨٢.
(٦) في فتوح البلدان «الفصيل».
(٧) في طبعة صادر ٣/٢٦٤ «جرو» والتصحيح من فتوح البلدان.

رِبعيَّ بن كاس العنبريّ، ومعه الحُصَيْن بن أبي الحُرّ العنبري، فلمّا ورد سجستان قاتلهم حَسَكة وقتلوه، وضبط رِبْعيّ البلاد[1]، وكان فيروز حُصين يُنسب إلى الحصين بن أبي الحرّ هذا، وهو من سِجِستان[2].

ذكر قَتْل محمّد بن أبي حُذَيْفة[3]

في هذه السنة قُتل محمد بن أبي حُذيفة، وكان أبوه أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قُتل يوم اليمامة، وترك ابنه محمداً هذا، فكفله عثمان بن عفّان وأحسن تربيته، وكان فيما قيل: أصاب شراباً فحدّه عثمان، ثمّ تنسَّك محمد وأقبل على العبادة، وطلب من عثمان أن يولّيه عملاً، فقال: لو كنتَ أهلاً لذلك لولّيتك. فقال له: إنّي قد رغبتُ في غزو البحر فأْذن [لي] في إتيان مصر، فأذِن له وجهّزه، فلمّا قدِمَها رأى الناسُ عبادَته فلزِموه وعظّموه، وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصَّواري.

وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول: استعمل رجلاً أباح رسول الله ﷺ دمه. فكتب عبدُ الله إلى عثمان: إنّ محمداً قد أفسد عليَّ البلاد هو ومحمد بن أبي بكر. فكتب إليه: أمّا ابن أبي بكر فإنّه يوهَب لأبيه ولعائشة، وأمّا ابن أبي حُذيفة فإنّه ابني وابن أخي وتربيتي، وهو فرخ قريش. فكتب إليه: إنّ هذا الفرخ قد استوى ريشُه ولم يبقَ إلّا أن يطير. فبعث عثمان إلى ابن أبي حُذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة،

---

(1) الخبر بنصّه في فتوح البلدان ٤٨٧ وهو ليس في تاريخ الطبري.
(2) فتوح البلدان ٤٨٨.
(3) العنوان من الأصل.
وقد ذكر خليفة مقتله في وقعة الحَرَّة سنة ٦٣ هـ. (ص ٢٥٠) وقيل قتله شيعة عثمان بفلسطين سنة ٣٦ هـ. (تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين) بتحقيقنا ـ ص ٦٠٢.
انظر عنه في:
السير والمغازي لابن إسحاق ١٧٦ و٢٢٣، والأخبار الموفقيّات للزبير بن بكار ٣٠٠، والمحبّر لابن حبيب ١٠٤ و٢٧٤، وتاريخ خليفة ٢٠١ و٢٥٠، والتاريخ الصغير للبخاري ١/٨١، والأخبار الطوال لابن قتيبة ١٥٧، والمعارف له ١٩٥ و٢٧٢، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٥٠٨، وفتوح البلدان للبلاذري ٢٦٩، وأنساب الأشراف له، ق ٤ ج ١/٥٣٩ ـ ٥٤١ و٥٥٠ و٥/٤٩ ـ ٥١ و٦١، وتاريخ الطبري ٤/٢٩١ و٢٩٢ و٣٥٣ و٣٥٧ و٣٥٨ و٣٧٨ و٣٩٩ و٤٢١ و٥٤٦ و٥٤٧ و٥/١٠٥ و١٠٦، والولاة والقضاة للكندي ١٤، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ٥٦ رقم ٣٩١، والاستيعاب لابن عبد البرّ ٣/٣٤١، ٣٤٢، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٧٧، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/٣١٥، ٣١٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٤٧٩ ـ ٤٨١ رقم ١٠٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠١، ٦٠٢، والوافي بالوفيات ٢/٣٢٨، والعقد الثمين للقاضي الفاسي ١/٤٥٤، والإصابة لابن حجر ٣/٣٧٣، ٣٧٤ رقم ٧٧٦٧.

فوضعها محمد في المسجد ثمّ قال: يا معشر المسلمين ألا تروَن إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه! فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعْناً على عثمان، (وبايعوه على رياستهم)[1]، فكتب إليه عثمان يذكّره بِرّه به وتربيته إيّاه وقيامه بشأنه، ويقول: إنّك كفرتَ إحساني أحوج ما كنتُ إلى شكرك. فلم يردّه ذلك عن ذمّه وتأليب الناس عليه، وحثّهم على المسير إلى حصْره، ومساعدة من يريد ذلك.

فلمّا سار المصريّون إلى عثمان، أقام هو بمصر، وخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، (فاستولى عليها)[2] وضبطها، فلم يزل بها مقيماً حتى قُتل عثمان وبويع عليّ، واتّفق معاوية وعَمرو بن العاص على خلاف عليّ، فسار إلى مصر قبل قُدوم قيس بن سعد إليها أميراً، فأراد دخولها فلم يقدر على ذلك، فخدع[3] محمداً حتى خرج منها إلى العريش في ألف رجل، فتحصّن بها، فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقُتل.

وهذا القول ليس بشيء، لأنّ عليّاً استعمل قيساً على مصر أوّل ما بويع له، ولو أنّ ابن أبي حُذيفة قتله معاوية وعَمرو قبل وصول قيس إلى مصر لاستوليا عليها، لأنّه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها، ولا خلاف أنّ استيلاء معاوية وعَمرو عليها كان بعد صِفّين، والله أعلم.

وقيل غير ذلك، وهو أنّ محمد بن أبي حُذيفة سيَّر المصريّين إلى عثمان، فلمّا حصروه أخرج محمدٌ عبدَ الله بن سعد عن مصر، وهو عامل عثمان، واستولى عليها، فنزل عبد الله على تُخُوم مصر، وانتظر أمر عثمان، فطلع عليه راكب فسأله، فأخبره بقتل عثمان، فاسترجع، وسأله عمّا صنع الناس بعده، فأخبره ببيعة عليّ، فاسترجع، فقال له: كأنّ إمرة عليّ تعدل عندك قتْلَ عثمان! قال: نعم. قال: أظنّك عبد الله بن سعد. فقال: نعم. فقال له: إن كانت لك في نفسك حاجة فالنّجاء النجّاء، فإنّ رأي أمير المؤمنين عليّ فيك وفي أصحابك إنّ ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفِيَكُم، وهذا بعدي أمير يقدَم عليك. فقال: من هو؟ قال: قيس بن سعد بن عُبادة. قال عبد الله بن سعد: أبْعَدَ اللَّهُ محمدَ بنَ أبي حُذيفة، فإنّه بغى على ابن[4] عمّه وسعى عليه، وقد كفله وربّاه وأحسن إليه، فأساء جواره وجهّز إليه الرجال حتى قُتل، ثمّ ولّى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٢) من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ر): «فخدعا».

(٤) ساقطة من الأصل.

ولم يمتّعه بسلطان بلاده شهراً، ولم يره لذلك أهلاً. وخرج عبد الله هارباً حتى قدِم على معاوية[1].

وهذا القول يدلّ على أنّ قيساً وليَ مصر ومحمد بن أبي حذيفة حيّ، وهو الصحيح.

وقيل: إنّ عَمراً سار إلى مصر بعد صِفّين، فلقيه[2] محمد بن أبي حُذيفة في جيش، فلمّا رأى عَمرو كثرة من معه أرسل إليه، فالتقيا واجتمعا، فقال له عمرو: إنه قد كان ما ترى وقد بايعتُ هذا الرجل، يعني معاوية، وما أنا براضٍ بكثيرٍ من أمره، وإنّي لأعلم أنّ صاحبك علياً أفضل من معاوية نفساً وقديماً، وأولى بهذا الأمر، فواعِدْني موعداً ألتقي معك فيه في غير جيش، تأتي في مائة وآتي في مثلها، وليس معنا إلاّ السيوف في القُرَب. فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتّعدا العريش، ورجع عَمرو إلى معاوية، فأخبره الخبر، فلمّا جاء الأجل سار كلّ واحد منهما إلى صاحبه في مائة، وجعل عمرو له جيشاً خلفه لينطوي خبره، فلمّا التقيا بالعريش قدِم جيش عَمرو على أثرهِ، فعلم محمد أنّه قد غدر به، فدخل قصراً بالعريش فتحصّن به، فحصره عَمرو ورماه بالمنجنيق حتى أُخذ أسيراً، وبعث به عَمرو إلى معاوية فسجنه، وكانت ابنة قَرَظة امرأة معاوية ابنة عمّة محمد بن أبي حُذيفة أمّها فاطمة بنت عُتبة، فكانت تصنع له طعاماً ترسله إليه، فأرسلت إليه يوماً في الطعام مَبَارِد، فبرد بها قيوده وهرب، فاختفى في غار، فأُخذ وقُتل، والله أعلم.

وقيل: إنّه بقي محبوساً إلى أنْ قُتل حُجْر بن عدِيّ، ثمّ إنّه هرب، فطلبه مالك بن هُبيرة السَّكوني، فظفر به فقتله غَضَباً لحُجْر، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حُجْر فلم يشفّعه. وقيل: إنّ محمد بن أبي حُذيفة لما قُتل محمد بن أبي بكر خرج في جمعٍ كثير إلى عمرو (فآمَنه عمرو)[3]، ثمّ غدر به وحمله إلى معاوية بفلسطين فحبسه، ثمّ إنّه هرب، فأظهر معاوية للناس أنّه كره هربه وأمر بطلبه، فسار في أثره عُبيد الله بن عمرو بن ظَلّام الخثعمي، فأدركه بحوْران في غار، وجاءت حُمُر تدخل الغار، فلمّا رأت محمداً نفرت منه، وكان هناك ناس يحصدون، فقالوا: والله إنّ لنِفرة هذه الحُمُر لَشأناً. فذهبوا إلى الغار فرأوه، فخرجوا من عنده، فوافقهم[4] عُبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم، فقالوا:

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٤٦، ٥٤٧.

(٢) في الأصل «فأتمه».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) في الأصل «فلاقاهم».

هو في الغار، فأخرجه وكره أن يأتي به معاوية فيخلّي سبيله، فضرب عُنقه، وكان ابن خال معاوية.

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وفي هذه السنة في صفر بعث عليّ قيسَ بنَ سعد أميراً على مصر، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ وكان من ذوي الرأي والبأس، فقال له: سِرْ إلى مصر فقد ولَّيتكها، واخرج إلى رحْلك واجمع إليك ثقاتك ومن أحببتَ أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جُند، فإن ذلك أرعب لعدوّك وأعزّ لوليك، وأحسِنْ إلى المحسن، واشتدّ على المريب، وارفقْ بالعامة والخاصة، فإن الرفقَ يُمن. فقال له قيس: أمّا قولك: اخرج إليه بجُنْد، فواللّهِ لئن لم أدخلها إلاّ بجُنْد آتيها[1] به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدع ذلك الجُنْدَ لك، فإن كنتَ احتجتَ إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجهٍ من وجوهك كانوا عُدة. فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدّم ذكره، فصعِد المنبر فجلس عليه، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرىء على أهل مصر بإمارته، ويأمرهم بمبايعته ومساعدته وإعانته على الحقّ[2]، ثمّ قام قيس خطيباً وقال:

الحمدُ لله الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكبتَ الظالمين، أيّها الناس إنّا قد بايعنا خيرَ مَن نعلم بعد نبيّنا ﷺ فقوموا أيّها الناس فبايعوه على كتاب الله وسُنّة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بَيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر، وبعث عليها عمّاله إلاّ قرية منها يقال لها خَرنبا[3] فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان، عليهم رجل من بني كِنانة، ثمّ من بني مُدلج اسمه يزيد[4] بن الحارث، فبعث إلى قيس يدعو إلى الطلب بدم عثمان. وكان مَسْلَمَة بن مُخلَّد قد أظهر الطلب أيضاً بدم عثمان، فأرسل إليه قيس: ويْحك أعليَّ تَثِب! فواللّهِ ما أُحبّ أن لي مُلك الشام إلى مصر، وأنّي قتلتك! فبعث إليه مَسْلمة: إنّي كافّ عنك ما دمت أنت والي مصر.

وبعث قيس، وكان حازماً، إلى أهل خَرنبا: إنّي لا أُكرِهكم على البيعة، وإنّي كافٌّ عنكم؛ فهادنهم وجبَى الخراج ليس أحد ينازعه، وخرج أمير المؤمنين إلى الجمل

---

(١) في النسخة (ي): «أتيتها».
(٢) أنظر نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ٤/٥٤٨، ٥٤٩.
(٣) تقدّم التعريف بها في هذا الجزء. ويقال: خربتا.
(٤) في الأصل ونسخة (ي): «زيد».

ورجع وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية لقُربه من الشام، ومخافة أن يُقبل عليّ في أهل العراق، وقيس في أهل مصر، فيقع بينهما معاوية، فكتب معاوية إلى قيس:

سلام عليك، أمّا بعد فإنّكم نقَمتم على عثمان ضربةً بسَوْط أو شتيمةَ[1] رجل أو تسيير[2] آخر واستعمال فتى، وقد علمتم أنّ دمه لا يحلّ لكم، فقد ركبتم عظيماً، وجئتم أمراً إدّاً، فتبْ إلى الله يا قيس، فإنّك من المُجْلبين على عثمان، فأمّا صاحبك فإنّا استيقنّا أنّه الذي أغرى [به] الناسَ وحملهم حتى قتلوه، وإنّه لم يسلم من دمه عُظْم قومك، فإنِ استطعتَ يا قيس أن تكون ممّن يُطالب بدم عثمان فافعلْ، وتابِعْنا على أمرنا، ولك سلطان العراقين إذا ظهرتُ ما بقيتُ، ولمن أحببتَ من أهلك سلطانُ الحجاز ما دام لي سلطان، وسَلْني ما شئت، فإنّي أعطيك واكتبْ إليّ برأيك.

فلمّا جاءه الكتاب أحبّ أن يدافعه ولا يُبدي له أمره، ولا يتعجّل إلى حربه، فكتب إليه: أمّا بعد فقد فهمتُ ما ذكرته من قتلة[3] عثمان، فذلك شيء لم أقاربه، وذكرتَ أنّ صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه، وهذا ممّا لم أطّلع عليه، وذكرتَ أنّ عُظْم عشيرتي لم تسلم [من دم عثمان]، فأوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي، وأمّا ما عرضتَه من متابعتك، فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا ممّا يسرَع إليه، وأنا كافٌّ عنك، وليس يأتيك من قِبَلي شيء تكرهه، حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى.

فلمّا قرأ معاوية كتابه رآه مقارباً مباعداً، فكتب إليه:

أمّا بعد فقد قرأتُ كتابك، فلم أرَك تدنو فأعدَّك سلماً، ولا مُتباعداً فأعدَّك حرباً، وليس مثلي[4] يصانع المخادع وينخدع للمكايد، ومعه عدد الرجال وبيده [أعِنَّة الخيل]، والسلام.

فلمّا قرأ قيس كتابه، ورأى أنّه لا يفيد معه المدافعة والمماطلة، أظهر له ما في نفسه، فكتب إليه: أمّا بعد فالعجب من اغترارك بي، وطمعك فيّ، واستسقاطك إيّايِ، أتسومني الخروج عن طاعة أَوْلى الناس بالإمارة، وأقْولهم[5] بالحقّ، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من

---

(١) في الأصل «شيعته».

(٢) في الطبعة الأوروبية «تيسير».

(٣) في تاريخ الطبري ٥٥١/٤ «قتل».

(٤) في الطبعة الأوروبية «مثل».

(٥) في النسخة (ب): «وأقودهم».

هـذا الأمر، وأقْـولهم بالـزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعـدهم من رسـول الله ﷺ وسيلة، ولـدِ ضـالّين مُضِلّين، طاغـوتٍ من طواغيت إبليس! وأمّـا قولـك إنّي مالىء عليـك مصر خيـلاً ورجالاً[1]، فوالله إنْ لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهمَّ إليك إنّك لذو جَدٍّ، والسلام.

فلمّا رأى معاوية كتابه أيس منه وثقل عليه مكـانه، ولم تنجـع حِيَلُه فيه، فكـاده من قِبَـل عليّ، فقال لأهـل الشام: لا تسبُّـوا قيس بن سعد، ولا تـدْعوا إلى غـزوه، فإنّـه لنـا شيعة، قد تأتينا كُتُبه ونصيحته[2] سرّاً، ألا ترون مـا يفعل بـإخوانكم الـذين عنده من أهـل خَـرْنبا، يُجـري عليهم أعـطيـاتهم وأرزاقهم ويُحسن إليهم! وافتعـل كتـابـاً عن قيس إليـه بالطلب بدم عثمان، والدخول معه في ذلك، وقرأه على أهل الشام.

فبلغ ذلك عليّاً، أبلغـه ذلك محمـد بن أبي بكر ومحمـد بن جعفر بن أبي طـالب، وأعلمته عيونه بالشام، فأعظمه وأكبره، فدعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك. فقال ابن جعفر: يا أميرَ المؤمنين دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبـك، اعزل قيسـاً عن مصر. فقـال عليّ: إنّي واللّهِ ما أصدِّق بهذا عنه. فقال عبد الله: اعزله، فـإنْ كان هـذا حقّاً لا يعتـزل لك. فإنهم كذلك إذ جاءهم كتاب من قيس يخبر أمير المؤمنين بحال المعتزلين وكفِّـه عن قتالهم. فقال ابن جعفر: مـا أخوفني أن يكون ذلك ممالأة منه، فمُرْه بقتـالهم. فكتب إليه يأمره بقتالهم، فلمّا قرأ الكتاب كتب جوابه: أمّا بعد فقد عجبتُ لأمرك تـأمرني بقتـال قوم كافّين عنك مفرِّغيك لعـدوّك! ومتى حاددنـاهم[3] ساعـدوا عليك عـدوّك، فأطِعني يـا أمير المؤمنين واكفف عنهم، فـإنّ الرأي تـركْهم، والسـلام. فلمّـا قـرأ عليّ الكتـاب قـال ابن جعفر: يا أميرَ المؤمنين ابعثْ محمد بن أبي بكـر على مصر واعـزل قيساً، فقـد بلغني أنّ قيساً يقول: إنّ سلطاناً لا يستقيم إلاّ بقتل مَسْلَمة بن مُخلَّد لسلطان سَوْء.

وكـان ابن جعفر أخـا محمد بن أبي بكـر لأمّه؛ فبعث عليّ محمـد بن أبي بكر إلى مصر، وقيل: بعث الأشتـر النَّخعيّ، فمات بـالطريق، فبعث محمـداً، فقدِم محمـد على قيس بمصـر، فقال لـه قيس: ما بـال أمير المؤمنين؟ مـا غيّره[4]؟ أدخـل أحد بيني وبينـه؟ قال: لا، وهذا السلطان سلطانك. قال: لا والله لا أقيم. وخـرج منها مقبـلاً إلى المدينـة وهو غضبان لعزْله، فجـاءه حسّان بن ثـابت، وكان عثمـانيّاً، يشمت بـه، فقال لـه: قتلتَ عثمان ونزعك عليّ، فبقي عليك الإثم، ولم يُحسن لك الشُّكر! فقال له قيس: يـا أعمى

---

(1) في تاريخ الطبري ٤/٥٥١ «ورَجْلاً».

(2) في تاريخ الطبري ٤/٥٥٢: «يأتينا كيِّس نصيحته سراً».

(3) في الأصل «صاددناهم».

(4) في النسخة (ي): «أغره».

القلب والبصر[1]! والله لولا أن ألقي بين رهْطي ورهْطك حرباً لضربتُ عنقك[2]! اخرج عنّي! ثمّ أخافَ مروانُ بن الحَكَم قيساً بالمدينة، فخرج منها هو وسهل[3] بن حُنيف إلى عليّ، فشهدا معه صِفّين. فكتب معاوية إلى مروان يتغيّظ عليه ويقول: لو أمددتَ عليّاً بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه.

فلمّا قدم قيس على عليّ وأخبره الخبر، علم أنّه كان يقاسي أموراً عظاماً من المكايدة، وجاءهم خبر قتْل محمد بن أبي بكر، فعظُم محلّ قيس عنده، وأطاعه في الأمر كلّه، ولما قدِم محمد مصرَ قرأ كتاب عليّ على أهل مصر، ثمّ قام فخطب فقال:

الحمد لله الذي هدانا وإيّاكم لما اختُلف فيه من الحقّ، وبصّرنا وإيّاكم كثيراً ممّا كان عميَ عنه الجاهلون. ألا إنّ أمير المؤمنين ولّاني أمركم، وعهِد إليّ ما سمعتم، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله، فاحمدوا الله على ما كان من ذلك، فإنّه هو الهادي له، وإنْ رأيتم عاملاً لي عمل بغير الحقّ فارفعوه إليّ وعاتبوني فيه، فإنّي بذلك أسعد، وأنتم [بذلك] جديرون، وفّقنا الله وإيّاكم لصالح الأعمال برحمته.

ثمّ نزل، ولبث شهراً كاملاً، حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس، فقال لهم: إمّا أن تدخلوا في طاعتنا وإمّا أن تخرجوا عن بلادنا. فأجابوه: إنّا لا نفعل، فدعْنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمرُنا، فلا تعجل لحرْبنا. فأبَى عليهم، فامتنعوا [منه] وأخذوا حِذْرهم، فكانت وقعة صِفّين وهم هائبون لمحمد.

فلمّا رجع عليّ عن معاوية، وصار الأمر إلى التحكيم، طمعوا في محمد، وأظهروا له المبارزة، فبعث محمد الحارثَ بن جُمْهان الجُعْفيَّ إلى أهل خَرنبا، وفيها يزيد بن الحارث مع بني كِنانة ومن معه، فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه. فبعث محمد إليهم أيضاً ابن مَضاهم الكلبيّ فقتلوه[4].

وقد قيل: إنّه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرِهْتُ ذِكْرَها، فإنّها ممّا لا يحتمل سماعها العامة.

وفيها قدِم أبراز[5] مَرْزُبان مَرْو إلى عليّ بعد الجمل مُقِرّاً بالصلح، فكتب له كتاباً

---

(١) في الأصل والنسخة (ي): «والبصيرة».

(٢) في الأصل زيادة «قم».

(٣) في الأصل «سهيل».

(٤) الخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٥٤٦/٤ ـ ٥٥٧، وانظر: كتاب الولاة والقضاة للكندي ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) في النسخة (ي): «ابراه بن»، وفي الأصل ونسخة المتحف البريطاني «ابرار بن». وفي تاريخ الطبري ٥٥٧/٤ «ماهويه أبراز» وكذلك في تاريخ اليعقوبي.

إلى دهاقين مَرْو، والأساورة، ومَن بمرو، ثمّ إنّهم كفروا وأغلقوا نَيْسابور، فبعث عليٌّ خُلَيدَ بن قُرَّة، وقيل: ابن طريف[1] اليَربُوعيّ، إلى خُراسان[2].

ذكر قدوم عَمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له[3]

قيل: كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة، قبل أن يُقتل عثمان، نحو فلسطين.

وسبب ذلك أنّه لما أحيط بعثمان قال: يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتْل هذا الرجل إلّا ضربه الله بذُلّ، من لم يستطع نصرَه فلْيهرب. فسار، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم. وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، فسكن فلسطين، فمرّ به راكب من المدينة، فقال له عَمرو: ما اسمك؟ قال: حَصِيرة. قال عمرو: حُصِر الرجل! فما الخبر؟ قال: تركتُ عثمان محصوراً. ثمّ مرّ به راكب آخر بعد أيّام فقال له عمرو: ما اسمك؟ قال: قَتَّال. قال: قُتل الرجل! فما الخبر؟ قال: قُتل عثمان، ولم يكن[4] شيء إلى أن سرتُ. ثمّ مرّ به راكب من المدينة، فقال له عمرو: ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون[5] حرب، وقال له: ما الخبر؟ فقال: بايع الناس عليّاً. فقال سَلْم[6] بن زِنباع: يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكُسر، فاتّخِذوا باباً غيره. فقال عمرو: ذلك الذي نريده. ثمّ ارتحل عَمرو راجلاً معه ابناه يبكي كما تبكي المرأة، وهو يقول: واعُثْماناه! أنعى الحياء والدّين! حتى قدِم دمشق، وكان قد علم الذي يكون فعمل عليه، لأنّ النبيّ ﷺ كان قد بعثه إلى عُمان، فسمع من حَبْرٍ هناك شيئاً عرف مصداقه، فسأله عن وفاة النبيّ ﷺ ومن يكون بعده، فأخبره بأبي بكر، وأنّ مُدّته قصيرة، ثمّ يلي بعده رجل من قومه مثله تطول مدّته ويُقتل غِيلة، ثم يلي بعده رجل من قومه تطول مدّته، ويُقتل عن[7] ملإ، قال: ذلك أشدّ[8] ثمّ يلي بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه، ويكون على رأسه حرب شديدة، ثمّ يُقتل قبل أن يجتمع الناس عليه، ثمّ يلي بعده أميرُ الأرض المقدَّسة، فيطول مُلكه، وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة، ثمّ يموت[9].

---

(١) في النسخهة (ي): «طويب».
(٢) الطبري ٥٥٧/٤، ٥٥٨، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢.
(٣) في النسخة (ي): «مبايعته».
(٤) في الأصل والنسخة (ي) زيادة «له».
(٥) في الطبعة الأوربية «ليكون».
(٦) في النسخة (ي): «مسلم».
(٧) في الأصل «على».
(٨) في الطبعة الأوربية «أشرّ».
(٩) تاريخ الطبري ٥٥٨/٤ ـ ٥٦٠.

وقيل: إنّ عَمراً لما بلغه قتْلُ عثمان قال: أنا أبو عبد الله، أنا قتلته، وأنا بوادي السباع، إن يَلِ هذا الأمر طلحة فهو فتى العرب سَيْباً[1]، وإن يلِه[2] ابن أبي طالب فهو أكره مَن يليه إليّ. فبلغه بيعةُ عليّ، فاشتدّ عليه، وأقام ينتظر ما يصنع الناسُ، فأتاه مسيرُ عائشة، وطلحة، والزُّبير، فأقام ينتظر ما يصنعون، فأتاه الخبر بوقعة الجمل، فأُرتج عليه أمره، فسمع أنّ معاوية بالشام لا يبايع عليّاً، وأنّه يُعظّم شأن عثمان، وكان معاوية أحبّ إليه من عليّ، فدعا ابنيه عبد الله ومحمداً، فاستشارهما وقال: ما تَرَيان؟ أما عليّ فلا خير عنده، وهو يُدلّ بسابقته، وهو غير مُشْرِكي في شيءٍ من أمره. فقال له ابنه عبد الله: تُوُفّي النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون، فأرى أن تكفّ يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس [على إمامٍ فتُبايعه]. وقال له ابنه محمد: أنت نابٌ من أنياب العرب، ولا أرى أن (يجتمع هذا الأمر)[3] وليس لك فيه صوت. فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله، فأمرتني بما هو خير لي [في آخرتي، وأسلم لي] في ديني، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وشرّ لي في آخرتي. ثمّ خرج ومعه ابناه حتى قدِم على معاوية، فوجد أهلَ الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان، وقال عمرو: أنتم على الحقّ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يلتفت إليه، فقال لعمرو ابناه: ألا ترى معاوية لا يلتفت إليك؟ فانصرف إلى غيره. فدخل عَمرو على معاوية فقال له: واللّهِ لَعَجَبٌ لك! إنّي أرفدك بما أرفدك وأنت مُعرض عنّي، [أما واللّهِ] إنْ قاتلْنا معك نطلب بدم الخليفة إنّ في النفس [من ذلك] ما فيها، حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه[4].

ذكر ابتداء وقعة صِفّين[5]

لما عاد عليّ من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة، وأرسل إلى جرير بن

---

(١) في الأصل والنسخة (ي): «سبباً».
(٢) في الطبعة الأوربية «يليه».
(٣) في الأصل «تجتمع العرب».
(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٦٠، ٥٦١.
(٥) انظر عن وقعة صِفّين في:
تاريخ خليفة ١٩١ - ١٩٧، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٧٥ وما بعدها، والأخبار الطوال ١٥٥ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٨٤ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٤/٥٦١ وما بعدها، ومروج الذهب ٢/٣٨٤ وما بعدها، والفتوح لابن أعثم ٢/٣٤٤ وما بعدها، والعقد الفريد ٤/٣٣٧ وما بعدها، ونهاية الأرب ١٠٠ وما بعدها، وقعة صفين لابن مزاحم، ومرآة الجنان ١/١٠٠ وما بعدها، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣٧ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ١/١٧٥ وما بعدها، والمعرفة =

عبد الله البَجَليّ، وكان عاملاً على همذان استعمله عثمان، وإلى الأشعث بن قيس، وكان على أذْرَبَيْجان استعمله عثمان أيضاً، يأمرهما بأخذ البَيْعة والحضور عنده، فلمّا حضرا عنده أراد عليّ أن يرسل رسولاً إلى معاوية، قال جرير: أرسِلْني إليه، فإنّه لي ودّ[1]. فقال الأشتر: لا تفعل فإنّ هواه مع معاوية. فقال عليّ: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به. فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاويةُ يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته (ونكث طلحة والزُّبير وحربه إيّاهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته)[2].

فسار جرير إلى معاوية، فلمّا قدِم عليه ماطَلَه واستنظره واستشار عَمراً، فأشار عليه أن يجمع أهلَ الشام، ويُلزم عليّاً دم عثمان ويقاتله بهم، ففعل معاوية ذلك، وكان أهل الشام لما قدِم عليهم النُعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخضوباً بالدم بأصابع زوجته نائلة، إصبعان منها وشيء من الكفّ وإصبعان مقطوعتان من أصولهما، ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر، وجمع الأجناد إليه، فبكَوا على القميص مدّة وهو على المنبر، والأصابع معلّقة فيه، وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسّهم الماء إلّا للغُسْل من الجنابة، وأن لا يناموا على الفُرُش حتى يقتلوا قَتَلَة عثمان، ومن قام دونهم قتلوه. فلمّا عاد جرير إلى أمير المؤمنين عليّ، وأخبره خبرَ معاوية، واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: إنّ عليّاً قتله وآوى قَتَلَته، وأنّهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه، قال الأشتر لعليّ: قد كنتُ نهيتُك أن ترسل جريراً، وأخبرتك بعداوته وغشّه، ولو كنتَ أرسلْتني لكان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو[3] فتْحه إلّا فتحه، ولا باباً يخاف[4] منه إلّا أغلقه. فقال جرير: لو كنتَ ثَمَّ لَقتلوك، لقد ذكروا أنّك من قَتَلَة عثمان. فقال الأشتر: واللّهِ لو أتيتُهم لم يُعيِني[5] جوابهم ولَحَملْتُ معاوية على خطّة أُعجله فيها عن الفِكْر، ولو أطاعني [فيك] أمير المؤمنين لَحَبَسَك وأشباهك حتى يستقيم هذا الأمر. فخرج جرير إلى قَرقيسيا وكتب إلى

= والتاريخ ٣/٣١٣ ـ ٣١٥، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٤٥ و٥٢ ـ ٥٤، والبداية والنهاية ٧/٢٥٣ وما بعدها، تاريخ ابن خلدون (الملحق من الجزء الثاني) ١٦٩ وما بعدها، والبدء والتاريخ ٥/٢١٧ ـ ٢٢١، ومآثر الإنافة ١/١٠٢، ١٠٣، ومعجم البلدان ٣/٤١٤، ٤١٥.

(١) في الأصل زيادة «معه».

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٣) في الطبعة الأوربية «نرجو».

(٤) في الطبعة الأوربية «نخاف».

(٥) في الأصل «يغشني».

معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[1].

وقيل: كان الذي حمل معاوية على ردّ جرير البجلي غير مقضيّ[2] الحاجة شُرَحْبيل بن السِّمط الكِنْديّ.

وكان سبب ذلك أنّ شُرَحْبيلاً كان قد سيّره عمر بن الخطّاب إلى العراق إلى سعد بن أبي وقّاص وكان معه، فقدّمه سعد وقرّبه، فحسده الأشعث بن قيس الكِنْديّ لمنافسةٍ بينهما، فوفد جرير البَجَليّ على عمر، فقال له الأشعث: إنّ قدرتَ أن تنالَ من شُرَحْبيل عند عمر فافعل. فلمّا قدِم على عمر سأله عمر عن الناس، فأحسن الثناء على سعد، قال: وقد قال شعراً:

ألا لَيتني والمرء سعد بن مالك ... وزَبْراً وابن السِّمط في لُجَّة البحرِ

فيغرَقَ أصحابي وأخرُجَ سالماً ... على ظهرِ قُرْقُورٍ أُنادي أبا بكرِ

فكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يرسل زَبْراً وشُرَحْبيلاً إليه، فأرسلهما، فأمسك زَبْراً بالمدينة وسَيّر شُرَحبيلاً إلى الشام، فشرف وتقدّم، وكان أبوه السِّمْط من غزّة[3] الشام. فلمّا قدِم جرير بكتاب عليّ إلى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شُرَحْبيل، فلمّا أقدِم عليه أخبره معاوية بما قدِم فيه جرير، فقال: كان أمير المؤمنين عثمان خليفتنا، فإنْ قويت على الطلب بدمه، وإلاّ فاعتزِلْنا. فانصرف جرير، فقال النَّجاشيّ:

شُرَحبيل[4] ما للدّين فارقتَ أمرَنا ... ولكن لبُغْضِ المالكيِّ جريرِ

وقولكَ ما قد قلتَ عن أمرِ أشعثٍ ... فأصبحتَ كالحادي بغيرِ بَعيرِ[5]

(جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، فنُسب إلى جدّه مالك)[6].

وخرج عليّ فعسكر بالنُّخَيلة، وتخلّف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مُرّة[7] الهمْدانيّ، ومسروق، أخذا أعطياتهما وقصدا قزوين، فأمّا مسروق فإنّه كان يستغفر اللّهَ

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٥٨ ـ ٥٦٢.
(٢) في الطبعة الأوربية «مقتضى».
(٣) في الطبعة الأوربية «غزي».
(٤) في كتاب الفتوح لابن أعثم ٢/٤٠٢ «أيا شرح».
(٥) ورد البيت في حاشية كتاب الفتوح مع أبيات أخرى:
وشحناء ذنب كان منه إليكم ... وأصبحت كالحادي ....
(ج ٢/٤٠٢، ٤٠٣).
(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٧) في النسخة (ر): «هبرة».

من تخلّفه عن عليّ بصِفّين، وقدِم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة، وبلغ ذلك معاويةَ، فاستشار عَمراً، فقال: أمّا إذا سار عليّ فسِرْ إليه بنفسك، ولا تغبْ عنه برأيك ومكيدتك. فتجهّز معاوية وتجهّز الناسُ وحضّهم عمرو وضعّف عليّاً وأصحابه وقال: إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمْعهم، ووهّنوا شوكتهم، وفلّوا حدَّهم، وأهل البصرة مخالفون لعليّ بمن قُتل منهم، وقد تفانت صناديدُهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنّما سار عليّ في شرذمة[1] قليلة، وقد قُتل خليفتكم، واللّهَ اللّهَ في حقّكم أن تضيّعوه، وفي دمكم أن تُطِلّوه[2]! وكتَّب معاوية أهلَ الشام، وعقد لواءً لعَمْرو، ولواء لابنيه عبد الله ومحمد، ولواء لغلامه وَردان. وعقد عليّ لواء لغلامه قَنْبَر، فقال عمرو:

هـل يُغنِيَنْ وَردانُ عنّي قَنْبَرَا ... وتُغنيَ[3] السَّكونُ عنّي حِمْيَرَا
إذا الكُماةُ لَبِسُوا السَّنَوّرا[4]

فبلغ ذلك عليّاً فقال:

لأُصْبحنّ العاصيَ ابنَ العاصي ... سَبعينَ ألفاً عاقِدي النّواصِي
مجَنِّبِينَ الخيلَ بالقِلاصِ ... مُستَحْقِبينَ حلَقَ الدِّلاص[5]

فلمّا سمع معاوية ذلك قال: ما أرى عليّاً[6] إلاّ وقد وفى لك. وسار معاوية وتأنّى في مسيره، فلمّا رأى ذلك الوليدُ بن عُقبة بعث إليه يقول:

ألا أبلغْ معاويَةَ بنَ حَرْبٍ ... فإنّكَ من أخي ثِقَةٍ مُليمُ[7]
قطعتَ الدّهرَ كالسَّدِمِ[8] المُعَنَّي ... تُهَدِّرُ في دمشقَ فما تَريمُ
وإنّكَ والكتابَ إلى عليٍّ ... كدابغَةٍ وقد حَلِمَ الأدِيمُ[9]

---

(١) في الأصل: «شيعة».
(٢) في الأصل «تطلقوه».
(٣) في الطبعة الأوربية «أو تغني».
(٤) في النسخة (ي): «الأسود»، وفي نسخة المتحف البريطاني «المسورا».
(٥) الدِّلاص: الدروع.
(٦) في الأصل «شيئاً». وفي تاريخ الطبري: «ما أرى ابن أبي طالب».
(٧) المليم: من أتى أمراً يُلام عليه. وفي العقد الفريد: كتاباً من أخي ثقة يلوم.
(٨) السَّدِم: الذي يرغب عن فحلته فيحال بينه وبين الآفة، ويفيد إذا هاج فيرعى حوالي الدار، وإن صال جُعل له حجام يمنعه من فتح فمه. (مادة: سدِم).
(٩) قال ابن منظور في لسان العرب، في مادة: الحلمة: دودة تقع في الجلد فتأكله، فإذا دبغ وهَى موضعُ الأكْل فبقي رقيقاً.
قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحضّ فيها معاوية على قتال عليّ عليه السلام، ويقول له: أنت=

يُمَنّيكَ[1] الإمارَةَ[2] كلُّ ركبٍ / لأنقاضِ العراقِ بها رَسيمُ
وليسَ أخو التراتِ بمن توانى / ولكنْ طالبُ التِّرَةِ الغشُومُ[3]
ولوْ كنتَ القتيلَ وكانَ حَيّاً / لجرّد، لا ألفٌ ولا غَشُومُ[4]
ولا نَكِلٌ[5] عن الأوتارِ حتى / يُبيءَ[6] بها ولا بَرِمٌ جَثُومُ[7]
وقومُكَ بالمدينةِ قد أُبيرُوا[8] / فهُمْ صَرْعى كأنّهمُ الهَشيمُ[9]

فكتب إليه معاوية:

ومُستعجِبٍ ممّا يرَى من أناتِنا[10] / ولوْ زَبَنَتْهُ[11] الحرْبُ لم يترَمرَمِ[12]

وبعث عليّ زياد بن النضّر الحارثيّ طليعةً في ثمانية آلاف، وبعث معه شُرَيْح بن هانىء [في] أربعة آلاف[13]، وسار عليّ من النُّخَيلة، وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة، وولّى على المدائن سعَد بنَ مسعود، عمّ المختار بن أبي عُبيد الثقفيّ. ولما سار عليّ كان معه نابغة بني[14] جَعْدَة، فحدا به يوماً فقال:

قد عَلِمَ المِصرانِ والعِراقُ / أنّ عَليّاً فحلُها العُتاقُ

= تسعى في إصلاح أمر قد تمّ فساده كهذه المرأة التي تدع الأديم الحليم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا يُنتفع به.

(١) في الطبعة الأوربية «يُمينك».

(٢) في الأصل «تمنيك الأماني».

(٣) في النسخة (ي): «النزه القديم»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «الثره القديم». وورد البيت في الطبعة الأوربية على هذا النحو:

وليس أخو التراب بمن تولّى / ولكن طالبُ النّزه الغشومُ

(٤) في تاريخ الطبري ٥٦٤/٤ «ولا سَئُومُ»، وفي لسان العرب «ولو كان القتيل».

(٥) في الأصل «ولا يكمل».

(٦) في الطبعة الأوربية «بُني».

(٧) هذا البيت لم يرد في لسان العرب.

(٨) في الأصل: «أغيروا»، وفي لسان العرب «قد تردوا».

(٩) تاريخ الطبري ٢٨٠/٤، لسان العرب (مادة: حلم)، والبيتان الأول والثاني في العقد الفريد ٣٣٧/٤، والأبيات كلها في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٢٩٠، ٢٩١ بتقديم وتأخير واختلاف بعض الألفاظ.

(١٠) في الأصل «أمامنا». وفي أنساب الأشراف: «لا ترعوي من إيابنا».

(١١) في الأصل «زينته»، وفي النسخة (ي): «رثيته».

(١٢) تاريخ الطبري ٥٦٤/٤، وأنساب الأشراف ٢٩١ ونسبه إلى أوس بن حجر التميمي، وديوان أوس ٢٧، ولسان العرب ١٤٧/١٥، ومقاييس اللغة ٣٨٠/٢.

(١٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١٤) في الطبعة الأوربية «ابن».

أبـيـضُ جَـحـجـاحٌ[1] لـهُ رُواقُ إنّ الأولـى جـارَوْكَ لا أفـاقُـوا
لـكـم سـبـاقٌ ولَـهـمْ سِـبـاقُ قـد عَـلِمَـتْ ذلـكُـمُ الـرِّفـاقُ

ووجَّه عليٌّ من المدائن معقلَ بن قيسٍ في ثلاثة ألف، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرَّقَّة، فلمّا وصل إلى الـرَّقَّة قـال لأهلها ليعملوا لـه جسراً يعبـر عليه إلى الشام، فأبوا، وكانوا قد ضمُّوا سفنهم إليهم، فنهض من عندهم ليعبـر علي جسر مَنْبِج، وخلّف عليهم الأشتر، فناداهم الأشتر وقال: أقسِم بالله لئن لم تعملوا جسرًا يعبر عليه أمير المؤمنين لأجرِّدنّ فيكم السيف، ولأقتلنّ الرجـال، ولآخُذَنّ الأمـوال! فلقي بعضهم بعضاً وقالوا: إنّه الأشتر، وإنّه قَمِنٌ أن يَفي لكم بما حلف عليه، أو يأتي بأكثر منـه. فنصبوا لـه جسـراً وعبر عليـه عليّ وأصحـابـه، وازدحمـوا عليـه، فسقـطت قَلَنْسُـوَة عبـد الله بن أبي الحُصَين الأزديّ، فنزل فأخذها ثمّ ركب، وسقطت قَلَنْسُوَة عبـد الله بن الحَجّاج الأزديّ، فنزل فأخذها، ثمّ قال لصاحبه:

فإنْ يكُ ظنُّ الزّاجِري الطيرِ صـادقاً كمـا زَعمـوا أُقتـلْ وشيكـاً وتُقتـل[2]

فقال ابن أبي الحُصَين: ما شيء أحبّ إليّ ممّا ذكرتَ! فقُتلا جميعاً بصِفّين.

ولما بلغ عليّ الفرات دعـا زياد بن النضْـر الحارثيّ، وشُـرَيح بن هـانـىء فسرّحهمـا أمامه (في اثني عشر ألفاً)[3] نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكـوفة. وكـان سبب عودهما إليه أنّهما حيث سيّرهما عليّ من الكوفة أخذا على شاطىء الفرات ممّا يلي البرّ. فلمّا بلغا عانات بلغهما أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام، فقالا: لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خيـر في أنْ نلقى جنودَ الشام بقلّة من معنا. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها. فرجعوا فعبـروا من هِيت، فلحِقوا عليّاً دون قَرْقِيسْيا، فلمّا لحِقوا عليّاً قال: مقدّمتي تأتيني من ورائي. فأخبره شُـرَيح وزياد بما كان، فقال: سُدِّدتما. فلمّا عبر الفرات سيّرهما أمامه، فلمّا انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السُّلَميّ في جُنْدٍ من أهل الشام، فأرسلا إلى عليّ فأعلماه، فأرسل عليّ إلى الأشتر وأمره بالسرعة وقال له: إذا قدمتَ فأنتَ عليهم، وإيّاك أن تبدأ القومَ بقتـالٍ إلاّ أن يبـدأوك حتى تلقاهم فتـدعـوهم وتسمـع منهم، ولا يحملك بُغضهم على قتـالهم قبـل دعـائهم، والإعذار إليهم مـرّة بعـد مـرّة، واجعـل على ميمنتـك زيـاداً، وعلى ميسـرتـك شُريحاً، ولا تدنُ منهم دُنُوّ من يـريد أن يُنشب الحـرب، ولا تبَاعَـدْ منهم تبَاعُـدَ من يهاب

(١) عن حاشية الأصل.
(٢) في الطبعة الأوربيـة «ويقتل».
(٣) ما بين القوسين من نسخة (ر).

البأس[1] حتى أقدم عليك فإنّي حثيث المسير في إثرك إن شاء الله تعالى. وكتب عليّ إلى شريح وزياد بذلك وأمرهما بطاعة الأشتر.

فسار الأشتر حتى قدِم عليهم، واتّبع ما أمره وكفّ عن القتال، ولم يزالوا متواقفين حتى [إذا] كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السُّلَميّ، فثبتوا له واضطّربوا ساعة، ثمّ انصرف أهل الشام وخرج إليهم من الغد هاشم بن عُتبة المِرْقال، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتتلوا يومهم، وصبر بعضهم لبعض، ثمّ انصرفوا، وحمل عليهم الأشتر وقال: أرُوني أبا الأعور؛ وتراجعوا[2]، ووقف أبو الأعور وراء المكان الذي كان فيه أوّل مرّة، وجاء الأشتر فصفّ أصحابه بمكان أبي الأعور بالأمس، فقال الأشتر لسِنان بن مالك النَّخَعيّ: انطلق إلى أبي الأعور فادْعهُ إلى البراز. فقال: إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال الأشتر: لو أمرتك بمبارزته فعلتَ[3]؟ قال: نعم، واللّهِ لو أمرتني أن أعترض صفّهم بسيفي لفعلت! فدعا له وقال: إنّما تدعوه لمبارزتي. فخرج إليهم فقال: آمِنوني فإنّي رسول، فآمَنوه، فانتهى إلى أبي الأعور وقال له: إنّ الأشتر يدعوك إلى أن تبارزه، فكست طويلاً ثمّ قال: إنّ خفة الأشتر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمّال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه، وعلى أن سار إليه في داره حتى قتله، فأصبح متّبعاً بدمه لا حاجة لي في مبارزته. قال له الرسول: قد قلتَ فاسمعْ منّي أُجبْكَ. قال: لا حاجة لي في جوابك، إذهبْ عنّي! فصاح به أصحابه، فانصرف عنه ورجع إلى الأشتر فأخبره، فقال: لنفسه نظر. فوقفوا حتى حجز اللّيلُ بينهم، وعاد الشاميّون من الليل، وأصبح عليٌّ غدْوة عند الأشتر، وتقدّم الأشتر ومن معه فانتهى إلى معاوية فواقفه، ولحِق بهم عليّ فتواقفوا طويلاً[4].

ثمّ إنّ عليّاً طلب لعسكره موضعاً ينزلِ فيه، وكان معاوية قد سبق، فنزل منزلاً اختاره بسيطاً واسعاً أفيح[5]، وأخذ شريعةَ الفرات، وليس في ذلك الصُّقْع شريعة غيرها، وجعلها في حيِّزه، وبعث عليها أبا الأعور السُّلَمي يحميها ويمنعها، فطلب أصحاب عليّ شريعة غيرها فلم يجدوا، فأتوا عليّاً فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس، فدعا صعصعة بن صُوحان، فأرسله إلى معاوية يقول له: إنّا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، فقدِمْتَ إلينا خيلُك ورجالك فقاتَلْتنا قبل أن نقاتلك، ونحن من رأينا الكفّ حتى

---

(١) في الأصل والنسخة (ي): «الناس».
(٢) في النسخة(ي): «وتزاحفوا».
(٣) في الطبعة الأوربية «لفعلت».
(٤) الطبري ٤/٥٦٥ ـ ٥٦٨.
(٥) في النسخة (ي) «افسح»، وفي النسخة (ر): «افتح».

ندعوك ونحتجّ عليك[1]، وهذه أخرى قد فعلتموها، منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين[2]، فابعثْ إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء، وليكفّوا لننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدِمْنا له، فإنْ أردتَ أن نترك ما جئنا له، ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فَعَلْنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عُقبة وعبد الله بن سعد: امنعهم الماء كما منعوه ابنَ عفّان، اقتلهم عطشاً قتلهم الله! فقال عمرو بن العاص: خلِّ بين القوم وبين الماء، وإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان، ولكن بغير الماء، فانظر فيما بينك وبين الله. فأعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالَتهما وقالا: امنعهم الماء[3] إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماءَ منعهم الله [إيّاه] يوم القيامة! قال صعصعة: إنّما يمنعه اللّهُ الفَجَرَةَ وشَرَبة الخمر، لعنك الله ولعن هذا الفاسق! يعني الوليد بن عُقبة. فشتموه وتهدّدوه.

وقد قيل: إنّ الوليد وابن أبي سرح لم يشهدا[4] صِفّين.

فرجع صعصعة فأخبره بما كان، وأنّ معاوية قال: سيأتيكم رأيي[5]، فسرَّب[6] الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء، فلمّا سمع عليّ ذلك قال: قاتلوهم على الماء. فقال الأشعث بن قيسٍ الكِنْديّ: أنا أسير إليهم. فسار إليهم، فلمّا دنوا منهم ثاروا في وجوههم، فرموهم بالنَّبل، فتراموا ساعةً ثمّ تطاعنوا بالرماح، ثمّ صاروا إلى السيوف، فاقتتلوا ساعة، وأرسل معاوية يزيد بن أسد البَجَليّ القَسْريّ، جدّ خالد بن عبد الله القَسْريّ، في الخيل إلى أبي الأعور، فأقبلوا[7]، فأرسل عليّ شَبَث بن رِبْعيّ الرياحيّ، فازداد القتال، فأرسل معاوية عَمرو بن العاص في جُندٍ كثير، فأخذ يمدّ أبا الأعور ويزيدَ بنَ أسد، وأرسل عليّ الأشترَ في جمْعٍ عظيم وجعل يمدّ الأشعث وشَبَثاً، فاشتدّ القتال، فقال عبد الله بن عوف الأزديّ الأحمريّ:

خلُّوا لنا ماءَ الفُراتِ الجاري ... أو اثْبُتُوا لِجَحْفَلٍ جَرّارِ
لكلّ قَرْمٍ مُستَميتٍ شاري ... مُطاعنٍ برُمحِهِ كَرّارِ

---

(1) في الطبعة الأوربية «علينا».
(2) في الأصل «منهيين».
(3) في الأصل زيادة «وإن»، وفي النسخة (ي) وانظر.
(4) في الطبعة الأوربية «يشهدوا».
(5) في الطبعة الأوربية «رأي».
(6) في الأصل «وفرت» وفي النسخة (ي): «فبرزت».
(7) في الأصل والنسخة (ي): «فاقتتلوا».

ضَرّابِ هاماتِ العِدى مِغوَارِ[1] (لم يخشَ غيرَ الواحدِ القهّارِ)[2]

وقاتَلوهم حتى خلّوا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليّ، فقالوا: والله لا نسقيه أهلَ الشام! فأرسل عليّ إلى أصحابه: أنْ خُذُوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم، فإنّ الله نصركم ببغيهم وظُلْمهم. ومكث عليّ يومين لا يرسل إليهم أحداً ولا يأتيه أحد، ثمْ إنّ عليّاً دعا أبا عَمرو بشير بن عَمرو بن مِحْصَن الأنصاريّ، وسعيد بن قيس الهمْدانيّ، وشَبَث بن رِبْعيّ التميميّ، فقال لهم: ائتوا هذا الرجلَ وادْعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة. فقال له شَبَثُ: يا أمير المؤمنين ألا تُطمعه في سلطان تُوَلّيه إيّاه، أو منزلة تكون له بها أثرة عندك إنْ هو بايعك؟ قال: انطلقوا إليه واحتجُّوا عليه، وانظروا ما رأيه. وهذا في أوّل ذي الحجّة. فأتوه فدخلوا عليه، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاريّ فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إنّ الدنيا عنك زائلةٌ، وإنّك راجع إلى الآخرة، وإنّ الله مُحاسِبُك بعملك ومُجازيك عليه، وإنّي أنشدك الله أن تفرّق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها.

فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلاّ أوصيتَ بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرو: إنّ صاحبي ليس مثلك، إنّ صاحبي أحقّ البرية كلّها بهذا الأمر، في الفضل والدّين والسابقة في الإسلام والقَرابة بالرسول ﷺ. قال: فماذا يقول؟ قال: يأمرك بتقوى الله (وأن تجيب)[3] ابنَ عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ، فإنّه أسلم لك في دنياك، وخيرٌ لك في عاقبة أمرك! قال معاوية: ونترك دم ابن عفّان؟ لا واللّهِ لا أفعل ذلك أبداً.

قال: فذهب سعيد بن قيس يتكلّم، فبادره شَبَث بن رِبْعيّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا معاوية قد فهمت ما ردَدْت على ابن مِحْصَن، إنّه والله لا يخفى علينا ما تطلب، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم إلاّ قولك: قُتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه، فاستجاب لك سُفهاء طَغام، وقد علمنا أنّك أبطأتَ عنه بالنصر، وأحببتَ له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورُبَّ متمنّي أمرٍ وطالِبه يَحُول اللّهُ دونه، وربّما أوتي المتمنّي أمنيَّته وفوق أمنيّته، واللّهِ ما لك في واحدة منهما خير! والله إنْ أخطأك ما ترجو، إنّك لَشَرُّ العرب حالاً! ولئن أصبت ما تتمنّاه لا تصيبه حتى تستحقّ من ربّك صُليَّ النار! فاتّقِ الله يا معاوية، ودعْ ما أنت عليه، ولا تنازع الأمرَ أهلَه.

---

(١) حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/٥٧٠.
(٢) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ر).
(٣) في النسخة (ر): «وإجابة».

قـال: فحمد معـاوية الله ثمّ قـال: أمّا بعـد فـإنّ أوّل مـا عـرفتُ بـه سَفَهَـكَ وخفّـةَ حلْمك، أنْ قطعت على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقَـه، ثمّ اعترضتَ بعـد فيما لا عِلْم لـك به، فقـد كـذبتَ ولَؤُمْتَ أيّهـا الأعـرابيّ الجِلْف الجافي في كـل مـا ذكـرتَ ووصفتَ! انصـرفـوا من عنـدي فليس بيني وبينَكم إلاّ السيف. وغضب، وخـرج القـوم. فقال له شَبَث بن رِبعيّ: أتهوِّل بالسيف؟ أقسم بالله لنعجلنّها إليك[1].

فأتوا عليّاً فأخبروه بذلك، فأخذ عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه، ويخرج إليه آخـر من أصحاب معـاوية ومعـه جماعـة، فيقتتلان في خيلهمـا ثمّ ينصرفان، وكرهوا أن يَلقوا جمْعَ أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا أن يكـون فيه من الاستئصال والهلاك، فكان عليّ يُخرج مرّة[2] الأشتر، ومرّةً حُجْرَ بن عدِيّ الكِنْديّ، ومـرّةً شَبَث بن رِبعيّ، ومرّةً خالد بن المعمَّر، ومرّةً زياد بن النضْر الحارثيّ[3] ومرّةً زياد بن خَصَفة التّيْميّ، ومرّة سعيد بن قيس الهمْدانيّ، ومرّةً مَعْقِل بن قيس الرياحيّ، ومرّةً قيس بن سعد الأنصـاريّ. وكان الأشتـر أكثرهم خـروجاً. وكـان معاويـة يُخرج إليهم عبدَ الـرحمن بنَ خـالد بن الـوليد، وأبـا الأعـور السُّلَميّ، وحبيب بن مَسْلَمـة الفهـريّ، وابن ذي الكَـلاع الحِمْيَـريّ، وعُبيد الله بن عمـر بن الخطّاب، وشُـرَحبيل بن السِّمط الكِنْـديّ، وحُمْـرة بن مالك الهمْدانيّ، فاقتتلوا أيّام ذي الحِجّة كلّها، وربّما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين[4].

ذكر عدّة حوادث

[الوفَيات]

في هذه السنة مات حُذيفة بن اليمان[5] بعد قتل عثمـان بيسير، ولم يُـدرك الجمل،

---

(١) في الأصل والنسخة (ي) لنجعلنها عليك، وفي تاريخ الطبري ٥٧٤/٤: «ليُعْجَلَنّ بها إليك».

(٢) في النسخة (ي) زيادة «معه».

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) تاريخ الطبري ٥٧٢/٤ ـ ٥٧٤.

(٥) انظر عن (حذيفة بن اليمان) في:

مسنـد أحمد ٣٨٢/٥ ـ ٤٠٨، والسير والمغازي لابن إسحـاق ٢٩٢، والمغـازي للواقـدي ٢٣٤ و٤٠٨ ـ ٤٠٩ و٧٣٢ و١٠٤٢ و١٠٤٣ و١٠٤٤ و١٠٤٥، والزهد لأحمد ٢٢٤، والزهد لابن المبارك ٣٤ و٢٤٥ و٥١٣، وطبقـات ابن سعد ٥٢٧/٥ و١٥/٦ و٣١٧/٧، والتـاريخ لابن معين ١٠٤/٢، والبـرصـان والعرجان ٢٨٣، والمحبّر لابن حبيب ٧٣ و٤١٧، والطبقـات لخليفة ٤٨ و١٣٠، وتـاريـخ خليفـة ٦٩ و١٤٨ ـ ١٥١ و١٥٧ و١٦٠ و١٦٦ و١٨٢، والتـاريـخ الصغيـر ٥٤/١ و٥٦ و٧٢ و٨٠ و٨١ و١٠٧ و١١٤، والتاريخ الكبيـر ٩٥/٣ رقم ٣٣٣، والمعارف ٢٦٣، وترتيب الثقات للعجلي ١١١ رقم ٢٦٤، وعيـون الأخبار ٢٣/١ و١٣٦/٢ و٢٣١، والمعرفـة والتـاريخ ٥٤٣/٢ ـ ٥٤٥ و٧٦٨ ـ ٧٧٠، وفتـوح البـلدان ٢٤١ و٣٢٠ و٣٣٤ و٣٧١ و٣٧٥ و٣٧٦ و٣٩٠ و٤٠٠ و٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٣، وأنـسـاب =

وقُتل ابناه صَفْوان، وسعيد مع عليّ بصِفّين بوصيّة أبيهما، وقيل: مات سنة خمسٍ وثلاثين، والأوّل أصحّ. وفيها مات سَلْمان الفارسيّ[1] في قول بعضهم، وكان عمره مائتين

= الأشراف ١/١٦٣ و٣٢٢ و٣٢٨ و٣٢٩ و٥٤٠ و٥٤١، وق ٤ ج ١/٣٦ و٩٠ و٥٧٩ و٥٨٤ و٥/٣١ و٤٦ و٤٧ و٦٢ و٨٧ و٩٢، وتاريخ الطبري ٤/١٢٧ - ١٢٩ و١٣٢ - ١٣٧، والثقات لابن حبّان ٣/٨٠، ومشاهير علماء الأمصار له ٤٣ رقم ٢٦٧، والاستيعاب ١/٢٧٧، ٢٧٨، وأخبار القضاة لوكيع ١/٣٩ و٤٠ و٢/١٨٦ و٢٨٥، و٣/٥ و١٧ و٤٢، والزاهر للأنباري ١/١٨٢ و٤٢٣ و٢/٢٥٦، وثمار القلوب ١٨١، والجرح والتعديل ٣/٢٥٦ رقم ١١٤٠، والعقد الفريد ٣/٦٥ و٤/١٦١ و٢٥٩ و٣٠٧ و٦/٢٦٨، والخراج وصناعة الكتابة ٣٢٩ و٣٦٨ و٣٧١ و٣٧٢ و٣٧٤ و٣٧٦ و٣٧٨ و٣٧٩، والمعجم الكبير ٣/١٨٥ - ١٨٩، وحلية الأولياء ١/٢٧٠ - ٢٨٣ رقم ٤٢، والمستدرك ٣/٣٧٩ - ٣٨١، والأمالي للقالي ٣/١٩٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٩٦ - ١٠٦، والاستبصار ٢٣٣ - ٢٣٥، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٠٧ رقم ٤١٤، والتذكرة الحمدونية ٢/٢٩٥، ولباب الآداب ٨٥ و٣٣٢، وصفة الصفوة ١/٦١٠ - ٦١٦ رقم ٧٠، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٤١، ومعجم البلدان ١/١٠٥ و١٧٣ و٢٨٣ و٥١٨ و٨٤٩ و٣/١٣٧ وأسد الغابة ١/٣٩٠ - ٣٩٢، والزيارات ٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٥٣ - ١٥٥ رقم ١١٤، ووفيات الأعيان ٢/٣٠٠ و٤٧٦ و٥/٣٥١، وتحفة الأشراف ٣/٢١ - ٥٨ رقم ١٠٠، وتهذيب الكمال ٥/٤٩٥ - ٥١٠ رقم ١١٤٧، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠ رقم ٢٧، ودول الإسلام ١/٣٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٤٩١ - ٤٩٤، وتجريد أسماء الصحابة، رقم ١٢٨٦، والعبر ١/٢٦ و٣٧، والكاشف ١/١٥٢ رقم ٩٧٠، وتلخيص المستدرك ٣/٣٧٩ - ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٦١ - ٣٦٩ رقم ٧٦، والوافي بالوفيات ١١/٣٢٧، ٣٢٨ رقم ٤٨٢، والكُتّاب والوزراء ١٢، ومرآة الجنان ١/١٠٠، والوفيات لابن قنفذ ٥٥ رقم ٣٦، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٥، ٣٢٦، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٤٤٥، وغاية النهاية ١/٢٠٣ رقم ٩٣٨، وتهذيب التهذيب ٢/٢١٩، ٢٢٠ رقم ٤٠٥، وتقريب التهذيب ١/١٥٦ رقم ١٨٣، والنكت الظراف ٣/٢٦، والإصابة ١/٣١٧، ٣١٨ رقم ١٦٤٧ و١٦٤٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٧٤، وشذرات الذهب ١/٣٢ و٤٤ وكنز العمال ١٣/٣٤٣.

(١) انظر عن (سلمان الفارسي) في:
السير والمغازي ٨٧ و٩١ و٩٢ و١٢٤ و١٢٥ و٢٨٧، والمغازي للواقدي ٤٤٥ - ٤٤٧ و٤٥٠ و٤٦٥ و٩٢٧، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) انظر فهارس الأعلام، ومسند أحمد ٥/٤٣٧ - ٤٤٤، والزهد له ١٨٨ - ١٩١، والزهد لابن المبارك ١٦٩ و٣٤٣ و٣٤٤ و٣٦٧ و٣٨٤ و٤٢٠ و٤٧٧ و٤٩٣ و٥٦٠، وطبقات ابن سعد ٤/٧٥ - ٩٣ و٦/١٦، ١٧، والتاريخ الكبير ٤/١٣٥، ١٣٦ رقم ٢٢٣٥، والمحبّر لابن حبيب ٧٥، وتاريخ خليفة ١٩١، وطبقات خليفة ٧ و١٤٠ و١٨٩، وأخبار مكة ١٩٧ و٣٢٦ و٢/٤، والمعارف ٢٦٣ و٢٧٠ و٤٢٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٥ رقم ٥٦، والمعرفة والتاريخ ٢/٥٥١ و٥٥٢ و٣/٢٧٢ - ٢٧٤، وعيون الأخبار ١/٨٥ و٢٦٨ و٢٦٩ و٣٢٧ و٢/١٢٦ و١٢٧ و٣٥٦ و٣٧١ و٣/٨، وتاريخ أبي زرعة ١/١٢٢ و٢٢١ و٢٢٢ و٦٤٨ و٦٤٩، وأنساب الأشراف ١/٢٧١ و٣٤٣ و٣٦٦ و٣٦٧ و٤٨٥ - ٤٨٨ و٥٩١، وفتوح البلدان ٥٥٩، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٣١، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٠/٢٧٠، والكنى والأسماء للدولابي ١/٧٨، والعقد الفريد ٢/٣٧١ و٣/١٥ و٤/٢٠٦ و٦/٩٠ والجرح والتعديل ٤/٢٩٦، ٢٩٧ رقم ١٢٨٩، والبدء والتاريخ ٥/١١٠ - ١١٣، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٤، والمعجم الكبير ٦/٢٦٠ - ٣٠٥ رقم ٥٩٨، وثمار القلوب ١٦٢ و١٨١، وربيع الأبرار ٤/١٥٠ و٢٨١ و٣٣٤ و٣٤٤ و٣٦٩ و٣٧٧، وحلية الأولياء ١/١٨٥ - ٢٠٨ رقم ٣٤، والاستيعاب ٢/٥٦ - ٦١، والمستدرك ٣/٥٩٨ - ٦٠٤، والأسامي =

وخمسين سنة، (هذا أقلّ ما قيل فيه، وقيل: ثلاثمائة وخمسون سنة)[1]. وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح، عليه السلام. وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[2]، مات بعسقلان حيث خرج[3] معاوية إلى صِفّين، وكرِه الخروج معه. ومات فيها عبد الرحمن بن عُدَيس[4]

= والكنى، للحاكم، ورقة ٣٠٤، وتهذيب تاريخ دمشق ١٩٠/٦ - ٢١١، والتذكرة الحمدونية ٥٦/١ و٦٦ و١٢٣ و١٢٦ و١٣٠ و١٣٧ و١٣٨ و١٤٤ و١٨٧، والزيارات ٧٦، وأسد الغابة ٣٢٨/٢ - ٣٣٢، وتحفة الأشراف ٢٦/٤ - ٣٥ رقم ٢٠٠، وتهذيب الكمال ٥٢٠/١، ٥٢١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٢٦/١ - ٢٢٨ رقم ٢١٩، وصفة الصفوة ٥٢٣/١ - ٥٥٦ رقم ٥٩، وسير أعلام النبلاء ٥٠٥/١ - ٥٥٨ رقم ٩١، ودول الإسلام ٣١/١، والكاشف ٣٠٤/١ رقم ٢٠٣٨، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥١٠ - ٥٢١، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٤٩، وتلخيص المستدرك ٥٩٨/٣ - ٦٠٤، وذكر أخبار أصبهان ٤٨/١ - ٥٧، وتاريخ بغداد ١٦٣/١ - ١٧١ رقم ١٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٩٢/١٦ و٣٧٨/٢٤، ومرآة الجنان ١٠٠/١، والوافي بالوفيات ٣٠٩/١٥، ٣١٠ رقم ٥٣٣، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ رقم ٣٥، ومجمع الزوائد ٣٣٢/٩ - ٣٤٤، وشفاء الغرام ١٣٨/١ و٢٧٦، وتهذيب التهذيب ١٣٧/٤ - ١٣٩ رقم ٢٣٣، وتقريب التهذيب ٣١٥/١ رقم ٣٤٦، والنكت الظراف ٢٧/٤ - ٣٥، والإصابة ٦٢/٢، ٦٣ رقم ٣٣٥٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٤٧، وكنز العمال ٤٢١/١٣، وشذرات الذهب ٤٤/١، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣٣٢/١، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان (من تأليفنا) ٢٩٧/٢ - ٢٩٩ رقم ٦٤١.

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٢) انظر عن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) في:
المغازي للواقدي ٧٨٧ و٨٠٤ و٨٢٥ و٨٥٥ - ٨٥٧ و٨٦٥، والأخبار الموفقيات ٤٩٥، وطبقات ابن سعد ٤٩٦/٧، ٤٩٧، وتاريخ خليفة ٩٩ و١٥٩ و١٦٠ و١٦٦ و١٦٨ و١٧٨، وطبقات خليفة ٢٩١، والتاريخ الكبير ٢٩/٥ رقم ٤٩، ونسب قريش ٤٣٣، والمعارف ٣٠٠، والبرصان والعرجان ١٢٦، وتاريخ أبي زرعة ١٨٥/١، ١٨٦، والمعرفة والتاريخ ٢٥٣/١، ٢٥٤، وفتوح البلدان ٢٥٠ و٢٥٣ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٧ و٢٦٨، وأنساب الأشراف ١٦٠/١ و٢٢٦ و٣٥٧ و٣٥٨ و٥٣١ وق ٤ ج ٥٠٥/١ و٥١٢ - ٥١٤ و٥٣٣ و٥٣٨ - ٥٤٠ و٥٥٠ و٥٥٥ - ٥٥٧ و٥٨٥ و٢٠/٥ و٢٦ - ٢٨ و٤٣ و٤٩ - ٥١ و٦١ و٦٥ و٦٧ وق ٦٦/٣، وتاريخ الطبري ٣٤١/٤ - ٣٤٣، والولاة والقضاة ١٠ - ١٤ و١٧ و٣٠٢، وولاة مصر ٣٣ - ٣٨ و٤٠، والجرح والتعديل ٦٣/٥ رقم ٢٩٢، والحلّة السيراء ١٨/١ و٢٠ و٢٤ و٢٥ و٢٨ و٣٢١/٢ - ٣٢٣، وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، والاستيعاب ٣٧٥/٢ - ٣٧٨، ومشاهير علماء الأمصار ٥٣ رقم ٣٥٨، والخراج وصناعة الكتابة ٣٣٩ و٣٤٣ و٣٤٤ و٣٥٢، والتذكرة الحمدونية ٤١٦/٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٤٣٥/٧ - ٤٣٧، الوزراء والكُتّاب ١٣، وأسد الغابة ١٧٣/٣، ١٧٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢٦٩/١، ٢٧٠ رقم ٣٠٢، ولباب الآداب ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣٤٤/٤ و٢١٤/٧، ودول الإسلام ٣١/١، ٣٢، وسير أعلام ٣٣/٣ - ٣٥ رقم ٨، والعبر ٢٩/١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٢٩، ٥٣٠، ومرآة الجنان ١٠٠/١، والبداية والنهاية ٣١٠/٧، ٣١١، والوافي بالوفيات ١٩١/١٧ - ١٩٣ رقم ١٧٥، والعقد الثمين ١٦٦/٥، وشفاء الغرام ٥٦/١ و٨٣ و٢٠٠/٢ و٢٢٤ - ٢٢٧ و٢٢٩ و٢٣٢، والإصابة ٣١٦/٢ - ٣١٨ رقم ٤٧١١، والنجوم الزاهرة ٧٩/١ - ٨٢، وحسن المحاضرة ٥٧٩/١، وشذرات الذهب ٤٤/١، ومعالم الإيمان للدباغ ١٣٧/١ - ١٤٠.

(٣) في الأصل زيادة «مع». =

البلويّ، أمير القادمين من مصر لقتْل عثمان، وكان ممّن بـايع النبيّ ﷺ، تحت الشجـرة. وقيل: بل قُتل بالشام. وفيها مات قُدامة بن مظعون الجُمَحيّ[1]، وهو من مهاجرة الحبشة، وشهِد بدْراً. وفيها تُوُفّي عَمرو بن أبي عمرو[2] بن ضَبّة[3] الفِهريّ أبو شدّاد، شهـد بدراً. وفيهـا استعمل عليّ على الـريّ يزيـدَ بن حُجَيّة التيميّ تَيْم الـلّات، فكسـر من خـراجهـا ثلاثين ألفاً، فكتب إليه عليّ يستدعيه، فحضر، فسـأله عن المـال قال: أين مـا غَللته من المال؟ قال: ما أخذتُ شيئاً! فخفقه بالدِّرّة خفقات وحبسه، ووكّل به سعداً مولاه، فهرب منه يزيد إلى الشام، فسوّغه[4] معـاوية المـال، فكان ينـال من عليّ، وبقي بالشـام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية فسار معه إلى العراق فولّاه الـريّ، فقيل: إنـه شهد مـع عليّ الجمل وصِفّين والنهروان، ثمّ ولّاه الرّيّ، وهو الصحيح، فكان ما تقدّم ذكره[5].

---

(٤) انظر عن (عبد الرحمن بن عديس البلوي) في:
طبقـات ابن سعد ٧/٥٠٩، والمعرفة والتـاريخ ٣/٣٥٨، ومقـدّمة مسنـد بقيّ بن مخلد ١٦١ رقم ٩١٦، وتـاريـخ خليفـة ١٦٨، وأنسـاب الأشـراف ق ٤ ج ١/٤٨٦ و٥٤٩ و٥٥٠ و٥٥٥ و٥٩٠ و٥/٥٩ و٦١ و٦٥ و٩٧ و٣٦١، وتاريخ الطبري ٤/٣٤٨ و٣٥٧ و٣٥٩ و٣٦٨ و٣٦٩ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨١ و٣٩٠ و٤١٣ و٤١٤، والعقـد الفـريـد ٤/٢٨٦ و٢٩٣، وجمهـرة أنسـاب العـرب ٤٤٣، والاستيعـاب ٢/٤١١، وولاة مصر ٤١ ـ ٤٣، والـولاة والقضاة ١٧ و١٩ و٢٠، ومشاهير علمـاء الأمصار ٥٦ رقم ٣٩٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣١، ٥٣٢، وتجريد أسماء الصحابة ١/٣٥٢، والإصابة ٢/٤١١ رقم ٥١٦٣.

---

(١) انظر عن (قدامة بن مظعون) في:
السيـر والمغازي ١٤٣ و١٧٧ و٢٢٥، والمغـازي للواقـدي ٢٤ و٨٤ و١٥٦ و٤٧٥، وسيـرة ابن هشـام (انـظر فهرس الأعـلام)، وطبقات ابن سعـد ٣/٤٠١، والمحبّر لابن حبيب ١٧٣، وطبقـات خليفـة ٢٥، وتاريخ خليفـة ١٥٤ و١٩١ و٢٠٤، والمعرفـة والتاريـخ ٢/٢٧٠، وأخبار مكة ٢/٢٢٤ و٢٤٠ و٢٦٤، وتـاريخ أبي زرعـة ١/٤٣٠، وفتوح البلدان ١٠٠، وأنسـاب الأشراف ١/٢١٣ و٤٢٦، وتـاريخ الـطبري ٤/٧٩ و١١٢ و٤٣٠ و٧٥٦، والتـاريخ الكبيـر ٧/١٧٨ رقم ٧٩٤، والتاريـخ الصغيـر ١/٤٣، والجـرح والتعديل ٧/١٢٧ رقم ٧٢٣، والاستيعاب ٣/٢٥٨ ـ ٢٦٢، ومشاهير علماء الأمصار ٢٢ رقم ٩٢، والعقد الفريد ٦/٣٤٩، وأسد الغابة ٤/٣٩٤ ـ ٣٩٦، وتهذيب الأسمـاء واللغات ق ١ ج ٢/٦٠ رقم ٧١، وسيـر أعلام النبلاء ١/١٦١، ١٦٢ رقم ١٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشـدين) ٥٣٢، وتعجيل المنفعـة ٣٤٣ رقم ٨٨٢، والإصـابـة ٣/٢٢٨، ٢٢٩ رقم ٧٠٨٨، والمستـدرك ٣/٣٧٩، وتلخيص المستـدرك ٣/٣٧٩.

(٢) انظر عن (عمرو بن أبي عمرو بن ضبّة) في:
المغـازي للواقـدي ٢٢ و١٤٤ و١٥٣ و١٥٧ و٥٧٦ و٦٥٤ و١١١١ و١١١٣، وطبقـات خليفـة ٢٦٦، والمعرفة والتاريخ ١/٢٤٦، وتاريخ خليفة ٢٤٨، وتاريخ الطبري ٨/٢٠٣، والاستيعاب ٢/٥٠٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٣٢، والإصابة ٢/٥٣٠ رقم ٥٧٩٩.

(٣) في النسخة (ي): «صفية»، وفي الأصل: «صفة».

(٤) في النسخة (ي): «فسائق عنه».

(٥) الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في فتوح البلدان ٣٩١ رقم ٧٩٥.

٣٧
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر تتمّة أمر صِفّين

في هذه السنة في المحرّم منها جرتْ موادعـةٌ بين عليّ ومعاويـة، توادعـا على ترك الحـرب بينهما حتى ينقضي المحـرّم طمعاً في الصلح، واختلفت بينهمـا الرُسُـل، فبعث عليّ عديّ بنَ حاتم، ويزيدَ بنَ قيس الأرحبيّ، وشَبَث بن رِبعيّ، وزياد بن خَصَفة.

فتكلّم عدِيّ بن حاتم فحمد الله وقال: أمّا بعد، فإنّا أتينـاك ندعـوك إلى أمر يجمـعُ الله بـه كلمتنـا وأمَّتنـا، ونحقن[1] بـه الـدمـاء، ونُصْلح ذات البَين، إنّ ابنَ عمّـك سيّد المسلمين أفضلُها سابقةً وأحسنُها في الإسلام أثراً، وقد استجمع لـه الناس ولم يبقَ أحـد غيرك وغير من معك، فاحذر يا معـاوية لا يُصبْـك وأصحابَـك مثلُ يـوم الجمل! فقـال له معاوية: كأنّك إنّما جئتَ متهدّداً، لم تأتِ مُصْلحاً! هيهات يا عدِيّ! كلاّ، واللّهِ إنّي لابنُ حرب لا يُقعقَع له بالشِّنان، وإنّك واللّهِ من المُجْلِبين على عثمـان، وإنّك من قتلته، وإنّي لأرجو أن تكون ممّن يقتله الله به! فقال له شَبَث وزياد بن خَصَفة جواباً واحداً: أتيناك فيما يُصْلحنا وإيّاك، فـأقبلتَ تضربُ لنـا الأمثال، دع مـا لا ينفع وأَجِبْنـا فيما يعمّ نَفْعُـه. وقال يزيد بن قيس: إنّا لم نأتِ إلاّ لنبلِّغك ما أُرسلنـا به إليـك، ونؤدّي عنك مـا سمعنا منـك، ولن نـدع أن ننصح لـك، وأن نذكـر مـا يكـون بـه الحُجّـة عليـك، ويـرجـع إلى الألفـة والجماعة، إنّ صاحبنا من قد عرف المسلمون فضلَه ولا يخفى عليك، فاتّقِ الله يا معاوية ولا تخالفْه، فإنّا واللّهِ ما رأينا في النـاس رجلاً قط أعمـلَ بالتقـوى، ولا أزهد في الـدنيا، ولا أجمعَ لخصال الخير كلّها منه.

فحمـد الله معاويـة ثمّ قال: أمّـا بعد، فـإنّكم دعوتم إلى الـطاعة والجمـاعة، فـأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي، وأمّا الطاعة لصاحبكم، فإنّا لا نراها، لأنّ صاحبكم

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/٥ «يحقن».

قتل خليفتنا، وفرّق جماعتنا، وآوى ثأرنا، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله، (فنحن لا نردّ عليه ذلك فليدفعْ إلينا)[1] قَتَلَةَ عثمان لنقتلهم، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. فقال شَبَث بن رِبْعيّ: أيسُرُّك يا معاوية أن تقتل عمّاراً[2]؟ فقال: وما يمنعني من ذلك؟ لو تمكّنتُ (من ابن سُمَيّة)[3] لقتلته بمولى عثمان. فقال شَبَث: والذي لا إله غيره، لا تصل إلى ذلك حتى تندُر[4] الهامُ عن الكواهل، وتضيق الأرضُ الفضاءُ[5] عليك! فقال معاوية: لو كان ذلك لكانت عليك أضيق!

وتفرّق القوم عن معاوية، وبعث معاوية إلى زياد بن خَصَفَة فخلا به، وقال له: يا أخا ربيعة، إنّ عليّاً قطع أرحامنا، وقتل إمامنا، وآوى قَتَلَة صاحبنا، وإنّي أسألك النصرَ عليه بعشيرتك، ثمّ لك عهدُ الله وميثاقه، أنّي أولّيك إذا ظهرتُ أيَّ المصرَيْن أحببتَ. فقال زياد: أمّا بعد فإنّي على بيّنة من ربّي، وما أنعم الله عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين! وقام. فقال معاوية لعمرو بن العاص: ليس نكلّم رجلاً منهم فيجيب إلى (خير، ما)[6] قلوبهم إلّا كقلب واحد.

وبعث معاوية إلى عليّ حبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهْريّ، وشُرَحبيل بن السِّمط، ومَعْن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه، فحمد الله حبيبٌ وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ عثمان كان خليفةً مهديّاً يعمل بكتاب الله، ويُنيب إلى أمره، فاستثقلتم حياتَه واستبطأتم وفاته، فعدَوْتُم عليه فقتلتموه، فادفع إليه قتلةَ عثمان إنْ زعمتَ أنّك لم تقتله، [نقتلهم به]، ثمّ اعتزلْ أمرَ الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولّونه مَن أجمعوا عليه. فقال له عليّ: ما أنت لا أمَّ لك والعزْل وهذا الأمر؟ اسكت [فإنّك] لستَ هناك ولا بأهلٍ له. فقال: والله لتَرَيَنّي بحيث تكره! فقال له عليّ: وما أنتَ؟ لا أبقى الله عليك إنْ أبقيت علينا، اذهبْ فصوِّبْ وصعِّدْ ما بدا لك! وقال شُرَحْبيل: ما كلامي إلّا مثل كلام صاحبي، فهل عندك جواب غير هذا؟ فقال عليّ: ليس عندي جواب غيره.

ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحقّ، فأنقذ به من الضلالة والهَلَكة، وجَمَع به من الفُرقة، ثمّ قبضه الله إليه، فاستخلف الناسُ

---

(١) في الأصل «فإن سلم لنا» وما بين القوسين من النسخة (ي).
(٢) في الأصل «علياً».
(٣) في الأصل «منه»، وما بين القوسين يتفق مع الطبري ٥/٦.
(٤) في الأصل «تصدر».
(٥) في الطبعة الأوربية «والفضاء».
(٦) في الأصل «نصرتنا كأنما». والعبارة في تاريخ الطبري «فيجيب إلى خير ما لهم عضبهم الله بشرّ، ما قلوبهم..».

أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمرَ، فأحسنا السيرة وعدلا، وقد وجدْنا عليهما أن تولّيا الأمورَ ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرْنا ذلك لهما، وولّى الناسُ عثمان فعمل بأشياء عابها النـاسُ فساروا إليه فقتلوه، ثمّ أتاني الناس فقالوا لي: بايع، فأبيتُ، فقالوا: بايعْ، فإنّ الأمة لا ترضى إلّا بك، وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يتفرّق[1] الناس، فبايعتُهم، فلم يَرُعني إلّا شقاق[2] رجُلين قد بايعاني، وخلافُ[3] معاوية الذي لم يُجعل له سابقة في الدين، ولا سَلَف صِدْق في الإسلام، طَلِيق ابن طَلِيق، حِزْبِ من الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كارهين، ولا عجب إلّا من اختلافكم معه[4] وانقيادكم له، وتتركون[5] آل بيت نبيّكم الذين لا ينبغي لكم شقاقُهم ولا خلافُهم[6]! ألا إنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه، وإماتة الباطل، وإحياء الحقّ ومعالم الدّين[7]! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين[8]. فقالا: تشهد[9] أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ فقال لهما: لا أقول إنّه قُتل مظلوماً ولا ظالماً[10]. قالا: فمن لم يزعم أنّه قُتل مظلوماً فنحن منه بُرَآء. وانصرفا، فقال [عليّ]، عليه السلام: ﴿إنّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى﴾، إلى قوله: ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[11]. ثمّ قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء في الجِدّ في ضلالهم أجدّ منكم في الجِدّ في حقّكم وطاعة ربّكم[12].

فتنازع عامر بن قيس الحِذْمِري[13] ثمّ الطائيّ، وعديّ بن حاتم الطّائيّ في الراية بصِفّين، وكانت حِذْمِر[14] أكثر من بني عديّ رهْط حاتم، فقال عبد الله بن خليفة البَوْلانيّ عند عليّ: يا بني حِذْمر[14] أعلى عدِيٍّ تتوثّبون، وهل فيكم وفي آبائكم مثل عدِيّ وأبيه؟

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/٨ «يفترق».
(٢) في الطبعة الأوروبية «بشقاق».
(٣) في الطبعة الأوروبية «وبخلاف».
(٤) في الأصل والنسخة (ي): «على».
(٥) في تاريخ الطبري ٥/٨ «وتدعون».
(٦) في تاريخ الطبري زيادة: «ولا أن تعدِلوا بهم من الناس أحداً».
(٧) في تاريخ الطبري «وإحياء معالم الدين».
(٨) زاد الطبري: «ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة».
(٩) عند الطبري «اشهَدْ».
(١٠) عند الطبري «قُتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً».
(١١) سورة النمل، الآية: ٨٠ و٨١.
(١٢) عبارة الطبري ٥/٨ «لا يكن هؤلاء أولى بالجِدّ في ضلالهم منكم بالجِدّ في حقكم وطاعة ربكم».
(١٣) هكذا في المطبوع، وفي تاريخ الطبري ٥/٩ «الحِزْمري» بالزاي. وفي الأصل ونسخة (ي): «الحضرمي».
(١٤) في النسخة (ي): «حضرم»، وفي تاريخ الطبري ٥/٩ «حزمر»

أليس بحامي القرية[١] ومانع الماء يوم روية؟ أليس ابن ذي المِرْباع[٢]، وابن جواد العرب، وابن المُنْهب ماله، ومانع جاره، ومن لم يغدر ولم يفجُر، ولم يبخل[٣]، ولم يمنُنْ ولم يجْبُن؟ هاتوا في آبائكم مثلَ أبيه، أوَفيكم مثله[٤]، أليس أفضلكم في الإسلام، ووافدكم إلى النبيّ ﷺ؟ أليس برأسكم يوم النُخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جَلولاء[٥] ويوم نِهاوند ويوم تُسْتَر؟[٦] فقال عليّ: حسْبُك يا ابنَ خليفة. وقال عليّ: لتحضر جماعة طيّء. فأتوه، فقال: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالوا: عدِيّ. فقال ابن خليفة: سَلْهم يا أمير المؤمنين، أليسوا راضين برياسة عدِيّ؟ ففعل، فقالوا: بلى. فقال عليّ: فعديٌّ أحقُّكم بالراية، وأخذها. فلمّا كان أيّام[٧] حجْر بن عدِيّ طلب زيادٌ عبدَ الله بنَ خليفة ليبعثه مع حُجْر، فسار إلى الجَبَلَين، ووعده عدِيّ أن يردّه وأن يسأل فيه، فطال عليه ذلك، فقال شعراً، منه:

أتنسَى بلائي سادراً يا ابنَ حاتمٍ ... عشيّةَ ما أغنَتْ عديُّك حِذْمِرَا[٨]
فدافَعتُ عنكَ القومَ حتّى تَخاذَلوا ... وكنتُ أنا الخصمَ الألدَّ العَذَوَّرَا[٩]
فوَلّوا وما قاموا مَقامي كأنّما ... رأوني لَيثاً[١٠] بالأباءة[١١] مُخْدِرَا[١٢]
نَصرْتُك إذ خام[١٣] القريبُ وأبعد[١٤] الـ ... ـبعيدُ وقد أُفرِدْتُ نصراً مؤزّرا
فكان جَزائي أن أُجَرَّرَ[١٥] بينكم ... سَحيباً[١٦] وأنْ أُوْلَى الهوانَ وأُوسَرا
وكم عِدَةٍ لي منك أنّك راجِعِي ... فلَم تُغنِ بالميعاد عنّي حَبْتَرا[١٧]

---

(١) في تاريخ الطبري «القربة» بالباء الموحّدة.
(٢) المِرباع: هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
(٣) عند الطبري «ولم يجهل ولم يبخل».
(٤) عند الطبري «أو هاتوا فيكم مثله».
(٥) عند الطبري «جلولاء الوقيعة».
(٦) عند الطبري زيادة «فما لكم وله! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون».
(٧) في الأصل والنسخة (ي): «يوم».
(٨) عند الطبري ٥/ ١٠ «حزمرا» بالزاي.
(٩) العَذَوَّر: الصعْب الخُلُق الشديد النفس.
(١٠) في نسخة المتحف البريطاني «شاباً».
(١١) في نسخة المتحف البريطاني و (ي) «بالأناة»، وفي الأصل: «بالإمارة». والأباءة: الأَجَمَة.
(١٢) المُخْدِر والخادر: الأسد المقيم في الأجمة أو العريق.
(١٣) في الأصل ونسخة (ي): «خان». وخام: نكص وجبن.
(١٤) عند الطبري «أبعط» وهي بمعنى واحد.
(١٥) في النسخة (ي): «أحرب». وفي تاريخ الطبري «أجرّد» بالدال في آخره.
(١٦) عند الطبري «سجيناً».
(١٧) الأبيات في تاريخ الطبري ٥/ ٩، ١٠ بزيادة بيتين في أولها.

وسترد قصّته بتمامها، إن شاء الله تعالى.

فلمّا انسلخ المحرّم أمر عليّ منادياً فنادى: يا أهل الشام! يقول لكم أمير المؤمنين: قد استدمتكم لتراجعوا الحقَّ وتُنيبوا إليه، فلم تنتهوا عن طغيانكم[1] ولم تجيبوا إلى الحق[2]، وإنّي قد نبذتُ إليكم على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين[3]!.

فاجتمع[4] أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم، خرج معاوية وعمرو يكتّبان الكتائب ويُعبّيان الناس، وكذلك فعل أمير المؤمنين، وقال للناس: لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فأنتم بحمد الله على حجّة، وترككم قتالهم حجّة أخرى، فإذا هزمتموهم[5] فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجْهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورةً، ولا تُمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً[6]، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم[7]، ولا تهيّجوا امرأة[8]، وإنْ شتمن أعراضكم وسَبَبْن أمراءكم وصُلَحاءكم، فإنّهن ضِعاف القوى والأنفس. وكان يقول بهذا المعنى لأصحابه في كلّ موطن، وحرّض أصحابه فقال: عِبادَ الله، اتّقوا الله وغُضّوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلّوا الكلام، ووطّنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة[9] والمناضلة[10] والمعانقة والمكادمة والملازمة، **﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[11]، **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[12]، اللهمّ أَلهِمهم الصبرَ، وأنزل عليهم النصرَ، وأعظِمْ لهم الأجرَ!

وأصبح عليّ فجعل على خيل الكوفة الأشتر، وعلى جُند البصرة سهل بن حُنيف، وعلى رجّالة الكوفة عمّار بن ياسر، وعلى رجّالة البصرة قيسَ بن سعد، وهاشم بن عُتبة المِرْقال معه الراية، وجعل مِسْعر بن فَدَكيّ على قرّاء الكوفة وأهل البصرة[13]. وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكَلاع الحِمْيريّ، وعلى ميسرته حبيب بن مَسْلمة الفِهْريّ،

---

(١) عند الطبري: «فلم تناهوا عن طغيان».

(٢) عند الطبري «حق».

(٣) في الطبعة الأوربية «الخائبين».

(٤) عند الطبري «ففزع».

(٥) راجع عبارة الطبري حيث يحذف منها المؤلّف عدّة عبارات وألفاظ. (٥/ ١٠، ١١).

(٦) عند الطبري زيادة «إلا بإذن».

(٧) عند الطبري زيادة «إلا ما وجدتم في عسكرهم».

(٨) عند الطبري زيادة «بأذى».

(٩) عند الطبري ٥/ ١١ «المبارزة».

(١٠) عند الطبري زاد بعدها «المجالدة».

(١١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(١٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(١٣) عند الطبري ٥/ ١١ «على قراء أهل البصرة». وفيه زيادة: «وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُدَيل=

وعلى مقدّمته أبا الأعور السُّلَميّ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجّالة دمشق مسلم بن عُقبة المُرّيّ، وعلى الناس كلّهم الضّحّاك بن قيس، وبايع رجالٌ من أهل الشام على الموت، فعقّلوا أنفُسهم بالعمائم، وكانوا خمسة صفوف[1]، وخرجوا أوّل يوم من صَفَر[2] فاقتتلوا، وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الأشتر، وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مَسْلَمة، فاقتتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار، ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض. ثمّ خرج في اليوم الثاني هاشم بن عُتبة في خيل ورجال[3]، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السُّلَميّ، فاقتتلوا يومهم ذلك ثمّ انصرفوا، وخرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا أشدّ قتال، وقال عمّار: يا أهلَ العراق أتريدون أن تنظروا إلى مَن عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهَرَ المشركين؟ فلمّا رأى الله يُعزّ دينه، ويُظهر رسوله أتى النبيَّ ﷺ، وهو فيما نرى[4] راهب غير راغب! ثمّ قُبض النبيّ ﷺ فَوَاللَّهِ إنْ زال بعدَه معروفاً بعداوة المسلم واتّباع[5] المجرم، فاثبُتوا له وقاتلوه[6].

وقال عمّار لزياد بن النَّضْر، وهو على الخيل: احمل على أهل الشام. فحمل وقاتله الناس وصبروا له، وحمل[7] عمّار فأزال عمرو بن العاص عن موضعه[8]، وبارز يومئذ زيادُ بن النضر أخاه لأمّه[9]، واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفِق، فلمّا التقيا تعارفا[10]، فانصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس. وخرج من الغد محمد بن عليّ، وهو ابن الحنفيّة، وخرج إليه عُبيدالله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين، فاقتتلوا أشد القتال، وأرسل عبيدالله إلى ابن الحنفيّة يدعوه إلى المبارزة، فخرج إليه، فحرّك عليّ دابّته وردّ ابنه، وبرز عليّ إلى عُبيدالله، فرجع عُبيدالله، وقال محمد لأبيه: لو تركتني لرجوتُ قتله. وقال: يا أمير المؤمنين وكيف تبرز إلى هذا الفاسق؟ والله إنّي لأرغب بك عن

= وعمّار بن ياسر».

(1) العبارة عند الطبري ٥/١٢٥ «فكان المعقّلان خمسة صفوف، وكانوا يخرجون ويُصفّون عشرة صفوف، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفاً».

(2) عند الطبري «صفّين».

(3) عند الطبري زيادة «حَسَن عددها وعُدّتها».

(4) في الأصل والنسخة (ي): «يرى».

(5) عند الطبري ٥/١٢ «وهوادة».

(6) زاد الطبري: «فإنه يطفىء نور الله، ويظاهر أعداء الله عزّ وجلّ».

(7) عند الطبري «وشدّ».

(8) عند الطبري «موقفه».

(9) عند الطبري «أخاً له لأمّه».

(10) زاد الطبري «فتواقفا».

أبيه[1]! فقال علي: يا بني لا تقُلْ في أبيه إلّا خيراً. وتراجع الناس. وخرج عبدالله بن عباس في اليوم الخامس، وخرج إليه الوليد بن عُقْبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فسبَّ الوليدُ بني عبد المطّلب، فطلبه ابنُ عباس ليبارزه فأبَى، وقاتل ابن عباس قتالاً شديداً. وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاريّ، وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحميريّ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثمّ انصرفوا[2]. ثمّ عاد يوم الثلاثاء وخرج الأشتر، وخرج إليه حبيب، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانصرفوا عند الظهر.

ثمّ إنّ عليّاً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ فقام في الناس عشيّة الثلاثاء ليلة الأربعاء خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي لا يُبرَم ما نَقَض، وما أبرَم لم ينقضُه الناقضون، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلْقه، ولا اختلفت الأمّة في شيء، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضلَه، وقد ساقتْنا وهؤلاء القوم الأقدارُ، فنحن بمرأى من ربّنا ومَسْمَع، فلو شاء عجَّل النِّقمة، وكان منه التغيير[3] حتى يكذّب الظالم[4] ويعلم الحقّ[5] أين مصيره، ولكنّه جعل الدنيا دارَ الأعمال، وجعل الآخرة دارَ القرار ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾[6]، ألا وإنّكم لاقو القومَ غداً، فأطيلوا الليلةَ القيام، وأكثِروا تلاوةَ القرآن، واسألوا الله النصرَ والصبرَ، والقَوْهم بالجِدّ والحزْم، وكونوا صادقين. فقام القوم يُصلحون سلاحهم[7]، فمرّ بهم كعب بن جُعيل فقال:

أصبَحَتِ الأمّةُ في أمرٍ عَجَبْ ... والمُلكُ مجموعٌ غداً لمنْ غَلَبْ

فقلتُ قوْلاً صادقاً غيرَ كَذِبْ ... إنّ غَداً تهلكُ أعلامُ العرَبْ[8]

وعبّى عليٌّ الناس ليلته حتى الصباح (وزحف بالناس)[9]، وخرج إليه معاوية في أهل الشام، فسأل عليٌّ عن القبائل من أهلِ الشام، فعرف مواقفهم، فقال للأزد: اكفونا الأزد، وقال لخثعم: اكفونا خثعم، وأمر كلّ قبيلة أن تكفيه أختها من الشام، إلّا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد، فيصرفها إلى قبيلة أخرى من الشام، ليس بالعراق منهم أحد، مثل بَجيلة لم يكن بالشام منهم إلّا القليل، صرفهم إلى لَخْم.

---

(١) العبارة عند الطبري ١٣/٥ «والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبتُ بك عنه».
(٢) عند الطبري «انصرفا».
(٣) في النسخة (ي): «النقمة».
(٤) في الأصل «الخطاء» وفي النسخة (ي): «المظالم». وعند الطبري ١٤/٥ «يكذّب اللّهُ الظالم».
(٥) في الأصل «المحق».
(٦) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٧) عبارة الطبري: «ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يُصْلحونها».
(٨) البيتان عند الطبري ١٤/٥، وفي الأخبار الطوال ١٨٠ وفيه «أقول قولاً»، ونهاية الأرب ١٢١/٢٠
(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).

فتناهض الناسُ يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انصرفوا عند المساء، وكلٌّ غير غالب، فلمّا كان يوم الخميس صلّى عليّ بغَلَس، وخرج بالناس إلى أهل الشام، فزحف إليهم وزحفوا معه، وكان على ميمنة عليّ عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس، والقراء مع ثلاثة نفر: عمّار، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بُدَيل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعليّ في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة، وأكثر من معه من أهل المدينة[1] الأنصار، ومعه عدد من خُزاعة وكِنانة، وغيرهم من أهل المدينة، وزحف إليهم. ورفع معاوية قُبّةً عظيمة، فألقى عليها الثياب، وبايعه أكثر أهل الشام على الموت، وأحاط بقبّته خيل دمشق. وزحف عبدُ الله بن بُدَيل في الميمنة نحو حبيب بن مَسْلَمة، وهو في ميسرة معاوية، فلم يزل يَحُوزه ويكشف خيله حتى اضطّرهم إلى[2] قبّة معاوية عند الظهر، وحرّض عبدُ الله بن بُدَيل أصحابه فقال: ألا إنّ معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع الحقَّ أهلَه، وعاندَ مَن ليس مثله، وجادل بالباطل ليُدْحِض به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب الذين قد زيّن لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حُبَّ الفتنة، ولبّس عليهم الأمر، وزادهم رِجْساً إلى رِجْسهم، فقاتلوا الطغام[3] الجفاة، ولا تخشَوهم، ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾[4].

وحرّض عليٌّ أصحابه، فقال في كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعَضوا على الأضراس، فإنّه أنبَى[5] للسيوف عن الهام، والتَوُوا في الأطراف[6] فإنّه أصْون[7] للأسنّة، وغُضُّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش، وأسكَن للقلب، وأميتوا الأصوات، فإنّه أطرد للفشل، وأَوْلَى بالوقار، راياتِكم[8] فلا تُميلوها ولا تُزيلوها، ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم[9]، واستعينوا بالصِّدْق والصبر، فإنّ بعد الصبر ينزل (عليكم)[10] النصر[11].

---

(١) من النسخة (ر).

(٢) في النسخة (ي): «واصطدم على».

(٣) عند الطبري ١٦/٥ «الطغاة».

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «أنباء».

(٦) عند الطبري ١٦/٥، ١٧ «التووا في أطراف الرماح».

(٧) في وقعة صفين ٢٦٤ «فإنه أمْوَر للأسنّة».

(٨) في وقعة صفين «وراياتكم».

(٩) يحذف المؤلف فقرة طويلة هي في وقعة صفين وتاريخ الطبري.

(١٠) من النسخة (ر).

(١١) الخبر في تاريخ الطبري ١٠/٥ - ١٧، ووقعة صفّين لابن مزاحم ٢٦٤، ٢٦٥.

وقام يزيد بن قيس الأرحبيّ يحرّض النّاس فقال: إنّ المسلم[1] من سَلِم في دينه ورأيه؛ وإنّ هؤلاء القوم واللّهِ لا يقاتلونا[2] على إقامة دين[3] ضيّعناه، وإحياء حقّ[4] أمتناه، إنْ يقاتلوننا إلّا على هذه الدنيا، ليكونوا جبّارين فيها ملوكاً، فلو ظهروا عليكم، لا أراهمُ اللّهُ ظهوراً ولا سروراً، ألزموكم[5] بمثل سعيد والوليد وابن عامر[6] السفيه الضّالّ، يجيز أحدهم بمثل ديته ودية أبيه وجَدّه في جلسه[7]، ثمّ يقول: هذا لي ولا إثم عليّ، كأنّما أعطى تراثه على[8] أبيه وأمّه، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا، فقاتِلوا عبادَ الله القومَ الظالمين، فإنّهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم مَن قد عرفتم وخبِرْتم! والله ما ازدادوا إلى يومهم إلّا شرّاً!.

وقاتلهم عبد الله بن بُدَيل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبّة معاوية. وأقبل الذي تبايعوا على الموت إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بُدَيل في الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مَسْلَمة في الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قِبَل الميمنة حتى لم يبقَ منهم (إلّا ابن بُدَيل في مائتين أو ثلثمائة من القراء، قد أسند بعضهم إلى بعض، وانجفل الناس، وأمر عليّ سهلَ بنَ حُنَيف فاستقدم فيمن كان معه)[9] من أهل المدينة، فاستقبلتهم جمُوع لأهل الشام عظيمة، فاحتملتهم حتى أوقفتهم[10] في الميمنة، وكان فيما بين الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن. فلمّا انكشفوا[11] انتهت الهزيمة إلى عليّ، فانصرف عليّ يمشي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مُضَر من الميسرة، وثبتت ربيعة[12]. وكان الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ معه حين قصد الميسرة، والنَّبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه[13]، وما من بنيه

---

(١) في تاريخ الطبري ووقعة صفين «إن المسلم السليم من سلم في دينه ورأيه».

(٢) في تاريخ الطبري ١٧/٥ «إن يقاتلوننا»، وفي وقعة صفين «ما إن يقاتلونا».

(٣) عند الطبري ١٨/٥ وابن مزاحم «دين رأونا».

(٤) في الأصل والنسخة (ي): «دينه ودين».

(٥) عند الطبري ١٨/٥ «لزموكم» والمثبت يتفق مع ابن مزاحم في وقعة صفين.

(٦) هم: سعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وعبد الله بن عامر. وفي وقعة صفين «عبيد الله بن عامر».

(٧) في وقعة صفين: «يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت» وفي تاريخ الطبري «يخبر أحدهم في مجلسه».

(٨) في تاريخ الطبري «عن».

(٩) ما بين القوسين في وقعة صفين، وفي الأصل «إلا القليل».

(١٠) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «ألحقتهم».

(١١) في تاريخ الطبري ١٨/٥ «كشفوا» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.

(١٢) تاريخ الطبري ١٧/٥، ١٨، وقعة صفين ٢٧٩، ٢٨٠ بروايته عن عمرو، عن أبي روق الهمْداني.

(١٣) في وقعة صفين «منكبه».

أحد إلّا (يقيه بنفسه)[1] فيردّه، فبصُرَ به أحمر، مولى أبي سفيان أو عثمان، فأقبل نحوه، فخرج إليه كَيْسان مولى عليّ، فاختلفا بينهما ضربتان، فقتله أحمر[2]، فأخذ عليّ بجيب[3] درع أحمر، فجذبه وحمله على عاتقه، ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبيه[4] وعَضُديه، ودنا منه أهل الشام، فما زاده قربهم إلّا إسراعاً، فقال له ابنه الحسن: ما ضرّك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من أصحابك؟ فقال: يا بُني إنّ لأبيك يوماً لا يعدوه، ولا يُبطىء به عنه[5] السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إنّ أباك واللّهِ لا يبالي أوَقع على الموت، أم وقع الموتُ عليه[6]. فلمّا وصل إلى ربيعة نادى بصوت عالٍ كغير المكترث لِما فيه الناس: لمن هذه الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة. قال: بل راياتٌ عصَم اللّهُ أهلَها، فصبَّرهم وثبّت أقدامهم. وقال للحُضَين بن المنذر: يا فتى ألا تُدني رايتك هذه ذراعاً؟ قال: بلى واللّهِ، وعشرة أذرع، فأدناها حتى قال: حسبُك مكانَك. ولما انتهى عليّ إلى ربيعة تنادوا بينهم: يا ربيعة إن أُصيب فيكم أمير المؤمنين، وفيكم رجل حيّ افتضحتم في العرب! فقاتلوا قتالاً شديداً ما قاتلوا مثله، فلذلك قال عليّ:

لِمنْ رايةٌ سوداءُ يخفِقُ ظِلُّها ... إذا قيلَ قدِّمْها حُضَينُ تقدّمَا[7]
ويقدِّمها في الموتِ حتى يُزيرَها ... حِياضَ المنايا[8] تَقْطُرُ الموْتَ والدَّمَا
أذَقنا ابنَ حرْبٍ طَعنَنا وضِرابَنا ... بأسيافنا حتى تولّى[9] وأحجمَا
جزَى اللّهُ قوماً صابَرُوا في لقائهمْ ... لدى الموْتِ قوْماً ما أعفّ[10] وأكرَمَا[11]
وأطيَبَ أخباراً[12] وأكرَمَ شيمَةً ... إذا كان أصوَاتُ الرِّجال تغمْغُمَا[13]

---

(١) في الأصل «فدى نفسه بنفسه».

(٢) في تاريخ الطبري ٥/١٩ «فقتله مولى بني أميّة». والعبارة في وقعة صفين ٢٨٠ «وخالط علياً ليضربه بالسيف، فانتهره عليّ، فنقع يده في جيب درعه، فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رِجليه تختلفان على عنق عليّ».

(٣) في الأصل «بجلباب».

(٤) عند الطبري «منكبه».

(٥) في تاريخ الطبري «عند».

(٦) الخبر في: وقعة صفّين ٢٨٠ ـ ٢٨٣، وتاريخ الطبري ٥/١٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «يا حضين يقدما».

(٨) في وقعة صفين «حتى يديرها.. حمام المنايا».

(٩) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «تعافا».

(١٠) في الأصل «أعز».

(١١) ورد هذا الشطر في وقعة صفين بلفظ مختلف:

«لدى البأس حراً ما أعفّ وأكرما»

(١٢) في النسخة (ي): «أخيار».

(١٣) في وقعة صفين وشرح نهج البلاغة:

رَبيعَـةَ أعني، إنّهمْ أهــلُ نـجـدةٍ وبأسٍ إذا لاقَوْا خميساً[1] عرَمْـرَمَا[2]

ومرّ به الأشتر وهو يقصد الميسرة، والأشتر يركض نحو الفزع[3] قِبَـل الميمنة، فقـال له عليّ: يا مـالك! قـال: لَبَّيك يـا أمير المؤمنين! قـال: ائتِ هؤلاء القوم فقـل لهم: أينَ فـراركم من المـوت الــذي لن تُعجـزوه إلى الحيــاة التي لا تبقى لكم؟ فمضى الأشتـر، فاستقبل الناس منهزمين، فقـال لهم ما قـال عليّ، ثمّ قال: أيّهـا الناس أنـا الأشتر، إليّ! أخلصوا لي[4] مَذحِجاً، فأقبلت مَذْحِج إليه، فقال لهم: مـا أرضيتم ربّكم، ولا نصحتُم له في عدوّكم، وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومَذْحِـج الطعـان، الذين لم يكـونوا يُسبقـون بثأرهم، ولا تُـطَلُّ دماؤهم[5]، وما تفعلون هذا اليوم فإنّه مأثور بعده، فانصحوا واصدقـوا (عدوَّكم اللقـاءَ)[6]، فإنّ الله مع الصادقين. والذي نفسي بيده ما من هؤلاء ـ وأشار إلى أهل الشام ـ رجل على مثـل جَناح بَعُـوضة من دين[7]، اجْلُوا سـواد وجهي يرجـعْ فيه دمـه، عليكم بهـذا السـواد الأعظم، فإنّ الله [لو] قد فضّه تبعه مَن بجـانبيه. قـالوا: تجـدنا حيث أحببت[8]. فقصـد نحو عُظْمهم ممّا يلي الميمنة، يزحف إليهم ويردُّهم، واستقبله شباب من همْدان، وكـانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ، وكانوا صبروا في الميمنـة، حتى أصيب منهم ثمانـون ومائـة رجل، وقُتل منهم أحد عشر رئيساً، كان أوّلهم ذؤيـب[9] بن شُرَيـح، ثمّ شُرَحْبيـل، ثمّ مرثـد، ثمّ هُبيرة، ثمّ يريم، ثمّ سُمير[10] أولاد شُرَيح، فقُتلوا، ثمّ أخذ الراية عَمِيرة، ثمّ الحارث ابنا

= وأحـزم صبـراً حين تـدعى إلى الـوغى إذا كـان أصـوات الكُمـاة تـغـمـغُـمـا

(١) عند الطبري ٥/٣٨ «جسيماً».

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٥/٣٧، ٣٨، ووقعة صفين وفيـه زيادة ٣٢٥، ٣٢٦ وقـد نسبها إلى الحضين بن المنذر فقال: «أقبل الحضين بن المنذر ـ وهو يومئذ غلام ـ يـزحف برايتـه، وكانت حمـراء، فأعجب عليّـاً زحفه وثباته، فقال. .» وذكر الأبيات. وأورد المسعـودي البيت الأول فقط ٢/٣٩٩ وفيه: «إذا قلت». وهـو أيضاً في جمهرة أنساب العرب ٣١٧، وسمط الـلآلي لأبي عبيـد البكـري ٨١٧، ولسان العـرب (مـادة حضن)، وكلهـا في نهايـة الأرب ٢٠/١٢٦، ١٢٧، وشـرح نهـج البـلاغـة لابن أبي الحـديـد ١/٤٨٧، والفتوح لابن أعثم ٣/٣٧، ٣٨ باختلاف.

(٣) في الطبعة الأوربيـة «القرع».

(٤) عند الطبري «إليّ».

(٥) في وقعة صفين، وتاريخ الطبري «ولا يُعرفـون في موطن بخسف، وأنتم حـدّ (أحد) أهـل مصركم، وأعـدّ حيّ في قومكم».

(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٧) في تاريخ الطبري ٥/٢٠ «من محمد ﷺ» و«دين» زيادة من النسخة (ر).

(٨) في تاريخ الطبري «خذ بنا حيث أحببت».

(٩) في تاريخ الطبري ووقعة صفين وشرح النهج «كريب».

(١٠) في وقعة صفين «شمر بن شريح».

بشير[١] فقُتلا جميعاً، ثمّ أخذ الراية سفيان، وعبد الله وبكـر[٢] بنو زيـد فقُتلوا جميعاً، ثمّ أخذ الراية وهْب بن كُرَيب، فانصرف هو وقومه وهم يقولـون: ليت لنا عـدَّتنا من العـرب يحالفوننا على الموت، ثمّ نرجع فلا ننصرف، أو نُقتل أو نظفر[٣]! فسمعهم الأشتر يقولون هذا، فقال لهم: أنا أحالفكم على أن لا نـرجع أبـداً حتى نظفـر أو نهلك. فوقفـوا معه، وفي هذا قال كعب بن جُعَيل:

وهمْـدانُ زُرقٌ تبتَغي مَن تُحَـالفُ

وزحف الأشتـر نحـو الميمنـة، وثـاب إليـه النـاس، وتـراجعـوا، من أهـل البصـرة وغيـرهم فلم يقصد كتيبـةً إلاّ كشفها، ولا جَمْعـاً إلاّ حازه[٤] وردّه، فـإنّه كـذلك إذ مـرّ بـه زيـاد بن النَّضْر الحـارثيّ يُحمل إلى العسكـر وقد صُـرع، وسببـه أنّـه[٥] قـد كـان استُلحم عبد الله بن بُديَـل وأصحابـه في الميمنة، فتقـدّم زياد إليهم، ورفـع رايته لأهـل الميمنة، فصبروا وقاتل حتى صُرع. ثمّ مرّوا بيزيـد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحـو العسكر، وكـان قد رفع رايته لأهل الميمنة لما صُرع زياد وقـاتل حتى صُـرع، فقال الأشتـر (حين رآه)[٦]: هـذا والله الصبر الجميـل والفعْل الكـريم، ألا يستحي الرجـل أن ينصـرف ولا يُقتـل (أو يُشفى به على القتل)[٧]؟ وقاتلهم الأشتر قتالاً شديداً، ولزمـه الحارث بن جُمَهـان الجعفيّ يقاتل معه، فما زال هو ومن رجع إليه يقاتلون، حتى كشف أهل الشام، وألحقهم بمعاوية والصفّ الـذي معه بين صـلاة العصر والمغـرب، وانتهى إلى عبد الله بن بُـدَيل وهـو في عصابة من القراء نحو المـائتين أو الثلثمائـة، قد لصِقـوا[٨] بالأرض كـأنّهم جُثاً[٩]، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا إخوانهم فقالـوا: ما فعـل أمير المؤمنين؟ قالوا[١٠]: حيٌّ صـالح في الميسرة، يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله! قد كنّا ظنّنا أنّه[١١] قد هلك وهلكتم.

---

(١) في وقعة صفين «بشر».

(٢) عند الطبري ٥/٢١ ووقعة صفين «كريب بن زيد».

(٣) في وقعة صفين «نظهر».

(٤) في الطبعة الأوروبيـة «جازه».

(٥) في الأصل زيادة «قصير».

(٦) زيادة من (ر).

(٧) زيـادة من الأصل. والخبر في: وقعة صفين ٢٨٢ ـ ٢٨٦، وتـاريخ الـطبري ٥/١٩ ـ ٢٢، وشـرح نهج البلاغة ١/٤٨٧.

(٨) في الأصل والنسخة (ي): «اصطفوا».

(٩) في النسخة (ر): «خبا» والأصل «حبالا» وفي الطبعة الأوروبية «جثاثاً». والجثا: جمـع جثوة، وهي الكـومة من التراب.

(١٠) في الطبعة الأوروبيـة «قال».

(١١) في تاريخ الطبري ٥/٢٣ «أن».

وقال عبد الله بن بُدَيل [لأصحابه]: استقدِموا بنا. فقال الأشتر: لا تفعل واثبتْ مع الناس[1]، فإنّه خيرٌ لهم وأبقى لك ولأصحابك. فأبى، ومضى كما هو نحو معاوية، وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان[2]، وخرج عبد الله أمام أصحابه يقتل كلّ من دنا منه، حتى قتل جماعة[3]، ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كلّ جانب، وأحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قُتل، وقُتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة منهم مجرحين[4]. فبعث الأشترُ الحارثَ بن جُمَهان الجُعْفيّ، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم[5] من أصحاب عبد الله حتى نفّسوا عنهم، وانتهوا إلى الأشتر. وكان معاوية قد رأى ابن بُدَيل وهو يضرب قُدُماً، فقال: أترونه كبش القوم؟ فلمّا قُتل أرسل إليه لينظروا من هو، فلم يعرفه أهلِ الشام، فجاء إليه، فلمّا رآه عرفه فقال: هذا عبد الله بن بُدَيل، واللّهِ لو استطاعت نساءُ خُزاعة لقاتَلْتنا فضلاً عن[6] رجالها! وتمثّل بقول حاتم:

أخو الحرْبِ إن[7] عضّتْ به الحرْبُ عضّها ... وإن شمّرَتْ يوماً به الحربُ شمّرَا[8]

وزحف الأشتر بعَكّ والأشعَرِين (وقال لمَذْحِج: اكفونا عَكّاً، ووقف في همْدان وقال لكِنْدة: اكفونا الأشعرين)[9]، فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى المساء، وقاتلهم الأشتر في همدان، وطوائف من الناس، فأزال أهل الشام (عن مواضعهم)[10] حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقّلة بالعمائم حول معاوية، ثمّ حمل عليهم حملة أخرى، فصرع أربعة صفوف من المعقّلين بالعمائم [حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية]، ودعا معاوية بفَرَسه فركب، وكان يقول: أردتُ أن أنهزم فذكرتُ قول ابن الإطنابة الأنصاريّ، وكان جاهليّاً:

---

(١) عند الطبري زيادة «فقاتِل».

(٢) في الأصل «سنان».

(٣) عند الطبري «حتى قتل سبعة».

(٤) في تاريخ الطبري ٥/٢٣ «ورجعت طائفة قد جُرحوا منهزمين».

(٥) عند الطبري «من نجا».

(٦) عند الطبري «على».

(٧) في الطبعة الأوربية «إذ».

(٨) البيت في ديوان حاتم الطائي ١٢١، وتاريخ الطبري ٥/٢٤، ونهاية الأرب ٢٠/١٣١ وزاد بيتاً آخر، وشرح نهج البلاغة، وفيه:

... وإن شمّرت عن ساقها ...

والبيت أيضاً في مروج الذهب وزيادة بيت آخر. (٢/٣٩٨) وكذلك في الأخبار الطوال ١٧٦ وفيه:

.. وإن شمّرت عن ساقها الحرب فشمّرا

وزاد في الفتوح لابن أعثم ٣/٤٩ بيتين.

(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١٠) زيادة من (ر).

أَبَتْ لي عِفّتي وأبى[1] بلائي[2] وإقدامي على البَطَلِ المشيحِ[3]
وإعطائي على المكرُوهِ مالي وأخذي الحمدَ بالثمنِ الرّبيحِ[4]
وقولي كلّما جشأت وجاشَتْ: مكانَكِ تُحمدي أوْ تَستريحي[5]

قال: فمنعني هذا القول من الفرار، ونظر إليَّ عمرو وقال: اليوم صبر وغداً فخر. فقلت: صدقتَ. وتقدم جُنْدَب بن زهير فبارز رأسَ أزدْ الشام، فقتله الشاميّ، وقُتل من رهْطه عِجْل، وسعد ابنا عبد الله، وقُتل أبو زينب بن عوف. وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزديّ في القُرّاء الذين مع عمّار بن ياسر، فأصيب معه[6]، وتقدّم عُقبة بن

---

(١) في الطبعة الأوربية «فأبى».

(٢) عند الطبري ٥/٢٤:

«أبت لي عفّتي وحياء نفسي»

(٣) البيت في أمالي القالي، وعيون الأخبار، ولباب الآداب، والكامل للمبرّد:

أبت لي عفّتي وأبى بلائي وأخْذي الحمد بالثمن الربيح

وفي العقد الفريد: «أبت لي شيمتي».

وفي حماسة البحتري: «وأبى إبائي».

(٤) هكذا مثل تاريخ الطبري ٥/٢٤، أما في أمالي القالي، ومجالس ثعلب، والمزهر:

وإعطائي على الإعدام مالي وضربي هامة البطل المشيح

وفي عيون الأخبار، والعقد الفريد، ولباب الآداب، ولسان العرب، وشرح شواهد العيني:

وإقدامي على المكروه نفسي

(٥) هكذا عند الطبري ٥/٢٤، ولباب الآداب، والعقد الفريد.

وفي أمالي القالي:

.. رويدك تُحمدي أو تستريحي

وفي عيون الأخبار، ولسان العرب:

وقولي كلّما جشأت لنفسي..

وقد زاد في الأمالي ١/٢٥٨ بيتاً، وكذا في العقد الفريد ١/١٠٥، ولباب الآداب ٢٢٤، وحماسة البحتري، وزاد في عيون الأخبار ١/١٢٦ بيتين، وكذلك في الفتوح لابن أعثم ٣/٣١٦، ٣١٧، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٠٤.

والأبيات في: مجالس ثعلب ١/٨٣ وفيه:

«مكانك تعذري أو تستريحي»

وفي لسان العرب ١/٤٠، و٣/٣٣١، ونهاية الأرب ٢٠/١٣٢، والبداية والنهاية ٧/٢٦٤، والمزهر للسيوطي ٢/١٩٧، ووقعة صفّين ٤٤٩، والكامل للمبرّد ٢/٢٩٣، وحماسة البحتري ٩، والشواهد الكبرى للعيني ٤/٤١٥، وشرح شواهد العيني للسيوطي ١٨٦، وأنساب الأشراف ٣٠٦، والمشيح: المقبل إليك والمانع لماوراء ظهره. وقيل: المُشيح: المُجِدّ في الأمر.

وجشأت: ارتفعت نفسه جزعاً وفزعاً وحزناً وكراهة.

وجاشت: أصابها الغثيان من الفزع.

(٦) وقعة صفين ٢٩٧، ٢٩٨، تاريخ الطبري ٥/٢٧.

حديد[1] النُّميريّ[2] وهو يقول: ألا إنّ مرعى الدنيا أصبح هشيماً، وشجرها خضيداً، وجديدها سَمَلاً، وحُلْوها مرَّ المذاق[3]، إنّي قد سئمتُ الدنيا، وعزفْتْ نفسي عنها، وإنّي أتمنّى الشهادة، وأتعرّض لها في كلّ جيش[4] وغارة، فأبَى الله إلاّ أن يبلِّغني هذا اليوم، وإنّي متعرِّض لها من ساعتي هذه، وقد طمعت أن لا أحرمها، فما تنتظرون عبادَ الله بجهاد مَن عادى الله؟ في كلام طويل[5]. وقال: يا إخوتي قد بعتُ هذه الدار بالتي أمامها، وهذا وجهي إليها. فتبِعه إخوته عُبيد الله، وعَوف، ومالك، وقالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك[6]، فقاتلوا حتى قُتلوا. وتقدم (شَمِر)[7] بن ذي الجَوشَن فبارز، فضرب أدهمُ بن مُحْرِز الباهليّ بالسيف وجهَه، وضربه شَمِر فلم يَضُرّه، فعاد شَمِر [إلى رَحْله] فشرب ماء، وكان ظمآن، ثمّ أخذ الرمح، ثمّ حمل على أدهم فصرعه وقال: هذه بتلك[8].

وكانت راية بَجِيلة[9] مع أبي شَدّاد قيس بن هُبيرة الأحمسيّ، وهو قيس بن مكشوح، (ومكشوح لقب)[10]، فقال لقومه: واللّهِ لأَنتهينَّ بكم إلى صاحب التُّرْس المُذهب[11]، وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد[12]، فقاتل الناس قتالاً شديداً، وشدّ بسيفه نحو صاحب التُّرس، فعرضٍ له مولًى رومي[13] لمعاوية، فضرب قدم أبي شدّاد فقطعها، وضربه أبو شدّاد فقتله، وأشرِعت إليه الرماح فقُتل، وأخذ الراية عبد الله بن قِلْع[14] الأحمسيّ، فقاتل حتى قُتل، ثمّ أخذها عفيف بن إياس، فلم تزل في يده حتى تحاجَز الناسُ. وقُتل

---

(١) في النسخة (ي): «حبيب».
(٢) عند الطبري ٥/٢٧ «النمري».
(٣) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة: «أو إنّي أنبئكم نبأ امرىء صادق».
(٤) في وقعة صفين «في كل حين».
(٥) انظر بقيّته في وقعة صفين ٢٩٨، ٢٩٩، وتاريخ الطبري ٥/٢٨.
(٦) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة: «فقبّح الله العيش بعدك. اللهم إنّا نحتسب أنفُسَنا عندك، فاستقدموا فقاتلوا».
(٧) مهمل في النسخة (ر).
(٨) وقعة صفين ٣٠٣، ٣٠٤، تاريخ الطبري ٥/٢٨ وفيهما شعر لشمر قاله هنا.
(٩) في الأصل «عليّ».
(١٠) زيادة من الأصل.
(١١) في وقعة صفين زيادة: «وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس».
(١٢) في الأصل «مالك».
(١٣) في تاريخ الطبري ٥/٢٦ «فتعرّض له روميّ، مولى لمعاوية». وفي وقعة صفين «فتعرّض له روميّ من دونه».
(١٤) في النسخة (ي): «قلعي».

حـازم بن أبي حازم، أخـو قيس بن أبي حازم، يـومئـذ، وقُتـل أبـوه أيضـاً، لـه صحبـة، ونُعَيم (بن صُهَيب بن العيلة)[1] البجليّون مع عليّ[2].

فلمّا رأى عليّ ميمنةَ أصحابه قد عادت إلى مواضعها ومواقفها، وكشفت من بـإزائها من عدوّها حتى ضاربـوهم[3] في مـواقفهم ومراكـزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقـال: إنّي قد رأيتُ جولتكم عن صفوفكم، يَحُوزكم الجُفـاة الطَّغـام، وأعراب الشـام، وأنتم لَهاميمُ العرب، والسَّنام الأعظم، وعُمّار الليـل[4] بتلاوة القرآن، وأهل دعـوة الحقّ. فلَولا إقبالُكم بعـد إدباركم، وكـرُّكم بعد انحيـازكم، لَوَجَب عليكم مـا يجب على المُوَلِّي يـوم الـزحْف [دُبُرَه]، وكنتم من الهالكين، ولكنْ هوّن وجْدي، وشفى أُحـاح[5] نفسي أنّي رأيتكم بأُخرة حـزْتموهم كمـا حازوكم، وأزلتمـوهم عن مصافّهم كمـا أزالوكم، تـركب أُولاهم أُخْراهم كـالإبل المـطرودة الهِيَم[6]، فـالآن، فـاصبـروا، فقـد نـزلت عليكم السكينـة، وثبّتكم الله باليقين، ليعلم المنهزم[7] أنّه مُسْخِطٌ ربَّه، ومُوبِقٌ نفسَه، في كلامٍ طويل[8]. وكان بِشـر بن عِصمة المُرّي قد لحِق بمعاوية، فلّما اقتتل الناس بصِفّين نظر[9] بِشر إلى مالك بن العَقَديَّة الجُشَميّ، وهو يفتك بأهل الشام[10]، فاغتاظ لذلك، فحمل على مالك (وتجاولا ساعـة ثمّ طعنه بشر بن عصمة)[11] فصرعـه، ولم يقتله، وانصرف عنـه، وقد نـدم على طعنته إيّـاه، وكان جبّاراً، فقال:

وإنّـي لأرجـو مـن مَـلـيكـي تَـجَـاوُزاً ... ومن صاحبِ الموْسوم[12] في الصّدر هاجسُ
دَلَـفْـتُ لَـهُ تـحـتَ الـغُـبـارِ بِـطَعْـنَـةٍ ... على سـاعَـةٍ فيهـا الـطّعـانُ تَخَـالُسُ

فبلغت مقالتُه ابن العَقَديَّة فقال:

---

(1) في النسخة (ي) «الصلت» بدل الموجود بين القوسين. وفي تاريخ الطبري ٥/٢٦ «العُلَيّة».
(2) «مع علي» من الأصل. والخبر في وقعة صفين ٢٩١ ـ ٢٩٣، وتاريخ الطبري ٥/٢٥، ٢٦.
(3) في الأصل ونسخة (ي): «صاروا».
(4) في الطبعة الأوربيـة «الليلة».
(5) الأحاح: العطش والغيظ.
(6) وقد زاد في النسخة (ي) بعد «الهِيَم»: العطاش.
(7) في الأصل «الحزم».
(8) انظر بقيته في: وقعة صفين ٢٨٩، ٢٩٠، وتاريخ الطبري ٥/٢٥.
(9) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «بَصُر».
(10) العبارة في وقعة صفين وتاريخ الطبري «فرآه بِشر وهو يفري في أهل الشام فرْياً عجيباً».
(11) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(12) الموسوم: اسم فرس.

ألا أبلغا بِشرَ بن عِصْمَةَ أنّني شُغِلتُ وألهاني الذين[1] أُمارِسُ
وصادفتَ منّي غِرّةً وأصبتَها كذلك والأبطالُ ماضٍ وحابسُ[2]

وحمل عبدُ الله بنُ الطُّفيل البَكّائي على أهل الشام، فلمّا انصرف حمل عليه رجل من بني تميم يقال له قيس بن مُرّة[3] ممّن لحِق بمعاوية من أهل العراق، فوضع الرمح بين كتفَيْ عبد الله، واعترضه ابن عمٍّ لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية، فوضع الرمحَ بين كتفي التميميّ، فقال له: والله لئن (طعنته لأطعننّك! فقال له: عليه عهدُ الله وميثاقه إن)[4] رفعتُ الرمحَ عن ظهر صاحبك لترفعنّ[5] سِنانك عنّي! قال: نعم. فرفع التميميّ سنانه، ورفع يزيد سِنانه، فلمّا رجع الناس إلى الكوفة عتب يزيد على ابن الطُّفيل[6]، فقال [له]:

ألم ترَني حامَيتُ عنكَ مُناصِحاً بصِفّينَ إذ خلّاكَ كلُّ حَميمِ
ونهنهتُ[7] عنك الحنظليّ وقد أتى على سابِحٍ[8] ذي مَيعةٍ[9] وهزيمِ[10]

وخرج رجل من آل عَكّ من أهل الشام يسأل المبارزة، فبرز إليه قيس بن فَهْدان الكِنْديّ، فحمل عليه [العكّيّ][11] وتجاولا ساعة، ثمّ طعنه عبد الرحمن فقتله، وقال[12]:

لقد علمتْ عَكٌّ بصِفّينَ أنّنا إذا التَقتِ الخيلانِ نطعنُها شَزْرا

---

(١) في الطبعة الأوربية «الدين».

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٢٩/٥ وفيه «خالس» بدل «حابس». وهي في كتاب الفتوح لابن أعثم باختلاف شديد (٤٦/٣، ٤٧) ولفظه:

دلفتُ له تحت الغبار بطعنة على بصر مني طعان المخالس
وإني لأرجو من مليكي وخالقي ومن مالك الأملاك دار التنافس

وقول مالك:

أيا بشر صبراً لا تُراع فإنني شغلت وألهاني الذين أمارس
وصادفتَ مني غرّة فأصبتها كذاك يكون الناس ماش وجالس

(٣) في وقعة صفين وتاريخ الطبري «قُرّة».

(٤) زيادة من الأصل.

(٥) في النسخة (ي): «أن تعزل».

(٦) عند الطبري ٢٩/٥: «عتب على يزيد بن الطفيل» وهو وهْم.

(٧) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «ونهضت».

(٨) في الأصل «ساحة».

(٩) في النسخة (ي): «منعة».

(١٠) البيتان في تاريخ الطبري ٢٩/٥، وهما باختلاف بعض الألفاظ في وقعة صفين ٣٠٥، ٣٠٦.

(١١) زيادة من الطبري للتوضيح.

(١٢) القائل هو قيس بن فهدان كما عند الطبري.

ونحمـلُ رايـاتِ الـطّعـانِ بحَقّهـا[1] فنـوردُها بيضـاً ونُصـدرهـا حُمْـرَا[2]

وخرج قيس بن يزيد، وهو ممّن فرّ إلى معاوية، فخرج إليه أبو العَمَـرَّطة بن يـزيد، فتعارفا فتواقفا، ثمّ انصرفا، وأخبر كلّ واحد منهما أنّـه لقي أخـاه[3]. وقـاتلت طيّء يومئـذ قتـالاً شديـداً، فعُبِّيت[4] لهم جموع، فـأتاهم حُـمْـرة[5] بن مالـك الهمْدانيّ، فقـال: من القـوم؟ فقال لـه عبد الله بن خليفـة، وكان شيعيّـاً[6] شاعـراً خطيبـاً: نحن طيّء السهل، وطيّء الـرمـل، وطيّء الجبـل، الممنـوع ذي النـخـل[7]، نحن طيّء الـرمـاح، وطيّء البِـطـاح[8]، فرسـان الصباح. فقـال حُمـرة[9] بن مـالك: إنّـك لَحَسَن الثناء على قـومك. واقتتل الناس قتالاً شديداً، فناداهم[10]: يا معشر طيّء، فِدًى لكم طـارفي وتالِدي! قـاتلوا على الدّين والأحساب[11]. وحمل بِشْر بن العَسوس فقاتل، فَفُقِئت عينه يـومئذ، فقـال في ذلك:

ألا لَـيتَ عـيـنـي هــذِهِ مـثـلُ هـذِه ولم أمشِ في الأحيـاء[12] إلّا بقـائِـدِ
ويــا ليتَ رِجلي ثمّ طُنَّتْ[13] بنِصْـفِهـا ويــا ليتَ كفّي ثَمَّ طـاحتْ بساعدي[14]
ويــا لَـيتَـني لـم أبـقَ بـعـدَ مـطـرِّفٍ وسعـدٍ وبعـد المستَنيـرِ بن خـالِـدِ
فــوارِسَ لم تغـذُ الحـواضِنُ مـثلَهُـمْ إذا الحرْبُ أبدتْ عن خِدام[15] الخرائد[16]

وقاتلت النَّخَعُ يومئذ قتالاً شديداً، فأصيب منهم حيّان (وبكر ابنـا هَوْذة، وشُعيب بن

---

(١) في الأصل و (ي) «بحدها».
(٢) وقعة صفين ٣١٣، ٣١٤، تاريخ الطبري ٣٠/٥.
(٣) الطبري ٣٠/٥.
(٤) في الأصل «فعينت»، وفي النسخة (ي) «فقبلت».
(٥) في تاريخ الطبري «حمزة».
(٦) في النسخة (ي): «منيعاً».
(٧) في تاريخ الطبري ووقعة صفين زيادة: «نحن حُماة الجبلين، إلى ما بين العُذيب والعين».
(٨) في تاريخ الطبري «النطاح» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.
(٩) عند الطبري وابن مزاحم «حمزة».
(١٠) الضمير يعود إلى «عبدالله بن خليفة».
(١١) في الطبعة الأوربيـة «والاحتساب».
(١٢) في وقعة صفين ٣١٧ «ولم أمش بين الناس»، وفي تاريخ الطبري ٣١/٥ «فلم أمش في الآناس».
(١٣) طُنّت: قُطِعت.
(١٤) هذا البيت ترتيبه الرابع عند ابن مزاحم، والطبري.
(١٥) الخِدام: السِّيقان.
(١٦) وقعة صفين ٣١٦، ٣١٧، تاريخ الطبري ٣١/٥، ٣٢، الفتوح لابن أعثم ٥٣/٣.

نُعيم، وربيعة بن مالك بن وَهْبِيل)[1]، وأُبيّ أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقُطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحبّ أن رِجلي أصحّ ممّا كانت، وإنّها لممّا أرجو بها الثواب وحُسْن الجزاء من ربّي. قال: ورأيت أخي في المنام فقلت له: ماذا قدِمْتُم عليه؟ فقال لي: إنّا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى، فاحتججْنا فحججْناهم، فما سررتُ بشيء سروري بتلك الرؤيا[2]، (وكان يقال لأبيّ: أبيّ الصلاة، لكثرة صلاته)[3]. وخرجتْ حِمْيَر في جمْعها، ومن انضمّ إليها من أهل الشام، ومقدّمهم ذو الكَلاع، ومعه عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، وهم ميمنة أهل الشام، فقصدوا ربيعةَ من أهل العراق، وكانت ربيعة ميسرةَ أهل العراق، وفيهم ابن عباس على الميسرة، فحملوا على ربيعة حملةً شديدة فتضعضعت راية[4] ربيعة[5]. وكانت الراية مع أبي ساسان حُضَين بن المنذر، فانصرف أهل الشام عنهم، ثمّ كرّ عُبيد الله بن عمر وقال: يا أهل الشام إنّ هذا الحيّ من أهل العراق قَتَلة عثمان وأنصار عليٍّ. فشدّوا على الناس شدّةً عظيمة، فثبتت ربيعة، وصبروا صبْراً حسناً، إلّا قليلاً من الضعفاء والفَشَلة، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر والحِفاظ، وقاتلوا قتالاً حسناً، وانهزم خالد بن المعمَّر مع من انهزم، وكان على ربيعة، فلمّا رأى أصحابَ الرايات قد صبروا رجع، وصاح بمن انهزم، وأمرهم بالرجوع فرجعوا[6]. وكان خالد قد سُعي به إلى عليّ أنّه كاتب معاوية، فأحضره عليّ ومعه ربيعة، فسأله عليّ عمّا قيل، وقال له: إن كنتَ فعلتَ ذلك فالحقْ بأيّ بلدٍ شئتَ، لا يكون لمعاوية عليه[7] حُكم. فأنكر ذلك.

وقالت ربيعة: يا أمير المؤمنين، لو نعلم أنّه فعل ذلك لقتلناه، فاستوثق منه عليّ بالعهود. فلمّا فرّ اتّهمه بعضُ الناس، واعتذر هو بأنّي لما رأيتُ رجالاً منّا قد انهزموا استقبلتهم لأردَّهم إليكم، فأقبلتُ بمن أطاعني إليكم. ولما رجع إلى مقامه حرّض ربيعة، فاشتدّ قتالهم مع حِمْير وعُبَيد الله بن عمر، حتى كثُرت بينهم القتلى، فقُتل سُمَير بن الرّيّان العِجليّ[8]، وكان شديد البأس، وأتى زيادُ (ابن عمر)[9] بن خَصَفة عبدَ القيس،

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٢) وقعة صفين ٣٢٢، ٣٢٣، تاريخ الطبري ٣٢/٥ بتصرّف في الألفاظ.
(٣) ما بين القوسين زيادة من الأصل.
(٤) عند الطبري «رايات».
(٥) وقعة صفين ٣٢٦، ٣٢٧، تاريخ الطبري ٣٤/٥.
(٦) صفين ٣٢٨، الطبري ٣٤/٥.
(٧) في الأصل «عليك».
(٨) في النسخة (ر): «البجلي».
(٩) زيادة من (ر).

فأعلمهم بما لقِيتْ بكر بن وائل من حِمْير، وقال: يا عبد القيس لا بَكْر بعد اليوم، فأتت عبد القيس بني بكر، فقاتلوا معهم، فقُتل ذو الكَلاع الحِمْيريّ وعُبيد الله بن عمر، قتله[1] محرز بن الصَّحْصَح من تَيم الله[2] بن ثعلبة من أهل البصرة، وأخذ سيفه ذو الوشاح، وكان لعمر، فلمّا ملك معاوية العراق أخذه منه[3]، وقيل: بل قتله هانىء بن خطّاب الأرحبيّ. (وقيل: قتله مالك بن عمرو التِّنْعيّ الحضْرميّ)[4].

وخرج عمّار بن ياسر على الناس فقال: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أنْ أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته. اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظُبَةَ سيفي في بطني[5] ثمّ أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته. وإنّي لا أعلم اليومَ عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته. والله إنّي لأرى[6] قوماً ليضربُنَّكم ضرباً يرتاب منه المبطِلون، وايْمُ اللّهِ لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر[7]، لعلمتُ أنّا على الحقّ، وأنّهم على الباطل[8]. ثمّ قال: من يبتغي رضوانَ الله ربّه[9] ولا يرجع إلى مالٍ ولا ولد؟ فأتاه عصابة، فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه، ولكنّهم ذاقوا الدنيا واستحبّوها، وعلموا أنّ الحقّ إذا لزِمَهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه منها، ولم يكن لهم سابقة يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم، وإنْ قالوا: إمامُنا قُتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، فبلغوا ما تَرَوْن، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلان. اللهمّ إن تنصرنا فطالما نصرتَ، وإن تجعل لهم الأمر، فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذابَ الأليم. ثمّ مضى ومعه تلك العصابة[10]، فكان لا يمرّ بوادٍ من أودية صِفين إلّا تبِعه من كان هناك من أصحاب النبيّ ﷺ ثمّ جاء إلى هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وهو المِرْقال، وكان صاحب راية عليّ، وكان أعور، فقال: يا هاشم أعَوَراً

---

(١) في النسخة (ي): «قتلهما».
(٢) في (ي): «اللات».
(٣) صفين ٣٣٤ - ٣٣٦، تاريخ الطبري ٥/٣٦.
(٤) هذه الفقرة من الأصل. والخبر في تاريخ الطبري ٥/٣٦.
(٥) عند الطبري «صدري».
(٦) في الطبعة الأوربية «لا أرى».
(٧) أي جريد النخل الذي يكثر في هجر.
(٨) وقعة صفين ٣٦٣ - ٣٦٥، تاريخ الطبري ٥/٣٨.
(٩) عند الطبري «رضوان الله عليه» (٥/٣٩).
(١٠) الطبري ٥/٣٩.

وجُبناً[1]؟ لا خير في أعور لا (يغشى البأس)[2]، اركب يا هاشم؛ فركب ومضى معه وهو يقول:

أعوَرُ يبغي أهلَهُ مَحَلّا قد عالجَ الحَيَاةَ حتى مَلّا
(لا بُدّ أن يَفُلّ أوْ يُفَلا[3] يتُلُّهم بذي الكعوبِ تَلّا)[4]

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم، الجنّة تحت ظلال السيوف، والموت تحت أطراف الأسل، وقد فُتحت أبوابُ السماء، وتزّينت الحُور العِين. اليوم ألقى الأحبّة، محمّداً وحزبه. وتقدّم حتى دنا من عَمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو بعتَ دينَك بمصر، تبّاً لك! فقال له: لا، ولكنْ أطلب بدم عثمان. فقال: أنا أشهد على علمي فيك، أنّك لا تطلب بشيءٍ من فعلك وجهَ الله (وأنّك إنْ لم تُقتل اليوم تمتْ غداً)[5]، فانظر إذا أُعطي الناس على قدْرِ نيّاتهم ما نيّتُك، لقد قاتلتَ صاحبَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبرَّ وأتقى[6]. ثمّ قاتل عمّار، فلم يرجع وقُتل.

---

(١) في الأصل «جباناً».

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «لا يخشى الناس».

(٣) حتى هنا في تاريخ الطبري ٥/٤٠ و٤٤، والعقد الفريد ٤/٣٤٠. وفي أنساب الأشراف ورد هكذا:

أعور يبغي أهلاً محلّا قد أكثر القول وما أقلّا
لا بد أن يفلّ أو يُفلّا قد عالج الحياة حتى ملّا
أشلّهم بذي الكعوب شلّا

وفي مروج الذهب ٢/٣٩٢، ٣٩٣:

قد أكثر القوم وما أقلّا أعور يبغي أهله محلّا
قد عالج الحياة حتى ملّا لا بد أن يغل أو يُغَلّا
أشلُّهم بذي الكعوب شلّا

وفي وقعة صفين ورد القول مختصراً في ص ٣٥٥، ومطوّلاً في ص ٣٢٧ هكذا:

قد أكثرا لومي وما أقلّا أني شربت النفس لن اعتلّا
أعور يبغي نفسه محلّا لا بد أن يفل أو يفلّا
قد عالج الحياة حتى ملا أشدهم بذي الكعوب شلّا

قال ابن مزاحم: وعن عمرو بن شمر:

أشلّهم بذي الكعوب شلّا
مع ابن عم أحمد المعلّى فيه الرسول بالهدى استهلّا
أول من صدّقه وصلّى فجاهد الكفّار حتى أبلى

(٤) ما بين القوسين من الأصل، وهو في نهاية الأرب ٢٠/١٣٦، وشرح نهج البلاغة ٢/٢٦٩ وفيه زيادة، وانظر: الإصابة لابن حجر في ترجمة (المرقال) حيث ينسب هذا الشعر لعمّار بن ياسر.

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

(٦) تاريخ الطبري ٥/٤٠.

وقال حبّة[1] بن جُوَين العُرَني: قلتُ لحُذَيْفة بن اليَمان: حدِّثْنا، فإنّا نخاف الفِتَن. فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سُميّة، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «تقتله الفئة الباغية الناكبة[2] عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضَياحٌ من لبن» وهو الممزوج بالماء من اللّبن. قال حَبَّة: فشهدتُه يوم قُتل وهو يقول: ائتوني بآخر رزقٍ لي في الدنيا، فأُتي بضَياحٍ من لبن، في قدح أرْوح له حلقة حمراء، فما أخطأ حُذيفة مقياس شَعرة، فقال:

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر، لعلِمتُ أنّنا على الحقّ، وأنّهم على الباطل[3]. ثمّ قُتل، قتله أبو الغادِية[4]، واحتزّ رأسه ابن حُوَيّ السكسكي؛ (وقيل قتله غيره)[5].

وقد كان ذو الكَلاع سمع عَمروَ بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضَياحٌ من لبن»[6]، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويْحك يا عمرو؟ فيقول عمرو: إنّه سيرجع إلينا، فقُتل ذو الكلاع قبل عمّار مع معاوية، وأصيب عمّار بعده مع عليّ، فقال عَمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً، بقتل عمّار أو بقتل ذي الكلاع، والله لو بقي ذو الكَلاع بعد قتل عمّار (لمال بعامّة)[7] أهل الشام إلى عليّ. فأتَى جماعةٌ إلى معاوية كلّهم يقول: أنا قتلت عمّاراً. فيقول عَمرو: فما سمعتَه يقول؟ فيخلطون، فأتاه ابن حُوَيّ فقال: أنا قتلته فسمعته يقول:

اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه

فقال له عمرو: أنتَ صاحبه، ثمّ قال: رويداً، واللّهِ ما ظفرتْ يداك، ولقد أسخطتَ ربّك.

---

(١) تحرّف في النسخة (ي) إلى «حية».

(٢) في النسخة (ي) والأصل «الناكثة».

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩.

(٤) في الأصل «العاذية» وفي النسخة (ي): «العادية»، وفي طبعة صادر ٣/ ٣١٠ «الغازية» والتصحيح من تاريخ الإسلام ٥٤٧ و٥٨٢ وهو أبو الغادية الجُهني واسمه يسار بن سبع.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣١٩، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٥٧، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨١.

(٧) في نسخة الأصل «لتابعه».

قيل: إنّ أبا الغادية[1] قتل عمّاراً، وعاش إلى زمن الحجّاج، ودخل عليه فأكرمه الحجّاجُ وقال له: أنتَ قتلتَ ابن سميّة؟ يعني عمّاراً. قال: نعم. فقال: مَن سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة، فلْيَنْظُرْ إلى هذا الذي قتل ابنَ سُمَيّة، ثمّ سأله أبو الغادية[2] حاجته، فلم يُجبْه إليها، فقال: نوطّىء لهم الدنيا ولا يعطونا[3] منها، ويزعم أنّي عظيم الباع يوم القيامة! [فقال الحجّاج]: أجل واللَّهِ، من كان ضرسه مثل أُحُد، وفخذه مثل جبل وَرِقان، ومجلسه مثل المدينة والرَّبَذة، إنّه لعظيمُ الباع يوم القيامة، واللَّهِ لو أنّ عمّاراً قتله أهل الأرض كلّهم لدخلوا كلّهم النار.

وقال [أبو][4] عبد الرحمن السُّلَمي: لما قُتل عمّار دخلتُ عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتلُ عمّار ما بلغ منّا، وكنّا إذا تركنا القتال[5] تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم، فإذا معاوية، وعَمرو، وأبو الأعور، وعبد الله بن عَمرو يتسايرون، فأدخلتُ فرسي بينهم لئلّا يفوتني ما يقولون، فقال عبد الله لأبيه: يا أبَه، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال، قال: وما قال؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبيّ ﷺ لَبِنة لبِنة، وعمّار لبِنتين لبِنتين، فغشي عليه فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «ويْحك يا ابن سُمَيّة، الناس ينقلون لبنة لبِنة وأنت تنقل لبِنَتين لبنتين رغبةً في الأجر، وأنت مع ذلك[6] تقتلك الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره، فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّاراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم[7].

فلمّا قُتل عمّار قال عليّ لربيعة وهمْدان: أنتم درعي ورُمحي، فانتُدب له نحوٌ من اثنَيْ عشر، وتقدّمهم عليّ على بغلة، فحملوا معه حملةَ رجلٍ واحدٍ، فلم يبقَ لأهل الشام صفّ إلّا انتقض، وقتلوا كلَّ من انتهوا إليه، حتى بلغوا معاوية، وعليّ يقول:

أقتلهُم ولا أرَى معاويَهْ ... الجاحظَ العينِ العظيمَ الحاويَهْ[8]

---

(١) في طبعة صادر ٣/٣١٠ «الغازيّة».
(٢) في طبعة صادر «الغازيّة».
(٣) في الأصل والنسخة (ي): «لكم الدنيا ولا تعطونا».
(٤) ساقطة من طبعة صادر ٣/٣١١.
(٥) في الأصل «سرنا ليلاً لقتال».
(٦) في الأصل «على ذلك».
(٧) تاريخ الطبري ٥/٤١.
(٨) تاريخ الطبري ٥/٤١، ٤٢ وانظر مروج الذهب ٢/٣٩٦ وقيل إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء. وقد نسب=

ثمّ نادى معاويةَ فقال: عـلامَ يُقتَل النـاس بيننا؟ هلُمّ أحـاكمك إلى الله، فـأيُّنا قتـل صاحبه استقامت له الأمور. فقال له عَمرو: أنصَفك. فقال له معاوية: ما أنصفت[1]، إنّك لتعلم أنّه لم يبرز إليه أحد إلاّ قتله. فقال له عَمرو: ما يحسُن بك ترْكُ مُبـارزته. فقـال له معـاوية: طمعتَ فيهـا بعدي[2]! وكـان أصحاب عليّ قـد وكّلوا به رجُلين يحـافظانـه لئـلاّ يقاتل[3]، وكان يحمل إذا غفِلا، فلا يرجع حتى يخضِب سيفَه، وإنّه حمل مرّة فلم يـرجع حتى (انثنى سيفه، فألقـاه إليهم وقال؛ لـولا أنّه انثنى)[4] مـا رجعتُ إليكم. فقال الأعمش لأبي عبد الرحمن: هذا والله ضرْبُ غيرِ مُرْتاب. فقال أبو عبد الرحمن: سمع القـوم شيئاً فأدّوه ما كانوا بكاذبين.

وأسر معاويـة جماعـةً من أصحاب عليّ، فقـال له عمـرو: اقتلهم. فقال عمـرو بن أوس الأوْدي[5]: لا تقتلْني فـإنّك خـالي. قال: من أين أنـا خالـك ولم يكن بيننا وبين أَوْد مصاهرة؟ قال: إنْ أخبرتـك فهو أمـاني عندك؟ قـال: نعم. قال: أليست أختـك أمّ حبيبة زوج النبيّ ﷺ؟ قال: بلى. قال: فإنّي ابنها، وأنت أخوها، فأنت خالي. فقـال معاويـة: ما له لله أبـوه! أما كـان في هؤلاء من يفطن لهـا غيره؟ وخلّى سبيله. وكـان قد أسـر عليّ أسارى كثيرة، فخلّى سبيلهم، فجاؤوا معاوية، وإنّ عَمراً ليقول له، وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة: اقتلهم، فلمّا وصل أصحابهم قال معاوية: يا عمـرو لو أطعنـاك في هؤلاء الأسارى لوقعنا في قبيحٍ من الأمر؛ وخلّى سبيل من عنده.

وأمّا هاشم بن عُتبة، فإنّه دعا الناس عند المساء وقال: ألا من كان يريـد الله والدارَ الآخرة فإليّ! فأقبل إليه ناس كثير، فحمل على أهـل الشام مـراراً، ويصبرون لـه، وقاتـل قتالاً شديداً، وقال لأصحـابه: لا يهـولَنّكم ما تـرون من صبرهم، فـواللّهِ ما هـو إلا حميّة العـرب وصبرهـا تحت راياتهـا، وإنّهم لَعلى الضـلال، وإنّكم لَعلى الحقّ[6]. ثمّ حـرّض أصحابه وحمل في عصابة من القرّاء، فقاتل قتالاً شديداً، حتى رأوا بعض ما يُسَـرُّون به،

= ابن مزاحم هذا القول للأشتر ـ ص ٤٥٤:

أضـرُبُـهـم ولا أرى مـعـاويـهْ ... الأخْـزَرَ العيْـن العـظيمَ الـحـاويـهْ
هَـوَتْ بـه فـي الـنـار أمُّ هـاويَـهْ ... جـاوره فـيـهـا كـلاب عـاويـه
أغـوى طغـامـاً لا هَـدَتْـهُ هـاديـهْ

(١) عند الطبري ٤٢/٥ «ما أنصف».
(٢) الطبري ٤٢/٥.
(٣) في النسخة (ر): «يقابل».
(٤) في الأصل: «أيسوا وساروا إليه فلما أتتني قال: لا أتيتموني».
(٥) في الأصل والنسخة (ي): «الأزدي».
(٦) في وقعة صفين وتاريخ الطبري زيادة.

فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم شابٌ وهو يقول:

أنــا ابنُ أربــابِ المُلوكِ غسّــانْ والــدائنُ اليــوْمَ بــديــنِ عثمــانْ
نــبّــأنــا قــرّاؤنــا بــمــا كــانْ[1] أنّ عــليّــاً قــتَــلَ ابــنَ عَــفّــانْ

ثمّ يحمل، فلا يرجع حتى يضرب بسيفه، ويشتم ويلعن. فقال له هاشم: يا هـذا، إنّ هذا الكلام بعده الخصام، وإنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتّقِ اللّهَ، فإنّه سائلك عن هذا الموقف، وما أردتَ به. قال: فإنّي أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي وأنتم لا تصلّون، وإنّ صاحبكم قتل خليفتَنا، وأنتم ساعدتموه على قتله. فقال له هاشم: ما أنت وعثمـان، قتله أصحـاب رسول الله ﷺ وأبنـاء أصحابـه وقرّاء النـاس، وهم أهل الـدِّين والعِلْم، وما أُهمل أمر هذا الدّين طرْفة عَين. وأمّا قولك: إنّ صاحبنـا لا يصلّي، فإنّـه أوّل من صلّى، وأفقـه خلق الله في دين الله، وأَوْلَى بالـرسول ﷺ وأمّـا كـلّ من تـرى معي فكلّهم قـارىء لكتاب الله، لا ينام الليل تهجُّداً، فلا يغوينّـك هؤلاء الأشقياء. فقـال الفتى: فهل لي من توبة؟ قال: نعم، تُبْ إلى الله يتُبْ عليك، فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السّيّئات. فرجع الفتى، فقال له أهل الشام: خدعك العراقيّ. فقال: كلّا، ولكنْ نصح لي. وقـاتل هاشم وأصحابه قتالاً شديداً حتى رَأوا الظّفَر، فـأقبلت عليهم عند المغـرب كتيبةٌ لتنـوخ، فقاتلهم هاشمٌ وهو يقول:

أعــوَرُ يَــبــغــي أهــلَهُ مَــحَــلاّ لا بُــدّ أن يَــفُــلّ أو يُــفَــلاّ[2]
قــد عــالَــجَ الــحَيــاةَ حتى مَــلاّ يَــتُــلّهــم بــذي الــكعُــوبِ تَــلاّ[3]

فقتل يومئذ تسعة أو عشرة، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخيّ فـطعنه فسقط، فأرسل إليه عليٌّ أن قدِّم لواءك. فقال لرسوله: انظر إلى بطني، فإذا هو [قد] انشقّ. فقال الحجّاج بن غزيّة[4] الأنصاريّ:

فإن تَفخرُوا بابن البُدَيْـلِ[5] وهاشِمٍ فنحنُ قتَلنـا ذا الكَلاعِ وحَـوْشَبـا

---

(١) في وقعة صفين ٤٤٤:

أنـبـأنـا أقـوامـنـا بـمـا كـان

وفي تاريخ الطبري ٥/٤٣:

إنـي أتـانـي خـبـرٌ فـأشـجـانْ

(٢) هذا الشطر الثاني ليس عند الطبري (٥/٤٤).

(٣) البيتان في وقعة صفين وقد تقدّما قبل قليل.

(٤) في الأصل «غرة»، وفي النسخة (ي) «عوامة»، وفي النسخة (ر) «عزنه».

(٥) في الطبعة الأوربيـة «بأبي بديل».

ونحنُ تـركنا عنـدَ مُعتـركِ القَنـا   أخـاكَ[1] عبيـدَ اللّهِ لحمـاً مُلحَّبَـا
ونـحنُ أحَـطْنـا بـالـبَعيـرِ وأهْلِهِ   ونحنُ سَقينـاكم سِمـامـاً مُقَشَّبَا[2]

ومرّ عليّ بكتيبة من أهل الشام، فرآهم لا يزولون، وهم غسان، فقال: إن هؤلاء لا يزولون إلّا بطعنٍ وضربٍ يفلق[3] الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والأكفّ وحتى تُقرع جباههم بعُمُد الحديد، أين أهل النصر والصبر طُلّاب الأجر؟ فأتاه عصابة من المسلمين، فدعا ابنه محمداً فقال له: تقدّم نحو هذه الراية مشْياً رُوَيداً على هِينَتك، حتى إذا أُشرعت في صدورهم الرماح، فأمسِك حتى يأتيك أمري. ففعل وأعدَّ لهم عليٌّ مثلهم، وسيَّرهم إلى ابنه محمد، وأمره بقتالهم، فحملوا عليهم، فأزالوهم عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجالاً. ومرّ الأسود بن قيس المُراديّ بعبد الله بن كعب المُراديّ وهو صريع، فقال عبد الله: يا أسود! قال: لبّيك! وعرفه وقال له: عزّ عليّ مصرعك. ثمّ نزل إليه وقال له: إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإنْ كنتَ لمِن الذّاكرين اللَّه كثيراً، أوصِني رحِمَك الله. فقال: أُوصِيك بتقوى الله، وأنْ تُناصحَ أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المحِلِّين حتى تظهر أو تلحق بالله، وأبلِغه عنّي السلام وقلْ له: قاتلْ على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنّه من أصبح غداً والمعركةُ خلْفَ ظهره كان العالي. ثمّ لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره، فقال: رحِمه الله، جاهد عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة[4].

وقيل: إنّ الذي أشار على أمير المؤمنين عليّ بهذا عبد الرحمن بن الحنبل[5] الجُمَحيّ. قال: فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها إلى الصباح، وهي ليلة الهَرير، فتطاعنوا حتى تقصّفت الرماح، وتراموا حتى نفد النَّبل وأخذوا السيوف، وعليٌّ يسير فيما[6] بين الميمنة والميسرة، ويأمر كلّ كتيبة أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح، والمعركة كلّها خلف ظهره، والأشتر في الميمنة، وابن عباس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس يقتتلون من كلّ جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها، وكان قد تولّاها عشيّة الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضّحَى،

---

(١) عند الطبري ٥/٤٤ «أخاكم».
(٢) في الأصل «مقنبا» وفي النسخة (ي): «مغيباً».
والأبيات في تاريخ الطبري، وفي وقعة صفين من قصيدة طويلة ٤٠٢ ـ ٤٠٧.
(٣) في الأصل «يزيل».
(٤) وقعة صفين ٥٢٠، تاريخ الطبري ٥/٤٦.
(٥) في الأصل «الجنيل».
(٦) من النسخة (ر).

ويقول لأصحابه: ازحفوا قيد[1] هذا الرمح، ويزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعل ذلك بهم قال: ازحفوا قيد[1] هذه القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس الإقدام. فلمّا رأى الأشتر ذلك قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم! ثمّ دعا بفرسه فركبه، وترك رايته مع حَيّان بن هوذة النَّخَعيّ، وخرج يسير في الكتائب ويقول: مَن يشتري نفسه ويقاتل مع الأشتر، [حتى] يظهر أو يلحق بالله؟ فاجتمع إليه ناس كثير، فيهم حيّان بن هَوذة النَّخَعيّ وغيره، فرجع إلى المكان الذي كان فيه وقال لهم: شدّوا شدّة، فِدًى لكم خالي وعمّي، تُرضون بها الربَّ وتُعِزُّون بها الدِّين! ثمّ نزل وضربَ وجه دابّته، وقال لصاحب رايته: اقدِمْ بها، وحمل على القوم وحملوا معه، فضرب أهلَ الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثمّ قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً، وقُتل صاحب رايته. ولما رأى عليّ الظفر من ناحيته أمدّه بالرجال[2]. فقال عَمرو بن العاص لوَرْدان مولاه: أتدري ما مَثَلي ومَثَلك ومَثَل الأشتر[3]؟ قال: لا. قال: كالأشقر، إنْ تقدّم عُقر، وإنْ تأخر عُقر[4]، لئن تأخرتَ لأضربنّ عُنقك[5]. قال: أمَا واللّهِ يا أبا عبد الله لأُوردنّك حياضَ الموت، (ضع يدك على عاتقي؛ ثمّ جعل يتقدّم ويتقدّم ويقول: لأوردنّك حياض الموت)[6]، واشتدّ القتال[7].

[رفْع المصاحف والدَّعوة إلى الحكومة]

فلمّا رأى عَمرو أنّ أمر أهلِ العراق قد اشتدّ، وخاف الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلّا فُرقة؟ قال: نعم. قال: نرفعِ المصاحف، ثمّ نقول لِما فيها: هذا حُكم بيننا وبينكم، فإن أبَى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبل، فتكون فُرقة بينهم، وإنْ قبِلوا ما فيها، رفعنا القتالَ عنّا إلى أجَل.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا حُكم كتابِ الله، عزّ وجلّ، بيننا وبينكم، من لِثُغُور الشام بعد[8] أهله؟ مَن لِثُغور العراق بعد[8] أهله؟ فلمّا رآها الناس قالوا: نُجيب

(١) في النسخة (ي) ونسخة بودليان «قبل».
(٢) وقعة صفين ٥٤٤، تاريخ الطبري ٤٧/٥.
(٣) عند الطبري ٤٨/٥ «الأشقر».
(٤) عند الطبري «نُحر».
(٥) عند الطبري زيادة: «ائتوني بقيد، فوضعه في رجليه، فقال».
(٦) ما بين القوسين من (ر).
(٧) الطبري ٤٧/٥، ٤٨.
(٨) في النسخة (ي): «يعني».

إلى كتاب الله. فقال لهم عليّ: عبادَ الله، امضوا على حقّكم وصِدْقكم، وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وَعَمراً، وابنَ أبي مُعَيْط، وحبيباً، وابنَ أبي سَرْح، والضَّحّاك، ليسوا بأصحاب دِين ولا قرآن، أنا أعرَف بهم منكم، قد صحِبْتُهُم أطفالاً، ثمّ رجالاً، فكانوا شرّ أطفالٍ وشرَّ رجال، ويْحكم، واللّهِ، ما رفعوها إلاّ خديعةً ووَهْناً ومكيدةً. فقالوا له: لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبَى أن نقبله! فقال لهم عليّ: فإنّي إنّما أقاتلهم ليدِينوا لحُكم الكتاب، فإنهم قد عصَوا الله فيما أمرَهم، ونسُوا عهده، ونبذوا كتابه. فقال له مِسْعَر بن فَدَكيّ التّميميّ[1]، وزيد بن حُصين الطّائيّ، في عصابة من القرّاء[2] الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا عليّ أجِب إلى كتاب الله، عزّ وجلّ، إذ دُعيت إليه، وإلاّ دفعناك برُمّتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان! قال: فاحفظوا عنّي نهيي إيّاكم، واحفظوا مقالتكم لي، فإنْ تُطيعوني فقاتِلوا، وإنْ تَعْصُوني، فاصنعوا ما بدا لكم. قالوا: ابعث إلى الأشتر فلْيأتك. فبعث عليٌّ يزيدَ بن هانىء إلى الأشتر يستدعيه. فقال الأشتر: ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني [فيها] عن موقفي، إنّني قد رجوتُ أن يفتح الله لي! فرجع يزيد فأخبره، وارتفعت الأصوات وارتفع الرَّهَج[3] من ناحية الأشتر، فقالوا: واللّهِ ما نراك إلاّ أمرته أن يقاتل! فقال عليّ: هلِ رأيتموني ساررْتُه؟ أليس كلّمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فلْيأتك، وإلاّ واللّهِ اعتزلناك! فقال له: ويلك يا يزيد! قل له: أقبل إليّ، فإنّ الفتنة قد وقعت. فأبلغه ذلك، فقال الأشتر: ألِرَفْع المصاحف؟ قال: نعم. قال: واللّهِ لقد ظننتُ أنها ستُوقِع اختلافاً وفُرقة! إنّها مشورة (ابن العاهر)[4]! ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء! وانصرف عنهم. فقال له يزيد: أتحبّ أن تظفر وأمير المؤمنين يسلَّم إلى عدوّه أو يُقتل؟ قال: لا واللّهِ، سبحان الله! فأعلمه بقولهم، فأقبل إليهم الأشتر وقال: يا أهل العراق! يا أهل الذُّلّ والوَهَن! أحِينَ عَلَوْتم القومَ، وظنّوا أنّكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وهم واللّهِ، قد تركوا ما أمر الله به فيها، وسُنّة من أُنزلت عليه؟ فأمهِلُوني (فُواقاً فإنّي)[5] قد أحسسْتُ بالفتح. قالوا: لا. قال: أمهِلُوني عدْوَ الفرس، فإنّي قد طمعتُ في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك. قال: فخبروني عنكم متى كنتم

---

(١) في الطبعة الأوربية «التيمي».
(٢) في الأصل «الأمراء».
(٣) الرهج: الغبار.
(٤) في الأصل «بين العاهرين» وفي النسخة (ي) وتاريخ الطبري «ابن العاهرة». وفي وقعة صفين: «إنها من مشورة ابن النابغة ـ يعني عمرو بن العاص».
(٥) من الأصل.

مُحِقّين؟ أحين تقاتلون وخياركم يُقتلون؟ فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال، مُبطلون أم أنتم الآن مُحِقّون؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم، وهم خير منكم، في النار. قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم لله، وندع[1] قتالهم لله! قال: خُدعتم فانخدعتم، ودُعيتم إلى وضع[2] الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه[3] السود! (كنّا نظن)[4] صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلاّ الدنيا، ألا قُبْحاً يا أشباه النِّيب الجَلاَّلة! ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون! فسبُّوه وسبّهم، وضربوا وجه دابّته بسياطهم، وضربَ وجوهَ دوابّهم بسوطه، فصاح به وبهم عليّ فكفوا. وقال الناس: قد قبِلْنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.

فجاء الأشعث بن قيسٍ إلى عليّ فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإنْ شئتَ أتيتُ معاوية فسألته ما يريد. قال: ائته. فأتاه، فقال لمعاوية: لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث نحن رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثمّ نتّبع ما اتّفقا عليه. قال له الأشعث: هذا الحقّ. فعاد إلى عليّ فأخبره، فقال الناس: قد رضِينا وقبِلْنا. فقال أهلُ الشام: قد رضِينا عَمراً. وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: إنّا قد رضينا بأبي موسى الأشعريّ. فقال عليّ: قد عصيتموني في أوّل الأمر، فلا تعصوني الآن، لا أرى أنْ أولّي أبا موسى. فقال الأشعث، وزيد بن حُصَين[5] ومِسْعَر بن فَدَكيّ: لا نرضى إلاّ به، فإنّه قد حذَّرنا ما وقعنا فيه. قال عليّ: فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي، ثمّ هرب منّي، حتى آمنتُهُ بعد أشهر، ولكنِ هذا ابن عباس أُوَلّيه ذلك. قالوا: والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء. قال عليّ: فإنّي أجعل الأشتر. قالوا: وهل سعّر[6] الأرض غير الأشتر[7]؟ فقال: قد أبيتم إلاّ أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

---

(١) في (ر): «وتدع».

(٢) في الأصل «دفع».

(٣) في الأصل «الحياء».

(٤) في الأصل «كانت».

(٥) في النسخة (ر): «حصن».

(٦) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «تنفر».

(٧) تاريخ الطبري ٤٨/٥ ـ ٥١، وقعة صفين ٥٦١ ـ ٥٦٣.

فبعثوا إليه، وقد اعتزل القتال، وهو بعُرْض، فأتاه مولًى له فقال: إنّ الناس قد اصطلحوا. فقال: الحمد لله. قال: قد جعلوك حَكَماً. قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر عليّاً فقال: ألزّني[1] بعمرو بن العاص، فواللّهِ لئن ملأتُ عيني منه لأقتلنّه. وجاء الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنيين إنّك قد رُميت بحجَر الأرض، وإنّي قد عجمت[2] أبا موسى، وحلبتُ أشطُره، فوجدته كَلِيل الشَّفرة، قريب القعْر، وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم، حتى يصير في أكفّهم، ويبعد[3] حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيتَ أن تجعلني حَكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنّه لن[4] يعقد عقدة إلّا حللْتُها، ولا يحلّ عقدة أعقدها لك، إلّا عقدت أخرى أحكم منها.

فأبَى الناس إلّا أبا موسى والرِّضا بالكتاب. فقال الأحنف: إن أبيتم إلّا أبا موسى فأدفِئوا ظهره بالرجال.

وحضر عَمرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية[5] بحضوره، فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين. فقال عمرو: [اكتب اسمه واسم أبيه]، هو أميركم وأمّا أميرُنا فلا. فقال الأحنف: لاتمحُ اسم إمارة[6] المؤمنين فإنّي أخاف[7] إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً. فأبَى ذلك عليّ مليّاً[8] من النهار، ثمّ إنّ الأشعث بن قيس قال: امحُ هذا الاسم، فمُحي، فقال عليّ: الله أكبر! سنّة بسنّة[9]. والله إنّي لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحُديبية فكتبتُ: محمد رسول الله، وقالوا: لستَ برسول الله، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك[10]، فأمرني رسول الله ﷺ بمحْوه، فقلتُ: لا أستطيع. فقال: أرِنيه، فأريته، فمحاه بيده وقال: إنّك ستُدعَى إلى مثلها فتجيب[11]. فقال عمرو: سبحان الله! أنشبَّه[12] بالكفّار ونحن مؤمنون!

---

(١) في النسخة (ي) «أرمني».
(٢) في النسخة (ي) «عجنت».
(٣) في الأصل والنسخة (ي): «وقعد».
(٤) في الطبعة الأوربية «لم».
(٥) في الأصل والنسخة (ي): «القصة».
(٦) في الطبعة الأوربية «أمير».
(٧) في النسخة (ر): «أتخوّف».
(٨) في الأصل والنسخة (ي): «يداً».
(٩) زاد في تاريخ الطبري ٥/٥٢ «ومَثَل بمثل».
(١٠) إلى هنا عند الطبري ٥/٥١، ٥٢.
(١١) إلى هنا ليس عند الطبري.
(١٢) في الأصل والنسخة (ي) «أتشبّهنا».

فقال عليّ: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً، وللمؤمنين عدوّاً؟ فقال عَمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً. فقال عليّ: إنّي لأرجو أن يطهّر اللّهُ مجلسي منك ومن أشباهك. وكُتب الكتاب[1]: هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم، إنّنا ننزل عند حكم الله وكتابه، وأن لا يجمع بيننا غيره، وأنّ كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيا ونُميت ما أمات، فما وجد الحكَمان في كتاب الله، وهما أبو موسى عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص، عَمِلا به، وما لم يجداه في كتاب الله فالسُّنَّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة. وأخذ الحَكَمان من عليّ ومعاوية ومن الجُندين من العهود والمواثيق[2] أنّهما آمنان على أنفسهما وأهليهما، والأمّة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمّة لا يَرُدّاها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا[3]، وأجَلُ القضاء إلى رمضان، وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه، وإنّ مكان قضيّتهما مكانٌ عدْلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشام.

وشهد الأشعثُ بن قيس، وسعيد بن قيس الهمْدانيّ، ووقاء بن سُمَيّ البَجَليّ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجليّ، وحُجْر بن عدِيّ الكِنْديّ، وعبد الله بن الطُّفيل العامريّ، وعُقبة بن زياد الحضرميّ، ويزيد بن حُجَيّة التّميميّ، ومالك بن كعب الهمْدانيّ، (ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلميّ، وحبيب بن مَسْلَمة، وزِمْل بن عمرو العُذريّ، وحمُرة بن مالك الهمْدانيّ، وعبد الرحمن بن خالد المخزوميّ، وسُبَيع بن يزيد الأنصاريّ)[4]، وعُتبة بن أبي سفيان (ويزيد بن الحُرّ العبسي)[5].

وقيل للأشتر ليكتب فيها، فقال: لا صحِبَتني يميني، ولا نفعْتني بعدها شمالي[6] إن خُطّ لي في هذه الصحيفة [اسم على صُلح ولا مُوادَعة]، أوَلستُ[7] على بيّنة من ربّي من

(١) الطبري ٥/٥٢ وزاد فقرة لم يذكرها المؤلّف هنا.
(٢) عند الطبري «الميثاق والثقة من الناس».
(٣) في الأصل والنسخة (ي): «يقضينا».
(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٥) عن النسخة (ر) بين القوسين. وفي وقعة صفين وتاريخ الطبري أسماء شهود آخرين لم يُذكروا هنا: عبد الله بن عباس، من أصحاب عليّ. ومن أصحاب معاوية: المخارق بن الحارث الزبيدي، وعلقمة بن يزيد الأنصاري.
(٦) في وقعة صفين «الشمال».
(٧) في الطبعة الأوربية «ولست».

ضلال[1] عدوّي، أوَلستم قد رأيتم الظفر؟[2] فقال له الأشعث: والله ما رأيتُ ظفراً[3]، هلُمّ إلينا لا رغبة بك عنّا. فقال: بلى واللّهِ، الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خيرٌ عندي منهم، ولا أحرم دماً. قال: فكأنّما قصع[4] اللّهُ على أنف الأشعث الحُمَم[5]. وخرج الأشعثُ بالكتاب يقرؤه على الناس، حتى مرّ على طائفة من بني تميم، فيهم عُرْوة بن أُدَيّة أخو أبي بلال فقرأه عليهم، فقال عُروة: تحكّمون في أمر الله الرجال؟ لا حُكْم إلاّ لله! ثمّ شدّ بسيفه فضرب به عجُز دابّة الأشعث ضربةً خفيفة، واندفعت الدّابّة، وصاح به أصحاب الأشعث، فرجع، وغضب للأشعث قومُه (وناس كثير من أهل اليمن)[6]، فمشى إليه الأحنف بن قيس، ومِسْعَر بن فَدَكي، وناس من تميم فاعتذروا، فقبل وشَكَر[7].

وكُتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خَلَت من صفر سنة سبعٍ وثلاثين، واتّفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين عليٌّ موضعَ الحَكَمين بدُومة الجندَل أو بأذْرُح في شهر رمضان[8]. وقيل لعليّ: إنّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة، ولا يرى إلاّ قتال القوم. فقال عليّ: وأنا واللّهِ ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضوا، فإذا أبيتم إلاّ أن ترضوا فقد رضيتُ، وإذا رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلاّ أن يُعصى الله ويُتعدّى كتابُه، فقاتِلوا مَن ترك أمر الله، وأمّا الذي ذكرتم من ترْكه أمري وما أنا عليه (فليس من أولئك)[9]، فلستُ أخاف على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين! يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرى، إذاً لخفّت عليّ مؤونتكم ورجوتُ أن يستقيمَ لي بعض أوَدكم، وقد نهيتكم[10] فعصيتموني، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن[11]:

---

(١) في صفين: ويقين من ضلال».
(٢) زاد الطبري وابن مزاحم «لو لم تجمعوا على الجور (الخور)».
(٣) زاد الطبري ٥/٥٥ «جوراً» وابن مزاحم «خوراً».
(٤) قصع: ضرب.
(٥) تاريخ الطبري ٥/٥٣ ـ ٥٥، وقعة صفين ٥٨٤ ـ ٥٨٧ بتصرف وحذف عدّة جُمل وألفاظ.
(٦) ما بين القوسين من (ر).
(٧) الطبري ٥/٥٥ «وصفح».
(٨) عبارة الطبري ٥/٥٧: «على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان، مع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه».
(٩) ما بين القوسين من (ر).
(١٠) زاد الطبري ٥/٥٩ «عما أتيتم».
(١١) هو دريد بن الصّمّة، من أبيات في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٢/٣٠٤ ـ ٣٠٩.

وهـلْ أنا إلّا منْ غَـزِيّـةَ[1] إن غَـوَتْ   غَـوَيتُ وإنْ تَـرْشُـد غَـزِيّـةُ[1] أرشُـدِ

واللَّهِ لقد فعلتم فَعلةً ضعضعتْ قوّةً، وأسقطَتْ مُنّةً، وأورثتْ وَهَناً وذلّةً، ولما كنتم الأعْلِين، وخاف عدوّكم الاجتياح[2] واستحرّ بهم القتل، ووجدونا ألم[3] الجراح رفعوا المصاحف، فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم[4] عنهم، ويقطعوا الحرب، ويتربّصوا بكم[5] المَنون خديعةً ومكيدةً، فأعطيتموهم ما سألوا، وأبيتم إلّا أن تُدهنوا وتُجيروا[6]، وايم اللَّهِ ما أظنّكم بعدها توفقون[7] الرشد ولا تصيبون باب الحزم[8].

ثمّ رجعَ الناس عن صِفّين، فلمّا رجع عليّ خالفت الحَرورية[9] وخرجت، كان ذلك أوّل ما ظهرت (وأنكرت تحكيم الرجال)[10]، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه، أخذوا على طريق البرّ، وعادوا وهم أعداء متباغضون (وقد فشا فيهم التحكيم)[11] يقطعون الطريق بالتشاتم والتّضارُب بالسِّياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله، ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرّقتم جماعتنا[12].

وساروا حتى جاوزوا النُّخَيلة، ورأوا بيوت الكوفة، فإذا بشيخ في ظلّ بيت عليه أثر المرض، فسلّم عليه أمير المؤمنين، فردّ ردّاً حسناً، فقال له عليّ: أرى وجهك متغيّراً[13]،

---

(١) في الأصل والنسخة (ي): «غوية».

(٢) في النسخة (ي): «الاحتياج».

(٣) في (ي): «تألم».

(٤) عند الطبري ٥/٥٦ «ليفثؤكم».

(٥) في الأصل والنسخة (ي) زيادة «ريب». وكذلك عند الطبري.

(٦) عند الطبري: «تجوّزوا».

(٧) في الأصل: «تفقدون»، وعند الطبري: «توافقون رَشْداً».

(٨) تاريخ الطبري ٥/٥٦ وأنساب الأشراف ٣٣٩.

(٩) الحَرُورية: فرقة من فرق الخوارج تعتبر أقدمها تاريخاً، تنسب إلى حروراء، وهي موضع أو قرية بالقرب من الكوفة نزل بها جماعة من شيعة عليّ رضي الله عنه إثر رجوعه من صفين بعد أن خرجوا عليه واختلفوا معه بسبب التحكيم، فلما دخل عليّ الكوفة افترق عنه هؤلاء وكانت جملتهم اثني عشر ألفاً. ونزلوا حروراء فعُرفوا بالخوارج. كما عُرفوا بالحرورية. ومُجمل اعتقادهم أن عليّاً أخطأ في قبول التحكيم لأنه إمام بويع بيعة صحيحة، فكان عليه أن يمضي في حرب المنشقّين على إمامته من الأمويين، ونصّب الحرورية عليهم أميراً للقتال، وأميراً للصلاة، وأميراً للشورى، ونادوا أن البيعة لله عزّ وجلّ وأن لا حكم إلا لله، وراحوا يقاتلون مخالفيهم حتى هزمهم عليّ في معركة النهروان. (القاموس الإسلام ٢/٦٨).

(١٠) زيادة من الأصل.

(١١) من الأصل.

(١٢) تاريخ الطبري ٥/٦٣ وفيه زيادة.

(١٣) عند الطبري «منكفئاً».

أمِن مرض؟ قال: نعم. قـال: لعلّك كرهتـه. قال: مـا أُحبّ أنّه بغيـري[1]. فقال: أليس (احتساباً للخير)[2] فيما أصابك؟ قال: بلى. قال: فأبشِر برحمة ربّـك وغفرانِ ذنْبـك، مَن أنت يا عبد الله؟ قال: صالح بن سُلَيم. قال: ممّن أنت؟ قال: أمّا الأصـل فمن سلامـان طيّء، وأمّا الدِّعوة والجِوار[3] ففي سُلَيم بن منصور. فقال: سبحان الله، ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيتَ إليه، واسم ادعائـك[4]! هل شهـدتَ معنا غَـزاتنا هـذه؟ قال: لا واللّهِ، ولقـد أردتهـا، ولكن مـا تـرى من أثـر الحُمّى[5] منعني عنهـا. فقـال: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾[6] الآيـة، خبِّرْني مـا يقول النـاس فيما كـان بيننا وبين أهـل الشام؟ قال: فيهم المسرور، وهم أغِشّاء الناس، وفيهم المكبوت الآسف بمـا كان بينـك وبينهم، وأولئك نُصحاء الناس لك. قـال: صدقت، جعـل الله ما كـان من شكواك حَـطّاً لسيِّئاتك، فإن المرض لا أجـر فيه، ولكن لا يَـدَع على العبد ذَنْبـاً إلاّ حطّه، وإنّمـا الأجر في القـول باللسـان والعمل بـاليد والـرِّجل، وإن الله، عـزّ وجـلّ، ليُـدخـل بصِـدْق النّيّـة والسريرة الصالحة عَالماً[7] من عباده الجنة. ثمّ مضى غير بعيد، فلقِيـه عبد الله بن وديعـة الأنصاريّ، فدنا منه وسلّم عليه وسايَـرَه، فقال لـه: ما سمعتَ النـاس يقولـون في أمرنـا؟ قال: منهم المعجَب به، ومنهم الكاره له. قال: فما قـول ذوي الرأي؟ قـال: يقولـون إنّ عليّـاً كان لـه جمْع عـظيم ففرّقـه، وكان لـه حصْنٌ حصين فهدمـه، فمتى يبني ما هـدم، ويجمع ما فرَّق؟ ولو كان مضى بمن أطاعه (إذ عصاه)[8] من عصـاه، فقاتـل حتى يظفـر أو يهلك كان ذلك الحزْم. قال عليّ: أنا هدمتُ أم هم هدموا؟ أنا فرّقتُ أم هم فـرّقوا؟ أمّـا قولهم: لو كان مضى بمن أطاعـه فقاتـل حتى يظفـر أو يهلك، فوالله مـا خفي هذا عنّي، وإن كنتُ لسخيّـاً بنفسي عن الدنيـا، طيّب النفس بالمـوت، ولقد هممتُ بـالإقـدام على القـوم، فنظرتُ إلى هـذين قد ابتـدراني، يعني الحَسَن والحسين، ونظرتُ إلى هـذين قد استقـدماني، يعني: عبـدَ الله بنَ جعفـر، ومحمـدَ بنَ عليّ، فعلمتُ أنّ هـذين إن هلكـا انقطع نسْلُ رسولِ الله ﷺ من هذه الأمّة، وكرهتُ ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكـا، وايمُ الله لئن لقيتهم[9] بعد يومي هذا لألقينّهم وليسوا معي في عسكر ولا دار

---

(١) في الأصل «يعتريني».
(٢) في الأصل «بالخير».
(٣) في الأصل «والزواج».
(٤) عند الطبري «أدعيائك».
(٥) عند الطبري ٥/٦٠ «لَحَبِ الحمّى منعنى».
(٦) سورة التوبة، الآية: ٩١.
(٧) عند الطبري «عالماً جمّاً».
(٨) في الأصل «وترك».
(٩) في النسخة (ي) والأصل «أمنهم».

ثمّ مضى، وإذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية، فقال عليٌّ: ما هذه؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، إنّ خبّاب بن الأرتّ تُوُفّي بعد مخرجك، وأوصى بأن يُدفن في الظَّهر، وكان الناس إنّما يُدْفنون في دُورهم وأفنيتهم، وكان أوّل من دُفن بظاهر الكوفة ودُفن الناس إلى جنْبه، فقال عليّ: رحِم الله خبّاباً، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيّع اللَّهُ أجرَ من أحسن عملاً، ووقف عليها وقال: السلام عليكم يا أهل الديار المُوحِشة، والمحالّ المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات! أنتم لنا سَلَفٌ فارط، ونحن لكم تَبَعٌ، وبكم عمّا قليل[1] لاحقون! اللهمّ اغفر لنا ولهم، وتجاوزْ بعفوك عنّا وعنهم! طوبَى لمن ذكر (المعاد، وعمل للحساب، وقَنِع)[2] بالكَفاف، ورضي عن الله، عزّ وجلّ! ثمّ أقبل حتى حاذى سكّة الثوريّين، فسمع البكاء فقال[3]: ما هذه الأصوات؟ فقيل: البكاء على قتلى صِفّين. فقال: أمَا إنّي أشهد لِمن قُتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة. ثمّ مرّ بالفائشيين[4] فسمع مثلٍ ذلك، ثمّ مرّ بالشِّباميين فسمع رجّة[5] شديدة، فوقف، فخرج إليه حرب بن شُرَحبيل الشبامي، فقال له عليّ: أيغلبكم نسائكم؟ ألا تَنْهَوْنَهُنّ عن هذا الرنين؟ قال: يا أمير المؤمنين، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن قُتل من هذا الحيّ ثمانون ومائة قتيل، فليس دار إلّا وفيها البكاء، فأمّا نحن معشر الرجال، فإنّا لا نبكي، ولكنّا نفرح بالشهادة. قال عليّ: رحِم الله قتلاكم وموتاكم! فأقبل يمشي معه وعليّ راكب، فقال له عليّ: ارجع، ووقف ثمّ قال له: ارجع، فإنّ مشْيَ مثلِك مع مثلي فتنة للوالي، ومذلّة للمؤمن. ثمّ مضى حتى مرّ بالناعطيّين، وكان جُلّهم عثمانية، فسمع بعضهم يقول: واللّهِ ما صنع عليّ شيئاً، ذهب ثمّ انصرف في غير شيء، فلمّا رأوه أبلسوا[6]، فقال عليّ لأصحابه: وجوه قومٍ ما رأوا الشام. ثمّ قال لأصحابه: [قوم] فارقناهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء. ثمّ قال:

أخوكَ الذي أجرَضَتك[7] مُلمّةٌ   مِنَ الدّهرِ لم يبرَحْ لبثّكَ[8] واجمَا

---

(١) في الطبعة الأوروبية «قبَيْل».

(٢) زيادة من (ي).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) في الأصل «بالفاسين» والنسخة (ي) بالقادسيين، والمثبت مثل الطبري.

(٥) في وقعة صفين «رنّة» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) أبلسوا: انقطعت حجّتهم وسكتوا. وفي وقعة صفين « فلما نظر أمير المؤمنين أبلس».

(٧) في النسخة (ي): «أحوجتك». وفي وقعة صفين «أحرضتك». وأجرضتك: أغصّتك.

(٨) في الأصل «عليك» وفي النسخة (ي): «ببابك».

وليس أخوكَ بالذي إن تشعّبتَ[1] عليكَ الأمورُ ظَلّ يَلحاكَ لائِمَا

ثمّ مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر[2]. فلمّا دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه، فأتوا حَرُوراء فنزلوا بها.

[قتلى صِفّين]

وقُتل أُويس القَرَني[3] بصِفّين. وقيل: بل مات بدمشق، (وقيل: بأرمينية، وقيل: بسجستان)[4]. وفيها قُتل جُنْدب بن زُهير الأزْديّ[5]، وهو من الصّحابة، مع عليّ.

---

(١) في وقعة صفين: «تمنّعت».

(٢) وقعة صفين ٦١١، ٦١٢، تاريخ الطبري ٥/ ٦٠ ـ ٦٣.

(٣) انظر عن (أويس القَرَني) في:
طبقات ابن سعد ٦/ ١٦١ ـ ١٦٥، والزهد لابن حنبل ٤١١ ـ ٤١٦، والزهد لابن المبارك ٢/ ٢٩٣، وطبقات خليفة ١٤٦، والتاريخ لابن معين ٢/ ٤٥، ٤٦، والتاريخ الكبير ٢/ ٥٥ رقم ١٦٦٦، وتاريخ الثقات للعجلي ٧٤ رقم ١٢٤، والمعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٧ و ٧٨٠ و ٣/ ١٠٥، والضعفاء الكبير للعقيلي ١/ ١٣٥ ـ ١٣٧ رقم ١٦٧، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢٦ رقم ١٢٤٥، وحلية الأولياء ٢/ ٧٩ ـ ٨٧ رقم ١٦٢، والعقد الفريد ٣/ ١٧١ و ٣٩٨، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٧، وربيع الأبرار ٤/ ١٩٨ و ٣٨٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٠ رقم ٧٤٣، والثقات ١/ ٤٠٣، ٤٠٤، والمستدرك ٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٨، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ١/ ٤٠٣، ٤٠٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٦٠ ـ ١٧٧، وهو باسم (أوس)، والأنساب لابن السمعاني ١٠/ ١١٤، وأسد الغابة ١/ ١٥١، ١٥٢، والمعين في طبقات المحدّثين ٣٢ رقم ١٨٦، وميزان الاعتدال ١/ ٢٧٨ ـ ٢٨٢ رقم ١٠٤٨، وتلخيص المستدرك ٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٩ ـ ٣٣ رقم ٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٥٥ ـ ٥٥٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٠، واللباب ٣/ ٢٩، والوافي بالوفيات ٩/ ٤٥٦، ٤٥٧ رقم ٤٤١١، ومرآة الجنان ١/ ١٠٢، ومسالك الأبصار ١/ ١٢٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٨٦ رقم ٧٠٧، وتقريب التهذيب ١/ ٨٦ رقم ٦٦١، ولسان الميزان ١/ ٤٧١ ـ ٤٧٥ رقم ١٤٤٩، والإصابة ١/ ١١٥ ـ ١١٧ رقم ٥٠٠، وشرح المقامات الحريرية ٢/ ٢١٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤١، وتاج العروس (مادّة: أوس).

(٤) ما بين القوسين من الأصل.

(٥) انظر عن (جندب بن زهير) في:
نسب قريش ١٩٣، وتاريخ خليفة ١٩٥، ١٩٦، والتاريخ الكبير ٢/ ٢٢٢ رقم ٢٢٦٨، والمعارف ٤٠٥، والأخبار الطوال ١٤٦ و ١٧٢ و ١٨٥، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١/ ٥١٩ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥/ ٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٤٠ و ٤١ و ٢٤٢، وتاريخ الطبري ٤/ ٣١٨ و ٣٢٦ و ٥/ ٢٧، والجرح والتعديل ٢/ ٥١١ رقم ٢١٠٧، والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٧٧ رقم ١٨٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٧٨، والاستيعاب ١/ ٢١٨ ـ ٢٢٠، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٤١٣، ٤١٤ وذكره في ترجمتين باسم: جندب بن زهير بن الحارث، وجندب بن عبد الله، وأسد الغابة ١/ ٣٠٣، وتهذيب الكمال ٥/ ١٤١ ـ ١٤٨ رقم ٩٧٥، والكاشف ١/ ١٣٣ رقم ٨٢٨، وتجريد أسماء الصحابة رقم ٨٥٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٧ رقم ٣١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٠، والوافي بالوفيات ١١/ ١٩٤ رقم ٢٨٨ و ١١/ ١٩٥ رقم ٢٩٠، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨، ١١٩ رقم ١٩٠، وتقريب التهذيب ١/ ١٣٥ رقم ١٢٠، والإصابة ١/ ٢٤٨ رقم ١٢١٧، وتحفة الأشراف ٢/ ٤٤٦ رقم ٧٧، =

وقُتـل بصِفّين أيضاً حـابس بن سعد الـطائيّ[1] مع معـاويـة، وهـو خـال يـزيـد بن عـديّ بن حـاتم، فقتـل يـزيـدُ قـاتلَه غـدراً، فـأراد عـديٌّ إسـلامـه إلى أوليـاء المقتـول فهـرب إلى معـاويـة. وممّـن شهـد صِفّيـن مـع عليّ خُـزيمـة بـن ثـابـت[2] ذو الشهادتين، ولم يقاتل، فلمّا قُتل عمّار بن ياسر جرّد سيفه وقاتل حتى قُتل. وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تقتلُ عمّاراً الفئةُ الباغية»[3]، وقُتل مع عليّ: سهيل بن عمرو (بن

= وخلاصة تذهيب التهذيب ٥٥.

(١) انظر عن (حابس بن سعد) في:
طبقات ابن سعد ٧/٤٣١، ٤٣٢، وتاريخ خليفة ١٩٤ و١٩٦، والتاريخ الكبير ٣/١٠٨ رقم ٣٦٥، والأخبار الطوال ١٧١، والجرح والتعديل ٣/٢٩٢ رقم ١٣٠١، والمعجم الكبير ٤/٣٧ رقم ٣٣٥، والاستيعاب ١/٣٥٩، ٣٦٠، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٣، والمعرفة والتاريخ ٢/٣٠٨، ومسند أحمد ٤/١٠٥ - ١٠٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٤٢٢، ٤٢٣، وأسد الغابة ١/٣١٤، وتهذيب الكمال ٥/١٨٣ - ١٨٦ رقم ٩٩٠، والعبر ١/٣٩، والكاشف ١/١٣٥ رقم ٨٣٩، وميزان الاعتدال ١/٤٢٨ رقم ١٥٩٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦١، وتجريد أسماء الصحابة رقم ٨٨٨، والمغني في الضعفاء ١/١٣٩ رقم ١٢٠٩، والوافي بالوفيات ١١/٢٣٢، ٢٣٣ رقم ٣٣٠، ومرآة الجنان ١/١٠٢، وتهذيب التهذيب ٢/١٢٧ رقم ٢٠٧، وتقريب التهذيب ١/١٣٧ رقم ١، والإصابة ١/٢٧٢ رقم ١٣٥٦، وخلاصة تذهيب التهذيب، رقم ١١٠٢، وشذرات الذهب ١/٤٦.

(٢) انظر عن (خزيمة بن ثابت) في:
المغازي للواقدي ١٠٥٢، والأخبار الموفقيات ٥٧٩، و٥٩٧ و٥٩٨، وطبقات ابن سعد ٤/٣٧٨ - ٣٨١، وطبقات خليفة ٨٣ و١٣٥ و١٩٠، والمحبَّر لابن حبيب ٢٩١ و٤٢٠، والتاريخ الكبير ٣/٢٠٥، ٢٠٦ رقم ٧٠٤، والمسند لأحمد ٥/٢١٣ - ٢١٦، والمعارف ١٤٩، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخْلد ٨٧ رقم ٨٣، والمعرفة والتاريخ ١/٣٨٠، وأنساب الأشراف ١/١٧٠، وتاريخ الطبري ٣/١٧٣ و٤/٤٤٧، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٧٢، والجرح والتعديل ٣/٣٨١، و٣٨٢ رقم ١٧٤٤، والمعجم الكبير ٤/٩٤، ٩٥ رقم ٣٦٦، ومشاهير علماء الأمصار ٤٥ رقم ٢٧٧، وثمار القلوب ٨٧ و٢٨٨، والعقد الفريد ٤/٣٤١ و٦/١٥٣، والاستيعاب ١/٤١٧، ٤١٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٤، ٣٣٥، والمستدرك ٣/٣٩٦، ٣٩٧، والاستبصار ٢٦٧، ٢٦٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/١٣٥ - ١٣٧، والمرصّع ٢١٧، وأسد الغابة ٢/١١٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٧٥، ١٧٦ رقم ١٤٦، وتهذيب الكمال ١/٣٧٥، وتحفة الأشراف ٣/١٢٣ رقم ١٢٧، والكاشف ١/٢١٢ رقم ١٣٩٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠ رقم ٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٨٥ - ٤٨٧ رقم ١٠٠، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٤، ٥٦٥، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٢٨ رقم ٥٠٥، وصفة الصفوة ١/٢٩٣، والإكليل ٢/٤٦٢، والاشتقاق ٤٤٧، والعبر ١/٤١، ورجال الطوسي ١٩، ورجال الكشي ٥١، والوافي بالوفيات ١٣/٣١٠ - ٣١٢ رقم ٣٨٠، وأخبار شعراء الشيعة للمرزباني ٣٦، وقاموس الرجال للتستري ٤/١٢ - ١٦، والوفيات لابن قنفذ ٥٧، وتلخيص المستدرك ٣/٣٩٦، ٣٩٧، والبداية والنهاية ٧/٣١١، وتهذيب التهذيب ٣/١٤٠، ١٤١ رقم ٢٦٧، وتقريب التهذيب ١/٢٢٣ رقم ١١٨، والنكت الظراف ٣/١٢٣ - ١٢٦، والإصابة ١/٤٢٥، ٤٢٦ رقم ٢٢٥١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، وكنز العمال ١٣/٣٧٩، وشذرات الذهب ١/٤٥، وبغية الوعاة للسيوطي ١/٣٥٤، وأعيان الشيعة ٢٩/٨٥ رقم ٦٠٢٠.

(٣) تقدّم تخريج هذا الحديث.

أبي عمر)[1] الأنصاريّ[2]، وهو بدْريّ. وممّن شهد وقُتل فيها مع عليّ من المهاجرين: خالد بن الوليد[3]، وله صُحْبة.

(شُرَيح بن هانىء: بضمّ الشين، وآخره حاء مهملة. الهَمْدانيّ: بفتح الهاء، وسكون الميم، وفتح الدّال المهملة، نسبة إلى همْدان: قبيلة كبيرة من اليمن. حُمْرة بن مالك: بضمّ الحاء المهملة، وسكون الميم، وآخره راء. حُضَين بن المنذر: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الضّاد المعجَمة. يَرِيم: بفتح الياء تحتها نقطتان، وكسر الراء، وسكون الياء الثانية، وآخره ميم. بُدَيْل بن ورقاء: بضمّ الباء الموحّدة، وفتح الدّال المهمَلة. حازم بن أبي حازم: بالحاء المهملة. حَبّة[4] بن جوين: بفتح الحاء المهملة، والباء المشدَّدة الموحَّدة. والعُرَنّي بضمّ العين المهملة، وفتح الراء، وآخره نون)[5].

ذكر استعمال جَعْدة بن هُبَيرة على خُراسان

وفي هذه السنة بعث عليّ جَعْدَةَ بن هُبَيرة المخزوميّ إلى خُراسان، بعد عَوْده من صِفّين، فانتهى إلى نَيْسابور، وقد كفروا وامتنعوا، فرجع إلى عليّ، فبعث خُلَيد بن قُرّة اليربوعيّ، فاحصر أهلَها حتى صالحوه، وصالحه أهل مَرْو[6].

ذكر اعتزال الخوارج عليّاً ورجوعهم إليه

ولما رجع عليّ من صِفّين فارقَه الخوارج، وأتوا حَرُوراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أميرَ القتالِ شَبَثُ بن رِبْعيّ التميميّ، وأميرَ الصلاة عبدُ الله بن الكوّا اليَشْكُريّ، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله، عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المُنْكَر. فلمّا سمع عليّ ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء مَن والَيتَ، وأعداءُ مَن عادَيْتَ. فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكُفْر كفرسَيْ رهان، بايعَ أهلُ الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء مَن والى وأعداء مَن عادى، فقال لهم زياد بن النَّضْر:

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) أنظر عنه في: الاستيعاب ٢/١٠٧، والإصابة ٢/٩٣ رقم ٣٥٧٢.

(٣) هو الأنصاري وليس المخزومي المشهور. انظر عنه في: الاستيعاب ١/٤١٠ والإصابة ١/٤١٥ رقم ٢٢٠٢.

(٤) في النسخة (ي): «حيّة».

(٥) الفقرة كلها بين القوسين من الأصل.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٥/٦٣، ٦٤.

والله ما بسط عليّ يده، فبايعناه قطّ، إلاّ على كتاب الله وسنّة نبيّه، ولكنّكم لما خالَفتموه جاءتْه شيعته فقالوا له: نحن أولياء من واليتَ، وأعداء مَن عاديتَ، ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومَنْ خالفه ضالّ مضلّ.

وبعث عليّ عبدَ الله بنَ عبّاس إلى الخوارج وقال: لا تعجّل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم فأقبلوا يكلّمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقَمتم من الحكَمين وقد قال تعالى: ﴿إنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[١]، فكيف بأمّة محمّد ﷺ؟ فقالت الخوارج: أمّا ما جعل الله حُكمه إلى الناس، وأمرهم بالنظر فيه، فهو إليهم، وما حَكَمَ فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا (فيه، حَكَمَ في الزاني مائة جلدة، وفي السارق القطْع، فليس للعباد أن ينظروا)[٢] في هذا، قال ابن عبّاس: فإنّ الله تعالى يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٣]. فقالوا: أوَتجعل الحكم في الصيد والحرْث، وبين المرأة وزوجها، كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أَعَدْلٌ عندك عَمرو بن العاص، وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإنْ كان عَدْلاً فلسنا بعُدُول، وقد حكّمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله حُكمه في معاوية وأصحابه، أن يُقْتَلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً[٤]، وجعلتم بينكم الموادعة، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب، مذ نزلت براءة[٥] إلاّ مَنْ أقرّ بالجزية.

وبعث عليّ زيادَ بنَ النَّضْر فقال: انظر بأيّ رؤوسهم[٦] [هم] أشدّ إطافة[٧]. فأخبره بأنّه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس.

فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فُسطاط يزيد بن قيس، فدخله فصلّى فيه ركعتين، وأمّره على أصبهان والريّ، ثمّ خرج حتى انتهى إليهم، وهم يخاصمون ابن عبّاس، فقال: ألم أنهك عن كلامهم؟ ثمّ تكلّم فقال: اللهمَّ هذا مقامٌ من يُفلج فيه كان أولى بالفُلْج[٨] يوم القيامة. ثمّ قال لهم: مَنْ زعيمكم؟ قالوا: ابن الكوّا. قال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك يوم صِفّين. قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنّهم حيث

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ي).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٤) «كتاباً» من النسخة (ر).

(٥) أي سورة (براءة) وهي سورة التوبة وأولها ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾.

(٦) في النسخة (ي): «أمرهم».

(٧) في الأصل «إطاعة» والنسخة (ي): «إطاقة» والمثبت بالفاء يتفق مع الطبري.

(٨) في الأصل «بالفلاح».

رفعوا المصاحف وقلتم نُجيبهم، قلت لكم: إنّي أعلم بالقوم منكم أنّهم ليسوا بأصحاب دِين؟ وذكر ما كان قاله لهم، ثمّ قال لهم: قد اشترطتُ على الحَكمَين أن يُحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، فإنْ حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف، وإن أبيا فنحن عن حكمهما بُرَآء.

قالوا: فخبّرْنا، أتراه عدْلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنّا لسنا حكّمنا الرجال، إنّما حَكَّمنا القرآن، وهذا القرآن إنّما هو خطٌّ مسطور بين دَفَّتين، لا ينطق، إنّما يتكلّم به الرجال. قالوا: فخبِّرنا عن الأجل، لِمَ جعلته بينكم قال: ليعلم الجاهل ويتثبَّت[1] العالم، ولعلّ الله يُصلحُ في هذه الهُدْنة هذه الأمّة، ادخلوا مِصرَكم رحِمكم الله. فدخلوا من عند آخرهم[2].

قيل: والخوارج يزعمون أنّهم قالوا له: صدقتَ، قد كنّا كما ذكرتَ، وكان ذلك كفراً منّا، وقد تُبْنا إلى الله، فتبْ كما تُبْنا نبايِعْكَ، وإلّا فنحن مخالفون. فبايَعنا عليّ[3] وقال: ادخلوا، فلْنمكُثْ ستة أشهر حتى نجبي المال، ويسمن الكُراع، ثمّ نخرج إلى عدوّنا. وقد (كذب الخوارج فيما زعموا)[4].

ذِكر اجتماع الحكَمَين

ولما جاء وقتُ اجتماع الحَكَمين، أرسل عليّ أربعمائة رجل، عليهم شُرَيْح بن هانىء الحارثيّ، وأوصاه أن يقول لعَمرو بن العاص: إنّ عليّاً يقول لك: إنّ أفضل الناس عند الله، عزّ وجلّ، مَنْ كان العملُ بالحقّ أحبّ إليه، وإنْ نقصه من الباطل وإن زاده. يا عمرو والله إنّك لتعلم أينَ موضع الحقّ فلِمَ تتجاهل[5]؟ إن أُوتيتَ طمعاً يسيراً كنتَ لله به ولأوليائه عدوّاً، وكأنْ واللهِ ما أوتيتَ قد زال عنك! وَيْحك فلا تكن للخائنين خصيماً، وللظالمين ظهيراً، أما إنّي أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم، وهو يوم وفاتك، تتمنّى أنّك لم تُظهر[6] لمسلم عداوةً، ولم تأخذ على حُكم رِشْوة.

فلمّا بلغه تغيّر وجهه[7] ثمّ قال: متى كنتُ أقبل مشورة عليّ، أو أنتهي إلى أمره، أو

---

(١) في الطبعة الأوربية «ويثبت».
(٢) تاريخ الطبري ٥/٦٤ - ٦٦.
(٣) في الأصل «فبايعهم علي» وفي النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «فبايعنا على ذلك».
(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر). وفي تاريخ الطبري ٥/٦٦: «ولسنا نأخذ بقولهم، وقد كذبوا».
(٥) في تاريخ الطبري ٥/٦٩ «تجاهل» والمثبت يتفق مع وقعة صفين.
(٦) في النسخة (ي) والأصل «تضمر».
(٧) في تاريخ الطبري ٥/٦٩ «فتمعّر وجهه» وفي وقعة صفين «فتمعّر وجه عمرو».

أعتدّ برأيه؟ فقال له: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته؟ فقد كان من هو خيرٌ منك أبو بكر، وعمر، يستشيرانه، ويعملان برأيه. فقال له: إنّ مثلي لا يكلّم مثلك. قال شُرَيْح: بأيّ أبوَيك ترغب عنّي يا ابن النابغة؟ أبأبيك الوسط[1] أم بأمّك النابغة[2]؟ فقام عنه[3].

وأرسل عليّ أيضاً معهم عبدَ الله بنَ عبّاس ليصلّي بهم ويَلِيَ أمورَهم، ومعهم أبو موسى الأشعريّ.

وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، حتى توافَوْا من[4] دُومة الجَندَل بأذْرُح. وكان عمرو إذا أتاه كتابٌ من معاوية لا يُدْرى بما جاء فيه، ولا يسأله أهل الشام عن شيء؛ وكان أهل العراق يسألون ابنَ عبّاس عن كتاب يصله من عليّ، فإن كتمهم ظنّوا به الظنونَ وقالوا: أتُراه كتب بكذا وكذا؟ فقال لهم ابن عباس: أما تعقلون؟ أما ترون رسول معاوية يجيء، لا يعلم أحد ما جاء به[5]، ولا يُسمع لهم صياح، وأنتم عندي كلّ يوم تظنّون فيّ الظنون؟[6].

وحضر معهم ابنُ عمر، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر الصدّيق، وابن الزُّبير، وعبدُ الرحمن بنُ الحارث بن هشام، وعبدُ الرحمن بُن عبد يَغوث الزُّهْريّ، وأبو جَهْم بن حُذَيْفة العَدويَ، والمُغيرة بن شُعْبة.

وكان سعد بن أبي وقّاص على ماء لبني سُلَيم بالبادية، فأتاه ابنُه عمر فقال له: إنّ أبا موسى وعَمراً قد شهدهما نفرٌ من قريش، فاحضرْ معهم، فإنّك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهتْه هذه الأمّة، وأنت أحقّ الناس بالخلافة. فلم يفعل[7]. وقيل: بل حضرهم سعد، وندم على حضوره، فأحرم بعُمرة من بيت المقدس[8].

وقال المُغيرة بن شُعبة لرجال من قريش: أترون أحداً يستطيع أن يأتي برأي يعلم

---

(١) عند الطبري وابن مزاحم «الوشيط» بالشين المعجمة، وهو الخسيس والتابع.
(٢) النابغة لقب أم عمرو بن العاص واسمها سلمى بنت حرملة، وهي سبيّة من بني جلان بن عنزة.
(٣) وقعة صفين ٦٢٣، ٦٢٤، تاريخ الطبري ٦٩/٥، ٧٠.
(٤) عند الطبري وابن مزاحم «توافوا بدومة».
(٥) عند الطبري وابن مزاحم زيادة «ويرجع لا يُعلم ما رجع به».
(٦) وقعة صفين ٦١٣، وتاريخ الطبري ٦٧/٥.
(٧) وقعة صفين ٦١٣، ٦١٤، تاريخ الطبري ٦٧/٥.
(٨) تاريخ الطبري ٦٦/٥.

به، أيجتمع الحَكَمان أم لا؟ فقالوا: لا. فقال: إنّي أعلمه منهما. فدخل على عمرو بن العاص فقال: كيف ترانا معشرَ من اعتزل الحربَ؟ فإنّا قد شككنا في الأمر الذي استبان لكم فيها. فقال له عمرو: أراكم خلف الأبرار، أمام الفُجّار. فانصرف المغيرة إلى أبي موسى، فقال له مثل قوله لعمرو. فقال له أبو موسى: أراكم أثبت[1] الناس رأياً، فيكم بقية الناس. فعاد المغيرة إلى أصحابه وقال لهم: لا يجتمع هذان على أمر واحد.

فلمّا اجتمع الحَكَمان قال عمرو: يا أبا موسى ألستَ تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً؟ قال: أشهد. قال: ألستَ تعلم أنّ معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى. قال: فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمتَ؟ فإن خفتَ أن يقول الناسُ: ليست له سابقة، فقلْ وجدته وليَّ عثمان الخليفة المظلوم والطالبَ بدمه، الحَسَنَ السياسة والتدبير، وهو أخو أمّ حبيبة زوج رسول الله ﷺ وكاتبه، وقد صحِبه، وعرّض له بسلطان.

فقال أبو موسى: يا عمرو اتّقِ الله! فأمّا ما ذكرتَ من شرف معاوية، فإنّ هذا ليس على الشرف تولّاه أهله، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصبّاح، إنّما هو لأهل الدين والفضل، مع أنّي لو كنتُ مُعطيَه أفضل قريش شَرفاً أعطيتُه عليّ بن أبي طالب، وأمّا قولك: إنّ معاوية وليّ دم عثمان فولّه هذا الأمر، فلم أكن لأولّيه وأدَع المهاجرين الأوّلين[2]، وأمّا تعريضك لي[3] بالسلطان، فواللّهِ لو خرج معاوية لي من سلطانه كلّه لما وُلِّيتُه، وما كنتُ لأرتشيَ في حكم الله! ولكنّك إن شئتَ أحيينا[4] اسم عمر بن الخطّاب، رحمه الله.

قال له عمرو: فما يمنعك من ابني، وأنت تعلم فضله وصلاحه؟ فقال: إنّ ابنك رجلُ صِدق، ولكنّك قد غمستَه في هذه الفتنة. فقال عمرو: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لرجل[5] يأكل ويطعم؛ وكانت في ابن عمر غفْلة؛ فقال له ابن الزّبير: افطِن، فانتبه! فقال: والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً. وقال: يا ابن العاص، إنّ العرب قد أسندتْ إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف، فلا تَرُدّنّهم في فتنة[6].

وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يُقدّمَه في الكلام، يقول له: أنتَ صاحب

---

(١) في الأصل «أخبث».
(٢) زاد في الأصل والنسخة (ي) «والأنصار».
(٣) «لي» زيادة من النسخة (ر).
(٤) في الطبعة الأوروبية «أن تحيي».
(٥) عند ابن مزاحم والطبري «إلّا رجل له ضرس».
(٦) تاريخ الطبري ٥/٦٨، ٦٩ والخبر بأطول من ذلك في وقعة صفين ٦٢٣.

رسول الله ﷺ وأسنّ مني فتكلّمْ، وتعوّد ذلك أبو موسى، وأراد عمرو بذلك كلّه أن يقدّمه في خلع عليّ، فلمّا أراده عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى، وأراد أبو موسى ابنَ عمر فأبى عمرو، قال له عمرو: خبّرْني ما رأيك؟ قال: أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا. فقال عمرو: الرأي ما رأيتَ. فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال عمرو: يا أبا موسى أعلِمْهم أنّ رأينا قد اتّفق. فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأينا قد اتّفق على أمرٍ نرجو أن يُصلحَ اللّهُ به أمر هذه الأمّة. فقال عمرو: صَدَق وبرّ، تقدّمْ يا أبا موسى فتكلّم. فتقدّم أبو موسى، فقال له ابن عبّاس: ويْحك! واللّهِ إنّي لأظنُّه قد خدعك، إنْ كنتما اتّفقتما على أمرٍ فقدِّمه فليتكلّمْ به قبلك، ثمّ تكلّمْ به بعده، فإنّه رجلٌ غادر، ولا آمَنُ أن يكون قد أعطاكَ الرضا بينكما، فإذا قمتَ في الناس خالفك.

وكان أبو موسى مُغَفَّلاً فقال: إنّا قد اتّفقنا، وقال: أيّها الناس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمّة، فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألَمّ لشعَثِها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عَمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، ويولّي الناس أمرَهم مَنْ أحَبّوا، وإنّي قد خلعتُ عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم مَنْ رأيتموه أهلاً. ثمّ تنحّى.

وأقبل عمرو فقام وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلعَ صاحبَه، وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه، وأثبِّتُ صاحبي معاوية، فإنّه وليّ ابن عفّان، والطّالبُ بدمه، وأحقّ الناس بمقامه[1].

فقال سعد: ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده! فقال أبو موسى: فما أصنع؟ وافَقَني على أمرٍ ثمّ نزع عنه! فقال ابن عبّاس: لا ذنب لك يا أبا موسى، الذنب لمن قدّمك في هذا المقام. قال: غدر فما أصنع؟ فقال ابن عمر: انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمّة! صار إلى رجل ما يبالي ما صنع، وإلى آخر ضعيف.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعريُّ قبل هذا (اليوم)[2] لكان خيراً له.

وقال أبو موسى الأشعريّ لعمرو: لا وفّقك الله، غدرتَ وفجرتَ! إنّما مثلك ﴿كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[3]. قال عمرو: إنّما مثلك ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[4]. فحمل شُرَيْح بن هانىء على عَمْرو فضربه بالسَّوط وحمل (ابن

---

(١) وقعة صفين ٦٢٥، ٦٢٧، تاريخ الطبري ٥/٧٠، ٧١.
(٢) من النسخة (ر).
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ٥.

لعمرو)[1] على شُرَيْح فضربه بالسوط أيضاً، وحجز الناسُ بينهم، وكان شُرَيح يقول بعد ذلك: ما نَدِمتُ على شيءٍ ندامتي على ضرب عَمرو بالسوط، ولم أضربْه بالسيف[2].

والتمس أهلُ الشام أبا موسى، فهرب إلى مكّة، ثمّ انصرف عَمرو وأهل الشام إلى معاوية، فسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عبّاس وشُرَيح إلى عليّ، وكان عليّ إذا صلّى الغداة يَقْنَتُ فيقول: اللهمّ العنْ معاوية وعَمراً وأبا الأعور وحبيباً وعبدَ الرحمن بنَ خالد والضَّحاك بن قيس والوليد! فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنتَ سبّ عليّاً وابن عبّاس والحسنَ والحسينَ والأشتر[3].

وقد قيل: إنّ معاوية حضرَ الحكَمَين، وإنّه قام عشيّةً في الناس فقال: أمّا بعدُ من كان متكلّماً في هذا الأمر فليُطْلع لنا قرنه. قال (ابن عمر: فاطلعتُ حُبْوَتي)[4]، فأردتُ أن أقول: يتكلّم فيه رجالٌ قاتلوك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق الجماعة ويُسفك فيها دم، وكان ما وعد الله فيه الجنان أحبَّ إليّ من ذلك، فلمّا انصرفتُ إلى المنزل جاءني حبيب بن مَسْلَمة فقال: ما منعك أن تتكلّم حين سمعتَ هذا الرجل يتكلّم؟ قلتُ: أردتُ ذلك ثمّ خشيتُ. فقال حبيب: وُفّقْتَ وعُصِمتَ، وهذا أصحّ (لأنّه ورد في الصحيح)[4].

ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكَمَين وخبر يوم النهر

لما أراد عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زُرْعَة بن البُرْج[5] الطائيّ، وحُرْقوص بن زُهَير السَّعْديّ، فقالا له: لا حُكم إلاّ لله! (فقال عليّ: لا

---

(١) في الأصل والنسخة (ي): «عمرو».

(٢) وقعة صفين ٦٢٧، ٦٢٨. تاريخ الطبري ٥/٧١.

(٣) صفين ٦٢٨، الطبري ٥/٧١. وفي الأصل: «قال شريح».

(٤) ما بين القوسين من النسخة (ر).
والحديث أخرجه البخاري في المغازي ٥/٤٨ باب غزوة الخندق. من طريق: ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونَسْواتُها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترَيْن فلم يُجْعل لي من الأمر شيء، فقالت: الْحَقْ، فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تَدَعْه حتى ذهب، فلما تفرّق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلّم في هذا الأمر فلْيُطْلِع لنا قرنه فلَنَحْن أحقّ به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة: فهلاّ أجَبْتَه! قال عبد الله: فحلَلْت حُبْوتي وهَمَمْتُ أن أقول أحقّ بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرّق بين الجمْع وتسفك الدماء ويُحْمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان، قال حبيب: حُفِظت وعُصِمْت».

(٥) في الأصل «الجراح».

حُكم إلّا لله)[1]. وقال حُرْقوص بن زهير: تُبْ من خطيئتك، وارجعْ عن قضيّتك، واخرجْ بنا إلى عدوّنا نقاتلْهم حتى نلقى ربّنا. فقال عليٌّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشَرَطْنا شروطاً، وأعطينا عليها عُهُوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿وأوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إذَا عَاهَدْتُمْ﴾[2]. فقال حُرْقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه. فقال عليّ: ما هو ذنب ولكنّه عجزٌ عن الرأي، وقد نهيتكم. فقال زُرعة: يا عليّ لئن (لم تَدَعْ تحكيم)[3] الرجال لأقاتلنّك، اطلب وجه الله تعالى. فقال عليّ: بؤْساً لك ما أشقاك! كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح! قال: ودِدْتُ لو كان ذلك. فخرجا من عنده يحكّمان[4].

وخطب عليٌ ذات يوم، فحكّمت المحكِّمة في جوانب المسجد، فقال عليّ: الله أكبر، كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل! إنْ سكتوا غممناهم[5]، وإن تكلّموا حَجَجْناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربيّ فقال: الحمد لله غير مُودَّع ربُّنا ولا مستغنًى عنه! اللهمّ إنّا نعوذ بك من إعطاء الدَّنِيّة في ديننا، فإنّ إعطاء الدَّنيّة في الدين إدهانٌ في أمر الله، وذُلّ راجع بأهله إلى سخط الله، يا عليّ أبالقتل تخوّفنا؟ أما والله إنّي لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل غير مُصْفَحات، ثمّ لتعلم[6] أيُّنا أَوْلى بها صُليّاً. ثمّ خرج هو وإخوة له ثلاثة، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم (بعد ذلك)[7] بالنُّخيلة.

ثمّ خطب عليّ يوماً آخر، فقام رجل فقال: لا حُكم إلّا لله! ثمّ توالى عدّة رجال يحكّمون. فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ أريد بها باطل! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحِبتُمونا: لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَه، ولا نمنعكم الفَيْءَ ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا، وإنّما فيكم أمر الله. ثمّ رجع إلى مكانه من الخطبة[8].

ثمّ إنّ الخوارج لقي بعضهم بعضاً، واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهْب الراسبيّ، فخطبهم، فزهّدهم في الدنيا، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثمّ قال:

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) في الأصل والنسخة (ي): «حكمتم».

(٤) الطبري ٥/٧٢.

(٥) عند الطبري ٥/٧٢ «عممناهم» بالعين المهملة.

(٦) عند الطبري ٥/٧٣ «لتعلمن».

(٧) زيادة من النسخة (ر).

(٨) تاريخ الطبري، ٥/٧٢، ٧٣.

اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلُها إلى بعض كُوَر الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن مُنكِرين لهذه البِدَع المُضلّة. فقال له حُرْقوص بن زُهَير: إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل، وإنّ الفِراق لها وشيك، فلا تدعوّنكم زينتُها وبهجتُها إلى المقام بها، ولا تلفتنّكم[1] عن طلب الحقّ وإنكار الظُلْم، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[2]. فقال حمزة بن سِنان الأسَدِي: يا قوم إنّ الرأي ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم، فإنّكم لا بدّ لكم من عِماد وسِناد وراية تحفّون بها وترجعون إليها. فعرضوها على زيد بن حُصَين[3] الطائيّ فأبَى، وعرضوها على حُرْقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سِنان، وشُرَيح بن أوْفى العبْسيّ فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهْب، فقال: هاتوها، أمَا واللّهِ لا آخذُها رغبةً في الدنيا، ولا أدعُها فَرَقاً من الموت. فبايعوه لعشرٍ خَلَوْن من شوّال. (وكان يقال له ذو الثَفِنات)[4].

ثمّ اجتمعوا في منزل شُرَيح بن أوفَى العَبْسيّ، فقال ابن وهْب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنّكم أهل الحقّ. قال شُرَيح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذها بأبوابها، ونُخْرج منها سكّانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدَمون علينا. فقال زيد بن حُصَين: إنّكم إن خرجتم مجتمعين اتُّبعتم، ولكنِ اخْرجوا وحْداناً مستخْفِين، فأمّا المدائن فإنّ بها من يمنعكم، ولكنْ سيروا حتى ننزل جسر النهروان، وتكاتبوا[5] إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي.

وكتب عبد الله بن وهْب إلى مَنْ بالبصرة منهم، يُعْلمونهم ما اجتمعوا عليه، ويحثّونهم على اللّحاق بهم، وسيّر الكتاب إليهم، فأجابوه أنّهم على اللّحاق به.

فلمّا عزموا على المسير تعبّدوا ليلتهم، وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساروا

---

(١) في الأصل «تلهيكم» وفي النسخة (ي) «يلبسنكم».

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٣) في النسخة (ر): «حصن».

(٤) زيادة من الأصل.

وكان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن العباس: ذو الثفنات، لِما على أعضاء السجود منهما من السجادات الشبيهة بثفنات الإبل، وذلك لكثرة صلاتهما. قال دعبل الخزاعي:

مدارس آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحْيٍ مُقفِر العَرَصات

وبابن عليّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنات

(انظر ديوان دعبل ـ ص ٣٦، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩١ رقم ٤٣٩).

وكان عبد الله بن وهب رئيس الخوارج يلقّب مثلهما بذي الثفنات لأن طول السجود كان أثّر في ثِفناته. (انظر: لسان العرب ـ مادة: ثِفن) وهو في تاريخ الطبري ٧٥/٥.

(٥) في الأصل «ويأتونكم».

يوم السبت، فخرج شُريح بن أوفى العبْسيّ وهو يتلو قولَ الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ إلى ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]. وخرج معهم طُرْفة بن عـدِيّ بن حاتم الـطّائيّ، فاتّبعـه أبوه، فلم يقدر عليـه، فانتهى إلى المـدائن ثمّ رجع، فلّمـا بلغ سابـاط لقِيه عبـد الله بن وهْب الـراسبيّ في نحو عشـرين فـارسـاً، فـأراد عبـد الله قتلْه، فمنعـه عمـرو بن مـالـك النَّبْهـانيّ، وبِشر بن زيـد البَوْلانيّ، وأرسـل عديّ إلى سعـد بن مسعـود عـامـل عليّ على المدائن يُحَذّره أمرهم، وأخذ أبوابَ المدائِن، وخرج في الخيل، واستخلف بها ابن أخيه المُخْتار بن أبي عُبَيد، وسـار في طلبهم. فأخبـر عبد الله بن وهْب خبـره، فرابـأ[2] طريقـه وسـار على بغداد، ولحِقَهم سعـد بن مسعود بـالكَرْخ في خمسمـائة فـارس عند المسـاء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً، فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم.

وقـال أصحاب سعـد لسعد: مـا تريـد من قتال هؤلاء ولم يـأتك فيهم أمـر؟ خلّهم فلْيذهبوا، واكتبْ إلى أمير المؤمنين، فإنْ أمرك باتّباعهم اتّبعتهم، وإن كفاكَهُم غيـرُكَ كان في ذلك عافيـة لك. فـأبَى عليهم. فلمّا جنّ عليهم الليـل خرج عبـد الله بن وهْب، فعبر دجلة إلى أرضِ جُوخى، وسار إلى النهروان، فوصل إلى أصحابه وقد أيِسُوا منه، وقالـوا: إن كان هلك ولَّيْنا الأمرَ زيدَ بنَ حُصَين، أو حُرْقوص بن زهير.

وسار جماعة من أهلِ الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم، فردّهم أهلوهم كُرْهاً، منهم: القَعْقـاع بن قيس الـطّائيّ، عمّ الـطِّرمّـاح بن حَكيم، وعبـد الله بن حكيم بن عبـد الـرحمن البَكّائيّ، وبلغ عليّـاً أنّ سالم بن ربيعـة العبْسيّ يريـد الخروج، فـأحضره عنـده ونهاه، فانتَهَى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتَى عليّاً أصحـابُه وشيعتـه فبايعـوه وقـالـوا: نحن أولياء من واليتَ وأعداءُ مَن عـادَيتَ. فشرط لهم فيـه سُنّة رسـول الله ﷺ فجاءه ربيعـة بن أبي شدّاد الخَثْعَميّ، وكان شهد معه الجمـل وصِفّين، ومعه رايـة خَثْعم، فقال لـه: بايـعْ على كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ، فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. قـال له عليّ: ويلك! لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ لم يكونـا على شيء[3] من الحقّ. فبايعه. فنظر إليه عليّ وقال: أمَا والله لكأنّي بك وقد نفرتَ مـع هذه الخـوارج فقُتلتَ، وكأنّي بك وقد وطِئتْك الخيل بحوافرها. فقُتل يوم النهر مع خوارج البصرة.

وأمّا خوارج البصـرة فإنّهم اجتمعـوا في خمسمائـة رجل، وجعلوا عليهم مِسْعَـر بن

---

(١) سورة القصص، الآيتان ٢١ و٢٢.

(٢) في النسخة (ر) «فترك» وفي الأصل والنسخة (ي): «فرابى»، ويقال: رابأت فلاناً: حذرته واتّقيته.

(٣) في الأصل «بيّنةً».

فَدَكيّ التميميّ، فعلم بهم ابنُ عبّاس، فأتبعهم أبا الأسود الدّئليّ، فلحِقَهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلج مِسْعَر بأصحابه، وأقبل يعترض الناسَ، وعلى مقدّمته الأشرس بن عوف الشيبانيّ، وسار حتى لحِق بعبد الله بن وهْب بالنهر.

فلمّا خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكّة وردّ عليّ ابنَ عباس إلى البصرة، قام في الكوفة فخطبهم فقال: الحمدُ لله، وإن أتَى الدهرُ بالخَطْب الفادح والحَدَثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله. أمّا بعدُ، فإنّ المعصية تُورث الحَسْرَة وتُعْقِب الندم، وقد كنتُ أمرتكم في هذين الرجلَين وفي هذه الحكومة أمري، ونحلْتكم[1] رأيي (لو كان لقصيرٍ أمرٌ)[2]، ولكن أبيتم إلاّ ما أردتم، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن[3]:

أمَرْتُهُمُ أمري بمُنعَرَجِ اللِّوَى فلم يَستَبينوا[4] الرّشد إلاّ ضُحى الغدِ[5]

إلاّ أنّ هذين الرجلين اللذَين اخترتموهما حكَمَين قد نَبذا حُكم القرآن وراء ظهورهما، وأحْيَيا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هُدًى من الله، فحكما بغير حجّة بيّنةٍ، ولا سُنّة ماضية، واختلفا في حُكمهما، وكِلاهما لم يرشد، فبرىء الله منهما ورسولُه وصالحُ المؤمنين، استعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، وأصبِحوا في مُعَسكركم إن شاء الله يوم الاثنين.

ثمّ نزل، وكتب إلى الخوارج بالنهر: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى زيد بن حُصَين، وعبد الله بن وهْب، ومَنْ معهما من الناس. أمّا بعْدُ، فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكَمَين قد خالفا كتاب الله، واتّبعا هواهما بغير هدًى من الله، فلم يعملا بالسنّة، ولم يُنْفِذا القرآن حُكماً، فبرىء الله منهما ورسولُه والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبِلوا إلينا، فإنّا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم، ونحن

---

(١) في الأصل «وبينت لكم».

(٢) ما بين القوسين من الأصل.

(٣) هو دريد بن الصمّة.

(٤) في نسخة المتحف البريطاني «يستلبيوا».

(٥) البيت في تاريخ الطبري ٥/٧٧، وفي الفتوح لابن أعثم الكوفي ٤/١٠٢ وفيه:

أمرتكم أمري بمنقطع اللوى

وفي شرح نهج البلاغة ٢/١٣

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وهو في أنساب الأشراف ٣٦٦، ومروج الذهب ٢/٤١٣ وبعده:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوَايتُهم وأنني غير مُهتدِ

على الأمر الأوّل[1] الذي كنّا عليه.

فكتبوا إليه: أمّا بعدُ فإنّك لم تغضب لربّك، وإنّما غضبتَ لنفسك، فإنّ شهدتَ على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلاّ فقد نبذناك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فلمّا قرأ كتابهم أيس[2] منهم، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقى أهلَ الشام فيناجزهم، فقام في أهل الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّه من ترَكَ الجهادَ في الله وأدْهن في أمره، كان على شفا هَلَكة، إلاّ أن يتداركه الله بنعمته[3]، فاتّقوا الله، وقاتلوا مَنْ حادّ الله ورسوله، وحاول أن يُطفىء نورَ الله، فقاتِلوا الخاطئين الضالّين القاسطين[4] الذين ليسوا بقرّاء القرآن[5]، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، واللّهِ، لو ولُّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسرى[6] وهِرْقل، تيسّروا[7] للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا اجتمعتم شخصْنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وكتب إلى ابن عبّاس: أمّا بعد، فإنّا خرجنا إلى معسكرنا بالنُّخَيلة، وقد أجمعْنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب، فاشخصْ إلى الناس حتى يأتيك رسولي، وأقِم حتى يأتيك أمري، والسلام عليك.

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس، وندبهم مع الأحنف بن قيس، فشخص ألف وخمسمائة، فخَطَبَهم وقال: يا أهل البصرة، أتاني كتاب أمير المؤمنين، فأمرتكم بالنفير إليه، فلم يشخَصْ منكم إليه إلاّ ألف وخمسمائة، وأنتم ستّون ألف مقاتل، سوى أبنائكم وعبيدكم! ألا انفروا إليه[8] مع جارية بن قُدامة السعديّ، ولا يجعلنّ رجل على نفسه سبيلاً، فإنّي موقع بكلّ من وجدته متخلّفاً عن دعوته، عاصياً لإمامه، فلا يلومنّ رجلٌ إلاّ نفسه.

---

(١) من النسخة (ر).
(٢) في الأصل «كبر».
(٣) عند الطبري «بنعمة».
(٤) في الأصل «الظالمين»، وفي النسخة (ي): «المضلين»، وزاد في تاريخ الطبري ٧٨/٥ «المجرمين».
(٥) عند الطبري «للقرآن».
(٦) في الأصل زيادة «قيصر».
(٧) في الأصل «وتأهّبوا».
(٨) من النسخة (ر).

فخرج جارية، فاجتمع إليه ألف وسبعمائة، فوافوا عليّاً وهم ثلاثة آلاف ومائتان، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع[1] ووجوه الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحقّ، وأصحابي إلى جهاد المحلّين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد استنفرتُ أهل البصرة، فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان، فلْيكتب لي رئيس كلّ قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم[2]، ويرفع ذلك إلينا.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمْدانيّ فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة، أنا أوّل الناس أجاب ما طلبتَ. وقام مَعقِل بن قيس، وعديّ بن حاتم، وزياد بن خَصَفة، وحُجْر بن عديّ، وأشراف الناس والقبائل، فقالوا مثل ذلك، وكتبوا إليه ما طلب، وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم، ولا يتخلّف منهم متخلّف، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممّنْ أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستّين ألفاً سوى أهل البصرة، وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل.

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بإرسال من عندهَ من المقاتلة.

وبلغ عليّاً أنّ الناس يقولون: لو سار بنا إلى قتال هذه الحَرُوريّة، فإذا فرغنا منهم توجّهنا إلى قتال المُحِلّين! فقال لهم: بلغني أنكم قلتم كَيْتَ وكَيْت! وإنّ غير هؤلاء الخارجين[3] أهمّ إلينا! فدعوا ذكرَهم، وسِيروا إلى قوم يقاتلونكم، كيما يكونوا جبّارين ملوكاً، ويتّخذوا عبادَ الله خوَلاً. فناداه الناس: أنْ سِرْ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببتَ. وقام إليه صَيفي بن فسيل[4] الشيبانيّ فقال: يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك، نُعادي مَنْ عاداك، ونشايع[5] مَنْ أناب إلى طاعتك مَنْ كانوا وأينما كانوا، فإنّك إن شاء الله لن تُؤتَى من قلّة عدد وضَعْف نيّة أتباع[6].

ذكر قتال الخوارج

قيل: لما أقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النَّهْروان رأى عصابةٌ منهم رجلاً

---

(١) في الأصل «الأتباع» وفي النسخة (ي) «الأشياع».
(٢) في الأصل «ومراكبهم».
(٣) عند الطبري ٥/ ٨٠ «الخارجة».
(٤) في الأصل «قتيل». وفي الطبعة الأوربية «قسيل».
(٥) في الأصل «ونبايع» وفي النسخة (ي): «ونسارع».
(٦) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٥/ ٧٤ ـ ٨٠.

يسوق بامرأة على حمار، فدعَوه فانتهروه، فأفزعوه وقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خَبّاب صاحب رسول الله ﷺ فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم. قالوا: لا رَوْع عليك، حدِّثْنا عن أبيك حديثاً سمعه من رسول الله ﷺ تنفعنا به. فقال: حدّثني أبي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بَدَنُه، يُمسي فيها مؤمناً ويُصبح كافراً، ويُصبح كافراً ويُمسي مؤمناً»[1]. قالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. قالوا: ما تقول في عثمان في أوّل خلافته وفي آخرها؟ قال: إنّه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدّ تَوَقِّياً على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنّك تتبّع الهوى، وتُوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، واللّهِ لنقتلنّك قِتْلةً ما قتلناها أحداً.

فأخذوه وكتّفوه، ثمّ أقبلوا به وبامرأته، وهي حُبْلى (مُتِمّ)[2]، حتى نزلوا تحت نخْل مواقير[3]، فسقطت منه رُطَبة، فأخذها أحدهم فتركها في فيه، فقال آخر: أخذتها بغير حلّها وبغير ثمن، فألقاها. ثمّ مرّ بهم خنزير لأهل الذمّة، فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا[4]: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحبَ الخنزير فأرضاه، فلمّا رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى، فما عليّ منكم من بأس، إنّي مسلم ما أحدثت في الإسلام حَدَثاً، ولقد آمنتموني، قلتم: لا رَوْع عليك. فأضجعوه فذبحوه، فسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة، ألا تتّقون الله! فبقروا بطنها[5]، وقتلوا

---

(١) ليس في كتب الصحاح هذا اللفظ من الحديث. وقد أخرج الترمذي في الفتن ٣/٣٣٠ و ٣٣١ باب ما جاء ستكون فتنة تقطع الليل المظلم. (٢٢٩١) من طريق عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «بادِروا بالأعمال فِتناً كقِطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، يبيع أحدهم دينه بعَرَضٍ من الدنيا». وأخرجه أيضاً (٢٢٩٣) من طريق الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك. و (٢٢٩٤) من طريق صالح بن عبد الله، عن جعفر بن سليمان، عن هشام، عن الحسن.

(٢) من الأصل: وفي النسخة (ي): «معهم».

(٣) عند الطبري ٥/٨٢ «مواقر». وهما بمعنى الحمل. يقال: أوقرت النخلة إذا كثُر حَمْلها.

(٤) في الأصل «فقال له أحدهم».

(٥) أخرج الإمام أحمد في مسنده ٥/١١٠ من طريق أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: «دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خبّاب ذَعِراً يجرّ رداءه، فقالوا: لم تُرَع. قال: والله لقد رعتموني. قالوا: أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ. قال: نعم. قال: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدّثه عن رسول الله ﷺ تحدّثناه. قال: نعم، سمعته يحدّث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبدَ الله المقتول. قال أيوب: ولا أعلمه إلّا قال: ولا تكن عبد الله القاتل. قالوا: أمِنْتَ. سمعتَ هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: فقدّموه على ضفّة=

ثلاث نِسْوة من طيّء، وقتلوا أمّ سِنان الصيداويّة.

فلمّا بلغ عليّاً قتْلُهم عبدَ الله بن خبّاب، واعتراضُهم الناس، بعث إليهم الحارثَ بن مُرّة العَبدي ليأتيهم، وينظر ما بلغه عنهم، ويكتب به إليه ولا يكتمه. فلمّا دنا منهم يسائلهم قتلوه، وأتَى عليّاً الخبرُ والناس معه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علامَ ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا؟ سِرْ بنا إلى القوم، فإذا فرغنا منهم سرْنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس، وكلّمه بمثل ذلك، وكان الناس يرون أنّ الأشعث يرى رأيهم، لأنّه كان يقول يوم صِفّين: أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله. فلمّا قال هذه المقالة علم الناس أنّه لم يكن يرى رأيهم.

فأجمع عليّ على ذلك، وخرج فعبر الجسر وسار إليهم، فلقيه منجّم في مسيره، فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار، فقال له: إن أنت سرتَ في غيره لقيتَ أنت وأصحابك ضرّاً شديداً. فخالفه عليّ، وسار في الوقت الذي نهاه عنه، فلمّا فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: لو سرنا في الساعة التي أمر بها المنجّم لقال الجهّال الذين لا يعلمون شيئاً: سار في الساعة التي أمر بها المنجّم فظفر. وكان المنجّم مُسَافر بن عفيف الأزديّ.

فأرسل عليّ إلى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قَتَلة إخواننا منكم أقتلهم بهم، ثمّ أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل المغرب، فلعلّ الله يُقبل بقلوبكم[1] ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم. فقالوا: كلّنا قتلهم، وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم. وخرج إليهم قيس بن سعد بن عُبادة، فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طَلِبَتَنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعُودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم، فإنّكم ركِبْتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرْك، وتسفكون دماء المسلمين! فقال لهم عبد الله بن شَجَرة السُّلَميّ: إنّ الحقّ قد أضاء لنا، فلسنا متابعيكم[2] أو تأتونا بمثل عمر، فقال: ما نعلمه [فينا] غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم اللّهَ في أنفسكم أن

= النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شِراكُ نعْل ما ابذقر، وبقروا أم ولده عما في بطنها».
وما ابذقر: يعني لم يتفرق
وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦٨/٤ رقم (٣٦٢٩) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن شيبان، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد. وزاد في آخره أن الرجل من عبد القيس قال: «لم أصحب قوماً هم أبغض إليّ صحبة منهم حتى وجدت خلوة فانفلتُّ». وانظر الحديث (٣٦٣٠) و (٣٦٣١).

(١) في الأصل ونسخة (ي): «توبتكم».
(٢) عند الطبري ٨٣/٥ «نتابعكم».

تهلكوها، فإنّي لا أرى الفتنةَ إلاّ وقد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيّوب الأنصاريّ فقال: عبادَ الله، إنّا وإيّاكم على الحال الأولى التي كنّا عليها، أليست بيننا وبينكم فُرقة، فعلامَ تُقاتلوننا؟ فقالوا: إنّا لو تابعناكم[1] اليوم حكّمتم غداً. قال: فإنّي أنشُدكم اللَّهَ أن تعجّلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل.

وأتاهم عليّ فقال: أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المِراء واللَّجاجة! وصدّها عن الحقّ الهَوَى، وطمع بها النَّزَقُ، وأصبحت في الخطْب[2] العظيم! إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم[3] الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي[4] وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولا برهان مبين[5]، ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، ونبأتكم[6] أنّها مكيدة، وأنّ القوم ليسوا بأصحاب دين، فعصيتموني، فلمّا فعلتُ شرطتُ واستوثقتُ على الحَكَمين أن يُحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حُكم الكتاب والسُّنَّة، فنبذنا أمرهما، ونحن على الأمر الأوّل؟ فمن أين أُتيتم[7]؟ فقالوا: إنّا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثِمنا، وكنّا بذلك كافرين، وقد تُبنا، فإن تبتَ فنحن معك ومنك، وإن أبيتَ فإنّا منابذوك على سواء. فقال عليّ: أصابكم حاصب ولا بقي منك وابر[8]، أبَعْدَ إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ على نفسي بالكفر! لقد ضللتُ إذاً، وما أنا من المهتدين. ثمّ انصرف عنهم.

وقيل: إنّه كان من كلامه لهم: يا هؤلاء، إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فِراقي لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها، وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم إنّما طلبوها مكيدةً ودَهْناً[9] فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعندتم عُنود[10] النُّكداء العاصين، حتى صرفتُ رأيي إلى رأيكم، (رأي معاشر واللَّهِ، أخفّاء الهام، سُفَهاء الأحلام، فلم آتِ)[11]، لا أبا

---

(١) عند الطبري ٥/٨٤ «بايعناكم».
(٢) زاد الطبري ٥/٨٤ «وأصبحت في اللبس والخطْب».
(٣) عند الطبري «تُلْغيكم».
(٤) عند الطبري «النهر».
(٥) عند الطبري «بيّن».
(٦) في الأصل «وقد كنت قلت لكم».
(٧) في النسخة (ي): «أبيتم».
(٨) في النسخة (ي): «دابر». والوابر: الفرد، أو الواحد.
(٩) في الطبعة الأوربية «ووهناً».
(١٠) عند الطبري ٥/٨٥: «وعدلتم عني عدول».
(١١) ما بين القوسين من الأصل.

لكم، هُجْراً! واللهِ ما ختلتُهم[1] عن أموركم، ولا أخفيتُ شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عَشْوةً، ولا (دنّيتُ لكم الضرّاء)[2]، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملأكم [على] أن اختاروا رجلَين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها، فتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجَور هواهما، والثقة[3] في أيدينا حين خالفا سبيلَ الحقّ، وأتيا بما لا يُعرف، فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج عن جماعتنا، وتضعون أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضون الناس تضربون رقابهم؟ إنّ هذا لهو الخُسران المبين، واللهِ لو قتلتم على هذا دجاجةً لعظُم عند الله قتْلُها! فكيف بالنفس التي قتْلُها عند الله حرام؟

فتنادو: لا تُخاطبوهم ولا تكلّموهم وتهيّأوا للقاء الله، (الرواحَ الرواحَ إلى الجنّة! فعاد عليّ عنهم)[4].

ثم إنّ الخوارج قصدوا جسر النهر، وكانوا غربه، فقال لعليّ أصحابُه: إنّهم قد عبروا النهر. فقال: لن يعبروا. فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنّهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه عطفة من النهر، فلِخوف الطليعة منهم لم يقربْهم، فعاد فقال: إنّهم قد عبروا النهر. فقال عليّ: والله ما عبروه، وإنّ مصارعهم لَدُون الجسر، وواللّهِ، لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة! وتقدّم عليّ إليهم، فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكّوا في قوله، وارتاب به بعضهم، فلمّا رأوا الخوارج لم يعبروا كبّروا وأخبروا عليّاً بحالهم، فقال: واللهِ ما كذبتَ ولا كُذبتَ! ثمّ إنّه عبّأ أصحابه، فجعل على ميمنته حُجْر بن عديّ، وعلى ميسرته شَبَث بن رِبْعيّ، أو معقل بن قيس الرياحيّ، وعلى الخيل أبا أيّوب الأنصاريّ، وعلى الرَّجّالة أبا قَتادة الأنصاريّ، وعلى أهل المدينة، وهم سبعمائة أو ثمانمائة، قيس بن سعد بن عُبادة، وعبأت الخوارجُ فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حُصَين[5] الطائيّ، وعلى الميسرة شُرَيح بن أوفى العبْسيّ، وعلى خيلهم حمزة بن سِنان الأسديّ، وعلى رَجّالتهم حُرْقوص بن زُهَير السّعديّ[6].

وأعطى عليّ أبا أيّوب الأنصاريّ رايةَ الأمان، فناداهم أبو أيّوب فقال: من جاء

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/٨٥ «خبلتكم».

(٢) في الأصل «زينت لكم القرآن» وفي النسخة (ي): «وبيت».

(٣) في الأصل «البقية» وفي النسخة (ي): «التغيير».

(٤) ما بين القوسين عن الأصل. والخبر بطوله في تاريخ الطبري ٥/٨١ ـ ٨٥، وانظر: نهج البلاغة ١/٤٢٢، ونهاية الأرب ٢٠/١٧٤ ـ ١٧٦.

(٥) في النسخة (ر) «حصن».

(٦) تاريخ الطبري ٥/٨٥.

تحت هذه الراية فهو آمِن، ومَن لم يقتل ولم يستعرض، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، لا حاجة لنا بعد أن نُصيب قَتَلة إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعيّ: واللَّهِ ما أدري على أيّ شيء نقاتل عليّاً، أرى أن أنصرف حتى يتّضح لي بصيرتي في قتاله أو أتابعه[1]. فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البَنْدَنِيجَين[2] والدّسكْرة. وخرجت طائفة أخرى متفرّقين، فنزلوا الكوفة، وخرج إلى عليّ نحو مائة، وكانوا أربعة آلاف، فبقي مع عبد الله بن وهْب ألف وثمانمائة، (فزحفوا إلى عليّ)[3]، وكان عليّ قد قال لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدأوكم. فتنادوا: الرواحَ إلى الجنّة! وحملوا على الناس، فافترقت خيلُ[4] عليّ فرقتَين: فِرقة نحو الميمنة، وفِرقة نحو الميسرة، واستقبلت الرُّماة وجوهَهم بالنَّبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فما لبثوا أن أناموهم. فلمّا رأى حمزة بن سِنان الهلاك نادى أصحابه: أن انزلوا! فذهبوا لينزلوا، فلم يلبثوا أن حمل عليهم الأسود بن قيس المُراديّ، وجاءتهم الخيل من نحو عليّ، فأُهلكوا[5] في ساعة، فكأنّما قيل لهم موتوا فماتوا.

وجاء أبو أيّوب الأنصاري إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين قتلتُ زيد بن حُصَين الطائيّ، طعنتُه في صدره [حتى] خرج السِنان من ظهره، وقلتُ له: أبشِر يا عدوّ الله بالنار. فقال: ستعلم غداً[6] أيّنا أولى بها صِليّاً. فقال له عليّ: هو أولى بها صِليّاً. وجاءه هانىء بن خطّاب الأزديّ، وزياد بن خُصَفَة يحتجّان في قتْل عبد الله بن وهْب، فقال: كيف صنعتما؟ قالا: لما رأيناه عرفناه، فابتدرناه وطعنّاه برُمْحينا. فقال: كلاكما قاتل.

وحمل جيش بن ربيعة الكِنانيّ على حُرقوص بن زُهير فقتله، وحمل عبد الله بن زَحر[7] الخَوْلانيّ على عبد الله بن شَجَرة السُّلَميّ فقتله، ووقع شُرَيح بن أوفى إلى جانب جدار، فقاتل عليه، وكان (جُلّ من يُقاتله همدان، فقال)[8]:

---

(١) عند الطبري ٨٦/٥ «اتباعه».

(٢) البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل. (معجم البلدان).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) في الأصل «الخيل على».

(٥) عند الطبري ٨٦/٥ «فأهمدوا».

(٦) زيادة من النسخة (ر).

(٧) في الأصل «زهر» وفي النسخة (ي): «زجر».

(٨) في الأصل «يقول» بدل ما جاء بين القوسين.

قـد علمت جـارِيـةُ عَـبْسِيّـهْ ... نـاعـمـةُ في أهلِهـا مَكـفِيّـهْ
أنّي سأحمي ثُلمتي العَشِيّهْ[1]

فحمل عليه قيس أيضاً فقتله، فقال الناس:
القَرْمُ يحمي شَوْله مَعقُولا[2]

فحمل عليه قيس أيضاً فقتله، فقال الناس:

اقتتلتْ[3] همـدانُ يـوْمـاً ورَجُـلْ ... اقتتلوا[4] من غُـدوةٍ حتى الأُصُـلْ
ففتَـحَ الله لهمدان الـرّجُـلْ[5]

ذكر مقتل ذي الثُّدَيّة

قد روى جماعة أنّ عليّاً كان يحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج، أنّ قوماً يخرجون يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميّة، علامتهم رجل مُخدَج اليـد، سمعوا ذلـك منه مراراً، فلمّا خرج أهل النهروان، سار بهم إليهم عليّ، وكان منـه معهم ما كـان، فلمّا فرغ أمر أصحـابه أن يلتمسـوا المُخْدَج، فـالتمسوه، فقـال بعضهم: ما نجـده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: والله إنه لَفِيهم، والله ما كذبتُ ولا كُذِبْتُ! ثمّ إنّه جاءه رجل فبشّره (فقال: يا أمير المؤمنين)[6] قد وجدناه. وقيل: بل خرج عليّ في طلبه قبل أن يبشّره الرجـل، ومعه سُلَيم بن ثُمـامة الحنفيّ، والـرّيان بن صَبْرة، فوجـده في حُفرة على شـاطىء النهر، في خمسين قتيـلاً، فلمّا استخـرجه نـظر إلى عضُده، فـإذا لحمٌ مجتمـع

---

(١) أنساب الأشراف ٣٧٢، تاريخ الطبري ٥/٨٧.

(٢) هكذا في تاريخ الطبري ٥/٨٧، وأما في أنساب الأشراف ٣٧٣:
الفحـل يحمـي شـولـه معقـولاً ... تمنعنـــي نفســي أن أزولا

(٣) في الطبعة الأوربيـة «اقتلت».

(٤) في الطبعة الأوربيـة «اقتتلوا».

(٥) في الأصل «قد فتح الله ووقع الفتح». وفي أنساب الأشراف ٣٧٣ «الزجل». وفي تاريخ الطبري ٥/٨٨ زيادة: وقال شُريح:
أضـربهـم ولـو أرى أبـا حسـن ... ضـربتُـه بـالسيـف حتى يطمئـنّ
وقال:
أضـربهـم ولـو أرى عليّـاً ... ألبسْتُـه أبيـض مشـرفيّـا
والرجز أيضاً في أنساب الأشراف ٣٧٣ وفيه «جلأت» بدل «ألبسته». وانظر فيه أيضاً رواية أخرى.

(٦) في الأصل والنسخة (ي): «بأننا».

كثَدْيِ المرأة، وحَلَمَة عليها شَعَرات سُود، فإذا مُدّت امتدّت حتى تُحاذي يدَه الطُّولى، ثمّ تُترك فتعود إلى منكبَيْه. فلمّا رآه قال: الله أكبر ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه ﷺ لمَن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه.

وقال حين مرّ بهم وهم صَرْعَى: بؤساً لكم! لقد ضرّكم مَن غرّكم! قالوا: يا أمير المؤمنين مَنْ غرّهم؟ قال: الشيطان، وأنفُسٌ أمّارة بالسوء، غرّتهم بالأمانيّ، وزيّنتْ لهم المعاصي، ونبّأتْهم أنّهم ظاهرون.

قيل: وأخذ ما في عسكرهم من شيء، فأمّا السلاح والدوابّ وما شُهر عليه فقسّمه بين المسلمين، وأمّا المتاع والإماء والعبيد، فإنّه ردّه على أهله حين قدِم.

وطاف عديّ بن حاتم في القتلى على ابنه طَرَفة فدفنَه، ودفن رجال من المسلمين قتلاهم. (فقال عليّ حين بلغه: أتقتلونهم ثمّ تدفنونهم؟ ارتحلوا! فارتحل الناس)[1].

فلم يُقْتَل من أصحاب عليّ إلا سبعة[2]. وقيل: كانت الوقعة سنة ثمانٍ وثلاثين. وكان فيمن قُتل من أصحابه: يزيد بن نُوَيرة الأنصاريّ، وله صُحبةٌ وسابقة، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وكان أوّل مَنْ قُتل[3].

ذكر رجوع عليّ إلى الكوفة

ولما فرغ عليّ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ الله قد أحسن بكم وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم[4] هذا إلى عدوّكم. قالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نِبالنا،

---

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر). والخبر في تاريخ الطبري ٥/٨٨، ٨٩.

(٢) في الأصل والنسخة (ي): «تسعة» والمثبت يتفق مع الطبري ٥/٨٩، وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٣ لم يقتل من أصحاب عليّ إلا أقل من عشرة.

(٣) الاستيعاب ٣/٦٥٥، الإصابة ٣/٦٦٤ رقم ٩٣٢٠، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/٢٠٣ رقم ٤٤ بسنده قال: «وأول قتيل قُتل من أصحاب عليّ يوم النهروان رجل من الأنصار، يقال له: يزيد بن نويرة، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة مرتين، شهد له يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: «من جاز التل فله الجنة» فقال: يزيد بن نويرة: يا رسول الله، إنما بيني وبين الجنة هذا التل؟ قال: نعم. فأخذ يزيد سيفه فضارب حتى جاز التل. فقال ابن عمر له: يا رسول الله أتجعل لي ما جعلت لابن عمي يزيد؟ قال: نعم. فقاتل حتى جاز التل، ثم أقبلا يختلفان في قتيل قتلاه، فقال رسول الله ﷺ لهما: «كلاكما قد وهبت له الجنة». ولك يا يزيد على صاحبك درجة. قال: فشهد يزيد مع عليّ، فكان أول قتيل من أصحاب عليّ يوم النهروان.

(٤) في النسخة (ر): «قوركم».

وكلّت سيوفنا، ونصلت أسِنّة رماحنا (وعاد أكثرها قِصَداً)[1]، فارجعْ إلى مصرنـا فلنستعدّ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا، فإنّه أقوى[2] لنا على عدوّنا. وكـان الذي تـولّى كلامـه الأشعث بن قيس، فـأقبل حتى نـزل النُّخَيلَة، فأمـر الناس أن يلزمـوا عسكرهم، ويُـوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يُقِلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيـروا إلى عدوّهم. فـأقامـوا فيـه أيّامـاً ثم تسلّلوا من معسكرهم فـدخلوا إلاّ رجالاً من وجـوه النـاس، وتُـرِك المعسكـر خالياً، فلمّـا رأى ذلك دخـل الكوفـة وانكسر عليـه رأيه في المسيـر وقال لهم أيضـاً: أيّها النـاس استعدّوا للمسيـر إلى عدوّكم ومَنْ في جهـاده القُـرْبـة إلى الله، عـزّ وجـلّ، ودرَك الوسيلة عنده، حيارى من الحقّ، جُفاة عن الكتاب، يعمهون في طُغيـانهم، فأعـدّوا لهم ما استطعتم من قـوّة ومن رباط الخيـل، وتوكّلوا على الله، وكفى بـالله وكيلاً، وكفى بـالله نصيـراً. فلم ينفروا ولا تيسّـروا. فتركهم أيّـاماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعـا رؤساءهم ووجـوههم، فسألهم عن رأيهم، ومـا الذي يُبـطىء بهم، فمنهم المُعتلّ ومنهم المتكـرّه، (وأقلّهم مَنْ نشط)[3].

فقام فيهم فقال: عباد الله، ما بـالكم إذا أمرتكم أن تنفـروا ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ، أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ**﴾[4] وبالـذلّ والهوان من العـزّ خلفاً؟ وكلّمـا ناديتكم إلى الجهـاد دارت أعينكم، كأنّكم من المـوت في سكرة، وكـأنّ قلوبكم مـألـوسـة[5] وأنتم لا تعقلون، فكـأنّ أبصاركم كُمْـهٌ وأنتم لا تبصرون! لله أنتم! مـا أنتم إلاّ أُسـد[6] الشـرى في الـدَّعة، وثعـالبُ روّاغة حين تُـدعون إلى البـأس. ما أنتم (لي بثقـة سَجيسَ الليالي. مـا أنتم)[7] بـركب يُصـال بـه. لَعَمْـرُ الله لبئس حُشّـاشُ الحـرب[8] أنتم! إنّكم تُكـادون ولا تكيـدون، وتُتنقّص[9] أطـرافكم وأنتم لا تتحـاشـون، ولا يُنـام عنكم[10] وأنتم في غفلة ساهون. ثمّ قـال: أمّا بعـد، فإنّ لي عليكم حقّـاً، وإنّ لكم عليّ حقّاً، فـأمّا حقّكم عليّ

---

(١) ما بين القوسين من الأصل. وقِصَداً: أي قطعاً منكسرة.

(٢) عند الطبري ٥/٨٩ «أوفى».

(٣) من الأصل.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٨.

(٥) مألوسة: من الألس وهو ذهاب العقل.

(٦) عند الطبري ٥/٩٠ «أسود».

(٧) زيادة من الأصل.

(٨) في النسخة (ي): «العرب».

(٩) عند الطبري «ويتنقّص».

(١٠) في الطبعة الأوربيـة «ولا تنام عينكم».

فالنصيحة (لكم ما صحبتكم)[1]، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا[2]، (وتأديبكم كي تَعَلَّموا، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يُرِدِ اللَّهُ بكم خيراً تنزعوا عمّا أكره، وترجعوا إلى ما أحبّ، فتنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون)[3].

ذكر عدّة حوادث

قيل: وحجّ بالناس هذه السنة عُبيد الله بن عبّاس[4]، وكان عامل عليّ على اليمن. وكان على مكّة، والطائف: قُثَم بن العبّاس[5]. وكان على المدينة سهل بن حنيف. وقيل تمام بن العباس[6]، وكان على البصرة عبد الله بن عبّاس[7]. وعلى مصر محمد بن أبي بكر[8]. ولما سار عليّ إلى صِفّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ[9]. وكان على خُراسان خُلَيد بن قُرّة اليربوعيّ[10]. وكان بالشام معاوية بن أبي سفيان[11].

[قتلى صِفِّين]

وفيها قُتل حازم بن أبي حازم[12] أخو قيس الأحمسيّ البَجَلي بصِفّين مع عليّ. وفيها مات خبّاب بن الأرتّ[13]، شهِد بدْراً وما بعدها، وشهد صِفّين مع عليّ والنهروان، وقيل

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في الطبعة الأوربية: «تجهلون».

(٣) ما بين القوسين من الأصل. والخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٥/٨٩ـ ٩١.

(٤) تاريخ خليفة ١٩٢، وتاريخ الطبري ٥/٩٢، ومروج الذهب ٤/٣٩٧، ونهاية الأرب ٢٠/١٩٨.

(٥) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٥/٩٢.

(٦) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٥/٩٣.

(٧) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ٥/٩٣.

(٨) المصدران السابقان.

(٩) تاريخ خليفة ٢٠٢، تاريخ الطبري ٥/٩٣.

(١٠) تاريخ خليفة ١٩٩، تاريخ الطبري ٥/٩٣.

(١١) تاريخ الطبري ٥/٩٣.

(١٢) انظر عنه في: الاستيعاب ١/٣٥٢، والإصابة ١/٣٧٢ رقم ١٩٤٢، وأسد الغابة ١/٣٦٠.

(١٣) انظر عن (خبّاب بن الأرتّ) في:
المغازي للواقدي ١٠٠ و ١٥٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٣ و١٨٢ و١٨٣، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) انظر فهارس الأعلام، وطبقات ابن سعد ٣/١٦٤ ـ ١٦٧، وتاريخ خليفة ١٩٢، وطبقات خليفة ١٧ و ١٢٦، والمحبّر لابن حبيب ٧٣، والبرصان والعرجان ٨ و ٢٥١، ومسند أحمد ٥/١٠٨ ـ ١١٢ و ٦/٣٩٥، ٣٩٦، والتاريخ الكبير ٣/٢١٥ رقم ٧٣٠، وتاريخ الثقات للعجلي ١٤٣، رقم ٣٧٦، والمعارف ٣١٦، ٣١٧، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٨ رقم ٩١، والمعرفة والتاريخ ٣/١٦٧، وفتوح البلدان ٣٣٥، وأنساب الأشراف ١/١١٦ و١٥٦ و١٥٨ و١٧٥ ـ ١٨٠ و١٨٤ و١٨٧ و١٩٧ و٢٠١ و٣/٢٦ و٢٨٦، وتاريخ الطبري ٣/٥٨٩ و ٥/٦١، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥٨، ٥٥٩، والكنى والأسماء للدولابي ١/٧٩، والزاهر للأنباري ٢/٤٦، والجرح والتعديل ٣/٣٩٥ رقم ١٨١٧، والمعجم =

لم يشهدها. كان مريضاً ومات قبل قدوم عليّ إلى الكوفة، وقد تقدّم ذكره. وقيل مات سنة تسعٍ وثلاثين، وكان عمره ثلاثاً وستّين سنة. وفيها قُتل أبو الهَيْثم بن التَّيِّهان[1] بصفّين مع عليٍّ، وقيل عاش بعدها يسيراً[2]، وقُتل بها أخوه عُبيد بن التَّيِّهان[3]. وكان أبو الهيثم أوّل من بايع رسول الله ﷺ ليلة العَقَبة، في قول، وهو بدْريّ. وفيها قُتل يَعْلى بن مُنْيَة[4]،

= الكبير للطبراني ٤/٦١ - ٩٤ رقم ٣٦٤، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٣، وحلية الأولياء ١/١٤٣ - ١٤٧ رقم ٢٣، والبدء والتاريخ ٥/١٠١، والاستيعاب ١/٤٢٣، ٤٢٤، والمستدرك على الصحيحين ٣/٣٨١ - ٣٨٣، وصفة الصفوة ١/٤٢٧ - ٤٢٩ رقم ٢١، وأسد الغابة ٢/٩٨ - ١٠٠، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٧٤، ١٧٥ رقم ١٤٣، وتحفة الأشراف ٣/١١٣ - ١٢٠ رقم ١٢٤، وتهذيب الكمال ١/٣٧٣، ووفيات الأعيان ٢/٤٧٦، ورجال الطوسي ١٩، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٢٤ رقم ٤٨٨، والعبر ١/٤٣، وتلخيص المستدرك ٣/٣٨١ - ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٢٣ - ٣٢٥ رقم ٦٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٢ - ٥٦٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٣٠ رقم ٣٤، والكاشف ١/٢١١ رقم ١٣٨٤، ودول الإسلام ١/٣٢، والوافي بالوفيات ١٣/٢٨٧ رقم ٣٤٨، والوفيات لابن قنفذ ٥٧، والبداية والنهاية ٧/٣١٦، ومجمع الزوائد ٩/٢٩٨، وتهذيب التهذيب ٣/١٣٣، ١٣٤ رقم ٢٥٤، وتقريب التهذيب ١/٢٢١، ٢٢٢ رقم ١٠٥، والإصابة ١/٤١٦ رقم ٢٢١٠، والنكت الظراف ٣/١١٨، ١١٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، وكنز العمال ١٣/٣٧٥، وشذرات الذهب ١/٤٧، وطبقات الشعراني ١/١٨، ١٩، وقاموس الرجال ٤/٢ - ٤.

(١) انظر عن (أبي الهيثم بن التيهان) في:
المغازي للواقدي ١٥٨ و ٦٩١ و ٧٠٧ و ٧١٨ و ٧٢٠، وسيرة ابن هشام (انظر فهارس الأعلام)، وطبقات خليفة ٧٨ و ١٩٠، وتاريخ خليفة ١٤٩، وطبقات ابن سعد ٣/٤٤٧ - ٤٤٩، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٥٥ رقم ٨٤٨، والمحبّر لابن حبيب ٧٤ و ٢٦٨ و ٢٧٢، والمعارف ٢٧٠، وأنساب الأشراف ١/٢٤٠، وفتوح البلدان ١/٣٣، وتاريخ أبي زرعة ١/٥٧٥، والكنى والأسماء للدولابي ١/٦١، وتاريخ الطبري ٢/٣٥٦ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٤/٤٤٧، والاستيعاب ٤/٢٠٠، ٢٠١، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٣٢، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/٢٤٩ - ٢٥٩، والمستدرك ٣/٢٨٥، ٢٨٦، والزيارات للهروي ٦٢ و ٩٤، وأسد الغابة ٤/٢٧٤، ٢٧٥ و ٥/٣١٨، وصفة الصفوة ١/٤٦٢، ٤٦٣ رقم ٣٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢٢١، ٢٢٢، وتجريد أسماء الصحابة ٢/٤٢، وتلخيص المستدرك ٣/٢٨٥ - ٢٨٧، ومرآة الجنان ١/٧٦، والبداية والنهاية ٧/١٠٤، والإصابة ٤/٢١٢، ٢١٣ رقم ١١٩٩.
واسمه مالك بن التيهان، وفيه اختلاف (انظر: طبقات ابن سعد ٣/٤٤٧).

(٢) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) - ص ٢٢٢: وقيل بل توفي سنة إحدى وعشرين، وأخطأ من قال قُتل بصفين مع عليّ، بل ذاك أخوه عبيد.
وانظر: طبقات ابن سعد ٣/٤٤٩، وتاريخ خليفة ١٤٩.

(٣) التّيْهان: بالتخفيف، كذا يقوله أهل الحجاز، وشدّده ابن الكلبي. (تاريخ الإسلام) - ص ٢٢.

(٤) انظر عن (يعلى بن مُنْية) في:
تاريخ خليفة ١٢٣ و ١٧٩، وطبقات ابن سعد ٥/٤٥٦، والتاريخ الكبير ٨/١٤٤ رقم ٣٥٣٥، وأنساب الأشراف ١/٩٨، والمحبّر ٦٧، والجرح والتعديل ٩/٣٠١ رقم ١٢٩٣، والتاريخ لابن معين ٢/٦٨٢، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/٢٤٩، وأسد الغابة ٥/١٢٨، ١٢٩، والاستيعاب ٣/٦٦١ - ٦٦٤، والكاشف ٣/٢٥٧ رقم ٦٥٢٦، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/١٥٥٥، ومشاهير علماء الأمصار ٣٢ رقم=

وهي أمّه، واسم أبيه أُمَيّة التميميّ، وهو ابن أخت عُتبة بن غَزْوان، وقيل ابن عمّته، وكان قد شهد الجمل مع عائشة، ثمّ شَهد صفّين مع عليّ فقُتل بها، وكان إسلامه يوم الفتح، وشهد حُنَيْناً. وقُتل بصفّين مع عليّ أبو عَمرة الأنصاريّ[1] النجّاريّ والد عبد الرحمن، وهو أيضاً بدْريّ. وفيها قُتل أبو فَضالة الأنصاري[2] (في قول)[3]، وهو بدْري.

[الوَفَياتِ]

وفيها توفّي سهل بن حُنيف الأنصاري[4] في قول)[5]، وهو بدْريّ[6]، وشهد مع عليّ

= ١٦٧، والمعارف ٢٠٨، والمعرفة والتاريخ ١/٣٠٨ و ٣٣٧ و ٤٠٠ و ٢/١٦٠ و ٢٠٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٩، وتهذيب التهذيب ١١/٣٩٩، ٤٠٠ رقم ٧٧٢، والإصابة ٣/٦٦٨ رقم ٩٣٥٨.

(١) انظر عن (أبي عمرة الأنصاري) في:
المحبّر لابن حبيب ٦٤ و ٢٩٢، والتاريخ الكبير ٩/٦١ رقم ٥٣٥، وتاريخ الطبري ٤/٥٧٣ و ٥/١٦، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥١١، والجرح والتعديل ٩/٤١٥ رقم ٢٠٢٧، والاستيعاب ٤/١٣٢، وأسد الغابة ٥/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨٥، والإصابة ٤/١٤١ رقم ٨١٤.

(٢) انظر عن (أبي فضالة الأنصاري) في:
المنتخب من ذيل المذيّل ٥١٢، والاستيعاب ٤/١٥٣، ١٥٤، وأسد الغابة ٥/٢٧٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٨٥، والإصابة ٤/١٥٥ رقم ٩٠٤.

(٣) زيادة من النسخة (ر).

(٤) انظر عن (سهل بن حُنَيف) في:
المغازي للواقدي ١٥٩ و ٢٤٠ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٣٠٣ و ٣٧٢ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٧١٠ و ٩٨٥، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٣/٤٧١ - ٤٧٣ و ٦/١٥، والمحبّر لابن حبيب ٧١ و ٢٩٠، وتاريخ خليفة ١٨١ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٢٠١، وطبقات خليفة ٨٥ و ١٣٥ و ١٩٠، والتاريخ الكبير ٤/٩٧ رقم ٢٠٩٠، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٠٩ رقم ٦٣٣، ومسند أحمد ٣/٤٨٥ - ٤٨٧، والمعارف ٢٩١، وعيون الأخبار ١/٢٥١، والأخبار الطوال ١٤١ و ١٨٢ و ١٩٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٦ رقم ٧٨ و ١٦٠ رقم ٩٠٣، والمعرفة والتاريخ ١/٢١٦ و ٢٢٠ و ٣٣٧ و ٢/٨١٤، وفتوح البلدان ١٩ و ٢٢، وأنساب الأشراف ١/٢٤٣ و ٢٦٥ و ٢٧٠ و ٢٧٧ و ٣١٨ و ٥١٨ و ٣/٢٨٧ وق ٤ ج ١/٥٥٣ و ٥٦٩ و ٥/٦٤ و ٨٧، وتاريخ الطبري ٢/٣٨٣ و ٥٢٠ و ٥٣٣ و ٣/١١١ و ٤/٤٢٣ و ٤٤٢ و ٤٥٢ و ٤٦٧ و ٤٧٤ و ٥٥٥ و ٥/١١ و ١٨ و ٩٣ و ١٢٢ و ١٣٧ و ١٥٦، والمنتخب من ذيل المذيل ٥١٢، والكنى والأسماء للدولابي ١/٦٥، والجرح والتعديل ٤/١٩٥ رقم ٨٤٠، ومشاهير علماء الأمصار ٤٧ رقم ٢٩٨، والثقات لابن حبّان ٣/١٦٩، والاستيعاب ٢/٩٢، والمعجم الكبير للطبراني ٩/٨٦ - ١١٣ رقم ٥٧٩، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٦، والأسامي والكنى للحاكم، ورقة ١/٩٤، والمستدرك على الصحيحين له ٣/٤٠٨ - ٤١٢، والاستبصار ٣٢٠، والجمع بين رجال الصحيحين ١/١٨٦، ولباب الآداب ١٦٢، والزيارات للهروي ٨٨، وأسد الغابة ٢/٣٦٤، ٣٦٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٣٧ رقم ٢٣٧، وتحفة الأشراف ٤/٩٦ - ١٠٢ رقم ٢١٧ رقم ٢٣٧، وتهذيب الكمال ٢/٥٥٧، وتجريد أسماء الصحابة ١/١٤٣، وتلخيص المستدرك ٣/٤٠٨ - ٤١٢، والكاشف ١/٣٢٥ رقم ٢١٩٠، والعبر ١/٤١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٥، ٥٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٢٥ - ٣٢٩ رقم ٦٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٢ =

حروبه. وتوفّي بها صُهَيب بن سِنان[1] وصَفوان بن بَيضاء، وهو بدْريّ. وفي هذه السنة توفّي عبد الله بن سعد بن أبي سرح[2] بعسقلان فجأة وهو في الصلاة (وكرِه الخروج

= رقم ٥٢، والبداية والنهاية ٧/٣١٨، ومرآة الجنان ١/١٠٥، والوافي بالوفيات ١٦/٧، ٨ رقم ٥، والنكت الظراف ٤/٩٧ - ٩٩، والإصابة ٢/٩٧ رقم ٣٥٢٧، وتهذيب التهذيب ٤/٢٥١ رقم ٤٢٨، وتقريب التهذيب ١/٣٣٦ رقم ٥٥٣، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٥٧، وكنز العمال ١٣/٢٤٠، وشذرات الذهب ١/٤٨، ومجمع الرجال ٣/١٧٨، والنجوم الزاهرة ١/١١٧.

(٥) زيادة من النسخة (ر).

(٦) زيادة من الأصل.

---

(١) انظر عن (صُهَيب بن سنان) في:
المغازي للواقدي ١٤٩ و ١٥٥ و ٣٧٩ و ٧٧٠، وسيرة ابن هشام (انظر فهارس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٣/٢٢٦ - ٢٣٠، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٤ و٢٨٧، والمحبّر لابن حبيب ١٤ و٧٣ و١٠٣ و٢٨٨، وتاريخ خليفة ١٥٣ و١٩٨، وطبقات خليفة ١٩ و٦٢، ومسند أحمد ٤/٣٣٢، ٣٣٣ و٦/١٥ - ١٨، والتاريخ الكبير ٤/٣١٥ رقم ٣٩٦٣، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٨ رقم ٩٥، وعيون الأخبار ١/٨٥ و٣/٢٧٣، والمعارف ٢٦٤ و٢٦٥، والمعرفة والتاريخ ١/٥١١ و٣/١٦٨ و٣٨١، وأنساب الأشراف ١/١٥٦ و١٥٨ و١٨٠ - ١٨٤ و١٨٧ و١٩٧ و٢٧١ و٢٨٩ و٣٠٤ و٤٣٣ و٤٨٨ وق ٤ ج ١/١٠٨ و٤٩٩ و٥٠١ و٥٠٣ و٥٠٤ و٥٠٧ و٥١١ و٥/١٦ و١٨ و٢١ و٢٥، والجرح والتعديل ٤/٤٤٤ رقم ١٩٥٠، وتاريخ الطبري ٤/١٩٢ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣٤ و٢٣٧ و٢٤١ و٢٤٢ و٤٣٦ و٤٦٧، ومشاهير علماء الأمصار ٢٠ رقم ٧٦، والعقد الفريد ٤/٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٧ و٦/٣٠٣، وثمار القلوب ١٦٢ رقم ٢٣١، وحلية الأولياء ١/١٥١ - ١٥٦ رقم ٢٥، وجمهرة أنساب العرب ١٣٨ و٣٠٠، والمستدرك ٣/٣٩٧ - ٤٠٢، والمعجم الكبير ٨/٣٢ - ٥٣ رقم ٧١٩، والاستيعاب ٢/١٧٤ - ١٨٢، والبدء والتاريخ ٥/١٠٠، ١٠١، والتذكرة الحمدونية ١/١٢٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٤٨ - ٤٥٦، وصفة الصفوة ٦/٤٣٠، ٤٣١، رقم ٢٢، والزيارات للهروي ١٣، وتحفة الأشراف ٤/١٩٥ - ٢٠١ رقم ٢٤٢، وتهذيب الكمال ٢/٦١٣، وأسد الغابة ٣/٣٦، والجمع بين الصحيحين ١/٢٢٧، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٢ رقم ٦١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٧ - ٦٠٠، والكاشف ٢/٢٩ رقم ٢٤٣٩، ودول الإسلام ١/٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢/١٧ - ٢٦ رقم ٤، والعبر ١/٤٤، وتلخيص المستدرك ٣/٣٩٧ - ٤٠٢، ومرآة الجنان ١/١٠٥، والوافي بالوفيات ١٦/٣٣٥ - ٣٣٨ رقم ٣٦٨، والبداية والنهاية ٧/٣١٨، ٣١٩ والوفيات لابن قنفذ ٥٨ رقم ٣٨، ومجمع الزوائد ٩/٣٠٥، ٣٠٦، والنكت الظراف ٤/١٩٩، ٢٠٠، وتهذيب التهذيب ٤/٤٣٨، ٤٣٩ رقم ٧٥٩، وتقريب التهذيب ١/٣٧٠ رقم ١٢٤، والإصابة ٢/١٩٥، ١٩٦ رقم ٤١٠٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٧٥، وكنز العمال ١٣/٤٣٧، وشذرات الذهب ١/٤٧، والنجوم الزاهرة ١/١١٧.

(٢) انظر عن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) في:
المغازي للواقدي ٧٨٧ و ٨٠٤ و ٨٢٥ و ٨٥٥ - ٨٥٧ و ٨٦٥، والبرصان والعرجان ١٢٦، والأخبار الموفقيات ٤٩٥، وطبقات ابن سعد ٧/٤٩٦، ٤٩٧، وتاريخ خليفة ٩٩ و١٥٩ و ١٦٠ و١٦٦ و١٦٨ و١٧٨، وطبقات خليفة ٢٩١، والتاريخ الكبير ٥/٢٩ رقم ٤٩، ونسب قريش ٤٣٣، والمعارف ٣٠٠، وتاريخ أبي زرعة ١/١٨٥، ١٨٦، والمعرفة والتاريخ ١/٢٥٣، ٢٥٤، وفتوح البلدان ٢٥٠ و٢٥٣ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٧ و٢٦٨، وأنساب الأشراف ١/١٦٠ و٢٢٦ و٣٥٧ و٣٥٨ و٥٣١ وق ٤ ج ١/٥٠٥ و٥١٢ - ٥١٤ و٥٢٣ و٥٣٨ - ٥٤٢ و٥٥٠ و ٥٥٥ - ٥٥٧، و٥٨٥، و٥/٢٠ و٢٦ - ٢٨ و٤٣ و٤٩ - ٥١ =

مع)[1] معاوية إلى[2] صفّين، وقيل شهدها[3]، ولا يصحّ[4].

= و ٦١ و ٦٥ و ٦٧، وق ٣/ ٦٦، وتاريخ الطبري ٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٣، والولاة والقضاة الكندي ١٠ ـ ١٤ و ١٧ و ٣٠٢، وولاة مصر ٣٣ ـ ٣٨ و ٤٠، والجرح والتعديل ٥/ ٦٣ رقم ٢٩٢، والحلّة السيراء ١/ ١٨ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٣، وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، والخراج وصناعة الكتابة ٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٥٢، والاستيعاب ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨، ومشاهير علماء الأمصار ٥٣ رقم ٣٥٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٥ ـ ٤٣٧، والوزراء والكُتّاب ١٣، وأسد الغابة ٣/ ١٧٣، ١٧٤، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٤١٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ٢٦٩، ٢٧٠ رقم ٣٠٢، ولباب الآداب ١٧٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٤ و ٧/ ٢١٤، ودول الإسلام ١/ ٣١، ٣٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣ ـ ٣٥ رقم ٨، والعبر ١/ ٢٩، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٥٢٩، ٥٣٠، والبداية والنهاية ٧/ ٣١٠، ٣١١، ومرآة الجنان ١/ ١٠٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ١٩١ ـ ١٩٣ رقم ١٧٥، والعقد الثمين ٥/ ١٦٦، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/ ٦٥ و ٨٣، و ٢/ ٢٠٠ و ٢٢٤ ـ ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٢، والإصابة ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨ رقم ٤٧١١، والنجوم الزاهرة ١/ ٧٩ ـ ٨٢، وحسن المحاضرة ١/ ٥٧٩، وشذرات الذهب ١/ ٤٤، ومعالم الإيمان ١/ ١٣٧ ـ ١٤٠.

(١) في الأصل «وكان مع».

(٢) في الأصل «في».

(٣) في الأصل «لم يشهدها».

(٤) زيادة من النسخة (ي).

٣٨
ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين

ذِكْر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمّد بن أبي بكر الصِّدّيق

في هذه السنة قُتل محمّد بن أبي بكر الصدّيق بمصر وهو عامل عليّ عليها، وقد ذكرنا سبب تولية عليّ إيّاه مصرَ وعزل قيس بن سعد [عنها] ودخوله مصر وإنفاذه ابن مُضاهم الكلبيّ إلى أهل خَرْنبا[1]، فلمّا مضى ابن مُضاهم إليهم قتلوه، وخرج معاوية بن حُدَيج السَّكونيّ[2]، وطلب بدم عثمان ودعا إليه، فأجابه ناس، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ ذلك عليّاً فقال: ما لمصر إلاّ أحد الرجلَين، صاحبنا الذي عزلنا، يعني قيساً، أو الأشتر، وكان الأشتر قد عاد بعد صِفّين إلى عمله بالجزيرة، وقال عليّ لقيس: أقمْ عندي على شرطتي حتى تنقضي الحكومة، ثمّ تسير إلى أَذْرَبَيْجان. فلمّا بلغ عليّاً أمر مصر كتب إلى الأشتر وهو بنَصِيبين يستدعيه، فحضر عنده، فأخبره خبرَ أهل مصر وقال: ليس لها غيرُك فاخرجْ إليها، فإنّي لو لم أُوصِك اكتفيتُ برأيك، واستعنْ بالله، واخلط الشدّة باللّين، وارفقْ ما كان الرّفق أبلغ، وتشدّد حين لا يغني إلاّ الشدّة.

فخرج الأشتر يتجهّز إلى مصر وأتت معاويةَ عيونُه بذلك، فعظُم عليه، وكان قد طمع في مصر، فعلم أنّ الأشتر إنْ قَدِمها كان أشدّ عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى المقدّم على أهل الخراج بالقُلْزُم، وقال له: إنّ الأشتر قد وليَ مصر، فإنْ كَفَيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيتُ وبقيتَ. فخرج الحابسات[3] حتى أتى القُلْزُم وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلمّا انتهى إلى القُلْزُمُ استقبله ذلك الرجل،

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ٩٤ «خربتا»، وقد تقدّم التعريف بها.

(٢) في الأصل «اليشكري».

(٣) كذا في طبعة صادر ٣/ ٣٥٣، وفي الأصل «الجايستار»، وفي النسخة (ي) «إلى يسار»، وفي النجوم الزاهرة ١/ ١٠٣ «الخانسيار». وفي تاريخ الطبري ٥/ ٩٥ «الجايستار رجل من أهل الخراج».

فعرض عليه النزول، فنزل عنده، فأتاه بطعام، فلمّا أكل أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سُمّاً فسقاه إيّاه، فلمّا شربه مات.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر، فادْعُوا اللَّهَ عليه، فكانوا يدعون الله عليه كلّ يوم، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية، فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية خطيباً ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّه كانت لعليّ يمينان فقُطعتْ إحداهما بصِفّين، يعني عمّار بن ياسر، وقُطعت الأخرى اليوم، يعني الأشتر[1].

فلمّا بلغ عليّاً موتُه قال: لليَدَين وللفم! وكان قد ثقل عليه لأشياء نُقلتْ عنه. وقيل: إنّه لما بلغه قتْلُه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! مالك وما مالك، وهل موجود مثل ذلك؟ لو كان من حديد، لكان قيداً، أو من حجر، لكان صلداً! على مثله فلْتبكِ البواكي! وهذا أصحّ، لأنّه لو كان كارهاً له لم يولّه[2] مصر.

وكان الأشتر[3] قد روى الحديث عن عمر، وعليّ، وخالد بن الوليد، وأبي ذرّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٩٤ - ٩٦ وانظر: مروج الذهب ٢/٤٢١.

(٢) في الأصل: «لما ولاه».

(٣) انظر عن (الأشتر = مالك بن الحارث) في:
الأخبار الموفقيات ١٩٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٢١٣، وتاريخ خليفة ١٦٨ و ١٧٠ و١٩٢ و١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٠١ و٣٠٨، وطبقات خليفة ١٤٨، والتاريخ لابن معين ٢/٥٤٦، وفتوح الشام للأزدي ٢٣٢، والتعليقات والنوادر للهجري ٢/١٠٦٣، والمحبَّر لابن حبيب ٢٣٣ و ٢٣٤ و٢٦١، والبرصان والعرجان ٣١٣، والتاريخ الكبير ٧/٣١١ رقم ١٣٢٥، وعيون الأخبار ١/١٨٦ و ٢٠١، والأخبار الطوال ١٢٠ و١٤٣ و١٤٧ و١٤٩ و ١٥٠ و١٥٦ و ١٦١ و١٦٤ و١٦٧ و١٧٢ و١٧٧ و١٨٢ و ١٩٠ و١٩٥، والمعارف ١٩٦ و ٢٣١ و٥٨٦، والمعرفة والتاريخ ١/٤٤٥ و٢/٥٤١ و٥٤٤ و ٥٥٥ و ٥٨٥ و٦١٨، وأنساب الأشراف ١/٢٦٤ وق ٤ ج ١/٣٥ و ٢٥٠ و٥١٧ و٥٢٨ و٥٣٢ - ٥٣٥ و٥٤٥ و٥٤٩ و٥٧٢ و٥٨٤ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و٥/٣٠ و ٤٠ و٤١ و٤٣ و٤٤ - ٤٦ و ٥٥ و٥٦ و٥٩ و٨١ و٩٢ و٩٦ و٩٧ و١٠٢، وتاريخ الثقات للعجلي ٤١٧ رقم ١٥٢٢، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/١٩٠ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٥/١٩ - ٢٤ و٤٩ - ٥٢ و٩٥ - ٩٧، والجرح والتعديل ٨/٢٠٧، ٢٠٨ رقم ٩١٠، والولاة والقضاة للكندي ٢٣، والمؤتلف والمختلف للآمدي ٢٨، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٦٢، وربيع الأبرار ٤/١٣٩، والتذكرة الحمدونية ١/٣٠٩ و٤٠٨ و٢/٧٨، وسمط اللآلي ٢٧٧، وشرح الحماسة للتبريزي ١/٧٥، والزيارات للهروي ٩ و٩٦، ولباب الآداب ١٨٧ و١٨٨ و ٢٠٥، والعقد الفريد ١/١١٩ و ١٢٠ و٤/٢٠٦ و ٢٨٦ و٢٩٢ و٢٩٣ و ٢٩٥ و٣١٩ و ٣٢٥ و٣٢٦، وتهذيب الكمال ٣/١٢٩٩، ووفيات الأعيان ٣/١٨ و٧/١٩٥، ١٩٦، والأمالي للقالي ١/٨٥، والكاشف ٣/٩٩ رقم ٥٣٣٧، والعبر ١/٤٥، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٣، ٥٩٤، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٤، ٣٥ رقم ٦، وتهذيب التهذيب ١٠/١١، ١٢ رقم ٨، وتقريب التهذيب ٢/٢٢٤ رقم ٨٦٤، والإصابة ٣/٤٨٢ رقم ٨٣٤١، والنجوم الزاهرة ١/١٠٢ وما بعدها، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٦، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٩٤.

وروى عنه جماعة. وقال أحمد بن صالح[1]: كان ثقة.

قيل: ولما بلغ محمدَ بنَ أبي بكر إنفاذُ الأشتر شقّ عليه، فكتب إليه عليّ: أمّا بعد، فقد بلغني موجدتُك من تسريحي الأشتر إلى عملك، وإنّي لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ولا ازدياداً[2] منّي لك في الجدّ، ولو نزعتُ ما تحت يدك لولّيتُك ما هو أيسر عليك مؤونة منه وأعجب إليك ولايةً، إنّ الرجل الذي كنتُ ولّيته أمرَ مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدوّنا شديداً، وقد استكمل أيّامه ولاقَى حِمامه[3]، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، اصبرْ لعدوّك وشمّر للحربِ و ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[4] وأكثِر ذكرَ الله، والاستعانة به، والخوف منه، يكفِك ما أهمّك، ويُعِنْك على ما ولّاك.

وكتب إليه محمد: أمّا بعد فقد انتهى إليّ كتابك وفهمتُهُ، وليس أحد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوّه، ولا أرأف بوليّه منّي، وقد خرجتُ فعسكرتُ وآمنتُ الناس إلّا مَنْ نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً، وأنا متّبع أمر أمير المؤمنين وحافظه[5] والسلام[6].

وقيل: إنّما تولّى الأشتر مصرَ بعد قتْل محمد بن أبي بكر.

وكان أهل الشام ينتظرون بعد صِفّين أمر الحَكَمين، فلمّا تفرّقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة، ولم يزددْ إلّا قوّة، واختلف الناس بالعراق على عليّ، فما كان لمعاوية همّ إلّا مصر، وكان يهاب أهلَها لقُرْبهم منه وشدّتهم على مَنْ كان على رأي عثمان، وكان يرجو أنّه إذا ظهر عليها ظهر على حرب عليّ لِعظَم خراجها. فدعا معاويةُ عمرو بن العاص، وحبيب بن مَسْلَمة، وبُسر بن أبي أرطاة، والضّحّاك بن قيس، وعبدَ الرحمن بن خالد، وأبا الأعور السُّلَميّ، وشُرَحْبيل بن السِّمْط الكِنْديّ[7] فقال لهم: أتدرون لِمَ جمعتكم؟ فإنّي جمعتكم لأمر لي مهمّ! فقالوا: لم يُطْلع اللَّهُ على الغيب أحداً، وما نعلم ما تريد. فقال عمرو بن العاص: دعوتَنا لتسألنا عن رأينا في مصر، فإن كنتَ جمعتنا لذلك فاعزمْ واصبرْ؛ فنِعمَ الرأي رأيتَ في افتتاحها! فإنّ فيه عزّك وعزّ أصحابك، وكبْت

---

(١) هو العجلي في تاريخ الثقات ٤١٧ رقم ١٥٢٢.
(٢) في الأصل «أرصاداً».
(٣) في الأصل «الجماعة».
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٥) في النسخة (ي): «وحازبه».
(٦) تاريخ الطبري ٥/٩٦، ٩٧.
(٧) زاد الطبري ٥/٩٨ «حمزة بن مالك الهمداني».

عدوّك، وذلّ أهل الشقاق عليك. فقال معاوية: أهمّك يا ابن العاص ما أهمّك! وذلك أنّ عَمراً كان صالح معاوية على قتال عليّ على أنّ له مصر طُعمةً ما بقي. وأقبل معاوية على أصحابه وقال: أصاب أبو عبد الله، فما ترون؟ فقالوا: ما نرى إلاّ ما رأى عمرو. قال: (فكيف أصنع)[1]؟ (فإنّ عَمراً لم يفسّر كيف أصنع)[2]. فقال عمرو: أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً، عليهم رجل حازم صابر[3] صارم، تأمنه وتثق به، فيأتي مصر، فإنّه سيأتيه مَنْ كان على مثل[4] رأينا، فيظاهره على عدوّنا، فإن اجتمع جُنْدُك ومَنْ بها على رأينا رجوتُ أن ينصرك الله.

قال معاوية: أرى أن نكاتب مَنْ بها من شيعتنا، فنُمنّيهم ونأمرهم بالثّبات، ونكاتبَ مَنْ بها من عدوّنا، فندعوهم إلى صُلحنا، ونمنّيهم شُكْرنا ونخوّفهم حرْبنا، فإن كان ما أردنا بغير قتالٍ فذاك الذي أردنا، وإلاّ كان حربهم من بعد ذلك. إنّك يا ابن العاص بُورك لك في الشدّة[5] والعَجَلة، وأنا بورك لي في التّؤدة. قال عمرو: افعل ما ترى فما أرى أمرَنا يصير إلاّ إلى الحرب.

فكتب معاوية إلى مَسْلمة بن مُخَلَّد، ومعاوية بن حُدَيج السَّكونيّ، وكانا قد خالفا عليّاً، يشكرهما على ذلك، ويحثّهما على الطلب بدم عثمان، ويعِدهما المواساة في سلطانه، وبعثه مع مولاه سُبَيْع[6].

فلمّا وقفا عليه أجاب مَسْلمة بن مُخَلَّد الأنصاريّ عن نفسه وعن ابن حُديج: أمّا بعد، فإنّ الأمر الذي بذلنا له أنفسَنا وابتعنا به أمرَ الله أمر نرْجو به ثواب ربّنا، والنصر على مَنْ خالفنا، وتعجيلَ النقمة على من سعى على إمامنا، وأمّا ما ذكرتَ من المواساة في سلطانك، فَتَاللّهِ إنّ ذلك أمرٌ ما له نهضنا، ولا إيّاه أردْنا، فعجّلْ إلينا بخَيلك ورَجْلك، فإنّ عدوّنا قد أصبحوا لنا هائبين، فإن يأتنا مددٌ يفتح الله عليك. والسلام.

فجاءه الكتاب وهو بفلسطين، فدعا أولئك النفر وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرى أن تبعث جُنداً.

فأمر عمرو بن العاص ليتجهّز إليها، وبعث معه ستّة آلاف رجل، ووصّاه بالتُّؤَدَة

---

(١) من النسخة (ر).
(٢) من الأصل.
(٣) من النسخة (ر).
(٤) من النسخة (ر).
(٥) في الأصل «الرشدة».
(٦) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «بشيع».

وترك العَجَلة. وسار عمرو فنزل أداني أرض مصر، فاجتمعت إليه العثمانيّة، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أمّا بعد، فتنحّ عنّي بدمك يا ابن أبي بكر، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك منّي ظَفَر، إنّ الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، وهم مُسْلموك، فاخرجْ منها إنّي لك من الناصحين. وبعث معه كتاب معاوية في المعنى أيضاً، ويتهدّده بقصْده حصار عثمان[1].

فأرسل محمد الكتابَين إلى عليّ، ويُخبره بنزول عمرو بأرض مصر، وأنّه رأى التثاقل ممّن عنده ويستمدّه. فكتب إليه عليّ يأمره أن يضمّ شيعته إليه، ويَعده إنفاذ الجيوش إليه، ويأمره بالصبر لعدوّه وقتاله. وقام محمد بن أبي بكر في الناس، وندبهم إلى الخروج إلى عدوّهم مع كِنانة بن بِشْر، فانتدب معه ألفين، وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين وكِنانة على مقدّمته، وأقبل عمرو نحو كِنانة، فلمّا دنا سرّح الكتائب، كتيبةً بعد كتيبة، فجعل كِنانة لا تأتيه كتيبة إلاّ حمل عليها، فألحقها بعمرو بن العاص، فلمّا رأى ذلك بعث إلى معاوية بن حُدَيج، فأتاه في مثل الدُّهْم[2]، فأحاطوا بكِنانة وأصحابه، (واجتمع أهل الشام عليهم من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك كِنانة نزل عن فرسه، ونزل معه أصحابه)[3]، فضاربهم بسيفه حتى استُشهد[4].

وبلغ قتلُه محمدَ بنَ أبي بكر، فتفرّق عنه أصحابه، وأقبل نحوه عمرو، وما بقي معه أحد، فخرج محمد يمشي في الطريق، فانتهى إلى خَرِبة في ناحية الطريق، فأوى إليها، وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفُسطاط، وخرج معاوية بن حُدَيْج في طلب محمد بن أبي بكر، فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق، فسألهم عنه، فقال أحدهم: دخلتُ تلك الخَرِبة، فرأيتُ فيها رجلاً جالساً. فقال ابن حُدَيْج: هو هو. فدخلوا عليه فاستَخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، وأقبلوا به نحو الفُسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جُنده، وقال: أتقتل أخي صبراً؟ ابعثْ إلى ابن حُدَيْج فانْهَه عنه. فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمّد، فقال: قتلتم كِنانة بن بِشْر، وأخليّ أنا محمداً ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ؟﴾[5] هيهات هيهات! فقال لهم محمّد بن أبي بكر: اسقوني ماء. فقال له معاوية بن حُدَيج: لا سقاني الله إن سقيتُك قطرةً أبداً، إنّكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنّك حتى يسقيك الله من

---

(١) انظر نص الكتاب والخبر مفصّلاً في تاريخ الطبري ٥/٩٨ - ١٠١.

(٢) في نسخة مكتبة بودليان «أدتهم».

(٣) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٤) تاريخ الطبري ٥/١٠٣.

(٥) سورة القمر، الآية: ٤٣.

الحميم والغَسَّاق! فقال له محمد: يا ابن اليهوديّة النسّاجة ليس ذلك إليك، إنّما ذلك إلى الله، يسقي أولياءه ويُظمىء أعداءه أنت وأمثالك، أمَا والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم منّي هذا. ثمّ قال له: أتدري ما أصنع بك؟ أُدخلك جوف حمار، ثمّ أحرقه عليك بالنار. فقال محمد: إن فعلتَ بي ذلك فلَطالما فعلتم ذلك بأولياء الله، وإنّي لأرجو أن يجعلها عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظّى، كلّما خبت زادها الله سعيراً. فغضب منه وقتله، ثمّ ألقاه في جيفة حمار، ثمّ أحرقه بالنار.

فلمّا بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، وأخذت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم[1]، ولم تأكل من ذلك الوقت شِواء حتى تُوُفّيت.

وقد قيل: إنّ محمداً قاتل عَمراً ومَنْ معه قتالاً شديداً فقُتل كِنانة، وانهزم محمد، واختبأ عند جَبَلة بن مسروق، فدُلّ عليه معاوية بن حُدَيج فأحاط به، فخرج محمد فقاتل حتى قُتل[2].

وأمّا عليّ فلمّا جاءه كتاب محمّد بن أبي بكر فأجابه عنه ووعده المددَ، قام في الناس خطيباً، وأخبرهم خبَر مصر، وقصْد عمرو إيّاها، وندبهم إلى إنجادهم، وحثّهم على ذلك، وقال: اخرجوا بنا إلى الجَرَعة، وهي بين الكوفة والحيرة؛ فلمّا كان الغد خرج إلى الجَرَعَة، فنزلها بُكرة وأقام بها حتى انتصف النهار، فلم يأته أحد، فرجع، فلمّا كان العشيّ استدعى أشراف الناس وهو كئيب فقال: الحمد لله على ما قضى من أمره، وقدّر من فعله، وابتلاني بكم، أيّتها القرية التي لا تُطيع إذا أمرتُ، ولا تجيب إذا دعوتُ، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بمصركم والجهاد على حقّكم؟ فواللَّهِ لئن جاء الموتُ، وليأتينّي، ليفرّقنّ بيني وبينكم، وأنا لِصُحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير، لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا محميّة تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوّكم ينتقص بلادَكم، ويشنّ الغارة عليكم؟ أوَليس عجيباً أنّ معاوية (يدعو الجفاةَ الطَّغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة)[3] في السنة المرّة والمرّتين والثلاث[4] إلى أيّ وجه شاء، وأنا أدعوكم وأنتم أولو النُّهى، وبقيّة الناس على العطاء والمعونة، فتتفرّقون عنّي تعصونني وتختلفون عليّ!

فقام كعب بن مالك الأرحبيّ وقال: يا أميرَ المؤمنين اندبِ الناسَ، لهذا اليوم كنتُ

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٣/٥ ـ ١٠٥.
(٢) تاريخ الطبري ١٠٥/٥.
(٣) ما بين القوسين من الأصل.
(٤) زاد في الأصل «يرسل».

أدّخر نفسي. ثمّ قال: أيّها الناس اتّقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوّه، وأنا أسير إليه. فخرج معه ألفان. فقال له: سِرْ، فواللّهِ ما أظنّك تدركهم حتى ينقضي أمرهم. فسار بهم خمساً[1].

ثمّ إنّ الحجّاج بن غَزيّة[2] الأنصاريّ قدِم من مصر، فأخبره بقتل محمد بن أبي بكر، وكان معه، وقدِم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفَزاريّ من الشام، وكان عيّنه هناك، فأخبره أنّ البشارة من عمرو وردت بقتل محمد ومُلك مصر، وسرور أهل الشام بقتله. فقال عليّ: أما إنّ حُزننا عليه بقدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً! فأرسل عليّ، فأعاد الجيش الذي أنفَذه[3] وقام في الناس خطيباً وقال:

ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجَرةُ أولو الجور، والظَّلَمة الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عِوَجاً! ألا وإنّ محمد بن أبي بكر استُشْهد، فعند الله نحتسبه! أما واللّهِ، إنْ كان كما علمتُ لممّن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويُبْغض شكل الفاجر، ويحبّ هدَى المؤمن، إنّي والله ما ألوم نفسي على تقصير، وإنّي لمقاساة الحروب لجدير[4] خبير، وإنّي لأتقدّم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المُصيب، وأستصرخكم معلناً، وأناديكم نداءَ المستغيث[5]، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تُطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القومُ لا يدرَك بكم الثأر، ولا تنقض[6] بكم الأوتار[7]، دَعَوْتكم إلى غِياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جَرْجَرة الجمل الأشدق، وتثاقَلتم إلى الأرض تثاقُل من ليست له نيّة في جهاد العدوّ، ولا اكتساب الأجر، ثمّ خرج إليّ منكم جُنَيْد متذانب، كأنّما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأُفٍّ لكم! ثمّ نزل[8].

(معاوية بن حُدَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدال المهملتين. جارية بن قُدامة: بالجيم، وفي آخره ياء تحتها نقطتان. بُسْر بن أبي أرطاة؛ بضمّ الباء الموحدة، وسكون السين المهملة)[9].

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٧/٥، ١٠٨.
(٢) في النسخة (ي) «عونة».
(٣) في الطبعة الأوربية «نفّذهم».
(٤) عند الطبري ١٠٨/٥ «لجدّ».
(٥) زاد الطبري «مُعْرباً».
(٦) في الطبعة الأوربية «تنفض».
(٧) في الأصل «الأوزار».
(٨) تاريخ الطبري١٠٨/٥، ١٠٩.
(٩) هذه الفقرة من الأصل.

ذكر إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر، سيّر معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن الحضرميّ إلى البصرة، وقال له: إنّ جُلّ أهلها يرون رأينا في عثمان، وقد قُتلوا في الطلب بدمه، فهم لذلك حنِقون، يودّون أن يأتيهم من يجمعهم، وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزلْ في مُضَر، وتودّدِ الأزدَ، فإنّهم كلّهم معك، وادعُ ربيعةَ، فلن ينحرف عنك أحدٌ سواهم، لأنّهم كلّهم ترابيّة[1] فاحذرْهم.

فسار ابن الحضرميّ حتى قدِم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى عليّ بالكوفة، واستخلف زياد بن أبيه على البصرة، فلمّا وصل ابنُ الحضرميّ إلى البصرة نزل في بني تميم، فأتاه العثمانيّة مسلّمين عليه، وحضره غيرهم، فخطبهم وقال: إنّ عثمان إمامكم إمام الهدى قُتل مظلوماً، قتله عليّ، فطلبتم بدمه، فجزاكم الله خيراً.

فقام الضحّاك بن قيس الهلاليّ، وكان على شُرطة ابن عباس، فقال: قبّح الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه! أتيتَنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزّبير، أتيانا وقد بايعنا عليّاً واستقامت أمورُنا، فحملانا على الفُرْقة حتى شرب بعضنا بعضاً، ونحن الآن مجتمعون على بيعته، وقد أقال العثرة، وعفا عن المسيء، أفتأمرنا أن نَنتضيَ أسيافنا، ويضرب بعضُنا بعضاً ليكون معاوية أميراً؟ والله لَيومٌ من أيّام عليّ خير من معاوية (وآل معاوية)[2]! فقام عبد الله بن خازم السُّلَميّ فقال للضحّاك: اسكتْ فلستَ بأهلٍ أن تتكلّم. ثمّ أقبل على ابن الحضرميّ فقال: نحن أنصارك ويدك، والقول قولُك فاقرأ كتابك. فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكّرهم فيه آثار عثمان، فيهم، وحبّه العافية، وسدّه ثغورهم، ويذكر قتله، ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ويضمن أنّه يعمل فيهم بالسُّنّة، ويعطيهم عطائين في السنة. فلمّا فرغ من قراءته قام الأحنف فقال: لا ناقتي في هذا ولا جملي. واعتزل القومَ. وقام عمرو بن مرحوم العبديّ فقال: أيّها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة. وكان عبّاس[3] بن صُحار العبديّ مخالفاً لقومه في حبّ عليّ، فقام وقال: لننصُرنّك بأيدينا وألسِنتنا. فقال له المُثَنّى بن مُخَرِّبة[4] العبديّ: والله لئن لم ترجع

---

(١) نسبة إلى أبي تراب، كنية عليّ بن أبي طالب، كنّاه بها الرسول ﷺ.
(٢) زيادة من الأصل.
(٣) في الأصل «عياش».
(٤) في الأصل والنسخة (ي): «مخرمة».

إلى مكانك الذي جئتَنا منه لَنُجاهدنّك بأسيافنا ورماحنا، ولا يغرنّـك هذا الـذي يتكلّم[1]، يعني ابن صُحار.

فقال ابن الحضرمي لصَبْـرة بن شَيْمان: أنت نـاب من أنيـاب العـرب فـانصـرني. فقال: لو نزلتَ في داري لنصرتُك.

فلمّا رأى زياد ذلك خاف، فاستدعى حُضَين بن المنـذر، ومالـك بن مِسمَع فقـال: أنتم يـا معشر بكـر بن وائل أنصـار أمير المؤمنين وثقـاته، وقـد كان من ابن الحضـرميّ ما ترون، وأتاه مَن أتاه، فامنعـوني حتى يأتيني أمـر أمير المؤمنين. فقـال حُضَين بن المنذر: نعم. وقال مالك وكان رأيه مائلاً إلى بني أُميّة: هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيـه وأنظر. فلمّا رأى زياد تثاقلَ مـالك خـاف أن تختلف عليه[2] ربيعـة، فأرسـل إلى صَبرة بن شَيْمـان الحُـدّانيّ الأزديّ يـطلب أن يُجيـره وبيت مـال المسلمين. فقـال: إن حملتـه إلى داري أجـرتُكما. فنقله إلى داره بـالحُدّان، ونقـل المنبر أيضـاً، فكـان يصلّي الجمعـة بمسجـد الحُدّان ويُطعم الطعام. فقال زياد لجابر بن وهْب الـراسبيّ: يا أبـا محمد إنّي لا أرى ابنَ الحضرميّ يكفّ وأراه سيقاتلكم، ولا أدري ما عند أصحابك[3]، فـانظر مـا عندهم. فلمّـا صلّى زياد جلس في المسجد، واجتمع الناس إليه، فقال جابر: يا معشر الأزد، إنّ تميماً تزعم أنّهم هم الناس، وأنّهم أصبر منكم عند البأس، وقد بلغني أنّهم يريدون أن يسيـروا إليكم، ويأخذوا جاركم ويُخْرجوه قسراً، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين! فقـال صَبرة بن شَيْمـان، وكـان مفخمـاً[4]: إن جـاء الأحنف جئتُ، وإن جـاء حُتاتهم[5] جئتُ، وإن جاء شبابهم ففينا شباب.

وكتب زيـاد إلى عليّ بالخبـر، فـأرسـل عليّ إليـه أعْين بن ضُبيعـة المجـاشعيّ ثمّ التميميّ ليفرّق قومه عن ابن الحضرميّ، فإن امتنعوا قـاتل بمن أطـاعه من عصـاه، وكتب إلى زياد يُعلمه ذلـك. فقدِم أعْيَن، فـأتَى زياداً، فـنزل عنده، وجمـع رجالاً وأتَى قـومه، ونهض إلى ابن الحضـرميّ ومن معـه ودعـاهم، فشتمـوه، وواقفهم نهـاره، ثمّ انصـرف عنهم، فدخل عليه قومٌ، قيل إنّهم من الخوارج، وقيل وضعهم ابن الحضرميّ على قتله، وكان معهم، فقتلوه غيلةً، فلمّا قُتل أعْيَن أراد زياد قتـالهم، فأرسلت تميم إلى الأزد: إنّـا

---

(١) زيادة من النسخة (ر).

(٢) من النسخة (ر).

(٣) في الطبعة الأوربيـة «أصحابه».

(٤) في الأصل «ملحماً».

(٥) في نسخة المتحف البريطاني «حماتهم».

لم نعرض لجاركم فما تريدون إلى جارنا؟ فكرهتِ الأزد قتالَهم وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناه[1].

وكتب زياد إلى عليّ يخبره خبر أعْيَن وقتْله، فأرسل عليّ جارية بن قُدامة السَّعديّ، وهو من بني سعد من تميم، وبعث معه خمسين رجلاً، وقيل خمسمائة من تميم، وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة[2] عليه. فقدِم جارية البصرة، فحذّره زياد ما أصاب أعْيَن، فقام جارية في الأزد فجزاهم خيراً وقال: عرفتم الحقّ إذ جهِله غيرُكم. وقرأ كتاب عليّ إلى أهل البصرة يوبّخهم ويتهدّدهم ويعنّفهم، ويتوعّدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هَباء. فقال صَبرة بن شَيْمان: سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة! نحن حرب لمن حاربه وسلْم لمن سالمه. وقال أبو صُفرة، والد المهلّب، لزياد: لو أدركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين. وقيل: إنّ أبا صُفْرة كان توفّي في مسيره إلى صِفّين، والله أعلم.

وصار جارية إلى قومه، وقرأ عليهم كتاب عليّ ووعدهم، فأجابه أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرميّ ومعه الأزد ومن تبِعه من قومه، وعلى خيل ابن الحضرميّ عبد الله بن خازم السُّلَميّ[3]، فاقتتلوا ساعة، وأقبل شريك بن الأعور الحارثيّ فصار مع جارية، فانهزم ابن الحضرميّ فتحصّن بقصر سُنْبيل ومعه ابن خازم، فأتته أمّه[4] عَجْلَى، وكانت حبشيّة، فأمرته بالنزول، فأبَى، فقالت: والله لتنزلنّ أو لأنزعنّ ثيابي! فنزل ونجا، وأحرق جارية القصر بمن فيه، فهلك ابن الحضرميّ وسبعون رجلاً معه، وعاد زياد إلى القصر، وكان قصر سُنْبيل لفارس قديماً، (وصار لسُنبيل السعديّ، وحوله خندق)[5]. وكان فيمن احترق دَراع[6] بن بدر أخو حارثة بن بدر؛ فقال عمرو بن العَرَنْدَس:

رَددنا زِياداً إلى داره ... وجارُ تميم دخاناً ذَهَبْ
لحَى اللَّهُ قوماً شَوَوْا جارَهمْ ... ولم يَدفَعوا عنهُ حَرَّ اللّهَبْ[7]

---

(١) تاريخ الطبري ١١٠/٥، ١١١.
(٢) في النسخة (ر): «الإيثار».
(٣) في الأصَل «الأسدي».
(٤) في النسخة (ر) «سراته».
(٥) من الأصل.
(٦) في النسخة (ي): «دراج».
(٧) البيتان في أنساب الأشراف ٤٣٥، وقد ورد الشطر الثاني عند الطبري ١١٢/٥ على هذا النحو: «وللشاء بالدرهمين الشَّصَبْ»

في أبيات غير هذه[1]؛ وقال جرير:

غـدرتُـم بـالـزّبَيـرِ فـمـا وفَيتُمْ ... وفـاءَ الأزدِ إذ مَـنَـعـوا زيـادَا
فـأصبَـحَ جـارُهم بـنجـاةِ عِـزٍّ ... وجـارُ مُجـاشـعٍ أمسَى رمـادَا
فلوْ عـاقَـدْتَ حبـلَ أبي سَعيـدٍ[2] ... لـذاد القـومَ[3] مـا حملَ النّجـادَا
وأدنَى[4] الخَيـلَ من رَهَـج المنـايا ... وأغشـاهـا الأسنّـةَ والـصِّعـادا[5]

جـارية بن قُدامة: بالجيم والياء تحتها نقطتـان. وحارثـة بن بدر: بـالحاء المهملة، وبعدها ثاء مثلّثة. وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي. (والمثنى بن مُخَرِّبة: بضمّ الميم، وفتح الخاء المعجَمة، وكسر الراء المشدّدة، وآخره باء موحدة[6]).

ذكر خبر الخِرّيت بن راشد وبني ناجية[7]

قيل: وفي هذه السنة أظهر الخِرّيت بن راشد الناجي الخلافَ على عليّ، فجاء إلى أمير المؤمنين، وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا مع عليّ من البصرة، فشهـدوا معه الجمل وصِفّين، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذا الـوقت، فحضر عنـد عليّ في ثلاثين راكبـاً فقال له: يا عليّ، واللّهِ لا أُطيع أمـرك ولا أُصليّ خلفك، وإنّي غـداً مفارق لـك، وذلك بعد تحكيم الحكمين. فقال له: ثكِلتْك أمّك! إذاً تعصي ربّك، وتنكث عهدك، ولا تضرّ إلّا نفسـك! خبّرْني لمَ تفعـل ذلك؟ فقـال: لأنّـك حكّمتَ[8] وضعُفتَ عن الحقّ، وركنتَ إلى القـوم الذين ظلمـوا، فأنـا عليك زارٍ، وعليهم نـاقِم، ولكم جميعاً مُبـاين. فقـال لـه عليّ: هلُمّ أدارسك الكتاب، وأنـاظرك في السُنَـن، وأفـاتحك أمـوراً أنا أعلم بهـا منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن مُنكِر، قال: فإنّي عائدٌ إليك. قال: لا يستهوينّك الشيطان، ولا يستخِفّنّك الجُهّال[9]، واللّهِ لئن استرشدتني[10] وقبلتَ منّي لأهدينّك سبيل الرشاد.

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/١١٣ زيادة خمسة أبيات.
(٢) أبو سعيد هو: المهلّب بن أبي صفرة.
(٣) في الطبعة الأوربيـة «القوم».
(٤) في النسخة (ي): «ولاقى».
(٥) الأبيات وقوله: «قال جرير» من الأصل. والأبيات في ديوان جرير ١٤٢، وتاريخ الطبري ٥/١١٣.
(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر) و (ي).
(٧) انظر عن الخِرّيت بن راشد في:
أنساب الأشراف ٤١١ وما بعدها، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٤/٧٥ وما بعدها، وتاريخ الـطبري ٥/١١٣ وما بعدها، وشرح نهج البلاغة ٣/١٢٨، ونهاية الأرب ٢٠/١٨٢ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٩٥.
(٨) في تاريخ الطبري ٥/١١٤ زيادة «حكمت في الرجال».
(٩) عند الطبري «الجهل».
(١٠) زاد الطبري «واستنصحتني».

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، وسار من ليلته هو وأصحابه. فلمّا سمع بمسيرهم عليّ قال: بُعداً لهم كما بعدتْ ثمود! إنّ الشيطان اليوم استهواهم وأضلّهم، وهو غداً متبرّيء منهم. فقال له زياد بن خَصَفة البكريّ: يا أمير المؤمنين، إنّه لم يعظُم علينا فقدهُم فتأسى عليهم، إنّهم قلَّ ما يزيدون في عددنا لو أقاموا، ولقلّ ما يُنقِصون من عددنا بخروجهم[1] عنّا، ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممّن يقدمون عليك[2] من أهل طاعتك، فأذنْ لي في اتّباعهم حتى أردّهم عليك. فقال: أتدري أين توجّهوا؟ قال: لا، ولكنّي أسأل وأتّبع الأثر. فقال له: اخرجْ، رحِمك الله، وانزلْ دير أبي موسى، وأقِمْ حتى يأتيك أمري، فإن كانوا ظاهرين، فإنّ عمّالي سيكتبون بخبرهم.

فخرج زياد، فأتى داره، وجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر، فسار معه مائة وثلاثون رجلاً، فقال: حسبي. ثمّ سار حتى أتى دير أبي موسى، فنزله يوماً ينتظر أمر عليّ، وأتى علياً كتاب من قَرَظَة بن كعب الأنصاريّ يُخبره أنّهم توجّهوا نحو نِفَّر[3]، وأنّهم قتلوا رجلاً من الدهاقين كان أسلم. فأرسل عليّ إلى زياد يأمره باتّباعهم، ويُخبره خبرهم، وأنّهم قتلوا رجلاً مسلماً، ويأمره بردّهم إليه، فإن أبَوْا يناجزهم، وسيّر الكتاب مع عبد الله بن والٍ فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد، فأذِن له، وقال له: إنّي لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ، وأنصاري على القوم الظالمين. قال ابن وال: فوالله ما أحبّ أن لي بمقالته تلك حُمْرَ النَّعم[4].

وسار بكتاب عليّ إلى زياد، وساروا حتى أتوا نِفّر، فقيل إنّهم ساروا نحو جَرْجرايا، فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمَذار وهم نُزُول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا، فأتاهم زياد وقد تقطّعت أصحابه وتعِبوا، فلمّا رأوهم ركبوا خيولَهم، وقال لهم الخرِّيت: أخبروني ما تريدون. فقال له زياد، وكان مُجرّباً رفيقاً: قد ترى ما بنا من التعب، والذي جئْناك له لا يصلحه الكلام علانية، ولكن ننزلْ، ثمّ نخلو جميعاً فنتذاكر أمرَنا، فإن رأيتَ ما جئناك به حظّاً لنفسك قبلتَه، وإن رأينا فيما نسمع منك أمراً نرجو فيه العافية لم نردّه عليك. قال: فانزلْ. فنزل زياد وأصحابه على ماء هناك، وأكلوا شيئاً، وعلّقوا على دوابّهم، ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم، وكانوا قد نزلوا أيضاً،

---

(١) في النسخة (ي) زيادة: «إن تأخرنا».

(٢) عند الطبري ١١٦/٥ «عليه».

(٣) نِفَّر: بكسر أوله، وتشديد ثانيه، وراء. بلد أو قرية على نهر النَّرْس من بلاد الفرس. (معجم البلدان ٢٩٥/٥).

(٤) ينقل المؤلّف هذه الأخبار عن الطبري باختصار وحذف (١١٦/٥ ـ ١١٨).

وقال زياد لأصحابه: إنّ عدّتنا كعدّتهم، وأرى أمرنا يصير إلى القتال، فلا تكونوا أعجز الفريقين.

وخرج زياد إلى الخرِّيت فسمعهم يقولون: جاءنا القوم وهم كالّون تَعِبون، فتركناهم حتى استراحوا، هذا والله سوء الرأي. فدعاه زياد وقال له: ما الذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقْتنا؟ فقال: لم أرضَ صاحبكم إماماً ولا سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل[1] وأكون مع من يدعو إلى الشورى، فقال له زياد: وهل يجتمع الناس على رجل يُداني صاحبك الذي فارقتَه علماً بالله وسنّته وكتابه مع قرابته من الرسول ﷺ وسابقته في الإسلام؟ فقال له: ذلك لا أقول لك. فقال له زياد: ففيمَ قتلتَ ذلك الرجل المسلم؟ فقال له: ما أنا قتلته وإنّما قتله طائفة من أصحابي. قال: فادفعْهم إلينا. قال: ما لي إلى ذلك سبيل. فدعا زيادٌ أصحابه، ودعا الخِرّيت أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً تطاعنوا بالرِماح حتى لم يبقَ[2] رمح، وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت، وعُقرت عامّة خيولهم، وكثُرت الجراحة فيهم، وقُتل من أصحاب زياد رجلان[3]، ومن أولئك خمسة، وجاء الليل فحجز بينهما، وقد كره بعضهم بعضاً، وجُرح زياد، فسار الخرّيت من الليل، وسار زياد إلى البصرة، وأتاهم خبر الخرّيت أنّه أتَى الأهواز، فنزل بجانب منها، وتلاحق به ناسٌ من أصحابهم، فصاروا نحو مائتين، فكتب زياد إلى عليّ بخبرهم، وأنّه مقيم يداوي الجرحى وينتظر أمره[4].

فلمّا قرأ عليّ كتابه قام إليه مَعْقِل بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ واحد منهم عشرة، فإذا لحِقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم، فأمّا أن يلقاهم عددهم، فلَعَمْري ليصبِرُنّ لهم، فإنّ العدّة تصبر للعدّة. فقال: تجهّزْ يا معقِل إليهم، وندب معه ألفين من أهل الكوفة، منهم يزيد بن المُعقّل الأسديّ. وكتب عليّ إلى ابن عبّاس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألفَيْ رجل إلى معقل، وهو أمير أصحابه، حتى يأتي معقلاً، فإذا لقِيه كان معقِل الأمير. وكتب إلى زياد بن خَصَفة يشكره، ويأمره بالعَوْد[5].

واجتمع على الخرّيت الناجي عُلوج من أهل الأهواز كثيرٌ، أرادوا كسر الخراج،

---

(١) في الأصل «أعتزلكم».
(٢) زاد الطبري ٥/١٢٠ «لم يبق في أيدينا رمح».
(٣) هما: سويد مولى زيد، ووافد بن بكر.
(٤) الخبر عن الطبري ٥/١٢٠ بتصرّف.
(٥) تاريخ الطبري ٥/١٢١.

ولصوصٌ وطائفةٌ أخرى من العرب ترى رأيه، وطمع أهل الخراج في كسْره فكسروه، وأخرجوا سهل بن حُنَيف من فارس، وكان عاملاً لعليّ عليها[1] (في قول من يزعم أنّه لم يمتْ سنة سبعٍ وثلاثين)[2]. فقال ابن عبّاس لعليّ: أنا أكفيك فارس بزياد، يعني ابن أبيه، فأمره بإرساله إليها (وتعجيل تسييره)[3] فأرسل زياداً إليها في جمع كثير، فوطىء بلاد فارس، فأدّوا الخراج واستقاموا[4]. وسار مَعْقِل بن قيس، ووصّاه عليّ فقال له: اتّقِ الله ما استطعتَ، ولا تبغِ على أهل القِبلة، ولا تظلم أهل الذمّة، ولا تتكبّر، فإنّ الله لا يحبّ المتكبّرين[5].

فقدم معقِل الأهواز ينتظر مددَ البصرة، فأبطأ عليه، فسار عن الأهواز يطلب الخِرّيت، فلم يسرْ إلّا يوماً حتى أدركه المددُ مع خالد بن مَعْدان الطائيّ، فساروا جميعاً، فلحِقوهم قريبَ جبلٍ من جبال رامَهُرمز، فصفّ مَعْقِل أصحابه، فجعل على ميمنته يزيد بنِ المُعَقّل[6]، وعلى ميسرته مِنْجاب بن راشد الضبّي من أهل البصرة، وصفّ الخرّيتُ أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنةً، ومن معه من أهل البلد والعُلوج ميسرة، ومعهم الأكراد، وحرّض كلّ واحد منهما أصحابه، وحرّك معقِل رأسه مرّتين، ثمّ حمل في الثالثة، فصبروا له ساعة ثمّ انهزموا، فقتل أصحاب معقِل منهم سبعين رجلاً من بني ناجية، ومَن معهم من العرب، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العُلوج والأكراد، وانهزم الخِرّيت بن راشد، فلحِق بأسياف[7] البحر، وبها جماعةٌ كثيرة من قومه، فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ، ويُخبرهم أنّ الهُدى في حربه، حتى اتّبعه منهم ناس كثير[8].

وأقام معقِل بأرض الأهواز، وكتب إلى عليّ بالفتح، فقرأ عليّ الكتاب على أصحابه واستشارهم، فقالوا كلّهم: نرى أن تأمر مَعْقِلاً أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه، فإنّا لا نأمن أن يُفْسد عليك الناس. فكتب إلى معقِل يُثني عليه وعلى من معه، ويأمره باتّباعه

---

(١) الطبري ٥/١٢٢.
(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).
وقد توفي سهل بن حنيف بالكوفة سنة ٣٨ هـ. وصلّى عليه عليّ رضي الله عنهما. انظر: طبقات ابن سعد ٣/٤٧٢، ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٦.
(٣) زيادة من النسخة (ر).
(٤) تاريخ الطبري ٥/١٢٢.
(٥) الطبري ٥/١٢٢.
(٦) عند الطبري ٥/١٢٣ «المغْفِل».
(٧) أسياف البحر: مُفردها سِيف، بكسر السين المهملة، وهو الساحل.
(٨) الخبر مختصر جداً عن الطبري ٥/١٢٣ و ١٢٥.

وقتْله أو نفْيه. فسأل معقِل عنه، فأُخبر بمكانه بالأسياف، وأنّه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ، وأفسد مَن عنده (من عبد القيس وسائر العرب، وكان)[1] قومه قد منعوا الصدقة عام صِفّين وذلك العام. فسار إليهم معقِل، فأخذ على فارس، وانتهى إلى أسياف البحر.

فلمّا سمع الخِرّيت بمسيره قال لمن معه من الخوارج: أنا على رأيكم، وإنّ عليّاً لم ينبغِ له أن يحكم. وقال للآخرين من أصحابه: إنّ عليّاً حكّم ورضي، فخلعه حكَمُهُ الذي ارتضاه[2]، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة وإليه كان يذهب. وقال سرّاً للعثمانيّة: إنّا واللّهِ على رأيكم، قد والله قُتل عثمان مظلوماً. فأرضى كلّ صنف منهم. وقال لمن منع الصدقة: شدّوا أيديكم على صدقاتكم، وصِلوا بها أرحامكم. (وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا، فلمّا اختلف الناس قالوا: واللّهِ لَدِينُنا الذي خرجنا منه خيرٌ من دين)[3] هؤلاء، لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء. (فقال لهم الخِرّيت: ويحكم! لا ينجّيكم من القتل إلّا قتل[4] هؤلاء القوم)[5] والصبر، فإنّ حكمهم فيمن أسلم ثمّ ارتدّ أن يُقتل، ولا يقبلون منه توبةً ولا عُذْراً. فخدعهم جميعهم. وأتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير[6]. فلمّا انتهى معقِل إليه نصب رايةَ أمان وقال: من أتاها من الناس فهو آمن، إلّا الخرّيت وأصحابه الذين حاربونا أوّل مرّة. فتفرّق عن الخِرّيت جُلّ مَنْ كان معه من غير قومه، وعبّأ معقِل أصحابه، وزحف نحو الخِرّيت، ومعه قومه، مُسلمهم ونَصرانيّهم، ومانعُ الزكاة منهم. فقال الخرّيت لمن معه: قاتلوا عن حريمكم وأولادكم، فواللّهِ، لئن ظهروا عليكم ليقتلُنّكم وليسْبُنّكم. فقال له رجل من قومه: هذا واللّهِ جرّتْه علينا يدُك ولسانُك. فقال: سبق السيفُ العذلَ[7].

وسار معقِل في الناس يحرّضهم ويقول: أيّها الناس ما تريدون[8] أفضل ممّا سبق لكم من الأجر العظيم؟ إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة[9]، وارتدّوا عن الإسلام، ونكثوا البَيعة ظُلْماً، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنّة، ومن بقي منكم فإنّ الله مُقِرٌّ عينه بالفتح. ثمّ حمل معقِل وجميعُ مَن معه، فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا له، ثمّ إنّ

---

(١) العبارة التي بين القوسين ورد بدلها في الأصل «وإن».

(٢) في النسخة (ي): «اتبعناه».

(٣) ما بين القوسين هو في الأصل: «لا ينجيكم من القتل إلا قتال».

(٤) في النسخة (ي): «لقاء».

(٥) العبارة بين القوسين من الأصل.

(٦) عن الطبري بتصرّف واختصار ١٢٤/٥، ١٢٥.

(٧) الطبري ١٢٧/٥.

(٨) عند الطبري «ما تزيدون».

(٩) في الأصل «الزكاة».

النعمان بن صُهْبان الراسبيّ بَصُرَ بالخِرّيت فحمل عليه فطعنه، فصُرع عن دابّته، ثمّ اختلفا ضربتين، فقتله النعمان، وقُتل معه في المعركة سبعون ومائة رجلٍ، وذهب الباقون يميناً وشمالاً، وسبَى معقِل من أدرك من حريمهم وذُرّياتهم، وأخذ رجالاً كثيراً، فأمّا مَن كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام فرجعوا، فخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم، إلاّ شيخاً كبيراً نصرانيّاً منهم يقال له الرُّماحسُ لم يُسْلِم[1] فقتله، وجمع مَنْ منع الصدقة، وأخذ منهم صدقة عامَين[2]، وأمّا النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبِلا بهم، وأقبل المسلمون معهم يشيّعونهم، فلمّا ودّعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، حتى رحِمهم الناس[3].

وكتب مَعْقِل إلى عليّ بالفتح، ثمّ أقبل بهم حتى مَرّ على مَصقَلة بن هُبَيرة الشيبانيّ، وهو عامل عليّ على أردَشِير خُرّه، وهم خمسمائة إنسان، فبكى النساء والصبيان، وصاح الرجال: يا أبا الفضل! يا حامل الرجال (ومأوى المعضب)[4]، وفكّاك العُناة، امنُنْ علينا واشترنا وأعتِقْنا! فقال مَصْقلة: أُقسم بالله لأتصدّقنّ عليكم! إنّ الله يجزي المتصدّقين. فبلغ قولُه معقِلاً فقال: والله لو أعلم أنّه قالها توجُّعاً عليهم وإزراء علينا لَضرَبْتُ عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر. ثمّ إنّ مَصقلة اشتراهم من معقِل بخمسمائة ألف، فقال له معقل: عجّل المال إلى أمير المؤمنين. فقال: أنا أبعث الآن ببعضه، ثمّ كذلك حتى لا يبقى منه شيء.

وأقبل معقل إلى عليّ فأخبره بما كان منه، فاستحسنه، وبلغ عليّاً أنّ مَصْقلة أعتق الأسرى، ولم يسألهم أن يُعينوه بشيء، فقال: ما أظنّ مَصقلة إلاّ قد تحمّل حَمالةً سترَوْنه عن قريب منها مُبَلَّداً[5]. وكتب إليه يطلب منه المال أو يحضر عنده، فحضر عنده وحمل من المال مائتي[6] ألف[7].

قال ذُهْل بن الحارث: فاستدعاني ليلةً فطَعِمْنا، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين يسألني هذا المال، ولا أقدر عليه. فقلتُ: واللّهِ ولو شئتَ ما مضتْ جُمْعة حتى تحمله. فقال: والله ما كنتُ لأحمّلها قومي، أمَا واللّهِ لو كان ابن هند ما طالبني بها، ولو كان ابن عفّان لوهبها لي، ألم تره أطعم الأشعث بن قيس كلّ سنة من خراج أذْرَبيجان مائة ألف؟ قال:

---

(١) في النسخة (ي) زيادة «حسن».

(٢) عبارة الطبري ٥/١٢٨ «فأخذ من المسلمين عِقالين».

(٣) تاريخ الطبري ٥/١٢٧، ١٢٨.

(٤) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري ٥/١٢٩.

(٥) في النسخة (ي): «مثلثا».

(٦) في الأصل «مائة».

(٧) تاريخ الطبري ٥/١٢٨، ١٢٩.

فقلتُ: إنّ هـذا لا يرى ذلـك الرأي ولا يتـرك منها شيئاً. فهـرب مَصْقلة من ليلتـه فلحِق بمعاوية، وبلغ عليّاً ذلك فقال: ما لـه، ترّحـه[1] الله، فَعلَ فِعـلَ السيّد، وفـرّ فرار العبـد، وخان خيانة الفاجر! أمَا إنّه لو أقام فعجز ما زدْنا على حبسـه، فإن وجـدْنا لـه شيئاً أخـذناه وإلّا تركناه[2].

ثمّ سار عليّ إلى داره فهدمها، وأجاز عتْقَ السبيْ وقال: أعتقهم مُبتاعهم[3] وصارت أثمانهم دَيناً على مُعتِقهم.

وكـان أخوه نُعَيْم بن هُبَيـرة شيعة لعليّ، فكتب إليـه مَصقلة من الشام مـع رجل من نَصارى تغلب اسمه حُلوان يقول له: إنّ معاوية قد وعدك الإمارة والكرامـة، فأقبِـلْ ساعـة يلقاك رسولي، والسلام. فأخذه مالك بن كعب الأرحبيّ، فسرّحـه إلى عليّ، فقطع يـده، فمات[4]. وكتب نُعيم إلى مصقلة يقول:

لا تَـرْمِيَنّ هـداكَ اللّهُ مُعتـرِضـاً ... بـالـظّنّ منـكَ فمـا بـالي وحُلوانَـا
ذاكَ الحَريصُ على ما نالَ من طمعٍ ... وَهـوَ البعيدُ فـلا يُحزِنْـكَ إنْ خـانَـا
مـاذا أرَدتَ إلى إرْسـالِـهِ سَفَهـاً ... ترجو سِقاطَ امرىءٍ لم يُلفَ وَسْنـانَا
قـد كنتَ في منظرٍ عن ذا ومُستمَـعٍ ... تحمي العـراقَ وتُدْعى خَيـرَ شَيبانَـا
حتى تقحّمتَ أمـراً كنتَ تكـرَهُـهُ ... لـلـرّاكـبِـيـنَ لَـهُ سِـرّاً وإعـلانَـا
عَـرّضـتَـهُ لـعَـليّ إنّـهُ أسَـدٌ ... يَمشي العِرَضنَة[5] من آسادِ خَفّانَا[6]
لوْ كنتَ أدّيتَ مالَ القوْمِ[7] مُصطبِراً ... للحَقّ أحيَيتَ أحيـانَـا ومَـوْتـانَـا
لكِن لحقتَ بأهلِ[8] الشّـامِ مُلتَمِساً ... فَضْلَ ابنِ هندٍ وذاك الرّأيُ أشجانَـا
فاليوْمَ تَقـرَعُ سِنّ العجزِ[9] من نَـدَمٍ ... مـاذا تَقـولُ وقـد كـانَ الـذي كـانَـا
أصبحتَ تُبْغضُـكَ الأحيـاءُ قـاطبـةً ... لم يَـرْفـعِ اللّهُ بـالبغضـاء إنْسـانَـا

فلمّـا وقع[10] الكتـاب إليه علم أنّـه[11] قد هلك، وأتـاه التغلبيّـون فـطلبـوا منه دِيـة

---

(١) في النسخة (ي): «طرحه».
(٢) الطبري ١٢٩/٥، ١٣٠.
(٣) في الأصل: «بابتياعهم».
(٤) تاريخ الطبري ١٣٠/٥.
(٥) يمشي العِرَضنة: يعدو ليسبق غيره.
(٦) هذا البيت ورد عند الطبري ١٣٠/٥ بعد البيت الثالث.
(٧) في تاريخ الطبري ١٣١/٥ «ما للقوم».
(٨) في نسخة المتحف البريطاني والنسخة (ي): «تحققت أهل».
(٩) في تاريخ الطبري «سنّ الغُرْم».
(١٠) في الأصل «دفع».
(١١) عند الطبري «علم أن رسوله».

صاحبهم، فوداه لهم[1].

وقال بعض الشعراء في بني ناجية:

سما لكمُ بالخَيلِ قُوداً عوابساً — أخو ثقةٍ ما يبرَحُ الدّهرَ غازِيَا

فصَبّحكم في رَجلِهِ وخُيولِهِ — بضَرْبٍ ترَى منهُ المدجَّجَ هاوِيَا

فأصبَحتُم من بَعدِ كِبرٍ ونخوَةٍ — عَبيدَ العَصا لا تَمنَعون الذَّرارِيَا[2]

وقال مَصْقلة بن هُبَيرة:

لعمري[3] لئن عابَ أهلُ العراقِ — عليّ انتِعاشَ[4] بني ناجِيَهْ

لأعظَمُ مِنْ عتقِهِم رقّهم — وكَفّي بعتْقِهِمُ مالِيَهْ[5]

وزايَدتُ فيهِمْ لإطْلاقِهِمْ[6] — وغالَيتُ إنّ العُلى غالِيَهْ[7]

ذكر أمر الخوارج بعد النهروان

لما قُتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانيّ على عليّ بالدسكرة في مائتين، ثمّ سار[8] إلى الأنبار، فوجّه إليه عليّ الأبرشَ بن حسّان في ثلاثمائة فواقعه، فقُتل أشرس في ربيع الآخر[9] سنة ثمانٍ وثلاثين[10].

ثمّ خرج هِلال بن عُلَّفَة[11] من تَيم الرِّباب ومعه أخوه مُجالد، فأتى ماسَبَذان، فوجّه

---

(1) الطبري ٥/١٣٠، ١٣١. أما الأبيات فهي في أنساب الأشراف ٤١٩ باختلاف بعض الألفاظ وقد أنقص منها بيتين.
(2) الأبيات في أنساب الأشراف ٤٢١ ولم يذكرها الطبري في تاريخه.
(3) في أنساب الأشراف «أحمري» والمثبت يتفق مع الفتوح لابن أعثم.
(4) في الأنساب «لتنعاشي»، وفي الفتوح «عتاق».
(5) في الأنساب، والفتوح «عالية».
(6) في الفتوح «لإعتاقهم».
(7) الأبيات في أنساب الأشراف ٤٢٠، وقد زاد عليها ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ٤/٨١ تسعة أبيات أخرى، وهي كلها لم ترد في تاريخ الطبري.
(8) في أنساب الأشراف «صار».
(9) في أنساب الأشراف «ربيع الأول».
(10) الخبر عند البلاذري في أنساب الأشراف ٤٨١ وهو لم يرد عند الطبري.
(11) هكذا في طبعة صادر ٣/٣٧٢، وفي النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني، وفي أنساب الأشراف «علقمة».

إليه عليّ معقِل بن قيس الرياحيّ، فقتله وقتل أصحابه، وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وثلاثين[1].

ثمّ خرج الأشهب بن بِشر[2]، وقيل الأشعث، وهو من بَجِيلة، في مائة وثمانين رجلاً، فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه، فصلّى عليهم، ودفن[3] من قدر عليه منهم، فوجّه إليهم عليّ جاريةَ بن قُدامة السعديّ، وقيل حُجر بن عديّ، فأقبل إليهم الأشهب، فاقتتلا[4] بجرجرايا[5] من أرض جُوخى، فقُتل الأشهب وأصحابه في جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين[6].

ثمّ خرج سعيد بن قفل[7] التَّيميّ (من تَيم الله بن ثعلبة في رجب)[8] بالبَنْدَنِيجَين (ومعه مائتا رجل، فأتى دَرْزنجان[9]، وهي من المدائن على فرسخَين، فخرج إليهم سعْد بن مسعود[10]، فقتلهم في رجب سنة ثمانٍ وثلاثين[11].

ثمّ خرج أبو مريم السعديّ التيميّ)[12] (فأتى شَهْرزور، وأكثر مَن معه من الموالي، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستّة نفر، هو أحدهم، واجتمع)[13] معه مائتا رجل، وقيل أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل إليه عليّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب. فبعث إليه عليّ شُرَيح بن هانىء في سبعمائة، فحمل الخوارجُ على شُريح وأصحابه، فانكشفوا، وبقي شُرَيح في مائتين، فانحاز إلى قرية، فتراجع إليه بعضُ أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج عليّ بنفسه، وقدّم بين يديه جاريةَ بن قُدامة السَّعديّ، فدعاهم جاريةُ إلى طاعة عليّ، وحذّرهم القتْل، فلم يجيبوا، ولحِقهم عليّ أيضاً، فدعاهم، فأبوا عليه وعلى أصحابه،

---

(١) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٢ ولم يرد في تاريخ الطبري.
(٢) عند البلاذري «بشير».
(٣) عند البلاذري «وأجن».
(٤) في أنساب الأشراف «فالتقوا».
(٥) في الأصل: «بجعرايا».
(٦) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٣ رقم ٥١٦ ولم يرد في تاريخ الطبري.
(٧) في الأصل «نفيل»، وفي أنساب الأشراف «وبعضهم يقول: هو سعد».
(٨) ما بين القوسين من النسخة (ي).
(٩) في أنساب الأشراف «الدرزيجان».
(١٠) هو عمّ المختار بن أبي عبيد الثقفي.
(١١) الخبر في أنساب الأشراف ٤٨٤ رقم ٥١٧ ولم يرد عند الطبري.
(١٢) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ر).
(١٣) ما بين القوسين عن الأصل.

فقتلهم أصحابُ عليٍّ، ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم. وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برأوا. وكان قتْلهم في شهر رمضان سنة ثمانٍ وثلاثين، (وكانوا من أشجع مَنْ قاتل من الخوارج، ولجُرأتهم قاربوا الكوفة)[1].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة قُثَمُ بن العبّاس من قِبَل عليّ[2]، وكان عامله على مكّة.

وكان على اليمن عُبيدالله بن عبّاس[3]، وعلى البصرة: عبدالله بن عبّاس[4]، وعلى خراسان: خُلَيْد بن قُرّة اليربوعيّ، وقيل كان ابن أبْزَى[5]، (وأمّا الشام ومصر فكان بهما معاوية وعمّاله[6].

[الوَفيات]

وفي هذه السنة مات صُهَيب بن سِنان[7]، في قول بعضهم، وكان عمره سبعين سنة، ودُفن بالبَقيع)[8].

---

(١) ما بين القوسين من النسخة (ر). والخبر باختصار عن أنساب الأشراف ٤٨٥، ٤٨٦ رقم ٥١٨ وهو لم يرد في تاريخ الطبري.
(٢) تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبري ١٣٢/٥، ومروج الذهب ٣٩٧/٤، ونهاية الأرب ٢٠٢/٢٠.
(٣) تاريخ الطبري ١٣٢/٥، تاريخ خليفة ١٩٨.
(٤) تاريخ الطبري ١٣٢/٥.
(٥) الطبري ١٣٢/٥.
(٦) الطبري ١٣٢/٥.
(٧) تقدّمت ترجمته ومصادرها في وفيات السنة السابقة، فلتراجع هناك.
(٨) ما بين القوسين من النسخة (ر).

٣٩
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين، عليه السلام

وفي هذه السنة فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف عليّ، فوجّه النعمانَ بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر، وفيها مالك بن كعب مَسْلَحة لعليّ، في ألف رجل[١]، وكان مالك قد أذِن لأصحابه فأتوا الكوفة، ولم يبقَ معه إلّا مائة رجل، فلمّا سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يُخبره ويستمدّه، فخطب عليّ الناسَ وأمرهم بالخروج إليه، فتثاقلوا، وواقع مالكُ النعمانَ، وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه، وكتب مالك إلى مِخْنف بن سُلَيم يستعينه، وهو قريب منه، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال، فوجّه مِخْنف ابنه عبدَ الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جُفونَ سيوفهم واستقتلوا، فلمّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء، وظنّوا أنّ لهم مدداً، وتبِعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر.

ولما تثاقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك صعد عليّ المنبر فخطبهم، ثمّ قال: يا أهل الكوفة، كلّما سمعتم بجمْعٍ منٍ أهل الشام أظلّكم[٢] انجحَر[٣] كلّ امرىء[٤] منكم في بيته، وأغلق عليه بابه انجِحارَ الضَّبّ في جُحْره والضَّبُع في وِجارها، المغرورُ مَنْ غررتموه، ومَنْ فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان عند النجاء! إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ماذا مُنيتُ[٥] به منكم؟ عُمْيٌ لا يُبصرون، وبُكْمٌ لا ينطقون، وصُمٌّ لا يسمعون[٦]! إنّا لله وإنّا إليه راجعون[٧].

(١) في النسخة (ي): «فارس».
(٢) عبارة الطبري ٥/١٣٤ «كلما سمعتم بمنسِر من مناسر أهل الشأم أظلّكم وأغلق بابه انجحر».
(٣) في الطبعة الأوربية «الجحر».
(٤) في الأصل «فر».
(٥) في النسخة (ي): «شبث».
(٦) عند الطبري ٥/١٣٤ «تبصرون، تنطقون، تستمعون».
(٧) الخبر عند الطبري، وفي أنساب الأشراف ٤٤٥ ـ ٤٤٨.

ووجّه معاوية في هذه السنة أيضاً سُفْيان بن عَوف في ستّة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هِيتَ فيقطعَها، ثمّ يأتي الأنبار، (والمدائن فيُوقِع بأهلها. فأتى هِيتَ فلم يجد بها أحداً، ثمّ أتى الأنبار)[1] وفيها مَسْلَحة لعليّ تكون خمسمائة رجل، وقد تفرّقوا ولم يبقَ منهم إلّا مائتا رجل، وكان سبب تفرّقهم أنّه كان عليهم كُمَيْل بن زياد، فبلغه أن قوماً بقَرقيسيا يريدون الغارةَ على هِيتَ، فسار إليهم بغير أمر عليّ، فأتى أصحاب سفيان وكُمَيل غائبٌ عنها، فأغضب ذلك عليّاً على كُمَيل، فكتب إليه يُنكر ذلك عليه، وطمع سفيان في أصحاب عليّ لقلّتهم فقاتلهم، فصبر أصحابُ عليّ ثمّ قُتل صاحبُهم، وهو أشرس بن حسّان البكريّ، وثلاثون رجلاً، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبرُ عليّاً، فأرسل في طلبهم فلم يُدْرَكوا[2].

وفيها أيضاً وجّه معاويةُ عبدَ الله بن مَسعَدَة بن حَكَمَة[3] بن مالك بن بدر الفزاريّ في ألفٍ وسبعمائة رجل إلى تَيْماء، وأمره أن يُصدّق[4] مَنْ مرّ به من أهل البوادي ويقتل مَن امتنع، ففعل ذلك، وبلغ مكّة والمدينة وفعل ذلك، واجتمع إليه بشرٌ كثيرٌ من قومه، وبلغ ذلك عليّاً فأرسل المسيَّب بن نجَبَة الفزاريّ في ألفَيْ رجل، فلحِق عبدُ الله بتيماء، فاقتتلوا حتى[5] زالت الشمس قتالاً شديداً، وحمل المسيَّب على ابن مَسْعَدة، فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله، ويقول له: النّجاءَ النّجاءَ! فدخل ابن مَسْعدة وجماعة معه الحصنَ، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهبَ الأعرابُ إِبِلَ الصدقة التي كانت مع ابن مَسْعدة، وحصره ومن معه[6] ثلاثة أيّام، ثمّ ألقى الحطب في الباب وحرّقه، فلمّا رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا: يا مسيّب قومك، فرقّ لهم، وأمر بالنار فأطفئت، وقال لأصحابه: قد جاءتني عيوني فأخبروني أنّ جُنداً قد أتاكم من الشام. فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سرّحْني في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال: غششتَ أميرَ المؤمنين وداهنتَ في أمرهم[7].

وفيها أيضاً وجّه معاوية الضَّحّاك بن قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقِصة[8]، ويُغير

---

(١) ما بين القوسين من نسخة الأصل.

(٢) عن تاريخ الطبري بتصرّف ١٣٣/٥، ١٣٤، وانظر: أنساب الأشراف ٤٤١ ـ ٤٤٣.

(٣) في الأصل «حكيم».

(٤) أي يأخذ الصدقات وزكاة الأموال.

(٥) في الطبعة الأوربية «حين».

(٦) عبارة الطبري ١٣٥/٥ «وحصره ومن كان معه المسيّب ثلاثة أيام».

(٧) تاريخ الطبري ١٣٤/٥، ١٣٥، وانظر: أنساب الأشراف ٤٤٩ ـ ٤٥١، واليعقوبي ١٩٦/٢.

(٨) واقصة: بكسر القاف والصاد مهملة. منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقبل العقبة لبني شهاب من طيّء ويقال لها واقصة الحزون وهي دون زُبالة بمرحلتين. (معجم البلدان ٣٥٣/٥، ٣٥٤).

على كلّ مَنْ مرّ به ممّن هو في طاعة عليّ من الأعراب، (وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه، فسار الناسُ، وأخذ الأموال ومضى إلى الثعلبية[1]، وقتل وأغار على مَسْلَحة عليّ، وانتهى إلى القُطْقُطانة[2]. فلمّا بلغ ذلك عليّاً)[3] أرسل إليه حُجْر بن عَديّ في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين درهماً خمسين درهماً، فلحق الضحّاكَ بتَدْمر، فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقُتل من أصحابه رجلان، وحجز بينهما اللّيل، فهرب الضحّاك وأصحابه، ورجع حُجْر ومن معه[4].

وفي هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلةَ ثمّ نكصَ راجعاً[5].

واختُلف فيمن حجّ [بالناس] هذه السنة، فقيل: حجّ بالناس عُبيد الله بن عبّاس من قِبَل عليّ، وقيل: بل حجّ عبد الله أخوه، وذلك باطل، فإنّ عبد الله بن عبّاس لم يحجّ في خلافة عليّ، وإنّما كان على هذه السنة على الحجّ عُبيد الله بن عبّاس، وبعث معاوية يزيدَ بن شَجَرة الرهاويّ، فاختلف عبيدُ الله ويزيد بن شجرة واتّفقا على أن يحجّ بالناس شَيْبة بن عثمان[6]. وقيل: إنّ الذي حجّ من جانب عليّ قُثَم بن العبّاس. وكان عمّال عليّ على البلاد من تقدّم ذكرهم.

ذكر مسير يزيد بن شَجَرة إلى مكّة[7]

وفي هذه السنة دعا معاويةُ يزيدَ بن شَجَرة الرَّهاويّ، وهو من أصحابه، فقال له: إنّي أريد أن أوجّهك إلى مكّة لتقيم للناس الحجّ، وتأخذ لي البَيعة بمكّة، وتنفي عنها عامل عليّ.

---

(١) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخُزَيمية، وهي ثلثا الطريق، وسُمّيت بثعلبة بن عمرو مُزَيقياء بن عامر ماء السماء، لما تفرّقت أزد مأرب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسُمّي به. (معجم البلدان ٢/ ٧٨).

(٢) القُطْقُطانة: بالضم ثم السكون ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألِف نون وهاء. موضع قرب الكوفة من جهة البرّيّة بالطفّ. (معجم البلدان ٤/ ٣٧٤).

(٣) ما بين القوسين من الأصل.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ١٣٥، والفتوح لابن أعثم ٤/ ٣٧، وأنساب الأشراف ٤٣٧ ـ ٤٤٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٥.

(٥) الطبري ٥/ ١٣٦ برواية ابن سعد، عن الواقدي.

(٦) تاريخ خليفة ١٩٨، تاريخ الطبري ٥/ ١٣٦، مروج الذهب ٤/ ٣٩٧، وانظر أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ (الحاشية).

(٧) العنوان ورد في بداية الفصل رقم ٦٠ من نسخة الأصل، وفي بداية الفصل الأربعين من النسخة (ي). وهذا الموضوع ليس في تاريخ الطبري. وهو باختصار شديد في تاريخ خليفة، وبتفصيل في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ ـ ٤٦٤، وفي الفتوح لابن أعثم ٤/ ٣٩ ـ ٤٥.

فأجابه إلى ذلك، وسار إلى مكّة في ثلاثة آلاف فارس، وبها قُثَم بن العبّاس عامل عليّ، فلمّا سمع به قُثَمُ خطب أهلَ مكّة، وأعلمهم بمسير الشاميّين، ودعاهم إلى حربهم، فلم يُجيبوه بشيء، وأجابه شَيبة بن عثمان العبْدريّ بالسّمع والطّاعة، فعزم قُثَم على مفارقة مكّة واللحاق ببعض شِعابها، ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر، فإنْ أمدّه بالجيوش قاتل الشاميّين، فنهاه أبو سعيد الخُدْريّ عن مفارقة مكّة وقال له: أقِمْ، فإنْ رأيت منهم القتالَ وبك قوّة فاعمل برأيك، وإلاّ فالمسيرُ عنها أمامك. فأقام، وقدِم الشاميّون ولم يعرضوا لقتال أحد، وأرسل قُثَم إلى أمير المؤمنين يخبره، فسيّر جيشاً فيهم الريّان بن ضَمْرة بن هَوْذة بن عليّ الحنفي، وأبو الطُّفَيْل أوّل ذي الحجّة. وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومَين، فنادى في الناس: أنتم آمنون إلاّ من قاتلَنا ونازعنا. واستدعى أبا سعيد الخُدْري وقال له: إنّي أريد الإلحادَ[1] في الحرم، ولو شئتَ لفعلت لِما فيه أميركم من الضعف، فقل له يعتزل الصلاةَ بالناس، وأعتزِلها أنا، ويختار الناس رجلاً يصلّي بهم. فقال أبو سعيد لقُثَم ذلك، فاعتزل الصلاة، واختار الناسُ شَيْبَةَ بن عثمان فصلّى بهم وحجّ بهم[2]. فلمّا قضى الناسُ حجّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبل خيل عليّ فأُخبروا بعود أهل الشام، فتبِعوهم، وعليهم مَعْقِل بن قيس، فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القُرى، فظفروا بنفر منهم، فأخذوهم أسارى، وأخذوا ما معهم، ورجعوا بهم إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية[3].

(الرَّهاويّ منسوب إلى الرَّهاء: قبيلة من العرب، وقد ضبطه عبد الغني بن سعيد[4] بفتح الراء: قبيلة مشهورة. وأمّا المدينة[5]: فبضم الراء).

ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة[6]

وفيها سيّر معاويةُ عبدَ الرحمن بن قَباث بن أشْيَم إلى بلاد الجزيرة، وفيها شبيب بن عامر جدّ الكَرْماني الذي كان بخُراسان[7]، وكان شبيب بنَصِيبين، فكتب إلى كُمَيل بن

---

(١) في النسخة (ي): «الاتحاد».
(٢) تاريخ خليفة ١٩٨، والاستيعاب ٦٥٣/٣، ٦٥٤، والإصابة ٦٥٩/٣، وأنساب الأشراف ٤٦٣، ومروج الذهب ٣٩٧/٤، والمحبّر لابن حبيب ١٧، وشفاء الغرام ٣٣٨/٢، ٣٣٩، والفتوح لابن أعثم ٤٣/٤.
(٣) انظر: أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٦١ ـ ٤٦٤، والفتوح ٣٩/٤ ـ ٤٥.
(٤) في كتاب: مشتبه النسبة في الخط، مخطوطة المتحف البريطاني ـ ورقة ١٨ ب، باب: الرَّهاوي والرُّهاوي.
(٥) أي مدينة الرُّها.
(٦) عدّها البلاذري في أنساب الأشراف سابع غارة من غارات معاوية. وهذا الخبر ليس في تاريخ الطبري.
(٧) الفتوح لابن أعثم ٥٠/٤.

زياد، وهو بهِيت، يُعْلمه خبَرهم، فسار كُمَيل إليه نجدة له في ستمائة فارس، فأدركوا عبد الرحمن ومعه مَعن بن يـزيد السُّلَمي، فقـاتلهما كُمَيـل وهزمهمـا، فغلب على عسكرهمـا وأكثـر القتل في أهـل الشام، وأمـر أن لا يُتبع مُـدْبـر ولا يُجْهَـز على جـريـح، وقُتـل من أصحاب كُمَيل رجلان، وكتب إلى عليّ بالفتح فجزاه خيراً، وأجابه جواباً حسناً[1] ورضي عنه، وكان ساخطاً عليه لِما تقدّم ذكره.

وأقبل شبيبُ بن عامر من نَصِيبين، فرأى كُمَيلاً قد أوقع بالقوم، فهنّأه بالظَّفَر، واتّبع الشـاميّين، فلم يلحقهم، فعبر الفُـرات، وبَثّ خيله فـأغـارت على أهـل الشـام حتى بلغ بعلبكّ، فوجّه معاويةُ إليه حبيب بن مَسْلمة فلم يدركـه، ورجع شبيب فـأغار على نـواحي الرقّة فلم يدعْ للعثمانيّة بها ماشية إلّا استاقها، ولا خيـلاً ولا سلاحـاً إلّا أخذه، وعـاد إلى نَصِيبين، وكتب إلى عليّ، فكتب إليـه عليّ ينهـاه عن أخـذ أمـوال[2] النـاس إلّا الخيـل والسلاح الذي يقاتلون به، وقال: رحم الله شبيباً، لقد أبعد الغارة وعجّل الانتصار[3].

ذكر غارة الحارث بن نِمْر التنوخي[4]

ولما قدِم يزيد بن شَجَـرة على معاويـة وجّه الحـارثَ بن نمر التنـوخيّ إلى الجزيـرة ليأتيه بمن كان في طاعة عليّ، فأخذ من أهل دارا[5] سبعة نفر من بني تَغْلب، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا عليّاً إلى معاوية، فسألوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل، فاعتزلوه أيضـاً. وكتب معاويـة إلى عليّ ليُفاديـه بمَن أسـر مَعْقِـل بن قيس من أصحـاب يـزيـد بن شَجَرة، فسيّرهم عليّ إلى معاوية، وأطلق معاوية هؤلاء، وبعث عليّ رجلاً من خثعم يقال له عبد الرحمن إلى ناحية الموصـل ليُسكّن الناس، فلقِيـه أولئك التغلبيّـون الذين اعتـزلوا معـاوية، وعليهم قُـرَيع[6] بن الحـارث التغلبيّ، فتشاتمـوا ثمّ اقتتلوا فقتلوه، فأراد عليّ أن يوجّه إليهم جيشاً، فكلّمته ربيعة وقالوا: هم معتزلون لعدوّك داخلون في طـاعتك، وإنّمـا قتلوه خطأ. فأمسك عنهم[7].

---

(١) الخبر في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٤٧٥.

(٢) في الأنساب «مواشي الناس».

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ٤٧٥، ٤٧٦، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٤/٤٨ ـ ٥٢.

(٤) الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في: أنساب الأشراف، والفتوح لابن أعثم، وهو باختصار في تهذيب تاريخ دمشق ٣/٤٦٢ وفيه: الحارث بن نمير.

(٥) في أنساب الأشراف: «داراة».

(٦) في أنساب الأشراف «قرثع».

(٧) الخبر في: أنساب الأشراف ٤٦٩، ٤٧٠، وانظر كتاب الفتوح لابن أعثم ٤/٤٥ ـ ٤٧ وفيه شعر ونصّ كتاب الإمام عليّ إلى معاوية بشأن إطلاق سراح الأسرى وهم عنده ثمانية.

ذكر أمر ابن العُشْبة

بعث معاويةُ زُهَيرَ بن مكحول العامريّ، من عـامر الأجـدار، إلى السماوة وأمـره أن يأخذ صدقات الناس، وبلغ ذلك عليّـاً، فبعث ثلاثـة نفر: جعفـر بن عبد الله الأشجعيّ، وعُروة بن العُشْبة، والجُلاس بن عُمَير الكلبيَّيْن، ليصدّقوا من في طاعته من كلْب وبكر بن وائل، فوافوا زُهيراً فاقتتلوا، فانهـزم أصحاب عليّ، وقُتـل جعفر بن عبـد الله، ولحِق ابن العُشْبـة بعليّ، فعنّفه وعـلاه بالـدِّرّة، فغضب ولحِق بمعاويـة، وكان زهيـر قـد حمـل ابن العُشْبة على فَرس، فلذلك اتّهمه[1]، وأمّا الجُلاس فإنّه مرّ براعٍ، فأخذ جبّته، وأعطاه جُبّة خزّ، فأدركته الخيل، فقالوا: أين أخذ هؤلاء الترابيّون[2]؟ فأشار إليهم: أخذوا هـا هنا، ثمّ أقبل إلى الكوفة[3].

ذكر أمر مسلم بن عُقْبة بدُومة الجندل

وبعث معاويةُ مسلمَ بن عُقْبة المرّي إلى دُومـة الجندل، وكـان أهلها قـد امتنعوا من بيعة عليّ ومعاوية جميعاً، فدعاهم إلى طاعة معاوية وبَيعتـه، فامتنعـوا، وبلغ ذلك عليّـاً، فسيّر مالك بن كعب الهمدانيّ في جمع إلى دُومة الجندل، فلم يشعر مسلم إلاّ وقـد وافاه مالك، فاقتتلوا يوماً ثمّ انصرف مسلم منهزماً، وأقام مالـك أيّامـاً يدعـو أهل دُومـة الجندل إلى البيعـة لعليّ فلم يفعلوا، وقالـوا: لا نبايـع حتى يجتمع النـاس على إمام. فـانصرف وتركهم[4].

وفيها توجّه الحارث بن مُـرَّة العَبْـديّ[5] إلى بلاد السنـد غازيـاً (متطوّعـاً بأمـر أمير المؤمنين عليّ، فغنِم وأصـاب غنائم وسبْيـاً كثيراً، وقسّم في يـوم واحد ألف رأس، وبقي غـازياً)[6] إلى أن قُتـل بـأرض القِيقـان هـو ومن معـه، إلاّ قليـلاً سنـة اثنتين وأربعين أيّـام معاوية[7].

---

(١) أي اتّهمه عليّ، كما في أنساب الأشراف.

(٢) الترابيّون: أي شيعة عليّ لأنه كان يلقّب أبا تُراب.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ٤٦٥، ٤٦٦، ولم يذكره الطبري في تاريخه.

(٤) الخبر في: أنساب الأشراف ٤٦٧.

(٥) في النسخة (ي): «العبدري».

(٦) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٧) الخبر في: فتوح البلدان ٥٣١ وتاريخ الغزوة آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ هـ. ولم يرد هذا الخبر في تاريخ الطبري.

ذكر ولاية زياد بن أبيه[1] بلاد فارس

وفي هذه السنة ولّى عليّ زياداً كَرمانَ وفارس.

وسبب ذلك أنّه لما قُتل ابن الحضرميّ، واختلف الناس على عليّ طمع أهل فارس وكَرْمان في كسْر الخراجِ، فطمع أهل كلّ ناحية وأخرجوا عاملهم، وأخرج أهل فارس سهلَ بن حُنيف، فاستشار عليّ الناس، فقال له جارية بن قُدامة: ألا أدلّك يا أمير المؤمنين على رجل صُلب الرأي، عالمٍ بالسياسة، كافٍ لما ولي؟ قال: مَنْ هو؟ قال: زياد. فأمر عليّ ابنَ عبّاس أن يولّي زياداً، فسيّره إليها في جمْعٍ كثير، فوطىء بهم أهلَ فارس، وكانت قد اضطّرمت[2]، فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يَعِد من ينصره ويُمنّيه، ويُخوّف من امتنع عليه، وضرب بعضَهم ببعض، فدلّ بعضُهم على عورة بعضٍ، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، وصفتْ له فارس ولم يلقَ منهم جمعاً ولا حرباً[3]، وفعل مثل ذلك بكرْمان. ثمّ رجع إلى فارس وسكّن الناسَ واستقامت له، ونزل إصْطَخْر، وحصّن قلعة تسمى قلعة زياد قريب إصطخر، (ثمّ تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليشكُريّ، فهي تسمّى قلعة منصور)[4]. (وقيل [إنّ] ابن عبّاس أشار بولايته، وقد تقدّم ذكره)[5].

[الوَفَيات]

وفيها مات أبو مسعود الأنصاريّ البدْريّ[6]، وقيل في أوّل خلافة معاوية، وقيل غير

---

(١) في الطبعة الأوربية «أميّة».

(٢) في النسخة (ي): «اضطربت».

(٣) في الأصل والنسخة (ي) زيادة: «إلا فرقه».

(٤) ما بين القوسين عن الأصل.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) انظر عن (أبي مسعود البدري) في:
المغازي للواقدي ٢٩٥ و٣٣١ و٧٢٤، وطبقات ابن سعد ٦/١٦، والمحبَّر لابن حبيب ٢٩٠، والتاريخ لابن معين ٢/٤١٠، ومسند أحمد ٤/١١٨ ـ ١٢٢، و٥/٢٧٢ ـ ٢٧٥، والزهد له ٢٣٥، وطبقات خليفة ٩٦ و١٣٦، وتاريخ خليفة ٢٠٢، والتاريخ الكبير ٦/٤٢٩ رقم ٢٨٨٤، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٣ رقم ٣٧، والمعرفة والتاريخ ١/٤٤٩، ٤٥٠، وأنساب الأشراف ١/٢٤٥، وتاريخ أبي زرعة ١/٥٧٦، والكنى والأسماء للدولابي ١/٥٤، وتاريخ الطبري ٤/١٢٩ و٣٣٥ و٣٥٢ و٤٢٢ و٥/٣٨ و٩٣، والجرح والتعديل ٦/٣١٣ رقم ١٧٤٠، والاستبصار ١٣٠، والاستيعاب ٣/١٠٥، ومشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٠، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٢، وأمالي المرتضى ١/٧٥، ولباب الآداب ١٣ و٢٨١، وأسد الغابة ٥/٢٩٦، ٢٩٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٢٦٧ رقم ٤٢٤، ووفيات الأعيان ٢/٤٧٩، =

ذلك، ولم يشهد بدراً وإنّما قيل له بدريّ لأنّه نزل ماء بدر، وانقرض عقبه.

= وتهذيب الكمال ٢/٩٤٨، والعبر ١/٤٦، والكاشف ٢/٢٣٨ رقم ٣٩٠٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٥٧ـ ٦٥٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٤ رقم ٩١، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩٣ ـ ٤٩٦ رقم ١٠٣، ومرآة الجنان ١/١٠٧، وتهذيب التهذيب ٧/٢٤٧ ـ ٢٤٩ رقم ٤٤٦، وتقريب التهذيب ١/٢٧ رقم ٢٤٩، والإصابة ٢/٤٩٠، ٤٩١ رقم ٥٦٠٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٦٩.

٤٠
ثم دخلت سنة أربعين

ذكر سريّة بُسْر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن[١]

في هذه السنة بعث معاويةُ بُسْـرَ بن أبي أرطاة، وهـو من عامـر بن لُؤيّ، في ثلاثـة آلاف، فسار حتى قدِم المدينة، وبها أبو أيّـوب الأنصاريّ عـامل عليّ عليهـا، فهرب أبـو أيّوب فأتَى عليّاً بالكوفة، ودخل بُسْر المدينة ولم يقاتلْه أحد، فصعِد منبرَها فنادى عليه: يا دينـار، يا نجّـار، يا زُرَيْق! وهـذه بـطونٌ من الأنصـار، شيْخي شيْخي، عهـدتُـه هـا هنـا بالأمسِ، فأين هـو؟ يعني عثمان. ثمّ قـال: واللّهِ لولا مـا عهد إليّ معـاوية مـا تركتُ بهـا محتلماً[٢]. فأرسل إلى بني سَلِمة فقـال: واللّهِ ما لكم عنـدي أمان حتى تـأتوني بجـابر بن عبد الله! فانـطلق جابـر إلى أمّ سَلِمة زوج النبي ﷺ فقـال لها: مـاذا تَرَيْن؟ إنّ هـذه بيعة ضلالة، وقد خشيتُ أن أُقتَل. قالت: أرى أن تبايع، فإنّي قد أمرتُ ابني عمـر وختَني ابن زَمْعَة أن يُبايعا، وكانت ابنتها زينب تحت ابن زَمْعَة، فأتاه جابر فبايعه.

وهدم بالمدينة دُوراً ثمّ سار إلى مكّة، فخاف أبو موسى الأشعريّ أنْ يقتله، فهـربَ منه، وأكره الناس على البيعة. ثمّ سار إلى اليمن، وكان عليها عُبيد الله بن عبّـاس عامـلاً لعليّ، فهـرب منـه إلى عليّ بـالكـوفـة. واستخلف عليّ [على] اليمن عبـد الله بن عبـد المدان الحارثيّ، فأتاه بُسـر فقتله، وقتل ابنَـه، وأخذ ابنين لعُبيـد الله بن عبّاس صغيـرين هما: عبد الرحمن، وقُثَم فقتلهما، وكانا عند رجل من كِنانة بالبادية، فلمّا أراد قتْلهما قال

---

(١) انظر عن هذا الخبر في:
تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبري ٥/ ١٣٩ وما بعدها، وأنسـاب الأشراف (تحقيق المحمـودي) ٤٥٣ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٧ ـ ٢٠٠، وتـاريخ الإسلام (عهد الخلفـاء الراشـدين) ٦٠٧، ومروج الـذهب ٣/ ٣٠، ٣١، ونهايـة الأرب ٢٠/ ٢٥٨ ـ ٢٦٤، والاستيعـاب ١/ ١٥٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٥/ ١٣٩ زيادة: «إلّا قتلته. ثم بايع أهل المدينة».

له الكِنانيّ: لِمَ تقتل هذين ولا ذَنْبَ لهما؟ فإن كنتَ قاتِلَهما فاقتلْني معهما! فقتله وقتلهما بعده[1]. وقيل إنّ الكنانيّ أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول:

اللّيثُ مَنْ يَمنع حافاتِ الدّار ... ولا يزال مُصْلِتاً دون الجار

وقاتل حتى قُتل. وأخذ الغلامين فدفنهما. فخرج نِسوة من بني كِنانة، فقالت امرأة منهنّ: يا هذا! قتلتَ الرّجال فعلامَ تقتل هذين؟ واللّهِ ما كانوا يُقْتَلون في الجاهليّة والإسلام! والله يا ابن أبي أرطاة إنّ سلطاناً لا يقوم إلاّ بقتْل الصبيّ الصغير، والشيخ الكبير، ونزْع الرحمة، وعقوق الأرحام لسلطان سوء[2]!.

وقتل بُسْر في مسيره ذلك جماعةً من شيعة عليّ باليمن، وبلغ عليّاً الخبرُ، فأرسل جاريةَ بن قُدامة السعديّ في ألفين، ووهْبَ بن مسعود في ألفين، فسار جاريةُ حتى أتى نجران، فقتل بها ناساً من شيعة عثمان، وهرب بُسر وأصحابه منه، واتّبعه جاريةُ حتى أتى مكّة فقال: بايعوا أمير المؤمنين. فقالوا: قد هلك فلمنْ نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب عليّ. فبايعوا خوفاً منه[3].

ثمّ سار حتى أتَى المدينة وأبو هُريرة يصلّي بالناس، فهرب منه، فقال جاريةُ: لو وجدتُ أبا سِنّور لقتلته. ثمّ قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن عليّ، فبايعوه، وأقام يومه، ثمّ عاد إلى الكوفة، ورجع أبو هُريرة يصلّي بهم[4].

وكانت أمّ ابنَيْ عُبيد الله أمّ الحَكَم جُويرية بنت خُوَيلد بن قارظ[5]، (وقيل: عائشة بنت عبد الله[6] بن عبد المُدان)[7]. فلمّا قُتل ولداها وَلِهَتْ عليهما، فكانت لا تعقل ولا تُصْغي، ولا تزال تنشدهما في المواسم فتقول:

---

(١) الخبر باختصار عن تاريخ الطبري ٥/١٣٩، ١٤٠، ومروج الذهب ٣/٣٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) هذا الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٨، ١٩٩، وأنساب الأشراف ٤٥٦، ٤٥٧، ومروج الذهب ٣/٣٠، ٣١، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٦، ٢٢٧ وفيه ورد الشعر هكذا:

الليث من يمنع حافات الدار ... ولا يزال مصاناً دون الدار

ألا فتى أروع غير غدار

(٣) تاريخ الطبري ٥/١٤٠.

(٤) الطبري ٥/١٤٠.

(٥) أنساب الأشراف ٤٥٦، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٨، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٧، مروج الذهب ٣/٣٠.

(٦) قال هشام بن الكلبي: «من قال إن أمّهما عائشة بن عبد الله بن عبد المدان فقد أخطأ، لم تلد عائشة إلاّ العباس وعالية. (تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٧).

(٧) ما بين القوسين من النسختين (ي) و (ر).

يـا[1] مَنْ أحسّ بُنَيَّيَّ[2] اللّذَينِ هما — كـالـدُّرّتينِ تشظّى[3] عنهما الصَّـدَفُ
يـا مَـنْ أحسّ بُنَـيَّـيَّ[4] اللّذَيـنِ هـمـا — مُـخّ العـظام فمخّي اليـومَ مُـزْدهَفُ
يـا مَـنْ أحسّ بُنَـيَّـيَّ[5] اللّذَيـنِ هـمـا — قلبي وسمعي، فقلبي[6] اليـومَ مُختطَفُ
مـن ذلّ والهـةٍ حَـيـرَى[7] مُـدَلَّهَـةٍ[8] — على صَبيِّينِ ذلّا[9] إذ غـدا السّلَفُ[10]
نُبّئتُ بُسـراً[11] وما صَدّقتُ ما زَعمـوا — من إفكهم ومن القول[12] الذي اقترفوا[13]
أحنى[14] على وَدجَيْ[15] إبنيّ[16] مُـرْهَفَةً — منَ الشّفارِ[17]، كذاكَ[18] الإثمُ[19] يُقترَفُ[20]

وهي أبيات مشهورة[21]، فلمّا سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزِعَ جزَعـاً شديـداً ودعا على بُسْر فقال: اللهمّ اسلبْه دينه وعقله! فأصابه ذلك وفـقـدَ عقلَه، فكان يهـذي بالسيف ويطلبه فيؤتَى بسيفٍ من خشب، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ، فلا يزال يضربه، ولم يـزل كذلك حتى مات[22].

---

(١) في جميع المصادر «ها» بدل «يا».
(٢) في الطبعة الأوربيـة «بينيّ»، وفي مروج الذهب، «من ابنيّ»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «يا بني».
(٣) في تهذيب تاريخ دمشق «تجلّى».
(٤) في الطبعة الأوربيـة «بينيّ»، وفي مروج الذهب «من ابنيّ»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «يا بني».
(٥) الملحوظة السابقة.
(٦) في مروج الذهب «فعقلي».
(٧) في أنساب الأشراف «حراء» وفي تاريخ اليعقوبي «حرّى» وكذا في تهذيب تاريخ دمشق.
(٨) في النسخة (ي): «حرى مولهة»، وفي أنسـاب الأشراف «ثـاكلة» وكذا في تـاريخ اليعقـوبي، وفي تهذيب تاريخ دمشق: «من ذا لوالهة حرّى مفجعة».
(٩) في تاريخ اليعقوبي، وأنساب الأشراف، وتهذيب تاريخ دمشق «ضلا».
(١٠) هذا البيت ليس في مروج الذهب.
(١١) في الأصل تحرّف إلى «بشراً»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «حُدّثت بُسْراً».
(١٢) في جميع المصادر: «من قولهم ومن الإفك».
(١٣) في مروج الذهب، وتهذيب تاريخ دمشق: «الذي وصفوا».
(١٤) في أنساب الأشراف، وتاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب «أنحى». وفي تهذيب تاريخ دمشق «أثمى».
(١٥) في تهذيب تاريخ دمشق «زوجي».
(١٦) في أنساب الأشراف «طفليّ».
(١٧) في النسخة (ي) ونسخـة المتحف البـريـطاني «الشعـار». وفي جميـع المصـادر: «مشحـوذة» بـدل «من الشفار».
(١٨) في تهذيب تاريخ دمشق «وكلال».
(١٩) في تاريخ اليعقوبي «الأمر».
(٢٠) في الطبعة الأوربيـة، وتهذيب تاريخ دمشق «يعترف». وفي تاريخ اليعقوبي «مقترف».
(٢١) وردت بتقـديم وتأخيـر في: تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٩، وأنسـاب الأشراف ٤٥٧، ومـروج الذهب ٣/٣١، وأمالي الطوسي، وتاريخ دمشق، تحقيق دهمان ١٠/١٥، وتهذيبه ٣/٢٢٦.
(٢٢) أنساب الأشراف ٤٦٠.

ولما استقرّ الأمر لمعاوية دخل عليه عُبيد الله بن عبّاس، وعنده بُسْر، فقال لبُسْر: وددْتُ أنّ الأرض أنبتتني عندك حين قتلتَ ولديّ. فقال بُسْر: هاك سيفي. فأهوى عُبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبُسْر: أخزاك الله شيخاً قد خرِفْتَ! واللَّهِ لو تمكّن منه لبدأ بي! قال عُبيد الله: أجل، ثمّ ثنّيت به.

(سَلِمة، بكسر اللام: بطن من الأنصار)[1].

وقيل: إنّ مسير بُسْر إلى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين، فأقام بالمدينة شهراً يستعرض الناس، لا يُقال له عن أحد إنّه شرك في دم عثمان إلاّ قتله[2].

وفيها جرت مهادنةٌ بين عليّ ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب، ويكون لعليّ العراق، ولمعاوية الشام، لا يدخل أحدهما بلدَ الآخر بغارة[3]

(بُسْر: بضمّ الباء الموحدة، والسين المهملة. زُرَيْق، بالزاي والراء: قبيلة من الأنصار أيضاً. وجارية بالجيم والراء).

ذكر فراق ابن عبّاس البصرة

في هذه السنة خرج عبدُ الله بن عبّاس من البصرة، ولحِق بمكّة في قول أكثر أهل السِّيَر، وقد أنكر ذلك بعضهم وقال: لم يزل عاملاً عليها لعليّ حتى قُتل عليّ، وشهد صُلْح الحَسَن مع معاوية، ثمّ خرج إلى مكة[4]. والأوّل أصحّ. وإنّما كان الذي شهِد صُلحَ الحَسَن عُبيدُ الله بنُ عبّاس.

وكان سبب خروجه أنّه مرّ بأبي الأسود فقال: لو كنتَ من البهائم لكنتَ جَملاً، ولو كنت راعياً لَمَا بلغتَ المرعى. فكتب أبو الأسود إلى عليّ: أمّا بعد، فإنّ الله، عزّ وجلّ، جعلك والياً مؤتمناً، وراعياً مستولياً، وقد بَلَوْناك فوجْدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرعيّة، توفّر لهم فَيْئَهم، وتكفّ[5] نفسَك عن دنياهم، ولا تأكل أموالهم، ولا ترتشي في أحكامهم، وإنّ ابن عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، ولم يسعْني كتمانُك، رحِمك الله، فانظرْ فيما هناك، واكتبْ إليّ برأيك فيما أحببتَ، والسلام.

---

(١) ما بين القوسين من الأصل.
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٥.
(٣) تاريخ الطبري ٥/١٤٠.
(٤) تاريخ الطبري ٥/١٤١.
(٥) في تاريخ الطبري ٥/١٤١ «وتظْلَف».

فكتب إليه عليّ: أمّا بعد، فمِثلك نصحَ الإمام والأمّة[1]، ووالى[2] على الحقّ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتَ إليّ، ولم أعلمه بكتابك، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك ممّا النظر فيه صلاح للأمّة، فإنّك بذلك جدير، وهو حقّ واجب عليك، والسلام.

وكتب إلى ابن عبّاس في ذلك، فكتب إليه ابنُ عبّاس: أمّا بعدُ، فإن الذي بلغك باطلٌ، وإنّي لِما تحت يدي لَضابطٌ، وله حافظٌ، فلا تصدّق الظنون[3] والسلام. فكتب إليه عليّ: أمّا بعد فأعلمْني ما أخذتَ من الجِزية، ومن أين أُخِذَتْ، وفيما وُضعتْ. فكتب إليه ابن عبّاس: أمّا بعدُ، فقد فهمتُ تعظيمك مرزأة ما بلغك، (أنّي رزأته من أهل هذه البلاد)[4]، فابعثْ إلى عملك مَنْ أحببتَ، فإنّي ظاعنٌ عنه، والسلام.

واستدعى أخوالَه من بني هِلال بن عامر، فاجتمعت معه (قيس كلّها)[5]، فحمل مالاً وقال: هذه أرزاقنا (اجتمعت، فتبعه أهل البصرة)[6] فلحقوه بالطَّفّ يريدون أخذَ المال، فقالت قيس: والله لا يُوصَل إليه وفينا عين تَطْرِف! فقال صَبرة بن شَيْمان الحُدّانيّ: يا معشر الأزد، إنّ قيساً إخواننا وجيراننا وأعواننا[7] على العدوّ، وإنّ الذي يصيبكم من هذا المال لقليل، وهم لكم خيرٌ من المال. فأطاعوه فانصرفوا (وانصرفت معهم بكر وعبد القيس)[8]، وقاتلهم بنو تميم، (فنهاهم الأحنف، فلم يسمعوا منه، فاعتزلهم)[9]، وحجز الناسُ بينهم، ومضى ابنُ عبّاس إلى مكّة[10].

ذكر مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السلام[11]

وفي هذه السنة قُتل عليّ في شهر رمضان لسبعَ عشرة خَلَت منه، وقيل: لإحدى

---

(١) في تاريخ الطبري زيادة «وأدّى الأمانة».
(٢) عند الطبري «ودلّ».
(٣) في طبعة صادر ٣٨٦/٣ «الظنين».
(٤) ما بين القوسين من الأصل.
(٥) من النسخة (ر).
(٦) في الأصل والنسخة (ي) بدل الموجود بين القوسين «وسار فيهم».
(٧) «وأعواناً» زيادة من النسخة (ر).
(٨) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٩) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(١٠) الخبر باختصار عن تاريخ الطبري ١٤١/٥، ١٤٢.
(١١) انظر عن هذا الخبر في:
تاريخ خليفة ١٩٨، وأنساب الأشراف ٤٨٧ وما بعدها (تحقيق المحمودي)، وتاريخ اليعقوبي ٢١٢/٢، =

عشرة، وقيل: لثلاث عشرة بقِيت منه. وقيل: في شهر ربيع الآخر سنة أربعين[1]. والأوّل أصحّ.

قال أنس بن مالك: مرض علي فدخلتُ عليه وعنده أبو بكر وعمر، فجلستُ عنده، فأتاه النبيّ ﷺ فنظر في وجهه، فقال له أبو بكر وعمر: يا نبيّ الله ما نراه إلّا ميّتاً[2]. فقال: «لن يموت هذا الآن، ولن يموت حتى يُملأ غيظاً، ولن يموت إلّا مقتولاً».

وقيل من غير وجه: إنّ عليّاً كان يقول: ما يمنع أشقاكم أن يُخضِب هذه من هـذه؟ يعني لحيته من دم رأسه[3].

وقال عثمان بن المغيرة: كان عليّ لما دخل رمضان يتعشّى ليلةً عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلةً عند أبي جعفر، لا يزيد على ثلاث لُقَم، يقـول: (أُحبّ أن)[4] يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنّما هي ليلة أو ليلتان، فلم تمضِ ليلة[5] حتى قُتل.

وقال الحسن بن كثير، عن أبيه قال: خرج عليّ من الفجر، فأقبل الإوزّ يصحْن في وجهه، فطردوهنّ عنه، فقال: ذَرُوهنّ فإنّهنّ نوائح، فضربه ابنُ مُلْجَم في ليلته[6].

وقال الحسن بن عليّ يوم قُتل عليّ: خرجتُ البارحة وأبي يصلّي في مسجـد داره، فقال لي: يا بُنيّ إنّي بتّ أوقظ أهلي، لأنّهـا ليلة الجمعة صبيحـة بدر، فملكتْني عينـاي،

= ومروج الذهب ٢/٤٢٣ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٥/١٤٣ وما بعدها، والأخبار الطوال ٢١١، والفتوح لابن أعثم ٤/١٣٦ وما بعدها، ونهاية الأرب ٢٠/٢٠٥ وما بعـدها، وتـاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠٧، وطبقات ابن سعد ٣/٣٦ وما بعدها، والاستيعاب ٣/٦١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٥، والرياض النضرة ٢/٢٤٥، ومقاتل الطالبيين ٢٨، ٢٩، والإمامة والسياسة ١/١٣٤، وشرح نهج البلاغة ٢/٤٢.

(١) تاريخ الطبري ٥/١٤٣.

(٢) في النسخة (ر) زيادة: «لِما به».

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٣/٣٣ عن الفضل بن دُكين، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل قال: دعا عليّ الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي. فردّه مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها، لَتُخْضَبَنّ، أو لَتُصْبَغَنّ هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، ثم تمثّل بهذين البيتين:

أُشْدُد حيازيمك للموت ... فإن الموت آتيك
ولا تجزعْ من القتل ... إذا حلّ بواديك

وأخرجه من طريق سنان بن حبيب، عن نُبَل بنت بدر، عن زوجها. (٣/٣٤) وابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٦٠، والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٤٧، والبلاذري في أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٥٠٠.

(٤) من النسختين (ر) و(ي).

(٥) في الأصل «الثلاث».

(٦) الفتوح لابن أعثم ٤/١٣٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٢، مروج الذهب ٢/٤٢٥.

فنمتُ، فسنح لي رسول الله ﷺ فقلتُ: يـا رسـولَ الله مـاذا لقيتَ من أمّتـك من الأَوَد واللَّدَد؟ ـ قال: والأَوَد العِوج، واللَّدَد الخصومات ـ فقـال لي: ادعُ عليهم. فقلتُ: اللهمّ أبـدلني بهم مَنْ هو خيرٌ منهم، وأبدلهم بي مَنْ هـو شرّ منّي! فجـاء ابن النبـاح[1] فـآذنـه بالصلاة، فخرج وخرجتُ خلفه، فضربه ابن مُلْجَم فقتله. (وكان، عليـه السّلام، إذا رأى ابن مُلْجَم قال:

أريـدُ حيـاتَـهُ[2] ويـريـدُ قتْـلي عـذيـرَكَ من خليلك[3] من مُـرادِ)[4]

وكان سبب قتله، أنّ عبد الـرحمن بن مُلجم المُراديّ، والبُـرَك بن عبد الله التميميّ (الصُّـرَيْميّ، وقيل اسم البُـرَك الحجّاج)[5]، وعمـرو بن بكـر التميميّ السعـديّ، وهـم من الخـوارج، اجتمعوا فتـذاكروا أمـرَ الناس، وعـابوا عمـل وُلاتهم[6] ثمّ ذكروا أهـل النهـر، فترحّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفُسنا، وقتلنا أئمّة الضّـلالة، وأرَحْنـا منهم البلاد! فقـال ابن مُلجم: أنا أكفيكم عليّـاً، (وكان من أهـل مصر)[7]. وقـال البُـرَك بن عبـد الله: أنـا أكفيكم معـاويـة. وقـال عمـرو بن بكـر: أنـا أكفيكم عمـرو بن العاص[8].

فتعـاهدوا أن لا ينكص أحـدُهم عن صاحبـه الذي تـوجّه إليـه حتى يقتله أو يمـوت دونه، وأخذوا سيوفهم فسمُّوها، واتّعدوا لسبـع عشرة من رمضـان. وقصد كـلّ رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتَى ابنُ مُلجم الكوفة، فلقي أصحابه بـالكوفـة وكتمهم أمره، ورأى[9] يوماً أصحاباً[10] له من تَيْم الرِّباب، وكان عليّ قد قتل منهم يوم النهر عدّة، فتذاكروا قتلى

---

(١) في تاريخ الإسلام ٦٤٨ «ابن النبّاح» بـالحاء المهملة. وهـو: عامـر بن النباح مؤذّن عليّ رضي الله عنـه. وانظر أنساب الأشراف ٤٩٥، ومقاتل الطالبيين ٤١، وشرح النهج ٢/ ٤٥.

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤، وأنساب الأشراف ٢ ٥٠٢ «حباءه».

(٣) في الفتوح لابن أعثم ٤/ ١٣٦ «خليلي من عذيري» وفي طبعة صادر ٣/ ٣٨٨ «خليك».

(٤) مـا بين القوسين من الأصـل. والبيت في: خـزانـة الأدب ٤/ ٢٨١، ونهـاية الأرب ٢٠/ ٢١١، والكتـاب لسيبويه ١/ ١٣٩ وفي: طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤، وأنساب الأشراف ٢ ٥٠٢، والكـامل للمبـرّد ٥٥٠، وسمط النجـوم العـوالي لعبـد الملك العصـامي ٢/ ٤٦٦، وشـرح نهـج البـلاغـة ٢/ ١٧٠، والفتـوح لابن أعثم ٤/ ١٣٦، ومقاتل الطالبيين ٣١، والإرشاد في أسماء وأئمة الهدى للمفيد ـ طهـران ١٣٣٠ ـ ص ٦، وشرح شافية أبي فراس ٩٩.

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

(٦) في تاريخ الطبري ٥/ ١٤٣ «وعابوا على ولاتهم».

(٧) من الأصل.

(٨) انظر: أنساب الأشراف ٤٨٧.

(٩) في الأصل «ومكث».

(١٠) في الأصل «عند أصحاب».

النهر، ولقي معهم امرأة من تيم الرِّباب اسمها قَطامِ، وقد قُتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال. فلمّا رآها أخذتْ قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوّجك حتى تشتفي لي[1]. فقال: وما تريدين؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبداً وقَينةً، وقتْلَ عليّ. فقال: أمّا قتل عليّ فما أراكِ ذكرتِهِ وأنتِ تريدينني[2]. قالت: بلى، التمسْ غِرّتَهُ، فإن أصبتَه شفيتَ نفسك ونفسي، ونفعك العيشُ معي[3]، وإن قُتلتَ فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها. قال: والله ما جاء بي إلّا قتلُ عليّ، فلكِ ما سألتِ. قالت: سأطلب لك من يشدّ[4] ظهرك ويساعدك. وبعثتْ إلى رجل من قومها اسمه وَرْدان وكلّمته، فأجابها، وأتى ابنُ ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بَجَرَة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وماذا؟ قال: قتْل عليّ. قال شبيب: ثكِلَتْك أمّك! لقد جئتَ شيئاً إدّاً! كيف تقدر على قتله[5]؟ قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى صلاة الغداة شَدَدْنا عليه فقتلناه، فإن نجونا فقد شَفينا أنفُسَنا، وإن قُتلنا فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها. قال: ويْحك! لو كان غير عليّ كان أهْوَن، قد عرفت سابقتَه وفضلَه وبلاءه في الإسلام، وما أجدُني أنشرح لقتله. قال: أما تعلمه قتل أهل النهر العبادَ الصالحين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من أصحابنا. فأجابه[6].

فلمّا كان ليلة الجمعة، وهي الليلة التي واعد ابنُ مُلْجَم أصحابَه على قتل عليّ، وقتْل معاوية وعمرو، أخذ سيفه ومعه شَبيب ووَرْدَان، وجلسوا مقابل السُّدّة[7] التي يخرج منها عليّ للصلاة، فلمّا خرج عليّ نادى: أيّها الناس الصلاةَ الصلاةَ. فضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعِضادة الباب، وضربه ابنُ مُلْجَم على قرنه بالسيف، (وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك)[8]! . وهرب وَرْدان فدخل منزله، فأتاه رجل من أهله، فأخبره وَرْدان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه، فضرب به وَرْدان حتى قتله.

---

(١) في النسخة (ي): «تشفيني قلبي».
(٢) عند الطبري ١٤٤/٥ «تريد مني».
(٣) عند الطبري «ويهنئك العيش بلى».
(٤) عند الطبري «يسند».
(٥) عند الطبري ١٤٤/٥ «كيف تقدر على عليّ».
(٦) تاريخ الطبري ١٤٣/٥ ـ ١٤٥، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦/٣، والفتوح لابن أعثم ١٣٤/٤، ١٣٥، وأنساب الأشراف ٤٩١، ومروج الذهب ٤٢٣/٢، ٤٢٤، والأخبار الطوال ٢١٣، ومقاتل الطالبيين ٣٢.
(٧) في الأصل والنسخة (ي): «الباب».
(٨) العبارة بين القوسين ليست في تاريخ الطبري. والعبارة باختصار عن طبقات ابن سعد ٣٧/٣، وأنساب الأشراف ٤٩٥.

وهرب شبيب في الغَلَس، وصاح الناسُ، فلحِقه رجل من حَضْرَمَوْت يقال له عُوَيْمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجلس عليه، فلمّا رأى الحضرميّ الناسَ قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا، وهرب شبيب في غُمار النّاس[1].

ولما ضرب ابن مُلْجَم عليّاً قال: لا يفوتنّكم الرجل[2]. فشدّ الناس عليه فأخذوه، وتأخّر عليّ وقدّم جَعْدَةَ بن هُبيرة، وهو ابن أخته أمّ هانىء، يصلّي بالناس الغداةَ، وقال عليّ: أحضِروا الرجل عندي. فأُدخل عليه. فقال: أي عدوّ الله! ألم أُحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذتُهُ أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه. فقال عليّ: لا أراك إلّا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شرّ خلق الله[3]. ثمّ قال: النفسُ بالنفس، إنْ هلكتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي[4]، يا بني عبد المطّلب لا أُلْفِيَنَّكُم تخوضون دماء المسلمين، تقولون قد قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتَلَنَّ إلّا قاتلي، انظر يا حسن، إنْ أنا متُّ من ضربتي[5] هذه، فاضربه ضربةً بضربة، ولا تمثّلنّ[6] بالرجل، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إيّاكم والمُثْلة ولو[7] بالكلب العَقور»[8].

(هذا كلّه)[9] وابن مُلْجَم مكتوف. فقالت له أمّ كلثوم ابنة علي: أي عدوّ الله! لا بأسٍ على أبي، والله مُخزيك! قال: فعلى من تبكين[10]؟ والله إنّ سيفي اشتريته بألف، وسممته بألف[11]، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد[12].

ودخل جُنْدَب بن عبد الله على عليّ فقال: إن فقدناك، ولا نفقِدك، فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثمّ دعا الحسنَ والحسين فقال لهما:

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٥/٥، مقاتل الطالبيين ٣٥.
(٢) طبقات ابن سعد ٣٧/٣، أنساب الأشراف ٤٩٥.
(٣) حتى هنا عند الطبري ١٤٥/٥.
(٤) تاريخ الطبري ١٤٦/٥، مقاتل الطالبيين ٣٦.
(٥) عند الطبري «من ضربته».
(٦) عند الطبري «ولا تمثّل».
(٧) عند الطبري «ولو أنها».
(٨) رواه الطبراني بإسناد منقطع. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٩/٦.
(٩) من النسخة (ر).
(١٠) في الأصل «تقولين ذلك».
(١١) في طبقات ابن سعد «لقد سممته شهراً».
(١٢) انظر طبقات ابن سعد ٣٧/٣ والخبر في تاريخ الطبري ١٤٦/٥، وفي أنساب الأشراف ٤٩٥ بأهل عكاظ، ويقال بربيعة ومُضر، ومقاتل الطالبيين ٣٦.

أوصيكما بتقوى الله، ولا[1] تبغيا الدنيا وإنْ بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوي عنكما، وقُولا الحقّ، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع[2]، واصنعا للآخرة[3]، وكونا للظالم خصيماً[4]، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله[5]، ولا تأخذْكما في الله لومةُ لائم. ثمّ نظر إلى محمد بن الحنفيّة فقال: هل حفظتَ ما أوصَيتُ به أخوَيْك؟ قال: نعم. قال: فإنّي أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم[6] حقّهما عليك (فاتبع[7] أمرهما)[8] ولا تقطع أمراً دونهما. ثمّ قال: أوصيكما به، فإنّه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أنّ أباكما كان يحبّه. وقال للحسن: أوصيك أي بُنيّ بتقوى الله، وإقامِ الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحُسْن الوضوء، فإنّه لا صلاة إلّا بطَهور[9]، وأوصيك بغفْر الذنْب، وكظْم الغيظ، وصلة الرَّحِم[10]، والحلم عن الجاهل[11]، والتفقّه[12] في الدين، والتثبّت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحُسْن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المُنْكَر، واجتناب الفواحش[13].

ثمّ كتب وصيّته، ولم ينطق إلّا بلا إلهَ إلّا الله، حتى مات، رضي الله عنه وأرضاه[14].

وغسّله الحَسَن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[15]. وكبّر عليه الحسن سبع تكبيرات[16].

---

(١) عند الطبري «وألّا».
(٢) عند الطبري «وأغيثا الملهوف».
(٣) في الطبعة الأوربية «للأخرق».
(٤) عند الطبري «خصماً».
(٥) عند الطبري «في الكتاب».
(٦) في الطبعة الأوربية «العظيم».
(٧) في الطبعة الأوربية «وتزين».
(٨) ما بين القوسين ورد بدله في النسخة (ي): «وترى حرمتهما».
(٩) عند الطبري زيادة: «ولا تقبل صلاة من مانع زكاة».
(١٠) في الطبعة الأوربية «الحرم».
(١١) عند الطبري «والحلم عند الجهل».
(١٢) في النسخة (ي): «والثقة».
(١٣) تاريخ الطبري ١٤٦/٥، ١٤٧، مروج الذهب ٤٢٥/٢، والفتوح ١٤٢/٤.
(١٤) تاريخ الطبري ١٤٨/٥.
(١٥) طبقات ابن سعد ٣٧/٣، تاريخ الطبري ١٤٨/٥، أنساب الأشراف ٤٩٦ رقم ٥٣٣، مقاتل الطالبيين، ٤١.
(١٦) مروج الذهب ٤٢٦/٢، وفي تاريخ الطبري ١٤٨/٥ «تسع تكبيرات» وفي أنساب الأشراف ٤٩٦ «كبّر عليه أربعاً». وص ٤٩٧، وفي المقاتل خمس تكبيرات.

فلمّا قُبض بعث الحسن إلى ابن مُلجَم فأحضره، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إنّي والله قد أعطيتُ الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلّا وفيتُ به، وإنّي عاهدتُ الله عند الحَطيم أن أقتل علياً ومعاوية، أو أموت دونهما، فإن شئتَ خلّيتَ بيني وبينه، فلك اللَّهُ عليّ إن لم أقتله أو قتلتُهُ، ثمّ بقيتُ أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: لا والله حتى تعاين النار. ثمّ قدّمه فقتله، وأخذه الناسُ فأدرجوه في بواريّ[1] وأحرقوه بالنار[2].

قال عمرو بن الأصمّ: قلتُ[3] للحسن بن علي: إنّ هذه الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل القيامة! فقال: كذب والله هؤلاء الشيعة[4]، لو علمنا أنّه مبعوث قبل القيامة ما زوّجنا نساءه، ولا قسّمنا ماله[5]. **أمّا قوله: هذه الشيعة، فلا شكّ أنّه يعني طائفة منها، فإنّ كلّ شيعة لا تقول هذا، إنّما تقوله طائفة يسيرة منهم، ومن مشهوري هذه الطائفة: جابر بن يزيد الجُعْفي الكوفيّ، وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه.**

بَجَرَة: بفتح الباء والجيم. (والبُرَك: بضمّ الباء الموحّدة، وفتح الراء، وآخره كاف)[6].

وأمّا البُرَك بن عبد الله، فإنّه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضُرب فيها عليّ، فلمّا خرج معاوية ليصلّي الغداة، شدّ عليه بالسيف، فوقع السيف في ألْيته، فأُخذ، فقال: إنّ عندي خبراً أسرُّك به، فإنْ أخبرتُك فنافعي[7] ذلك [عندك]؟ قال: نعم. قال: إنّ أخاً لي قد قتل علياً هذه الليلة. قال: فلعلّه لم يقدر على ذلك. قال: بلى، إنّ علياً ليس معه أحد يحرسه. فأمر به معاوية فقُتل.

وبعث معاوية إلى السّاعديّ، وكان طبيباً، فلمّا نظر إليه قال: اخترْ إمّا أن أحمي حديدة فأضعها[8] موضع السيف، وإمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإنْ ضرْبتك مسمومة، فقال معاوية: أمّا النار فلا صبر لي عليها، وأمّا الولد فإنّ في يزيد

---

(١) البواري: جمع بارية: الحصير المنسوج.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٨/٥، ١٤٩، مقاتل الطالبيين ٤١.

(٣) عند البلاذري: «قيل للحسن».

(٤) في الطبعة الأوربية «كذبوا والله هؤلاء بالشيعة». وفي أنساب الأشراف: «كذبوا ليس أولئك شيعته ولكنهم أعداؤه».

(٥) أنساب الأشراف ٢ ٥٠٢ رقم ٥٥٢، وطبقات ابن سعد ٣٩/٣.

(٦) ما بين القوسين (والبُرَك . .) من النسخة (ر).

(٧) في النسخة (ي): «فشافعي».

(٨) في الأصل «وأكوي بها».

وعبد الله ما تقرّ به عيني. فسقاه شربة فبرأ، ولم يولد له بعدها[1].

وأمر معاويةُ عند ذلك بالمقصورات، وحَرَس الليل، وقيام الشُّرَط على رأسه إذا سجد[2]. **وهو أوّل من عملها في الإسلام**. وقيل: إنّ معاوية لم يقتل البُرَك، وإنّما أمر فقُطعت يده ورِجله، وبقي إلى أن ولي زياد البصرة، وكان البُرَك قد صار إليها، ووُلد له، فقال له زياد: يُولد لك، وتركتَ أميرَ المؤمنين لا يُولد له؟ فقتله وصلبه.

وأمّا عمرو بن بكر، فإنّه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجةَ بن أبي حَبيبة، وكان صاحب شُرطته، وهو من بني عامر بن لُؤيّ، فخرج ليصلّي بالناس، فشدّ عليه وهو يرى أنّه عمرو بن العاص، فضربه فقتله، فأخذه الناس إلى عمرو، فسلّموا[3] عليه بالإمرة. فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمَنْ قتلتُ؟ قالوا: خارجةَ[4]. قال: أما واللّهِ يا فاسق ما ظننتُه[5] غيرَك! فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة. فقدّمه عمرو فقتله[6].

قال: ولما بلغ عائشةَ قتلُ عليّ قالت:

فألقتْ عَصاها واستَقَرّت[7] بها النَّوَى ... كما قَرّ عَيناً بالإيابِ المُسافرُ[8]

ثمّ قالت: مَنْ قتله؟ فقيل: رجل من مُراد. فقالت:

فإنْ يكُ نائِياً[9] فلَقَد نَعاهُ[10] ... نعيٌّ[11] ليسَ في فيهِ التّرابُ[12]

---

(١) تاريخ الطبري، مقاتل الطالبيين ٣٠.
(٢) تاريخ الطبري ٥/١٤٩، الأخبار الطوال ٢١٥.
(٣) عند الطبري ٥/١٤٩ «يسلّمون».
(٤) عند الطبري «خارجة بن حذافة».
(٥) في الأصل: «قصدت».
(٦) تاريخ الطبري ٥/١٤٩، الأخبار الطوال ٢١٦، مقاتل الطالبيين ٣٠.
(٧) في طبعة صادر ٣/٣٩٤ «واستقر».
(٨) البيت في: أنساب الأشراف ٥٠٥، وتاريخ الطبري ٥/١٥٠، وطبقات ابن سعد ٣/٤٠، ومقاتل الطالبيين ٤٢، ولسان العرب (مادّة: عصا)، وقد نُسب لعبد ربه السلمي، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفي، أو معقر بن حمار البارقي.
(٩) في الطبعة الأوربية «ناتباً»، وكذلك في: مقاتل الطالبيين.
(١٠) في مقاتل الطالبيين «بغاه».
(١١) في تاريخ الطبري ومقاتل الطالبيين «غلام».
(١٢) البيت في: تاريخ الطبري ٥/١٥٠، ومقاتل الطالبيين ٤٢.

(فقالت زينت بنت أبي سلمة: أتقولين هذا لِعَليّ؟ فقالت: إنّني أنسى، فإذا نسيتُ فذكّروني[1]. وقال ابن أبي مَيّاس المرادي:

فنحن[2] ضربنا، يا لَكَ الخيرُ، حيدراً ... أبـا حَسَنٍ مـأمـومَـةً[3] فتَفَـطّرَا

ونحنُ خلَعنـا مُلكَـهُ مِن نِـظامِـهِ ... بضـربـةِ سيفٍ إذْ عَـلا وتجَـبَّـرَا

ونحنُ كِـرامٌ في الصّبـاحِ أعِـزّةٌ ... إذا المرْءَ[4] بالموتِ ارْتدى وتأزّرَا)[5]

وقال أيضاً[6]:

ولم أرَ مَهـراً سـاقَـهُ ذو سمـاحـةٍ[7] ... كمَهـرِ قَـطامٍ بَينَ عُـرْبٍ ومُعجمِ[8]

ثـلاثـةُ آلافٍ وعـبـداً[9] وقَـيـنَـةٌ ... وضرْبُ عليٍّ بالحُسامِ المصَمِّمِ[10]

فـلا مهـرَ أغلى من عليٍّ وإنْ غَـلا ... ولا فتكَ إلّا دونَ فتكِ[11] ابن مُلجَمِ[12]

وقال أبو الأسود الدؤلي[13] في قتل عليّ:

ألا أبـلغْ معـاويـةَ بـن حَـرْبٍ[14] ... فـلا قَـرّتْ عُيـونُ الشّـامِتينَـا[15]

أفي شهـرِ الصّيـامِ فجعتمـونـا ... بخَيـرِ النّـاسِ طُـرّاً أجمَعينَـا[16]

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٠، مقاتل الطالبيين ٤٢.

(٢) عند الطبري «ونحن».

(٣) المأمومة: الشجّة التي تبلغ أم الرأس.

(٤) في النسخة (ر) وتاريخ الطبري «إذا الموت».

(٥) ما بين القوسين من قوله: (فقالت..) حتى آخر الأبيات، من الأصل. والأبيات في تاريخ الطبري ٥/ ١٥٠، وأنساب الأشراف ٥٠٨ بزيادة بيت بعد البيت الثاني.

(٦) في الأصل: «وقال الشاعر».

(٧) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «سفاهة».

(٨) ورد الشطر الثاني في: الأخبار الطوال، وتاريخ الطبري هكذا: «من فصيح وأعجم».

(٩) في الأخبار الطوال، والفتوح لابن أعثم «عبداً».

(١٠) في الفتوح «المسمّم».

(١١) في تاريخ الطبري «دون قتل».

(١٢) الأبيات في: الأخبار الطوال ٢١٤، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٠، والفتوح لابن أعثم ١٤٧/٤، وسمط النجوم العوالي ٢/ ٤٦٨، والكامل للمبرّد ٥٤٩، وشرح نهج البلاغة ٢/ ١٧١، والاستيعاب ٣/ ٤٧٢، وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ٥٠٧، ونهاية الأرب ٢٠/ ٢٠٨، وقد اختلفوا في قائل هذه الأبيات فعند الطبري: ابن أبي ميّاس المرادي، وفي سمط النجوم: للفرزدق. وفي الكامل للمبرّد نُسبت إلى ابن ملجم. وفي الأخبار الطوال: وقال الشاعر. وفي الفتوح لابن أعثم: نسبت للعبدي.

(١٣) وقيل لأم الهيثم بنت الأسود النخعيّة. (مقاتل الطالبيين ٤٣) و (نهاية الأرب ٢٠/ ٢١٦).

(١٤) في نهاية الأرب:

«ألا قُـلْ لـلخـوارج حيـث كـانـوا»

(١٥) هذا البيت ليس في: مقاتل الطالبيين.

(١٦) هذا البيت ليس في: أنساب الأشراف.

قتَلتم[١] خيـرَ مَنْ ركبَ الـمَـطايـا ... ورحَّـلهـا[٢] ومَن ركـبَ السَّـفـينَـا
ومَن لَبسَ النِّعـالَ (ومن حـذاهـا)[٣] ... ومَـن قــرَأ المَـثـانيَ والـمئـينَــا[٤]
إذا استَقـبلتَ وجـهَ أبـي حسَـينٍ[٥] ... رأيتَ البَـدرَ راعَ[٦] النّـاظـرينَـا[٧]
لقـد علمتْ قـرَيشٌ حيثُ كـانتْ[٨] ... بـأنـك خيـرُهـا[٩] حَسَبـاً ودِينَـا[١٠]

(وقال بكر بن حمّاد التاهرتيّ[١١]:

قـلْ لابنِ مُلجَمَ والأقـدارُ غـالبـةٌ: ... هـدَمتَ للدّينِ والإسلام[١٢] أركـانَـا
قتَلتَ أفضَـلَ مَن يَمشي على قَـدَمٍ ... وأعـظَمَ[١٣] النّاسِ إسلاماً وإيمـانَـا
وأعلَمَ النّـاسِ بـالقـرآنِ ثمّ بمـاً ... سَنّ الـرّسُـولُ لَنا شـرْعـاً وتَبيـانَـا
صِهْـرَ النّبيّ ومـولاهُ[١٤] ونـاصـرَهُ ... أضحَتْ مَنـاقِبُـهُ نُـوراً وبُـرْهـانَـا
وكـانَ منـهُ على رُغمِ الحَسـودِ لـهُ ... مكان هارونَ من موسَى بن عِمرانَـا
ذكـرْتُ قـاتلَهُ والـدّمـعُ منحـدِرٌ ... فقلتُ سبحانَ رَبّ العرْشِ[١٥] سبحانَا
إنّي لأحسَبُـهُ مـا كـانَ من أنسٍ[١٦] ... كـلاّ ولكنّـهُ قـد كـان[١٧] شيـطانَـا

---

(١) في: مقاتل الطالبيين «رزئنا».
(٢) في: الأغاني، ومقاتل الطالبيين: «وخيّسها»، وفي: مروج الذهب، ونهاية الأرب «وذلّلها»، وفي: أنساب الأشراف: «وأكرمهم».
(٣) في النسخة (ي): «واحتذاها».
(٤) في تاريخ الطبري، ومروج الذهب، ونهاية الأرب «والمبينا». وفي أنساب الأشراف، والأغاني: «المئينا».
(٥) في نهاية الأرب: «أبي تراب».
(٦) في الأغاني: «راق». وفي مروج الذهب، ونهاية الأرب: «فوق».
(٧) هذا البيت ليس في أنساب الأشراف، ومقاتل الطالبيين.
(٨) في الأغاني: «حيث حلّت».
(٩) في أنساب الأشراف، ومروج الذهب، ونهاية الأرب: «خيرهم».
(١٠) هذا البيت ليس في مقاتل الطالبيين. وانظر الأبيات في: أنساب الأشراف ٥٠٨، وتاريخ الطبري ٥/١٥٠، ١٥١، والأغاني ١٢/٣٢٩، ومروج الذهب ٢/٤٢٨، ومقاتل الطالبيين ٤٣، ٤٤، ونهاية الأرب ٢٠/٢١٦، ٢١٧، والاستيعاب ٣/٦٦، وإنباه الرواة ١/١٩، وهي في ديوان أبي الأسود الدؤلي ٣٢.
(١١) في طبعة صادر ٣/٣٩٥ «حساد الباهري» وهو تصحيف.
(١٢) في مروج الذهب «هدمت ويلك للإسلام»، وفي نهاية الأرب «هدمت ويحك للإسلام».
(١٣) في مروج الذهب، ونهاية الأرب: «وأول».
(١٤) في المروج «ومولانا».
(١٥) في المروج، والنهاية: «رب الناس».
(١٦) في المروج، والنهاية «من بشر».
(١٧) في الطبعة الأوربية: «لكان»، وفي المروج، والنهاية: «يخشى المعاد ولكن كان».

قد كان يخبرُهم [هذا] بمَقْتَلِه[1] قبلَ المنيّةِ أزماناً فأزمانا

فلا عَفَا اللَّهُ عنه سوءَ فِعلَتِهِ[2] ولا سقى قبرَ عِمرانَ بنِ حطّانَا[3]

يا ضربةً مِنْ شَقيٍّ[4] ما أرادَ بها إلّا ليَبلغَ من ذي العرْشِ رُضْوانَا

بل ضرْبة من غَويٍّ أوْرَدتهُ[5] لظىً وسوفَ يلقى بها الرّحمنَ[6] غضبانَا

كأنّهُ لم يُرِدْ قصْداً بضرْبتِهِ إلّا ليَصلَى عذابَ الخُلدِ نِيرانَا)[7]

ذكر مدّة خلافته ومقدار عُمره

وقد قال بعضهم: كانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر[8]، وكان عُمره ثلاثاً وستّين سنة[9]، وقيل: كان عمره تسعاً وخمسين، وقيل: خمساً وستّين، وقيل: ثمانياً وخمسين[10]. والأوّل أصحّ. ولما قُتل دُفن عند مسجد الجماعة[11]، وقيل: في القصر، وقيل غير ذلك. (والأصحّ أنّ قبره هو الموضع الذي يُزار ويُتبرّك به)[12].

ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده

كان آدَم شديد الأدْمة، ثقيل العينَين عظيمهما، ذا بطنٍ، أصلع، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر، هو إلى القِصَر أقرب[13]، وقيل: كان فوق الرَّبْعة، وكان ضخم عضلة

(١) في المروج، والنهاية: «قد كان يخبرهم أنْ سوف يخضبها».

(٢) في المروج، والنهاية: «فلا عفا الله عنه ما تحمّله».

(٣) في الطبعة الأوربية:

فلا عنى الله عنها ما عمله قبرَ عمران بن خطّانا

وفي مروج الذهب «حطابا» وهو غلط.

وعمران بن حطّان شاعر مشهور له أبيات يمدح فيها ابن ملجم لقتله عليّ رضي الله عنه. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (بتحقيقنا) حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ. في حرف العين من وفيات الطبقة الثامنة.

(٤) في المروج، والنهاية: «من تقيّ».

(٥) في المروج: «أورثته».

(٦) في المروج: «مخلداً قد أتى الرحمن».

(٧) ما بين القوسين من أول قوله: وقال بكر.. حتى هنا، من النسختين (ي) و(ر). والأبيات من جملة أبيات أخرى في: مروج الذهب ٢/٤٢٧، ٤٢٨، ونهاية الأرب ٢٠/٢١٤، ٢١٥.

(٨) تاريخ الطبري ٥/١٥١، وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٣ «وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر».

(٩) تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٢، تاريخ الطبري ٥/١٥١.

(١٠) تاريخ خليفة ١٩٩.

(١١) طبقات ابن سعد ٦/١٢، تاريخ الطبري ٥/١٥٢.

(١٢) ما بين القوسين من النسختين (ي) و(ر).

(١٣) طبقات ابن سعد ٣/٢٧، تاريخ الطبري ٥/١٥٣، أنساب الأشراف ١٢٦ رقم ٩٣.

الذِّراع، دقيق مستدقِّهـا، ضخم عضلة الساق، دقيق مستـدقِّها[1]، وكـان من أحسن الناس وجهاً، ولا يُغيِّر شيبَه، كثير التبسّم.

وأمّا نسبُه فهو عليّ بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مَناف (بن عبد المطّلب بن هـاشم، وأمّه فـاطمـة بنت أسـد بن هـاشم بن عبـد منـاف)[2]. **وهـو أوّل خليفـة، أبـواه هاشميّان، ولم يلِ الخلافة إلى وقتنا هذا مَنْ أبواه هاشميّان غيـره، وغير الحسن ولـده، ومحمّد الأمين، فإنّ أباه هارون الرشيد وأمّه زبَيدة بنت جعفر بن المنصور**[3].

وأمّا أزواجه، فأوّل زوجة تزوّجهـا فاطمة بنت رسـول الله ﷺ لم يتزوّج عليهـا حتى تُوفّيت عنده، وكان له منها: الحَسَن والحسين، وقد ذُكر أنّه كان له منهـا ابن آخر يُقـال له مُحَسّن، وأنّه توفّي صغيراً، وزينب الكبرى، وأمّ كلثوم الكبرى. ثمّ تزوّج بعدها أمّ البنين بنت حَـرام[4] الكلابيّـة، فولـدت لـه العبّـاسَ، وجعفـراً، وعبدَ الله، وعثمـان، قُتلوا مـع الحسين (بالطَّفّ، ولا بقيّة لهم غير العبّـاس؛ وتزوّج ليلى بنت مسعـود بن خالـد النهشليّة التميميّة، فولـدت له عُبيـدَ الله وأبا بكـر، قُتلا مـع الحسين)[5]. وقيل: إنّ عُبيـد الله قتله المختار بالمَذار[6]، وقيل: لا بقيّة لهما. وتزوّج أسماءَ بنت عُميس الخَثْعَميّـة، فولـدت له محمّـداً الأصغـر، ويحيَـى، ولا عقِب لهمـا. وقيـل: إنّ محمـداً لأمّ ولـد، وقُتـل مـع الحسين. وقيل: إنّها ولدت له عَوْناً. وله من الصَّهْباء بنت ربيعة التغلبيّة، وهي من السبْي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التّمر، وولدتْ له عمرَ بنَ عليّ، ورُقيّـة بنت عليّ، فعمّر عمر حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراث عليّ، ومات بيَنْبُـع. وتزوّج عليّ أُمـامة بنت أبي العـاص بن الربيـع بن عبد العُـزّى بن عبد شمس، وأمّهـا زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له محمداً الأوسط، وله محمـد بن عليّ الأكبر، الـذي يقال لـه ابن الحنفيّة، أمّه خَولة بنت جعفر، من بني حنيفة. وتـزوّج عليّ أيضاً أمّ سعيـد ابنة عُـرْوة بن مسعود الثقفيّة، فولدت له أمَّ الحسن، ورملة الكبرى، (وأمّ كلثـوم)[7]، وكان لـه بنات من أمّهات شتى لم يُذكرن لنا، منهنّ أمّ هانىء، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأمّ كلثوم الصغرى، وفـاطمة، وأُمـامة، وخـديجة، وأمّ الكـرام، وأمّ سَلَمة، وأمّ جعفـر،

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٦/٣.
(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٣) هذا القول للمؤلف، رحمه الله.
(٤) عند الطبري ١٥٣/٥ «حزام».
(٥) ما بين القوسين من الأصل.
(٦) في نسخة المتحف البريطاني، والنسخة (ي): «بالمدائن».
(٧) زيادة من الأصل، والنسخة (ر)، وهي ليست في تاريخ الطبري.

وجُمانة، ونفيسة[1]، كلّهنّ من أمّهات أولاد. وتزوّج أيضاً مَخْبّاة[2] بنت امرىء القيس بن عدِيّ الكلبيّة، فولدت له جارية هلكت صغيرة، كانت تخرج إلى المسجد فيقال لها: مَنْ أخوالك؟ فتقول: وَهْ وَهْ، تعني كلْباً.

فجميع ولده أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة امرأة، وكان النَّسْل منهم للحَسَن، والحسين، ومحمد بن الحنفيّة، والعبّاس بن الكلابيّة، وعمر بن التغلبيّة[3].

ذكر عُمّاله

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عبّاس، وقد ذكرنا الاختلاف في أمره، وكان إليه الصدقات والجُند والمعاون أيّام ولايته كلّها[4]، وكان على قضائها من قِبَل عليّ أبو الأسود الدؤلي[5]، وكان على فارس زياد، وقد ذكرنا مسيره إليها، وكان على اليمن عُبيد الله بن عبّاس، حتى كان من أمره وأمر بُسْر بن أبي أرطاة ما ذُكر[6]، وكان على الطائف ومكّة وما اتّصل بذلك قُثَم بن عبّاس[7]، وكان على المدينة أبو أيّوب الأنصاري، وقيل: سهل بن حُنَيف، وكان عند قدوم بُسْر عليه من أمره ما كان، وذُكر[8].

ذكر بعض سيرته

كان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ خازناً لعليّ على بيت المال، فدخل عليّ يوماً وقد زُيّنت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: من أين لها هذه؟ لأقطعنّ يدها! فلما رأى أبو رافع جِدّه في ذلك قال: أنا والله يا أمير المؤمنين زيّنتها بها[9]. فقال علي: لقد تزوّجتُ بفاطمة وما لي فِراش إلّا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها.

قال ابن عبّاس: قُسم على الناس خمسة أجزاء، فكان لعليّ منها أربعة أجزاء،

---

(١) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «نقية».
(٢) في نسخة مكتبة بودليان «مخياة»، وفي النسخة (ي): «مجيات»، وفي تاريخ الطبري ١٥٥/٥ «محيّاة».
(٣) تاريخ الطبري ١٥٣/٥ ـ ١٥٥، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢١٣/٢، وطبقات ابن سعد ١٩/٣، وأنساب الأشراف ١٨٩ ـ ١٩٦.
(٤) تاريخ خليفة ٢٠١، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
(٥) تاريخ خليفة ٢٠٠، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
(٦) تاريخ خليفة ٢٠٠، تاريخ الطبري ١٥٥/٥.
(٧) خليفة ٢٠١، الطبري ١٥٥/٥.
(٨) خليفة ٢٠١، الطبري ١٥٦/٥.
(٩) تاريخ الطبري ١٥٦/٥.

ولسائر الناس جزء شاركهم عليّ فيه، فكان أعلمهم به.

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب النبيّ ﷺ ما جاء لعليّ.

وقال عمرو بن ميمون: لما ضُرب عمر بن الخطّاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة، فلمّا خرجوا من عنده قال: إن يولوّها الأجلح يسلك بهم الطريق، فقال له ابنه عبد الله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين (من توليته)[1]؟ قال: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميتاً.

وقال عاصم بن كُليب عن أبيه: قدِم على عليّ مالٌ من أصبهان، فقسّمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فقسّمه على سبعة، ودعا أمراء الأسباع، فأقرع بينهم لينظر أيّهم يُعْطى أولاً.

وقال هارون بن عنترة، عن أبيه: دخلتُ على عليّ بالخَوَرْنَق، وهو فصل شتاء، وعليه خَلَق قطيفة، وهو يُرْعد فيه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنّ اللَّهَ قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك؟ فقال: والله ما أرزأكم شيئاً، وما هي إلّا قطيفتي التي أخرجتُها من المدينة.

وقال يحيَى بن سَلِمة: استعمل عليّ عمرو بن سَلِمة على أصبهان، فقدِم ومعه مال، وزِقاقٌ فيها عَسَل وسمْن، فأرسلتْ أمّ كلثوم بنت عليّ إلى عمرو تطلب منه سمْناً وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عَسَل وظرف سمن. فلمّا كان الغد خرج عليّ وأحضر المال والعسل والسمن ليُقْسَم، فعدّ الزّقاق فنقصت زقّين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلّا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أمّ كلثوم فأخذ الزقّين منها، فرآهما قد نقصا، فأمر التُّجّار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثمّ قسم الجميع.

وقيل: وخرج من همدان، فرأى رجلين يقتتلان، ففرّق بينهما ثمّ مضى، فسمع صوتاً: يا غوثاه بالله! فخرج يحضر نحوه وهو يقول: أتاك الغوث. فإذا رجل يلازم رجلاً. فقال: يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوباً بسبعة دراهم، وشرطتُ أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً، وكان شرْطهم يومئذ، فأتاني بهذه الدراهم، فأتيتُ ولزمته، فلطمني. فقال للّاطِم: ما تقول؟ فقال: صدق يا أمير المؤمنين. فقال: أعطه شرْطه. فأعطاه. وقال للملطوم: اقتصّ. قال: أوَأعفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك إليك. ثمّ قال: يا معشر المسلمين خذوه، فأخذوه، فحُمل على ظهر رجل كما يُحمل صبيان الكُتّاب، ثمّ ضربه

---

(١) من الأصل.

خمس عشرة دِرّة وقال: هذا نكالٌ لما انتهكت من حُرمته[1].

ولما قُتل، عليه السَّلام، قام ابنه الحسن خطيباً فقال: لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رُفع عيسى، وفيها قُتل يُوشع بن نون، واللَّهِ ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله ﷺ يبعثه في السريّة وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واللَّهِ ما ترك (صفراء ولا بيضاء)[2] إلاّ ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية[3].

وقال سفيان: إنّ عليّاً لم يبنِ آجُرّة على آجرّة، ولا لَبِنَةً على لبنة، ولا قصبةً على قصبة، وإن كان ليؤتَى بحبوبه من المدينة في جراب.

(وقيل: إنّه أخرج سيفاً له إلى السوق فباعه وقال: لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار[4] لم أبعه. وكان لا يشتري ممّن يعرفه، وإذا اشترى قميصاً قدّر كمّه على طول يده، وقطع الباقي)[5]. وكان يختم على الجُراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أُحبّ أن يدخل بطني إلاّ ما أعلم.

وقال الشَّعْبيّ: وجد عليّ درعاً له عند نصرانيّ، فأقبل به إلى شُرَيْح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويتُه، وقال: هذه درعي! فقال النصرانيّ: ما هي إلاّ درعي، ولِمَ يكذب أمير المؤمنين؟ فقال شُريح لعليّ: ألك بيّنة؟ قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصرانيّ الدرع ومشى يسيراً، ثمّ عاد وقال: أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه. ثمّ أسلم واعترف أنّ الدرع سقطتْ من عليّ عند مسيره إلى صفّين، ففرح عليّ بإسلامه، ووهب له الدرعَ وفرساً، وشهد معه قتال الخوارج.

وقيل: إنّ عليّاً رُؤي وهو يحمل في ملحفته تمراً قد اشتراه بدرهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحقّ بحمله.

وقال الحسن بن صالح: تذاكروا الزُّهّاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب.

وقال المدائنيّ: نظر عليّ إلى قوم ببابه، فقال لقنبر مولاه: مَنْ هؤلاء؟ قال:

---

(١) تاريخ الطبري ٥/١٥٧.

(٢) في نسخة مكتبة بودليان: «بيضاء ولا سوداء».

(٣) في النسخة (ي): «بجارية». والخبر في تاريخ الطبري ٥/١٥٧.

(٤) في النسخة (ي): «أرز».

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

شيعتك يا أمير المؤمنين. قال: وما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة؟ قال: وما سيماهم؟ قال: خُمْص البطون من الطوى، يُبْس الشفاه من الظمإ، عُمْش العيون من البكاء.

(ومناقبه لا تُحصى، قد جمعتُ قضاياه في كتاب مفرد)[1].

ذكر بيعة الحسن بن عليّ

وفي هذه السنة، أعني سنة أربعين، بُويع الحسن بن عليّ بعد قتل أبيه. وأوّل من بايعه قيس بن سعد الأنصاريّ، وقال له: ابسطْ يدك أبايعْك[2] على كتاب الله وسُنّة نبيّه، وقتال المُحِلّين. فقال الحسن: على كتاب الله وسنّة رسوله، فإنّهما يأتيان على كلّ شرط. فبايعه الناس[3]. وكان الحسن يشترط عليهم: إنّكم مطيعون تُسالمون مَنْ سالمتُ، وتحاربون مَن حاربتُ. فارتابوا بذلك وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلّا القتال.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة المُغيرةُ بن شُعْبة[4]، وافتعل كتاباً على لسان معاوية[5]، فيقال: إنّه عرّف يوم التروية، ونحر يوم عَرَفة خوفاً أن يُفْطَن لفعله[6]. وقيل: فعل ذلك لأنّه بلغه أنّ عُتبة بن أبي سفيان مصبّحه والياً على الموسم[7].

وفيها بُويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس[8]، وكان قبل ذلك يُدعى بالأمير في بلاد الشام، فلمّا قُتل عليّ دُعِي بأمير المؤمنين، (هكذا قال بعضهم)[9]، وقد تقدّم أنّه بُويع بالخلافة بعد اجتماع الحكَمَين، (والله أعلم. وكانت خلافة الحسن ستّة أشهر)[10].

[الوَفَيات]

وفيها مات الأشعث بن قيس الكِنديّ[11] بعد قتل عليّ بأربعين ليلة، وصلّى عليه

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين (ر) و(ي).

(٢) من النسخة (ر) والأصل.

(٣) تاريخ الطبري ٥/١٥٨.

(٤) تاريخ خليفة ١٩٩، تاريخ الطبري ٥/١٦٠، مروج الذهب ٤/٣٩٧.

(٥) زاد الطبري ٥/١٦٠: «فأقام للناس الحج سنة أربعين».

(٦) عند الطبري «أن يفطن بمكانه».

(٧) الطبري ٥/١٦٠، ١٦١.

(٨) عند الطبري ٥/١٦١ «بإيلياء» وهما بمعنى.

(٩) من النسخة (ر).

(١٠) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(١١) انظر عن (الأشعث بن قيس) في:

الحسن بن عليّ. وفيها مات حسّان بن ثابت[1]، وأبو رافع[2] مولى رسول الله ﷺ وهما من

= طبقات ابن سعد ٦/٢٢، ٢٣، والمحبّر لابن حبيب ٦٤ و ٩٥ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٥١ و ٢٦١ و ٢٩١ و ٣٠٢ و ٤٥٢، وطبقات خليفة ٧١ و ١٣٣، والبرصان والعرجان ٣٦٢، وسيرة ابن هشام ٤٦، و ٢٢٨ و ٢٩٧، والتاريخ الكبير ١/٤٣٤ رقم ١٣٩٦، والتعليقات والنوادر رقم ١٠٦٣، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٦٨ و ١٨٩ و ٣٣٣ و ٥٥١ و ٥٥٥ و ٥٨٦، والأخبار الطوال ٥٢ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٥٦ و ١٦٩ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٨٨ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١١ و ٢٢٤، والمسند لأحمد ٥/٢١١ - ٢١٣، والمعرفة والتاريخ ١/٢٢٦ و ٦٦٨، وفتوح البلدان ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٦٠ و ٣١٥ و ٣٢٥ و ٣٣٦ و ٣٧١ و ٣٧٤ و ٣٧٨ و ٤٠١ و ٤٠٣ و ٤٠٦، وأنساب الأشراف ١/١٢٤ و ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٥/٢٦٢، والجرح والتعديل ٢/٢٧٦، ٢٧٧، رقم ٩٩٤، وأخبار القضاة لوكيع ٢/٢٠١ و ٢١٦ و ٢٣٣ و ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٣٠٢ و ٣/٣٨، وتاريخ الطبري (أنظر فهرس الأعلام) ١٠/١٨٣، والكنى والأسماء للدولابي ١/٥٢، والخراج وصناعة الكتابة ٣٢٩ و ٣٧٩ و ٣٨٠، ومشاهير علماء الأمصار ٤٥ رقم ٢٨٢، وثمار القلوب ٧٨ و ٨٥ و ٨٩ و ٩١، والثقات لابن حبّان ٣/١٣، ١٤، والمعجم الكبير ١/٣٣٢ - ٣٣٨ رقم ٤٠، والاستيعاب ١/١٠٩ - ١١١، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام) ٧/٩٨، وربيع الأبرار ٤/٣٠١، وأمالي المرتضى ١/٢٩٥، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٥، وتاريخ بغداد ١/١٩٦، ١٩٧ رقم ٣٥، وأمالي القالي ٣/١٤٥، والمستدرك ٣/٥٢٢، ٥٢٣، والتذكرة الحمدونية ٢/١٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٦٧ - ٧٨، ولباب الآداب ١٠٤، والزيارات للهروي ٧٩، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٢٣، ١٢٤ رقم ٦١، ووفيات الأعيان ٤/٩٠ و ٦/٣٣٤، وتحفة الأشراف ١/٧٦ - ٧٨ رقم ١٧، وتهذيب الكمال ٣/٢٨٦ - ٢٩٥ رقم ٥٣٢، وأسد الغابة ١/١١٨، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٧ - ٤٣ رقم ٨، وتلخيص المستدرك ٣/٥٢٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٠٩، ٦١٠، ودول الإسلام ١/٣٤، والعبر ١/٤٢ و ٤٦، والكاشف ١/٨٤ رقم ٤٥١، ومرآة الجنان ١/١٠٧، ١٠٨، والوافي بالوفيات ٩/٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٤١٩٣، وتهذيب التهذيب ١/٣٥٩، وتقريب التهذيب ١/٨٠ رقم ٦٠٨، والنكت الظراف ١/٧٦، ٧٧، والإصابة ١/٥١، ٥٢ رقم ٢٠٥، والبدء والتاريخ ٥/١٠٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩.

(١) الأشهر أن وفاته تأخرت إلى عهد معاوية في سنة ٥٤ هـ. وستأتي مصادر ترجمته هناك.

(٢) انظر عن (أبي رافع) في:
المغازي للواقدي ٢١٤ و ٣٧٨ و ٧٤٠ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٨٢ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١١١٣، وسيرة ابن هشام (انظر فهارس الأعلام)، ومسند أحمد ٦/١٠٠٨ و ٣٩٠ - ٣٩٣، وطبقات ابن سعد ٤/٧٣ - ٧٥، والتاريخ لابن معين ٢/٧٠٤، وتاريخ خليفة ٢٠٢، والمحبّر لابن حبيب ٩٢ و ١٢٨ و ٤٠٦، والمعارف ١٤٥، ١٤٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٤ رقم ٤٩، والمعرفة والتاريخ ١/٥١١، ٥١٢، وأنساب الأشراف ١/٢٦٩ و ٤١٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٩ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٨٣ و ٥٤٥، والكنى والأسماء للدولابي ١/٢٨ و ٧٠، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥١، وتاريخ الطبري ٢/٤٠٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٣/١٣ و ٢٥ و ٩٥ و ١٧٠ و ٤/١٥٦ و ٦/١٨٠، ومشاهير علماء الأمصار ٢٩ رقم ١٤٣، والجرح والتعديل ٢/١٤٩، والمعجم الكبير ١/٢٨٦، والمستدرك ٣/٥٩٧، ٥٩٨، والأسامي والكنى للحاكم، ورقة ١٩٦، والاستيعاب ٤/٦٨، وأسد الغابة ٥/١٩١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ج ٢/٢٣٠ رقم ٣٤٢، وتحفة الأشراف ٩/١٩٨ - ٢٠٦ رقم ٦١٧، وتهذيب الكمال ٣/١٦٠٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٨ رقم ١٤٤، والكاشف ٣/٢٩٤ رقم ١٤٩، وتلخيص المستدرك ٣/٥٩٧، ٥٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢/١٦، ١٧ رقم ٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٦٦٨، والوفيات لابن قنفذ ٥٤ =

الصحابة. وفيها مات شُرَحْبيل بن السِّمْط الكِنديّ[1]، وهو من أصحاب معاوية. قيل له صُحْبة، وقيل لا صُحبة له. وفي أوّل خلافة عليّ مات جَهْجاه الغفِاريّ[2]. له صُحبة. وفيها مات الحارث بن خَزَمَة الأنصاريّ[3] شهد بدراً وأُحُداً وغيرهما. وفيها مات خَوّات بن جُبير[4] الأنصاريّ بالمدينة، وكان قد خرج مع النبيّ ﷺ إلى بدر، فرجع لعُذْرٍ، فضرب له

= رقم ٣٥، وتهذيب التهذيب ١٢/٩٢، ٩٣ رقم ٤٠٧، وتقريب التهذيب ٢/٤٢١ رقم ٥، والنكت الظراف ٩/٢٠٠ و٢٠٤ و٢٠٥، والإصابة ٤/٦٧ رقم ٣٩١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٩.

(١) انظر عن (شرحبيل بن السمط) في:
طبقات ابن سعد ٧/٤٤٥، وطبقات خليفة ٣٠٧، والتاريخ الكبير ٤/٢٤٨، ٢٤٩ رقم ٢٦٩١، والأخبار الطوال ١٢١ و١٢٢ و١٥٩ و١٦٠ و١٧٠ و١٧١، والمعرفة والتاريخ ٢/٣١١، ٣١٢، وفتوح البلدان ١٦٣ و١٧٢، وتاريخ الطبري ٣/٣٣٤ و٤٨٨ و٥١٥ و٥٣٠ و٥٦٥ و٥٦٧ و٥٧٠ و٥٧٩ و٦١٩ و٦٢٠ و٤/٩ و٥٧٤ و٥/٧ و٩٨، والجرح والتعديل ٤/٣٣٨ رقم ١٤٨٤، ومشاهير علماء الأمصار ٥١ رقم ٣٣٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٩، والاستيعاب ٢/١٤١ ـ ١٤٣، والعقد الفريد ١/٢٩٧، ٢٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٩٩ ـ ٣٠١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٢١٨، وأسد الغابة ٢/٣٩١، ٣٩٢، والتذكرة الحمدونية ٢/٢٨٦، ٢٨٧، وتهذيب الكمال ٢/٥٧٦، والكاشف ٢/٧ رقم ٢٢٧٩، والوافي بالوفيات ١٦/١٢٨، ١٢٩ رقم ١٤٧، وتهذيب التهذيب ٤/٣٢٢، ٣٢٣ رقم ٥٥٤، وتقريب التهذيب ١/٣٤٨ رقم ٤١، والإصابة ٢/١٤٣ رقم ٣٨٧٠.

(٢) انظر عن (جهجاه الغِفاري) في:
المغازي للواقدي ٤١٥، ٤١٦ و٤٣٥، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٥٣ رقم ٨١٧، وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١/٥٣٦ و٥٣٧ و٥٨١ و٥/٤٧ و٤٨ و٧٩، وتاريخ الطبري ٢/٦٠٥ و٤/٣٦٦ و٣٦٧، والجرح والتعديل ٢/٥٤٣ رقم ٢٢٥٨، والمعجم الكبير ٢/٢٧٤ رقم ٢٠٨، والاستيعاب ١/٢٥٢، ٢٥٣، وأسد الغابة ١/٣٠٩، وتجريد أسماء الصحابة ١/٩٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٦٠، ٥٦١، والوافي بالوفيات ١١/٢٠٧ رقم ٣٠٤، والإصابة ١/٢٥٣ رقم ١٢٤٥.

(٣) انظر عن (الحارث بن خَزَمَة) في:
المغازي للواقدي ٢٤ و١٥٨ و٤٠٥ و٤٣٢ و١٠١٠، وطبقات ابن سعد ٣/٤٤٧، وطبقات خليفة ٩٩، والمحبّر لابن حبيب ٧٤، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٣١ رقم ٥٦٣، وأنساب الأشراف ١/٢٤٢، والمعجم الكبير ٣/٣١٢ رقم ٢٩٨، والاستيعاب ١/٢٩٣، ٢٩٤، وأسد الغابة ١/٢٢٦، ٢٢٧، والمشتبه في أسماء الرجال ١/٢٣٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦١٧، والوافي بالوفيات ١١/٢٤٤ رقم ٣٥٢، وتعجيل المنفعة ٧٦ رقم ١٥٧، وتبصير المنتبه ١/٤٣٦، والإصابة ١/٣٧٧ رقم ٣٩٩، والأسامي والكنى، ورقة ٩٠.

(٤) انظر عن (خوّات بن جبير) في:
المغازي للواقدي ١٠١ و١٣١ و١٦٠ و٢٣٢ و٢٨٤ و٣٠٣ و٤٥٩ ـ ٤٦١ و٥٥٤، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٣/٤٧٧، ٤٧٨، والتاريخ الكبير ٣/٢١٦، ٢١٧ رقم ٧٣٦، والمعارف ١٥٩ و٣٢٧، وأنساب الأشراف ١/٢٤١ و٢٨٩ و٣١٧، والجرح والتعديل ٣/٣٩٢ رقم ١٧٩٩، وتاريخ الطبري ٢/٤٧٨ و٥٠٩ و٥٧١، ومشاهير علماء الأمصار ١٨ رقم ٦٨، وفتوح البلدان ١٢، والاشتقاق لابن دريد ٤٤٢، والمعجم الكبير ٤/٢٤٠، ٢٤١ رقم ٣٩٢، والاستيعاب ١/٤٤٢ ـ ٤٤٨، وثمار القلوب ١٤١ و٢٩٣، وربيع الأبرار ٤/٣٣٣، والاستبصار ٣٢٣، ٣٢٤، والبدء =

رسول الله ﷺ بسهمه، وهو صاحب ذات النِّحيين[1].

وفي خلافة عليّ مات قَرَظَة بن كعب[2] الأنصاريّ بالكوفة، (وقيل: بل مات في إمارة المُغيرة على الكوفة لمعاوية)[3]، شهد أُحُداً وغيرها وشهد سائر المشاهد مع عليّ. ومات مُعاذ بن عفْراء الأنصاريّ[4] (في أوّل خلافة عليّ، وهو بدريّ، شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ)[5]. وفي خلافته مات أبو لُبابة بن عبد المُنْذر[6] الأنصاريّ، وكان

= والتاريخ ٥/ ١١٩، والمستدرك ٣/ ٤١٢، ٤١٣، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٦، والمرصّع ٣٣٥ و ٣٣٩، وأسد الغابة ٢/ ١٢٥، ١٢٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ١٧٨، ١٧٩ رقم ١٥٠، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٨١، والأسامي والكنى، والورقة ١/ ٢٨٠، ومرآة الجنان ١/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين ٦١٨ - ٦٢٠، وتجريد أسماء الصحابة ١/ ١٦٣ رقم ١٦٩٠، والأغاني ١٤/ ٣١٦ - ٣١٨ و ٣/ ٢٧١، والوافي بالوفيات ١٣/ ٤٢٥ - ٤٢٧ رقم ٥١٥، ورجال الطوسي ٤٠، والعبر ١/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠ رقم ٦٤، ومجمع الزوائد ٩/ ٤٠١، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٧١ رقم ٣٢٣، وتقريب التهذيب ١/ ٢٢٩ رقم ١٧٠، والإصابة ١/ ٤٥٧، ٤٥٨ رقم ٢٢٩٨، وتلخيص المستدرك ٣/ ٤١٢، ٤١٣، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٨، وشذرات الذهب ١/ ٤٨.

(١) في النسخة (ي) ونسخة المتحف البريطاني «النجيبين».
وذات النِّحْيَيْن: اسم امرأة تسمّى هداية أو هزلية. جرى بها المثل في الشغل والشحّ، فقيل: «أشغل من ذات النِّحْيَيْن»، ومن حديثها أن خوّات بن جبير الأنصاري حضر في الجاهلية سوق عكاظ، فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فأخذ نحْياً من أنحائها، ففتحه ثم ذاقه ودفع النحْي في إحدى يديها، ثم فتح نحْياً آخر ودفع فمه في يدها الأخرى، ثم كشف ذيلها وواقَعَها، وهي غير ممانعته لحِفْظ فم النِّحْيَيْن، ولم تدفعه خوفاً على السمن، حتى قضى حاجته، فضربت العرب بها المثل، فقالوا: أنكح وأغلم من خوّات، وأشغل وأشحّ من ذات النِّحْيَيْن.

(٢) انظر عن (قَرَظَة بن كعب) في:
طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧، وطبقات خليفة ٧٤ و ١٣٤، والتاريخ الكبير ٤/ ٣٠٤، ٣٠٥ رقم ٢٩٢١، ومسند أحمد ٤/ ٢٣٩ - ٢٤١، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٩١ رقم ١٢٩، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٠، والجرح والتعديل ٤/ ٤٢٠، ٤٢١ رقم ١٨٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ٤٧ رقم ٢٩٧، والمعجم الكبير ٨/ ٦٣، ٦٤ رقم ٧٢٣، والاستيعاب ٢/ ١٨٨، ١٨٩، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٧، وجوامع السيرة ٢٨٣، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٤٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ٢٤٩ رقم ٢٦٤، وتحفة الأشراف ٤/ ١٩١ - ١٩٤ رقم ٢٤٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٦١٠، والكاشف ٢/ ٢٧ رقم ٢٤٢٤، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٦٦١، ٦٦٢، وأسد الغابة ٣/ ٢٤، والوافي بالوفيات ١٦/ ٣١٧ رقم ٣٤٨، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٨ رقم ٧٤٥، وتقريب التهذيب ١/ ٣٦٨ رقم ١٠٨، والنكت الظراف ٤/ ١٩٣، ١٩٤، والإصابة ٢/ ١٨٩ رقم ٤٠٨٠.

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) هو: مُعاذ بن الحارث بن رفاعة، نُسب إلى أمّه عفراء. انظر عنه:
طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩١، وطبقات خليفة ٩٠، وتاريخ خليفة ٢٠٢، والمستدرك ٣/ ٥٢١، والاستيعاب ٣/ ١٤٧، وأسد الغابة ٥/ ١٩٧، وتهذيب الكمال ١٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٨ رقم ٧٢، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٨، والإصابة ٩/ ٢٢١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٨٠، وشذرات الذهب ١/ ٧١.

(٥) من النسخة (ر).

(٦) انظر عن (أبي لبابة بن عبد المنذر) في: =

نقيباً، شهد بدراً. وقيل: بل استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة وردّه من طريق بدر وضرب له بسهمه. وفيها توفّي مُعَيْقيب بن أبي فاطمة [1] الدَّوْسيّ، (له صحبة، قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكان على خاتم النبيّ ﷺ وكان مجذوماً، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال، وكان معه الخاتم أيّام عثمان، فمن يده وقع الخاتم. وقيل: إنّه توفّي آخر خلافة عثمان)[2].

(انتهى المجلّد الثاني ويليه المجلّد الثالث وأوّله:)
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

= المغازي للواقدي ٨ و١٠١ و١١٥ و١٥٩ و١٨٠ و١٨٢ و٢٨١ و٣٠٣ و٥٠٥ و٥٠٦ - ٥٠٩ و٨٠٠ و٨٩٦ و١٠٤٧ و١٠٧٢، وسيرة ابن هشام (انظر فهرس الأعلام)، وطبقات ابن سعد ٣/٤٥٦، ٤٥٧، والتاريخ لابن معين ٢/٧٢٣، ومسند أحمد ٣/٤٣٠ و٤٥٢ و٤٥٣ و٥٠٢، وطبقات خليفة ٨٤، وتاريخ أبي زرعة ١/٤٧٧، وعيون الأخبار ١/١٤١، والمعارف ١٥٤ و١٨٠ و٣٢٥ و٥٩٧، وأنساب الأشراف ١/٢٤١ و٢٩٤، والمعرفة والتاريخ ٢/٧٠٣، وتاريخ الطبري ١/١١٣ و٢/٤٧٨ و٤٨١ و٤٨٥ و٥٨٣ - ٥٨٥ و٣/١١١، والكنى والأسماء للدولابي ١/٥١، ومشاهير علماء الأمصار ١٧ رقم ٥٦، وجمهرة أنساب العرب ٢٣٤، والاستيعاب ٤/١٦٨ - ١٧٠، والمستدرك ٣/٦٣٢، وأسد الغابة ٥/٢٨٤، ٢٨٥، وتحفة الأشراف ٩/٢٧٥ - ٢٧٨ رقم ٦٥٣، وتهذيب الكمال ٣/١٦٤١، ١٦٤٢، والكاشف ٣/٣٢٩ رقم ٣٥٠، وتلخيص المستدرك ٣/٦٣٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٣٦١ و٦٦٨، والوافي بالوفيات ١٠/١٦٤ رقم ٤٦٣٨، وتاريخ خليفة ٩٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٩٣ رقم ١٤٥، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٨ رقم ١٥٠، وتهذيب التهذيب ١٢/٢١٤ رقم ٩٩٠، وتقريب التهذيب ٢/٤٦٧ رقم ١، والنكت الظراف ٩/٢٧٥، ٢٧٦، والإصابة ٤/١٦٨ رقم ٩٨١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٥٨، والبداية والنهاية ٧/٢٢٣.

(١) انظر عن (معيقيب) في:
السير والمغازي لابن إسحاق ٢٢٧، والمغازي للواقدي ٧٢١، وطبقات ابن سعد ٤/١١٦ - ١١٨، ومسند أحمد ٣/٤٢٦ و٥/٤٢٥، ٤٢٦، والتاريخ لابن معين ٢/٥٧٨، وتاريخ خليفة ٩٩ و١٥٦ و١٩٩ و٢٠٢، وطبقات خليفة ١٣ و١٢٣، والمحبَّر لابن حبيب ١٢٧، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٢٣٨، والمعارف ٣١٦ و٥٨٤، والتاريخ ٨/٥٢، ٥٣ رقم ٢١٢٣، وسيرة ابن هشام (انظر فهارس الأعلام)، والمعرفة والتاريخ ٢/٤٦٧، وأنساب الأشراف ١/٢٠٠ وق ٤ ج ١/٤٥٥ و٥٤٨ و٥/٥٨، والجرح والتعديل ٨/٤٢٦ رقم ١٩٣٨، وفتوح البلدان ٦ و٤٣١، والاستيعاب ٣/٤٧٦، ٤٧٧، والمعجم الكبير ٢٠/٣٤٩، ٣٥٠، ومشاهير علماء الأمصار ٢٨ رقم ١٣٥، والعقد الفريد ٤/١٦١ و٢٧٣، وأسد الغابة ٤/٤٠٢، ٤٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/١٠٨ رقم ١٥٧، وتهذيب الكمال ٣/١٣٥٨، وتحفة الأشراف ٨/٤٦٨، ٤٦٩ رقم ٥٣٧، والتذكرة الحمدونية ١/١٤١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٣٥٦ و٣٥٧ و٦٥٤، والكاشف ٣/١٤٧ رقم ٥٦٧٩، والعبر ١/٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩١ - ٤٩٣ رقم ١٠٢، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٥٤ رقم ٤٥٦، وتقريب التهذيب ٢/٢٦٨ رقم ١٣٠٢، والإصابة ٣/٤٥١ رقم ٨١٦٤، والبداية والنهاية ٧/٢٢٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩٧، وشذرات الذهب ١/٤٨.

(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(بعون الله وتوفيقه تمّ التصحيح والتعليق على المجلّد الثاني من الكامل في التاريخ لابن الأثير، على يد طالب العلم «عمر بن عبد السلام تدمري» الطرابلسي المولد والوطن، الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، وذلك صباح يوم الأحد ٢٥ من شوّال ١٤١٥ هـ/ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٩٥ م، بمنزله في ساحة النجمة بطرابلس الشام حرسها الله).

الفهرس العام
للمجلّد الثاني من «الكامل في التاريخ»